

لَوْ لَاحَظَ الْإِسْلَامُ الْحَرْشِيَّةَ
فِي شَرْحِ الصَّحِيفَةِ السَّجَّادِيَّةِ

الحمد لله الذي جعل القرآن الكريم

الجزء الثاني

صحیح و قابل اعتماد

محکمہ اعلیٰ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَكُونَا لَهُ شَاكِرِينَ إِلَّا يَهْدِيَ الْقَوْمَ الضَّالِّينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لوامع الانوار العرشيہ فی شرح الصحیفہ السجادیہ

کاتب:

محمد باقر بن محمد ملاباشی شیرازی

نشرت فی الطباعة:

موسسه فرهنگي مطالعاتي الزهرا (سلام الله عليها)

رقمی الناشر:

مركز القائميہ باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس	٥
لوامع الانوار العرشيه فى شرح الصحيفه السجديه المجلد ٥	٦
اشاره	٦
اشاره	٦
اللمعه الرابعه و الأربعون فى شرح الدعاء الرابع و الأربعين	٨
اللمعه الخامسه و الأربعون فى شرح الدعاء الخامس و الأربعين	٦٢
اللمعه السادسه و الأربعون فى شرح الدعاء السادس و الأربعين	١٣٨
اللمعه السابعه و الأربعون فى شرح الدعاء السابع و الأربعين	١٨٣
اللمعه الثامنه و الأربعون فى شرح الدعاء الثامن و الأربعين	٣٨٥
اللمعه التاسعه و الأربعون فى شرح الدعاء التاسع و الأربعين	٤٢٧
اللمعه الخمسون فى شرح الدعاء الخمسين	٤٥٥
اللمعه الحاديه و الخمسون فى شرح الدعاء الحادى و الخمسين	٤٧٥
اللمعه الثانيه و الخمسون فى شرح الدعاء الثانى و الخمسين	٤٩٤
اللمعه الثالثه و الخمسون فى شرح الدعاء الثالث و الخمسين	٥١٠
اللمعه الرابعه و الخمسون فى شرح الدعاء الرابع و الخمسين	٥٢٤
الفهرس	٦٠٢
تعريف مركز	٦٠٣

سرشناسه : ملاباشی شیرازی، محمد باقر بن محمد، -۱۲۴۰ق.

عنوان و نام پدیدآور : لوامع الانوار العرشیه فی شرح الصحیفه السجادیه/محمدباقر الموسوی السفیانی شیرازی ؛ صححه و قدم له و علق علیه مجید هادی زاده ؛ باهتمام مرکز البحوث الكمبيوتر التابع لهوزه اصفهان العلمیه.

مشخصات نشر : اصفهان: الزهرا، ۱۳XX.

مشخصات ظاهری : ج.

فروست : سلسله المنشورات؛ ۵.

شابک : ۲۰۰۰۰۰ریال:دوره

وضعیت فهرست نویسی : فهرست نویسی توصیفی

یادداشت : عربی.

یادداشت : فهرست نویسی بر اساس جلد دوم.

یادداشت : چاپ دوم.

یادداشت : کتابنامه.

شناسه افزوده : هادی زاده، مجید، ۱۳۴۹ -، مصحح

شناسه افزوده : حوزه علمیه اصفهان. مرکز تحقیقات رایانه ای

شماره کتابشناسی ملی : ۱۶۷۲۷۰۶

ص : ۱

اللمعه الرابعه و الأربعون فى شرح الدعاء الرابع و الأربعين

ص : ٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى فرض علينا الصيام فى شهر رمضان _ الذى قال الله تعالى فى فضله: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَ الْفُرْقَانِ» (١) _ ؛ و الصلاة و السلام على نبيه الذى هو أشرف موجودات عالم الإمكان، و على آله و أهل بيته الهداه للإنس و الجن.

و بعد؛ فيقول العبد المفتقر إلى رحمه ربه المنان محمّد باقر بن السيد محمّد _ أسكنهما الله تعالى من عميم فضله و رحمته بحبوحه الجنان _ : هذه اللمعة الرابعة و الأربعون من لوازم الأنوار العرشية فى شرح الصحيفة السجادية، التى هى تاليه القرآن _ سلام الله عليه و على آبائه و أبنائه الذين هم أمناء الرحمن فى عالم الإمكان _ .

وَ كَانَ مِنْ دُعَائِهِ _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ.

>يجوز أن يراد به الليلة الأولى و اليوم الأول؛ و يجوز أن يراد به الدخول العرفي، و هو المتبادر حيث تنتفى الحقيقة اللغوية (٢) <.

و المراد من «الدخول» هنا: المجيء و الحضور؛ و لك جعل الكلام من باب الإستعارة

ص : ٥

١- ١. كريمه ١٨٥ الفرقان.

٢- ٢. قارن: «نور الأنوار» ص ١٨٢.

هذا ما ذكره القوم؛ و أما أنا فأقول: إنّ «الدخول» هنا أيضاً على الحقيقة، لأنّ كلّ موجودٍ _ سواءً كان قارّاً أو غير قارٍّ _ على قدر وجوده و بحسبه يتّصف بجميع الصفات الكماليّة _ كما مرّ غير مرّة _ .

و الأقوال في إشتقاق «رمضان» مختلفة؛

الأول: أنّه مأخوذٌ من «رمض»^(١)، لأنّه يرمض الذنوب. و روى في هذا المعنى حديثٌ عن النبيّ _ صلّى الله عليه و آله و سلّم _ أنّه قال: «إنّما سمّي رمضان، لأنّ رمضان يرمض الذنوب»^(٢) _ أي: يحرقها، أو وجوب صومه صارف شدّه الحرّ _ . و هذا القول حكاه الأصبغى عن أبي عمرو؛

>الثاني: أنّه مأخوذٌ من «الرميض»، و هو: من السحاب و المطر ما كان في آخر القيظ و أوّل الخريف، سمّي رميضاً لأنّه يدرأ سخونه الشمس. فسّمّي هذا الشهر رمضان، لأنّه يغسل الأبدان من الذنوب و الآثام، و هو قول الخليل^(٣)؛

الثالث: أنّه من قولهم: رمضت النصل أرمضه رمضاً: إذا دقّفته بين حجرين ليرقّ، فسّمّي هذا الشهر رمضان لأنّهم كانوا يرمضون أسلحتهم فيه ليقتضوا أوطارهم منها في شوال قبل دخول الأشهر الحرم، و هذا القول يحكى عن الأزهريّ. فعليه فالإسم جاهليّ، و على القولين الأوّلين يكون إسلاميّاً و قبل الإسلام لا يكون له هذا الاسم؛ انتهى؛

الرابع: أنّه سمّي بذلك لارتماضهم فيه من حرّ الجوع و العطش^(٤)، و هو قول البيضاويّ، فإنّه قال: «رمضان: مصدر رمض»^(٥)؛ و قال أبو حيّان: «يحتاج في تحقيق أنّه مصدرٌ إلى صحّحه

ص : ٦

١- ١. و انظر: نفس المصدر ص ١٨٣.

٢- ٢. راجع _ مع تغييرٍ _ : «مستدرک الوسائل» ج ٧ ص ٤٨٤ الحديث ٨٧١٠.

٣- ٣. قال: «الرمض: مطرٌ قبل الخريف ... و رمضان: شهر الصوم»؛ راجع: «ترتيب كتاب العين» ج ١ ص ٧١٣ القائمة ٢.

٤- ٤. و انظر: «المصباح» _ للكفعميّ _ ص ٥١٣.

٥- ٥. راجع: «تفسير البيضاوي» ص ٣٨.

نقل، لأنَّ فعلاً ليس مصدر فعل اللازم، بل إن جاء فيه كان شاذّاً. و الأولى أن يكون مرتجلاً لا منقولاً» (١)؛ انتهى.

و هو غير منصرفٍ للعلميّة و الألف و النون المزيديتين (٢).

و فى إضافه لفظ «شهر» إلى أسماء الشهور قاطبهُ أيضاً أقوال:

سيبويه و أكثر النحويين على جوازه؛

و قيل: «مختصّ بما فى أوّله الرءاء _ و هو: الربيعان و رمضان _». > و قال الأزهرى: «العرب تذكر الشهور كلّها مجرّدة من لفظ «شهر» (٣) إلّا شهرى ربيع و شهر رمضان» (٤)؛ قال الله _ تعالى _ : «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» (٥)؛ و قال الراعى:

شَهْرِي رَّبِيعٌ مَا تَذُوقُ لَبُونَهُمْ إِلَّا حَمُوضاً وَ خَمَةً وَ دُوبِلًا

و لم تستعمله العرب مع غير ذلك، و قد تستعمله مع ذى القعدة؛ كذا قال البدر بن مالك فى شرح التسهيل.

و تعقّبه البدر الدمامينى ب _ : «أنّ صدر كلامه _ يعنى قوله: «ما فى أوّله راء» _ يقتضى جواز إضافه «شهر» إلى رجب، و آخر كلامه _ يعنى قوله: «و لم تستعمله العرب مع غير ذلك» _ يدافعه!»؛ انتهى. و صرّح الأسنوى (٦) فى الكوكب الدرّى باستثناء رجب من هذه القاعدة.

و قال بعضهم: «إنّما التزمت العرب لفظ شهر مع ربيع، لأنّ لفظ ربيع مشترك بين الشهر و الفصل، فالتزموا لفظ شهر مع اسم الشهر للفرق بينهما»؛

و قال ثعلب: «إنّما خصّت العرب شهرى ربيع و شهر رمضان بذكر شهر معها من دون غيرها من الشهور ليدلّ على موضع الاسم؛ كما قالت العرب: ذوزن و ذوكلاع، فزادت

ص : ٧

١-١. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ١٠.

٢-٢. انظر: «تفسير البيضاوى» ص ٣٨ أيضاً.

٣-٣. التهذيب: _ من لفظ شهر.

٤-٤. راجع: «تهذيب اللغة» ج ٢ ص ٣٧٤ القائمة ١.

٥-٥. كريمه ١٨٥ الفرقان.

٦-٦. المصدر: الأنسوى.

«ذو» ليدلّ على الإسم، والمعنى: صاحب هذا الإسم؛ انتهى.

و قال الزمخشريّ: «مجموع (١) المضاف والمضاف إليه في قولك: «شهر رمضان» هو العلم» (٢)؛ و تابعه جماعة. و اعتذروا عن نحو ما روى: «من صام رمضان ...» بأنّه من باب الحذف لأمن اللبس (٣)، و جاز الحذف من الأعلام _ و إن كان من قبيل حذف بعض الكلمه _ لأنّهم أجروا هذا العلم في جواز الحذف منه مجرى المتضائفين، حيث أعربوا الجزئين بإعرابهما.

و قال أبو حيان: «ما ذكره الزمخشريّ _ من: أنّ علم الشهر مجموع اللفظين _ غير معروف، و إنّما اسمه رمضان، فإذا قيل: شهر رمضان فهو كما يقال: شهر المحرم، و يجوز ذلك. ثمّ نبّه على أنّه علم جنس». و قال ابن درستويه: «الضابط في ذلك: أنّ ما كان من أسمائها اسم الشهر أو صفه قامت مقام الإسم فهو الذي لا يجوز أن يضاف إليه الشهر و لا يذكر معه؛ كالمحرم، إذ معناه: الشهر المحرم؛ و كصفر، إذ هو اسم معرفه _ كزيد _؛ و جمادى، إذ هو معرفه و ليس بصفه؛ و رجب، و هو كذلك؛ و شعبان، و هو بمنزله عطشان؛ و شوال، و هو صفه جرت مجرى الإسم و صارت معرفه؛ و ذوالقعدة، و هو صفه قامت مقام الموصوف، و المراد القعود عن التصرف _ كقولك: الرجل ذو الجلسه _؛ و ذو الحجّه مثله. و أمّا الربيعان و رمضان فليست بأسماء للشهر و لاصفات له، فلا بدّ من إضافه لفظ شهر إليها. و يدلّك على ذلك: أنّ رمضان فعلاّن من الرّمض، كقولك: شهر الغليان و ليس الغليان بالشهر و لكن الشهر شهر الغليان، و ربيع إنّما هو اسم للغيث و ليس الغيث بالشهر؛ انتهى.

و قد ورد من طريق الخاصّه و العامّه النهى عن التلفّظ بـ «رمضان» من دون إضافه الشهر؛

ص : ٨

١- ١. المصدر: و في حاشيه البخارى للدمايني ما نصّه: صرّح الزمخشريّ بأنّ مجموع

٢- ٢. قال: «الرمضان ... فأضيف إليه الشهر و جعل علماً»؛ راجع: «تفسير الكشاف» ج ١ ص ٣٣٦.

٣- ٣. لتفصيل هذا الإشكال و الجواب عنه راجع: نفس المصدر.

أَمَّا الْأَوَّلُ فَهُوَ مَا رَوَاهُ فِي الْكَافِي (١) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ سَالِمٍ (٢) قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَاقِرِ _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ ، فَذَكَرْنَا رَمَضَانَ، فَقَالَ _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ : لَا تَقُولُوا هَذَا رَمَضَانَ، وَلَا ذَهَبَ وَلَا جَاءَ رَمَضَانَ، فَإِنَّ رَمَضَانَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ _ تَعَالَى _ وَهُوَ _ عَزَّ وَجَلَّ _ لَا يَجِيءُ وَلَا يَذْهَبُ؛ وَلَكِنْ قُولُوا: شَهْرُ مَضَانَ، فَإِنَّ الشَّهْرَ مَضَافٌ إِلَى الْإِسْمِ وَالْإِسْمُ اسْمُ اللَّهِ _ عَزَّ وَذَكَرَهُ _»؛

وَبِسَنَدِهِ (٣) عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ عَنْ أَبِيهِ _ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ _ قَالَ: «قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ : لَا تَقُولُوا رَمَضَانَ وَلَكِنْ قُولُوا: شَهْرُ مَضَانَ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ مَا رَمَضَانُ!»؛

وَأَمَّا الثَّانِي فَهُوَ مَا رَوَاهُ هِشَامُ عَنْ أَبَانَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ _ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ _ : «لَا تَقُولُوا رَمَضَانَ، أَنْسِبُوهُ كَمَا نَسِبَهُ اللَّهُ _ تَعَالَى _ فِي الْقُرْآنِ فَقَالَ: «شَهْرُ رَمَضَانَ»» (٤)؛

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «لَا تَقُولُوا رَمَضَانَ، فَإِنَّ رَمَضَانَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ _ تَعَالَى _ ، وَلَكِنْ قُولُوا شَهْرَ مَضَانَ».

قَالَ صَاحِبُ الْقَامُوسِ: «إِنْ صَحَّ أَنَّهُ (٥) مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ _ تَعَالَى _ فَهُوَ غَيْرُ (٦) مُشْتَقٍّ، أَوْ رَاجِعٌ إِلَى مَعْنَى: الْغَافِرُ _ أَيِ: يَمْحُو الذُّنُوبَ وَيَمْحَقُهَا _» (٧) (٨) <.

ص : ٩

١- ١. راجع: «الكافي» ج ٤ ص ٦٩ الحديث ٢، مع اختصارٍ، و انظر: «من لا يحضره الفقيه» ج ٢ ص ١٧٢ الحديث ٢٠٥٠، «وسائل الشيعة» ج ١٠ ص ٣١٩ الحديث ١٣٥٠٥، «بحار الأنوار» ج ٢٤ ص ٣٩٦.

٢- ٢. الكافي: عن هشام بن سالم عن سعدٍ.

٣- ٣. راجع: «الكافي» ج ٤ ص ٦٩ الحديث ١، و انظر: «من لا يحضره الفقيه» ج ٢ ص ١٧٢ الحديث ٢٠٥١، «وسائل الشيعة» ج ١٠ ص ٣١٩ الحديث ١٣٥٠٤، «بحار الأنوار» ج ٩٣ ص ٣٧٧.

٤- ٤. لم أعثر عليه في مصادرنا، و انظر: «تفسير القرطبي» ج ٢ ص ٢٩١، و لم أعثر عليه في غيره.

٥- ٥. المصدر: _ أنه.

٦- ٦. القاموس: _ تعالى فغير.

٧- ٧. راجع: «القاموس المحيط» ص ٥٩٤ القائمة ١.

٨- ٨. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ١٢.

قيل: «و الأولى أن يحمل النهى على التنزيه _ كما قال الشهيد به في الدروس (١) _ ، لأنه لم ينقل عن أحد من العلماء أنّ رمضان من أسماء الله _ تعالى _ ؛ وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة ما يدل على الجواز مطلقاً».

و قال الشهيد الثاني في تمهيد القواعد (٢): «وقد ورد عندنا النهى عن التلفّظ برمضان من دون إضافه الشهر، و هو نهى كراهه» انتهى.

و لكن الراجح عندى أنّه من أسماء الله _ تعالى _ ؛ و وجهه ظاهرٌ.

و قد أجمع المسلمون من العامّة و الخاصّة على أنّ شهر رمضان أفضل الشهور؛

أمّا العامّة فلما رواه النسائي (٣) أنّه _ صلى الله عليه و آله و سلّم _ ذكر رمضان و فضّله على سائر الشهور، و قال: «من صامه إيماناً و احتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه»؛

و روى الحليمي منهم أنّه _ صلى الله عليه و آله و سلّم _ قال: «سيد الشهور رمضان» (٤)؛

و أمّا الخاصّة فلما روى في الكافي (٥) بسنده عن أبي جعفر _ عليه السلام _ قال: «قال رسول الله لَمّا حضر شهر رمضان _ و ذلك في ثلاث بقين من شعبان _ قال لبلال: ناد في الناس!؛ ثمّ صعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه، ثمّ قال: أيّها الناس! إنّ هذا الشهر قد خصّكم الله به و حضركم، و هو سيد الشهور ليلة فيه خيرٌ من ألف شهرٍ، تغلق فيه أبواب النار و

ص : ١٠

١- ١. قال: «و روى النهى عن أن يقال: رمضان، بل شهر رمضان ... و هو للتنزيه»؛ راجع: «الدروس الشرعيّة» ج ١ ص ٢٨٥.

٢- ٢. راجع: «تمهيد القواعد» ج ٢ ص ١٤٨.

٣- ٣. راجع _ مع تغيير _ : «سنن النسائي» ج ٤ ص ١٥٨.

٤- ٤. لم أعثر عليه مرويّاً عن الحليمي، و راجع: «مصنّف ابن أبي شيبة» ج ١ ص ٤٧٧ الحديث ٥٥٠٩.

٥- ٥. راجع: «الكافي» ج ٤ ص ٦٧ الحديث ٥، و انظر: «التهذيب» ج ٤ ص ١٩٢ الحديث ٤، «وسائل الشيعة» ج ١٠ ص ٣٠٩ الحديث ١٣٤٨٧.

تفتّح أبواب الجنان!، فمن أدركه و لم يغفر له فأبعده الله!، و من أدرك والديه فلم يغفر(١) له فأبعده الله!، و من ذكرت عنده فلم يصلّ علىّ فلم يغفر(٢) له فأبعده الله!... إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة الواردة في هذا الباب؛ من أراد الإطلاع عليها فليرجع إلى كتب أحاديثنا.

لمعه عرشية

اعلم! أنّه قد حقّقنا لك فيما مرّ أنّ القمر و الشمس في هذا العالم مثالان للنفس و العقل، فكما أنّ أهل الرصد الجسمانيّ قرّروا بناء الشهر و السنه عليهما _ و قالوا: مفارقه القمر من وضع معيّن مع الشمس مثلاً، و هو الهلال، إلى معاودته إليه شهرٌ، و اثني عشر شهراً سنّه قمريةٌ؛ و كذا مفارقه الشمس من نقطه معيّنه، مثل أوّل الحمل مثلاً، إلى معاودتها إليها سنّه شمسيّة، و بالجملة مدار الشهر و السنه على حركتهما الخاصّه _؛ فكذا أهل الرصد الروحانيّ قرّروا بناء الشهر و السنه الروحانيّتين على النفس و العقل، و قالوا: مفارقه قمر النفس من وضع معيّن مع شمس العقل مثلاً _ و هو الهلال أيضاً _ إلى معاودته إلى هذا الوضع المعين شهرٌ، لأنّه بعد المحاق _ و هو محلّ تطابق الدائرتين النفسيّه و العقليّه في تطابق دائرتي القمر و الشمس الحسيّتين و تزايدهما في اللمعه الهلاليّه؛ فتدبّر تفهم! _ .

و اثني عشر شهراً سنّه نفسيّة، لأنّ للنفس في حركتها إلى الكمال أربع مراتب، و النفوس التي تحتها ثلاثٌ، و من ضرب الأربعه في الثلاثه حصل إثني عشر.

و كذا مفارقه شمس العقل من نقطه معيّنه مثلاً _ مثل أوّل الحمل في الشمس الحسيّة، و هو نقطه تعادل نهار الوجود و ليل المهية في قوس النزول في المرتبه النفسيّه، كما حقّقناه لك في اللمعه السادسه _ إلى معاودتها إليها ثانياً سنّه عقليّة. إذا عرفت ما ذكرناه لك في هذا المقام فنقول: إذا دخل نوبه شهر رمضان _ لأنّه يرمض الذنوب و يحرقها _ و جب لك

ص : ١١

١-١. المصدر: و لم يغفر.

٢-٢. المصدر: + الله.

الإمساك و كَفَّ النفس عن الحظوظ الحيوانية و النفسانيّة حتّى حان حين الوصول إلى محبوبك و معشوقك الحقيقي، و هو يوم الفطر و العيد.

و إن كان المدار فى السنه الشمسيّه على شمس الوجود الحقيقي فالأشهر الإثني عشر هي: التسعه الجسمانيه الفلكيه _ التى بمنزله الآحاد فى المراتب الأربع العدديّه _ ، ثم النفس الكلّيه _ التى بمنزله العشرات _ ، ثم العقول المجرّده القدسيّه _ التى بمنزله المآت _ ، ثم الصادر الأوّل _ الذى هو الحقيقه المحمّديه التى بمنزله الألف فى المراتب العدديّه _ ؛ لأنّ منتهى أسماء العدد إلى إثني عشر اسماً _ و هي من الواحد إلى التسعه، ثم العشره، ثم المأه، ثم الألف _ . و ليس وراءها إلى ما لانهايه له مرتبه أخرى لها اسم آخر؛ و إنّما يكون التركيب فيها بالتضعيف لهذه الأسماء إلى غير النهايه. فلذا ثلاثه منها _ و هي رجب و شعبان و رمضان _ فضلت على الباقي.

و جاء فى الخبر: «إنّ رجب شهر علىّ، و شعبان شهر محمّد، و رمضان شهر الله»(١). فإذا دخل نوبه شهر رمضان _ و هو آخر الشهور الشمسيّه الوجوديه فى دائره قوس الصعود، الذى أحرق الذنوب كلّها حتّى ذنب الوجود و الآتيه و يبقى السالك بلاهويّه _ ، فعند ذلك يتحقّق الصوم الحقيقي، و هو المعبر عنه بالمحو و الفناء. حتّى حان حين الفطر و حرمة الصوم، و هو البقاء بعد الفناء و منتهى مرتبه السير لكمل الأنبياء و الأولياء؛ و هو يوم العيد الأكبر!. فهذا الشهر هو شهر الله الأعظم الأفخم، و شهر الإسلام الحقيقي، و شهر الطهور و التمحيص التحقيقى _ ... إلى آخر ما وصفه عليه السلام _ .

و هو الشهر «الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ»(٢) أى: النحو الإجمالى القرآنى الجمعى للموجودات القضائيه و الفرقانيه؛ و الشهر الذى فيه «لَيْلَةُ الْقَدْرِ» الذى هو «خَيْرٌ مِنْ

ص : ١٢

١ - ١. لم أعثر عليه، و انظر: «وسائل الشيعة» ج ١٠ ص ٤٨٠ الحديث ١٣٨٩٤، «جامع الأخبار» ص ٨٢ «مسار الشيعة» ص ٥٦، «مصباح المتهجد» ص ٧٩٧، «المقنعه» ص ٣٧٣.

٢ - ٢. كريمه ١٨٥ البقره.

أَلْفِ شَهْرٍ» (١)؛ و هو تعين الحقيقة المحمديّة التي هي «خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ».

هكذا يجب أن يحمل كلام المعصوم، لا أن يقتصر على الظاهر كما هو دأب أهل الظاهر!. فاعلم ما ذكرناه لك في هذا المقام، فإنه عزيز المرام جداً لا يوجد في زبر السلف و الخلف!؛ و «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» (٢) من الأنام.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِحَمْدِهِ، وَ جَعَلَنَا مِنْ أَهْلِهِ لَنَكُونَ لِإِحْسَانِهِ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَ لِيَجْزِيَنَا عَلَى ذَلِكَ جَزَاءَ الْمُحْسِنِينَ. وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَبَانَا بِدِينِهِ، وَ اخْتَصَّنَا بِمِلَّتِهِ، وَ سَبَّلَنَا فِي سُبُلِ إِحْسَانِهِ لِنَسْلُكَهَا بِمَنْهِ إِلَى رِضْوَانِهِ، حَمْدًا يَتَقَبَّلُهُ مِنَّا، وَ يَرْضَى بِهِ عَنَّا.

قد مرّ معنى «الحمد» _ اللغوّي و الإصطلاحيّ _ و كذا «الشكر» و الفرق بينهما في اللمعة الأولى، فليرجع إليها.

و المراد من «الحمد» هنا: هو الثناء باللسان في مقابلة الإحسان، لتعليقه _ عليه السلام: «لنكون لإحسانه من الشاكرين» _ .

و «الهداية» قد مرّ معناها أيضاً.

و الضمير في «أهله» عائداً إلى «الحمد»، أي: أهل الحمد.

حو «جعلنا من أهله» بأن علّمنا طريق حمده؛ أو رخص لنا في حمده، فأنّه لو لم يعلمنا طريق حمده لم نعرفه _ كما بينا لك في اللمعة الأولى _ . و لو لم يرخصنا فيه لكان حمدنا له _ تعالى _ من باب مدح أحقّ الحمقاء لأعظم أعاظم الملوك و السلاطين، و هو مستقبّح عقلاً و عرفاً!.

قوله _ عليه السلام _ : «و ليجزينا على ذلك» أي: على الحمد «جزاء المحسنين». الظاهر أنّه علّله للجعل، كما أنّ سابقه علّله للـ «هداية»؛ لما تقرّر من أنّ ترتّب الوصف على الحكم

ص : ١٣

١- ١. كريمه ٣ القدر.

٢- ٢. كريمه ٥٤ المائده / ٢١ الحديد / ٤ الجمعة.

مشعرٌ بالعليه. و ليس عله للأول كالأول، فإن الهدايه لا يستلزم الجزاء عليهما. و يجوز أيضاً أن يكون كلّ منهما عله لكلّ منهما _ بناءً على أنّ الهدايه هنا بمعنى الإيصال _ .

و «الجزاء»: المكافات على الشيء. و يجوز أن يراد به الجزاء الأخرى أو الدنيوى، و يكون إشارة إلى قوله _ تعالى _ : «لئن شكرتم لأزيدنكم»^(١)؛ و يجوز أن يراد به أعمّ منهما، فإنّ إطلاق الحمد على ما يعمّ الشكر شائع في إصطلاح الأخبار، كعكسه؛ و يشهد له ما هنا.

«حبانا بدينه» من الحبوه بمعنى: العطيه _ على طريق الاختصاص _ ^(٢). و فى تشبيه «جزاء الحامدين» بـ «جزاء المحسنين» من تعظيم أمر الحمد ما لا يخفى!.

و المراد بـ «الدين»: الإسلام _ لقوله تعالى: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» _ .

و قد «خصّهم» الله _ تعالى _ به، كما روى عن الصادق _ عليه السلام _ أنّه: «ما على دين إبراهيم غيرنا و^(٣) شيعتنا»^{(٤)(٥)}. و فى نسخه: «حيانا» _ بالياء المثناه التحتائيه مشددة _ ؛ و لاعبره بنسخه: «إجتبانا لدينه».

و «سبلنا» أى: سيرنا و أدخلنا.

«فى سبل إحسانه» أى: فى طرق إحسانه.

و «الإحسان» هنا بمعنى: الإنعام و الإفضال.

و «سلكت» الطريق سلوكاً _ من باب قعد _ : ذهبت فيه.

و «الباء» فى «بمنه» للاستعانه؛ أو للملابسه.

و «الرضوان»: الرضا الكثير. و لمّا كان أعظم الرضا رضا الله _ تعالى _ خصّ لفظ «الرضوان» فى القرآن بما كان من الله _ تعالى _ ، و قد تقدّم الكلام عليه.

ص : ١٤

١- ١. كريمه ٧ إبراهيم.

٢- ٢. قارن: «نور الأنوار» ص ١٨٢.

٣- ٣. مصدر الحديث: + غير.

٤- ٤. راجع: «القصص» _ للجزائرى _ ص ٩٥، و انظر: «التهذيب» ج ٤ ص ١٤٥ الحديث ٢٧، «وسائل الشيعة» ج ٩ ص ٥٤٩ الحديث ١٢٦٨٨.

٥- ٥. قارن: «نور الأنوار» ص ١٨٣.

و «حمدا» نصب إمّا على المفعوليّ لِفعلٍ محذوفٍ، أو للـ «حمد» السابق _ لقيامه مقام الفعل _ .

و «يرضى به عَنّا».

«الباء» للسببيّة. و الظرفان لغوان متعلّقان بـ «يرضا»؛ أى: و يرضا بسببه عَنّا. هذا هو الظاهر المتبادر؛ و يجوز أن تكون «الباء» زائدة _ لقولهم: رضيه و رضى به: بمعنى _ .

و «عن» بمعنى: من، مثلها فى قوله _ تعالى _ : «وَهُوَ الَّذِي يُقِيلُ التُّوبَةَ عَنْ عِبَادِهِ»^(١)، أو هى متعلّقةٌ بمحذوفٍ؛ و المعنى: و يرضاه مِنّا، أو: يرضاه صادراً عَنّا.

و الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنْ تِلْكَ السُّبُلِ شَهْرَهُ شَهْرَ رَمَضَانَ، شَهْرَ الصَّيَامِ، وَ شَهْرَ الْإِسْلَامِ، وَ شَهْرَ الطُّهُورِ، وَ شَهْرَ التَّمْحِيطِ، وَ شَهْرَ الْقِيَامِ.

أى: جعل من سبل إحسانه «شهره» أى: «شهر رمضان».

و إضافه «الشهر» إلى الضمير العائد إليه _ تعالى _ إمّا لتعظيمه _ كما ذكرناه لك فى اللمعه العرشيّه _ ؛ أو لمزيد الاختصاص المفهوم ممّا نطق به الحديث القدسى الذى رواه الخاصّه و العامّه: إِنَّ اللَّهَ _ تعالى _ يقول: «إِنَّ الصَّوْمَ لى و أنا أَجْزى عليه»^(٢).

و قد ذكر صاحب المدارك^(٣) لمعنى هذا الحديث وجوهاً كثيرةً، ثم قدحها، ثم قال: «لم لا يجوز أن يكون المجموع من حيث المجموع معنىً صحيحاً؟».

أقول: انضمام الفاسد إلى الفاسد لا يصيرُه صحيحاً، و هو بديهيٌّ لمن له أدنى قريحه! و نحن

ص : ١٥

١- ١. كريمه ٢٥ الشورى.

٢- ٢. راجع: «الكافى» ج ٤ ص ٦٣ الحديث ٦، «وسائل الشيعة» ج ١٠ ص ٣٩٧ الحديث ١٣٦٧٩، و انظر: «من لا يحضره الفقيه» ج

٢ ص ٧٥ الحديث ١٧٧٣، «التهذيب» ج ٤ ص ١٥٢ الحديث ٣، «بحار الأنوار» ج ٩٣ ص ٢٥٤.

٣- ٣. ليس هذه الأقوال قوله، بل نقلها عن «بعض المحققين»؛ راجع: «مدارك الأحكام» ج ٦ ص ١١.

لأنطوّل الكتاب بذكر الوجوه المقدوحة، من أراد الإطلاع عليها فليرجع إلى الكتاب المذكور.

و المعنى بعد العلم بالأخبار الكثيره الصحيحه الوارده عنهم _ عليهم السلام _ فى آداب الصائم _ مثل قول الصادق عليه السلام فى الصحيح: «إذا صمت فليصم سمعك و بصرك و شعرك و جلدك» (١) ... و عدّد أشياء غير هذه، و قال: «لا يكون يوم صومك كيوم فطرك» (٢)؛ و مثل قوله عليه السلام أيضاً: «إنّ الصيام ليس من الطعام و الشراب و حده!، إنّ مريم عليها السلام قالت: «إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا» (٣) أى: صمتاً، فاحفظوا ألسنتكم و غَضُّوا أَبْصَارَكُمْ و لاتحاسدوا و لاتنازعوا، فإنّ الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب» (٤) _ : إنّ كفّ النفس عمّا سوى الله _ تعالى _ هو الصوم الحقيقى، و هو مختصّ به _ سبحانه _ ؛ و لذا قال الله _ تبارك و تعالى _ : «و أنا أجزي عليه» (٥).

فافهم و اغتنم!، فإنّ هذا المعنى عزيزٌ جداً لا يوجد إلّا فى مثل هذا الكتاب؛ فإنّه المنّان الوهاب.

و «شهر الصيام» إمّا بدلٌ من «شهر رمضان»، أو عطف بيانٍ على جهه المدح _ كما قال الزمخشريّ فى قوله تعالى: «جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ» (٦): «انّ الْبَيْتَ الْحَرَامَ»

ص : ١٦

-
- ١ - ١. راجع: «الكافى» ج ٤ ص ٨٧ الحديث ١، «من لا يحضره الفقيه» ج ٢ ص ١٠٨ الحديث ١٨٥٥، «التهذيب» ج ٤ ص ١٩٤ الحديث ٢، «وسائل الشيعة» ج ١٠ ص ١٦١ الحديث ١٣١٢٠، «بحار الأنوار» ج ٩٣ ص ٢٩١.
 - ٢ - ٢. راجع: «الكافى» ج ٤ ص ٨٧ الحديث ١، «من لا يحضره الفقيه» ج ٢ ص ١٠٨ الحديث ١٨٥٥، «التهذيب» ج ٤ ص ١٩٤ الحديث ٢، «وسائل الشيعة» ج ١٠ ص ١٦١ الحديث ١٣١٢٠، «المقنعه» ص ٣١٠.
 - ٣ - ٣. كريمه ٢٦ مريم.
 - ٤ - ٤. راجع: «الكافى» ج ٤ ص ٨٩ الحديث ٩، «من لا يحضره الفقيه» ج ٢ ص ١٠٨ الحديث ١٨٥٧، «وسائل الشيعة» ج ١٠ ص ١٦٣ الحديث ١٣١٢٣، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٩٤ ص ٣٥١.
 - ٥ - ٥. مضى تخريجه آنفاً.
 - ٦ - ٦. كريمه ٩٧ المائده.

عطفٌ على جهه المدح، كما فى الصفه لا على جهه التوضيح»(١) _ .

و «جعل» هذا الشهر «من سبل» إحسانه دون غيره، لأنَّ ثواب عباده هذا الشهر مضاعفٌ و الدعاء فيه مستجابٌ، و فيه ليله القدر، و غير ذلك.

حو «شهر الإسلام» أى: الإنقياد و الطاعه الذى هو أعلى مراتب الإيمان؛ و هو المراد من قوله _ تعالى _ حكايةً عن خليله: «خَنِيفًا مُّسْلِمًا»(٢). و يجوز أن يراد به معناه العام، فإنَّ هذا الشهر من شعائر المسلمين يعرفون به و يميّزون به عن غيرهم من ذوى الملل و الأديان(٣) <.

و «شهر الطهور» لتطهير الخلّاق عن دنس المعاصى.

و «الطُّهور» _ بالفتح و الضمّ، على الروایتين(٤) _ : مصدرٌ بمعنى: الطهارة.

و «شهر التّميحى» لاختبارهم و تمحيصهم عن الذنوب. >قال الجوهرى: «التّميحى: الابتلاء و الاختبار»(٥)؛ و عليه تفسير ابن عبّاس و مجاهد و السدى لقوله _ تعالى _ : «وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا»(٦) أى: و ليبتلى الله الذين آمنوا(٧). أو: محو الذنوب و التلخيص منها، فإنَّ التّميحى: تخلص الشىء ممّا فيه عيبٌ؛ و منه قوله _ تعالى _ : «وَلِيُمَحِّصَ مَيَّا فِي قُلُوبِكُمْ»(٨)؛ قال الراغب: «التّميحى(٩) ههنا كالتركيه و التطهير و نحو ذلك من الألفاظ. و يقال فى الدعاء: أَللّهُمَّ مَحِّصْ عَنَّا ذُنُوبَنَا، أى: أزل ما علّق بنا من الذنوب»(١٠)؛ و فى الكشف:

ص : ١٧

١ - ١. قال: «عطف بيانٍ على جهه المدح لا على جهه التوضيح كما تجىء الصفه كذلك»؛ راجع: «تفسير الكشف» ج ١ ص ٦٤٦.

٢ - ٢. كريمه ٦٧ آل عمران.

٣ - ٣. قارن: «نور الأنوار» ص ١٨٣.

٤ - ٤. و لتفصيل الروایتين راجع: «شرح الصحيفه» ص ٣٧٤.

٥ - ٥. راجع: «صاح اللغه» ج ٣ ص ١٠٥٦ القائمه ٢.

٦ - ٦. كريمه ١٤١ آل عمران.

٧ - ٧. راجع: «مجمع البيان» ج ٢ ص ٤٠١.

٨ - ٨. كريمه ١٥٤ آل عمران.

٩ - ٩. المفردات: فالتّميحى.

١٠ - ١٠. راجع: «مفردات الفاظ القرآن» ص ٧٦١ القائمه ٢.

و «شهر القيام»: لأنه ينبغي أن يقوم الشخص بالليل؛ أو: القيام بالعبادة.

«الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَ الْفُرْقَانِ». فَأَيَّانَ فَضَّلْتَهُ عَلَىٰ سَائِرِ الشُّهُورِ بِمَا جَعَلَ لَهُ مِنَ الْحُرُمَاتِ الْمُؤَفُّورَةِ، وَ الْفَضَائِلِ الْمَشْهُورَةِ، فَحَرَّمَ فِيهِ مَا أَحَلَّ فِي غَيْرِهِ إِعْظَامًا، وَ حَجَرَ فِيهِ الْمَطَاعِمَ وَ الْمَشَارِبَ إِكْرَامًا، وَ جَعَلَ لَهُ وَقْتًا بَيْنًا لَا يَجِيزُ — جَلَّ وَ عَزَّ — أَنْ يُقَدَّمَ قَبْلَهُ، وَ لَا يَقْبَلَ أَنْ يُؤَخَّرَ عَنْهُ.

الموصول صفة للـ «شهر» — أى: الشهر الذى — ، أو فى محلّ الرفع على المدح أو التعظيم بتقدير مبتدئ — أى: هو «الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ»، فإنه نزل فيه جملة واحدة إلى سماء الدنيا، ثم نزل نجومًا إلى الأرض؛ و هو مروى عن الصادق (٣) — عليه السلام — .

وقيل: «إِنَّ اللَّهَ — تعالى — أنزل جميع القرآن فى ليلة القدر إلى السماء الدنيا، ثم أنزل على النبى — صلى الله عليه وآله وسلم — نجومًا فى طول عشرين سنة» (٤). و المعنى — على ما ذكرناه لك فى اللمعة العرشية السابقة — : إنَّ القرآن — بالمعنى الذى عرفت — نزل بمرتين — هما: مرتبة الصادر الأول، و: مرتبة العقل — إلى السماء الدنيا الذى هو عبارة عن النفس — التى هى بمنزلة العشرات، كما عرفت — ؛ و الإثنين إذا وقع فى مرتبة العشرات بلغ عشرين؛ فتدبر! و قد مرّ الكلام فيه مفصلاً فى أول الكتاب.

ص : ١٨

-
- ١- ١. راجع: «تفسير الكشاف» ج ١ ص ٤٦٦.
 - ٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٢، مع تقديم و تأخير.
 - ٣- ٣. راجع: «الكافي» ج ٢ ص ٦٢٨ الحديث ٦، «بحار الأنوار» ج ٩٤ ص ١١، «الأمالى» — للصدوق — ص ٦٢ الحديث ٥، «تفسير العياشى» ج ١ ص ٨٠، و انظر: «بحار الأنوار» ج ١٨ ص ٢٥٠، «تصحيح الاعتقاد» ص ١٢٣، «متشابه القرآن» ج ١ ص ٦٢.
 - ٤- ٤. هذا قول ابن عباس و سعيد بن جبیر و الحسن و قتاده، راجع: «مجمع البيان» ج ٢ ص ١٤.

«هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ» (١) حالان من «القرآن»، أى: حالكونه هادياً لهم _ من باب زيدٌ عدلٌ _ و مشتملاً على علاماتٍ ظاهره و آياتٍ باهره من «الهداية» و «ما يفرّق به بين الحقّ و الباطل». و قد مرّ وجه جميعها؛ فتذكّر!

«فأبان» أى: أوضح؛

«فضيلته» بما جعل له، أى: لهذا الشهر.

و «الحرّمات»: جمع الحرمة، و هى: ما لا يحلّ انتهاكه.

حو «الموفور»: اسم مفعولٍ من: وفرت الشيء وفراً _ من باب وعد _ ، أى: أتممته و أكملته. و فى نسخه: «المحرّمات» بدل «الحرّمات» (٢).

و «الفاء» من قوله: «فحرّم» للعطف الذكريّ _ و هو عطف المفصل على المجرى، نحو: توضّأ فغسل وجهه و يديه و مسح رأسه و رجليه _ (٣).

و «ما أحلّ فى غيره» أى: من الأكل و الشرب و المواقع مع النساء، ... و غير ذلك.

«إعظاماً» أى: تحریم ما فيه لأجل تعظيمه، فهو منصوبٌ على المفعول لأجله؛ و مثله «إكراماً» فى الفقرة التالية.

و «الحجر»: المنع، أى: منع ذلك لإكرام شهر رمضان.

قوله _ عليه السلام _ : «أنّ يقدّم قبله» أى: الشهر قبل هذا الوقت، مثل أن يصام شعبان. و فى نسخه: «يتقدّم».

و «لا يقبل أن يؤخّر عنه» مثل أن يصام شوال. قال بعض العلماء: «السبب فى تعيين بعض الأوقات لعباده مخصوصه _ كشهـ ر رمضان للصوم، و أشهر الحجّ للحجّ _ : أنّ لبعض الأوقات أثراً فى زياده الثواب أو العقاب _ كالأمكنه _ ؛ و كان الحكماء يختارون لإجابه الدعاء أوقاتاً مخصوصه.

ص : ١٩

١- ١. كريمه ١٨٥ البقره.

٢- ٢. المصدر: _ و فى ... الحرّمات.

٣- ٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٦.

و فيه فائدة أخرى، و هي: إنّ الإنسان جيّل على اتّباع الشهوة و الهوى، و منعه من ذلك على الإطلاق شاقّ عليه؛ فخصّ بعض الأزمنة و الأمكنه بالطاعة ليسهل عليه الإتيان بها فيهما و لا يمتنع عن ذلك. ثمّ لو اقتصر على ذلك فهو أمرٌ مطلوبٌ في نفسه، و إن جرّ ذلك إلى الإستدامه و الإستقامه بحسب الألفه و الإعتياد أو لإعتقاده أنّ الإقدام على ضدّ ذلك يبطل مساعيه السالفه، فذلك هو المطلوب الكلّي.

و لاريب أنّ تخصيص ذلك من الشارع أقرب إلى اتّحاد الآراء و إتّفاق الكمله^(١)؛ هكذا ذكره الفاضل الشارح.

أقول: فيه ما لا يخفى!. و التحقيق _ كما مرّ _ : أنّ للوقت نحو وجودٍ _ و إن كان غير قارّ _ ، فله خصوصيّة و أثر _ كما مرّ _ . فلعلّ خصوصيّة تصير سبباً لاختصاصه، كسائر الموجودات؛ فتدبرّ!.

ثمّ فَضِّلَ لَيْلَهُ وَاحِدَةً مِنْ لَيَالِيهِ عَلَى لَيَالِي أَلْفِ شَهْرٍ، وَ سَيَمَّاها لَيْلَةَ الْقَدْرِ، «تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ» دَائِمُ الْبَرَكَةِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بِمَا أَحْكَمَ مِنْ قَضَائِهِ.

«ثمّ» للتراخي حو الدلالة على مباينه معطوفها للمعطوف عليه؛ و تراخيه عنه في زياده إبانته الفضيله، إذ كان تفضيل ليله واحده من ليايله على لياالي ألف شهرٍ أدخل في إبانته _ تعالى _ لفضيلته و أجلب للتعجب من السامع^(٢).

و «سمّاها» أى: تلك الليلة الواحده؛

«ليه القدر»، بالوجه التي ذكرناها في أوّل الكتاب.

«تَنْزَلُ» أصله: تنزّل، فحذفت إحدى التائين تخفيفاً _ على حدّ قوله تعالى: «نَارًا

ص : ٢٠

١- ١. راجع: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٧.

٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٨.

تَلْظَى» (١) _ . و الجملة إستينافيه مبيّنه لمناط فضلها على تلك المتطاوله.

و «الروح»: هو ملكٌ أعظم من جبرئيل؛ و قد تقدّم الكلام عليه.

« مِنْ كُلِّ أَمْرٍ » (٢) أى: من جهة الإخبار عن كلّ أمرٍ من الآجال و الأرزاق و نحو ذلك ممّا قضاه الله _ تعالى _ لتلك السنه إلى مثلها من العام القابل.

قوله: « «سَلَامٌ» » خبر مبتدئ محذوف، أى: هى سَلَامٌ.

و قوله: «دائم البركه» خبرٌ بعد خبرٍ.

و قوله: «إلى طلوع الفجر» متعلّق بـ «سَلَامٌ»، و كذا قوله: «على من يشاء» (٣)؛ و المعنى: يسلمون سلاماً على من يشاء من عباده من أوّل ما يهبطون إلى طلوع الفجر، و يديمون البركه و كثره الخير عليه من أوّله إلى مطلعته. و إنّما عدل إلى الجملة الإسميه لإيراده الثبوت و الإستمرار، و التنبيه على كثره «السَلَام» فيها حتّى كأنّها صارت نفس السَلَام. و نقل أبو عبد الله جعفر بن محمّد الصادق _ عليه السَلَام _ عن عليّ بن الحسين _ عليه السَلَام _ أنّه كان يقول فى تفسير سورة القدر فى قوله _ تعالى _ : «سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ» (٤): «يسلم عليك _ يا محمّد! _ ملائكتى و روحى بسلامى من أوّل ما يهبطون إلى مطلع الفجر» (٥).

و المراد من «من يشاء من عباده»: هو رسول الله _ صلى الله عليه و آله و سلم _ و الأئمّه من بعده. روى أبو عبد الله عن أبيه عن عليّ _ عليهم السَلَام _ أنّه قال لابن عباس: «إنّ ليله القدر فى كلّ سنه، و أنّه ينزل فى تلك الليله أمر السنه، و أنّ لذلك الأمر ولاة بعد رسول الله _ صلى الله عليه و آله و سلم _ ،

ص : ٢١

١- ١. كريمه ١٤ الليل.

٢- ٢. كريمه ٤ القدر.

٣- ٣. لنقد هذا القول راجع: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٣٣.

٤- ٤. كريمه ٥ القدر.

٥- ٥. راجع: «بحار الأنوار» ج ٢٥ ص ٨٠، و انظر: «الكافي» ج ١ ص ٢٤٨ الحديث ٤، «تأويل الآيات» ص ٧٩٤.

فقال ابن عباس: من هم؟

فقال: أنا و أحد عشر من صلبى، أنتم محدثون»(١).

و إذا كان المراد رسول الله و الأئمة من بعده >فالتعبير عنهم بـ «على من يشاء من عباده» إما للتقية، أو للتعظيم.

و الظرف إما متعلق بـ «السلام»، و إما متعلق بـ «التنزل».

«بما أحكم من قضائه» أى: بقضائه المحكم المبرم الذى لا يتطرق إليه محو و لا إثبات(٢) < و لا تغيير و لا تبديل. فى الكافى(٣) بسنده عن زراره قال: قال أبو عبد الله _ عليه السلام _ : «التقدير فى ليلة تسع عشرة، و الإبرام فى ليلة إحدى و عشرين، و الإمضاء فى ليلة ثلاث و عشرين»؛

و فى حديث عنه _ عليه السلام _ : «إن ما أمضاه _ تعالى _ يكون من المحتوم الذى لا يبدو له فيه _ تبارك و تعالى _»(٤). و الأخبار فى هذا المعنى كثيرة؛ و الله أعلم!

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ أَلْهِمْنَا مَعْرِفَةَ فَضْلِهِ وَ إِجْلَالَ حُرْمَتِهِ، وَ التَّحَفُّظَ مِمَّا حَظَرْتَ فِيهِ، وَ أَعِنَّا عَلَى صِيَامِهِ بِكَفِّ الْجَوَارِحِ عَنْ مَعَاصِيكَ، وَ اسْتِعْمَالِهَا فِيهِ بِمَا يُرْضِيكَ حَتَّى لَا نُضْغِيَ بِأَسْمَاعِنَا إِلَى لَغْوٍ،

ص : ٢٢

١- ١. راجع: «الكافى» ج ١ ص ٢٤٢ الحديث ٢، «بحار الأنوار» ج ٢٥ ص ٧٨، «الإرشاد» ج ٢ ص ٣٤٦، «اعلام الدين» ص ٣٩٠، «تقريب المعارف» ص ١٨٢، «الخصال» ج ٢ ص ٤٧٩ الحديث ٤٧.

٢- ٢. قارن: «نور الأنوار» ص ١٨٣.

٣- ٣. راجع: «الكافى» ج ٤ ص ١٥٩ الحديث ٩، و انظر: «وسائل الشيعة» ج ١٠ ص ٣٥٤ الحديث ١٣٥٩١.

٤- ٤. راجع _ مع تغيير يسير _ : «الكافى» ج ٤ ص ١٥٨ الحديث ٨، «وسائل الشيعة» ج ١٠ ص ٣٥٧ الحديث ١٣٥٩٥، «مستدرک الوسائل» ج ٧ ص ٤٧١ الحديث ٨٦٨٤، «بحار الأنوار» ج ٩٥ ص ١٤٤.

وَلَا نُسْرِعْ بِأَبْصَارِنَا إِلَى لَهْوٍ. وَحَيْثَى لَا نَبْسِطُ أَيْدِينَا إِلَى مَحْظُورٍ، وَلَا نَخْطُو بِأَقْدَامِنَا إِلَى مَحْجُورٍ، وَحَيْثَى لَا تَعَى بُطُونُنَا إِلَّا مَا أَحَلَّتْ، وَلَا تَنْطِقَ أَلْسِنَتُنَا إِلَّا بِمَا مَثَلَتْ، وَلَا تَتَكَلَّفَ إِلَّا مَا يُدْنِي مِنْ ثَوَابِكَ، وَلَا تَتَعَاطَى إِلَّا الَّذِي يَقْبَلُ مِنْ عِقَابِكَ، ثُمَّ خَلَصْ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ رِثَاءِ الْمُرَائِينَ، وَسَمْعِهِ الْمُسْمِعِينَ، لَا نَشْرَكَ فِيهِ أَحَدًا دُونَكَ، وَلَا نَبْتَغِي فِيهِ مُرَادًا سِوَاكَ.

«الإلهام» قد مرَّ معناه لغَةً وِإِصْطِلَاحًا، أَى: أَلْقَ فِي رُوعِنَا «مَعْرِفَهُ» فَضْلَ هَذَا الشَّهْرِ وَحِفْظَ مَا عَظَّمْتَ فِيهِ _ أَى: طَرِيقًا نَعْلَمُ بِهِ قَدْرَ ذَلِكَ الشَّهْرِ _ حَتَّى لَا يَصْدُرَ مِنَّا سُوءُ حَرَمَتِهِ.

و «الباء» مِنْ قَوْلِهِ: «بَكْفِ الْجَوَارِحِ» لِلْمَلَابِسَةِ، أَى: أَعْنَى عَلَيْهِ مُتَلَبِّسِينَ بِمَنْعِ الْجَوَارِحِ «عَنْ مَعَاصِيكَ»، وَهُوَ صَوْمُ هَذَا الْعَضْوِ وَالجَّارِحَةِ؛ مِثْلًا صَوْمُ اللِّسَانِ كَفَّهُ عَنِ الْكَذْبِ وَالفَحْشِ وَالْغِيْبَةِ، وَصَوْمُ الْعَيْنِ عَنِ النَّظَرِ بَغَيْرِ الْمَحَارِمِ وَالْغَفْلَةِ، وَصَوْمُ السَّمْعِ عَنِ سَمَاعِ الْمَنَاهِي وَالمَلَاهِي _ ... وَ عَلَى هَذَا فَقَسِ الْبَاقِي _ . وَ فِي نَسْخِهِ: «مَعْصِيَتِكَ» بِدَلِ «مَعَاصِيكَ».

و «استعمالها» أَى: الْجَوَارِحِ «فِيهِ»، أَى: فِي هَذَا الشَّهْرِ. وَ «استعمالها»: الْعَمَلُ بِهَا.

و «حَتَّى» تَعْلِيلِيَّةٌ بِمَعْنَى: كَى.

و «لَا نَصْغِي» أَى: لَا نَمِيلُ، يُقَالُ: أَصْغَيْتَ إِلَى حَدِيثِهِ أَى: مَلْتَ بِسَمْعِي إِلَيْهِ.

و «اللغو» مِنَ الْكَلَامِ: مَا لَا يُعْتَدُّ بِهِ؛ وَهُوَ الَّذِي لَا عَنْ رُؤْيِهِ وَفِكْرِهِ.

و «أَسْرَعُ» إِلَيْهِ: عَجَلُ.

و «الباء» مِنْ قَوْلِهِ: «بِأَبْصَارِنَا» لِلْأَلَةِ.

حَو «اللَّهُو»: مَا يَشْتَغِلُ الْإِنْسَانَ عَمَّا يَعْنِيهِ وَ يَهْمُهُ. وَ تَقْيِيدُ «الْإِسْرَاعِ» إِلَيْهِ ب _ «الْأَبْصَارِ» لِلْمَبَالِغَةِ فِي إِجْتِنَابِهِ _ إِذْ كَانَ النَّظَرُ رَائِدَ الْفَجْرِ! _ . وَ فِي نَسْخِهِ ابْنُ إِدْرِيسَ: «وَلَا نُسْرِحُ بِأَبْصَارِنَا فِي لَهْوٍ»، أَى: لَا نُرْسِلُ وَ لَا نُرْعَى أَبْصَارِنَا كَرَعَى الْإِبِلِ فِي مَرْعَاهِ، مِنْ: سَرَحَتِ الْإِبِلُ سَرْحًا _ مِنْ بَابِ نَفَعٍ _ : رَعَتْ بِنَفْسِهَا.

و «بسط يده إلى» الشيء: مَدَّها نحوه، أي (١): لا تناول أيدينا جرماً.

و «لأنخطو»: من الخطوه إلى محجورٍ _ أي: ممنوع _ .

و «لاتعى بطوننا» أي: لاتصير بطوننا وعاءً، أو: لا يحفظ بطوننا شيئاً؛ من: وعيت الشيء وعياً _ من باب وعد _ : حفظته وجمعته.

«إلا ما أحللت» أي: جعلته حلالاً لنا، من: أحلَّ الله الشيء: جعله حلالاً.

و «إلا بما مثلت» أي: و إلا بما حدّثت، من المَثَل _ بالتحريك _ بمعنى: الحديث؛ قال في القاموس: «و المَثَل _ محرّكة _ : الحُجَّة، و الحديث» (٢). و لاداعى إلى جعله بمعنى: صوّرت _ كما قيل _ (٣).

و «لاتتكلف» أي: لانتربك كلفته، من الكُلف _ بالضم _ بمعنى: المشقّة.

«إلا ما يدنى» أي: يقرب.

«من ثوابك» أي: ممّا يوجب ثوابك؛ يعني: الثواب الذي أعطيته جزاء العمل.

و «لاتعاطى» أي: لانتناول و لانفعل «إلا الذي» يحفظ «من» عذابك، يعني: الأعمال الصالحة و الاجتناب عن السيئه؛ من: تعاطيت كذا أي: أقدمت عليه و فعلته؛ و: فلانٌ يتعاطى ما لا ينبغي له، و منه: «فَتَعَاطَى فَعَقَرَ» (٤).

«ثم خلّص»: أمرٌ من خلّص الماء من الكدر أي: اجعله خالصاً ذلك المذكور من الأعمال و التروك كلّها.

«من رياء المرائين». و «الرياء»: ما يفعل ليرييه الناس _ من الرؤيه _ > كأنّه لا يعمل إلا إذا رأى الناس و رأوه؛ و قد تقدّم الكلام عليه.

ص : ٢٤

١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٤٠، مع زياده.

٢- ٢. راجع: «القاموس المحيط» ص ٩٧٤ القائمة ٢.

٣- ٣. الظاهر أنّه إشارةٌ إلى قول محدّث الجزائرِي حيث قال: «المَثَل محرّكة: الحُجَّة و الحديث، و قد مثّل به تمثيلاً: إذا صوّره»؛ راجع: «نور الأنوار» ص ١٨٤.

٤- ٤. كريمه ٢٩ القمر.

و «السَّامِعَة» _ بالضم: ما يفعل لسمع الناس؛ قال الفارابي في ديوان الأدب: «يقال: فعل ذلك رياءً و سمعه: إذا فعل ذلك (١) ليراه الناس و يسمعوا به» (٢). و الفرق بين الرياء و السمع: أنَّ الرياء يكون مقارناً للعمل، و السمع يكون بعده.

و «المسمعين»: جمع مسمع، اسم فاعلٍ من: أسمع فسمع. و المراد به هنا الفاعل للسمع كأنه يسمع الناس ما يعمل. و عبارته الدعاء على حذف مضاف، و التقدير: من مثل رياء المرائين و مثل سمعه المسمعين (٣). <

«لأنشرك فيه» بيانٌ للتخليص عن الرياء و السمع، فإن فعل العبادة ليربها الناس أو يسمعها إياهم فقد أشرك بعباده ربّه؛ و لهذا ورد: «إنَّ الرياء شركٌ خفيٌّ» (٤). بل لو فعل العبادة ليربها سواه _ تعالى _ حتّى نفسه فى مقام التخليه فقد أشرك بعباده ربّه! و ماورد من: «أنَّ من عمل بلا رياءٍ فقد بقى بلا عملٍ!» (٥) اشارةً إلى ذلك، لأنّه لا يرى نفسه حينئذٍ فلا يضيف العمل إلى نفسه، بل إلى الله _ تعالى _ فبقى بلا عملٍ!؛ و قوله _ تعالى _ : «فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَ لَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» (٦) يدلّ عليه.

و قيل: «قوله: «لأنشرك فيه» جملة مؤكدة لما قبلها؛ أو مستأنفة مؤكدة له _ نحو: «إنَّ النَّفْسَ لَاءَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ» (٧) _».

و «دونك» أى: غيرك.

و «لانبغى فيه مراداً سواك» أى: و لانطب به مراداً غيرك، من: بغى الشئ و ابتغاه:

ص : ٢٥

-
- ١- ١. ديوان الأدب: فعله.
 - ٢- ٢. راجع: «ديوان الأدب» ج ١ ص ١٧٠ القائمه ١.
 - ٣- ٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٤١، مع زياده.
 - ٤- ٤. راجع: «عدّه الداعى» ص ٢١٨، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٧٤ ص ٣٩١، «تحف العقول» ص ١٤٩، «غرر الحكم» الحكمه ٧١٩٠ ص ٣١١.
 - ٥- ٥. لم أعثر عليه فى مصادر الحديث بعد الفحص البالغ.
 - ٦- ٦. كريمه ١١٠ الكهف.
 - ٧- ٧. كريمه ٥٣ يوسف.

طلبه. و هي درجته رفيعة عزيزه المنال، مطابقه لما قال جده أمير المؤمنين _ عليه السلام _ : «ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك! ولكن وجدتك أهلاً للعباده فعبدتك» (١)؛ ولذا قيل: «الإخلاص أن لا يريد عامله عليه عوضاً في الدارين!» (٢).

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَقِفْنَا فِيهِ عَلَى مَوَاقِيتِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ بِحُدُودِهَا الَّتِي حَدَّدْتَ، وَفُرُوضِهَا الَّتِي فَرَضْتَ، وَوُضَائِفِهَا الَّتِي وَظَّفْتَ، وَأَوْقَاتِهَا الَّتِي وَقَّتَ. وَ أَنْزَلْنَا فِيهَا مَنْزِلَهُ الْمُصَيَّبِينَ لِمَنَازِلِهَا، الْحَافِظِينَ لِأَرْكَانِهَا، الْمُؤَدِّينَ لَهَا فِي أَوْقَاتِهَا عَلَى مَا سَنَّهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ _ صِلَواتِكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ _ فِي رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَجَمِيعِ فَوَاضِلِهَا عَلَى أَتَمِّ الطُّهُورِ وَاسْبِغِهِ، وَابْنِ الْخُشُوعِ وَابْلَغِهِ.

«قفنا»: أمرٌ من: وقفت فلاناً على الأمر: اطلعته عليه. >و في نسخه بالواوين و التشديد من التوقف، أي: اجعلنا ذوى وقوفٍ عليها لانتجاوزها (٣)<.

>و «المواقيت»: جمع الميقات بمعنى: الوقت _ أي: أوقات الصلاة _ ، و يستعار للمكان، و منه «مواقيت الحج» لمواضع الإحرام. و «الباء» من قوله: «بحدودها» للمصاحبه _ أي: مع حدودها _ ، أي: أحكامها (٤)< أو حدودها بأن لا تزيد على الأربع في الظهر مثلاً و لا تنقص عنها؛ قال الصادق _ عليه السلام _ : «الصلاه لها أربعة آلاف حد» (٥).

ص : ٢٦

١ - ١. راجع: «بحار الأنوار» ج ٤١ ص ١٤، «عوالي اللئالي» ج ٢ ص ١١ الحديث ١٨، «القصص» _ للجزائري _ ص ٢١١، «نهج الحق» ص ٢٤٨.

٢ - ٢. انظر: «بحار الأنوار» ج ٦٧ ص ٢٣٣.

٣ - ٣. قارن: «نور الأنوار» ص ١٨٤.

٤ - ٤. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٤٨.

٥ - ٥. راجع: «من لا يحضره الفقيه» ج ١ ص ١٩٥ الحديث ٥٩٩، و انظر: نفس المصدر الحديث ٥٩٨، «الخصال» ج ٢ ص ٦٣٨ الحديث ١٢، «عيون أخبار الرضا» ج ١ ص ٢٥٥ الحديث ٧.

و «الفروض»: جمع الفرض بمعنى: المفروض، من: فرض الله الأحكام فرضاً: أوجبها. و «فروضها» مع ما بعدها من عطف الخاص على العام.

و «الوظائف»: جمع الوظيفة، و هي: ما يقدر من عمل و رزق و نحو ذلك؛ و المراد بها هنا: آدابها.

«الحافظين لأركانها». الظاهر أنّ المراد بـ «الأركان» هنا: واجباتها المبحوث عنها شرعاً، و يجوز إرادته المعنى المصطلح منها _ و هو: ما تبطل الصلاة بزيادته و نقصه عمداً و سهواً؛ كما هو مقرر في محله _ .

<و «أدى» الصلاة: فعلها، و أصله من: أداء الأمانة _ و هو: إيصالها إلى أهلها _ (١)>.

«المؤدين لها» أى: للصلوات «فى أوقاتها». و وجه تكرّر ذكر «الأوقات» الإهتمام بشأنها؛ فعن الصادق _ عليه السلام _ : «هذه الصلوات الخمس المفروضات من أقام حدودهنّ و حافظ على مواقيتهنّ أتى (٢) الله يوم القيامة و له عنده عهدٌ يدخله به الجنّة؛ و من لم يقيم حدودهنّ و لم يحافظ على مواقيتهنّ لقي الله و لا عهد له، إن شاء عذّبه و إن شاء غفر له» (٣)؛

و عن أبيجعفر _ عليه السلام _ : «أَيُّما مؤمِّنٍ حافظ على الصلوات المفروضة فصلّاها لوقتها فليس هذا من الغافلين» (٤). و الظاهر أنّ المراد بـ «المحافظة على المواقيت»: المحافظة على أوّل الوقت و ما قرب منه، لقول أبى عبد الله _ عليه السلام _ : «لكلّ صلاةٍ وقتان و أوّل الوقت أفضله، و ليس لأحدٍ أن يجعل آخر الوقتين وقتاً إلّا فى عذرٍ من غير علّة» (٥)؛

ص : ٢٧

١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٥٠.

٢- ٢. المصدر: لقي.

٣- ٣. راجع: «الكافي» ج ٣ ص ٢٦٧ الحديث ١، «التهذيب» ج ٢ ص ٢٣٩ الحديث ١٤، «وسائل الشيعة» ج ٤ ص ١٠٧ الحديث ٤٦٣٥.

٤- ٤. راجع: «الكافي» ج ٣ ص ٢٧٠ الحديث ١٤، «وسائل الشيعة» ج ٤ ص ١٠٨ الحديث ٤٦٣٧، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٨٢ ص ٤١، «المحاسن» ج ١ ص ٥١ الحديث ٧٤.

٥- ٥. راجع: «الكافي» ج ٣ ص ٢٧٤ الحديث ٣، «التهذيب» ج ٢ ص ٣٩ الحديث ٧٥، «الإستبصار» ج ١ ص ٢٤٤ الحديث ١، «وسائل الشيعة» ج ٥ ص ١٢٢ الحديث ٤٦٨٤.

و قول عليّ بن الحسين _ عليهما السلام _ : «من اهتم بمواقيت الصلاه لا يستكمل (١) لذّه الدنيا!» (٢)؛ بل قيل: «من لم يحافظ أوّل الوقت بلا عذرٍ و صار ذلك عادّه له لم يكن عادلاً». و قد مرّ تحقيق الصلاه الحقيقيّه و مواقيتها و أحكامها، و لانعيدها خوفاً للإطاله؛ فتذكر!

و قال ابن عطاء في قوله _ تعالى _ : «وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ» (٣): «المحافظه عليها هو حفظ السرّ فيها مع الله _ عزّ و جلّ _ ، و هو أن لا يحتاج لها إلى شيءٍ سواه، فلا يختلج تغلبه غيره»؛

و قال بعضهم: «المحافظه على الصلاه: حفظ أوقاتها و الدخول فيها بشرط الخدمه، و المقام عليها على حدّ المشاهده، و الخروج منها على رؤيه التقصير».

و اعلم! أنّ الله _ تعالى _ أوجب الصلاه الخمس، و قد قال _ صلى الله عليه و آله و سلّم _ : «الصلاه عمود الدين» (٤)، فإذا قبلت قبل ماسواها و إذا ردّت ردّ ماسواها» (٥)؛

و عنه _ صلى الله عليه و آله و سلّم _ في طريق أهل البيت _ عليهم السلام _ : «ما تقرب العبد إلى الله _ تعالى _ بشيءٍ بعد المعرفة أفضل من الصلاه» (٦). فبالصلاه تحقيق العبوديّة و أداء حقّ الربوبيّه، و سائر العبادات و سائل إلى تحقيق سرّ الصلاه.

قال سهل بن عبد الله التستري: «يحتاج العبد إلى السنن لتكميل الفرائض، و يحتاج إلى النوافل لتكميل السنن، و يحتاج إلى الآداب لتكميل النوافل، و من الأدب ترك الدنيا!». قال

ص : ٢٨

-
- ١- ١. المصدر: لم يستكمل.
 - ٢- ٢. راجع: «الكافي» ج ٣ ص ٢٧٥ الحديث ٩، «وسائل الشيعة» ج ٤ ص ١١٨ الحديث ٤٦٧٠.
 - ٣- ٣. كريمه ٩ المؤمنون / ٣٤ المعارج.
 - ٤- ٤. راجع: «وسائل الشيعة» ج ٤ ص ٢٧ الحديث ٤٢٢٤، «مستدرک الوسائل» ج ٦ ص ١٦٢ الحديث ٧٩٢٧، «الأمالی» _ للطوسي _ ص ٥٢٩ الحديث ١١٦٢.
 - ٥- ٥. راجع: «الكافي» ج ٣ ص ٢٦٨ الحديث ٤، «التهذيب» ج ٢ ص ٢٣٩ الحديث ١٥، «وسائل الشيعة» ج ٤ ص ١٠٨ الحديث ٤٦٣٦، «فلاح السائل» ص ١٢٧.
 - ٦- ٦. لم أعثر عليه، و انظر: «التهذيب» ج ٢ ص ٢٣٦ الحديث ١، «مجموعه ورام» ج ٢ ص ٨٦.

بعضهم بالفارسیّه:

نماز عاشقان باشد همه مستی و بیهوشی حضورش غیبت خود ذکر از عالم فراموشی

قیام استادگی از جان قعود افتادگی از پا اذان فریاد از دست خود و تعقیب خاموشی

مکانش اینکه گنجایش در آن نبود غرضها را لباسش اینکه طاعت را فزون از عیب خود پوشی

میان واکردنش باشد به امر حق کمر بستن رداء او بود در راه جانان خانه بردوشی

طریق بندگی زان صعب تر باشد که پنداری نه این کارتن تنهاست می باید بجان کوشی!

ز پشت و روی هر آئینه ام روشن شد این معنی که نگشائی بدین سو دیده تا زان سو نمی پوشی

«علی ما سنّه» ای: جعله سنّه، حال من الضمیر فی «لها».

و «الفواضل»: جمع فاضله، و هی اسم من الفضيله: الدرجه الرفیعه فی الفضل؛ و الاسم: الفاضله.

و «أسبغه»: من الأسباغ بمعنی: إكمال الطهاره و الإتيان بآدابها؛ أو المراد بـ «أتمّيته»: الإتيان به علی الوجه المفروض مع کمال الإحتیاط، و بـ «أسبغّيته»: الإتيان به علی الوجه المسنون بتمامه.

و «الطهور» هنا یعمّ الغسل و الوضوء و إزاله النجاسه الظاهریّه و الباطنیّه.

و «أبین الخشوع» من: البون بمعنی: الفضل و المزیّه، ای: أفضله؛ أو من: بان الشیء: إذا انكشف و اتّضح، ای: أوضحه.

و «الخشوع»: الخضوع و التذلل؛ و قد تقدّم الكلام علیه. و قد ورد: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا تَجَلَّى

لشيء خضع له، و إذا خضع تلمع له طوالع التجلى فيخشع. و الفلاح للذين «هُم فِي صَيِّلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ»^(١)، و بانتفاء الخشوع ينتفى الفلاح^(٢). و شهد القرآن المجيد بالفلاح للمصلين، و عن رسول الله _ صَلَّى الله عليه و آله و سلم _ : «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ، فَاذَا التَفَتَ قَالَ لَهُ الرَّبُّ: إِلَى مَنْ يَلْتَفِتُ، إِلَى مَنْ هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنِّي؟!، ابْنِ آدَمَ! أَقْبِلْ إِلَيَّ فَأَنَا خَيْرٌ لَكَ مِمَّنْ تَلْتَفِتُ إِلَيْهِ»^(٣)؛

و عنه _ صَلَّى الله عليه و آله و سلم _ أنه قال: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَلْيَسْكُنْ أَطْرَافَهُ وَ لَا يَتَمَيَّلْ تَمَيَّلَ الْيَهُودِ، فَإِنَّ سَكُونَ الْأَطْرَافِ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ»^(٤)؛

و عنه _ صَلَّى الله عليه و آله و سلم _ : «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ خَشْوَعِ النِّفَاقِ!»،

قيل: و ما خشوع النفاق؟

قال: خشوع البدن و نفاق القلب!، و اليهود يتميلون في الصلاة^(٥).

قال بعض الصوفية: «سببه أنه كان موسى _ عليه السلام _ يعامل بني إسرائيل على ظاهر الأمور لقله ما في باطنهم من نور المعرفة، و كان يهيب الأمور في أعينهم و يعظمها. و لهذا المعنى أوحى الله _ تعالى _ التوراه بالذهب».

و ورد لى _ و الله أعلم! _ : أن موسى _ عليه السلام _ كان يرد عليه الوارد في صلاته و محال مناجاته، فيتموج به باطنه كبحر ساكن يهب عليه فيتلاطم الأمواج، فكان تمايل موسى _ عليه السلام _ لتلاطم أمواج بحر القلب إذا هبت عليه نسيمات الفضل. و ربما كانت الروح تطلع إلى الحضرة الإلهية فيهم بالاستعلاء للقلب، فيضطرب القلب و يتمايل، فيرى

ص : ٣٠

١- ١. كريمه ٢ المؤمنون.

٢- ٢. لم أعثر عليه.

٣- ٣. لم أعثر عليه، و انظر: «من لا يحضره الفقيه» ج ١ ص ٣٠٣ ذيل الحديث ٩١٦.

٤- ٤. لم أعثر عليه في مصادرنا، و راجع: «نوادير الأصول» ج ٢ ص ١٧١، «البيان و التعريف» ج ١ ص ٧٤، «فيض القدير» ج ١ ص ٤١٣.

٥- ٥. لم أعثر عليه، و انظر: «المصنّف» _ لابن أبيشيبه _ ج ٧ ص ٢٤٣ الحديث ٣٥٧١١، «جامع العلوم و الحكم» ج ١ ص ٤٣٣، «شعب الإيمان» ج ٥ ص ٣٦٤ الحديث ٦٩٦٦.

ظاهرة؛ فتمايلوا من غير حظ لبواطنهم من ذلك؛ ولهذا المعنى قال رسول الله _ صَلَّى الله عليه وآله وسلم _ انكاراً على أهل الوسوسة: «هكذا خرجت عظمته من قلوب بني إسرائيل حتى شهدت أبدانهم وغابت قلوبهم، لا يقبل الله صلاه امرء لا يشهد فيها قلبه كما يشهد به بدنه. وإن الرجل على صلاته دائماً ولا يكتب له عشرها إذا كان قلبه ساهياً لاهياً» (١)؛

و روى أن النبي _ صَلَّى الله عليه وآله وسلم _ رأى رجلاً يعث بلحيته في صلاته، فقال: «لو خشع قلبه لخشعت جوارحه» (٢).

قال بعضهم: «في هذا دلالة على أن الخشوع في الصلاة يكون في القلب والجوارح، فأما في القلب فهو أن يفرغ قلبه بجميع الهمة لها والإعراض عما سواها، فلا يكون فيه غير العبادة والمعبود؛ وأما في الجوارح فهو غص البصر وترك الالتفات والعبث». و قد مرت الوجوه الأخر في ذلك؛ فتذكر!

وقيل: «في الصلاة أربع هيئات وسته أذكار، فالهيئات: القيام، والقعود، والركوع، والسجود؛ والأذكار هي: التلاوة، والتسبيح، والحمد، والإستغفار، والدعاء، والصلاة على النبي _ صَلَّى الله عليه وآله وسلم _ . فصارت عشرة كاملة يتفرق هذه العشرة على عشرة صنوف من الملائكة كل صف عشرة آلاف، فيجتمع له في الركعتين ما يتفرق على مائة ألف من الملائكة». وبالجملة في طريق أصحابنا الإمامية _ رضوان الله عليهم _ أحاديث كثيرة في فضل الصلاة وأسرارها نقلها جميعاً يودى إلى التطويل.

قال الصادق _ عليه السلام _ : «من قبل الله منه صلاة واحدة لم يعذبه» (٣)؛ أقول: وذلك

ص : ٣١

١- ١. لم أعثر عليه، وانظر: «مستدرك الوسائل» ج ٤ ص ١١١ الحديث ٤٢٦١، «بحار الأنوار» ج ١٧ ص ١٠٥، «المحاسن» ج ١ ص ٢٦٠ الحديث ٣١٧.

٢- ٢. راجع: «مستدرك الوسائل» ج ٥ ص ٤١٧ الحديث ٦٢٣٣، «بحار الأنوار» ج ٨١ ص ٢٢٨، «إرشاد القلوب» ج ١ ص ١١٥، «الجعفریات» ص ٣٦، «دعائم الإسلام» ج ١ ص ١٧٤.

٣- ٣. راجع: «الكافي» ج ٣ ص ٢٦٦ الحديث ١١، «من لا يحضره الفقيه» ج ١ ص ٢١١ الحديث ١١، «التهذيب» ج ٢ ص ٢٣٨ الحديث ١٢، «وسائل الشيعة» ج ٤ ص ٣٣ الحديث ٤٤٣٩، «مجموعه ورام» ج ٢ ص ٨٦.

لأنَّ الصلاه مشتملة على معرفه الله و صفاته و توحيده و اليوم الآخر، و كلَّ من أداها بشروطها عارفاً بأصولها و أركانها فهو من أهل القرب و الولايه؛ فكيف تمسّه النار و هو فى بحبوحه القرب!

و فى الكافى (١) عن محمد بن مسلم عن أبيجعفر _ عليه السلام _ أنّه قال: «للمصلّى ثلاث خصالٍ إذا هو قام فى صلاته حَفَّت به الملائكة من قدميه إلى أعنان السماء و يتناثر البرّ عليه من أعنان السماء إلى مفرق رأسه، و ملكٌ موكِّلٌ به ينادى: لو يعلم المصلّى من ينجى ما انتقل!».

و وَفَّقْنَا فِيهِ لِإِيَّائِنَا نَصْرًا لِرُحَامَتِنَا بِالْبِرِّ وَ الصَّلَةِ، وَ أَنْ نَتَعَاهِدَ جِيزَانِنَا بِالْإِئْتِزَالِ وَ الْعَطِيَّةِ، وَ أَنْ نُخَلِّصَ أَمْوَالِنَا مِنَ التَّبْعَاتِ، وَ أَنْ نُطَهِّرَهَا بِإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ، وَ أَنْ نُرَاجِعَ مَنْ هَاجَرَنَا، وَ أَنْ نُنْصِفَ مَنْ ظَلَمَنَا، وَ أَنْ نُسَالِمَ مَنْ عَادَانَا. حَاشَى مَنْ عُودَى فِيكَ وَ لَكَ، فَإِنَّهُ الْعِدُّ الَّذِي لَانُؤَالِيهِ، وَ الْحِزْبُ الَّذِي لَانُصِيهِ فِيهِ. وَ أَنْ نَتَقَرَّبَ إِلَيْكَ فِيهِ مِنَ الْإِعْزَالِ الزَّاكِيَةِ بِمَا تُطَهِّرُنَا بِهِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَ تَعْصِيَةً مِنَّا فِيهِ مِمَّا نَشِي تَأْنِفُ مِنَ الْعُيُوبِ، حَتَّى لَا يُؤَوِّدَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ مَلَائِكَتِكَ إِلَّا دُونَ مَا نُؤَرِّدُ مِنْ أَبْوَابِ الطَّاعَةِ لَكَ، وَ أَنْوَاعِ الْقُرْبَى إِلَيْكَ.

«الأرحام»: جمع رَحِم _ ككتف _ ، و قد تقدّم الكلام عليه مفصلاً، و الكلام على «برّهم» و «صلتهم».

ص : ٣٢

١ - ١. راجع _ مع تغيير _ : «الكافى» ج ٣ ص ٢٦٥ الحديث ٤، و انظر: «من لا يحضره الفقيه» ج ١ ص ٢١٠ الحديث ٦٣٦، «وسائل الشيعة» ج ٤ ص ٣٣ الحديث ٤٤٤١، «بحار الأنوار» ج ٨٠ ص ٣٢٩.

>و «تعاهدت» الشيء و تعهّده: تفقّده و جدّدت العهد به _ أى: العلم به _ ، من قولهم: هو قريب العهد بكذا أى: قريب العلم. و فيه شاهدٌ على صحّته «تعاهده» كـ _ «تعهّده» (١) <، لأنّ قوله _ عليه السلام _ حجّه؛ مضافاً لما نصّ كثيرٌ من أئمّه اللغه على اللغتين من غير فرق، قال صاحب المحكم: «تعهّد الشيء و تعاهده و اعتهده: تفقّده و أحدث العهد به» (٢)، و مثله فى القاموس بنصّه (٣) - (٤)، و كذا غيرهما من اللغويين؛ فلا عبره بقول ابن فارس و من تبعه حيث قال: «يقال: تعهّده، و لا يقال: تعاهدته، لأنّ التفاعل (٥) لا يكون إلّا عن اثنين» (٦)؛ و لأنّ حقيقه التعاهد تجديد العهد بالشيء، فإذا جدّد الشخص عهداً بآخر فقد تجدّد عهد الآخر به فحصلت المشاركة. ألا ترى أنّ كلّاً منهما يصحّ له أن يقول بعد ذلك: «عهدى بفلانٍ وقت كذا»، أو: «عهدته بكذا»!.

و «الجيران»: جمع الجار، و قد سبق.

>و «الإفضال»: الإحسان.

و «العطيّه»: اسمٌ للمعطى، و الجمع: العطايا.

و «تبعات»: جمع تَبَعَه _ ككلمه _ (٧) <، و قد مرّ تفسيرها مراراً؛ و المراد منها هنا: ما يتبع المال من الحقوق سوى الزكاه. قال فى المدارك (٨): «المشهور بين أصحابنا (٩) _ خصوصاً المتأخّرين _ : أنّه ليس فى المال حقٌّ واجبٌ سوى الزكاه و الخمس»؛ انتهى.

و إنّما سمّى ما ليس بواجبٍ «تبعه» لما وقع من التأكيد فى إستحباب الإفضال لذى المال،

ص : ٣٣

١-١. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٥٢.

٢-٢. راجع: «المحكم فى اللغه» ج ١ ص ٦٣.

٣-٣. و فيه: «تعهّده» بدل: «تعهّد الشيء».

٤-٤. راجع: «القاموس المحيط» ص ٢٨٩ القائمة ١.

٥-٥. قال: و يقولون: تعهّدت صنيعتى، و لا يقولون: تعاهدت، لأنّ التعاهد.

٦-٦. راجع: «مجمع اللغه» ج ٣ ص ٤١٨.

٧-٧. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٥٤.

٨-٨. راجع: «مدارك الأحكام» ج ٥ ص ١٢.

٩-٩. المصدر: الأصحاب.

حتّى وقع التعبير عنه فى الأخبار بأنّه فرض من الله _ تعالى _ !. قال فى الكافى (١) بسنده عن أبى عبد الله _ عليه السلام _ قال: «إنّ الله فرض فى أموال الأغنياء فريضة لا يحمدون إلّا بأدائها و هى الزكاة، بها حقنوا دماءهم و بها سمّوا مسلمين؛ و لكن الله _ عزّ و جلّ _ فرض فى أموال الأغنياء حقوقاً غير الزكاة، فقال _ عزّ و جلّ _ : «فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ» (٢). فـ «الحقّ المعلوم» غير الزكاة (٣)، و هو شىء يفرضه الرجل على نفسه فى ماله يجب عليه أن يفرضه على قدر طاقته و سعه ماله، فيؤدّى الذى فرض على نفسه (٤)، إذا هو حمده على ما أنعم الله عليه فيه ممّا فضّله» _ ... الحديث _ . و فى نسخه: «من الشبهات» بدل: «التبعات».

و «أن نظهرها»، كمله «أن» تفسيريّة لتبيين خلوص الأموال عن «التبعات»، و يحتمل أن يكون كلاماً مستأنفاً؛ فعلى الأوّل المراد: تخلص الأموال من حقوق الناس و حقوق الله جميعاً؛ و على الثانى المراد من تطهير الأموال بإخراج الزكاة: تنقيتها من دنس منع الزكاة؛ لما ورد فى الصحيح عن أبى عبد الله _ عليه السلام _ قال: «قال رسول الله _ صلى الله عليه و آله و سلم _ : ملعون ملعونٌ مالٌ لا يزكى» (٥)؛

و فى الصحيح عنه أيضاً _ عليه السلام _ : «ما من عبدٍ يمنع درهماً فى حقّه إلّا أنفق إثنتين فى غير حقّه، و ما من رجلٍ يمنع حقّاً من ماله إلّا طوّق (٦) الله _ عزّ و جلّ _ به حيّة من نارٍ

ص : ٣٤

-
- ١- ١. راجع: «الكافى» ج ٣ ص ٤٩٨ الحديث ٨، و انظر: «وسائل الشيعة» ج ٩ ص ٣٢ الحديث ١١٤٥٠، «مستدرک الوسائل» ج ٧ ص ٩ الحديث ٧٤٩٧، «بحار الأنوار» ج ٩٣ ص ١٠٣.
 - ٢- ٢. كريمتان ٢٤، ٢٥ المعارج.
 - ٣- ٣. المصدر: _ فقال ... الزكاة.
 - ٤- ٤. هي هنا حذف المصنّف قطعة من الحديث.
 - ٥- ٥. راجع: «الكافى» ج ٣ ص ٥٠٤ الحديث ٨، «وسائل الشيعة» ج ٩ ص ٢٦ الحديث ١١٤٣٣، و انظر: «من لا يحضره الفقيه» ج ٢ ص ١٠ الحديث ١٥٨٦.
 - ٦- ٦. المصدر: طوّقه.

يوم القيامة»(١) _ ... إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة الواردة في هذا الباب _ .

و «الزكاة» في اللغة جاءت بمعنى: النمو و التطهير، قال _ تعالى _ : «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا»(٢) _ أى: طهرها _ ، و قال: «مَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ»(٣). و لعل إخراج نصف دينارٍ من عشرين ديناراً مثلاً سُمي في الشرع زكاةً نظراً إلى هذين الوجهين، فعلى الوجه الأول تستجلب الزكاة بركه في المال و فضيله في النفس، فهي نماء في المعنى و إن كان نقصاناً في الصورة، لأن في هذا الإعطاء يدفع الله البلاء عن المال و يزيد في قوه النفس بترك الحرص في الحال طلباً للثواب في المال؛ و لهذا قال رسول الله _ صلى الله عليه و آله و سلم _ : «عليكم بالصدقه!، فإن فيها ست خصال، ثلاث في الدنيا و ثلاث في الآخرة؛ فأما التي في الدنيا: فيزيد في الرزق، و يكثر المال، و تعمّر الديار؛ و أمّا التي في الآخرة: فيستر العوره، و يصير ظلاً فوق الرأس، و يكون سترًا من النار»(٤). و على الوجه الثاني فيطهر المال من الوسخ و الخبث، و يطهر النفس من الرذيله و البخل؛ قال _ تعالى _ لنبئ: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِهَا»(٥).

و اعلم! أن سرّ الزكاة و علّه وجوبها: تطهير النفس عن محبه المال؛ قال _ صلى الله عليه و آله و سلم _ : «حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئه»(٦)؛ و في كلام سقراط: «محبه المال وتد الشر». و قد تقدّم الكلام في مذمه الدنيا و مذمه المال؛ فتذكّر!

ص : ٣٥

-
- ١- ١. راجع: «الكافي» ج ٣ ص ٥٠٤ الحديث ٧، «من لا يحضره الفقيه» ج ٢ ص ١١ الحديث ١٥٨٨، «التهذيب» ج ٤ ص ١١٢ الحديث ٦٢، «وسائل الشيعة» ج ٩ ص ٤٣ الحديث ١١٤٧٩، «المقنعه» ص ٢٦٨.
 - ٢- ٢. كريمه ٩ الشمس.
 - ٣- ٣. كريمه ١٨ فاطر.
 - ٤- ٤. لم أعثر عليه، و انظر: «مستدرک الوسائل» ج ٧ ص ١٥٩ الحديث ٧٩١١.
 - ٥- ٥. كريمه ١٠٣ التوبه.
 - ٦- ٦. راجع: «مستدرک الوسائل» ج ١٢ ص ٤٠ الحديث ١٣٤٦٢، «عوالي اللئالي» ج ١ ص ٢٧ الحديث ٩، «شرح نهج البلاغه» ج ٩ ص ٢٣٩، «التحصين» ص ٢٧.

ثم اعلم! أنَّ هذه الأمور التي وقفت عليه في الأحاديث في باب مانع الزكاه في يوم القيامة _ : من الثعبان المطوق في عنقه و الحية القرعاء التي تأكل من دماغه و الإبل و البقر و الغنم التي ستطأه يوم القيامة بأخفافها و تنطحه بقرونها _ ليست بأمور خارجة عن ذات الميت؛ أعني ذات روحه، لا ذات جسده، فإن الروح هي التي تتألم و تتنعم، بل هي مما كانت معه قبل موته متمكنة من صميم باطنه. لكنه لم يكن يحس بلذعها و وطئها و نطحها، لحذر و سكر كانا فيه؛ لغلبيه الشهوات و الشواغل المنهية عن ذكر الآخرة، المنسيه للقاء عالم المعاني و الحقائق المتمثلة بصورها الأصلية، فإن لكل معنى صورة أصلية هي مثال ذاتها بالحقيقة، و صورة مجازية لها تعلق ما بتلك الصورة الأصلية، فهي مثال المثال. فالأشكال الأخرى هي مثالات المعاني، و الحقائق و الأجسام الدنيوية هي أمثال وضعية تمثلت بتوسط الحركات؛ فهي كالنسخة الثانية لكتاب الحقائق. و لهذا إنما يقع الخطأ في الحكايات عنها لمن قلّت ممارسته لقراءة الكتب، فيرى الظلمة نوراً و الظل حروراً و الهاوية قصوراً و المحنة سروراً و العذاب راحة و النعمة و القبيح حسناً و الحسن قبيحاً!. فجميع ملاذ الدنيا ينقلب إلى ما في الآخرة.

و ذلك مما يشاهده أهل البصيرة كيف يتمثل هذه الهويات النفسانية و يتجسم يوم القيامة؛ و يرون كتابهم _ و كتاب غيرهم _ قبل نشر الكتب، و يحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا!.

فيعلمون أنَّ جميع ما ورد في باب مانع الزكاه حق و صدق، و يعلمون سرّ قوله _ تعالى _ : «فَتَكُونُ بِهَا جَبَاهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتَبُونَ» (١)، و سرّ قوله: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ» (٢)، و قوله: «أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَ اسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا» (٣) _ ... الآية _ .

ص : ٣٦

١- ١. كريمه ٣٥ التوبة.

٢- ٢. كريمه ١٠٧ النحل.

٣- ٣. كريمه ٢٠ الأحقاف.

و لو كانت هذه الأمور المؤلمة المعذبة عند الموت خارجة عن ذات الميّت _ كما يظنه الظاهريون _ لكانت أهوناً، إذ ربّما يتصوّر أن ينحرف عنه أو ينحرف هو عنه، أو يقع بينهما حاجزٌ؛ لا! بل هو متمكّنٌ من صميم فؤاده يلذعه لذعاً أعظم ممّا يفهمه من لذع هذه الثعابين! و هو بعينه صفته الّتي كانت معه في الدنيا _ أى: محبّته للمال الّتي هي منشأ تألّمه في المآل _ .

«و أن نراجع من هاجرنا» أى: نصل من فارقنا و قطعنا.

و «أن ننصف» أى: نترك زياده الإنتقام و نعامله بالعدل، لا- بما يقتضيه التشفّي و تؤدّي إليه الحّميه و الغيظ؛ يقال: أنصفت الرجل: عاملته بالعدل و القسط، و الاسم: النّصفه _ بفتحتيْن _ ، لأنّك أعطيته من الحقّ مثل ما تستحقّه لنفسك.

> و «المسالمة»: المصالحة.

و «عاداه» معاداة: نصب له العداوة، و هي حالة تتمكّن من القلب لقصد الإضرار و الإنتقام.

و «حاشا» هنا للإستثناء. و هي حرفٌ بمنزلة «إلا» عند سيوييه و أكثر البصريّين، لكنّها تجزّ المستثنى، فما بعدها مجرورٌ بها(١) <. و قد يستعمل قليلاً فعلاً متعدياً جامداً لتضمينه معنى «إلا»؛ فإن حملتها على الأوّل فالمعنى: أنّه سالمتنا من خاصمتنا إلا من خوصم فيك و لك، لأنّ من كان كذلك لانسالمة، بل نخاصمه؛ و إن > حملتها على الفعلية فالموصول بعدها فى محلّ نصبٍ على المفعوليه بها، و فاعلها ضميرٌ مستترٌ عائداً على مصدر الفعل المتقدّم عليها؛ و المعنى: جانب مسالمتنا من عودى فيك.

و إثارة لفظ «حاشا» فى الإستثناء لما فيها من معنى التنزيه _ كما قال ابن الحاجب: «لايستثنى ب _ «حاشا» إلا حيث يتعلّق الإستثناء بما فيه تنزيه»(٢)(٣) < _ ، تنبيهاً على أنّ من

ص : ٣٧

١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٦٣.

٢- ٢. لم أعثر على العبارة من كلام ابن حاجب، و عن الرضى: «و إذا استعمل حاشا فى الإستثناء و فى غيره فمعناه تنزيه الاسم الّذى بعده من سوء ذكر فى غيره أو فيه، فلايستثنى به إلا فى هذا المعنى»؛ راجع: «شرح الرضى على الكافية» ج ٢ ص ١٢٤.

٣- ٣. قارن: «رياض السالكين» نفس المجلّد و الصفحة.

عودى فيه _ تعالى _ لشده وجوب معاداته و إفراطه فى قبح الحال و سوء الصنيع تنزه المسالمة عنه و يعظم شأنها.

«لأنوليّه» أى: لانبجّه.

و «الحزب» _ بكسر الحاء المهلمه و سكون الزاء المعجمه _ : هو الطائفه.

و «صافاه» مصافاه: أخلصه الودّ و صدقه المحبّه. و أصله: الصفو، و هو الخلوّص من الكدر؛ أى: الجماعه التى لا يصير قلبى معهم صافياً. و فى نسخه: «الحرب»، و هو العدو؛ قال الجوهرى: «أنا حربٌ لمن حاربنى أى: عدوّ» (١).

«و أن نتقرب إليك فيه» عطف على قوله: «لأنصل»، أى: وفّقنا لأن نتقرب إلى جنابك فى شهر رمضان.

قوله _ عليه السلام _ : «من الأعمال الزاكيه» بيان لما فى قوله _ عليه السلام _ : «بما تطهّرنا به»، قدّم على المبيّن. و الضمير راجع إلى «ما» _ كقولك: عندى من المال ما يكفى.

و «تعصمنا» أى: تحفظنا.

و «استأنفت» الشىء استينافاً: ابتدأته، و المعنى: و تحفظنا ممّا نريد أن نستأنفه «من العيوب، حتّى» لاتصدر عنّا عيوبٌ بعد ذلك؛ أو ممّا نشارف إستينافه من العيوب، تعبيراً بالفعل عن إرادته أو مشارفته _ كقوله تعالى: «و الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّهً لِّأَزْوَاجِهِمْ» (٢) أى: و الذين يشارفون الوفاه و ترك الأزواج يوصون وصيّه لأزواجهم، لأن الوصيّه لاتكون بعد الوفاه، و كذلك العصمه لاتكون بعد الإستيناف و لكن قبلها _ .

ص : ٣٨

١-١. راجع: «صحاح اللغة» ج ١ ص ١٠٨ القائمه ٢.

٢-٢. كريمه ٢٤٠ البقره.

هذا ما ذكره؛ و قد حَقَّقنا لك مراراً توجيه أمثال ذلك ممَّا ورد عنهم _ عليهم السلام _ مع مرتبه العصمه؛ فتذكَّر!.

<و «حَتَّى» تعليلِيَّةٌ بمعنى: كى، أى: كى لا يورد عليك أحدٌ من ملائكتك إلَّا دون ما نوره من أبواب الطاعه لك(١)>. <و قد ذكروا لهذه الفقره وجوهاً:

الأوّل: أن يكون قد طلب أن تكون جرائمه أدون و أقلّ من طاعته حتّى تكون طاعته مكفّرةً لسيئاته؛ و التقدير: لا يصعد إليك أحدٌ من حفظه أعمالنا بشيءٍ من ذنوبنا إلَّا أن تكون تلك الذنوب أقلّ ممَّا يصعدون به إليك من طاعاتنا(٢)>؛

و الثانى: أن يكون المعنى: حتّى لا يورد عليك أحدٌ من ملائكتك من أعمالنا إلَّا دون ما نوره من أبواب الطاعه(٣) _ ... إلى آخره _ . فإنّ من أبواب الطاعه ما لا يعلمه الملائكه و لا يكتبونه، كما يدلّ على ذلك صريحاً ما رواه ثقه الإسلام فى الكافى(٤) بسندٍ حسنٍ أو صحيحٍ عن زراره عن أحدهما _ عليهما السلام _ ، قال: «لا يكتب الملك إلَّا ما سمع، و قد قال الله _ عزّ و جلّ _ : «وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَ خِيفَةً»(٥)، فلا يعلم ثواب ذلك الذكر فى نفس الرجل غير الله _ عزّ و جلّ _ لعظمته»؛

و الثالث: <أنّ معناه: حتّى لا يورد عليك أحدٌ من ملائكتك من أعمال العباد إلَّا دون ما نوره عليك من أبواب الطاعه و أنواع القربه(٦)>.

هذا ما ذكره؛ و هو كما ترى! و المعنى _ على ما حَقَّقناه لك مراراً من أنّ مرتبه الأئمه

ص : ٣٩

١- ١. راجع: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٦٥.

٢- ٢. قارن: «نور الأنوار» ص ١٨٤.

٣- ٣. انظر: نفس المصدر أيضاً.

٤- ٤. راجع: «الكافى» ج ٢ ص ٥٠٢ الحديث ٤، و انظر: «وسائل الشيعة» ج ٧ ص ١٦٣ الحديث ٩٠١٤، «مستدرک الوسائل» ج ٥ ص ٢٩٩ الحديث ٥٩١٦، «بحار الأنوار» ج ٩٠ ص ١٥٩، «تفسير العياشى» ج ٢ ص ٤٤ الحديث ١٣٤، «الزهد» ص ٥٣ الحديث ١٤٤، «عده الداعى» ص ٢٥٩.

٥- ٥. كريمه ٢٠٥ الأعراف.

٦- ٦. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٦٥.

عليهم السلام فوق مرتبه الملائكه، بل المقرّبين منهم خدامهم، كما تقدّم الكلام عليه _ : أنّه لكى لا-يورد عليك أحدٌ من ملائكتك لإنحطاط مرتبتهم إلّا دون ما نورد من أبواب الطاعه لك، لأنّ الطاعه الصادره عنهم أقلّ من الطاعه الصادره عن الأئمّه _ عليهم السلام _ .

و المراد من «أبواب الطاعه»: أنواعها و أقسامها؛ و كذا «القربه».

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ هَذَا الشَّهْرِ، وَ بِحَقِّ مَنْ تَعَبَّدَ لَكَ فِيهِ مِنْ ابْتِدَائِهِ إِلَى وَقْتِ فَنَائِهِ مِنْ مَلَمَكٍ قَرَّبْتَهُ، أَوْ نَبِيٍّ أَرْسَلْتَهُ، أَوْ عَبْدٍ صَالِحٍ اخْتَصَصْتَهُ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ أَهْلُنَا فِيهِ لِمَا وَعَدْتَ أَوْلِيَاءَكَ مِنْ كَرَامَتِكَ، وَ أَوْجِبْ لَنَا فِيهِ مَا أَوْجِبْتَ لِأَهْلِ الْمُبَالَغَةِ فِي طَاعَتِكَ، وَ اجْعَلْنَا فِي نَظْمٍ مَنْ اسْتَحَقَّ الرَّفِيعَ الْأَعْلَى بِرَحْمَتِكَ.

«اللَّهُمَّ» قد مرّ الكلام عليه.

و التأكيد بـ «أَنَّ» لنهايه الإهتمام، أو العناية و لغايه الشوق و صدق الرغبه.

و «بحقّ هذا الشهر» قيل: «أى: بما ثبت له عندك و وجب لديك من الفضيله و الكرامه. و الإشارة بـ «هذا الشهر» إلى شهر رمضان الموضوع للجنس، لا للفرد المنزل منزله المحسوس الحاضر المشاهد _ أعنى: الشهر المقروء فيه الدعاء، بدليل قوله عليه السلام: «و بحقّ من تعبد لك فيه من إبتدائه إلى وقت انتهائه» _ ، إذ المراد: من وقت ابتداء خلقه إلى وقت إرتفاع التكليف؛ فتعيّن كون المراد بـ «هذا الشهر»: جنس شهر رمضان، فإنّ أعلام الشهور أعلام أجناسٍ _ كما نصّ عليه المحقّقون _ . و هكذا قولك _ و أنت فى شهر رمضان _ : هذا الشهر أفضل من سائر الشهور، فإنّك لا تريد بـ «هذا الشهر» إلّا شهر رمضان الموضوع للجنس، لا الشهر الذى أنت فيه بخصوصه _ كما هو ظاهرٌ _ «(١)»؛ انتهى كلامه.

و أنت إذا عرفت ما ذكرناه لك فى أول الدعاء علمت أنّ التأكيد بـ «أَنَّ» و «بحقّ هذا

ص : ٤٠

الشهر» و «بحق من تعبد لك فيه من ابتدائه إلى وقت انتهائه» في موضعه؛ فتدبر تفهم!.

و قوله _ عليه السلام _ : >«من إبتدائه» أى: من وقت إبتدائه، فحذف المضاف و أناب المصدر منابه توسعاً؛ و منه قوله _ تعالى _ : «وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحْهُ وَابْدَأِ الْتُجُومِ» (١) أى: وقت إدبارها. و فى الدعاء شاهدٌ لورود «من» لإبتداء الغايه فى الزمان، لأنّ كلامه حَجَّةٌ لجميع أهل الأزمان. فلا-عبره بخلاف جمهور البصريين فى ذلك، مع أنّه أجازوه الكوفيون و جمهور النحويين (٢)؛ و الشواهد على ذلك كثيرة، كقولك: «نمت من أوّل الليل إلى آخره»؛ و: «صمت من أوّل الشهر إلى آخره»؛ و فى الحديث: «فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة» (٣)؛ و فيه: «من يعمل لى من نصف النهار إلى صلاه العصر ...» (٤) (٥) <.

و ضمير «إبتدائه» و «فناؤه» راجعٌ إلى «الشهر»؛ و قيل: «إلى من»؛

و هو بعيدٌ!

و «من» فى قوله _ عليه السلام _ : «من ملكٍ قرّبته» بيانيّةٌ لـ «مَن» الموصولة.

و «أو» فى الموضعين للتفصيل.

و «أرسلته» أى: بعثته.

و «أهلّنا» أى: اجعلنا أهلاً.

«فيه» أى: فى هذا الشهر.

و «أوجب لنا _ ... إلى آخره _» أى: اعطنا ثواباً أعطيته المبالغين و الساعين «فى طاعتك».

و «الرفيع الأعلى» أى: الدرجة القصوى، أو الجنّة، أو الدرجة الرفيعة منها _ و هو محلّ

ص : ٤١

١- ١. كريمه ٤٩ الطور.

٢- ٢. لتفصيل ذلك راجع: «مغنى اللبيب» ج ١ ص ٤١٩.

٣- ٣. لم أعر عليه فى مصادرنا، و راجع: «صحيح البخارى» ج ١ ص ٣٤٥ الحديث ٩٧٠.

٤- ٤. لم أعر عليه، لا فى مصادرنا و لا فى مصادر العامّة.

٥- ٥. قارن _ مع تقديم و تأخير _ : «رياض السالكين» ج ٦ ص ٦٨.

الأنبياء و الأولياء و الصديقين و الشهداء.

و «برحمتك» متعلق بـ «اجعلنا»، أو بـ «استحق».

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ جَنِّبْنَا الْإِلْحَادَ فِي تَوْحِيدِكَ، وَ التَّقْصِيرَ فِي تَمْجِيدِكَ، وَ الشَّكَّ فِي دِينِكَ، وَ الْعَمَى عَنْ سَبِيلِكَ، وَ الْأَغْفَالَ لِحُرْمَتِكَ، وَ الْأَنْحِدَاعَ لِعَدُوِّكَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

و «الإلحاد»: الميل عن الحق إلى الباطل؛ و قيل: «العدول عن الإستقامه المطلقه و الإنحراف عنها».

و «التوحيد» فى اللغة: جعل الشىء واحداً^(١)، و فى الإصطلاح عبارة عن: إثبات ذات الله و نفى الشريك عنه ذاتاً و صفاتاً و أفعالاً^(٢). فليس المراد بـ «وحدانيته» _ تعالى _ ما لاثنائى له فى الوجود، بل المراد منها ما لاكثره فيه مطلقاً _ و لو بالإعتبار و الحيثيه _ ، لأنه واحدٌ من جميع الجهات و الحيثيات المتصوره. و للتوحيد مراتب أربع، و كذا الإلحاد المقابل له؛ فالميل و العدول عن الإستقامه فى كل مرتبه إلحادٌ فيها و انحرافٌ عنها؛ فمنه ما هو شركٌ ظاهرٌ، و منه ما هو شركٌ خفى؛ و قد تقدم الكلام على التوحيد و الإلحاد و مراتبهما فى اللمعه الأولى مفصلاً.

و لعلّ المراد من «الإلحاد» هنا: الميل عن التوحيد الخالص المحض؛ فتبصّر!

و «التقصير فى» الأمر: التوانى فيه.

و «مجدّته» تمجيداً: نسبته إلى المجد، و هو الكرم الواسع. و قيل: «المجيد: الكريم الفعال»؛

و قيل: «إذا قارن شرف الذات حسن الفعال فهو المجد»؛

ص : ٤٢

١- ١. و عن الفيروزآبادى: «معنى هذه اللفظه لغتاً يقرب من معناه الإصطلاحى»؛ انظر: «القاموس المحيط» ص ٣٠٦ القائمة ٢.

٢- ٢. و انظر: «أوائل المقالات» ص ٥٠، «شرح الأصول الخمسه» ص ١٢٨، «إرشاد الطالبين» ص ١٧٦.

و قال الراغب: «التمجيد من العبد لله بالقول و ذكر الصفات الحسنه، و من الله للعبد بإعطائه الفضل»^(١)؛ انتهى. و نحن نقول: العبد إذا جمع مراتب الكمال يصير أهلاً لسمات ذى الجلال، فإن كلَّ مجدٍ منه و إليه.

و «الشك»: الإرتياب و اضطراب القلب و النفس، و ذلك باقٍ ما لم يوفّق لمرتبه النفس المطمئنّه. و قال جماعة: «الشكّ خلاف اليقين»، فقولهم: «خلاف اليقين» هو التردد بين شيئين _ سواء استوى طرفاه أو رجّح أحدهما على الآخر _ . قال _ تعالى _ : «فإن كُنتَ في شكٍّ ممّا أنزلنا إليك»^(٢)، قال المفسّرون: «أى: غير متيقّن»^(٣)؛ و هو يعمّ الحالتين.

و «الدين» قد مرّ معناه لغّه و اصطلاحاً؛ و كذا «السييل».

و المراد من «العمى» هنا: الضلال.

و «الإغفال»: الإهمال من غير نسيانٍ.

>و «الإنخداع»: مطاوع خدعته خدعاً _ من باب منع _ فانخدع: إذا اظهرت له خلاف ما تخفيه فوثّق بك و اطمأنّ إليك^(٤)<.

«لعدوك»، >«اللام» إمّا بمعنى: من، و إمّا أن يضمن الإنخداع معنى: الإطاعه^(٥)<.

>و «الشیطان الرجيم»: المطرود عن الخيرات و عن المنازل العالیات؛ و قيل: «المرجوم باللعه لا يذكره مؤمنٌ إلّا لعنه»^(٦)<، و قد تقدّم الكلام عليه. و هو بدلٌ أو عطف بيانٍ من «عدوك». و الغرض: أنّ السالك ما لم يكن قاطع النظر عمّا سوى الله _ تعالى _ و عن هویّته و آئیّته و لم یبق بلا هو و لم یعلم أنّ لا هو فی الوجود إلّا هو و أنّ ذاته _ تعالى _ فاعل جميع

ص : ٤٣

١- ١. راجع: «مفردات ألفاظ القرآن الكريم» ص ٧٦١ القائمة ١.

٢- ٢. كريمه ٩٤ يونس.

٣- ٣. هذا _ مع وضوحه! _ لم أعثر على نصٍّ عليه، فانظر مثلاً: «تفسير القرطبي» ج ٨ ص ٣٨٢، «مجمع البيان» ج ٥ ص ٢٢٦، «تفسير الصافي» ج ٢ ص ٤١٩.

٤- ٤. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٧٣.

٥- ٥. قارن: «نور الأنوار» ص ١٨٤.

٦- ٦. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٧٤.

الموجودات و نور ما في الأرض و السماوات و إليه ينتهي كل الخيرات و هو غايه ارتقاء الموجودات «وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ» (١)، و «أَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَ أَحْيَا * وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنثَىٰ * مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تَمَنَّى * وَ أَنَّ عَلَيْهِ الشَّأْنُ الْأُخْرَىٰ» (٢) _ و بالجملة أن ليس في ملك الوجود إلا الواحد القهار _ ، لم يحسم مادّة الشرك الخفي عن قلبه و لم يأمن عن الإلحاد في توحيده و الشك في دينه _ و إن بلغ في العبادة الظاهريّة الغايه! _ . و هذا الشرك الخفي قلّ من الناس من نجى منه و صفى قلبه عنه؛ «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَ هُمْ مُشْرِكُونَ» (٣).

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ إِذَا كَانَ لَكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي شَهْرِنَا هَذَا رِقَابٌ يُعْتَقُّهَا عَفْوَكَ، أَوْ يَهَبُهَا صِفْحُكَ فَاجْعَلْ رِقَابَنَا مِنْ تِلْكَ الرِّقَابِ، وَ اجْعَلْنَا لِشَهْرِنَا مِنْ خَيْرِ أَهْلِ وَ أَصْحَابِ.

و «إذا» هنا للتعليل واقعه موقع إذ، كما أنّ «إذا» وقعت؛ لكنّها لمّا تضمّنت معنى الشرط دخلت «الفاء» في جوابها.

و «أو» في قوله _ عليه السلام _ : «أو يهبها» للتنويع.

و «الصفح»: بلغ من العفو، فإنّ الإنسان قد يعفو و لا يصفح؛ يعني: إذا كان بفضلك و كرمك في كل ليلة تعتق الرقاب من النار فاجعل رقابنا من تلك الرقاب التي اعتقتها. و قد ورد بمضمون هذه الفقرة جملة أحاديث من الأئمة و أرباب العصمة؛ روى في الكافي (٤) بسنده عن أبي عبد الله _ عليه السلام _ : «إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ _ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ عِتْقًا وَ طَلْقًا مِنَ النَّارِ إِلَّا مَنْ أَفْطَرَ عَلَىٰ مَسْكَرٍ، فَإِذَا كَانَ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ مِنْهُ أُعْتُقَ فِيهَا مِثْلُ مَا

ص : ٤٤

١- ١. كريمه ٤٢ النجم.

٢- ٢. كريمات ٤٤ / ٤٧ النجم.

٣- ٣. كريمه ١٠٦ يوسف.

٤- ٤. راجع: «الكافي» ج ٤ ص ٦٨ الحديث ٧، و انظر: «من لا يحضره الفقيه» ج ٢ ص ٩٨ الحديث ١٨٣٨، «التهذيب» ج ٤ ص ١٩٣ الحديث ٦، «وسائل الشيعة» ج ١٠ ص ٣٠٦ الحديث ١٣٤٣٨، «روضة الواعظين» ج ٢ ص ٣٤٠.

أعتق في جميعه!»؛

و عن علي بن الحسين _ عليهما اللام _ : «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى _ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ عِنْدَ الْإِفْطَارِ سَبْعِينَ أَلْفَ أَلْفٍ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ كُلُّ قَدْ اسْتَوْجِبَ النَّارَ، فَإِذَا كَانَ آخِرَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ أُعْتِقَ فِيهَا مِثْلُ مَا أُعْتِقَ فِي جَمِيعِهِ» (١)؛

و في التهذيب (٢) بسنده عن عمر بن يزيد عن أبي عبد الله _ عليه السلام _ قال: «إِنَّ لِلَّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ عِتْقَاءَ مِنَ النَّارِ إِلَّا مَنْ أَفْطَرَ عَلَى مَسْكَرٍ أَوْ مِشَاحِنٍ أَوْ صَاحِبِ شَاهِينٍ، قَالَ: قُلْتُ: وَ أَى شَيْءٍ صَاحِبِ شَاهِينٍ؟
قال: الشطرنج».

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ امْحَقْ ذُنُوبَنَا مَعَ امِّحَاقِ هَلَالِهِ، وَ اسْلَخْ عَنَّا تَبِعَاتِنَا مَعَ انْسِلَاحِ أَيَّامِهِ حَتَّى يَنْقَضِيَ عَنَّا وَ قَدْ صَفَّيْتَنَا فِيهِ مِنَ الْخَطِيئَاتِ، وَ أَخْلَصَيْتَنَا فِيهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ إِنِّ مِلْنَا فِيهِ فَعِيدُنَا، وَ إِنِّ زُغْنَا فِيهِ فَقَوَّمْنَا، وَ إِنِّ اشْتَمَلَ عَلَيْنَا عَدُوُّكَ الشَّيْطَانُ فَاسْتَنْقَذَنَا مِنْهُ.

«الإمحاق» بالتشديد: الإبطال و المحو _ من باب الإفعال و الإفتعال _ على مطاوعه محقه فانمحق و امتحق، فأبدلت النون أو التاء ميماً و أدغمت إحدى الميمين في الأخرى؛ و بالتخفيف من باب منع، يقال: محقه يحقه محقاً أى: أبطله و محاه (٣). و في نسخه الشهيد: «محاق» بدل: «إمحاق».

ص : ٤٥

-
- ١- ١. راجع: «وسائل الشيعة» ج ١٠ ص ٣١٧ الحديث ١٣٥٠٢، «بحار الأنوار» ج ٤٦ ص ١٠٣.
 - ٢- ٢. راجع: «التهذيب» ج ٣ ص ٦٠ الحديث ٦، و انظر: «الكافي» ج ٦ ص ٤٣٥ الحديث ٥، «وسائل الشيعة» ج ١٧ ص ٣١٩ الحديث ٢٢٦٤٩، «بحار الأنوار» ج ٧٦ ص ٢٣٢، «الأمالي» _ للطوسي _ ص ٦٩٠ الحديث ١٤٦٨.
 - ٣- ٣. لتفصيل ذلك راجع: «شرح الصحيفة» ص ٣٧٨.

>و المراد بـ «الهلال»: القمر، تسميه له على ما كان عليه.

و «السلخ»: إخراج الشيء ممّا لابسّه و نزعّه عنه، من: سلخ الشاه، و هو: نزع جلدها عنها(١)<.

و «التبعه»: ما يتبع الإنسان و يلحقه من الآثام؛ أى: و انزع عنا تبعاتنا. و هى إستعاره مكثيه، شبه «التبعات» فى إحتوائها عليه بالجلد فى إحتوائه على الحيوان، فأثبت لها السلخ تخيلاً. و لك جعلها تبعه.

و «إنسلاخ الأيام»: إنقضاؤها و مضيتها، و هو أيضاً إستعاره من الإنسلاخ الواقع بين الحيوان و جلده بجامع الانفصال عن الملابس.

و «قد صفيتنا» أى: خلصتنا.

>و فرّقوا بين «الخطيئه» و «السيئه» بأنّ الخطيئه: الصغيره، و السيئه: الكبيره؛ لأنّ الخطأ بالصغيره أنسب، و السوء بالكبيره ألصق(٢).

و قيل: «الخطيئه: ما لاعمد فيه، و السيئه: ما كان عن عمد»؛

و قيل: «الخطيئه: ما كان بين الإنسان و بين الله، و السيئه: ما كان بينه و بين العباد»(٣)(٤)<.

و «إن ملنا فيه» إلى طرف الافراط و التفريط فاجعلنا قائمين بالعدل و الوسط _ الّذى «به قامت السماوات و الأرض»(٥) _ ، لأنّ بالوحده بقاء حقائق الأشياء، و بطلها _ الّذى هو العدل _ نظام الكثرات و قوام الأرض و السماء، فالميل و العدول إلى أحد الجانبين يلزمه فساد الكلّ.

و «إن زغنا» أى: ملنا من الحقّ إلى الباطل؛

ص : ٤٦

١-١. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٧٩.

٢-٢. راجع: «فروق اللغات» ص ١٢٢.

٣-٣. راجع: نفس المصدر أيضاً.

٤-٤. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٨٠.

٥-٥. راجع: «عوالى اللثالى» ج ٤ ص ١٠٢ الحديث ١٥٠.

«فَقَوْمَنَا» و عدلنا، يقال: زاغ أى: مال عن الإستقامه؛ و منه: «فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ» (١) أى: لما فارقوا الإستقامه عاملهم الله بذلك.

و «اشتمل» على الشئء: أحاط به.

و «أنقذته» من الشرّ و استنقذته منه: إذا خلّصته؛ ف _ «استنقذنا» أى: استخلصنا منه.

اللَّهُمَّ اشْحَنهُ بِعِبَادَتِنَا إِيَّاكَ، وَ زَيْنْ أَوْقَاتَهُ بِطَاعَتِنَا لَكَ، وَ أَعِنَّا فِي نَهَارِهِ عَلَى صِيَامِهِ، وَ فِي لَيْلِهِ عَلَى الصَّلَاةِ وَ التَّضَرُّعِ إِلَيْكَ، وَ الْخُشُوعِ لَكَ، وَ الذَّلِيلَةِ بَيْنَ يَدَيْكَ حَتَّى لَا يَشْهَدَ نَهَارُهُ عَلَيْنَا بِغَفْلَةٍ، وَ لَيْلُهُ بِتَفْرِيطٍ. اللَّهُمَّ وَ اجْعَلْنَا فِي سَائِرِ الشُّهُورِ وَ الْأَيَّامِ كَذَلِكَ مَا عَمَرْتَنَا.

«اشحنه» أى: املاه، و الضمير لل _ «شهر»، من: شحن السفينه شحنًا _ من باب نفع _ : ملأها و أتم جهازها كلها _ و منه: «فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ» (٢) أى: المملؤ _ ؛ أى: اجعل هذا الشهر مملؤاً «بعبادتنا إِيَّاكَ».

و «زَيْنْ أَوْقَاتِهِ بِطَاعَتِنَا» أى: اجعلها زينه لها.

و «حَتَّى لَا يَشْهَدَ نَهَارُهُ _ ... إِلَى آخِرِهِ _» تعليلية، أى: لا يشهد ليله علينا بتقصيره، لأنّ الزمان و المكان يشهدان على أفعال العباد كما تشهد الأعضاء. و قد تقدّم نظير ذلك مراراً؛ فتذكّر!

و «سائر الشهور» أى: باقيها، أى: فيما بقى من الشهور و الأيام.

«كذلك» أى: بالأوصاف المذكوره _ كالصيام و القيام و غير ذلك _ . و هو فى محلّ نصبٍ على أنّه مفعول ثانٍ ل _ «إجعلنا».

و «ما» فى «عَمَرْتَنَا» مصدريةٌ زمانيةٌ، أى: مدّه تعميرنا؛ مثلها فى قوله _ تعالى _ : «مَا

ص : ٤٧

١- ١. كريمه ٥ الصف.

٢- ٢. كريمه ١١٩ الشعراء / ٤١ يأس.

دُمْتُ حَيًّا» (۱)، أصله: مدّه دوامی حیّاً. فحذف الظرف و خلّفته «ما» و صلتها _ كما جاء في المصدر الصريح نحو: جئتكَ صلاه العصر، و أتيك قدوم الحاج، أى: وقت صلاه العصر و زمن قدوم الحاج _ .

قال الشيخ سعدالدين (۲) الفرغانى ما معناه: «إنّ الزمان صورته الهيئات و الأحوال و الأشكال الفلكيه كما أنّ المكان صورته الأشكال و الهيئات الأرضيه. و كلّ حالٍ و شكلٍ و هيئه فلكيٍّ و أرضيٍّ ليس إلّا- صورته معنّى و حقيقهً و هيئه اجتماعيه من توجّهات الأسماء و الحقائق الإلهيه و الكونيه فى عالم الغيب. و لمّا كانت المعانى و الأسماء و الحقائق الإلهيه و الكونيه متفاوتة فى الدرجات و الحطه و الشرف و التأثير و غيرها، فلاجرم لبعضٍ من الأزمنه و الأمكنه _ اللتين هما صورتان و تابعتان لهذه الحقائق و الأسماء _ فضلٌ و شرفٌ لبعضٍ آخر؛ فلذلك تزداد النصوص الإلهيه و الأحاديث النبويه بفضيله بعض الزمان و المكان و شرفهما _ كرمضان و ليله القدر و يوم الجمعة، و كالحرمين و بيت المقدس و المسجد الأقصى _ ، و بفضيله الأعمال المتعلّقه به _ كالصلاه و الصوم و الإحياء و السعى و الطواف و الوقوف و الزياره و أمثال ذلك _ (۳).

ص : ٤٨

١- ١. كريمه ٣١ مريم.

٢- ٢. كذا فى النسختين، و الصحيح: سعيدالدين، راجع: «مشارق الدرارى» مقدّمه المصحح ص ٥.

٣- ٣. قال: «زمان صورت هيات و احوال و اشكال فلكى است، چنانكه مكان صورت اشكال و هيات زمينى است. و هر حالى و شكلى و هياتى و فلكى و زمينى جز صورت معينى و حقيقتى و هياتى اجتماعى نيست از توجّهات اسماء و حقائق إلهى يا كونى در عالم غيب و معانى. و اسماء و حقائق إلهى و كونى متفاوت الدرجاتند در حيطت و شرف و تأثير و غير آن، لاجرم بعضى از ازمنه و امنكنه را كه تبع و صورت اين اسماء و صفاتند بر بعضى فضل و شرف حاصل آمد تا قربات و طاعاتى كه به بعضى متعلق است در نتيجه و اثر و خاصيت و قوت زيادت از ديگرها است؛ چنانكه نصوص إلهى و احاديث نبوى ناطق است به فضائل ازمنه چون رمضان و ليله القدر و يوم الجمعة و مثل آن، و به شرف امكنه چون حرمين و بيت المقدس و مسجد اقصى و جز آن، و فضائل اعمالى كه به ايشان متعلق است چون نماز و روزه و احياء بعضى ليالى و سعى و طواف و وقوف و زيارت و امثال اين»؛ راجع: «مشارق الدرارى» ص ٣٢٦.

وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ «الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»، وَ «الَّذِينَ يُؤْثَرُونَ بِمَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ»، أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ، وَ مِنَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَ هُمْ لَهَا سَابِقُونَ.

فسَيروا «الصالح» بـ: أَنَّهُ القائم بما يلزمه من حقوق الله _ سبحانه _ و حقوق الناس؛ و قيل: «هو الذي نور بنور السكينة بعد إهلاك فواسق قوى الشهويّة و الغضبيّة بالرياضة».

و «الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ» (١) أى: ينالونها و يملكونها كما ينال الوارث الإرث بجامع الحصول من غير كدّ و تعب، فكأنّه شبّهها بالميّراث. قال بعض المفسّرين: «إِنَّ لِكُلِّ أَحَدٍ مَكَانًا فِي الْجَنَّةِ وَ مَكَانًا فِي النَّارِ. فَإِذَا كَانَ الشَّخْصُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ بَقِيَ مَكَانُهُ فِي الْجَنَّةِ خَالِيًا، فَأَخَذَ مَكَانَهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ»؛ و هو المروى عن الأئمّة المعصومين حيث قالوا: «إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرِثُونَ مِنَ الْكَافِرِينَ مَنَازِلَهُمْ فِيهَا حَيْثُ فَرَّقُوها عَلَى أَنْفُسِهِمْ، لِأَنَّهُ _ تَعَالَى _ خَلَقَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَنَزَلًا فِي الْجَنَّةِ وَ مَنَزَلًا فِي النَّارِ» (٢)؛

و قال بعضهم فى تفسير الآية: «الفردوس ميراث الأعمال، و مجالسه الحقّ ميراث رؤيه النعمه و الإفضال».

و قال الشيخ سعدالدين (٣) الفرغانى ما معناه: «إِنَّ النِّعَمَ الْجَنَائِيَّةَ ثَلَاثَةٌ:

الأوّل: جنّه الأفعال، و فيها تتصوّر كلّ فعلٍ حسنٍ و عملٍ صالحٍ بصورة روضهٍ أو قصرٍ أو حورٍ أو شجرٍ؛

و الثانى: جنّه الإمتنان، و ليست فى مقابله عملٍ _ و قيل: «بل يعطى بمحض الفضل و المنّة» _ ؛

ص : ٤٩

١- ١. كريمه ١١ المؤمنون.

٢- ٢. لم أعثر عليه، و رواه المحدث الجزائري، راجع: «نور الأنوار» ص ١٨٤.

٣- ٣. كذا فى النسختين.

و الثالث: جَنَّة الميراث، و إليه الإشارة بقوله _ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ _ : «ما منكم من أحدٍ إلّا و له منزلان: منزلٌ في الجَنَّة، و منزلٌ في النار. فان مات و دخل في النار ورث أهل الجَنَّة منزله» (١)؛ و ذلك قوله _ عَزَّ وَ جَلَّ _ : «أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ» (٢) (٣).

و قال بعضهم: «و ليس في النار نار ميراثٍ و لا نار اختصاصٍ، و أمّا ثَمَّ نار أعمالٍ، فمنهم من عَمَّرَها بنفسه و عمله الَّذي هو قرينه؛ و من كان من أهل الجَنَّة بقي عمله الَّذي كان في الدنيا على صورته في المكان من النار». و هو الَّذي لو كان من أهلها صاحب ذلك العمل لكان فيه، فإنَّه من ذلك المكان وجود ذلك العمل، و هو خلاف ما كَلَّف من فعلٍ و تركٍ؛ فعاد إلى وطنه كما عاد الجسم عند الموت إلى الأرض التي خلت منها؛ و كلَّ شَيْءٍ يعود إلى أصله و إن طالَّت المدَّة.

و التحقيق: إنَّ درجات الجَنَّة على عدد دركات النار، فما من درجَةٍ من الجَنَّة إلّا- و مقابله دركٌ من النار. و ذلك أنَّ الإنسان لا يخلو إمّا أن يعمل بالأمر، أو لا يعمل؛ فان عمل كان له في الجَنَّة درجَةٌ معيَّنة لذلك العمل خاصَّة؛ و في موازنه هذه الدرجه المخصوصه لهذا العمل الخاص إذا تركه الإنسان دركٌ في النار لو سقطت حصاءً من تلك الدرجه لوقعت على خطِّ استواءٍ على ذلك الدرك. فإذا سقط الإنسان من العمل بما أمر فلم يعمل كان ذلك الترك لذلك العمل عين سقوطه إلى ذلك الدرك؛ قال الله _ تعالى _ : «فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ» (٤)،

ص : ٥٠

١- ١. لم أعثر عليه.

٢- ٢. كريمتان ١٠، ١١ المؤمنون.

٣- ٣. إشارة إلى قوله حيث قال: «و آن منقسم است بر سه قسم: یکی را جَنَّة الاعمال گویند که هر فعلی نیکو و عمل صالح در وی بصورت درختی و قصری و حوری مصوّر می شود، ... دوّم را جَنَّة الإمتنان گویند که در مقابله هیچ عملی و قولی و مقصودی از عامل کرامت کرده نیاید، بل بمحض فضل و مَنّت داده شود، ... و سوّم جَنه الميراثست» _ و تتمّه العبارة منقولهُ منه حرفياً _ ؛ راجع: «مشارق الدراری» ص ٢٠٥.

٤- ٤. کریمه ٥٥ الصافات.

فإن الإطلاع على الشيء إنما يكون من أعلى إلى أسفل. و السواء: حدّ الموازنه على الاعتدال، فما رآه إلا في ذلك الدرك الذى فى موازنه درجته، فإن العمل الذى نال به هذا الرجل تلك الدرجه تركه هذا الرجل الآخر الذى كان قرينه فى الدنيا بعينه.

و لما كان الموحد منعه التوحيد و طينته _ التى من عليين _ أن يكون من أهل النار، و المشرك قطع به الشرك و طينته _ التى من سجين _ من دار الكرامه؛ فجميع جزاء علم المشرك و عمله و قوله الذى لو كان موحداً جرى عليه فى الجنه بحسبه يعطى للموحد الجاهل بذلك العلم المفرط فى ذلك العمل التارك لذلك القول؛ و جميع جزاء جهل الموحد و تفريطه و تركه لذلك القول الذى لو كان مشركاً لحصل له فى النار _ يعطى لذلك المشرك الذى لاحظ له فى الجنه. فإذا رأى المشرك ما كان يستحقه لو كان سعيداً يقول: يا رب! هذا لى و هو جزاء عملى!

فيقول الله _ تعالى _ : قد جاريتهك على ذلك كله بما أنعمت به عليك من كذا و كذا، فيقرر عليه جميع ما أنعمه عليه فى الدنيا جزاء لمكارم أخلاقه و القول بها و التحريص عليها و العلم بواقعها دون نعمه التمسه عليه فى خلقه المبتدء التى ليست بجزاء، فيراها المشرك هنالك بما قد كشف الله له من علم الموازنه فيقول: صدقت!

فيقول الله له: فما نقصت لك من جزائك شيئاً، و الشرك قطع بك من دخول دار الكرامه، فتنزل فيها على موازنه هذه الأعمال. و لكن أنزل من النار على دركات من نزل على درجات تلك الأعمال، فإن صاحبها منعه التوحيد أن يكون من أهل هذه الدار. فهذا هو المراد من الميراث الذى بين أهل الجنه و النار، كما ورد فى الآيات و الأخبار من الأئمه الأطهار؛ منها الأخبار المذكوره.

فان قلت: كيف يعطى المشرك جزاء معصيه الموحد و يعطى الموحد جزاء طاعه المشرك؟! و كيف يليق هذا بالعدل؟!

قلنا: ذلك لأنّ المشرك بحسب مقتضى طينته الخبيثه إنّما يحزنّ و يسرع إلى المعاصى بطبعه و سجيته، و خميره معقود على فعلها دائماً إن تيسر له، لأنّه من أهلها _ كما قال الله تعالى

فيهم: «وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ» (١) _ ، و الأفعال الحسنه غريبه منه ليست صدورها من طينته الأصلية. و هذا بخلاف المؤمن، فإنه بحسب مقتضى طينته الطيبة يرتكب أفعال القبيح بكره من عقله و وجل من قلبه و خوف من ربه _ لأن صدوره غريب منه و من سجيته و طبعه الأصلي، إذ ليس هو من أهله _ . و لهذه لايعاقب عليه، بل يثاب بما لم يفعل من الخيرات لحينه إليها و حرصه عليها و عقد ضميره على فعلها دائماً إن تيسر له؛ «فإن الأعمال بالنيات» (٢)، و «إنما لكل امرئ ما نوى» (٣). و إنما ينوى كل بما يناسب طينته الأصلية و يقتضيه جبلته التي خلق عليها؛ قال الله _ تعالى _ : «قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرُبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا» (٤)، و في الحديث: «إنما يجمع الناس الرضا و السخط» (٥)؛ فمن يرضى شيئاً فكأنما أتى به و إن لم يفعله، و من سخط شيئاً فكأنما لم يأت به و إن فعله.

و كما يجازى المشرك بحسناته في الدنيا بالنعم الدنيوية، كذلك الموحد يجازى بسيئاته في الدنيا بما يصيبه من الآلام فيها، ثم بتشديد الموت عليه، ثم بعذاب البرزخ ان بقى من الجزاء بقيه حتى يلقى الله طاهراً مطهراً _ كما ورد في الآيات و الأخبار _ .

و أصل «الفردوس»: البستان، و جمعه: فراديس؛ و قال في القاموس: «الفردوس: البستان التي (٦) يجمع كل ما في البساتين (٧). و قد تؤنث، عربيّة أو روميّة نقلت، أو سريانيّة» (٨).

ص : ٥٢

- ١- ١. كريمه ٢٨ الأنعام.
- ٢- ٢. راجع: «التهذيب» ج ١ ص ٨٣ الحديث ٦٧، «وسائل الشيعة» ج ١ ص ٤٨ الحديث ٨٨، «مستدرک الوسائل» ج ١ ص ٩٠ الحديث ٥٨، «دعائم الإسلام» ج ١ ص ١٥٦، «عده الداعي» ص ٢٧.
- ٣- ٣. راجع: «التهذيب» ج ٤ ص ١٨٦ الحديث ٢، «وسائل الشيعة» ج ١٠ ص ١٣ الحديث ١٢٧١٣، «بحار الأنوار» ج ٦٧ ص ١٨٦، «عوالي اللئالي» ج ١ ص ٣٨٠ الحديث ٢.
- ٤- ٤. كريمه ٨٤ الإسراء.
- ٥- ٥. راجع: «وسائل الشيعة» ج ١٦ ص ١٤٠ الحديث ٢١١٨٥، «مستدرک الوسائل» ج ١٢ ص ١٠٨ الحديث ١٣٦٤٩، «الغارات» ج ٢ ص ٣٩٨، «المحاسن» ج ١ ص ٢٦٢ الحديث ٣٢٣.
- ٦- ٦. المصدر: _ التي.
- ٧- ٧. المصدر: + تكون فيه الكروم.
- ٨- ٨. راجع: «القاموس المحيط» ص ٥٢٠ القائمه ٢.

و قوله: «هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» (١) أى: دائمت بقاؤهم فيها لا يموتون فيها ولا يخرجون عنها أبداً.

و «الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا» أى: يعطون ما أعطوا من الصدقات؛

«وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ»: خائفه أن لا يقبل منهم و أن لا يقع على الوجه اللائق، فيؤاخذون به. قال بعضهم: «وجل المحسن على إحسانه أن يرد عليه أكثر من رجاء المسيء أن يغفر له إساءته!».

«إِنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ» (٢)، لأنّ مرجعهم إليه و هو يعلم ما يخفى؛ أو: أنّ قلوبهم خائفه من أنّ مرجعهم إليه. و قيل: «أى: اجعلنا من الذين غلب عليهم الخوف و الخشية حيث يخشون من الرجوع إلى الله، لأنّهم علموا أن لا يخفى على الله شىء، و لا جور فى حكمه».

و «من الذين يسارعون فى الخيرات» أى: يرغبون فى الطاعات أشدّ الرغبة، فيبادرون إليها؛ أو: أنّهم يتعجلون فى الدنيا المنافع و وجوه الإكرام _ كما قال: «فَاتَّاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَ حَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ» _.

و «هم لها سابقون» أى: فاعلون السبق و سابقون الناس لأجلها؛ أو إياها سابقون، أى ينالونها قبل الآخره حيث عجلت لهم فى الدنيا.

و فى هذه الفقرات إقتباسان من قوله _ تعالى _ فى سورة المؤمن، أحدهما من أوائلها و الثانى من أثنائها. و فيه دليل على جواز تغيير لفظ المقتبس بزياده أو نقصان، أو نحو ذلك. و فى عطفه _ عليه السلام _ قوله: «و الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا» على قوله: «الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفَرْدُوسَ» و جعل الموصولين صفتين لموصوف واحد مع أنّ كلاهما فى القرآن _ بحسب الظاهر _ عبارة عن طائفه أخرى _ فالموصول الأول أعنى: «الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفَرْدُوسَ»

ص : ٥٣

١- ١. كريمه ١١ المؤمنون.

٢- ٢. كريمه ٦٠ المؤمنون.

عبارة عن المؤمنين المذكورين في مفتاح السوره، و الموصول الثانى أعنى: «الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ» (١) عبارة عن «الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ» (٢) المذكورين فى أثناء السوره _ إشارة إلى ان «الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ» هم المؤمنون المذكورون فى أوّل السوره.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، فِي كُلِّ وَقْتٍ وَ كُلِّ أَوَانٍ وَ عَلَى كُلِّ حَالٍ عَدَدَ مَا صَلَّيْتَ عَلَى مَنْ صَلَّيْتَ عَلَيْهِ، وَ أَضْعَافَ ذَلِكَ كُلِّهِ بِالْأَضْعَافِ الَّتِي لَا يَحْصِيهَا غَيْرُكَ، إِنَّكَ فَعَّالٌ لِمَا تُرِيدُ.

قال الفاضل الشارح: «الوقت: مقدارٌ من الزمان مفروضٌ لأمرٍ ما.

و «الأوان»: الحين، و هو الزمان _ قلّ أو كثر _ ، سواءً كان مفروضاً لأمرٍ أم لا. فكلّ وقتٍ حينٌ دون العكس. فعطف قوله: «و كلّ أوانٍ» على «كلّ وقتٍ» من باب عطف العام على الخاصّ» (٣)؛ انتهى. و قد مرّ معناهما فى اللمعة الأولى.

و «عدد» منصوبٌ بنزع الخافض، أى: كعدد.

و «ضعف» الشىء: مثله.

و «أضعافه»: مثلاه؛ و «أضعافه»: أمثاله.

و «إِنَّكَ فَعَّالٌ لِمَا تُرِيدُ» تعليلٌ للدعاء.

و «فَعَّالٌ» مبالغةٌ فى الفعل، و هو الذى لا يشذّ عنه فعلٌ؛ أى: لا يمتنع عليك شىءٌ تريده و لا يعجزك أمرٌ تشاؤه، بل كلّ ما تريده فإنّك تفعله ألبيته لا يصرفك عنه صارفٌ و لا يمنعك منه مانعٌ.

ص : ٥٤

١- ١. كريمه ٦٠ المؤمنون.

٢- ٢. كريمه ٥٧ المؤمنون.

٣- ٣. راجع: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٩١.

هذا آخر اللمعه الرابعه و الأربعين من لوامع الأنوار العرشية، وفقنى الله _ تعالى _ لإتمامها صبيحه يوم الأربعاء لثلاث بقين من محرم الحرام سنه الثلاث و الثلاثين و المأتين و الألف (١) من الهجره النبويه _ عليه آلاف الثناء و التحية من الحضرة الأحديه _ .

ص : ٥٥

١ - ١. كذا فى النسختين.

اللمعة الخامسة والأربعون في شرح الدعاء الخامس والأربعين

ص : ٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نَدَّبنا على وداع شهر رمضان «الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» (١) إكراماً له و لنا بالإحسان و الإمتنان، و الصلاه و السلام على نبيّه المبعوث على الإنس و الجن، و على آله و أهل بيته المخصوصين بفهم القرآن.

و بعد؛ فهذه اللمعه الخامسه و الأربعون من لوامع الأنوار العرشيّه في شرح الصحيفة السجاديّه _ عليه و على آباءه و أبنائه صلوات غير متناهيه _ ، إملاء المرتجى لوداع شهر رمضان في كلّ سنهٍ جديدهٍ مادام العمر باقياً من الحضرة الأحديّه محمّد باقر بن السيّد محمّد من السادات الموسويّه _ غفر الله له في يوم الآخره _ .

وَ كَانَ مِنْ دُعَائِهِ _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ فِي وَدَاعِ شَهْرِ رَمَضَانَ.

قال في القاموس: «ودعه _ كوضعه _ و ودّعه بمعنًى، و الإسم: الوداع. و هو: تخليف المسافرين الناس خافضين، و هم يوَدّعونه إذا سافر تفاؤلاً و لا بالدعه التي يصير إليها إذا قفل، أى: يتركونه و سفره» (٢).

ص : ٥٩

١- ١. كريمه ١٨٥ البقره.

٢- ٢. راجع: «القاموس المحيط» ص ٧١٠ القائمه ٢.

فان قلت: ما معنى وداع شهر رمضان و هو ليس ممّا يخاطب باللسان؟!

قلت: قد تكرر لك في هذا الكتاب أنّ النطق و الشعور لكلّ موجودٍ بحسب نحو وجوده و حسب نفسه الّتى تعلّقت به، و أنّ أحكام حقيقه الشىء و آثاره و خواصّه تختلف بحسب مواطنه و مقاماته، فله مخاطبته و محادثته بلسانه؛ فالجواب الحقيقى هو ما ذكرناه لك.

و قال السيد الجليل ابن طاوس: >«فالجواب: إنّ عادته ذوى العقول قبل الرسول و مع الرسول و بعد الرسول قد جرت بمخاطبه الديار و الأوطان و الشباب و أوقات الصفا و الأمان و الإحسان ببيان المقال، و هو محادثته لها بلسان الحال. فلمّا جاء أدب الإسلام أمضى ما شهدت بجوازه من ذلك أحكام العقول و الأفهام و نطق به مقدّس القرآن المجيد، فقال _ جلّ جلاله _ : «يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ»(١)، فأخبر أنّ جهنّم تردّ الجواب بالمقال، و هو إشارة إلى لسان الحال. و ذلك كثيرٌ فى القرآن الشريف و فى كلام الأئمّه _ عليهم السلام _ و فى كلام أهل التعريف. فلا يحتاج أولوا الأبواب إلى الإطالة فى الجواب. فلمّا كان شهر رمضان ذوالعنايه فى أهل الإسلام و الإيمان صحبته أفضل لهم من صحبه الديار و المنازل و كان أنفع لهم من الأهل و أرفع من الأعيان و الأمائل، اقتضت دواعى لسان الحال أن يودّع عند الفراق و الانفصال»(٢)؛ انتهى كلامه.

و فى إصطلاح أهل البيان من باب الإستعاره المكثيه التخيليه، شبّه شهر رمضان بالصاحب الّذى عزم على السفر بجامع الذهاب، ثمّ طوى ذكر المشبّه به و ذكر المشبّه، و جعل إثبات الوداع له تنبيهاً على ذلك(٣).

و اختلفوا فى وقت دعاء الوداع؛ قال بعضهم: «آخر ليله من الشهر»، و هو المعتمد، لتوقيع صاحب الزمان _ عليه السلام _ فى جواب كتاب أهل الأهواز كذلك(٤)؛

ص : ٦٠

-
- ١- ١. كريمه ٣٠ ق.
 - ٢- ٢. راجع _ مع تغييرٍ يسير _ : «الإقبال» ج ١ ص ٤١٩.
 - ٣- ٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ١٠٥.
 - ٤- ٤. لم أعثر على هذا التوقيع، وانظر: «بحار الأنوار» ج ٩٤ ص ٢٦، «فقه الرضا» ص ٢٠٨، «المقنعه» ص ١٩١. و قال المحدث الجزائري: «و فى توقيع صاحب الزمان فى جواب كتابه [كذا فى المطبوعه] محمد بن عبدالله بن جعفر الحميرى استحباب قراءته آخر ليله من الشهر»؛ راجع: «نور الأنوار» ص ١٨٥.

>وقيل: «باستحباب قرائته آخر يوم من الشهر»؛

وقيل: «فى ليلة العيد»، و يؤيده ما سيأتى من قوله _ عليه السلام _ : «السلام عليك ما أحرصنا بالأمس عليك و أشد شوقنا غداً إليك»؛

وقيل: «بما يسمّى آخره عرفاً»^(١)؛ <

و قال السيّد الجليل علىّ بن طاوس _ رحمه الله _ : «اجتهد فى وقت الوداع على إصلاح السريره، فالإنسان «على نفسه بصيرة»^(٢)؛ فمتى وجدت نفسك على حالٍ صالحٍ فى صحبه شهر رمضان فودّعه فى ذلك الأوان وداع أهل الصفاء و الوفاء، و اقض من حقّ التأسّف على مفارقتة و بعده ما فاتك من شرف ضيافته و فوائد رفده، و أطلق من ذخائر دموع الوداع ما جرت به عوائد الأحبه إذا تفرّقوا بعد الاجتماع»^(٣)؛ انتهى.

>وقد ورد عن رسول الله _ صلى الله عليه و آله و سلّم _ أنّه أمر بوداع شهر رمضان فى آخر جمعه منه، و هو ما رواه الشيخ جعفر بن محمّد الدورى^(٤) _ رحمه الله _ فى كتاب الحسنى^(٥) بإسناده عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال: «دخلت على رسول الله _ صلى الله عليه و آله و سلّم _ فى آخر جمعه من شهر رمضان، فلمّا بصر بى قال لى: «يا جابر! هذه آخر جمعه من شهر رمضان، فودّعه و قل: «اللهم لاتجعل آخر العهد من صيامنا إياه، فان جعلته فاجعلنى مرحوماً و لاتجعلنى محروماً»، فأنه من قال ذلك ظفر بإحدى الحسينين: إمّا ببلوغ شهر رمضان من قابل، أو بغفران الله و رحمته»؛

ص : ٦١

١- ١. قارن: «نور الأنوار» ص ١٨٥.

٢- ٢. كريمه ١٤ القيامة.

٣- ٣. راجع: «الإقبال» ج ١ ص ٤٢١، مع حذف.

٤- ٤. المصدر: الدر وبسى.

٥- ٥. لم أعثر عليه، و الظاهر أنّه منقولٌ عن نفس المصدر المذكور فى التعليقه السالفه ص ٤٢٢، فراجع.

و على هذا فينبغي وداعه في آخر جمعه منه و آخر ليله منه، جمعاً بين الروايات (١) <.

قال _ صلوات الله و سلامه عليه _ :

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا يَرْغَبُ فِي الْجَزَاءِ، وَيَا مَنْ لَا يَنْدَمُ عَلَى الْعَطَاءِ، وَيَا مَنْ لَا يَكْفِي عَبْدُهُ عَلَى السَّوَاءِ. مَنَّكَ ابْتِدَاءً، وَ عَفُوكَ تَفْضُّلاً، وَ عُقُوبَتَكَ عَدْلًا، وَ قَضَاؤُكَ خَيْرَةً.

«لا يرغب في الجزاء» أى: لا يريد الجزاء على الإعطاء، بل يتفضل على من يشاء؛ لأن الراغب في الجزاء محتاج، و الله هو الغنى لنفسه. يقال: رغبت في الشيء: إذا أردته.

و «الجزاء»: المكافات.

<و «لا يندم على العطاء»، يقال: ندم على الشيء نداماً و ندامه أى: أسف على ما وقع و تمنى أنه لم يقع (٢) >. قال بعض المحققين: «تنزيهه _ تعالى _ عن الندم إما مطلقاً، فلأن حقيقة تحسّر النفس و غمها من تغيير رأي في أمر فائت، و ذلك محال عليه _ سبحانه _ من وجهين:

أحدهما: أن التحسّر و الغم من توابع المزاج، و لما كان البارى _ عزّ و جلّ _ منزهاً عن الجسميّة و المزاج و جب أن يكون منزهاً عن التحسّر و الغم؛

الثانى: أن تغيير الرأى فى أمر فائت إنما يكون عن الجهل بعواقب الأمور و ما يترتب على ذلك الأمر _ من نفع و ضرر _، و الجهل عليه _ تعالى _ محال.

و أما الندم على خصوص العطاء فهو محالٌ عليه _ سبحانه _ من وجوه:

أحدها: ما علمت من استحاله مطلق الندم عليه، فيمتنع الندم على خصوص العطاء عليه _ جلّ جلاله _، لأن نفي العام يقتضى نفي الخاص؛

الثانى: إن الندم على العطاء إنما يكون لأحد الأمرين:

إما لتضرر المعطى بذلك العطاء الذى ندم عليه، و التضرير على الله _ تعالى _ محال؛

ص : ٦٢

١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ١٠٧.

٢- ٢. قارن: نفس المصدر و المجلد ص ١١٠.

و إما لظهور عدم قابليته من أعطاه لذلك العطاء، فيتمنى أنه لم يقع؛ و ذلك محالٌ عليه _ سبحانه _ لاستلزامه الجهل السابق، و هو محالٌ _ كما عرفت _ ؛

الثالث: ما يصدر عنه _ تعالى _ من عطاءٍ و منع مضبوطٌ بنظام الحكمه و العدل _ كما قال في محكم كتابه: «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ» (١)، أى: متلبساً بمقدارٍ معيّنٍ تقتضيه الحكمه و تستدعيه المشيئه التابعه لها _ ، و ما كان عن حكمه مقتضيه له يستحيل الندم عليه» (٢)؛ انتهى كلامه.

قوله _ عليه السلام _ : «و يا من لا يكافىء عبده على السواء»، > يعنى: لا يعامل المجرمين بالعدل، بل عاملهم بالفضل و أنه إذا عمل أحدٌ خيراً فى جنبه لا يعامله بالعدل بأن يجازيه بالحسنه حسنه، بل (٣) < يكافيه بأضعافٍ مضاعفه.

> «متنك ابتداءً» أى: نعمتك مبتدئاً لا عن إستحقاقٍ، كما جاء فى الدعاء: «يا من بدء بالنعمة قبل استحقاقها» (٤) (٥). < و هذه الفقره ناظره إلى الفقره الأولى، لأنه إذا لم يرغب فى الجزاء فيعطى لا من استحقاقٍ.

و «عفوك تفضّل» أى: غير واجبٍ عليك ولا- لازمٌ لك، بل بمجرد التفضّل. و هذه ناظره إلى الثانيه، لأنه إذا لم يراع العدل و المساواه فيتفضّل.

و «عقوبتك عدلٌ» لاستحاله الظلم و الجور عليه _ تعالى، كما تقدّم الكلام عليه _ .

> «قضاؤك خير» أى: حكمك اختياراً. و «الخيره» _ بكسر الخاء المعجمه و سكون الياء المثناه من تحتٍ و فتحها _ : اسمٌ من الإختيار، و هو: فعل ما هو خيرٌ؛ أى: لا تقضى و لا تحكم إلا بما هو خيرٌ و إن خفى وجه ذلك علينا، فعدم العلم بالشىء لا يستلزم العلم

ص : ٦٣

١- ١. كريمه ٢١ الحجر.

٢- ٢. هذا كلام المحقق المدني، راجع: نفس المصدر.

٣- ٣. قارن: «نور الأنوار» ص ١٨٥، مع تغييرٍ يسير.

٤- ٤. راجع: «البلد الأمين» ص ٣٨٢، «مفتاح الفلاح» ص ١٠٠، «مهج الدعوات» ص ١٧٩، «بحار الأنوار» ج ٩١ ص ٢٧٤.

٥- ٥. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ١١٢.

بعدمه(١) <. وقد عرفت سابقاً أنه «لَا يَغْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ» (٢) ولا يخرج عن قدرته و سلطانه شيء من عالمي الملك و الملكوت، و الحجاب إنما يكون بالقياس إلى الأسباب المكتنفة بالعبد، و بالنظر إلى العلوم الحادثة الزمانيه المتجدده حسب تجدد الأحوال و الآجال و الأمكنه و الأوضاع؛ و أما بالقياس إلى ذات القيوم و علمه المحيط بالكل فلا.

و قد ثبت في الحكمه ان الخير برضاه و قضاء جملة و تفصيلاً _ بقضائه جملة، وبقدره تفصيلاً _ . فالإرادة الأولى الرضائية تؤدي إلى الخير و السعادة لطائفه بالقياس إلى عالم، و إلى الشرّ لطائفه أخرى بالقياس إلى عالم آخر؛ كما في الحديث الإلهي: «هؤلاء خلقتهم للجنة و لأبالي، و هؤلاء خلقتهم للنار و لأبالي» (٣)، و قوله _ تعالى _ : «وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ» (٤).

و أمّا التوبيخ و التخويف و الزجر و الإيعاد و ما يقابلها _ من التحسين و النصيحة و التعظيم و البشارة و الوعد و الوعيد و غير ذلك _ فهي من جملة الأسباب القدرية و من المهيجات للدواعي الشهوية و الأشواق و البواعث على الأعراض و المحركات، كسائر الأمور القدرية الواقعة تحت الأسباب القريبه التي للاختيار فيها مدخل _ كما مرّ مراراً _ .

إِنْ أَعْطَيْتَ لَمْ تَشُبْ عَطَاءَكَ بِمَنْ، وَ إِنْ مَنَعْتَ لَمْ يَكُنْ مَنُوعَكَ تَعْدِيًا. تَشْكُرُ مَنْ شَكَرَكَ وَ أَنْتَ أَلْهَمْتَهُ شُكْرَكَ. وَ تُكَافِي مَنْ حَمَدَكَ وَ أَنْتَ عَلَّمْتَهُ حَمْدَكَ.

«لم تشب» من الشوب بمعنى: الخلط و المزج.

ص : ٦٤

١-١. قارن: نفس المصدر.

٢-٢. كريمه ٣ سبأ.

٣-٣. راجع _ مع تغيير _ : «المحجّج البيضاء» ج ٢ ص ٢٣٦، «مفاتيح الغيب» ص ١٧٠، «شرح الأسماء الحسنى» ج ١ ص ١٣١، «الأنوار الساطعه» ج ١ ص ١٧٤، و لم أعر عليه في مصادرنا الروائية.

٤-٤. كريمتان ١١٨، ١١٩ هود.

و «المن»: قولٌ يكدر العطاء و ينقصه، لما يتضمّن من التغيّر الّذى تنكسر منه القلوب، و لذلك نهى _ سبحانه _ عنه بقوله: «وَلَا تُبْطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَعْدَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ» (١)؛ و قد تقدّم الكلام عليه.

و «المنع» هنا: ضدّ العطاء.

و «التعدّي»: الظلم و تجاوز الحدّ. و نزل «أعطيت» و «منعت» هنا منزله اللازم لأنّ المعنى: إن وجد منك عطاءً أو منع لم يكن منعك جوراً و ظلماً، لما عرفت من أنّ عطاءه و منعه _ سبحانه _ لا يصدران إلّا بمقتضى الحكمة و العدل و اللطف، و بمقتضى العين الثابتة لكلّ شيءٍ.

«تشكر من شكرك» أى: تجازى بالنعم على شكره «و» الحال أنّك «ألهمته شكرك». و قيل: «شكره _ تعالى _ عبارة عن قبوله يسير العمل منهم و إثابتهم الكثير عليه» (٢)؛ و قد تقدّم الكلام عليه مفصّلاً.

و «تكافىء من حمدك» أى: تجازى جزاء الحمد «و» الحال أنّك «علّمته حمدك».

تَشْتَرُ عَلَى مَنْ لَوْ شِئْتَ فَضَحْتَهُ، وَ تَجُودُ عَلَى مَنْ لَوْ شِئْتَ مَنَعْتَهُ، وَ كِلَاهُمَا أَهْلٌ مِنْكَ لِلْفَضِيحَةِ وَ الْمَنَعِ غَيْرَ أَنَّكَ بَنَيْتَ أَفْعَالَكَ عَلَى التَّفْضِيلِ، وَ أَجَزَيْتَ قُدْرَتَكَ عَلَى التَّجَاوُزِ. وَ تَلَقَّيْتَ مِنْ عَصَاكَ بِالْحِلْمِ، وَ أَمَهَلْتَ مَنْ قَصَدَ لِنَفْسِهِ بِالظُّلْمِ، تَسْتَنْظِرُهُمْ بِأَنَاتِكَ إِلَى الْإِعْنَابِ، وَ تَتَرَكُ مُعَاجَلَتَهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ لِكَيْلَا يَهْلِكَ عَلَيْكَ هَالِكُهُمْ، وَ لَا يَشْقَى بِنِعْمَتِكَ شَقِيئُهُمْ إِلَّا عَنْ طَوْلِ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِ، وَ بَعْدَ تَرَادُفِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ، كَرَمًا مِنْ عَفْوِكَ يَا كَرِيمٌ، وَ عَائِدَةً مِنْ عَطْفِكَ يَا حَلِيمٌ.

ص : ٦٥

١- ١. كريمه ٣٦٤ البقره.

٢- ٢. كما حكاه المحقق المدني، راجع: «رياض السالكين» ج ٦ ص ١١٤.

«ستره» _ تعالى _ على عبده عبارة عن إخفاء مساوئه و معاييه، و تعديته بـ «على» لتضمّنه معنى الإشفاق و الإبقاء؛ أى: تستر على من لوشت فضيحه _ بسبب إستحقاقه الفضيحه _ فضحته و على من لوشت منعه _ بسبب إستحقاقه للمنع _ منعه؛ لأنّ حذف مفعول فعل المشيئه و الإراده مطرّد _ إذا وقع شرطاً _ عند اهل العريئه. و فائدته الأوقعيه فى النفس، فأنّه متى قيل: لوشت و لو شاء، علم السامع أنّ هناك شيئاً علقت المشيئه عليه، لكنّه مبهم عنده، فإذا جىء بجواب الشرط صار مبيناً.

> و «كلا»: اسم لفظه مفرد و معناه مثنى. و يلزم إضافته إلى مثنى _ نحو: قام كلا الرجلين _ ، أو إلى ضميره _ كما وقع فى عبارة الدعاء _ .

و قوله _ عليه السلام _ : «منك» و «للفضيحه» كلاهما متعلّق بـ «أهل»، لتأوّل بـ «مستحق» (١) <. و هذه الجملة حالیه، أى: مع أنّ كلّ واحدٍ ممّن سترت عليه و جُدت عليه مستحقّ لضدّ ذلك و الحرمان لأجل العصيان؛

إلاّ- «أنّك بنيت أفعالك على التفضّل»، فكلّمه «غير» بمعنى: «إلاّ» فى الإستثناء المنقطع، أى: لكنّك بنيت _ لأنّ كلّ استثناءٍ منقطعٍ يقدر بـ «لكن» عند البصريين، و الكوفيون يقدرونه بـ «سوى». قال بعض المحقّقين: «و يرده أنّها لاتفيد الاستدراك و المستثنى المنقطع للإستدراك و دفع توهم دخوله فى الحكم السابق» _ .

و «أجريت قدرتك على التجاوز» و العفو.

«و تلقّيت من عصاك بالحلم» أى: استقبلته به، لأنّ الحليم فعله كذلك، و أنت أحلم من كلّ حليم _ بل لالحليم إلا أنت! _ ، و قد تقدّم الكلام على الحلم؛ فتذكّر!.

«و أمهلت من قصد لنفسه بالظلم» أى: أنظرته و لم تستعجله لأن توفّقه التوبه؛ و قيل: «الظرف الأخير متعلّق بـ «قصد»، و «الباء» زائده أو بتضمنين مايتعدى بها. و يجوز أن تكون «الباء» للسببيّه و مفعول الفعل محذوف، أى: قصد المهالك و العذاب بسبب ظلمه؛ و

ص : ٦٦

الظرف الأول على هذا التقدير يجوز تعلّقه بالمصدر وإن تأخّر عنه»(١).

«تستنظرهم»، قيل: «من النظره بمعنى: الإمهال، وهو بيان للإمهال؛ أى: تستمهلهم بأناتك». و الظاهر أنّه >جمله مستأنفه للتعليل، أى: لأنّك تستنظرهم، يقال: انتظرته و استنظرته: إذا تأنّيت عليه، و لم تستعجله بأناتك أى: بتأخّر عقوبتك.

و «الأناه» _ على وزن حصاه _ : اسمٌ من: تأنّى فى الأمر أى: تمهّل(٢) <.

«إلى الإنابه» أى: إلى التوبه و الرجوع، فما بعده كعطف بيانٍ له.

«لكيلا يهلك عليك هالكهم».

>المراد بـ «الهلاك» هنا: الهلاك المعنويّ، و هو الموت على غير بصيره؛ و قد مرّ تفسيره فى اللمعه الأولى(٣).

«و لا يشقى بنعمتك». «الباء» للمصاحبه _ أى: مع وجودها _ ، أو للملابسه _ أى: متلبساً _ ، أو للسببيّه؛ فإنّ النعمه قد تبعث على الشقاوه، قال _ تعالى _ : «إِنَّ الْأَنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ * أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ فَذَكَرَ وَأَنذَرَ»(٤)(٥) <.

و الإستثناء من قوله _ عليه السلام _ : «إلاّ عن طول الإعذار إليه» مفرّغٌ، أى: و لا يشقى بنعمتك شقيهم >عن شىءٍ من الأشياء إلاّ عن طول الإعذار.

و «عن» بمعنى: بعد _ مثلها فى قوله تعالى: «عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصِيبُ مَنَ نَّادِمِينَ»(٦) _ ، أى: بعد طول الإعذار إليه؛ يقال: أعذر إليه فى الأمر إعذاراً أى: بالغ فى العذر. قال الزمخشريّ: «أى: فى كونه معذوراً؛ و منه المثل: قد أعذر من أنذر»(٧)(٨) <.

ص : ٦٧

١- ١. هذا قول محدّث الجزائرى، راجع: «نور الأنوار» ص ١٨٥.

٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ١١٨.

٣- ٣. المصدر: _ و قد مرّ ... الأولى.

٤- ٤. كريمتان ٦، ٧ العلق.

٥- ٥. قارن: «نور الأنوار» ص ١٨٥.

٦- ٦. كريمه ٤٠ المؤمنون.

٧- ٧. قال: «و قد أعذر من أنذر، أى: بالغ فى العذر أى: فى كونه معذوراً»؛ راجع: «أساس البلاغه» ص ٤١٢ القائمه ١.

٨- ٨. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ١١٩.

و «ترادف الحجة»: تتابعها.

و نصب «كرماً» و «عائده» على الحال، أى: حال كون ذلك كرمًا من عفوك و عائده من عطفك.

و «العائده»: الصلة و التفضل.

و «العطف»: الشفقة و العطفه، مستعارٌ من: عطفت الشيء عطفًا أى: حنوته؛ و منه: «العاطفه» للرحم.

أَنْتَ الَّذِي فَتَحْتَ لِعِبَادِكَ بَابًا إِلَى عَفْوِكَ وَ سَمَّيْتَهُ التَّوْبَةَ، وَ جَعَلْتَ عَلَى ذَلِكَ الْبَابِ دَلِيلًا مِنْ وَحْيِكَ لِثَلَا يَضِلُّوا عَنْهُ، فَقُلْتَ _ تَبَارَكَ اسْمُكَ _ : «تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ يُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزَى اللَّهُ النَّبِيَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بَايَمَانِهِمْ، يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَ اغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ». فَمَا عَذْرُ مَنْ أَغْفَلَ دُخُولَ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ بَعْدَ فَتْحِ الْبَابِ وَ إِقَامَةِ الدَّلِيلِ.

«أنت» فى محلّ الرفع على الابتداء، و خبره الموصول، و الجملة مسوَّقة لتقرير ما قبلها.

و «سميته» أى: ذلك الباب.

«دليلاً من وحيك»، قيل: «يعنى: بموجب الوحي أعلمت العباد»؛

و قيل: «هو الآيه الآتية؛ و احتمال إرادته _ صلى الله عليه و آله و سلم _ بعيداً» (١).

«ثلاً يضلُّوا عنه» أى: الخلائق عن ذلك الباب.

و «الضلال» هنا بمعنى: الميل.

حو «تبارك» إمّا من البروكه المستلزمه للمقام فى موضع واحدٍ و الثبات فيه؛ و إمّا من

ص : ٦٨

البركة بمعنى: الزيادة والنمو. وبالإعتبار الأول إشارة فيه إلى عظمته _ باعتبار دوام بقاءه و تحقّق وجوده _، و بالإعتبار الثاني فيه إشارة إلى فضله و إحسانه و لطفه و هدايته(١) <.

و «تبارك اسمك» أى: تنزّه عن شوائب النقص. وإذا كان هذا حال اسمه _ بملاسه دلالة عليه _ فما ظنك بذاته الأقدس الأعلى!.

و «التوبة» قد تقدّم الكلام عليها مستقصىً.

و «النصوح» بفتح النون على المشهور، و بضّمّها على روايه أبيبكر عن عاصم أنّه قرأ: «نُصُوحاً»(٢) _ بالضمّ(٣). و هو مصدر: نصح، فإنّ النصح و النصوح كالشكر و الشكور _ . أى: توبه ذات نصوح، أو بنصح نصوحاً، أو: توبوا لنصح أنفسكم _ على أنّه مفعول لأجله _ .

و على الأول قيل: «فيها ضروبٌ من التفسير:

الأول: أنّ المراد بها توبه تنصح الناس، أى: تدعوهم إلى الإتيان بمثلها، لظهور آثارها الحسنه على صاحبها فيقلع عن الذنوب ثم لا يعود إليها أبداً؛

الثانى: أنّها الخالصة له _ تعالى _، من قولهم: غسل نصوح: إذا كان خالصاً من الشمع؛

الثالث: أنّ النصوح مأخوذٌ من نصاحه الثوب، أى: خياطته، أى: توبه تخطيط و ترقّع خروقكم فى دينكم، لأنّ العصيان يخرق الدين و التوبه ترقّعه؛ أو أنّها تجمع بين التائب و بين أولياء الله كما تجمع الخياطه بين قطع الثوب؛

الرابع: أنّ النصوح وصفٌ للتائب، و إسناده إلى التوبه من قبيل الإسناد المجازى، أى: توبه ينصحون بها أنفسهم و يمحوون بها سيئاتهم لا يكون فيها شوب رياء و لانفاق(٤) - (٥).

ص : ٦٩

١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ١٢٣.

٢- ٢. كريمه ٨ التحريم.

٣- ٣. كما عن نافع و الأعرج و عيسى و شعبه و غيرهم أيضاً، راجع: «البحر المحيط» ج ٨ ص ٢٩٣، «التبيان» ج ١٠ ص ٥٠، «تفسير الطبرى» ج ٢٨ ص ١٠٨، «تفسير القرطبي» ج ١٨ ص ١٩٩.

٤- ٤. هذا قول محدث الجزائرى مع زياده ما، راجع: «نور الأنوار» ص ١٨٥.

٥- ٥. و انظر: «مرآه العقول» ج ١١ ص ٢٩٥.

و فى الكافى (١) عن أبيالصبح الكنانى قال: سألت أبا عبد الله _ عليه السلام _ عن قول الله _ عز و جل _ : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا» (٢) قال: «يتوب العبد من الذنب ثم لا يعود فيه»؛

و عن الصادق: «إنَّ النصوح هو أن يكون باطن الرجل كظاهره و أفضل» (٣)؛

و قال _ عليه السلام _ : «إذا تاب الرجل توبه نصوحاً أحبه الله _ تعالى _ ، فستر عليه فى الدنيا و الآخرة.

فقلت: و كيف يستر عليه؟

قال: ينسى ملكيه ما كتب عليه من الذنوب، و يوحى إلى جوارحه: أكتمى عليه ذنوبه، و يوحى إلى بقاع الأرض: أكتمى ما كان يعمل عليك من الذنوب؛ فيلقى الله و لا يشهد عليه أحد» (٤)؛

و روى أنَّ أمير المؤمنين _ عليه السلام _ سمع أعرابياً يقول: أَللّهُمَّ ائْنِ اسْتَغْفِرْكَ وَ أَتُوبُ إِلَيْكَ؛ فقال: «يا هذا! إنَّ سرعه اللسان بالتوبه توبه الكذابين!،

قال: و ما التوبه!

قال: يجمعها ستّه أشياء: على الماضى من الذنوب الندامه، و على الفرائض الإعاده، و ردّ المظالم و استحلال الخصوم، و أن تعزم على أن لاتعود، و أن تذيب نفسك فى طاعه الله كما

ص : ٧٠

١- ١. راجع: «الكافى» ج ٢ ص ٤٣٢ الحديث ٣، و انظر: «وسائل الشيعة» ج ١٦ ص ٧٢ الحديث ٢١٠١٢، «مستدرک الوسائل» ج ١٢ ص ١٢٨ الحديث ١٣٧٠٤.

٢- ٢. كريمه ٨ التحريم.

٣- ٣. راجع: «بحار الأنوار» ج ٦ ص ٢٢، «وسائل الشيعة» ج ١٦ ص ٧٧ الحديث ٢١٠٢٦، «معانى الأخبار» ص ١٧٤ الحديث ٣.

٤- ٤. راجع _ مع تغييرٍ _ : «الكافى» ج ٢ ص ٤٣٠ الحديث ١، «وسائل الشيعة» ج ١٦ ص ٧١ الحديث ٢١٠٠٩، «بحار الأنوار» ج ٦ ص ٢٨، «ثواب الأعمال» ص ١٧١.

رَبَّيْتَهَا فِي الْمَعْصِيَةِ، وَ أَنْ تَذِيْقَهَا مَرَارَهُ الطَّاعَاتِ كَمَا أَذَقْتُهَا حَلَاوَهُ الْمَعَاصِي»(١).

و قال بعض العرفاء: «النصوح في التوبة الصدق فيها و ترك ما منه تاب سرّاً و علناً، قولاً و فِكْراً»؛

و قال الواسطي: «التوبة النصوح لا تبقى على صاحبها أثراً من المعصية سرّاً و جهراً»(٢)؛

و قال بعضهم: «هي أن تترك الذنب كما أتيت و تبغضه كما أحببته»؛

و قيل: «التوبة النصوح التي يديم العبد على الإستقامه»؛

و قال رابعه العدويّ: «هي توبه لا يحتاج معها إلى توبه».

قوله _ تعالى _ : «عَسَى رَبُّكُمْ» _ ... إلى آخره _ .

>«عسى» فعلٌ جامدٌ لا يتصرّف. و لا يأتي منه إلّا الماضي، و من ثم ادّعى قومٌ أنّه حرفٌ. و إنّما لم يتصرّف فيه لتضمّنه معنى الحرف _ أى: إنشاء الطمع و الرجاء، كلعلّ، و الإنشاء أغلب من معاني الحروف _ ؛ و الحروف لا يتصرّف فيها. قال سيبويه: «عسى طمعٌ و إشفاقٌ»(٣)؛ فالطمع في المحبوب، و الإشفاق في المكروه. و معنى الإشفاق الخوف؛ و قد اجتمعا في قوله _ تعالى _ : «عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ عَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ»(٤).

قال الراغب: «و كثيرٌ من المفسّرين فسّروا «عسى» و «لعلّ» في القرآن باللازم، و قالوا: «إنّ الطمع و الرجاء لا يكونان»(٥) من الله _ تعالى _ ؛

و في هذا(٦) قصور نظر!، و ذلك(٧) أنّ الله _ تعالى _ إذا ذكر ذلك يذكره ليكون الإنسان منه

ص : ٧١

١- ١. راجع: «مرآة العقول» ج ١١ ص ٢٩٦ نقلاً عن «مجمع البيان»، و لم أعثّر عليه في غيره.

٢- ٢. راجع: «الرساله القشيريّه» ص ١٧٤.

٣- ٣. هذا نصّ كلامه، راجع: «الكتاب» ج ٤ ص ٢٣٣.

٤- ٤. كريمه ٢١٦ البقره.

٥- ٥. المفردات: لا يصحّ.

٦- ٦. المفردات: + منهم.

٧- ٧. المفردات: ذاك.

على رجاء (١)، لا- أن يكون هو - تعالى - راجياً؛ قال (٢) - تعالى - : «عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عِبْدُكُمْ» (٣) أى: كونوا راجين» (٤)؛ انتهى.

و قال الزمخشري في الكشاف: «عَسَىٰ رَبُّكُمْ» إطماع من الله لعباده؛ وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون على ما جرت به عادة الجبابرة من الإجابة بعسى (٥) و لعل، و وقوع ذلك منهم موقع القطع و البت؛

الثاني: أن يكون جىء به (٦) تعليماً للعباد وجوب الترجيح بين الخوف و الرجاء. و الذى يدل على المعنى الأول و أنه فى معنى البت: قراءه ابن أبى عبلة: «وَيَدْخِلُكُمْ» - بالجزم (٧) - عطفاً على محل «عَسَىٰ أَنْ يُكْفَرَ» (٨)، كأنه قيل: توبوا يوجب (٩) تكفير سيئاتكم و يدخلكم» (١٠)؛ انتهى.

و الجمهور على أن عسى ترفع الاسم و تنصب الخبر - ككان - ، فالإسم الصريح المرفوع بعدها اسمها، و الفعل المضارع المقترن بأن بعده منصوب المحل على أنه خبره. و استشكل بلزوم كون الحدث خبراً عن الذات - لأن الخبر على هذا فى تأويل المصدر - ؛

و أجيب بـ: أن «أن» زائدة، لامصدرية؛ قال ابن هشام: «و ليس بشيء، لأنها قد نصبت» (١١)؛

و: بالفرق بين المصدر و ما يؤول به، ذكره صاحب العباب و ارتضاه الشريف الجرجاني؛

و: بأنه على تقدير مضافٍ إما قبل الإسم أو قبل الخبر، فقدّر فى نحو: عسى زيدا أن يقوم:

ص : ٧٢

١- ١. المفردات: منه راجياً.

٢- ٢. المفردات: يرجو، فقوله.

٣- ٣. كريمه ١٢٩ الأعراف.

٤- ٤. راجع: «مفردات ألفاظ القرآن الكريم» ص ٥٦٦ القائمة ٢.

٥- ٥. الكشاف: لعسى.

٦- ٦. الكشاف: و الثانى أن يجىء به.

٧- ٧. راجع: «البحر المحيط» ج ٨ ص ٢٩٣، «تفسير القرطبي» ج ١٩ ص ٢٠٠.

٨- ٨. كريمه ٨ التحريم.

٩- ٩. الكشاف: + لكم.

١٠- ١٠. راجع: «تفسير الكشاف» ج ٤ ص ١٣٠.

١١- ١١. راجع: «مغنى اللبيب» ج ١ ص ٢٠٢.

عسى أمر زيد القيام، أو: عسى زيد صاحب القيام؛ قال الرضى: «و فيه (١) تكلفٌ!، إذ لم يظهر هذا المضاف في (٢) اللفظ (٣)، لا في الاسم ولا في الخبر» (٤)؛

و: بأنه من باب زيد عدلٌ، و صومٌ في الإخبار بالمصدر عن اسم العين على جعل المصدر نفس الشخص على سبيل المبالغة؛

و: بأن المصدر بمعنى اسم الفاعل، فالتقدير: عسى زيد قائماً؛ و رجح بما جاء في كلامهم: عسيت صائماً.

و قال الكوفيون: «إن الفعل المقترن في محل رفع بدلاً ممّا قبله بدل اشتمالٍ، كقوله _ تعالى _ : «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ» (٥) أى: لا ينهاكم الله عن أن تبرّوهم، فهو بدلاً من «الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ».

و قال الجوهري: «و عسى من الله واجبة في جميع القرآن إلا في قوله _ تعالى _ : «عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن تُبَدِّلَهُ» (٦).

قال أبو عبيده: «عسى من الله ايجابٌ، فجاءت على إحدى لغتي العرب _ لأن عسى (٧) رجاءٌ و يقينٌ _ ، و أنشد لابن مقبل:

ظَنَى بِهِمْ كَعَسَى وَ هُمْ يَنْتَوِفِهِ يَتَنَارَعُونَ جَوَائِزَ الْأَمْثَالِ

أى: ظننى بهم يقينٌ» (٨)؛ انتهى. قال الرضى: «و أنا لأعرف عسى في غير كلام الله (٩)

ص : ٧٣

١- ١. شرح الكافية: و في هذا العذر.

٢- ٢. شرح الرضى: إلى.

٣- ٣. شرح الرضى: + أبدا.

٤- ٤. راجع: «شرح الرضى على الكافية» ج ٤ ص ٢١٥.

٥- ٥. كريمه ٨ الممتحنه.

٦- ٦. كريمه ٥ التحريم.

٧- ٧. صحاح اللغة: + فى كلامهم.

٨- ٨. راجع: «صحاح اللغة» ج ٦ ص ٢٤٢٦ القائمة ١.

٩- ٩. شرح الكافية: كلامه تعالى.

الليقين»(١)؛ ففيه نظرًا! ويجوز أن يكون: هي بهم، أى: مع طمع(٢).<

و قال بعض العرفاء فى تفسير قوله _ تعالى _ : «عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ»(٣): «من ذنوب المقام الذى تبتم إليه عنه و حجه و النظر إليه و الإعتداد به و الميل و رؤيته و التلوين الذى يحدث بعد الترقى عنه، كالتلوين بظهور النفس فى مقام القلب و بظهور القلب فى مقام الروح و بظهور الأنانيه فى مقام الوحده؛ «وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» مترتبة على مراتب التوبة».

و قيل: «تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا» أى: من تحت أشجارها، أو من تحت قصورها أو بنيانها».

>«يَوْمَ لَا يُخْزَىٰ» من هنا إلى آخر الآية يكتب تارة فى الصحائف، و أخرى على الهامش.

و نصب الظرف بـ «يدخلكم»، و هو تعريض بمن أخزاهم الله من أهل الكفر و الفسوق، و استحماذ(٤) على المؤمنين على أنه عصمهم من مثل حالهم(٥).<

و قيل: «وَالَّذِينَ آمَنُوا» عطف على «النبي»، و هو مبتدأ خبره قوله _ تعالى _ : «نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ».

قال المفسرون: «يَسْعَىٰ نُورُهُمْ» على الصراط أو فى عرصات القيامة(٦)، «أَتَمِّمَ لَنَا نُورَنَا» > قيل: متعلق بقوله(٧): أدناهم منزلة، لأنهم يعطون من النور قدر ما يبصرون مواطىء أقدامهم _ لأن النور على قدر الأعمال _ ، فيسألون إتمامه تفضلاً(٨).< فالمراد من «النور»: الضياء الذى يروونه و يمرّون فيه».

ص : ٧٤

١- ١. راجع: «شرح الرضى على الكافي» ج ٤ ص ٢١٤.

٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ١٢٥، مع تقديم و تأخير.

٣- ٣. كريمه ٨ التحريم.

٤- ٤. المصدر: استحماذ.

٥- ٥. قارن: «نور الأنوار» ص ١٨٦.

٦- ٦. فانظر: «مجمع البيان» ج ٩ ص ٣٩١.

٧- ٧. كذا فى النسختين، و فى المصدر: قيل: يقوله.

٨- ٨. قارن: «نور الأنوار» ص ١٨٦.

و قيل: «نورهم: هداهم» (١).

> وقال النيشابورى: «الكملات والخيرات كلها أنوارٌ يوم القيامة، و أكمل الأنوار معرفه الله _ سبحانه _ .

و إنما قال: «من» **بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بَأْيَمَانِهِمْ**»، لأن ذلك جعل إماره النجاه، و لهذا ورد: «إِنَّ السَّعْدَاءِ يُؤْتُونَ صَحَافَ أَعْمَالِهِمْ مِنْ هَاتَيْنِ الْجِهَتَيْنِ» (٢)، كما أنَّ الأشقياء يؤتونها من شمائلهم و وراء ظهورهم. و معنى: سعى النور بين أيديهم و بآيمانهم: سعيه لسعيهم متقدماً إياهم و حيناً لهم» (٣)(٤)؛ انتهى.

أقول: قد عرفت سابقاً أنَّ تفاوت درجات السعداء بتفاوت نور معرفتهم و قوّه يقينهم؛ فإن النفس الإنسانيّة من عالم النور و المعرفة، لكنّها بسبب التعلّق بعالم الأجسام الكثيفه صارت ظلماتيّة محجوبه عن الإدراك، فإذا ارتاضت ذاتها بالرياضات الدينيّه و الأعمال الشرعيّه _ من الأفكار و الأذكار و سائر الأمور العباديّة _ و خرجت من مرتبه القوّه الهيولانيّه إلى مرتبه الفعلية حصل لها العقل المستفاد، و هو نورٌ يستضيء و يضيء في المعاد، فصار نوراً على نور.

و هذا النور العارض إنّما يقذف في قلب المؤمن من عالم الملكوت بسبب اكتساب العقليات و اليقينيّات الصرّفه عند تصوّره الخير الحقيقي، أو بسبب الاعتقادات المحموده و الظنون الحسنه عند تصوّره الخير المضمون؛ فالأوّل نورٌ عقليّ يختصّ بالمقرّبين **«يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ»** و يصعد منهم إلى جوار الله و جنّات المعارف العقليّه _ التي قيل في وضعها: «ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر!» (٥) _؛ و النور الآخر يختصّ بغيرهم من

ص : ٧٥

١- ١. هذا قول ضحّاك، راجع: «مجمع البيان» ج ٩ ص ٣٩١.

٢- ٢. راجع: «بحار الأنوار» ج ٦٤ ص ٥٢.

٣- ٣. راجع: «غرائب القرآن» ج ٢٨ ص ٨٢ مع تغييرٍ يسير.

٤- ٤. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ١٣٠.

٥- ٥. راجع: «من لا يحضره الفقيه» ج ١ ص ٢٩٥ الحديث ٩٠٥، «التهذيب» ج ٦ ص ٢٢ الحديث ٧، «بحار الأنوار» ج ٣٣ ص ٨٢.

السعداء يسعى بأيمانهم و يذهب بهم إلى جنّهِ جسمانيّه منوّره غايه ما يتصوّر فيها لهم و فى حقّهم من الصفاء و النوريّه و الضياء!.

فثبت أنّ المعارف أنوارٌ.

و لا يسعى المؤمنون إلى لقاء الله إلاّ -بقوّه أنوارهم، كما قال: «يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمَانِهِمْ» (١). و قد ورد فى الخبر: «إنّ بعضهم يعطى نوراً مثل الجبل، و بعضهم أصغر. و يكون آخرهم رجلاً يعطى نوراً على قدر إبهام قدمه، فيضىء مرّة و يطفئ مرّة، فإذا أضاء قدّام قدمه مشى، و إذا طفىء قام. و مرورهم على الصراط على قدر نورهم، فمنهم من يمرّ كطرف العين، و منهم كالبرق الخاطف، و منهم كالسحاب، و منهم كالفرس، و الذى أعطى نوراً على قدر إبهام قدمه يجثوا على وجهه و يديه و رجليه تجريداً و يعلّق أخرى و يصيب جوانبه النار، فلا يزال كذلك حتّى يخلص _ ... الحديث _» (٢).

فلهم السرعة و الإبطاء، فأولهم كلمح البصر، و آخرهم كعمر الدنيا! و بالجمله السرعة و الإبطاء فى قطع الصراط على قدر القربه. و ليس النور هناك بكثرة الأعمال، بل بكثرة نور العمل. و إنّما يعظّم نور العمل على قدر ما فى القلب من نور القربه، و كلّ نور أقرب إلى الله _ تعالى _ فهو أقوى و أنور. فكم من رجلٍ أقلّ عملاً سبق إلى الجنّة ممّن هو أكثر عملاً منه أضعافاً مضاعفة!؛ ألا ترى إلى قوله لمعاذ بن جبل _ رضى الله عنه _ : «خلص يَكْفِيكَ القليل من العمل!» (٣).

فلكلّ زمرة نورٌ: نور النبوه، و نور الولايه، و نور التقوى، و نور العباده، و نور الصدق، و نور الإسلام.

ص : ٧٦

١- ١. كريمه ١٢ الحديد.

٢- ٢. لم أعثر عليه.

٣- ٣. راجع: «تفسير ابن كثير» ج ١ ص ٥٧١، «شعب الإيمان» ج ٥ ص ٣٤٢ الحديث ٦٨٥٩، «الفردوس بمأثور الخطاب» ج ١ ص ٤٣٥ الحديث ١٧٧٢، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٧٠ ص ١٧٥.

و قوله _ عليه السلام _ : «فما عذر» جوابٌ لشرطٍ مقدّرٍ، أى: إذا فتحت فما عذر من ترك دخول ذلك المنزل _ و هو عفوهِ تعالى _ مع تعاضد موجبات الدخول إليه و توفر الدواعي إلى النزول به _ من فتح باب التوبه و إقامه الدليل عليه، و هو الآيه الكريمه _ و كلُّ من ذلك قاطعٌ للعذر مزيجٌ للغفله! _ كما لا يخفى على من له أدنى قريحه _ .

وَ أَنْتَ الَّذِي زِدْتَ فِي السَّوْمِ عَلَى نَفْسِكَ لِعِبَادِكَ، تُرِيدُ رِبْحَهُمْ فِي مُتَاجَرَتِهِمْ لَكَ، وَ فَوَزَهُمْ بِالْوَفَادَةِ عَلَيْكَ وَ الزِّيَادَةِ مِنْكَ، فَقُلْتَ _ تَبَارَكَ اسْمُكَ وَ تَعَالَيْتَ _ : «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَ مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا»؛ وَ قُلْتَ: «مِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبِّهِ أَتَبَّتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبِّهِ، وَ اللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ»؛ وَ قُلْتَ: «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً»، وَ مَا أُنْزِلَتْ مِنْ نَظَائِرِهِنَّ فِي الْقُرْآنِ مِنْ تَضَاعِيفِ الْحَسَنَاتِ.

«المساومه»: المجادله بين البائع و المشتري على السلعه و فضل ثمنها، يقال: سام يسوم سوماً، و ساوم و استام.

حـ و «الربح»: الزيادة الحاصله فى المبيعه.

و «المتاجره»: مفاعله من التجاره، و هى: التصرف فى رأس المال طلباً للربح، و: تاجرت زيدا: أوقعت معه التجاره (1) <. و «التجاره»: حرفه التاجر، و هو الذى يبيع و يشتري طلباً للربح و الزياده فى رأس المال. قالوا: «و ليس فى كلام العرب تاءٌ بعدها جيمٌ غير هذه اللفظه؛ و أمّا «تجاه» فأصله: وجاه، و يجوز التاء فيه للمضارعه لا من سنخ

ص : ٧٧

الكلمه»(١). و فى الكلام إستعاره تحقيقه تصريحه حيث أطلق المشبه به على المشبه، و ذكر الريح و السوم ترشيحاً لها.

قال الفاضل الشارح: «و فى قوله _ عليه السلام _ : «زدت فى السوم على نفسك» إيذاناً بكمال العناية بهم حيث جعله _ تعالى _ هو الطالب لمتاجرتهم إياه _ بدليل زيادته فى السوم، الذى هو فى الأ-غلب من شأن البائع لاشأن المشتري إلا- أن يكون المشتري هو الراغب فى السلعه و الطالب لبيعها _ . و هى نكتة عجيبة قل من تبه (٢) لها إلا من نور الله قلبه لفهم مقاصده _ عليه السلام _»(٣).

أقول: هذا توجيه حسن من حيث الظاهر، و قد تحقّق لك مراراً أنّ العبد لا شىء صرف من حيث الذات باطل عاطل ليس له شىء من هذه الحيثيه _ لأنّه ليس بشىء من هذه الجبهه _ ؛ فليس من الله فى حقّه إلا- تفضّل محضٌ. فكلّ عبادِه صدرت عنه ناقصه فى نفسها بحسب نفسه. فإذا أعطى الله _ تعالى _ فى مقابلها ثواباً بالمثل كأنّه أخذ متاعاً كاسداً بقيمته التامه البالغه، هذا للتاجرين؛ و أمّا المعرضون عن الدنيا و الآخره فهم أجلّ شأنًا و أرفع مقاماً من هذا.

و قد أشرنا لك فى ما سبق أنّ العوالم و النشئات ثلاثه:

عالم الحسن و الدنيا؛

و عالم الغيب و العقبى؛

و عالم القدس و المأوى.

و المسافرين ثلاثه أصنافٍ:

صنفٌ يسافر فى الدنيا، و رأس ماله المتاع و الثروه، و ربحه المعصيه و الندامه؛

ص : ٧٨

١ - ١. لم أعر على هذا النصّ بين كتب اللغويين، فانظر مثلاً: «أساس البلاغه» ص ٦٠ القائمه ٢، «صحاح اللغة» ج ٢ ص ٦٠٠

القائمه ١، «تاج العروس» ج ٦ ص ١٢٧ القائمه ٢.

٢ - ٢. المصدر: يتّبه.

٣ - ٣. راجع: «رياض السالكين» ج ٦ ص ١٣٣.

و صنفٌ يسافر في الآخرة، و رأس ماله العباده، و ربحه الجَنَّة؛

و صنفٌ يسافر إلى الله _ تعالى _، و رأس ماله المعرفة، و ربحه لقاء الله _ تعالى _؛ فتبصّر!.

قوله _ عليه السلام _ : «تريد ربّهم» حالٌ.

و «فوزهم» عطفٌ على «ربّهم».

و «الزياده» عطفٌ على «الوفاده».

و «الفوز»: النجاه و الظفر بالخير.

و «الوفاده»: الورود.

و «الفاء» من قوله _ عليه السلام _ : «فقلت» للترتيب الذكريّ، و هو عطف مفصّلٍ على مجملٍ.

«تبارك اسمك» قد مرّ معناه.

و «تعاليت» أى: ارتفعت بذاتك و تنزّهت عن مماثله المخلوقين ذاتاً و صفتاً و أفعالاً _ كما مرّ بيانه سابقاً _ .

قوله _ تعالى _ : «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا» (١). > قيل: «معناه أى: من جاء يوم القيامة بالأعمال الحسنه من المؤمنين _ إذ لاحسنه بدون إيمان _ فله حشر حسناتٍ أمثالها؛ فأقام الصفه مقام الموصوف بعد حذفه، كقراءه من قرء: «عَشْرُ أَمْثَالِهَا» _ بالرفع و التنوين على الوصف _ «(٢)»؛

و قيل: «أى: من جاء بالخصله الواحده من خصال الطاعه فله عشر أمثالها من الثواب، «وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ» أى: بالخصله الواحده من خصال الشرّ «فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا» (٣)»؛

ص : ٧٩

١- ١. كريمه ١٦٠ الأنعام.

٢- ٢. هذه قراءه يعقوب و الحسن و الأعمش و سعيد بن جبیر و غيرهم، راجع: «البحر المحيط» ج ٤ ص ٢٦٠، «تفسير القرطبي» ج ٧ ص ١٥١، «النشر فى القراءات العشر» ج ٢ ص ٢٦٦، «تفسير الطبري» ج ١٢ ص ٢٨١.

٣- ٣. راجع: «مجمع البيان» ج ٤ ص ٢٠٤.

و قال بعضهم: «المراد بالحسنه: التوحيد، و بالسيئه: الشرك» (١)(٢) <.

و قال الصادق _ عليه السلام _ فى هذه الآية: «ويل لمن غلبت آحاده أعشاره!»،

فقلت له: كيف هذا؟

فقال: أما سمعت الله _ عزَّ و جلَّ _ يقول: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ» _ ... الآية _ ، فالحسنه الواحده إذا عملها كتبت لها عشرًا و السيئه الواحده إذا عملها كتبت له واحدًا؛ فنعوذ بالله مَمَّنْ يرتكب فى يوم واحدٍ عشر سيئات و لا يكون له حسنُهُ واحدٌ فتغلب حسناته سيئاته! (٣). و قد تقدّم الكلام فى تفسير هذه الآية فى اللمعه الثانيه مع ما ألهمنى الله فى تفسيرها، من أرادَه فليرجع إليها.

قال صدر الحكماء و المحققين: «فان قلت: ما الوجه لخصوصيّه ذكر «العشر» دون سائر الأعداد؟

قلنا: وجه ذلك كون الإنسان معوّقاً فى الدنيا عن فعله الخاصّ به _ المذى هو ذكر الله و معرفه ملائكته و رسله و الدار الآخرة، لأنغمار نفسه فى الحسنات و اشتغاله بالجسمانيّات _ . و هذا بخلاف فعل المعاصى و الشهوات، فإنّها ممّا يلائم البدن و قواه، فلايزاحمها بل يعين عليها القوى البدنيّه. و لما كان المبدء الإدراكيّ للأفاعيل العقليّه و الطاعات قوّةً واحدّة _ هى الناطقه _ و المبدء الإدراكيّ للأفاعيل الحسنه و المعاصى قوًى عشر _ هى الحواسّ الخمس الظاهره و خمس الباطنه _ فكلّ حسنٍ يصدر عن القوّه العاقله مع كلّ واحدٍ من تلك العشر، و كلّ مجاهدٍ لها أجرٌ واحدٌ، فكلّ حسنٍ يستلزم عشر حسنات مستدعيه لعشره أمثالٍ آخر» (٤).

ص : ٨٠

١- ١. هذا قول الحسن و أكثر المفسرين، راجع: نفس المصدر.

٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ١٣٣، مع تقديم و تأخير.

٣- ٣. راجع: «معانى الأخبار» ص ٢٤٨ الحديث ١، «بحار الأنوار» ج ٦٨ ص ٢٤٣، «وسائل الشيعة» ج ١٦ ص ١٠٣ الحديث ٢١٠٩٥.

٤- ٤. لم أعثر عليه، و كان أكثر الظنّ أنّ العبارة منقوله من «شرحه على أصول الكافي»، ثمّ من «مفاتيح الغيب»، و لكن لم أعثر عليها، لا فيهما و لا فى غيرهما.

قوله _ تعالى _ : «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ»^(١)، الآية في أواخر سورة البقرة.

و «المَثَل» في الأصل بمعنى: المَثَل والنظير، وكذا المَثيل _ كَشَبَه وشَبَّه وشَبَّه _ . ثم نقل إلى القول السائر الممثل مضربه بمورده، ثم استعير للحال والصفة إذا كان لها شأنٌ وفيها غرابه، و إنما صَحَّت هذه الإستعاره لأنهم لم يضربوا مثلاً ولا رأوا أهلاً للتفسير والتشبيه إلا - قولاً - فيه غرابه من بعض الوجوه؛ قال _ عز من قائل _ : «إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ»^(٢) _ وقد مرَّ تحقيق المثل في ما سبق مع زياده بسطٍ _ . أى: حالهم و صفته العجيبه الشأن التي هي كالمثل في الغرابه من حيث زكاه إنفاقهم عندالله _ سبحانه _ و زياده ثبوتهم لديه و إضعافه _ تعالى _ له. و لابد من تقدير مضافٍ في أحد الجانبين ليصح التشبيه، أى: مثل نفقه الذين ينفقون كمثل حَبِّه.

و «سبيل الله»: دينه؛

و قيل: «هو الجهاد»؛

و قيل: «جميع أبواب الخير»؛ و قد تقدّم الكلام فيه.

و جملة: «أَنْبَتَتْ سَيْجَ سَيْبَلٍ» في موضع خفضٍ نعتٌ لـ «حَبِّه»؛ و إسناد الإنبات إليها إسنادٌ مجازيٌّ من باب الإسناد إلى السبب _ كما يسند إلى الأرض و الربيع _ .

و قوله _ تعالى _ : «فِي كُلِّ سُبُلَةٍ مَأْوٍ حَبِّه» مبتدئ، و خبره في موضع خفضٍ صفةٌ لـ «سَيْبَلٍ» . و حاصل الآية: انّ النفقه في سبيل الله بسبعمائ ضعفٍ.

و قوله: «وَاللَّهُ يُضَاعِفُ» معناه: أنّه يزيد عليها، أو يضاعف هذه المضاعفه «لِمَنْ يَشَاءُ» لا لكل منفقٍ، لتفاوت حال المنفقين.

و روى العياشي في تفسيره^(٣) عن المفضل الجعفي قال: «سألت أبا عبدالله _ عليه

ص : ٨١

١-١. كريمه ٢٦١ البقره.

٢-٢. كريمه ٥٩ آل عمران.

٣-٣. راجع: «تفسير العياشي» ج ١ ص ١٤٧ الحديث ٤٨٠.

السلام _ عن قول الله: «حَبَّه أُتْبِتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ»؟

قال: الحَبَّة: فاطمة _ عليها السلام _ ، و السبع السنايل: سبعة من ولدها سابعهم قائمهم؛

قلت: الحسن؟

قال: انَّ الحسن إمامٌ من الله مفترض طاعته، و لكن ليس من السنايل السبع، أولهم الحسين _ عليه السلام _ و آخرهم القائم.

فقلت: قوله _ تعالى _ : «فِي كُلِّ سُبُلَةٍ مِّمَّه حَبَّةٌ»؟

فقال: يولد للرجل منهم في الكوفة مائة من صلبه، و ليس ذاك إلا هؤلاء السبعة». > هو تفسير لباطن الآية، و مع هذا فلا يخلو عن إشكالٍ إلا أن يراد حذف مكرر أسمائهم _ عليهم السلام _ (١) <.

و قال بعضهم في قوله _ تعالى _ : «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ» _ ... الآية _ : «تنبيه على أنَّ الإنفاق إنما يكون محموداً لثلاثه أوجه:

كونه موافقاً للأمر بالنسبه إلى الله _ تعالى _ ؛

و كونه مزيلاً لرذيله البخل بالنسبه إلى نفس المنفق؛

و كونه نافعاً و مربحاً بالنسبه إلى المستحق. فإذا منَّ صاحبه فقد خالف لأمر الله _ لأنه منهى _ ، و ظهرت نفسه بالإستطالة و الإعتداد بالنعمة و العجب و الإحتجاب بفعلها و رؤيه النعمة منها لا- من الله و وقع ما أعطى عندها و عظمه في عينها، و كلَّها رذائل أردء من البخل اللازم له!؛ و لو لم يكن إلا رؤيه نفسه بالفضيله لكفاه مبطلاً!.

و أمّا الوجه الثالث _ الذى هو بالنسبه إلى المستحق _ فيبطله الأذى المنافى للراحه و النفع. و المنَّ أيضاً مبطلٌ له _ لإقتضائه الترفع و إظهار الإصطناع و إثبات حقِّ له عليه _ .

قوله _ تعالى _ : «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا».

>«من» اسم إستفهام في اللفظ، و معناه الترغيب. و إنما بنى الكلام على الإستفهام لأنه

ص : ٨٢

أدخل في الترغيب و الحث على الفعل من ظاهر الأمر. و هو مبتدئ؛

و «ذا» خبره؛ و الموصول نعت له، أو بدل منه (١) <.

قوله _ تعالى _ : «فَيُضَاعَفْ لَهُ» >الموجود في أكثر النسخ نصب «يُضَاعَفْ»، و لكن الزمخشري قال: «الرفع أحسن منه، لأنَّ الإستفهام إنما هو عن فاعل الإقراض لا عنه» (٢). و وجه النصب: أنَّه حمل الكلام على المعنى، و ذلك لأنَّه لما كان المعنى: «أن يكون قرض» حمل قوله: «فيضاعفه» على ذلك.

قوله _ تعالى _ : «أَضْعَافًا» (٣) منصوبٌ على الحاليَّة من الضمير المنصوب، أو المفعول الثاني _ لتضمَّن المضاعفه معنى التغير _ . و المراد بهذا الإستفهام الأمر؛ و ليس بقرض حاجه على ما ظنَّه اليهود فقالوا: إنما يستقرض منا ربنا عن عوز، فإذا هو فقيرٌ و نحن أغنياء! بل سَمَّى _ سبحانه _ الإنفاق «قرضاً» تلطفاً إلى فعله و تأكيداً للجزاء عليه، فإنَّ القرض يوجب الجزاء.

و «القرض الحسن» أن ينفق من حلالٍ و لا يفسده بمنٍّ و لا أذى؛ و قيل: «هو أن يكون طلق الوجه عند الإنفاق»؛

و عن الصادق _ عليه السلام _ أنه قال: «لما نزلت هذه الآية: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا» (٤) قال رسول الله _ صَلَّى الله عليه و آله و سلم _ : ربِّ زدني!

فأنزل الله _ سبحانه _ : «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا» (٥)، فقال رسول الله: ربِّ زدني!

فأنزل الله _ سبحانه _ : «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعَفْ لَهُ أَضْعَافًا

ص : ٨٣

١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ١٣٧.

٢- ٢. لم أعر على قوله هذا في مظانِّه من تفسير الآية الكريمه، فانظر: «تفسير الكشاف» ج ١ ص ٣٧٨.

٣- ٣. كريمه ٢٤٥ البقره.

٤- ٤. كريمه ٨٩ النمل.

٥- ٥. كريمه ١٦٠ الأنعام.

كثيرة» (١)؛ والكثير عند الله لا يحصى» (٢).

و يجوز تنزيل هذه المراتب على اختلاف نيات العاملين و تفاوتهم فى الإخلاص. و الأظهر فى وجه الجمع ما روى عن النبى _ صلى الله عليه و آله و سلم _ أنه قال: «الصدقة على خمسة أجزاء: جزء الصدقة فيه بعشره، و هى الصدقة العامه، قال الله _ تعالى _ : «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا»؛ و جزء الصدقة فيه بسبعين، و هى الصدقة على ذوى العاهات؛ و جزء الصدقة فيه بسبعمأة، و هى الصدقة على ذوى الأرحام؛ و جزء الصدقة فيه بسبعة آلاف، و هى الصدقة على العلماء؛ و جزء الصدقة فيه بسبعين ألفاً، و هى الصدقة على الموتى» (٣)(٤) <.

و قال بعضهم فى قوله _ تعالى _ : «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ» _ ... إلى آخره _ : «ملكك ثم اشترى منك ما ملكك ليثبت لك معه نسبه، ثم استقرض منك ممّا اشتراه، ثم وعدك عليه من العوض أضعافاً بين أن نعمه و عطاياه بعيدتان أن تكونا مشويين بالعلل!».

لمعه عرشه

القرض الحسن عند أهل الله أن ينفق الإنسان فى طريق معرفه الله و سبيل ملكوته و التفكر فى جبروته مواده الدماغية و أرواحه النفسانية و قواه الطبيعية التى هى أعزّ نقود هذه البلده و أجناسها ليعوض عنها، و يحصل فى قلبه نفائس الأثمار المعنوية و شرائف نقود المعارف الإلهية التى بها يصير الإنسان من أكابر الآخرة و أغنيائها فائقاً على الأشياء و الأقران، متخلصاً من سجن الحسرة و الحرمان و فاقة الجهل و النقصان. فالله _ تعالى _

ص : ٨٤

١- ١. كريمه ٢٤٥ البقره.

٢- ٢. راجع _ مع تغيير _ : «بحار الأنوار» ج ٦٨ ص ٢٤٦، «تفسير العياشى» ج ١ ص ١٣١ الحديث ٤٣٤، «معانى الأخبار» ص ٣٩٧ الحديث ٥٤.

٣- ٣. راجع: «مستدرک الوسائل» ج ٧ ص ١٩٥ الحديث ٨٠١٦، «بحار الأنوار» ج ٩٣ ص ١٣٦، «عده الداعى» ص ٧١.

٤- ٤. قارن: «نور الأنوار» ص ١٨٧.

حيث هيئاً أسباب المعرفة و العبادته للناس _ سيما ذوى البصائر و الأكياس _ فكأنه أراد منهم هذا الأجر الكريم فى نفسه، لأن المعارف الربانيه جليله عظيمه _ لأن شرف العلم بشرف المعلوم و كرامته، و ليس فى الوجود ما هو أكرم و أشرف من ذات المعبود و صفاته و أسمائه و أفعاله _ ؛ فالسعى فى طريق وصوله و الإنفاق فى إبتغاء وجهه يكون شريفاً كريماً أيضاً، لأن وسيله الشئ تناسب له.

وَأَنْتَ الَّذِي دَلَلْتَهُمْ بِقَوْلِكَ مَنِ غَيْبِكَ وَ تَرْغِيْبِكَ الَّذِي فِيهِ حَظُّهُمْ عَلَى مَا لَوْ سَيَّرْتَهُ عَنْهُمْ لَمْ تُدْرِكْهُ أَبْصَارُهُمْ، وَ لَمْ تَعِ أَسْمَاءَهُمْ، وَ لَمْ تَلْحَقْهُ أَوْهَامُهُمْ، فَقُلْتَ: «اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَ اشْكُرُوا لِي وَ لَا تَكْفُرُونِ»، وَ قُلْتَ: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ». وَ قُلْتَ: «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ». فَسَيَمِيتُ دُعَاءَكَ عِبَادَهُ، وَ تَرْكَهُ اسْتِكْبَاراً، وَ تَوَعَّدْتَ عَلَى تَرْكِهِ دُخُولَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ.

«من غيبك» أى: بقولك الناشى من وحيك الذى كان غيباً عنهم.

و «من» إبتدائية، مثلها فى قوله _ تعالى _ : «ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ» (١) _ فى أحد الوجهين _ . و فى نسخه: «من عندك».

حو «ترغيبك» عطف على «قولك» المجرور ب _ «الباء».

و «الحظ»: هو النصيب من الخير.

و «على ما لو سترته» متعلق ب _ «دلتهم».

و «ما» موصولة، أو نكرة موصوفة؛ و الجملة الشرطيه بعدها صلة، أو صفة.

و «إدراك» الشئ عبارة عن الوصول إليه و الإحاطه به (٢)، أى: لم تصل إليه أبصارهم

ص : ٨٥

١- ١. كريمه ٤٤ آل عمران / ١٠٢ يوسف.

٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ١٤١.

و لم تحط به.

و «لم تعه» أى: لم تحفظه أسماعهم؛ من: وعيت الحديث وغياً _ من باب وعد _ : حفظته، و منه قوله _ تعالى _ : «أُذُنٌ وَاعِيَةٌ» (١) أى: حافظة.

و «السمع»: إدراك القوّه السامعه؛ و تطلق على «الأذن» لكونها محلّه _ كما فى البصر _ .

و «لم تلحقه» أى: لم تدركه؛ من: لحقته ألحقه _ من باب تعب _ لحاقاً: أدركته.

«الأوهام» قد مرّ معناها لغّه و إصطلاحاً؛ و كذا «الذكر».

قوله: «قلت» بيانٌ للـ _ «دلاله». و قد ذكر السيّد السند الداماد و غيره: «أنّ الأدب هنا إظهار همزه «فأذكرونى» (٢) و «أذعنونى» (٣) و إن كانتا همزه وصلٍ مع الوقف على «قلت» لينفصل كلام الخالق عن كلام المخلوق و لا يمتزج» (٤).

و معنى «أذكرونى أذكركم» أى: «أذكرونى» بالطاعه «أذكركم» بالثواب؛ كذا قيل (٥).

و قيل: ««أذكرونى» بطاعتي «أذكركم» برحمتي»؛

و قيل: «أذكرونى» بطاعتي «أذكركم» بمعونتي»؛

و قيل: ««أذكرونى» فى الدنيا «أذكركم» فى العقبى»؛

و قيل: ««أذكرونى» فى النعمه و الرخاء «أذكركم» فى الشده و البلاء»؛

و قيل: ««أذكرونى» بالدعاء «أذكركم» بالإجابة» (٦)؛

و قيل: ««أذكرونى» فى الخلوات «أذكركم» فى الفلوات»؛

ص : ٨٦

١- ١. كريمه ١٢ الحاقه.

٢- ٢. كريمه ١٥٢ البقره.

٣- ٣. كريمه ٦٠ غافر.

٤- ٤. هذا تحرير كلامه _ قدس لطيفه _ ، راجع: «شرح الصحيفه» ص ٣٨٣.

٥- ٥. لم أعثر عليه.

٦- ٦. الأوّل قول سعيد بن جبیر، و الثانى مروئى عن ابن عتيّاس، و الثالث و الرابع و الخامس ذكرها الطبرسىّ بلاعزو؛ راجع:

«مجمع البيان» ج ١ ص ٤٣٥.

و قيل: «أَذْكُرُونِي» بالصدق و الإخلاص «أَذْكُرْكُمْ» بالخلاص و مزيد الاختصاص؛

و قيل: «أَذْكُرُونِي» بالعبوديّة «أَذْكُرْكُمْ» بالربوبيّة؛

و قيل: «أَذْكُرُونِي» بالفناء في «أَذْكُرْكُمْ» بالبقاء بي (١)؛

و بالجملة الحمل على جميع ذلك صحيح، لتفاوت الفهوم و المدارك.

و قال بعض العرفاء: «فيه إشارة إلى أنّ ذكر العبد لله من نتائج ذكر الله العبد، من وجهين:

أحدهما: أنّ خطاب الحقّ بقوله: «أَذْكُرُونِي» كلامٌ أزلّني ذكرهم به قبل وجودهم؛

و الثاني: إنّ الله _ تعالى _ أمرهم بالذكر مع فاء التعقيب بقوله _ تعالى _ : «أَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ» فيه بتقديم و تأخير، معناه: أذكركم فأذكروني؛ انتهى.

و قد بسطنا الكلام في «الذكر» و تفسير هذه الآيه في اللمعات السابقه؛ خلاصته: أنّ الذكر و الذاكر و المذكور ما لم يصيروا واحداً لم يصل إلى منتهاه، و هذا لا يتصوّر إلّا باندكاك جبل الأئيه و تلاشى رسوم الهويّة المعبر عنه بالفناء، و بعد الفناء البقاء. و هو مشهود العارفين بالبيان و ممّا أقيم عليه البرهان.

قيل: «لا ينحلّ عليه هذا الإشكال إلّا في صورته مثالٍ متناسبٍ مثل حال الفراش مع الشمع، فإنّ الشمع يقول للفراش: أذكرني في نفسك أذكرك في نفسي!». فذكر الفراش للشمع في نفسه أن يبذل نفسه لشعله الشمع فتذكره شعله الشمع في نفسه بالحرقة عليها، و يذكره الشمع بالإشتعال نفس الفراش في نفسه، فلا يبقى التمييز بين الشمع و الفراش؛ و إن طلبت الفراش وجدت الشمع و إن طلبت الشمع وجدت الفراش؛ كما قيل:

أَنَا مَنْ أَهْوَى وَ مَنْ أَهْوَى أَنَا نَحْنُ رُوحَانِ حَلَلْنَا بَدَنًا

ص : ٨٧

فَإِذَا أَبْصَرْتَنِي أَبْصَرْتَهُ وَإِذَا أَبْصَرْتَهُ أَبْصَرْتَنَا(١)

فإذا بدّل الفراش للشمع وجوده نال من وجود الشمع مقصوده!.

مثال آخر: الحديد الحاميه في النار حيث أنها لا يزال يتقرب و يتشبه بالنار حتى يزول عنها الهويّ الحديديّ و تصير فانيه في الهويّ الناريّ، و تفعل فعلها _ من الإحراق و الإضاءه _ .

فلا يتعجب من نفس استشرقت بنور الله و اتّصلت بعالم الربوبيّ و تخلّقت بأخلاق الله ففعلت ما فعلت بقدره الله لا بقدرتها، و سمعت بسمع الله و بصرت ببصره؛ فله أن يقول: «من رآني فقد رأى الحق»(٢). و هذا تحقيق قوله: «تخلّقوا بأخلاق الله»(٣)، و قوله: «لا يزال العبد يتقرب إلى ... الحديث _ (٤).

تنبيه

>الآيه المذكوره في سورة البقره: «فَأُذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ» بالفاء، و في فقره الدعاء بدون الفاء؛ و فيه دليل على جواز حكاية الجملة المقرونة بالفاء من كلامه _ تعالى _ بحذف الفاء(٥). لأن وقوعه في كلامه _ عليه السلام _ حجه عندنا على جوازه، بخلاف العامه.

و «الشكر» قد تقدّم الكلام فيه مستقصي؛ و كذا: «أُذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» في أول الكتاب، فلانعيده.

قوله: «فسميت دعاء ك»، «الفاء» للترتيب الذكرى. و إنّما سمّاه «عباده»، لأنّه أفضل

ص : ٨٨

١-١. القطعه منسوبه عند القيصريّ إلى الحلاج، راجع: «شرح فصوص الحكم» ص ٤٣٦، و لم أعثر عليها في «ديوانه».

٢-٢. راجع: «بحار الأنوار» ج ٥٨ ص ٢٣٤.

٣-٣. راجع: «بحار الأنوار» ج ٥٨ ص ١٢٩.

٤-٤. راجع: «الكافي» ج ٢ ص ٣٥٢، «المحاسن» ص ٢٩١، «بحار الأنوار» ج ٨٧ ص ٣١، «عده الداعي» ص ٢٣، «إتحاف الساده المتقين» ج ٣ ص ١٦٥.

٥-٥. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ١٤٣.

فَذَكَّرُوكَ بِمَنِّكَ، وَشَكَرُواكَ بِفَضْلِكَ، وَدَعَوْكَ بِأَمْرِكَ، وَتَصَدَّقُوا لَكَ طَلِبًا لِمَزِيدِكَ، وَفِيهَا كَانَتْ نَجَاتُهُمْ مِنْ غَضَبِكَ، وَفَوْزُهُمْ بِرِضَاكَ. وَلَوْ دَلَّ مَخْلُوقٌ مَخْلُوقًا مِنْ نَفْسِهِ عَلَى مِثْلِ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ عِبَادُكَ مِنْكَ كَمَا أَنْ مَوْصُوفًا بِالْأَحْسَانِ وَمَنْعُوتًا بِالْأَمْتَانِ وَمَحْمُودًا بِكُلِّ لِسَانٍ. فَلَكَ الْحَمْدُ مَا وَجَدَ فِي حَمْدِكَ مَذْهَبٌ، وَمَا بَقِيَ لِلْحَمْدِ لَفْظٌ تُحْمَدُ بِهِ، وَمَعْنَى يَنْصَرِفُ إِلَيْهِ.

«بمَنِّكَ» أى: بإنعامك، من: مَنْ يَمُنُّ مَنًّا _ من باب قتل _ أى: أنعم عليه.

و «الفضل»: ما لم يلزم المعطى إعطاءً.

و «بأؤه» للسببيّة؛ والحاصل: إنّ الكلّ بسبب تفضّلِكَ، لأنّكَ إن تعط بسبب الشكر فالشكر بأمرِكَ و إقدارك؛ و إن تعط بالدعاء فالدعاء بأمرِكَ و ترغيبك، وقوّه الدعاء و الإستدعاء بتمكينك _ كما قيل:

أى (١) دعا از تو اجابت هم ز تو ایمنی از تو مخافت (٢) هم ز تو (٣) _

و «تصدّقوا لك طلباً» أى: أعطوا الصدقه لك لأجل الطلب «لمزيدك» لا- لغرض من الأغراض النفسانيّة؛ ف _ «طلباً» مفعول لأجله.

و «فيها» أى: فى تلك الأمور المذكوره _ من الذكر و الشكر و الدعاء و التصدّق _ . ^١ و قيل: «الضمير عائذ إلى الزيادة المطلوبة»؛

و قيل: «إلى الصدقه المدلول عليها بقوله: «تصدّقوا لك»؛

و قيل: «إلى الدلالة التى تضمّنها قوله _ عليه السلام _ فى صدر هذا الفصل من الدعاء:

ص : ٨٩

١- ١. المصدر: هم.

٢- ٢. المصدر: مهابة.

٣- ٣. راجع: «مثنوى معنوى» ج ١ ص ٢٨٥ البيت ٤.

«و أنت الذى دلتهم بقولك من غيبك»^(١) .

و قد تقدّم الكلام فى معنى «غضبه» و «رضاه» _ سبحانه _ .

قوله: «و لو دلّ مخلوقٌ مخلوقاً ... إلى آخره _» .

«لو» هنا لإمتناع الثانى _ و هو الجزء _ لإمتناع الأول _ و هو الشرط _ ، أى: للدلالة على أنّ انتفاء الثانى فى الخارج بسبب انتفاء الأول، لا أنّه يستدلّ بامتناع الأول على امتناع الثانى. أى: لو كان مخلوقٌ صاحب هذه الأوصاف بدون كمالٍ آخر ينبغى أن يكون محموداً بكلّ لسانٍ، فكيف بمن له صفاتٌ كمالِيَّةٌ غير متناهيّةٍ و لا يكون إدراك كمال ذاته حدّاً لبنى النوع الإنسانيّ و لا للعقول المجرّده القدسيّ _ لتناهى كمال الموجودات الإمكانية _ . > و فى بعض النسخ: «كان موصوفاً بالإحسان و منعوتاً بالإمتنان و محموداً بكلّ لسانٍ» .

و «الفاء» من قوله: «فلك الحمد» فصيحةٌ، أى: إذا كان الأمر كذلك «فلك الحمد» .

و «ما» فى الفقرتين مصدريةٌ زمانيةٌ، أى: مدّه وجدان مذهبٍ فى حمدك^(٢)، و مدّه بقاء لفظ الحمد .

و «المذهب» هنا يجوز أن يكون مصدراً ميمياً، و أن يكون بمعنى الطريق؛ و على الوجهين فنسبته إلى «الحمد» مجازٌ عقليٌّ .

و «انصرف» مطاوع: صرفت الشىء إلى كذا: رددته و رجعته إليه فانصرف؛ أى: و ما بقى للحمد معنىً ينصرف إلى حمدك، أو: ما بقى للحمد معنىً ينصرف الحمد إليه^(٣) . و هذه إشارةٌ إلى اتّحاد الحمد و الحامد و المحمود _ كما ذكرناه لك فى «الذكر» _ ، و قد سبق تحقيقه فى اللمعة الأولى؛ فتبصّر!

يَا مَنْ تَحَمَّدَ إِلَى عِبَادِهِ بِالْأَحْسَانِ وَالْفَضْلِ، وَ غَمَرَهُم بِالْمَنِّ وَالطَّوْلِ، مَا

ص : ٩٠

١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ١٤٩.

٢- ٢. و انظر: «نور الأنوار» ص ١٨٧.

٣- ٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ١٥٠.

أَفْشَى فِينَا نِعْمَتَكَ، وَ أَشْنَع عَلَيْنَا مِنتَكَ، وَ أَخْصَنَّا بِيْرَكَ! هَدَيْتَنَا لِدِينِكَ الَّذِي اصْطَفَيْتَ، وَ مَلَّتِكَ الَّتِي ارْتَضَيْتَ، وَ سَبِيلَكَ الَّذِي سَهَّلْتَ، وَ بَصُرَتْنَا الزُّلْفَةَ لَدَيْكَ، وَ الْوُصُولَ إِلَى كَرَامَتِكَ.

«يا من تحمّد» من باب التفعيل هنا للطلب، أى: طلب منهم حمده بسبب الإحسان؛ وقيل: «أى: يقبل الحمد من عباده من جهه إحسانٍ له بالنسبه إليهم، و إلا لم يكن الله محتاجاً إلى حمدهم إيّاه».

و «غمرهم»: غطّاهم، من غمر يغمر غمراً _ من باب قتل _ : غطّاه و ستره.

و «الطول» _ بالفتح _ : الإنعام.

و «فشى» الشئ يفسحوا فشوءاً و فشواً: ظهر و انتشر.

و «ما» للتعجب، أى: ما أكثر و أفشى بيننا نعمتك.

و «سبغت» النعمه سُبُوغاً _ من باب قعد _ : اتسعت و فاضت، و: أسبغها الله: أفاضها و أوسعها و أتمّها. و فى نسخه: «مننك» _ بصيغه الجمع _ بدل: «مننك».

و «أخصّينا بِيْرَكَ» عطف على «أفشى». ف _ «ماء» التعجب يدخل عليه؛ >أى: ما أشدّ مخصّوصيتنا بِيْرَكَ. و مجىء اسم التفضيل بمعنى المفعول و إن كان على غير القياس (1) < إلا أنّ كلامه حجّة، لأنّه أفصح الفصحاء فى زمانه؛ على أنّه قد سمع فى الفصح نحو: أعذر و أشهر و أشغل و أجن؛ و بعض علماء العربيّه صرح بجوازه.

و «البِرّ» _ بالكسر _ : التوسّع فى فعل الخير.

و قوله: «هديتنا» بيانٌ لإفشاء النعمه و إتمامها و اختصاصنا بها، فهو استينافٌ بيانيٌّ؛ كأنّه سئل: كيف تعجّبت من كثره فشوّ نعمتى فيكم؟

فقال: «هديتنا ... إلى آخره _».

و «الدين» و «الملّه» قد تقدّم الكلام فيهما، و فى الفرق بينهما؛ و كذا «السبيل».

ص : ٩١

و «بَصْرَتَه» الشىء تبصيراً: عَرَفْتَهُ إِيَّاهُ وَ أَوْضَحْتَهُ لَهُ.

و «الزُّلْفَه» _ بِالضَّمِّ _ : القربه و المنزل؛ أى: عَرَفْنَا القربه عندك و المنزله لديك لنطلبها.

و «الوصول» منصوبٌ على المفعول الثانى «لبَصْرَتنا»، أى: عَرَفْنَا الوصول إلى كرامتك.

لمعهُ عرشيهُ

اعلم! أنَّ جميع ما فى العالم على التحقيق إمَّا نعمه، أو متنعّم به؛ نفعٌ أو منتفعٌ به؛ خيرٌ أو ما يؤدى إلى الخير.

بل _ كما ذكرنا لك سابقاً _ نقول: إنّ جميع ما فى العالم ممّا لاحدٌ له و لا إحصاء هى نعمه من الله فى حقّ الإنسان، إذ ما من شىءٍ إلّا- و لها الإنتفاع بها؛ أمّا التى أودعها فينا من المنافع و اللذات و الجوارح و الآلات فظاهرٌ إنتفاعنا بها، لأنّا نستعملها فى جلب المنافع و دفع المضارّ الدنيويّه و الأخرويّه؛ و أمّا التى خلقها الله _ تعالى _ خارجةً عنّا فهى أيضاً إمّا نستلذّ بوجودها، أو ننتفع بمعرفتها فى الإستدلال على وجود الصانع و حكمته و جوده و لطفه. فهى كلّها منافع ننتفع بها إمّا حالاً أو مآلاً، فإنّها وسائل إلى معرفته و حكمته؛ و هى إمّا نفس السعاده و اللذّه الدائمه، أو وسيلهٌ إليها. فصَحَّ أنّ جميع مخلوقات الله _ تعالى _ نعمٌ على العبد و هى غير متناهيّه لايمكن عدّها، و لذا قال _ تعالى _ : «وَ إِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا» (١).

فان قلت: إذا كانت النعمه غير متناهيّه فكيف يمكن الانتفاع بها؟!؛

و أيضاً: إذا كانت غير متناهيّه لم يمكن علم العبد بها، فكيف أمر الله إيانا بتذكرها فى قوله: «أذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ» (٢)؟!

و الجواب عن الأوّل: إنّ المراد بـ «النعمه»: ما يمكن الإنتفاع به _ سواءً انتفع به أحدٌ أم لا _ ، فكلّ واحدٍ من الأمور المخلوقه ممّا يمكن الإنتفاع به للعبد، فيكون نعمه فى حقّه؛

ص : ٩٢

١- ١. كريمه ١٨ النحل.

٢- ٢. كريمه ٤٠ / ٤٧ / ١٢٢ البقره.

و أما عن الثانى: إِنَّ الأشخاص غير متناهيه، و الطبائع النوعيه متناهيه و يمكن لنا العلم بالطبائع و العنونات و الحكم بها على وجه يسرى فى أشخاصها الغير المتناهيه مجمله _ كما فى القضايا الكلّيه، مثل قولنا: كلّ إنسان له قوه الكتابه. ففى هذا الحكم تصوّرنا طبيعه العنوان أى: ماهيه الإنسان بالكنه و تصوّرنا أفرادها كلّها بالوجه و حكمنا عليه بقوه الكتابه _ ، و هذا ضرب من العلم. و هو يكفى للتذكّر المذى يفيد العلم بوجود الصانع و حكمته من آثار صنعه و أنوار حكمته. فقد ثبت أنّ جميع ما فى العالم من المخلوقات فهو نعمه فى حقّ الإنسان؛ و قد أشار إلى ما ذكر _ عليه السلام _ بقوله: «يا من تحمّد إلى عبادته _ ... إلى آخره _

».

اللَّهُمَّ وَ أَنْتَ جَعَلْتَ مِنْ صَفَايَا تِلْكَ الْوُظَائِفِ وَ خَصَائِصِ تِلْكَ الْفُرُوضِ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِى اخْتَصَصْتَهُ مِنْ سَائِرِ الشُّهُورِ، وَ تَخَيَّرْتَهُ مِنْ جَمِيعِ الْأَزْمَنِهِ وَ الدُّهُورِ، وَ آثَرْتَهُ عَلَى كُلِّ أَوْقَاتِ السَّنَةِ بِمَا أَنْزَلْتَ فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَ النُّورِ، وَ ضَاعَفْتَ فِيهِ مِنَ الْإِيْمَانِ، وَ فَرَضْتَ فِيهِ مِنَ الصِّيَامِ، وَ رَغَبْتَ فِيهِ مِنَ الْقِيَامِ، وَ أَجَلَلْتَ فِيهِ مِنْ «لَيْلَةِ الْقَدْرِ» الَّتِى هِىَ «خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ».

«الصفايا»: جمع الصفيه _ كالعطايا جمع: عطيه _ ، و هى مؤنث الصفى، و هو: صفو الشىء و زبدته و خلاصته.

>و «الوظائف»: جمع الوظيفه، و هى ما يقدر من عملٍ و رزقٍ و نحوه.

و «الخصائص»: جمع الخصيصه بمعنى: المخصوصه.

و «الفروض»: جمع الفرض بمعنى: المفروض، من: فرض الله الأحكام فرضاً: أوجها. و قيل: «هو: ما ثبت بدليلٍ مقطوع به _ كالكتاب و الإجماع _ ، فهو أخصّ من الواجب».

و «اختصصته» أى: خَصَّصْتَهُ(١) <.

و «تخَيَّرته» أى: اخترته.

و المراد من «الدهر» هنا: الزمان، لا ما اصطلح عليه الحكماء _ كما تقدّم الكلام فيه _ .

و «آثرته» _ بالمدّ _ بمعنى: اخترته و فضّلته، و المصدر: الإيثار.

و «الباء» من قوله: «بما أنزلت» سببيّة.

و «من القرآن» بيانٌ لـ «ما».

و «القرآن» قد مرّ معناه؛ و كذا «التضعيف» و «الإيمان».

و «أجللت فيه من ليله القدر» أى: عظّمت قدرها؛ من «الجلالة» و هى: عظم القدر. و ذلك لما ذكرنا لك فى اللمعه السابقه من المعنى الباطنى لـ «ليله القدر» و «شهر رمضان». و فى نسخه: «جلعت» بدل: «أجللت».

ثُمَّ آثَرْتَنَا بِهِ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ، وَ اصْطَفَيْتَنَا بِفَضْلِهِ دُونَ أَهْلِ الْمَلَلِ، فَصَيَّمْنَا بِأَمْرِكَ نَهَارَهُ، وَ قُضِمْنَا بِعَوْنِكَ لَيْلَهُ، مُتَعَرِّضِينَ بِصِيَامِهِ وَ قِيَامِهِ لِمَا عَرَّضْتَنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِكَ، وَ تَسَبُّبِنَا إِلَيْهِ مِنْ مُثُوبَتِكَ، وَ أَنْتَ الْمَلِىُّ بِمَا رُغِبَ فِيهِ إِلَيْكَ، الْجَوَادُّ بِمَا سَيِّئَلَتْ مِنْ فَضْلِكَ، الْقَرِيبُ إِلَى مَنْ حَاوَلَ قُرْبَكَ.

«آثرتنا به» أى: اخترتنا بذلك الشهر؛

«على سائر الأمم»، لأنّ صوم شهر رمضان مخصوصٌ بدين محمّدٍ _ صلى الله عليه و آله و سلّم _ ظاهراً و باطناً _ كما عرفت فى اللمعه السابقه _ .

و «اصطفيتنا» أى: اخترتنا بسبب فضيلته؛

«دون أهل الملل» أى: متجاوزاً أهل الملل فى اصطفائنا به. > و هاتان الفقرتان كلتاها تدلّان على الاختصاص، خلافاً لبعض أهل السنّه مستنداً إلى ما ذكره ابن أبيحاتم عن ابن

ص : ٩٤

عمر: «صيام شهر رمضان كتبه الله على الأمم من قبلكم» (١)؛ قال العسقلاني (٢): «وأسناده مجهول» (٣) (٤). و في بعض الروايات: «أن موسى _ على نبينا و عليه السلام _ لما سمع شرافه أمه محمد _ صلى الله عليه و آله و سلم _ و فضلهم تمنى أن يكون منهم» (٥)؛

و قد تقدمت الروايه عن الصادق _ عليه السلام _ في شرح الدعاء السابق على هذا: «أن شهر رمضان لم يفرض الله صيامه على أحد من الأمم من قبلنا» (٦).

و اختلفوا في التشبيه الذي دلّت عليه «الكاف» في قوله _ تعالى _ : «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» (٧)؛ فعن أبي عبد الله _ عليه السلام _ : «إن المراد بقوله: «الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ»: الأنبياء، فإنه كان مفروضاً عليهم دون الأمم، ففضّلت به هذه الأمة و فرض صيامه على رسول الله _ صلى الله عليه و آله و سلم _ و على أمته» (٨)؛

و قيل: «المراد بالتشبيه في أصل الوجوب، دون الوقت و المقدار؛ و المعنى: أن الصوم عبادة قديمة ما أخلى الله أمّة من إيجابها عليهم و لم يوجبها عليكم خاصّة» (٩)؛

و عن أمير المؤمنين _ عليه السلام _ في قوله: «الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ»: «أولهم آدم _ عليه

ص : ٩٥

١- ١. راجع: «فيض القدير» ج ١ ص ١٦٨، «تفسير ابن كثير» ج ١ ص ٢١٩، «الدر المنثور» ج ١ ص ١٧٧، «فتح القدير» ج ١ ص ١٨١.

٢- ٢. المصدر: القسطلاني.

٣- ٣. قال ابن حجر العسقلاني: «... حديث ... أورده ابن أبيحاتم بإسناد فيه مجهول، و لفظه: صيام رمضان كتبه ...»؛ راجع: «فتح الباري» ج ٨ ص ١٣٣ ذيل الحديث ٤٢٣١.

٤- ٤. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ١٥٤.

٥- ٥. راجع: «مستدرک الوسائل» ج ١٠ ص ٣١٨ الحديث ١٢٠٨٥.

٦- ٦. راجع: «من لا يحضره الفقيه» ج ٢ ص ٩٩ الحديث ١٨٤٤، «وسائل الشيعة» ج ١٠ ص ٢٤٠ الحديث ١٣٣١٦، «فضائل الأشهر الثلاث» ص ١٢٤.

٧- ٧. كريمه ١٨٣ البقره.

٨- ٨. راجع _ مع تغيير _ : «من لا يحضره الفقيه» ج ٢ ص ٩٩ الحديث ١٨٤٤، «وسائل الشيعة» ج ١٠ ص ٢٤٠ الحديث ١٣٣١٦، «فضائل الأشهر الثلاث» ص ١٢٤.

٩- ٩. راجع: «مجمع البيان» ج ٢ ص ٦، «تفسير الكشاف» ج ١ ص ٣٣٤.

السلام _ «(١)»، والغرض من ذلك تأكيد الحكم و الترغيب فيه و تطييب نفس (٢) المخاطبين به، فإنَّ الشاقَّ إذا عمَّ سهل عمله؛

و قيل: «كان صوم شهر رمضان مكتوباً على اليهود و النصارى، أمّا اليهود فتركته و صامت يوماً من السنه زعموا أنّه يوم غرق فرعون؛ و كذبوا في ذلك!، فإنّه كان يوم عاشوراء.

و أمّا النصارى فإنّهم صاموا رمضان حتّى صادفوا حرّاً شديداً، فاجتمعت آراء علمائهم على تعيين فصلٍ واحدٍ بين الصيف و الشتاء، فجعلوه في الربيع و زادوا عليه عشرة أيّام كفّارة لما صنعوا، فصار أربعين. ثمّ مرض ملكهم و وقع فيهم موتٌ، فزادوا عشرة أيّام فصار خمسين» (٣).

و «الفاء» من قوله: «فصمنا بأمرك نهارة» عاطفةٌ سببيّةٌ.

و «متعرّضين» حالٌ من ضمير المتكلّم مع الغير؛ و العامل الفعلان من قوله: «صمنا» و «قمنا» _ على طريق التنازع _ ، يقال: عرضه لكذا فتعرّض: إذا تصدّى له و طلبه _ و منه: «تعرّضوا لنفحات الله» (٤) _ (٥) > . أى: حال كوننا متعرّضين طالبين للثواب الذى عرضتنا له _ أى: لذلك الثواب _ ، يعنى: جعلتنا فى معرض ذلك الثواب «من رحمتك».

و «تسببنا» عطفٌ على «عرّضتنا»؛ يقال: «تسبّب» إلى الشىء: توصّل إليه.

قوله: «و أنت الملىء» قيل: «عطفٌ على «و أنت جعلت»، و المعنى: أللهم أنت الذى ملأت بما رغب فيه إليك؛ أى: ممّا رغب إليك فى تحصيله _ و هو الرحمه _ . و فى بعض النسخ: «الملىء» _ بالياء دون الهمزة _ . و الظاهر أنّ جملة: «و أنت الملىء» استينافيّة مقرّرة

ص : ٩٦

١- ١. راجع: «فقه القرآن» ج ١ ص ٢٠٩، «تفسير الكشاف» نفس المصدر.

٢- ٢. المصدر: تطيب أنفس.

٣- ٣. هذا تفصيل قول الشعبى و الحسن، راجع: «مجمع البيان» ج ٢ ص ٦.

٤- ٤. راجع _ مع تغييرٍ _ : «شرح نهج البلاغة» ج ٦ ص ١٩٣، «مجموعه ورام» ج ١ ص ١٠.

٥- ٥. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ١٥٥.

لمضمون ما قبلها _ من استحقاق التعرّض لرحمته و التسبّب لمثوبته _ مفيدٌ لأهليّته _ سبحانه _ لذلك. و يحتمل الحاليه.

و «الملىء» _ مهموزاً _ : الغنىّ المقتدر، يقال: هو أملاً القوم أى: أغناهم و أقدرهم، و يجوز فيه الإبدال و الإدغام؛ و: قد ملأ _ بالضمّ، ككُرم _ ملأه، و هم ملئون به و ملأه.

و «الجواد» معناه: المحسن المنعم الكثير الإحسان و الإنعام، يقال: جاد السخىّ من الناس يَجود جوداً، و رجلٌ جوادٌ و قوم أجواد و جوادى: أسخياء. و لا يقال لغير الله _ عزّ و جلّ _ سخىً، لأنّ أصل السخاوه راجعٌ إلى اللين؛ يقال: أرضٌ سخاويّةٌ و قرطاسٌ سخاويٌّ. و «الجواد» من أفاد الغير كمالاً _ فى جوهره أو فى أحواله _ من غير أن يكون بإزائه عوضٌ بوجهٍ من الوجوه _ سواءً كان شكرًا أو ثناءً أو صيتاً أو فرحاً _ ؛ فالجود هو إفاده ما ينبغي لا لعوض. فالواهب لما لا يليق للموهوب له ليس بجوادٍ، كمن يهب سكيناً لمن يقتل به مظلوماً، و كذا من أعطى فائدةً ليستعوض منها بدلاً مطلقاً، بل هو معاملٌ مستعصٌ!، فيكون ناقصاً فقيراً.

و قيل: «الجواد معناه: المحسن إذا كان ليناً. و سمى السخىّ: سخياً للينه عند الحوائج إليه».

و «القرب»: خلاف البعد. و يستعملان فى الزمان و المكان، و هما من لوازم الجسميّة، و الله _ تعالى _ منزّهٌ عن ذلك. و لأنّ الزمان _ لكونه مقدار الحركة _ علّةٌ لتغيّر الأشياء الزمانيّة و لاعلّه لتغيّره _ لأنّه بنفسه متغيّرٌ و بهويّته أمرٌ غير قارّ الذات _ . و المكان علّةٌ تكثر الأشياء المكانيّة و لا علّةٌ لتكثره و إنقسامه _ لأنّه بنفسه قابل الكثرة و بهويّته ذو وضعٍ و أجزاءٍ متباينَةٍ فى الوضع _ ؛ فالبارى _ جلّ و عزّ _ لمّا لم يكن وجوده زمانيّاً _ لأنّه غير متغيّرٍ أصلاً، بل مبدع الزمان و ما فيه و ما معه _ فلم يجز فى حقّه القبل و البعد الزمانيّان. و لمّا لم يكن وجوده مكانيّاً أيضاً _ لأنّه غير متكتّزٍ و لامتجزٌ بوجهٍ من الوجوه، بل هو جاعل المكان و ما فيه و ما معه _ فلم يجز فى حقّه أن يقال: هنا أو هناك، أو فوق شىءٍ أو تحت شىءٍ، أو قبل شىءٍ أو بعد شىءٍ، أو على شىءٍ أو فى شىءٍ إلاّ تجوّزاً و اضطراباً.

فان قلت: قد روى عن النبىّ _ صلى الله عليه و آله و سلّم _ : «أنّه فوق كلّ شىءٍ و تحت

كُلُّ شَيْءٍ قَدْ مَلَأَ كُلَّ شَيْءٍ عَظَمَتَهُ، فَلَمْ يَخْلُ مِنْهُ أَرْضٌ وَ لَاسَمَاءٌ وَ لَا بَرٌّ وَ لَا بَحْرٌ وَ لَا هَوَاءٌ، هُوَ الْأَوَّلُ لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ شَيْءٌ وَ هُوَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ، وَ هُوَ الظَّاهِرُ لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ وَ هُوَ الْبَاطِنُ لَيْسَ مِنْ دُونِهِ شَيْءٌ؛ فَلَوْ دَلَّيْتُمْ عَلَى الْأَرْضِ السُّفْلَى لَهَبِطْتُمْ عَلَى اللَّهِ» (١) _ وَ فِي أَحَادِيثِنَا مِنْ قَبِيلِ ذَلِكَ كَثِيرٌ، وَ كَذَا فِي كِتَابِ الْعَامَّةِ كَالْمَشْكُوهِ وَ الْمَصَابِيحِ (٢) وَ غَيْرَهُمَا _ ، فَكَيْفَ قُلْتُ: لَمْ يَجْزِ فِي حَقِّهِ أَنْ يَقَالَ: هُنَا أَوْ هُنَاكَ _ ... إِلَى آخِرِهِ _ إِلَّا تَجَوَّزًا وَ اضْطِرَارًّا؟

قُلْتُ: إِحَاطَتُهُ وَ مَعِيَّتُهُ _ سُبْحَانَهُ _ بِجَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ إِحَاطَةٌ وَ مَعِيَّةٌ قِيُومِيَّةٌ لَيْسَتْ إِحَاطَةٌ جَسَمِيَّةٌ _ كَمَا تَوَهَّمُهُ الْقَائِلُ _ ، فَإِنَّ الْحَقَّ _ تَعَالَى _ مَعِيَّةٌ ثَابِتَةٌ مَعَ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ وَ ظُهُورًا خَاصًّا مِنْهُ فِي كُلِّ الْهَوِيَّاتِ لَيْسَتْ كَمَعِيَّةِ جَوْهَرٍ مَعَ جَوْهَرٍ أَوْ جَوْهَرٍ مَعَ عَرْضٍ أَوْ عَرْضٍ مَعَ أَحَدِهِمَا، بَلْ أَشَدُّ مِنْ جَمِيعِ الْمَعِيَّاتِ حَتَّى مَعِيَّةُ الْوُجُودِ مَعَ الْمَاهِيَّةِ، فَلَا يَكُونُ مَازَجًا وَ لَا مُوَاصِلًا وَ لَا مُغَايِرًا وَ لَا مُفَاصِلًا وَ لَا مُتَّحِدًا _ كَاتِّحَادٍ مُوجُودٍ بِمَوْجُودٍ _ وَ لَا كَاتِّحَادٍ مَهْيَةٍ مُتَحَصِّلَةٍ بِمَهْيَةٍ مُتَحَصِّلَةٍ؛ بَلْ كَمَا قَالَ إِمَامُ الْمُؤَيَّدِينَ وَ مُقْتَدِي الْعَارِفِينَ وَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِيطَالِبٍ _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ : «مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمَازَجِهِ» (٣) وَ غَيْرِ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمَزَايِلِهِ» (٤).

فَنَسْبُهُ مَعِيَّتُهُ _ تَعَالَى _ إِلَى الثَّابِتِ وَ الْمَتَغَيِّرِ وَ الْمَجْرَدِ وَ الْمَادِّيِّ وَ الزَّمَانِيِّ وَ الْمَكَانِيِّ نَسْبُهُ وَاحِدَةٌ لَمْ تَزَلْ وَ لَا تَزَالْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَصَوَّرَ فِي حَقِّهِ _ سُبْحَانَهُ _ تَغَيَّرٌ وَ تَجَدُّدٌ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ _ لَا فِي ذَاتِهِ وَ لَا فِي صِفَاتِهِ وَ لَا فِي إِضَافَتِهِ وَ نَسْبَتِهِ _ . فَصَحَّ الْقَوْلُ بِأَنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْهُ

ص : ٩٨

١- ١. لَمْ أَعَثْرَ عَلَيْهِ بِالْفَظِ، وَ انْظُرْ: «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» ج ١ ص ٢٦٠، «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ» ج ٤ ص ٣٠٤، «مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ» ج ٧ ص ١٢١، «الْمَعْجَمُ الْأَوْسَطُ» ج ٤ ص ٢٤٩، «الْعِلَلُ الْمُتَنَاهِيَةُ» ج ١ ص ٢٨.
٢- ٢. هَكَذَا فِي النُّسخَتَيْنِ، وَ الظَّاهِرُ: كَ _ «مَشْكُوهُ الْمَصَابِيحِ». وَ قَالَ صَدْرُ الْمُتَأَلِّهِينَ: «وَ فِي كِتَابِ الْعَامَّةِ كَالْمَشْكُوهِ وَ الْمَصَابِيحِ وَ غَيْرِهَا أَحَادِيثٌ مُتَقَارِبَةٌ قَرِيبَةُ الْمَعْنَى ...»؛ وَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ الْعِبَارَةُ مَأْخُودَةً مِنْ هُنَاكَ؛ رَاجِعٌ: «شَرْحُ أَصُولِ الْكَافِي» ج ٣ ص ٦٦.

٣- ٣. الْمَصْدَرُ: لَا بِمُقَارَنِهِ.

٤- ٤. رَاجِعٌ: «نَهْجُ الْبَلَاغَةِ» الْخُطْبَةُ ١ ص ٣٩، وَ انْظُرْ: «شَرْحُ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ» عَلَيْهِ ج ١ ص ٧٨، «بَحَارُ الْأَنْوَارِ» ج ٥٤ ص ١٧٦.

زمانٌ ولا مكانٌ؛ تقدّس و تعالى عن وصفه تغَيَّر و انتقالٌ و شائبه حدوثٌ و زوالٌ.

و إذا كان مع شيءٍ لا يبطل معيّته بشيءٍ آخر، بل هو دائماً بحالهٍ واحدهٍ من غير تفاوتٍ في قربهِ و بعده، و إنّما التفاوت من جهه الأشياء في قربها و بعدها منه _ تعالى _ لتفاوت مراتبها و درجاتها في الكمال و النقص؛ قال الله _ تعالى _ في القرآن: «وَ إِذَا سَأَلَمَكَ عِبَادِيَ عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ» (١)، و قال _ تبارك و تعالى _ : «نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» (٢)، و قال: «مَا مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ» (٣) _ ... الآية _ ، و قال: «وَ مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى» (٤).

قال صدر الحكماء و المحققين: «اعلم (٥) ! أنّ (٦) جمهور الحكماء بغايه أفكارهم و مبالغتهم في تنزيه الأول _ تعالى _ زعموا أنّ الله لمّا لم يكن جسمًا و لاجسمائيًا كانت نسبته إلى جميع الأمكنه و المكانيات نسبةً واحدهً، كما أنّه حيث لم يكن زمانيًا كانت نسبته إلى جميع الأزمنة و الزمانيات نسبةً واحدهً.

و الّذى تصوّروه و إن كان له وجهٌ، و لكن الإكتفاء بهذا القدر قصورٌ في التوحيد؛ فإنّ هذا الحكم شاملٌ لكلّ مفهومٍ كليٍّ و جوهرٍ عقليٍّ، و إنّ التوحيد التامّ أن يعتقد أن ليس جزءً من الأمكنه و الأزمنة و ذرّة من ذرات الأ-كوان إلّا و الحقّ _ تعالى _ بهويّته القدسيّه معه _ معيّّه غير زمانيّه و لامكانيّه (٧) _ و محيطٌ به _ إحاطةً قيوميّه غير وضعيّه _ . فهو _ تعالى _ في جميع الأماكن و المواضع و مع كلّ أوقاتٍ و الساعات من غير تقدّرٍ و لاتجزّءٍ و لاتقتيّدٍ و لاإنحصارٍ؛ و هذا الضرب من التوحيد ممّا عجزت عن إدراكه عقول الفحول (٨)» (٩)؛ انتهى.

أقول: البرهان على ذلك: أنّه لوخلّى منه زمانٌ أو مكانٌ أو شيءٌ من الأشياء لكان فاقد

ص : ٩٩

١- ١. كريمه ١٨٦ البقره.

٢- ٢. كريمه ١٦ ق.

٣- ٣. كريمه ٧ المجادله.

٤- ٤. كريمه ١٧ الأنفال.

٥- ٥. المصدر: _ اعلم.

٦- ٦. المصدر: فانّ.

٧- ٧. المصدر: غير مكانيّه و لازمانيّه.

٨- ٨. المصدر: عقول جماهير الحكماء.

٩- ٩. راجع: «شرح أصول الكافي» ج ٣ ص ١٣٦.

الشيء، و الفقد ضربٌ من النقص و القصور و مرجعه إلى العدم، و العدم ينافى حقيقه الوجود؛ و قد علمت مراراً أنَّ ذاته _ تعالى _ محض حقيقه الوجود و حقيقه الوجود لا يمكن أن يكون وجوداً لشيءٍ و عدماً لشيءٍ آخر _ و إلاَّ لم يكن نفس حقيقه الوجود، بل مركباً من وجودٍ و شيءٍ آخر يخالف الوجود، كسائر الأشياء الناقصة الوجود _ ؛ فافهم و اغتنم!

و قد روى أنَّه قال موسى _ عليه السلام _ : «إلهي! أ قريبٌ أنت فأناجيكَ أم بعيدٌ فأناديك؟ فأني أحسَّ حسن صورتك و لا أراك فأين أنت؟

فقال _ تبارك و تعالى _ : أنا خلفك و أمامك و عن يمينك و عن شمائلك، أنا جليس من يذكرني و أنا معه إذا دعاني» (١). بل هو _ سبحانه _ قريبٌ في بعده و بعيدٌ في قربهِ؛ كما روى في الكافي (٢) في الحديث الثاني من باب أنَّه لا يعرف إلاَّ به _ و هو الباب الثالث من كتاب التوحيد _ عن عدِّه من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن بعض أصحابنا عن علي بن عقبة بن قيس بن سمعان بن أبيريحه _ : مولى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم _ قال: سئل أمير المؤمنين _ عليه السلام _ : «بم عرفت ربَّك؟

فقال: بما عرَّفني نفسه!

قيل: و كيف عرَّفك نفسه؟

قال: لا يشبهه صورةٌ و لا يحسُّ بالحواسِّ و لا يقاس بالناس، قريبٌ في بعده بعيدٌ في قربهِ، فوق كلِّ شيءٍ و لا يقال شيءٌ فوقه، أمام كلِّ شيءٍ و لا يقال له أمامٌ، داخلٌ في الأشياء لا كشئٍ داخلٍ في شيءٍ، و خارجٌ من الأشياء لا كشئٍ خارجٍ من شيءٍ؛ سبحانه من هو كذا و لا هكذا غيره! و لكلِّ شيءٍ مبتدئٌ.

ص : ١٠٠

١ - ١. لم أعثر عليه بألفاظه، و راجع: «الكافي» ج ٢ ص ٤٩٦ الحديث ٤، «وسائل الشيعة» ج ٧ ص ١٤٩ الحديث ٨٩٧١، «بحار الأنوار» ج ١٣ ص ٣٤٢، «عدِّه الداعي» ص ٢٥٠، «القصص» _ للجزائري _ ص ٣٠٤.

٢ - ٢. راجع: «الكافي» ج ١ ص ٨٥ الحديث ٢، و انظر: «التوحيد» ص ٢٨٥ الحديث ٢، «جامع الأخبار» ص ٥، «المحاسن» ج ١ ص ٢٣٩ الحديث ٢١٧.

بيان: «عُقبه» _ بضَمّ العين و إسكان القاف _ ذكره العلامة في قسم المعتمدين، و قال: «هو أبو عمرو الأنصارى صاحب الرسول _ صَلَّى الله عليه و آله و سلّم _ و خليفته _ عليه السلام _» (١). و «أبى ربيحه» بالراء المهملة _ و فى نسخه: بالزاء المضمومه _ ، و بعدها الباء المنقوطة تحتها و بعدها الياء المنقوطة تحتها نقطتان. و «مولى رسول الله» صفه لأبي ربيحه.

قول السائل: «بم عرفت ربيك» أى: بأى وسيلة عرفت؟، فأجاب _ عليه السلام _ : بما عرّفنى، أى: بتعريف الله إياى نفسه لابتعريف غيره _ من معلّم آخر أو نقل روايه أو سماع أو شهاده أحدٍ أو غيرهما _ .

اعلم! أنّ معرفه الله بالله له وجهان:

أحدهما: معرفه الحقّ بالحقّ و معرفه ذاته المقدّسه الحقّه بذاتها و بجميع الصفات الكماليه التى هى نفس ذاته الأحديّه بواسطه أمرٍ خارجٍ عنه و حيثياتٍ مغايره له. و هذه المعرفه ليست لميّة _ لتعالیه عن العلّه _ ، و لا إتيّة _ لعدم حصولها بواسطه المعلول _ .

و أيضاً: المعرفه اللّمّيه و الإتيّة إنّما تحصلان بالنظر و الإستدلال، و هذه إنّما تحصل بالكشف و الشهود و صريح العرفان للكمل من أنبيائه و أوليائه _ كما قال سيّد المرسلين صَلَّى الله عليه و آله و سلّم: «لى مع الله وقت لا يسعه ملكٌ مقربٌ و لانبئى مرسلٌ» (٢) _ . و هى مرتبه الفناء فى الله بحيث لا يشاهد فيها غيره، فهو معروفٌ بالذات لا بغيره؛ و كما قال

ص : ١٠١

١ - ١. الذى ذكره العلامة فى قسم المعتمدين هو عقبه ابن عمرو الأنصارى [لا أبو عمرو، كما فى المتن]، و قال: «عقبه _ بضَمّ العين و إسكان القاف _ ابن عمرو الأنصارى، صاحب رسول الله _ صَلَّى الله عليه _ و خليفه علىّ _ عليه السلام _ بالكوفه»؛ راجع: «خلاصه الأقوال» ص ٢٢١ الرقم ٧٣١. أمّا عقبه بن قيس فذكره فى القسم الثانى من رجاله قائلاً: «عقبه _ بالقاف _ ابن قيس من أصحاب الباقر _ عليه السلام _ ، مجهولٌ»؛ راجع: نفس المصدر ص ٣٨١ الرقم ١٥٢٩. و الظاهر وقوع خلطٍ من المصنّف أو سقطٍ فى النسختين.

٢ - ٢. راجع: «بحار الأنوار» ج ١٨ ص ٣٦٠.

سيد الوصيين _ عليه السلام _ : «ما رأيت شيئاً إلا و رأيت الله قبله»(١)، إذ لا شبهه في أن هذه الرؤيه ليست رؤيه ظاهريه، بل رؤيه قلبيه _ لظهور سلطان الآخره على ذاته _ ؛ و أنى يتحقق هذا المقام إلا لمثله _ عليه السلام _ !. و مثل قول بعض الأولياء: «رأيت ربى ربى و لولا ربى ما رأيت ربى».

و الظاهر أنّ فى قوله _ تعالى _ : «أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»(٢) إشارة إلى هذه المرتبه، لأنّ النبى _ صلى الله عليه و آله و سلم _ بلغ إلى مقام يرى فيه الربّ بالربّ و به يستشهد على كلّ شىء؛ و فى هذا إشارة إلى كون ذاته _ تعالى _ كلّ الأشياء على وجه أعلى و أشرف غير فاقِدٍ لشيءٍ من الوجود و كماله _ كما هو مقرّر فى محله _ ، و إنّما المسلوب عنه _ تعالى _ النقائص و الأعدام، لما قد أشرنا فى اللمعات السابقه من أنّ إمتياز الخالق عن المخلوق بماهياتها الفاقره الذوات الناقصه الوجودات؛ قال أميرالمؤمنين _ عليه السلام _ : «اعرفوا الله باللّه و الرسول بالرساله و أولى الأمر بالمعروف و العدل و الإحسان»(٣)؛

و عن أبى عبد الله _ عليه السلام _ : «من زعم أنّه يعرف الله بحجابٍ أو بصورهٍ أو بمثالٍ فهو مشرّكٌ!، لأنّ حجابهِ مثاله و صورته غيره، و إنّما هو واحدٌ متوحّدٌ، فكيف يوحّده من زعم أنّه عرفه بغيره! و إنّما عرف الله من عرفه باللّه، فمن لم يعرفه به فليس يعرفه، إنّما يعرف غيره»(٤)؛

و قال _ عليه السلام _ فى دعاء الصباح: «يا من دلّ على ذاته بذاته»(٥)؛

و قال صاحب هذه الصحيفه فى دعاء عرفه: «عرفتك و أنت دللتنى عليك و لولا أنت لم

ص : ١٠٢

١- ١. لم أعثر عليه، و انظر: «مفتاح الفلاح» ص ٣٦٧.

٢- ٢. كريمه ٥٣ فصلت.

٣- ٣. راجع: «الكافى» ج ١ ص ٨٥ الحديث ١، «التوحيد» ص ٢٨٥ الحديث ٣، «روضه الواعظين» ج ١ ص ٣٠، «بحار الأنوار» ج ٢٥ ص ١٤١.

٤- ٤. راجع: «الكافى» ج ١ ص ١١٣ الحديث ٤، «بحار الأنوار» ج ٤ ص ١٦٠، «التوحيد» ص ١٤٢ الحديث ٧.

٥- ٥. راجع: «بحار الأنوار» ج ٨٤ ص ٣٣٩.

فتأمل في هذا المقام، فإنه من مزال الأقدام!

و الوجه الثاني: بطريق التنزيه و التقديس؛ و هو أن يستدلّ أولاً بوجود الأشياء على وجود ذاته ثم يعرف ذاته بنفى المثل و الشبه عنه، لأنّ ما سواه _ سواء كان روحاً أو جسماً، أو جوهرأ أو عرضاً _ مخلوق له، و المخلوق لا يساوى الخالق، لا في الذات _ حتّى يكون مثلاً له _ ، و لا في الصفات _ حتّى يكون شبيهاً له _ .

و لأنّ صفاته ذاته، فلو ساواه شيء في الصفه لساواه في الذات، فيلزم أن يكون مثلاً له، فيلزم تعدّد الخالق الإلاه؛ و هو محال. فإذا نفى عنه ما عداه و سلب عنه شبه ما سواه _ سواء كان أبداناً أو أرواحاً _ فيعرف أنّه منزّه عن أن يوصف بشيء غير ذاته أو يصدق عليه معنى غير ذاته.

فغايه معرفته أن يعرف بالبرهان أن لا-يمكن معرفته بشيء غير نفسه و لا-لشيء غير نفسه، و لأجل ذلك قال أعرف الخلق به: «سبحانك! ما عرفناك حقّ معرفتك!»(٢)، و قيل: «العجز عن درك الإدراك إدراك»(٣).

و البرهان على ذلك: إنّ ما لا سبب و لا جزء فيه بوجه من الوجوه لا بحسب الخارج بالفعل _ كالمادّه و الصوره _ و لا بالقوّه _ كالأجزاء المقداريّه للمتّصل الواحد _ و لا بحسب العقل _ كالجنس و الفصل، لأنّه محض حقيقه الوجود و الوجوب _ فلاحّد له و لا برهان عليه؛ و إذ لا صفه له و لا شيء أعرف منه فلا رسم له؛ و إذ ليست حقيقه الوجود مهيه كئيّه فلا-صوره لها في العقل حتّى يعرف بها _ كما في الماهيات التي ليست هي عين الوجود _ ، فإذن

ص: ١٠٣

١-١. راجع: «البلد الأمين» ص ٢٠٥، «المصباح» _ للكفعمي _ ص ٥٨٨، «مصباح المتهجد» ص ٥٨٢.

٢-٢. راجع: «عوالي اللئالي» ج ٤ ص ١٣٢ الحديث ٢٢٧، «بحار الأنوار» ج ٦٨ ص ٢٣.

٣-٣. قد فضّلنا الكلام حول قائل هذه العبارة و قولته هذه في تعليقاتنا على «شرح فصوص الحکم» _ للعارف الكاشاني _ ؛ فراجع: المصدر ص ٤١٧ الرقم ٣٠.

لا يمكن معرفته _ تعالى _ بأحد الوجهين المذكورين.

إذا عرفت هذا فلنرجع إلى معنى الحديث. وقد سلك هنا في معرفه الله بالله الوجه الثانى، فلذا لَمَّا سئل _ عليه السلام _ : كيف عَرَفَكَ الله نفسه؟، فأجاب: بأنّه لا يشبهه صورة، مجرّدة كانت _ كصوره العقول و النفوس _ ، أو مادّيّة _ كصور الأجسام _ ؛ و أن ليس من شأنه أن يدرك بالحواس أو يقاس بالناس و مدركاتهم _ لما ذكرنا من أنّ المخلوق لا يساوى الخالق مطلقاً _ ؛ و إذا كان كذلك فهو قريبٌ فى بعده بعيدٌ فى قربهِ، أى: جهه قربهِ بعينها جهه بعده، و كذلك بالعكس _ لما ذكرنا من أنّه بسيطٌ من جميع الجهات و الحثيات _ ، فلو كان جهه قربهِ غير بعده أو بالعكس لزم الخلف، و هو محالٌ؛

و لأنّ قوام الفعل بالفاعل، و الكلّ من أفعاله؛ و هو جهه قربهِ؛

و أمّا جهه بعده لتجرّد ذاته و استغنائه.

و تبه _ عليه السلام _ بعيتيه الجهتين و قال: «فوق كلّ شىءٍ» لإحاطته بالأشياء إحاطةً معنويّةً وجوديّةً _ كما مرّ _ ، و لا يقال شىءٌ فوقه إذ لا حدّ لوجوده، و وجوده فوق ما لا يتناهى.

و قوله: «أمام كلّ شىءٍ» لأنّه مبدء الأشياء، و لا يقال له أمامٌ إذ لا مبدء له.

قوله: «داخلٌ فى الأشياء» دخول المقوّم للوجود فيما يتقوّم به، لا كدخول الجزء فى الكلّ مطلقاً _ كما عرفت _ ؛

و قوله: «خارجٌ من الأشياء» لأنّه تامّ الحقيقه، بل فوق التمام _ حيث يفيض من وجوده وجود الأشياء _ ؛

و ليس خروجه منها كخروج شىءٍ منفصلٍ عن شىءٍ، لأنّ المعلول من وجهٍ هو هو و من وجهٍ غير هو؛ بل منشأ هذا الخروج هو بعينه منشأ ذلك الدخول. و هو غايه عظمته و كمالّيته فى الوجود، فإنّ غايه العظمه كما يستلزم الدخول فى كلّ شىءٍ فكذا يستلزم الإرتفاع عن كلّ شىءٍ؛ فافهم!.

و اعلم! أنّ هذه المعارف ممّا يقصر العبارة عن حقّ بيانها، فلنصرف العنان عنها.

ثُمَّ لَمَّا ذَكَرَ كَيْفِيَّتَهُ مَعِيَّتَهُ — تَعَالَى — لِلْأَشْيَاءِ عَلَى هَذَا الْبَيَانِ — الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ بَيَانٌ! — رَجَعَ إِلَى التَّنْزِيهِ وَنَزَّهَهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ غَيْرِهِ مِثْلُ هَذِهِ الْمَعِيَّةِ الْمَوْصُوفَةِ، فَقَالَ: «سَبْحَانَ مَنْ هُوَ هَكَذَا وَلاَ هَكَذَا غَيْرُهُ».

وَأَشَارَ إِلَى بَرَهَانِهِ بِقَوْلِهِ: «وَلِكُلِّ شَيْءٍ مَبْدَأٌ»، لِأَنَّ «الْوَاوَ» حَالِيَّةٌ وَالجمله حالٌ والعامل فيها معنى الإشارة؛ وبيانه: أَنَّ هَذِهِ الْمَعِيَّةَ الْمَذْكُورَةَ مَعِيَّةٌ قَيُومِيَّةٌ، وَلاَ شَيْءَ غَيْرَهُ قَيُومًا لِلْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، إِذْ كُلُّ شَيْءٍ غَيْرُهُ فَلَهُ مَبْدَأٌ — إِذْ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا مَبْدَأٌ لِمَا سِوَاهُ — .

وَقَدْ أَقَامَ فِينَا هَذَا الشَّهْرُ مَقَامَ حَمْدٍ، وَصَيَّحْنَا صُحْبَةَ مَبْرُورٍ، وَارْبَحْنَا أَفْضَلَ أَرْبَاحِ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ قَدْ فَارَقْنَا عِنْدَ تَمَامِ وَقْتِهِ، وَانْقِطَاعِ مُيَدَّتِهِ، وَوَفَاءِ عَيْدِهِ. فَتَحْنُ مُودُّعُوهُ وَدَاعَ مَنْ عَزَّ فِرَاقُهُ عَلَيْنَا، وَغَمَّنَا وَأَوْحَشَنَا انْصِرَافُهُ عَنَّا، وَكَزَمَنَا لَهُ الدِّمَامُ الْمَحْفُوظُ، وَالْحُرْمَةُ الْمَرْغَبِيَّةُ، وَالْحَقُّ الْمَقْضِيُّ.

«وَقَدْ أَقَامَ» حَالٌ عَنِ الْمَجْرُورِ فِي قَوْلِهِ: «آثَرْتَنَا بِهِ وَاصْطَفَيْتَنَا بِفَضْلِهِ»، أَيْ: آثَرْتَنَا بِسَبَبِ هَذَا الشَّهْرِ حَالِ كَوْنِ هَذَا الشَّهْرِ قَدْ أَقَامَ فِينَا «مَقَامَ حَمْدٍ»، أَوْ مَقَامَ مَحْمُودٍ، أَوْ مَقَامَ ذِي حَمْدٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّا نَصِيرُ بِسَبَبِ هَذَا الشَّهْرِ ذَوِي آثَارٍ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ، وَصَاحِبِي فَضِيلَةٍ دُونَهُمْ، فَلِذَا يَصِيرُ مَحْمُودًا فِينَا.

وَالْمَقَامُ — بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ — قَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى: الْإِقَامَةُ — فَيَكُونُ مَفْعُولًا مُطْلَقًا — ، وَ قَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى: مَوْضِعُ الْقِيَامِ.

وَالْمَبْرُورُ: الْمَقْبُولُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: بَرَّ اللَّهُ حُجَّةَ أَيْ: قَبْلَهُ.

وَالْأَرْبَحْنَا أَيْ: جَعَلْنَا ذَوِي أَرْبَاحٍ؛

فَقَوْلُهُ: «أَفْضَلَ أَرْبَاحِ الْعَالَمِينَ» مَفْعُولٌ لِلنَّوْعِ، وَهُوَ: الْجَنَّةُ، أَوْ: قَرَبُ الْحَقِّ. وَ عَلَى مَا ذَكَرْنَا مِنَ الشَّهْرِ الْبَاطِنِيِّ مَعْنَى قَوْلِهِ — عَلَيْهِ السَّلَامُ —: «أَفْضَلَ أَرْبَاحِ الْعَالَمِينَ» ظَاهِرَةٌ.

>و «فَارَقْتَهُ» مَفَارَقَةً وَفِرَاقًا: انْفَصَلَتْ عَنْهُ، وَالْإِسْمُ: الْفَرْقَةُ.

و «عند» هنا ظرف زمانٍ _ نحو: عند طلوع الشمس _ .

و «تمام» الشيء: انتهاؤه إلى حدٍّ لا يحتاج إلى شيءٍ خارجٍ عنه، فإن احتاج فهو ناقصٌ.

و «الوفاء»: بلوغ التمام، ومنه: درهمٌ وافٍ أى: تامّ الوزن.

و «عدده» أى: كمّيته، و هى أيامه المعدوده.

و «الفاء» من قوله: «فنحن» للسببيّة، أى: فبسبب ذلك نحن لمدّعوه.

و «عزّ فراقه» أى: صعب و اشتدّ.

و «غَمْنَا» أى: أحزننا. و أصل الغمّ: التغطية و الستر، و منه: غَمّ الهلال _ بالبناء للمفعول _ : إذا ستر بغيمٍ أو نحوه؛ و سمّى الحزن «غَمًّا» لآَنه يغطّي السرور.

و «أوحشنا» أى: أهُمَّنَا؛ قال فى الصحاح: «الوحشه: الخلوه و الهَمّ، و قد أوشحت الرجل فاستوحش»^(١)؛ انتهى. و أصله من: الوحش: خلاف الأنس.

و «إنصرفه» أى: ذهابه^(٢)، و هو فاعل «غَمْنَا» و «أوحشنا» على سبيل النزاع.

و «لزمنا» أى: نحن مدّعوه وداع من لزمنا، أى: صار لازماً لنا، من: لزم الشيء يلزم لزوماً: ثبت و وجب.

و «الذمام»: العهد؛ سمّى بذلك لأنّ الرجل يذمّ على إضاعته المحفوظ. و حاصل المعنى: أنّا نوّدّع شهر رمضان وداع من كان فراقه علينا عزيزاً عظيماً، و صار فراقه سبباً لحزننا و وحشتنا، و وداع من لزمنا له الحرمه و من لزمنا له حقٌّ لا بدّ من قضائه؛ فكما أنّ مفارقة هذا الشخص فى غايه الصعوبه و الشدّه، فكذا مفارقة هذا الشهر.

فَنَحْنُ قَائِلُونَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ اللَّهِ الْأَعْكَبِ، وَ يَا عِيدَ أَوْلِيَائِهِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَكْرَمَ مَصْحُوبٍ مِنَ الْأَعْوَقاتِ، وَ يَا خَيْرَ شَهْرٍ فِي الْأَيَّامِ وَ

ص : ١٠٦

١- ١. راجع: «صاح اللغه» ج ٣ ص ١٠٢٥ القائمه ١.

٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ١٥٨.

السَّاعِيَاتِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ قَرُبَتْ فِيهِ الْأَمَالُ، وَ نُشِيرَتْ فِيهِ الْأَعْمَالُ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ قَرِينٍ جَلَّ قَدْرُهُ مَوْجُودًا، وَ أَفْجَعَ فَقْدُهُ مَفْقُودًا، وَ مَرْجُوٌّ آلَمَ فِرَاقُهُ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ أَلِيفٍ آتَسَ مُقْبِلًا فَسَرَّ، وَ أَوْحَشَ مُنْقَضِيًا فَمَضَّ.

«فنحن قائلون» عطفٌ على قوله: «نحن مودَّعوه» على سبيل التفسير.

و مقول القول: «السلام عليك»، أى: فنحن قائلون فى وداعه: «السلام عليك يا شهر الله الأكبر»؛

و إضافه «الشهر» إلى اسم «الله» دون سائر الأسماء لما ذكرنا فى اللمعه السابقه من أنَّ المراد بـ «الشهر» هو الصادر الأول، و هو مظهرٌ للألوهيَّه، لأنَّ اسم «الله» عند أكابر العرفاء عبارةٌ عن مرتبه الألوهيَّه الجامعه لجميع الشؤون و الإعتبارات و النعوت و الكمالات، المندرجه فيها جميع الأسماء و الصفات التى ليست إلَّا لمعات نوره و شؤون ذاته. و هى أوَّل كثره وقعت فى الوجود البرزخ بين الحضره الأحديَّه و بين المظاهر الأمرية و الخلقية _ كما مرَّ تحقيق ذلك غير مرَّه _ ؛ بخلاف سائر الأسماء، فلذا أضافه إلى «الله»؛

و قيل: «إضافه «الشهر» إلى «الله» _ تعالى _ للتعظيم؛ و وصفه بـ «الأكبر» لأنَّه أفضل الشهور»(١).

و لا يخفى أنَّه على هذا القول يلزم أن يكون وصفه بـ «الأكبر» مجازاً؛ و على ما ذكرنا ينطبق كلُّما ذكره _ عليه السلام _ فى هذا المقام _ كما لا يخفى على ذوى الأفهام من الأنام _ .

و «العيد»: ما يعود على الإنسان فى وقتٍ معلوم؛ و منه «العيد»، لأنَّه يعود كلَّ سنهٍ بفرحٍ جديدٍ؛

و قيل: «من العاده، لأنَّهم اعتادوه»؛

و قيل: «العيد: السرور العائد، و لذلك يستعمل فى كلِّ وقتٍ فيه مسرَّة».

ص : ١٠٧

و إنما جعله «عيداً لأوليائه»، لما عرفت سابقاً من أنه لا يصل إليه إلا أنبيأؤه و أوليأؤه الكاملون، دون غيرهم؛ و هذا مؤيد لما ذكرنا. ثم لا يخفى أن السرور و الإبتهاج بقدر شدّه الوجود و شرف المرتبه _ كما مرّ غير مرّه _ .

و «خير» من قوله _ عليه السلام _ : «خير شهرٍ للتفضيل، يقال: هذا خيرٌ من هذا أى: يفضلُه. و إسقاط الألف منه _ و من «شرّ» _ من آدابهما فى التفضيل؛ و هى لغه جميع العرب ما عدا بنيعامرٍ، فإنهم يقولون: أخير و أشرّ _ على القياس _ .

و «من» فى قوله: «من شهر» بيانيّة؛ و هى و مخفوضها فى محلّ نصبٍ على الحال من «كاف» الخطاب.

و «قرب الآمال فيه» قيل: «بسبب إجابته الدعوات فيه، فكلّ من أمل شيئاً فى غيره و كان أمله بعيداً عنه صار فيه قريباً إليه مشرفاً على الوصول إليه»؛

و قيل: «معناه: أن أهل الآمال لما علموا ثوابه الأخرى أحبوا لقاء الله، فقصّروا آمالهم الدنيوية حباً للقائه _ تعالى _ .».

و على ما ذكرنا «قرب الآمال» فيه ظاهرٌ، لوصول المحبّ إلى محبوبه و العاشق إلى معشوقه.

حو «موجوداً» منصوبٌ على الحالّيه، أى: حالكونه و تحقّقه.

و «الفجيعه»: الرذيه، يقال: فجّعتَه المصيبة فجّعا _ من باب نفع _ : أوجعته، فهو مفجوعٌ. و فى عامّه النسخ: «أفجع» بالهمزه، و لم يذكره أصحاب اللغة، بل صرّح صاحب المجمل بأنّه لم يتكلّم به _ قال: «ميّت فاجّع و مفجّع، جاء على أفعل و لم يتكلّم به»^(١) _ . و فى نسخه ابن إدريس: «فجع» بدون همزه، و هو المسموع.

و «الفقد» أخصّ من العدم، لأنّه عدم الشىء بعد وجوده؛ بخلاف العدم، فإنّه يعمّ ما

ص : ١٠٨

١ - ١. لم أعر على العبارة فى مجمل اللغة، فإنّ ابن فارس اقتصر فيه على أن قال: «الفجيعه: الرزيه، و نزلت بفلانٍ فاجعاً. و تفجع: إذا توجّع لها»؛ راجع: «مجل اللغة» ج ٤ ص ٨٠.

و «مفقودا» حال مؤكدة، لفهم معناها ممّا قبلها.

و «المرجؤ» اسم مفعولٍ من: رجوته بمعنى: أملتّه، عطفٌ على «قرين».

و «الألم» — محرّكه —: الوجد الشديد، يقال: ألم الرجل — بالكسر — ألماً، و يعدّى بالهمزة فيقال: آلمه إيلاًماً فتألّم (١) <.

و «أليف»: اسم فاعلٍ — كعليم — من الألفه، و هي: الأنس و المحبّه، و الأنس: خلاف الإيحاءش.

و «مقبلاً» أى: حال الإقبال؛ فهو >بضمّ الميم و كسر الباء الموحّده بعد القاف الساكنه: اسم فاعلٍ من الإقبال: نقيض الإدبار؛ أو بصيغه المفعول بمعنى: الإقبال، أى: إقبالاً — مونساً — كقوله تعالى: «أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ» على قراءه الفتح (٢)؛ أى: أدخلنى إدخال صدقٍ، أو آنس بإقباله علينا، كما تقول: سرّنا إكرماً أى: بإكرامه إيانا — (٣) <.

و «أوحش منقضيّاً» أى: أوحش فى حال الذهاب و الإنقضاء.

«فأمض» أى: فأوجع، يقال: أمض الجرح إمضاضاً: إذا أوجعك؛ و فى نسخه: «فمض» (٤).

السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ مُجَاوِرِ رَقَّتْ فِيهِ الْقُلُوبُ، وَ قَلَّتْ فِيهِ الدُّنُوبُ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ نَاصِرِ أَعَانَ عَلَى الشَّيْطَانِ، وَ صَاحِبِ سَهْلٍ سُبُلِ
الْأَيْحَسَانِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مَا أَكْثَرَ عَتَقَاءَ اللَّهِ فِيكَ! وَ مَا أَشَدَّ عَدَّ مَنْ رَعَى حُرْمَتَكَ بِكَ! السَّلَامُ عَلَيْكَ مَا كَانَ أَمْحَاكَ لِلدُّنُوبِ، وَ
أَسْتَرَكَ لِأَنْوَاعِ الْعُيُوبِ! السَّلَامُ

ص : ١٠٩

١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ١٦٢.

٢- ٢. هذه هى قراءه الحسن و قتاده و إبراهيم بن أبيعبله و أبيالعالیه، راجع: «تفسير القرطبي» ج ١٠ ص ٣١٣، «تفسير الكشاف» ج

٢ ص ٤٦٣، «البحر المحيط» ج ٦ ص ٧٣.

٣- ٣. قارن — مع تغييرٍ يسير —: «شرح الصحيفة» ص ٣٨٥.

٤- ٤. و هذا هو المشهور فى نسخ الصحيفة الكريمه، كما جعلناه فى المتن.

عَلَيْكَ مَا كَانَ أَطْوَلَكَ عَلَى الْمُجْرِمِينَ!، وَ أَهْبَيْكَ فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ.

«المجاور»: الجار في السكن، من: جاوره مجاوراً: إذا لاصقه في السكن، أو قرب مسكنه منه.

و «رقّ» القلب: لان، أى: خشع.

و «صاحب سهل سبل الإحسان» أى: مصاحب طريق الإحسان إليه سهل يسير.

و «ما أكثر عتقاء الله فيك» للتعجب، أى: أتعجب من أن عتقاء الله فيك كثير؛ فقد ورد بذلك أخبار كثيرة، منها: ما روى عن الصادق _ عليه السلام _ : «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان غفر الله لمن شاء من الخلق، فإذا كان الليلة التي يليها ضاعف كل ما أعتق، ... و هكذا، فإذا كان آخر ليلة منه ضاعف فيها كلما أعتق!»^(١).

و «السعادة»: معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير، و تضادها: الشقاوة.

و «رعى حرمة»: حفظها و لم ينتهكها.

و «الباء» من قوله: «بك» للسببية. و «رعايه حرمة» عبارة عن تعظيم قدره بإجتنب (٢) المعاصي فيه.

و «ما كان أمحاك للذنوب» و «أسترك للعيوب» كلاهما فعلاان للتعجب، أى: أتعجب من أن أى شىء جعلك إمحاء للذنوب و ستارا للعيوب _ حتى فى الآخرة! _ .

و «كان» هنا زائدة.

«ما كان أطولك»: من الطول: خلاف القصر، و هما من الأسماء المتضائفه. و يستعملان فى الأعيان و الأعراض _ كالزمان و نحوه، قال تعالى: «فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ»^(٣) _ . و معنى «شده طوله على المجرمين»: إستثقالهم له و كراهيتهم إياه، فهم يرون أيامه أطول الأيام و شهره أطول الشهور! لأن أيام المشقه ترى فى النظر طويلاً.

ص : ١١٠

١-١. راجع: «المصباح» _ للكفعمى _ ص ٦٣٤، و لم أعثر عليه فى غيره.

٢-٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ١٦٤.

٣-٣. كريمه ١٦ الحديد.

و «أهيبك» أى: جعلك مهيباً «فى صدور المؤمنين»؛ من: هابه يهابه هيبه: خافه و حذره. و وجه هيبته فيها خوف عدم رعايه حقه، فيصير سبباً للخسران.

السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ لَا تَنَافِسُهُ الْأَيَّامُ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ هُوَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ. السَّلَامُ عَلَيْكَ غَيْرَ كَرِيهِ الْمُصَاحِبِ، وَ لَا ذَمِيمِ الْمَلَابِسِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ كَمَا وَفَدَتْ عَلَيْنَا بِالْبَرَكَاتِ، وَ غَسَلَتْ عَنَّا دَنَسَ الْخَطِيئَاتِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ غَيْرَ مُودِّعٍ بَرْمًا وَ لَا مُتْرُوكٍ صَيَامُهُ سَأَمًا. السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ مَطْلُوبٍ قَبْلَ وَقْتِهِ، وَ مَحْزُونٍ عَلَيْهِ قَبْلَ قُوَّتِهِ.

«من شهرٍ لا تنافسه الأيام» أى: لا تجادله و لا تنازعه، فأنه خيرٌ منها؛ يقال: نافست الشيء: رغبت فيه على وجه المعارضه و المغالبه فيه.

و «السلام»: مصدرٌ بمعنى: السلامه، و هى: الخلوص و التعزى من الآفات؛ أى: هو سلامه من كل أمرٍ من الشرور و البلايا و آفات الشيطان. و من ظنَّ أنَّ المصدر لا يتقدم عليه معموله مطلقاً، واهمَّ! — كما هو مقرَّر فى محله —.

«غير كَرِيهِ المصاحبه» حالٌ عن المفعول، أى: السلام عليك حال كونك لست بكريه المصاحبه، و لا مذموم «الملابسه» و المعاشره.

و «الملابسه» أبلغ من «المصاحبه»، كأنَّ كلاً منهما لبس صاحبه.

و «الكاف» فى قوله: «كما وفدت» للتعليل، أى: لوفودك علينا «بالبركات» — كقوله تعالى: «وَ اذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ» (١) — أى: لهدايته إياكم —.

و «الوفود»: الورود لمن كان له منزلٌ.

و «غير مودِّع برماً» أى: حال كونك غير مودِّع لأجل البرم، أى: السآمه و الضجر، يقال: برم بالشىء برماً فهو برمٌّ، مثل: ضجر ضجراً فهو ضجِرٌّ وزناً و معنىً. و نصبه فى الدعاء

ص: ١١١

على المفعول لأجله، و على هذا فالفقره الآتيه عطف تفسير منه. و يحتمل أن يكون المراد: ليس وداعنا إياك من جهة حصول الإبرام فنودّعك لتتخلص من الإبرام.

«و لا متروكٍ صيامه سأمًا» أى: ترك صيامه ليس لأجل السأمه. و «السَّامُ» _ بالتحريك _ : الملاله ممّا يكثر لبثه.

«من مطلوبٍ قبل وقته» يعنى: الشوق إلى لقائك بحيث إنّه قبل أوانه مطلوبٌ؛ لأنّ طلب الشىء قبل وقته كناية عن تمنّى حصوله، و ذلك لمحبتّه و شوق النفس إليه.

و «محزونٌ عليه قبل فوته» أى: كما أنّك محزونٌ عليه لأجل الفوت قبل فوته، و ذلك لشده الرغبه فى بقاءه و الحرص على اقتنائه.

السَّلامُ عَلَيْكَ كَمْ مِنْ سُوءٍ صُرِفَ بِكَ عَنَّا، وَ كَمْ مِنْ خَيْرٍ أُفِيضَ بِكَ عَلَيْنَا. السَّلامُ عَلَيْكَ وَ عَلَى لَيْلِهِ الْقَدَرِ الَّتِي هِيَ «خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ». السَّلامُ عَلَيْكَ مَا كَانَ أَحْرَصَنَا بِالْأَمْسِ عَلَيْكَ! وَ أَشَدَّ شَوْقَنَا غَدًا إِلَيْكَ! السَّلامُ عَلَيْكَ وَ عَلَى فَضْلِكَ الَّذِي حُرِمْنَا، وَ عَلَى مَا ضَمِنَ بَرَكَاتِكَ سُلْبَانَهُ.

«كم» خبريّة بمعنى: كثير، و هى مبتدئه و خبرها «صرف».

حو «من» مزیده، و لو حذف لكان مابعدھا مجروراً بإضافه «كم» إليه؛ أى: كثيرٌ من السوء صرف بسببك عَنَّا.

و مثله «كم من خيرٍ أفيض بك علينا».

و «الباء» من «بك» فى الموضعين سببيّه، أو ظرفيّة (١) <.

و قد تقدّم الكلام على «ليلة القدر» و كونها «خيرًا من ألف شهر».

و «أحرصنا» فعلٌ للتعجب؛ و كذا مابعدہ؛ أى: كنّا عليك حريصين قبل وصولك، و بعد إنقضائك كنّا مشتاقين إليك أشدّ الإشتياق.

ص : ١١٢

>و «الحرص»: فرط الإirاده.

و «الأمس»: اسم علم لليوم الذى قبل يومك الحاضر؛

و «الغد»: لليوم الذى بعد يومك(١) < الحاضر؛ و قد يستعملان فيما قبل قبل يومك الحاضر، و بعد بعد يومك الحاضر _ من الزمان الماضى و المستقبل _ مجازاً.

و «على فضلك الذى حرمناه» >أى: حرمننا دوامه و استمراره، فالسلام على ذلك الفضل الذى قد حصل، أو على فضلك الذى صرنا محرومين عنه. فالسلام على هذا يكون على الفضل الذى لم يحصل، فيكون من قبيل حسن الطلب(٢) <.

و «على ماضٍ من بركاتك سلبناه» أى: من بركاتك الماضيه التى كنّا مسلوبين عنها. و فى التعبير عن فواته بـ «السلب» _ الذى هو: نزع الشيء من الغير قهراً _ إشعارٌ بكراهيته لمضيه، و أنّه لم يكن عن رضى، بل عن قهرٍ.

اللَّهُمَّ إِنَّا أَهْلُ هَذَا الشَّهْرِ الَّذِي شَرَّفْتَنَا بِهِ، وَ وَفَّقْتَنَا بِمَنِّكَ لَهُ حِينَ جَهَلَ الْأَشْقِيَاءُ وَقْتَهُ، وَ حَرَّمُوا لِشَقَائِهِمْ فَضْلَهُ. أَنْتَ وَلِيُّ مَا آثَرْتَنَا بِهِ مِنْ مَعْرِفَتِهِ، وَ هَدَيْتَنَا لَهُ مِنْ سُبَّتِهِ، وَ قَدْ تَوَلَّيْنَا بِتَوَفِّيقِكَ صِيَامَهُ وَ قِيَامَهُ عَلَى تَقْصِيرٍ، وَ أَدَّيْنَا فِيهِ قَلِيلاً مِنْ كَثِيرٍ. اللَّهُمَّ فَلَكَ الْحَمْدُ إِقْرَاراً بِالْأَسَاءَةِ، وَ اعْتِرَافاً بِالْأَعْضَاعِ، وَ لَكَ مِنْ قُلُوبِنَا عَقْدُ النَّدَمِ، وَ مِنْ أَلْسِنَتِنَا صِدْقُ الْأَعْتِدَارِ.

تصدير الجملة بحرف التأكيد لكمال الإهتمام و العناية.

و «أهل هذا الشهر»: المختصون به إختصاص الرجل بأهله.

و «الحين»: وقت حصول الشيء. و هو مبهم المعنى، و يتخصّص بالمضاف إليه، أى: وقت

ص : ١١٣

١- ١. قارن: نفس المصدر و المجلّد ص ١٦٩، مع تغيير يسير.

٢- ٢. قارن: «نور الأنوار» ص ١٨٨، مع زياده.

جهل الأشقياء وقته.

و «الجهل»: هو خلوّ النفس من العلم، و هذا المعنى هو الأصل؛

و قيل: «إعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه»؛

و اعترض عليه بـ: أنَّ الجهل قد يكون بالمعدوم و هو ليس بشيء؛

أقول: هذا ليس بشيء؛ فإنَّ المعدوم شيءٌ في الذهن.

و قيل: «فعل الشيء بخلاف ما هو حقّه أن يفعل، سواءً إعتقد فيه إعتقاداً صحيحاً أو فاسداً».

ثمَّ أنَّ الجهل ينقسم إلى: بسيطٍ؛ و مركّبٍ _ كما مرَّ تحقيقه في اللمعة الثانية و الأربعين _ .

و المراد بـ «الأشقياء»: الكفّار، أو أهل السنّه، أو التاركون لصيامه مطلقاً. و أهل السنّه، >لأنّهم لما لم يحافظوا على حرمة فكأنّهم لم يعلموه و لم يعرفوا وقت دخوله و خروجه<؛ و المعنى (١) : أنَّهم حرّموا لشقائهم _ أى: لتركهم صيامه و قيامه، الموجب لشقائهم _ فضله؛ أو: حرّموا لشقائهم الحقيقيّ الأزليّ.

لمعّة عرشه

اعلم! أنَّ الشقاوه الحقيقيّه إمّا بحسب نقصان الغريزه عن إدراك المراتب العاليه؛ أو بحسب غلبه الهيئات الظلمانيّه الحاصله من المعاصي الحسيّه _ كالفسوق و المظالم _ ؛ أو بحسب الجحود و العناد للحقّ بالآراء الباطله و الإنكار للحكمه بالعقائد السفسطيه أو المشاغبيّه و ترجيح بعض المذاهب بالجدل و التقليد، طلباً للشهره و الرياسه و افتخاراً بما تستحسنه الجمهور و تشوّقاً إلى الكمال الوهميّ بحفظ المنقول مع حرمان الوصول؛ و بالجملة إثارةً للعاجل الخسيس على الآجل الشريف و للحاضر الباطل على الغائب الحقّ.

و الشقاوه في القسم الأوّل من قبيل الأعدام _ كالموت للبدن و الزمانه في الأعضاء _ من

ص : ١١٤

غير شعورٍ بمؤلمٍ؛

و أمّا في القسم الثاني فيادراك مؤلم مؤذٍ _ كالعضو المذى به وجّع شديدٌ _ ، فاليد المفلوجه أسوء حالاً من اليد الملسوعه، و الملسوعه أشدّ ألماً من المفلوجه. و ذلك لأنّ الهيئات الإنقهارية للنفس قبيحٌ لها مؤلمٌ لجوهرها مضادٌ لحقيقتها، لأنّ حقيقتها يستدعى أن يكون لها هيئة استعلائية قهرية على البدن و قوته الشهوية و الغضبية، فإذا انقهرت عنها و انقادت و أذعنت إياها و خدمتها في تحصيل مآربها الدنية كان ذلك موجباً لشقاوتها و تألمها و حسرتها. لكن كان إقبالها على شواغل البدن يمنعها عن أمر عاقبتها، و يشغلها سكر الطبعه عن الشعور بفضيحتها!. و الآن إذا زالت عوائق البدن و ارتفع الحجاب و كشف الغطاء بموت البدن فيتأذى النفس بتلك الهيئات أشدّ الأذى.

و لما كانت هذه الهيئة غريبة عن جوهر النفس _ و كذا ما يلزمها _ ، فلايبعد أن يزول في مدّة من الدهر متفاوتة حسب تفاوت العوائق في رسوخها و ضعفها و قلّتها _ إنشاء الله _ ؛ و للإشارة إلى هذا ورد في الشريعة الحقّ النبويّ: «انّ المؤمن الفاسق لا يخلّد في النار»(١).

و أمّا في القسم الثالث فهو النقص الذاتي للشاعر بالعلوم و الكمال العقليّ في الدنيا و الكاسب لنفسه شوقاً إليه، ثمّ تارك الجهد في كسبه ففقدت منه القوّة الهولائية و حصلت له فعلية الشيطنة و الإعوجاج و رسخت في وهمه العقائد الباطلة، فهي الداء العلياء التي أعتت أطباء النفوس المريضة عن مداواها؛ أو هذا الألم الكائن عنها بإزاء اللذة و الراحة الكائنة عن مقابليها. و كما أنّ تلك أجلّ من كلّ إحساسٍ بأمّ ملائم فكذاك هذه أشدّ من كلّ إحساسٍ بمنافٍ حسيّ _ من تفريق اتّصالٍ بالنار و تجميدٍ بالزمهرير و قطعٍ بالمناشير أو سقطه من شاهقٍ _ .

و عدم تصوّر ذلك الألم في الدنيا سببه ما ذكرناه؛ فهذه و التي بإزائها الشقاوة و السعادة العقليتان المعروفتان عند الحكماء. و نحن قد حقّقنا لك فيما سبق أنّ كلّ صفه و ملكه يغلب

ص : ١١٥

على باطن الإنسان لأجل تكرر الأفاعيل لا يظهر إلا بصورة تناسبها؛ ولا شك أن أفاعيل الأَشقياء إنما هي بحسب الهمم القاصره عن الإرتقاء إلى عالم الملكوت و محبتهم المتعلقة بمراتب البرازخ الحيوانية المقتضية للأعمال الشهوية والغضبية البهيمية والسبعية، فلا جرم همهمهم وتصوراتهم وأغراضهم حيوانية تغلب على نفوسهم، فيحشر على صور تلك الحيوانات — كما يدل عليه قوله تعالى: «وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ» (١) — .

و ربما يحشر بعض النفوس على صورة جامع لفنون الرذائل الحيوانية — كما ورد: «يحشر بعض الناس على صورة تحسن عندها القرده والخنازير!» (٢) — ؛ وقس على ما ذكر السعادة.

فالمثوبات والعقوبات الحسيتين يترتبان على ما ذكر.

و السر في إختلاف النفوس في السعادة والشقاوة وعدم تساويها في الخيرات والشور هو إختلاف الإستعدادات وتنوع الحقائق، فإن المواد السفلية بحسب الخلقة والماهية متباينة في اللطافة والكثافة ومزاجاتها مختلفة في القرب والبعد من الاعتدال الحقيقي، والأرواح الإنسية التي بإزائها مختلفة بحسب الفطره الأولى في الصفا والكدوره والقوة والضعف مترتبة في درجات القرب والبعد من الله — تعالى — . لما تقرّر و تحقّق أنّ بازاء كلّ مادّة ما يناسبها من الصور؛ فأجود الكمالات لأتمّ الإستعدادات، وأخسّها لأنقصها، كما أشير بقوله — عليه السلام — : «الناس معادن كعادن الذهب والفضّة، خيارهم في الجاهليّة خيارهم في الإسلام» (٣).

و أيضاً قد ذكرنا لك في اللمعة الأولى أنّ لله — تعالى — صفاتا وأسماء متقابلات لها مظاهر في غيب غيوبه في المرتبة الواحدية هم المسمّون بالأعيان الثابتة والماهيات الكليّة،

ص : ١١٦

١- ١. كريمة ٥ التكوير.

٢- ٢. لم أعثر عليه في مصادر الفريقين الروائيين، وأورده العارف الكاشاني، راجع: «رساله مبدأ و معاد» — في «مجموعه مصنفات كاشاني» — ص ٣٠٧.

٣- ٣. راجع: «بحار الأنوار» ج ٦٤ ص ١٢١، وانظر: «الكافي» ج ٨ ص ١٧٧ الحديث ١٩٧، «من لا يحضره الفقيه» ج ٤ ص ٣٨٠ الحديث ٥٨٢١، «مشكاة الأنوار» ص ٢٦٠.

و هي غير مجعوله، و المجعول وجودها في الخارج، و الفائض من الحق وجودات الأشياء لا ماهياتها. و ان رحمه الباري اقتضت إيجاد المخلوقات في الخارج لتكون مظاهر لأسمائه الحسنی و مجالى لصفاته العليا؛ و الملائكه و من ضاهاهم من الأخيار و أهل الجنه مظاهر اللطف، و الشياطين و من والاهم من الأشرار و أهل النار مظاهر القهر؛ و منها مظاهر السعاده و الشقاوه، «فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ»(١).

قال بعض العلماء: «الأعيان ليست مجعوله بجعل الجاعل ليتوجه الإيراد بأن يقال: لم جعل عين المهتدى مقتضيه للإهتداء و عين الضال مقتضيه للضلال، كما لا يتوجه الإيراد بأن يقال: لم جعل عين الكلب كلباً نجس العين و عين الإنسان إنساناً طاهر العين؛ بل الأعيان بصور الأسماء الإلهيه و مظاهرها في العين، بل عين الأسماء و الصفات القائمة بالذات القديمه، بل هي عين الذات من حيث الحقيقه. فهي باقية أزلاً و أبداً لا يتعلق الجعل و الإيجاد عليها كما لا يتطرق الفناء و العدم إليها»(٢).

قال في فصوص الحكم: «ما كنت في ثبوتك ظهرت به في وجودك، فليس للحق إلا إفاضه الوجود عليك و الحكم لك عليك؛ فلا تحمد إلا نفسك و لاتذم إلا نفسك و لا يبقى للحق إلا إفاضه الوجود، لأن ذلك له لا لك»(٣)؛ انتهى كلامه.

و في هذا الحديث النبوي: «من وجد خيراً فليحمد الله، و من وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»(٤)؛

و في حديث الولوي: «و لا يحمد حامدٌ إلا ربّه و لا يلمّ لائمٌ إلا نفسه»(٥)؛

ص : ١١٧

١- ١. كريمه ١٠٥ هود.

٢- ٢. و انظر: «شرح فصوص الحكم» _ للعارف القيصري _ ص ٨١٦.

٣- ٣. هذا تحرير كلام الشيخ، راجع: «فصوص الحكم» ص ٨٣، و انظر: «شرح القيصري» عليه ص ٥٩٢.

٤- ٤. راجع: «الحكايات» ص ٨٥.

٥- ٥. راجع: «نهج البلاغه» الكلام ١٦ ص ٥٨، و انظر: «شرح ابن أبيالحديد» عليه ج ١ ص ٢٧٣، «الغارات» ج ٢ ص ٤٠٦، «غرر

الحكم» الحكمه ٣٩٨٢، «بحار الأنوار» ج ٦٧ ص ١٢.

و فى الكافى (١) عن الباقر _ عليه السلام _ قال: «لو علم الناس كيف خلق الله هذا الخلق لم يلّم أحدٌ أحداً»؛

و عنه _ عليه السلام _ أيضاً أنّه قال: «إنّ الله خلق السعادة و الشقاوه قبل أن يخلق خلقه، فمن علمه الله سعيداً لم يبغضه أبداً و إن عمل شراً أبغض عمله و لم يبغضه، و إن كان (٢) شقيّاً لم يحبه أبداً و إن عمل صالحاً أحبّ عمله و أبغضه لما يصير إليه. و إذا (٣) أحبّ الله شيئاً لم يبغضه أبداً و إذا أبغض شيئاً لم يحبه أبداً» (٤)؛

و عنه أيضاً أنّه سئل: من أين لحق الشقاء أهل المعصيه حتّى حكم لهم (٥) فى علمه بالعذاب على عملهم؟

فقال: «أيّها السائل! حكم الله أن لا يقوم به أحدٌ من خلقه بحقّه، فلمّا علم بذلك وهب لأهل محبّته القوّه على معرفته و وضع عنهم ثقل العمل بحقيقته ما هم أهلّه، و وهب لأهل المعصيه القوّه على معصيتهم لسبق علمه فيهم. و لم يمنعهم إطاقه القبول منه (٦)، فوافقوا ما سبق لهم فى علمه و لم يقدرُوا أن يأتوا حالاً ينجيهم من عذابه، لأنّ علمه أزلّ بحقيقته التصديق؛ و هو معنى: شاء ما شاء، و هو سرّه» (٧).

فقد تبين ممّا ذكرنا أن لا وجه لإسناد الظلم و القبائح إليه _ تعالى _، لأنّ هذا التمييز و الترتيب _ من وقوع فريقٍ فى طريق اللطف و آخر فى طريق القهر _ من ضروريّات الوجود و الإيجاد و من مقتضيات الحكمة و العدالة؛ و من هنا قال بعض العلماء: «ليت شعري لم

ص : ١١٨

١-١. راجع: «الكافى» ج ٢ ص ٤٤ الحديث ١، و انظر: «وسائل الشيعة» ج ١٦ ص ١٦١ الحديث ٢١٢٤٣، «بحار الأنوار» ج ٦٧ ص ١٤٣.

٢-٢. المصدر: + علمه.

٣-٣. المصدر: فإذا.

٤-٤. راجع: «التوحيد» ص ٣٥٧ الحديث ٥، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٥ ص ١٥٧.

٥-٥. المصدر: + الله.

٦-٦. المصدر: + لأنّ علمه أولى بحقيقته التصديق.

٧-٧. راجع: «الكافى» ج ١ ص ١٥٣ الحديث ٢، «بحار الأنوار» ج ٥ ص ١٥٦، «التوحيد» ص ٣٥٤ الحديث ١.

لا ينسب الظلم إلى الملك المجازى حيث يجعل بعض من تحت تصرّفه وزيراً قريباً و بعضه كناساً بعيداً _ لأنّ كلاّ منهما من ضروريّات مملكته _؟!، و ينسب الظلم إليه _ تعالى _ فى تخصيص كلّ من عبيده بما خصّص مع أنّ كلاّ منها ضرورىّ فى ملكه؛ فتبصّر!.

قوله _ عليه السلام _ : «اللّهمّ فلك الحمد إقراراً بالإساءه» أى: «اللّهمّ! إذا كان لم يصدر منّا طاعه نعتدّ بها إلّا- الاعتراف بالتقصير «فلك الحمد» لأجل الإقرار بالإساءه و الذنوب حتّى يكون الحمد مكفراً لها؛ أو: فى حال الإقرار بها؛ أو: لأنّها من أعظم الأعمال و أشرفها، فلذا استحقّق الحمد عليها؛ و التقدير: لك الحمد على الإقرار بالإساءه. و يجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً لفعلٍ محذوفٍ، ف _ «الفاء» من «فلك الحمد» سببيّة؛ و «إقراراً» منصوبٌ على المفعول لأجله، أو الحالّيّه، أو المصدريّة؛ و كذا «إعترافاً».

و المراد ب _ «الإضاعه» هنا: الإهمال و التقصير فى الأعمال؛ و أصلها: الإهلاك، من: ضاع الشىء يضيع ضياعاً _ بالفتح _ : إذا هلك؛ و: أضاعه إضاعه: أهلكه إهلاكاً. فأطلقت على الإهمال من باب إطلاق المسبّب على السبب، لأنّ إهمال الشىء يفضى الى هلاكه و ذهابه.

قوله _ عليه السلام _ : «و لك من قلوبنا عقد الندم»، يعنى: «و لك من قلوبنا» تأكيد النعم و تحقيقه، لأنّ «العقد»: نقيض الحلّ، ثمّ أطلق على إحكام الأمر و إبرامه و تأكيده _ و منه: عقد العهد و اليمين: إذا أكّدهما _ . فالمقصود التوبه الخالصه المحكمه الّتى عقد قلوبنا عليها.

و قيل: «هذا عطفٌ على قوله _ عليه السلام _ : «فلك الحمد» بحسب المعنى، فإنّ هذه الفقره فى قوّه قولك: الحمد. لأنّ إعتقاد الندامه فى القلوب و الإعتذار الصادق من الذنوب من جلائل النعم!، فيوجب الحمد فيستلزمه. و ذكر الملزوم و إرادته اللازم من المجازات الشائع استعمالها فى الكلام البليغ. و ممّا يدلّ على أنّ الإقرار بالذنب و الندامه و الإعتذار من جلائل النعم قول الباقر _ عليه السلام _ : «و الله ما ينجو من الذنب إلّا من أقربه»^(١)؛

ص : ١١٩

١ - ١. راجع: «الكافى» ج ٢ ص ٤٢٦ الحديث ١، «وسائل الشيعة» ج ١٦ ص ٥٨ الحديث ٢٠٩٧٤، «بحار الأنوار» ج ٦ ص ٣٦، «مجموعه ورام» ج ١ ص ١٨، «مشكاة الأنوار» ص ١١٠.

و: «كفى بالندم توبه» (١)؛

و قال: «لا والله! ما أراد الله من الناس إلا خصلتين: أن يقرّوا له بالنعم فيزيدهم، و بالذنوب فيغفرها لهم» (٢)؛

و قال الصادق _ عليه السلام _ : «والله! ما خرج عبدٌ من ذنبٍ باصرارٍ و ما خرج عبدٌ من ذنبٍ إلا بإقرارٍ» (٣)؛

و قال أمير المؤمنين _ عليه السلام _ : «إن الندم على الشر يدعو إلى تركه» (٤)؛ انتهى.

فَأَجْرُنَا عَلَى مَا أَصَابَنَا فِيهِ مِنَ التَّفْرِيطِ أَجْرًا نَسْتَدْرِكُ بِهِ الْفَضْلَ الْمَرْغُوبَ فِيهِ، وَ نَعْتَاضُ بِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الذُّخْرِ الْمَحْرُوصِ عَلَيْهِ. وَ أَوْجِبَ لَنَا عُذْرَكَ عَلَى مَا قَصَرْنَا فِيهِ مِنْ حَقِّكَ، وَ ابْلُغْ بِأَعْمَارِنَا مَا بَيْنَ أَيْدِينَا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُقْبِلِ، فَإِذَا بَلَغْتَنَاهُ فَأَعِنَّا عَلَى تَنَاوُلِ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ مِنَ الْعِبَادَةِ، وَ أَدِّنَا إِلَى الْقِيَامِ بِمَا يَشْتَحِقُّهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَ أَجْرِ لَنَا مِنْ صَالِحِ الْعَمَلِ مَا يَكُونُ دَرَكًا لِحَقِّكَ فِي الشَّهَرَيْنِ مِنْ شُهُورِ الدَّهْرِ.

«فأَجْرُنَا»: أمرٌ من باب الإفعال؛ و فينسخه: «فأَجْرُنَا» بالمدّ.

ص : ١٢٠

-
- ١ - ١. راجع: «وسائل الشيعة» ج ١٥ ص ٣٣٥ الحديث ٢٠٦٧٥، «بحار الأنوار» ج ٦ ص ٢٠، «التوحيد» ص ٤٠٧ الحديث ٦، «الخصال» ج ١ ص ١٦ الحديث ٥٧.
- ٢ - ٢. راجع: «الكافي» ج ٢ ص ٤٢٦ الحديث ٢، «وسائل الشيعة» ج ١٦ ص ٥٩ الحديث ٢٠٩٧٥، «بحار الأنوار» ج ٦ ص ٣٦، «مجموعه ورام» ج ١ ص ١٨، «مشكاة الأنوار» ص ١١٠.
- ٣ - ٣. راجع: «الكافي» ج ٢ ص ٤٢٦ الحديث ٤، «وسائل الشيعة» ج ١٦ ص ٥٩ الحديث ٢٠٩٧٦، «فلاح السائل» ص ٣٥.
- ٤ - ٤. راجع: «الكافي» ج ٢ ص ٤٢٧ الحديث ٧، «وسائل الشيعة» ج ١٦ ص ٦١ الحديث ٢٠٩٨٤، «مجموعه ورام» ج ٢ ص ١٦١، «مشكاة الأنوار» ص ٣٧.

و «على ما أصابنا فيه من التفریط» أى: على الأعمال القلبية التي فرطنا في آدابها و في رعايتها؛ أو: على الغم و الحزن الذي حصل لنا بسبب التفریط. و يحتمل أن يكون قد طلب الأجر على نفس التفریط.

و «استدركت» الشيء بالشيء: حاولت إدراكه به، و منه: استدراك ما فات.

و «اعتاض»: أخذ العوض.

و «الذخر» — بالضم — الذخير.

و «المحروص عليه» في أكثر النسخ بالمهملتين، أى: نأخذ العوض من أصناف الذخير التي ينبغي أن يحرص عليها؛ و في نسخه الشهيد: «المخروص» بالحاء المعجمة (١)، >من: الخرص بمعنى: التخمين، تنبيهاً على أن ما تؤمله من الأجر إنما هو على سبيل الخرص و التخمين، لا على وجه الإستحقاق و الإستيجاب (٢). < و في نسخه على عكس ذلك — يعنى: بالحاء المهملة و الضاد المعجمة (٣) — بمعنى: المرغوب إليه، كما في قوله — تعالى —: «حَرَّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ» (٤).

و «أوجب لنا عذرک» يعنى: العذر الذي نجى به إلى جنابك؛ فالإضافه بأدنى ملابس.

«على ما قصّرنا فيه» أى: و على تقصيرنا في هذا الشهر — بناءً على أن يكون «ما» مصدريةً — .

اعلم! أنه لا شيء أفضل و أحسن من الإعتراف بالتقصير في حقّ الله العليم الخبير، لأنّ من عرف تقصير نفسه و نقصها كان في مقام الذلّ و الإنكسار، و لا عبوديّة أشرف منها! و لذلك ورد في الحديث عنهم — عليهم السلام —: «أكثر من أن تقول: اللهم لاتخرجني من التقصير» (٥) أى: من الإعتراف به؛

ص : ١٢١

١- ١. و السيد المحقق الداماد جرى في شرحه مجرى هذه النسخه، راجع: «شرح الصحيفة» ص ٣٨٧.

٢- ٢. قارن: «نور الأنوار» ص ١٨٨.

٣- ٣. و انظر: «شرح الصحيفة» نفس الصفحة.

٤- ٤. كريمه ٦٥ الأنفال.

٥- ٥. راجع: «الكافي» ج ٢ ص ٧٣ الحديث ٤، نفس المصدر و المجلّد ص ٥٧٩ الحديث ٧، «وسائل الشيعه» ج ١ ص ٩٦ الحديث ٢٢٨، «بحار الأنوار» ج ٦٨ ص ٢٣٣، مع حذف.

و عن أبي جعفر _ عليه السلام _ أنه قال لبعض أصحابه: «لا- أخرجك الله من النقص و التقصير»^(١) أى: من أن تعدّ طاعتك ناقصةً و نفسك مقصرةً.

قوله _ عليه السلام _ : «و أبلغ بأعمارنا _ إلى آخره ... _ » أى: بلغ أعمارنا شهر رمضان الآتى. ف _ «الباء» فى «بأعمارنا» للتعدية؛

و «ما بين أيدينا» مفعول ثانٍ ل _ «أبلغ».

«فإذا بلغتاه» _ أى: شهر رمضان المقبل _ «فأعنا على» ما أنت أهله من العبادة، لأنّ «التناول» فى الأصل: أخذ الشيء باليد _ يقال: تناولت الكتاب: إذا أخذته بيدك _ ، ثم استعمل فى مطلق الفعل توسعاً.

و «أدنا _ ... إلى آخره _ » أى: أوصلنا إلى يوم القيامة^(٢) متلبسين بما تستحقّه فى هذا الشهر من الطاعة. و فى نسخه الشهيد: «و أدنى القيام بما تستحقّه».

و «أجرنا» أى: وفقنا للعمل الصالح عملاً «يكون» تداركاً «لحقك»، أو يؤدى، أو يدرك حقه «فى الشهرين» أى: الشهر المدعوّ فيه بهذا الدعاء _ و هو الماضى _ و الشهر المستقبل. و الظرف لغو متعلّق ب _ «الدرك»؛ و قيل: «مستقرّ حالّ من «حقك»».

و قوله: «من شهور الدهر» فى محلّ نصب على الحال من «الشهر». و فائده القيد بذلك تعميم الشهرين لكلّ ماضٍ و قابلٍ من شهرى رمضان فى مدّه العمر.

اللَّهُمَّ وَ مَا أَلَمَمْنَا بِهِ فِى شَهْرِنَا هَذَا مِنْ لَمَمٍ أَوْ إِثْمٍ، أَوْ وَقَعْنَا فِيهِ مِنْ ذَنْبٍ، وَ اكْتَسَبْنَا فِيهِ مِنْ خَطِيئَةٍ عَلَى تَعَمُّدٍ مِنَّا، أَوْ عَلَى نِسْيَانٍ ظَلَمْنَا فِيهِ أَنْفُسَنَا، أَوْ انْتَهَكْنَا بِهِ حُرْمَةً مِنْ غَيْرِنَا، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ اسْتُرْنَا

ص : ١٢٢

١ - ١. راجع: «الكافى» ج ٢ ص ٧٢ الحديث ٢، «وسائل الشيعة» ج ١ ص ٩٦ الحديث ٢٣٠، «بحار الأنوار» ج ٦٨ ص ٢٣٥، «مشكاة الأنوار» صص ١٥٨، ٣٢٠.

٢ - ٢. كذا فى النسختين، و الظاهر وقوع خطأ فيهما، أو وقوعه للمصنّف _ غفر الله له و لنا _ .

بِسْتِرِكَ، وَاعْفُ عَنَّا بِعَفْوِكَ، وَلا تَنْصِبْنَا فِيهِ لَاءَ عَيْنِ الشَّامِتِينَ، وَلا تَبْسُطْ عَلَيْنَا فِيهِ أَلْسُنَ الطَّاعِنِينَ، وَاسْتَغْفِرْنَا بِمَا يَكُونُ حِطَّةً وَكَفَّارَةً لِمَا أَنْكَرْتَ مِنَّا فِيهِ بِرَأْفَتِكَ الَّتِي لَا تَنْفَدُ، وَفَضْلِكَ الَّذِي لَا يَنْقُصُ.

«الإمام»: الإنزال، يقال: ألَمَ بالمكان إلاماً: نزل به ولم يطل فيه لبثه؛ و«ما ألمنا به» أى: نزلنا وقربنا منه. و«اللمم»: صغار الذنوب؛ أى: ما باشرنا وفعلنا فى هذا الشهر من الذنوب الصغيره. وقيل: «اللمم» بفتح اللام _ بفتح التين _ : مقارفة الذنب مطلقاً. و الذى يظهر من روايات أهل بيت العصمة _ عليهم السلام _ : إنَّ اللمم هو أن يرتكب العبد الذنب بعد الذنب بخلاف طبعه مع الإستغفار و الخوف _ سواء كان كبيراً أو صغيراً _ ؛ روى عن أبى عبد الله _ عليه السلام _ : «إنَّ (١) اللمم: الرجل يلتم بالذنب فيستغفر الله منه» (٢)؛

و عنه _ عليه السلام _ : «إنَّ المؤمن لا يكون له سجيّة الكذب (٣) و البخل و الفجور، و ربّما ألَمَ من ذلك شيئاً لا يدوم عليه؛ قيل: فيزنى؟

قال: نعم!، و لكن لا يولد له من تلك النطفه» (٤)؛

و عنه _ عليه السلام _ : «اللمم هو الذنب يلتم به الرجل فيمكث ما شاء الله، ثم يلتم به بعد» (٥)؛

و عنه _ عليه السلام _ : «ما من مؤمنٍ إلّا و له ذنبٌ يهجره زماناً ثم يلتم به؛ و ذلك قول الله _ عزّ و جلّ _ : «إِلَّا اللَّمَم» (٦)» (٧).

ص : ١٢٣

١- ١. المصدر: _ انّ.

٢- ٢. راجع: «الكافي» ج ٢ ص ٤٤٢ الحديث ٣، «وسائل الشيعة» ج ١٦ ص ٨٠ الحديث ٢١٠٣٥.

٣- ٣. المصدر: لا يكون سجيّته.

٤- ٤. راجع: «الكافي» ج ٢ ص ٤٤٢ الحديث ٦، و لم أعثر عليه فى غيره.

٥- ٥. راجع: «الكافي» ج ٢ ص ٤٤١ الحديث ١، و لم أعثر عليه فى غيره أيضاً.

٦- ٦. كريمه ٣٢ النجم.

٧- ٧. راجع: «الكافي» ج ٢ ص ٤٤٢ الحديث ٣، «وسائل الشيعة» ج ١٦ ص ٨٠ الحديث ٢١٠٣٥، «إرشاد القلوب» ج ١ ص ١٨١.

>و «الإثم» قيل: «هو جنسٌ يشمل الكبيره و الصغيره»؛

و قيل: «هو الكبيره»؛

و قيل: «هو اسمٌ للأفعال المبطنه عن الثواب»^(١).

و العائد فى قوله: «أو واقعنا» و «اكتسبنا» محذوفٌ؛ و المعنى: أو واقعنا به أو واقعناه و اكتسبناه.

و ضمير «فيه» راجعٌ إلى «الشهر»؛ قال صاحب المجلد: «واقع الأمور موقعه و وقاعاً: داناها»^(٢). و هاتان الفقرتان تفسيرٌ لما قبلهما.

قوله _ عليه السلام _ : «ظلمنا فيه» صفه لقوله: «ما ألمنا» على سبيل التوضيح، فإنَّ «ما ألمنا به» من الذنب إمّا ظلمٌ على أنفسنا؛ أو إنتهاك حرمه من غير.

قوله: «فصلٌ على محمدٍ و آله» خبر قوله: «ما ألمنا». و لما كان المبتدئ متضمناً لمعنى الشرط دخل «الفاء» فى خبره.

قوله _ عليه السلام _ : «و لاتنصبنا فيه لأعين الشامتين» أى: لاتقمنا فى هذا الشهر نصب أعين الشامتين؛ >يقال: نصّيته نصباً _ من باب ضرب _ : أقمته و رفعته، و يقال: هو نصب عينه أى: منصوبٌ بحذائه ينظر إليه.

و «شمت» به يشمت _ من باب علم _ فهو شامتٌ: إذا فرح بمصيبه نزلت به، و الاسم: الشماته^(٣).

قوله _ عليه السلام _ : «و لاتبسط علينا فيه ألسن الطاعنين» أى: اقطع ألسنتهم عنا

ص : ١٢٤

١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ١٧٦.

٢- ٢. لم أعر على عبارته فى مجمل اللغة، و ذكر ابن فارس معانى هذه اللغة و استعمالاتها فى ما يزيد على نصف الصفحه، و لكن لم توجد هذه عبارته فيه؛ انظر: «مجلد اللغة» ج ٤ ص ٥٤٥.

٣- ٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ١٧٨.

فيه، لأنَّ «بسط الكلام» كناية عن التوسُّع والإكثار في النطق و الكلام.

و «الطعن»: الضرب بالرمح و نحوه، يقال: طعنه طعنًا فهو طاعنٌ؛ ثم استعير للقدح و العيب.

قوله _ عليه السلام _ : «و استعملنا _ ... إلى آخره _ » أى: وقَّعنا بعملٍ «يكون حطَّةً و كفَّارَةً» للذنوب التي أنكرتها «منَّا» فى هذا الشهر «برأفتك التي لا تنفذ و فضلك الذى لا ينقص»؛ بل دائماً يكون كاملاً _ لقولك: «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ» (١) _ .

و «الرأفة»: أشدَّ الرحمة.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ اجْبُرْ مُصِيبَتَنَا بِشَهْرِنَا، وَ بَارِكْ لَنَا فِي يَوْمِ عِيدِنَا وَ فِطْرِنَا، وَ اجْعَلْهُ مِنْ خَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْنَا: أَجْلَبِهِ لِعَفْوٍ، وَ أَمَحَبَاهُ لِتَذَنْبٍ. وَ اغْفِرْ لَنَا مَا خَفِيَ مِنْ ذُنُوبِنَا وَ مَا عَلَنَ. اللَّهُمَّ اسْلُخْنَا بِأَنَسٍ لَّاخِ هَذَا الشَّهْرِ مِنْ خَطَايَانَا، وَ أَخْرِجْنَا بِخُرُوجِهِ مِنْ سَيِّئَاتِنَا، وَ اجْعَلْنَا مِنْ أَسْعَدِ أَهْلِهِ بِهِ، وَ أَجْزَلِهِمْ قِسْمًا فِيهِ، وَ أَوْفَرِهِمْ حَظًّا مِنْهُ.

المراد بـ «المصيبة»: التقصيرات السالفه، أى: أعف و أصلح عنا ببركه «شهرنا» تقصيراتنا السالفه.

حو «بارك» له فى كذا: جعل له فيه البركه، و هى: الخير و الزيادة.

و «اجعله» أى: يوم العيد.

و «من» فى قوله: «من خير» تبعيضيَّة، أى: من جملة خير يومٍ، و «خير» أفعال تفضيلٍ. و إنما لم يقل «أيام»، لأنَّه أراد جنس اليوم، و قد يراد بالمفرد معنى الجمع إكتفاءً به _ عند عدم اللبس _ لدلالته على الجنس _ كقوله تعالى: «يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً» (٢). و يجوز كون «من» زائدة عند من أجزاء زيادتها فى إيجابٍ _ و حمل عليه قوله تعالى: «يُحْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ

ص : ١٢٥

١- ١. كريمه ١١٤ هود.

٢- ٢. كريمه ٦٧ غافر.

ذَهَبٍ» (١)، و «يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ» (٢) _ .

و «أجلبه» _ بالخفض _ بدلٌ من «خير»، و هو أفعل تفضيلٍ من: جلب الشيء جلباً (٣) <: ساقه؛ أى: يكون العيد أجلب الأيام لأجل العفو و أمحاه للذنوب _ أى: أمحى يومٍ لذنوبٍ _ . و إسناد «الجلب» و «المحو» إلى «اليوم» مجازٌ عقليٌّ.

و «اغفر لنا _ ... إلى آخره _» أى: اغفر لنا ذنوبنا كلها، ما ظهر منها و ما بطن.

و «السلخ»: نزع جلد الحيوان، و «إنسلخ» الشهر أى: مضى؛ أى: إذهب ذهاب هذا الشهر ذنوبنا. و فى معناه هذه الفقرة التى بعدها.

و قوله: «و أجزلهم» أى: أكثرهم، من جزلت الشيء جزالاً: إذا كثر و اتسع؛ و اصله من: جزل الخطب فهو جزيلٌ: إذا عظم و غلظ، ثم استعير فى العطاء الكثير.

و «الحظّ»: النصيب، و الجمع: الحظوظ؛ أى: أكثرهم نصيباً من هذا الشهر.

اللَّهُمَّ وَ مَنْ رَعَى هَذَا الشَّهْرَ حَقَّ رِعَايَتِهِ، وَ حَفِظَ حُرْمَتَهُ حَقَّ حِفْظِهَا، وَ قَامَ بِحُدُودِهِ حَقَّ قِيَامِهَا، وَ اتَّقَى ذُنُوبَهُ حَقَّ تَقَاتِهَا، أَوْ تَقَرَّبَ إِلَيْكَ بِقُرْبِهِ أَوْجَبَتْ رِضَاكَ لَهُ، وَ عَطَفْتَ رَحْمَتَكَ عَلَيْهِ، فَهَبْ لَنَا مِثْلَهُ مِنْ وُجْدِكَ، وَ أَعْطِنَا أَضْعَافَهُ مِنْ فَضْلِكَ، فَإِنَّ فَضْلَكَ لَا يَغِيضُ، وَ إِنَّ خَزَائِنَكَ لَا تَنْقُصُ بَلْ تَفِيضُ، وَ إِنَّ مَعَادِنَ إِحْسَانِكَ لَا تَفْنَى، وَ إِنَّ عَطَاءَكَ لِلْعَطَاءِ الْمُهِتَأُ.

«من» فى محلّ رفعٍ بالإبتداء.

و قوله _ عليه السلام _ : «فهب لنا» خبره.

و ضمير «أوجبّت» و «عطفت» بسكون التاء؛ و فى نسخه الشهيد: «أوجبّت» و «عطفت» بصيغه الخطاب للقربه، يقال: عطفت الشيء عطفاً _ من باب ضرب _ : ثنيته و

ص : ١٢٦

١- ١. كريمه ٣١ الكهف / ٢٣ الحج / ٣٣ فاطر.

٢- ٢. كريمه ٣١ الأحقاف / ٤ نوح.

٣- ٣. قارن: نفس المصدر و المجلّد ص ١٨٠.

آملته، ثم استعير للشفقة و الرحمه إذا عدى بـ «على»، فيقال: عطفت الناقه على ولدها: إذا حنت و أشفقت عليه؛ أى: جعلت رحمتك عاطفه عليه _ أى: على من رعى _ .

فـ «رحمتك» مرفوعه على فاعليه «عطفت» على نسخه الأصل، و منصوب على المفعوليه كما فى نسخه الشهيد.

و «مثله» أى: شبهه؛ و ضميره يرجع إلى «من رعى».

و «من وُجدك» أى: من وسعك و غناك، لما مرَّ أنَّ الوجد _ بالضم _ : الغناء.

و «لا يغيض» أى: لا ينقص، يقال: غاض الشيء: قلَّ و نقص.

و «بل تفيض» أى: بل تسيل من كثرتها، يقال: >فاض السيل فيضاً و فيوضه: إذا كثر و سال من شفه الوادى؛ و: حوض فائض: يفيض من جوانبه لإمتلائه؛ و فاض الخير أى: كثر و اتسع.

و «المعادن»: جمع معدن _ كمجلس _ ، اسم مكانٍ من: عدن بالمكان عدناً و عدوناً _ من بابى ضرب و قعد _ بمعنى: أقام و استقر؛ و منه «المعدن» لمستقر (١) الجواهر لعدونها به (٢). و إثبات «المعادن» للـ «إحسان» إستعاره تبعيه أو مكتبه، و إسناد «الفناء» إليها مجاز عقلي _ من باب سال النهر و نصب الحوض _ .

و «اللام» من قوله: «للعطاء» لام الإبتداء، و فائدتها تأكيد مضمون الجمله، و مدخولها فى الأصل المبتدء _ و لذلك سميت لام الإبتداء _ . فأصل «إنَّ زيدا لقائمٌ»: لآءَ زيدا قائمٌ، فكرهوا إفتتاح الكلام بحرفين مؤكدين، فزحلفوا «اللام» دون «انَّ» لئلا يتقدم معمولها عليها. و انما لم يدع أنَّ الأصل: «انَّ لزيدا قائمٌ» لئلا يحول ما له صدر الكلام بين العامل و المعمول (٣)؛ هكذا ذكره الفاضل الشارح.

و «المهنى»: اسم مفعولٍ من: هنا الشيء _ بضم العين و الهمزه _ يهنأه _ بالفتح و المد _ :

ص : ١٢٧

١- ١. المصدر: المستقر.

٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ١٨٥.

٣- ٣. راجع: نفس المصدر.

تيسّر لا من مشقه ولا عناء، فهو هنيء. ويجوز الإبدال والإدغام، يقال: كل هنيئاً مريئاً أى: سائغاً؛ و: هناه الله إياه _ بالتشديد _ : أعطاه إياه هنيئاً، فهو مهئاً _ بالهمزة _ ، ويجوز الإبدال فيه. والمعنى: يكون عطاؤك للمعطى له هنيئاً مريئاً سهلاً سائغاً. وفي نسخه ابن ادريس: «وإن عطاءك العطاء المهئاً» (١) بتجريد الخبر عن لام الإبتداء، و همز المهئاً على الأصل.

اللَّهُمَّ صِلْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ اكْتُبْ لَنَا مِثْلَ أَجْرِ مَنْ صِيَامَهُ، أَوْ تَعَبَدَ لِمَكَ فِيهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَتُوبُ إِلَيْكَ فِي يَوْمِ فِطْرِنَا _ الَّذِي جَعَلْتَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ عِيداً وَسُرُوراً، وَلِأَهْلِ مَلَيْكَتِكَ مَجْمَعاً وَ مُحْتَشِداً _ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ أَذْنَبْنَاهُ، أَوْ سُوءٍ أَشْرَفْنَاهُ، أَوْ خَاطِرٍ شَرٍّ أَضْمَرْنَاهُ.

«الأجور»: جمع الأجر، و هو: ثواب العمل.

و «أو» من قوله: «أو تعبد» إمّا بمعناه، أو بمعنى: الواو؛ و لكن الأولى أولى، كما لا يخفى.

و «محتشداً» أى: مجتمعاً، فهو كعطف التفسير لـ «مجمعاً»، يقال: حشد القوم حشوداً، و أحشدوا و احتشدوا و تحشّدوا: إذا اجتمعوا لأمرٍ واحدٍ، أو دعوا فأجابوا.

و «الخاطر»: ما يرد على القلب و يعرضه؛ و هو ينقسم إلى: خاطر خيرٍ، و خاطر شرٍّ _ كما تقدّم الكلام عليه مستوفى _ ، و لذا أضافه إلى «شرٍّ».

و «أضمر» فلان كذا: عزم عليه بقلبه، أخذاً من «الضمير» _ و هو قلب الإنسان و باطنه _ .

فان قلت: ما خطر فى القلب موضوعٌ عن العباد فليس بذنبٍ، فلا يحتاج إلى التوبه منه؟

قلنا: هذا بالنسبه إلى غير المعصوم، و أمّا المعصوم فهو ذنبٌ له، لأنّ «حسنات الأبرار سيئات المقربين» _ كما مرّ تحقيق ذلك فيما سبق _ .

ص : ١٢٨

وقيل: «الجواب: الخاطر الّذى هو غير إختيارى موضوع عنه، لا تيه المعصيه الّتى بقى الناوى على تلك التيه عارضاً و منع مانع من صدور المنوى؛ مثل أن أضمر زيد قتل عمرو و بقى على هذا الجزم من غير ندامه و لا يجد آله القتل _ كالسيف مثلاً _ ، فلاشكّ فى وزره. و ما وقع: «أنه لا يكتب على ابن آدم معصيته ما لم يفعل؛ بخلاف الحسنات، لأنها بمجرد التيه يكتب له ثواب التيه و بعد الفعل يكتب له ثواب الفعل»؛

هو فى صورهِ نوى المعصيه و ترك التيه و تجاوز عن تلك التيه، أو عن فعل تلك المعصيه، لأنّ ذلك فى الحقيقة توبه و «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»^(١)؛ انتهى.

أقول: هذا بالنسبه إلى غير المعصوم صحيح، و بالنسبه إليه باطل للعصمه؛ و نحن _ بفضل الله و عونهِ _ رفعنا التنافى بين الأحاديث فى تحقيق التيه؛ فتذكر!

تَوْبَهُ مَنْ لَا يَنْطَوِي عَلَى رُجُوعٍ إِلَى ذَنْبٍ، وَلَا يَعُودُ بِعِيدِهَا فِي خَطِيئَةٍ، تَوْبَهُ نَصُوحاً خَلَصَتْ مِنَ الشَّكِّ وَالْإِزْتِيَابِ، فَتَقَبَّلَهَا مِنَّا، وَ ارْضَ عَنَّا، وَ تَبَتَّنَا عَلَيْهَا. اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا خَوْفَ عِقَابِ الْوَعِيدِ، وَ شَوْقَ ثَوَابِ الْمُوعُودِ، حَتَّى نَجِدَ لَهْذِهِ مَيَا نَدْعُوكَ بِهِ، وَ كَأَبَهُ مَا نَسْتَجِيرُكَ مِنْهُ. وَ اجْعَلْنَا عِنْدَكَ مِنَ التَّوَّابِينَ الَّذِينَ أُوجِبَتْ لَهُمْ مَحَبَّتُكَ، وَ قَبِلَتْ مِنْهُمْ مُرَاجَعَةُ طَاعَتِكَ، يَا أَعْدَلَ الْعَادِلِينَ!

يقال: «انطوى» على كذا أى: اشتمل عليه قلبه و ضميره.

و «التوبه النصوح» قد تقدّم الكلام عليها.

و «الشكّ»: خلاف اليقين؛ و قد مرّ معناه.

ص : ١٢٩

١ - ١. راجع: «الكافي» ج ٢ ص ٤٣٥ الحديث ١٠، «وسائل الشيعة» ج ١٦ ص ٧٤ الحديث ٢١٠١٦، «مستدرک الوسائل» ج ١٢ ص ١٣١ الحديث ١٣٧١٠، «بحار الأنوار» ج ٩٠ ص ٣٨١، «إرشاد القلوب» ج ١ ص ١٨٠.

و «الإرتياب»: أسوء الشك، أى: توبه لا أشك فى ناصحتها و خلوصها.

«فتقبلها» بصيغه الأمر. و «التقبل»: قبول الشيء على وجه يقتضى ثواباً، قال _ سبحانه _ : «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ» (١).

و «فاؤه» لترتب التقبل على ناصحه التوبه و خلوصها.

و «الرزق» قد مرّ معناه.

و «الوعيد»: مصدرٌ بمعنى: التهديد بالعقوبه.

> و «الموعد» إمّا مصدرٌ أيضاً بمعنى: الوعد _ كالمعقول _ ؛ أو اسم مفعولٍ على الحذف و الإيصال، و يكون المراد: الشيء الموعد به.

و «حتّى» بمعنى: كى.

و «نجد» أى: نعلم (٢) <.

و «الكأبه» _ بسكون الهمزه _ : أشدّ الحزن و الغم.

قوله: «و اجعلنا عندك من التّوّابين» أى: صيرنا فى حكمك و كتابك _ كما يقال: هو عند الله كذا أى: فى حكمه و شرعه _ .

«الذين أوجب لهم محبتك» بقولك: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ» (٣)؛ و قد تقدّم الكلام عليه؛ و كذا «العدل».

اللَّهُمَّ تَجَاوَزْ عَنْ آبَائِنَا وَ أُمَّهَاتِنَا وَ أَهْلِ دِينِنَا جَمِيعاً مَنْ سَلَفَ مِنْهُمْ وَ مَنْ غَبَرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّنَا وَ آلِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى مَلَائِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ، وَ صَلِّ عَلَيْهِ وَ آلِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى أَنْبِيَائِكَ الْمُرْسَلِينَ، وَ صَلِّ عَلَيْهِ وَ آلِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، وَ أَفْضَلْ

ص : ١٣٠

١- ١. كريمه ٢٧ المائده.

٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ١٩٠.

٣- ٣. كريمه ٢٢٢ البقره.

مِنْ ذَٰلِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، صَلَاةً تَبْلُغُنَا بِرَكَّتَيْهَا، وَ يَنَالُنَا نَفْعُهَا، وَ يُسْتَجَابُ لَهَا دُعَاؤُنَا، إِنَّكَ أَكْرَمُ مَنْ رُغِبَ إِلَيْهِ، وَ أَكْفَى مَنْ تُؤَكَّلُ عَلَيْهِ، وَ أُعْطِيَ مَنْ سُئِلَ مِنْ فَضْلِهِ، وَ أَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

«التجاوز»: العفو و الصفح.

و «سلف» أى: مضى.

و «من غبر» أى: من أتى فى المستقبل؛ و قيل: «غبر غبوراً _ من باب قعد _ أى: بقى، و منه: الغبار: لما يبقى من التراب. و قد يستعمل فى ما مضى، فيكون من الأضداد»^(١).

حو الوصف ب _ «نبينا» _ مع تعين الموصوف _ للمدح.

و «ما» فى «كما صليت» مصدرية، أى: كصلاتك. و الظاهر أنّ هذا التشبيه من حيث أصل الصلاة، لا _ من حيث المصلى عليه^(٢)؛ لما عرفت فى ما سبق أنّ مرتبته _ صلى الله عليه و آله و سلم _ أعلى و أشرف من ملائكة المقربين، و أنّ أفضلهم كجبرئيل _ عليه السلام _ من خدامه، بل خدام شيعته! و تشبيه الشيء بالشيء يصلح من وجه واحد و إن كان لا يشبهه من كلّ الوجوه _ كما قال تعالى: «إِنَّ مَثَلَ عِيسَى كَمَثَلِ آدَمَ»^(٣) يعنى من وجه واحد و هو خلقه عيسى بغير أب _ . و بهذا يندفع ما قيل فى هذا المقام من: «أنّه لا بدّ من كون المشبه به أقوى من المشبه أو مساوياً له».

قوله _ عليه السلام _ : «و أفضل من ذلك» أى: و صلّ عليه صلاة أفضل من ذلك.

و «تبلغنا بركتها» أى: صلاة تصل إلينا بركتها.

و «ينالنا نفعها» أى: يصيبنا خيرها.

و «يستجاب لها» أى: لأجل ذلك الصلاة.

ص : ١٣١

١- ١. هذا قول العلامة المدنى، راجع: نفس المصدر و المجلّد ص ١٩٣.

٢- ٢. راجع: نفس المصدر و المجلّد أيضاً ص ١٩٤.

٣- ٣. كريمه ٥٩ آل عمران.

و «أَكْفَى مِنْ تَوَكُّلٍ عَلَيْهِ» أى: أنت أكفى من كلِّ كافٍّ، لأنَّ اللهَ _ تعالى _ كافٌّ عبده قائمٌ بأمره معينه عَمَّن سواه؛ وقيل: «معنى كفايته _ سبحانه _ : إعطاؤه لكلِّ قابلٍ من خلقه ما يكفى استحقاقه من منفعةٍ و دفعٍ مضرِّه».

و «أعطى من سئل من فضله» أى: أنت أجود المسؤولين من فضله. «و أنت على كلِّ شىءٍ قديرٌ»، لأنَّ الممتنع لا تتعلَّق قدره به.

هذا آخر اللمعة الخامسة و الأربعين من لوامع الأنوار العرشيَّة فى شرح الصحيفة السَّجَّاديَّة، قد وفَّقنى الله لإتمامها فى ليلة الأحد من العشر الأوسط من شهر صفر المظفَّر سنة الثلاث و الثلاثين و المأتين و ألفٍ من الهجره المقدَّسه النبويَّة _ عليه سلامٌ و صلواتٌ غير متناهيَّة _ .

ص : ١٣٢

اللمعه السادسة و الأربعون فى شرح الدعاء السادس و الأربعين

ص : ١٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل يوم الفطر للمسلمين عيداً، و لنبيه _ خير النبيين _ شرافةً و مزيداً؛ و الصلاة و السلام عليه و على أهل بيته الذين جعل كل واحدٍ منهم للوصيين شهيداً.

و بعد؛ فيقول الراجي يوم فطر الحقيقي من حضره الأحديّة محمّد باقر بن السيّد محمّد من السادات الموسويّة _ غفر الله ذنوبهما في الدار الآخرويّة _ : هذه اللمعة السادسة و الأربعون من لوازم الأنوار العرشيّة في شرح الصحيفة السجاديّة _ عليه و على آباءه و أبنائه صلوات غير متناهية _ .

وَ كَانَ مِنْ دُعَائِهِ _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ فِي يَوْمِ الْفِطْرِ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ قَائِماً، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، _ وَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ _ ؛ فَقَالَ.

«يوم الفطر»: أوّل > شهر شوال. سمى بذلك لفطر الناس به، يقال: فطر الصائم فطوراً، و أفطر إفطاراً: إذا ترك الصوم؛ و الاسم: الفِطْر _ بالكسر _ .

«إذا انصرف من صلاته» أي: في وقتٍ سلّم و فرغ منها.

و «قائماً»: حالٌ مؤكّدة _ نحو: «وَلَّى مُدْبِرًا» (١) _ ؛ أو صفةٌ وقعت مصدراً كما وقع المصدر

ص : ١٣٥

صفه _ نحو: أتيت مشياً، و: جئته ركضاً _ (١) <.

و «الجُمُعَة» _ بالضم _ : اسم من الاجتماع أضيف إليه «اليوم»، و ربّما حذف لكثرة الإستعمال فقليل: «الجمعة» من دون «يوم». قال الشيخ أبوعلّي الطبرسي _ رحمه الله _ : «الجُمُعَة و الجُمُعَة لغتان، و جمعها: جُمُع و جُمُعَات. قال الفراء: و فيه (٢) لغّه ثالثه: جُمُعَة _ بفتح الميم (٣)، كضحكه _ (٤). و في الكشف: «يوم الجمعة يوم الفوج المجموع، كقولهم: ضَحَكه للمضحوك منه؛ و يوم الجمعة _ بفتح الميم _ : يوم الوقت الجامع، كقولهم: ضحكك، و لعنه و لعبه. و يوم الجمعة تثقيل للجمعه كما قيل عسره في عسره. و قرىء بالوجه الثلاثه (٥)» (٦)؛ انتهى.

اعلم! أنّ ضمّ الجمعة و الإسكان مشهوران، و أمّا الفتح فغريب! > و الفرق بين المسكّن و مفتوحها: أنّ الأوّل للمفعول _ كضَحَكه بمعنى: مضحوك عليه _ ، و الثاني للفاعل _ كضَحَكه و هُمَزه و لُمَزه بمعنى: ضاحك و هامز و لامز _ . و المعنى على الأوّل: مجموع فيه الناس؛ و على الثاني: جامع لهم (٧) <.

و إنّما سمّيت «جُمُعَة»، لاجتماع الناس فيه؛ هذا هو المشهور في اللغة (٨).

و قيل: «لأنّه تجتمع فيه الجماعات»؛

و قيل: «لأنّ كعب بن لؤيّ كان يجمع قومه فيه، فيذكّروهم و يأمرهم بتعظيم الحرم، و يخبرهم أنّه سيبعث فيه نبئ من ولده و يأمرهم بالإيمان به» (٩)؛

ص : ١٣٦

١-١. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٠٣.

٢-٢. المصدر: فيها.

٣-٣. الأوّل لغه بني عقيل، و الثاني هي الفصحى، و الثالث لغه بنيتيم؛ راجع: «تاج العروس» ج ١١ ص ٧٣ القائمه ٢.

٤-٤. راجع: «مجمع البيان» ج ١٠ ص ٩.

٥-٥. المصدر: قرىء بهنّ جميعاً.

٦-٦. راجع: «تفسير الكشاف» ج ٤ ص ١٠٤.

٧-٧. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٠٤.

٨-٨. راجع: «لسان العرب» ج ٨ ص ٥٨ القائمه ٢.

٩-٩. هذا منقول عن السهيلي في «الروض الأنف»، و هو قول ثعلب أيضاً؛ راجع: «تاج العروس» ج ١١ ص ٧٣ القائمه ٢.

و قيل: «لأنَّ قصيًّا هو الذي كان يجمعهم»؛ ذكر ذلك ثعلب في أماليه(١)؛

و قيل: «أول من سمّاها جمعة: الأنصار(٢). و قيل: لأنَّ سعد بن زاره لما جمع بالأنصار فصلّى بهم و ذكرهم سمّوه الجمعة حين اجتمعوا عليه، فالإسم إسلاميٌّ»(٣).

و في الحديث عن النبيّ - صلّى الله عليه و آله و سلّم - : «أنّها سمّيت بذلك لأنَّ آدم - عليه السلام - جمع فيها خلقه»(٤)؛

و قيل: «لأنَّ الله - تعالى - فرغ فيه من خلق الأشياء، فاجتمعت فيه المخلوقات»(٥) - و فيه سرٌّ سنشير إليه - ؛

و في الكافي(٦) عن الباقر - عليه السلام - : «إنَّ الله جمع خلقه فيها لولايه محمّدٍ و وصيّيه في الميثاق، فسّمّاه يوم الجمعة لجمعه فيه خلقه»؛

و ذكر ابن سيرين: «جمع أهل المدينة قبل قدوم النبيّ - صلّى الله عليه و آله و سلّم - المدينة و نزول هذه السورة؛ فقالت الأنصار: لليهود يومٌ يجتمعون فيه كلّ سبعة أيّام، و للنصارى مثل ذلك، فهلمّوا نجعل لنا يوماً نجتمع فنذكر الله فيه و نصلى. فقالوا: يوم السبت لليهود و يوم الأحد للنصارى، فاجعلوه يوم العروبه. فاجتمعوا إلى سعد بن زاره فصلّى بهم يومئذٍ ركعتين و ذكرهم، فسّمّوه يوم الجمعة لإجتمعهم فيه؛ فأنزل الله آيه الجمعة، فهي أوّل جمعة كانت في الإسلام.

ص : ١٣٧

١- ١. فحصت الطبعه الكويتيه من «أمالي ثعلب»، و لكن لم أعثر على العبارة فيها.

٢- ٢. لتفصيل هذا القول و الذي قبله راجع: «تاج العروس» ج ١١ ص ٧٤ القائمه ١.

٣- ٣. لجميع ذلك راجع: «مجمع البيان» ج ١٠ ص ٩.

٤- ٤. لم أعثر عليه لا- في مصادرنا و لا- في مصادر العامّة الروائيّة، و انظر: «تاج العروس» ج ١١ ص ٧٤ القائمه ١ نقلاً عن ابن عبّاس، «لسان العرب» ج ٨ ص ٥٨ القائمه ٢.

٥- ٥. لم أعثر على قائله.

٦- ٦. راجع: «الكافي» ج ٣ ص ٤١٥ الحديث ٧؛ و انظر: «التهذيب» ج ٣ ص ٣ الحديث ٤، «وسائل الشيعة» ج ٧ ص ٣٧٧ الحديث ٩٦٢٤، «الأمالي» - للطوسي - ص ٦٨٨ الحديث ١٤٦١.

و أمّا أول جمعه جمعها رسول الله _ صلى الله عليه وآله وسلم _ فهي أنّه لمّا قدم المدينة مهاجراً نزل قبا على بنى عمر بن عوفٍ، و أقام بها يوم الإثنين و الثلاثاء و الأربعاء و الخميس، و أسّيس مسجدهم. ثم خرج يوم الجمعة عامداً المدينة، فأدركته صلاة الجمعة في بنى سالم بن عوف في بطن وادٍ لهم، فخطب و صلى الجمعة» (١).

و «التاء» فيها للمبالغة _ كالتاء في علامه _، لا للتأنيث _ كما توهم! _.

و الأخبار في فضل يوم الجمعة كثيرة؛

منها: عن النبي _ صلى الله عليه وآله وسلم _ : «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة. فيه خلق آدم، و فيه أدخل الجنة، و فيه أهبط إلى الأرض، و فيه تقوم الساعة» (٢)؛

و عنه _ صلى الله عليه وآله وسلم _ : «أتاني جبرئيل و في كفّه مرآة بيضاء، و قال: هذه الجمعة يعرضها عليك ربك ليكون لك عيداً و لأمتك من بعدك. و هو سيّد الأيام عندنا، و نحن ندعوه إلى الآخرة يوم المزيد» (٣)؛

و عنه _ صلى الله عليه وآله وسلم _ : «إنّ لله في كلّ جمعه ستماء ألف عتيق من النار!» (٤)؛

و منها: عن أبي جعفر _ عليه السلام _ يقول: «ما طلعت الشمس يوم أفضل من يوم الجمعة» (٥)؛

و منها: عن أبي الحسن الرضا _ عليه السلام _ قال: «قال رسول الله _ صلى الله عليه وآله وسلم _

ص : ١٣٨

١- ١. راجع: «مجمع البيان» ج ١٠ ص ٩.

٢- ٢. راجع _ مع تغييرٍ يسير _ : «مستدرک الوسائل» ج ٦ ص ٦٦ الحديث ٦٤٤٥.

٣- ٣. راجع _ مع تغييرٍ أيضاً _ : «مستدرک الوسائل» ج ٦ ص ٥٨ الحديث ٦٤٢٢، «بحار الأنوار» ج ٨٦ ص ٢٨٠.

٤- ٤. راجع: «بحار الأنوار» ج ٨٦ ص ١٣٠.

٥- ٥. راجع: «الكافي» ج ٣ ص ٤١٣ الحديث ١، نفس المصدر و المجلّد ص ٤١٥ الحديث ١١، «التهذيب» ج ٣ ص ٢ الحديث

١، «وسائل الشيعة» ج ٧ ص ٣٧٥ الحديث ٩٦١٩، «بحار الأنوار» ج ٦١ ص ٣٥، «جمال الأسبوع» ص ٢٢١.

آله و سلّم _ : إنّ يوم الجمعة سيّد الأيام، يضاعف فيه الحسنات و يمحو فيه السيئات، و يرفع فيه الدرجات، و يستجيب فيه الدعوات، و يكشف فيه الكربات، و يقضى فيه الحاجات العظام. و هو يوم المزيد. لله فيه عتقاء و طلقاء من النار، ما دعا الله فيه أحد من الناس و عرف حقّه و حرّمته إلّا كان حقّاً على الله أن يجعله من عتقائه و طلقائه من النار. و من مات فيه _ يومه أو ليلته _ مات شهيداً و بعث آمناً، و ما استخفّ أحد بحرّمته و ضيّع حقّه إلّا كان حقّاً على الله _ عزّ و جلّ _ أن يصلّيه نار جهنّم، إلّا أن يتوب»(١)؛

... إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيره الوارده فى هذا الباب، و فيما نقلناه كفايةً لأولى الألباب.

لمعه عرشية

فى سرّ يوم الجمعة

على ما حقّقه بعض أهل الحقيقة(٢)

و هو: أنّه شواهد للعقول الكشفية على أنّ يازاء الأيام الإلهية _ التي هى مدّة عمر الدنيا، و هى سبعة آلاف سنه على عدد أدوار الكواكب السبعة السيّاره، كما روى عن النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم أنّه قال: «عمر الدنيا سبعة آلاف، بقيت فى آخرها ألف»(٣)؛ و قوله: «لا

ص : ١٣٩

-
- ١- ١. راجع _ مع تغيير يسير _ : «الكافي» ج ٣ ص ٤١٤ الحديث ٥، «التهذيب» ج ٣ ص ٢ الحديث ٢، «وسائل الشيعه» ج ٧ ص ٣٧٦ الحديث ٩٦٢١، «بحار الأنوار» ج ٨٦ ص ٢٧٤، «مصابح المتّهجد» ص ٢٦١.
 - ٢- ٢. هذه المقالة تشبه كثيراً بما كتبه العارف الكاشانى فى رسالته المسّماه ب «بيان مقدار السنه السرمديه و تعيين الأيام الإلهية»، راجع: «مجموعه رسائل و مصنّفات كاشانى» ص ٥٩٧.
 - ٣- ٣. لم أعرّ عليه، لا فى مصادرنا و لا فى مصادر العامه. و حكى ابن أبيالحديد قولاً عن محدّثى المسلمين فى عمر الدنيا يوافق هذا المنقول فى المتن، راجع: «شرح نهج البلاغه» ج ١٠ ص ١٩٧.

نَبِيٍّ بَعْدِي» (١). على هذه الأُمّة تقوم القيامة و هو يوم العرض الأكبر و يوم العرض الثاني، كما أنّه يوم الميثاق يوم العرض الأول؛ كما أشار إليه تعالى بقوله: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ» (٢)؛ و بين اليومين مدّة سبعة أيّامٍ كلّ يومٍ «كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ» (٣) — أيّام السبعة الأسبوعيّة، لتطابق العوالم الوجوديّة.

و في سِتِّهِ من الأيّام الإلهيّة السبعة وقع خلق السماوات و الأرض — كما قال سبحانه: «هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ» — و هي من زمان آدم إلى زمان محمّدٍ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ — جميع دور خفاء الذات و احتجابها بالأسماء و ظهور الأسماء في مظاهر الأشياء؛ كلّ يومٍ منها ميلاد واحدٍ من الأنبياء العظام — من آدم و نوح و إبراهيم و موسى و عيسى و محمّدٍ، صلوات الله عليهم أجمعين — .

«ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى» (٤) عرش الذات — و هو الروح الأعظم — باسم الرحمن في يوم السابع، و هو يوم الجمعة لحشر الخلائق فيه و جمعهم و حسابهم و ميزانهم؛ لقوله — تعالى — : «ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ» (٥).

و هو آخر يومٍ من أيّام الدنيا بوجهٍ و أوّل من أيّام الآخرة بوجهٍ، لقيام الساعة فيه و الظهور التامّ للحقّ.

و هذا الظهور يتبدّى في السابع مع ظهور محمّدٍ — كما روى أنّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ قال: «بعثت أنا و الساعة كهاتين» (٦)، و جمع بين السبابة و الوسطى — ، و يزداد إلى سبعة

ص : ١٤٠

١- ١. راجع: «صحيح ابن حبان» ج ١٦ ص ٢٢١، «المستدرک علی الصحيحین» ج ٢ ص ٦٣١، «مسند أبي عوانة» ج ٤ ص ٤٠٩ الحديث ٧١٢٦.

٢- ٢. كريمه ١٧٢ الأعراف.

٣- ٣. كريمه ٤٧ الحجّ.

٤- ٤. كريمه ٤ الحديد.

٥- ٥. كريمه ١٠٣ هود.

٦- ٦. راجع: «مستدرک الوسائل» ج ١٢ ص ٣٢٤ الحديث ١٤٢٠٧، «بحار الأنوار» ج ٢ ص ٢٦٣، «الأمالي» — للمفيد — ص ١٨٧ الحديث ١٤، «الجعفریات» ص ٢١٢، «كشف الغمّة» ج ٢ ص ١٣٤.

الآف سنه من لدن آدم _ : أول الأنبياء _ إلى زمان خاتم الأولياء _ : المهدى صاحب الزمان، عليه السلام _ . و ينقضى الخفاء بالظهور التام لقيام الساعه و وقوع القيامة الكبرى، و عند ذلك يظهر فناء الخلق و البعث و النشور و الحساب و الميزان، و يتميز أهل الجنة و أهل النار. و يرى عرش الله بارزاً _ كما حكى بعض العرفاء عن شهوده _ ؛ و تمام ظهور هذه الأمور فى الآخرة و إن كان العارفون يشاهدونها فى مرآت الدنيا!.

فابتداء يوم القيامة الذى طلع فجره ببعثه نبينا محمداً _ صلى الله عليه و آله و سلم _ ؛ فالمحمديون _ لكونهم «خير أمة أُخرجت» (١) _ أهل الجنة، و محمداً _ صلى الله عليه و آله و سلم _ صاحبها و خاتم النبيين.

و اتفق أهل الملل كلها من اليهود و غيرهم ان الله فرغ فى اليوم السابع، إلا ان اليهود قالوا: انه السبت (٢) و ابتداء الخلق من الأحد؛ و على ما ذكر يكون هو الجمعة.

و إن جعلنا الأحد أول الأيام و وقعت ابتداء الخلق كان جميع دور النبوة دور الخفاء، و فى السادس ابتداء الظهور.

و ازداد فى الخواص _ كما ذكر: «انه يوم خلق آدم» أى: الحقيقى، و: «يوم الساعه»، و: «يوم المزيد»، و: «يوم دخول الجنة»، و: «سيد الأيام»، كما ذكره فى الأحاديث المروية فى فضل يوم الجمعة (٣) _ حتى ينتهى إلى تمام الظهور و ارتفاع الخفاء فى الآخرة عند خروج المهدى _ عليه السلام _ ، و يعم الظهور فى السابع الذى هو السبت.

و لزياده توضيح هذا المقام نمهد مقدمه من الكلام؛ فنقول: ان ما أوجده الله _ تعالى _ بحكمته البالغه و نظمه البديع لا يخلو عن قسمين:

إما أمور طبيعیه جسمانيه؛

ص : ١٤١

١- ١. كريمه ١١٠ آل عمران.

٢- ٢. كما عن الشهرستانى حاكياً عنهم: «و السبت ... هو يوم الإستواء بعد الخلق»، راجع: «الملل و النحل» ج ١ ص ٢٠٠.

٣- ٣. قد مرّت الإشارة إلى مصادر تلك الأحاديث عند ذكرها بتمامها قبل صفحات.

و إنما أمورُ الإلهية روحانيّة.

أمّا الأمور الطبيعيّة الجسمانيّة فحدوثها وإنشاؤها لا يكون إلاّ على سبيل التدرّج و مرّ الدهور و الأزمان، إذ المعنى بـ «الطبيعيّ» هو ما يصدر عن الطبيعه بقدر الله تعالى _ ، و الطبيعه بما هي طبيعه ليست حقيقتها إلاّ منشأ الحركة و السكون في الجسم الطبيعيّ، و هما زمانيان _ كما حقّق في مظانّه _ ؛ فالطبيعيّ إذن تدرّجيّ لا محاله. فوجود العالم الجسمانيّ _ فلكيّاً كان أو عنصريّاً _ تدرّجيّ، لأنّ حقيقتها متقوّمة بالتغيّر. فكلّ عاقلٍ لبيبٍ إذا فكّر في كيفيّة إيجاد أجسام الطبيعّيه و عوارضها و صفاتها الطبيعيّة يعلم و يتحقّق أنّها واقعّة في مقدارٍ من الزمان، و يتيقّن أنّها هيولى الكلّ قد أتى عليها دهرٌ طويلٌ و أمّده مديدٌ إلى أن يمحضّ و يميّز اللطيف منها من الكثيف و العالى منها من السافل و الفلكيّ منها من العنصرىّ و التير من المظلم، و تقبل الكرات الفلكيّة الأنوار الكوكبيّة و يحيط بعضها ببعضٍ؛

و إلى أن استدارت الأجرام الكليّة و الكرات الكوكبيّة و ركّزت على مراكزها؛

و إلى أن تميّزت الأركان الأربعه و ترتّبت مراتبها و مرّجت فنون تمزيجاتها لينتظم الكلّ كأنّها شخصٌ واحدٌ متعاونٌ بعضها ببعضٍ منتفعٌ بعضها من بعضٍ _ كأبعاوض بدنٍ واحدٍ إنسانيّ في مدّة العمر _ ؛ و الدليل على ذلك قول الله _ سبحانه _ : «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ» (١)، «وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ» (٢).

و أمّا الأمور الرّبيانيّة و الأشعّة الإلهيّة فهي كأنّها في مراتب علمه الأزليّ و عالم قضائه و أمره السرمدىّ و حجب ربوبيّته و سرادقات عزّته لا تبلغ عقول البشر كنهها. و يعتبر عنها في لسان الشريعة بعباراتٍ و رموزٍ لا يفهم مغزاها إلاّ من أيّده بتوفيقٍ خاصّ، و هي المشار إليها في قوله تعالى _ : «وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ» (٣) تنبيهاً على عدم تجدّدها و تغيّرها و ارتفاعاً عن عالم الزمان و التغيّر. و قد وقعت في بعض شرائع السابقين و ملل

ص : ١٤٢

١- ١. كريمه ٧ هود.

٢- ٢. كريمه ٤٧ الحجّ.

٣- ٣. كريمه ٥٠ القمر.

الأقدمين إشارة إلى كَيْفِيَّة حدوث الأفلاك و ما فى جوفها من أمر الله _ سبحانه _ على حسب الرمز؛ انتهى كلامه.

و نحن قد ذكرنا لك فى هذا الكتاب المستطاب _ مراراً عديدةً _ : أنّ الألفاظ الموضوعه للمفاهيم الكليّة و إن كانت تحقّقها واحدة، لها بحسب المواطن و المقامات المتعدّده خواصّ و آثار، و أحكامه مختلفه؛ و أنّ العوالم متطابقه؛ فالיום و الأسبوع و الجمعه كذلك لها أنحاء وجوداتٍ بحسب العوالم المتعدّده.

فكما أنّ فى هذا العالم مدائن جامعه متعدّده فيها خلائق كثيره مختلفه الطبائع و الأحوال و الأخلاق و الآراء و الأعمال و فيها مساجد و مدارس و لأهل الدين فيها مجالس و جماعات و أعياد و جمعيات و أذكار و عبادات، و أنّ فيها لأهل الصنائع و الأعمال أجره و أرزاقاً، و فيها تجار يتعاملون بموازين و مكائيل و لهم مظالم و خصومات و دعاوى، و لهم فيها قضاء و عدول، و لهم فقه و أحكام و فصول، و للحكام البروز و الجلوس لفصل القضاء _ فى كلّ سبعة أيام يوم واحد _ ، فكذلك فى العوالم التى فوق هذا العالم جميع ما ذكر، و لكن فى كلّ عالم بحسبه و نحو وجوده. ففى الجسم جسمانيّ، و فى الروح روحانيّ، و فى العقل عقلانيّ، و فى الإلاه إلهيّ؛ فتبصّر تفهم!.

و فى بعض النسخ: «دعاؤه للعبد و الجمعه». و هذا الدعاء من جهه مضمونه و معانيه لاختصاص له بعيد الفطر.

يَا مَنْ يَرْحَمُ مَنْ لَا يَرْحُمُهُ الْعِبَادُ. وَيَا مَنْ يَقْبَلُ مَنْ لَا تَقْبَلُهُ الْبِلَادُ. وَيَا مَنْ لَا يَحْتَقِرُ أَهْلَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ. وَيَا مَنْ لَا يَخِيبُ الْمُلْحِينَ عَلَيْهِ.
وَيَا مَنْ لَا يَجِبُهُ بِالرَّدِّ أَهْلَ الدَّالَةِ عَلَيْهِ. وَيَا مَنْ يَجْتَبِي صَاحِبَ مَا يُتَحَفُّ بِهِ، وَيَشْكُرُ سَيِّرَ مَا يُعْمَلُ لَهُ. وَيَا مَنْ يَشْكُرُ عَلَى الْقَلِيلِ وَ يُجَازِي بِالْجَلِيلِ. وَيَا مَنْ يَدْنُو إِلَى مَنْ دَنَا مِنْهُ. وَيَا مَنْ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ مَنْ أَدْبَرَ عَنْهُ. وَيَا مَنْ لَا يَغَيِّرُ النِّعْمَةَ، وَ لَا يُبَادِرُ بِالنَّقِمَةِ. وَيَا مَنْ يُثْمِرُ الْحَسَنَةَ حَتَّى يُنْمِيَهَا،

وَيَتَجَاوَزُ عَنِ السَّيِّئَةِ حَتَّى يُعْفِيَهَا.

«الرحمة» قد تقدّم الكلام عليها مستوفى. قيل: «يعنى: رحمته واجبة للشخص الذى هو مهجور مأیوس من رحمه العباد، بمعنى أنّ مقتضى الحكمه عدم تخلف رحمه عنه _ كما قالت المعتزله: اللطف واجب على الله (١) _؛ لا- أنّ رحمته مختصة بذلك الشخص حتى يرد أنّه يلزم أن لا يرحم على من يرحمه العباد».

قال بعض العارفين: «من كمال رحمته ستره لعيوبك و هو يعلم منك ما لو علمه أبواك لفارقاك، و لو علمت به إمراةك لجفتك، و لو اطلعت عليه أمتك لأقدمت على الفرار، و لو علمه جارك يسعى فى تخريب دارك، فأى رحمه أكمل من رحمته؟!» (٢) <.

قوله _ عليه السلام _ : «من لا تقبله البلاد».

قيل: «إمّا من مجاز الحذف، أى: من لا يقبله أهل البلاد _ مثل قوله تعالى: «وَسَيَلَّ الْقَرْيَةَ» (٣)، أى: أهل القرية _؛ و إمّا على طريق التقدير، أى: لا تقبله البلاد لو كان لها أهليه القبول» (٤).

أقول: لا يحتاج إلى القول بالمجاز أو التقدير، لأنّ للأرض نفساً و إدراكاً و شعوراً بحسبها _ كما عرفت سابقاً مستقصى _ .

قوله _ عليه السلام _ : «أهل الحاجة» منصوب على المفعوليه لقوله: «لا يحتقر»، لأنّ حقّره و احتقر بمعنى _ كما فى الصحاح (٥) _ ؛ يقال: حقر الشيء حقارةً: هان قدره فلا يعبؤ به. و يعدى بالحرکه فيقال: حقّره و احتقره، أى: استخفّ به. و ذلك لأنّ المحتاج إليه يرى المحتاج

ص : ١٤٤

١- ١. راجع: «النافع يوم الحشر» ص ٣٢، «مفتاح الباب» ص ١٦٥، «المغنى فى أبواب التوحيد و العدل» ج ١٣ ص ١١٦، «تمهيد الأصول» ص ٢٠٨.

٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٠٥.

٣- ٣. كريمه ٨٢ يوسف.

٤- ٤. هذا قول العلامة المدنى، راجع: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٠٦.

٥- ٥. قال الجوهرى: «تقول منه: حَقَّرَ _ بالضّمّ _ حَقَّارَةً. و حَقَّرَه و احْتَقَّرَه»؛ راجع: «صاح اللغه» ج ٢ ص ٦٣٥ القائمة ٢.

حقيراً في نظره، و ذلك لأنّ الفقر _ كما عرفت سابقاً _ هو عدم استقلال الشيء بذاته، و تعلّقه بالغير و لو في شيءٍ ما. و يرجع إلى لاضروره الوجود و العدم بالذات المسّماه بالإمكان الذاتيّ، و هو كون الشيء بحيث لا ينتزع عن نفس ذاته الموجوديّة بذاته، بل بحسب إعطاء الغير ذلك، فيفتقر في هذا الإنتزاع إلى ملاحظه ذلك الغير؛ و يسمّى صاحبها: المستغنى بالغير، و: الواجب بالغير. فإمكان المهيّات _ الخارج عن مفهومها الموجود _ عبارة عن لاضروره وجودها و عدمها بالقياس إلى ذاتها من حيث هي؛ و إمكان الوجودات: كونها بذواتها مرتبطة و متعلّقة و بحقائقها روابط و تعلّقات إلى غيرها، حيث أنّ حقائقها حقائق تعلّقيّه و ذواتها ذواتٌ لمعانيه، فيصدق عليها لاضروره الطرفين من حيث خصوصيّاتها و تعيّناتها، حيث إنّها من هذه الحيثيه عين الماهيّات. و أمّا من حيث استهلاكها في الوجود الواجب مع قطع النظر عن تشخصاتها فليس يثبت لها الإمكان في شيءٍ، بل هي من هذه الحيثيه واجبه بعين وجوبه _ تعالى _ .

و بالجملة فالحاجه مناط الدّلّ و الحقاره و إن كانت من جهه واحده، فكيف إذا كانت من جميع الجهات و الحيثيات و كانت الحاجه عين حقائقها و حقائقها عين الإحتياج _ كما في الوجودات الإمكانيه _؟! فما يترأى من الدّلّ و الهوان للمحتاج إلى المحتاج إليه، من جهه ذلك.

و لئّما كان الغنى تفرد به _ تعالى _ فله التناول على الممكنات، و ليس للممكنات تناول بعضهم لبعض، لأنّ الإحتياج عين حقيقتهم و ذواتهم؛ و لذا قال المفسّرون: «الأذى هو: تناول المتصدّق على الفقير و احتقاره له، كأن يقول له: ما أنت إلّا ثقیل!، و: لست إلّا مبرماً!، و: باعد الله بيني و بينك؟!؛ كلّ ذلك لهوانه عليه»^(١)؛

ص : ١٤٥

١- ١. كما قال الطبرسي: «أن يقول: أراحني الله منك و من إبتلائي بك!»، راجع: «مجمع البيان» ج ٢ ص ١٨١؛ و قال القرطبي: «كقوله: ما أشدّ إلحاحك!، و: خلّصنا الله منك»، راجع: «تفسير القرطبي» ج ٣ ص ٣٠٨.

و من الأذى: إعراضه عنه و عدم مبالاته به؛ ... إلى غير ذلك من أنواع الإحتقار.

و العجب _ كلّ العجب! _ أنّ الممكن مع لاشيئيه ذاته و بطلانها و فقره و إحتياجه كيف يتناول على الفقير و لا يبقى من الأذى عليه نقيزٌ و لا قضميرٌ؟! فطوبى لمن استشعر ذلك و كفّ نفسه عن الأذى و الإيذاء!

قال بعض العرفاء: «من جملة الفوائد فى فتح الحاجه على العباد إلى المعبود تكريمهم بفتح باب المناجات عليهم حتّى إذا احتاجوا إلى جلب نفعٍ أو دفع ضرٍّ توجّهوا إليه برفع الهمم، فشرّفوا بمناجاته و منحوا من هباته؛ و لولا- الحاجه لم يتشرّفوا بالمناجات؛

و منها: إرادته _ تعالى _ أن يتحبّبوا إليه، فكلّموا وردت على العبد أسباب الحاجه و الفاقه و توجّه إلى الله فيها فاستجاب له وجد العبد لذلك حلاوةً فى نفسه و راحةً فى قلبه، فأوجب له ذلك زياده المحبّه لربه؛ قال _ صلى الله عليه و آله و سلّم _ : «أحبّوا الله لما يغذوكم به من نعمه» (١). فكلّموا تجددت النعم بنيل مطلوبٍ أو دفع مكروهٍ تجدد له من الحبّ بحسبها؛

و منها: أنّ الحاجه بابٌ إلى الله _ تعالى _ و سببٌ يوصل العبد إليه، أ لم تسمع قوله _ تعالى _ : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» (٢)، فجعل «الفقر إلى الله» سبباً يؤدّى إلى الوصول إليه و الدوام بين يديه؟! و لمّا كان الإنسان خيره خلقه _ تعالى _ جعل إفتقاره إليه عاجلاً لأموال المعاش و آجلاً لنعيم الآخرة أكثر و أبين من إفتقار سائر المخلوقين؛ ألا ترى إلى قوله: «أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ» كيف عزّف الخبر لقصد أنّهم جنس الفقر مبالغه؟! و كلّ ذلك لحبّه _ تعالى _ للإحسان و عنايته بأهل الحاجه إليه، فكيف يحتقرهم؟!؛ انتهى.

ص : ١٤٦

١ - ١. راجع: «بحار الأنوار» ج ١٧ ص ١٤، «الأمالي» _ للصدوق _ ص ٣٦٤ الحديث ٦، «بشاره المصطفى» ص ٦١، «علل الشرايع» ج ١ ص ١٣٩، «نهج الحق» ص ٢٦٠.

٢ - ٢. كريمه ١٥ فاطر.

و قد استوفينا الكلام في «الفقر» فيما سبق؛ فتذكر!

>و «خبيّه الله» _ تعالى _ : جعله خائباً، أى: غير ظافرٍ بمطلوبه.

و «الملحون»: جمع: الملحّ، اسم فاعلٍ من: ألح الرجل على عزمه: إذا ألزمه و أقبل عليه مواظباً للتقاضى منه؛ و: ألحّ في السؤال: إذا دام عليه و لازمه. و لئلا كان الباعث على تخيب الملحّين الضجر من مداومه السؤال المفضى إلى إجابته السائل، و كان من سوى الله _ سبحانه _ ينقصه ذلك و هو _ تعالى _ لا ينقص من خزائنه أن يهب الدنيا لمن سألها _ بل لا تزيده كثرة العطاء إلاّ كرمًا و جوداً! _ لم يكن من شأنه _ سبحانه _ أن يخيب الملحّين عليه، بل الإلحاح عليه أحبّ إليه. و لذلك ورد استحباب الإلحاح في الدعاء(١)، و في الحديث: «و الله لا يلح عبدٌ مؤمنٌ على الله _ عزّ و جلّ _ في حاجته إلاّ قضاها له»(٢).

قوله _ عليه السلام _ : «لا يجبه» _ بالجيم و الباء الموحّده _ : من الجبهه، >يقال: جبهه أى: ضرب جبهته و ردّه. و هو هنا كناية عن الخيبة و عدم نيل المطلوب.

و «الدالّه» _ بتشديد اللام _ مأخوذٌ من الدلال(٣) > _ الّذى يقال له باللسان الفارسيّ: غنج و ناز _ . و هذا لا يكون إلاّ بفراط المحبّه؛ يقال: أدلّ على صديقه و قرينه و على من له منزلة عنده: إذا انبسط و اجتزأ و أفرط عليه ثقةً بمحبّته.

و المراد بـ «أهل الدالّه»: الجماعة المنبسطون معه _ سبحانه _ المفرطون عليه في الطلب. >و يدلّ على ذلك ما حكاه الزمخشريّ في ربيع الأبرار عن أعرابيه أنّها قالت عند الكعبه: «إلاّ هي! لك أدلّ و عليك أدلّ»(٤). و ليس الدلال على الله القاهر الجبار طريقاً يسلكه كلّ جاهلٍ غرارٍ، بل إنّما هو طريق العارفين و أحبّائه المختصّين و سبيل المحبّين و أوليائه

ص : ١٤٧

-
- ١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٠٧.
 - ٢- ٢. راجع: «الكافي» ج ٢ ص ٤٧٥ الحديث ٣، «وسائل الشيعة» ج ٧ ص ٥٨ الحديث ٨٧١٤، «مستدرک الوسائل» ج ٥ ص ١٩٣ الحديث ٥٦٦٥، «بحار الأنوار» ج ٩٠ ص ٣٧٤، «عده الداعي» ص ١٥٥، «فلاح السائل» ص ٤٢.
 - ٣- ٣. قارن: «نور الأنوار» ص ١٨٨.
 - ٤- ٤. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٠٩.

المخلصين!. و للصوفيّه فى هذا الباب حكاياتٌ للعاشقين و المجانين؛ و ماروى عن البرخ الأسود من هذا الباب (١)؛ و قول موسى _ عليه السلام _ : «إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ» (٢) يشعر بذلك؛ و كذا فقرات بعض الأدعيه _ كما لا يخفى على أولى الألباب _ .

و قيل: «الإدلال عليه _ تعالى _ إمّا كنايةً عن الإدلال بالأعمال و الأفعال له _ تعالى _ ؛

و إمّا عبارةً عمّا يرتكبه الجاهلون من سوء الأدب مع جنبه _ تقدّس و تعالى _ ؛

أو المراد من «أهل الدالّه»: من يثق بعلمه و يعتمد على عبادته و طاعته» (٣)؛

و قيل: «المراد: أهل البخل و الكبر و الرعونه، يعنى: لا يضيع الله _ تعالى _ يد الردّ على جنبه من سلك معه سلوكك أهل الرعونه، فكيف يحرم من عطيتّه مَنْ سأل بالتخشّع و الخضوع؟!»؛

و قيل: «الدالّ من الدلالة، أى: يشير بالدليل إليه مع تنزّه ساحتّه _ سبحانه _ أن يعرف بالدليل» (٤).

و «يا من يجتبى صغير ما يتحف به».

>«الإجتباء»: الإختيار و الإصطفاء.

و كونه «صغيراً»: إنّما هو بالنسبه إلى ما يستحقّه كبرياء جبروته، و إلّا- فالطاعات كلّها كبار (٥)؛ أى: يقبل و يختار التحفه الصغيره إذا اتّحف و أهدى إليه.

و قيل: «لأنّ جميع طاعات العباد _ : كبيرها و صغيرها _ حقيرٌ بالنسبه إلى ما يستحقّه

ص : ١٤٨

١ - ١. لم أعثر على حكايته فى المصادر المضمنون كونها فيها، ك «الرساله القشيريّه»، و «إحياء علوم الدين»، و «عوارف المعارف»، و «تذكره الأولياء»، و غيرها من المصادر التى راجعت إليها للعثور عليها.

٢ - ٢. كريمه ١٥٥ الأعراف.

٣ - ٣. هذا قول العلامة المدنى، راجع: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٠٩.

٤ - ٤. هذا قول المحقّق الفيض، راجع: «التعليقات» ص ٩١.

٥ - ٥. قارن: «نور الأنوار» ص ١٨٨.

و قيل: «لايجتبيه صغيراً، بل يأخذه عظيماً كبيراً و إن كان في حدّ نفسه صغيراً»(٢). و «يحتوى» نسخه بدل «يجتبي».

و «شكره» _ تعالى _ ل _ «يسير ما يعمل له» عبارة عن مجازاته عليه بجزيل الجزاء و ثنائه على عامله بجميع الثناء.

و «يا من يشكر» مضمونه هو مضمون الجملة السابقة؛ و أعادها لينبىء المجازاه بالجليل، فيفيد معنىً مهمّاً جليلاً، و هو أنّه يجازى القليل بالجليل، لا بالقليل.

و «يا من يدنوا إلى من دنا منه» أى: يقرب إلى من يقرب منه، كما روى فى الحديث القدسى المشهور: «من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعاً، و من تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً، و من مشى إلى هرولت إليه»(٣).

و «يا من يدعو إلى نفسه من أدبر عنه» أى: يدعوا إلى الإقبال إليه بالتوبه و الإنابه و طلب المغفره و العطيّه منه من أعرض عنه؛ فكيف بمن أقبل إليه؟! >قال رجلٌ لرابعه: «إننى عصيت الله!، أفتريه يقبلنى؟

قالت: ويحك! أنّه يدعو المدبرين عنه، فكيف لا يقبل المقبلين إليه؟!»(٤). و فى نسخه: «من أعرض عنه»، و هو بمعنى: «أدبر» _ فإنّ «الإدبار» و «الإعراض» و «التولى» معانٍ متقاربه _ .

ص : ١٤٩

١- ١. هذا قول المحقق الفيض، راجع: «التعليقات» ص ٩١.

٢- ٢. هذا قول المحقق الداماد، راجع: «شرح الصحيفة» ص ٣٩٢.

٣- ٣. راجع _ مع تغييرٍ يسير _ : «مستدرك الوسائل» ج ٥ ص ٢٩٨ الحديث ٥٩١٠، «بحار الأنوار» ج ٨٤ ص ١٨٩، «عوالى اللئالى» ج ١ ص ٥٦ الحديث ٨١، و انظر: «نور الأنوار» ص ١٨٩.

٤- ٤. لم أعثر على قولها هذا، و لها جوابٌ آخر عن هذا السؤال أيضاً، راجع: «الرساله القشيريّه» ص ١٧٥.

قوله _ عليه السلام _ : «و يا من لا يغيّر النعمه»، فيه إشارة إلى قوله _ تعالى _ في الأنفال: «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِعْمَهُ أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» (١)؛ وقوله _ سبحانه _ في الرعد: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» (٢).

و «الألف و اللام» في «النعمه» للجنس، أى: لا يغير شيئاً من جنس النعم _ جلّ أو هان _ ؛ كما أنّ التكرير فى الآيه الأولى يفيد العموم _ أى: أى نعمه كانت، جلت أو هانت _ (٣) < .

فان قلت: عدم التغيير فى الدعاء مطلق و فى الآيتين مقتدً، فكيف التوفيق؟

قلنا: معنى عدم تغيير النعمه من الله: أنّه لا يغيّرُها لذاته و من قبل نفسه من غير موجبٍ لتغيّرها، فإذا حصل موجب تغييرها و مقتضاه لم يكن التغيير واقعاً من الله _ سبحانه _ فى حدّ ذاته، بل بسببٍ ناشٍ من غيره، فكأنّه هو المغيّر للنعمه؛ فلانمافاه. و هذا معنى قولهم: «الرحمه ذاتيّه له _ تعالى _ و الغضب من مقتضيات العصيان». و لذلك قال أمير المؤمنين _ عليه السلام _ : «و أيم الله ما كان قومٌ قطّ فى خفض عيشٍ (٤) فزال عنهم إلا بذنوبٍ اجترحوها» (٥)، لأنّ «الله ليس بظلامٍ للعبيد» (٦)، و لو أنّ الناس حين تنزل بهم النقم و تزول عنهم النعم فرغوا إلى ربّهم بصدقٍ من تياتهم و وله من قلوبهم لردّ عليهم كلّ شاردٍ و أصلح لهم كلّ فاسدٍ» (٧)؛ هكذا ذكره الفاضل الشارح.

و التحقيق: أنّ الحقّ _ سبحانه _ لا يعين من نفسه شيئاً لشيءٍ أصلاً، لأنّ أمره واحدٌ _ كما أنّه واحدٌ _ ؛ و أمره الواحد عبارة عن تأثيره الذاتى الواحدانى بإفاضه الوجود الواحد المنبسط على الممكنات القابله له الظاهره به و المظهره إياه متعدداً متنوعاً مختلف الأحوال و

ص : ١٥٠

-
- ١-١. كريمه ٥٣ الأنفال.
 - ٢-٢. كريمه ١١ الرعد.
 - ٣-٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢١٢.
 - ٤-٤. نهج البلاغه: فى غصّ نعمه من عيشٍ.
 - ٥-٥. راجع: «نهج البلاغه» الخطبه ١٧٨ ص ٢٥٦، و انظر: «شرح ابن أبيالحديد» عليه ج ١٠ ص ٦١، «بحار الأنوار» ج ٧٠ ص ٣٦٤.
 - ٦-٦. كريمه ١٨٢ آل عمران، ٥١ الأنفال، ١٠ الحجّ.
 - ٧-٧. راجع: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢١٣.

الصفات بحسب ما اقتضته حقائقها الغير المجعوله المتعينه فى علم الأزل. فما قَدَّرَ الله _ سبحانه _ على الخلق شيئاً من نفسه و ذاته، بل باقتضاء أعيانهم و طلبهم بلسان حالهم و استعدادهم، مثلاً ما كنت فى ثبوتك ظهرت به فى وجودك، فليس للحقّ إلّا إفاضه الوجود عليك و الحكم لك عليك، فلا تحمّد إلّا نفسك و لا تزدّم إلّا نفسك. و ما يبقى للحقّ إلّا إفاضه الوجود، لأنّ ذلك له لا لك (١). و لذلك قال _ تعالى _ : «مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَ مَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ» (٢)، أى: ما قدرت عليهم الكفر _ الذى بقشائهم _ ثم طلبتهم بما ليس فى وسعهم أن يأتوا به، بل ما عاملناهم إلّا بما علمناهم، و ما علمناهم إلّا بما هم عليه؛ فإن كان ظلماً فهم الظالمون! و فى الحديث: «من وجد خيراً فليحمد الله، و من وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلّا نفسه» (٣)؛

و قال مولانا الباقر _ عليه السلام _ : «إنّ الله الحليم العليم إنّما غضبه على من لم يقبل منه رضاه، و إنّما يمنع من لم يقبل منه عطاءه، و إنّما يضلّ من لم يقبل منه هداة»؛

هر چه هست از قامت ناساز بى اندام ماست ورنه تشریف تو بر بالای کس کوتاه نیست (٤)

قال أهل الحكمه و المعرفه: «الوجود من حيث هو وجودٌ خيرٌ محضٌ، و الشرّ من حيث هو شرٌّ لا ذات له»، فلا يفتقر إلى مبدئها، و لهذا ورد: «الخير كلّ بيديك و الشرّ ليس إليك» (٥)؛ و ورد: «بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (٦). فنفى إضافه الشرّ دلّ على أنّ

ص : ١٥١

١- ١. هذا نصّ كلام الشيخ ابن العربى، راجع: «فصوص الحكم» ج ١ ص ٨٣ و انظر: «شرح القيصري» عليه ص ٥٩٢.

٢- ٢. كريمه ٢٩ ق.

٣- ٣. لم أعثر عليه إلّا فى «الحكايات» _ للجزائريّ _ ص ٨٥.

٤- ٤. راجع: «ديوان حافظ» ص ١٤٣ الغزل ٩٣ البيت ٨.

٥- ٥. لم أعثر عليه، و ورد: «الخير فى يديك...»، أو: «الخير بين يديك...»، راجع: «الكافي» ج ٣ ص ٣١٠ الحديث ٧، «الفقيه»

ج ١ ص ٣٠٣ الحديث ٩١٦، «التهذيب» ج ٢ ص ٦٧ الحديث ١٢.

٦- ٦. كريمه ٢٦ آل عمران.

الشر ليس بشيء، وأنه عدم؛ إذ لو كان شيئاً لكان بيده، فإنَّ «بِيَدِهِ مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ» (١)، وهو خالق كلِّ شيءٍ. على أنَّ جميع أسباب الشرِّ إنما توجد تحت كره القمر في بعض جوانب الأرض التي هي حقيرةٌ بالنسبة إلى الأفلاك المقهورة تحت أيدي النفوس المطموسة تحت أشعّه العقول الأسيره في قبضه الرحمن، ولأنسبه لها إلى جناب الكبرياء الباهره الضياء. فتصوّر ذرّه الشرِّ في وجه أشعّه شمس الخير لا يضرها، بل يزيدا بها، وجمالاً وضياءً وكمالاً، كالشامه السوداء على الصورة المليحه البيضاء تزيدها حسناً وملاحه وإشراقاً وصباحه؛ قال قائلهم:

هر نعت که از قبیل خیر است و کمال باشد ز نعوت ذات پاک متعال

هر وصف که در حساب شرّ است و وبال دارد به قصور قابلیات مآل (٢)

قوله _ عليه السلام _ : «و لا يبادر بالنقمه» إنتصاراً لهم و إمهالاً للتوبه.

و «يا من يثمر الحسنه حتّى ينميها»، من النمو _ على الإفعال و التفعيل _ ، >أى: يجعلها ذات ثمره و يرتب عليها منافع حتّى يكثرها؛ يقال لكلّ نفع يصدر عن شيءٍ و يرتب عليه: ثمرته _ كقولك: النجاه ثمره الصدق، و الظفر ثمره الصبر، و الجنه ثمره الإيمان _ (٣)؛ و فى الحديث: «إنّ الصدقه تقع فى يد الرحمن فيربّيها كما يربى أحدكم فلوّه أو فصيله» (٤) _ و «الفلو»: ولد الفرس _ .

و قيل: «فى هذا إشارة إلى قوله _ تعالى _ : «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ

ص : ١٥٢

١- ١. كريمه ٨٨ المؤمنون، ٨٣ يآس.

٢- ٢. القطعه منسوبة إلى الحكيم نصيرالدين الطوسى، و لم أعثر على مصدر لها.

٣- ٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢١٣.

٤- ٤. راجع _ مع تغيير فى الألفاظ _ : «وسائل الشيعة» ج ٩ ص ٣٨١ الحديث ١٢٢٨٩، «بحار الأنوار» ج ٧١ ص ٤١٠، «الأمالى» _ للطوسى _ ص ٤٥٨ الحديث ١٠٢٣، «رجال الكشّى» ص ٢٣٣ الرقم ٤٢٣، و انظر: «نور الأنوار» ص ١٨٩.

اللَّهِ»(١) _ ... الآيه _ .

و «حَتَّى يُعْفِيَهَا» _ بضم الياء _ من: أعفاه يعفيه _ ك _ : عفاه يعفوه _ >أى: يمحوها و يدرّس آثارها، كما روى: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا أَطْلَعَتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ وَ أَثْبَتَ فِي الصَّحَافِ وَالْأَلْوَاخِ، فَإِذَا تَابَ مَحَاهُ اللَّهُ _ تعالى _ حَتَّى مِنْ خَوَاطِرِ الْمَلَائِكَةِ»(٢)(٣) <.

و فى نسخه ابن ادريس: «حَتَّى يُعْفِيَهَا» _ بتشديد الفاء _ ، و هو من: عَفَّتْ الرِّيحُ الأثر _ بالتشديد _ أى: محته.

انصَبَرَفَتِ الْآمَالُ دُونَ مَدَى كَرَمِكَ بِالْحَاجَاتِ، وَ امْتَلَأَتْ بِفَيْضِ جُودِكَ أَوْعِيَهُ الطَّلِبَاتِ، وَ تَفَسَّخَتْ دُونَ بُلُوغِ نَعْتِكَ الصِّفَاتِ، فَلَكَ الْعُلُوُّ الْأَعْلَى فَوْقَ كُلِّ عَالٍ، وَ الْجَلَالُ الْأَعْجَدُ فَوْقَ كُلِّ جَلَالٍ. كُلُّ جَلِيلٍ عِنْدَكَ صَغِيرٌ، وَ كُلُّ شَرِيفٍ فِي جَنْبِ شَرَفِكَ حَقِيرٌ.

>«الإنصراف»: الانقلاب و الرجوع.

و «الآمال» جمع: الأمل _ محرّكه، كالسبب و الأسباب _ ، و هو الرجاء. و قيل: «أكثر ما يستعمل فى ما يستبعد حصوله»(٤).

و «المَدَى» _ بفتحيتين(٥) < _ >تارةً أتى بمعنى: الغاية و نهايه المسافه، و أخرى بمعنى: بدايتها؛ فعلى الأول معناه: انّ المؤمنين انصرفوا بحاجاتهم مقضيّةً بالنسبه إلى أوّل مرتبه من كرمك من غير احتياجٍ إلى إعمال فكرٍ و رويّه و كسبٍ و مبالغه منك فى قضائها حتّى ينتهى قضاؤها إلى نهايه كرمك، إذ لاغايه لكرمك(٦)؛ و أمّا على الثانى فمعناه: انّ حاجاتهم قد

ص : ١٥٣

١- ١. كريمه ٢٦١ البقره.

٢- ٢. لم أعثر عليه، لا فى مصادرنا و لا فى مصادر العامه.

٣- ٣. قارن: «نور الأنوار» ص ١٨٩.

٤- ٤. هذا نصّ كلام الفيومى، راجع: «المصباح المنير» ص ٣٠.

٥- ٥. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢١٥.

٦- ٦. المصدر: _ إذ لاغايه لكرمك.

قضيت برحمتك و بركاتك من غير حاجه إلى وصولها إلى درجه من درجات كرمك و اتّصافها بالكرم لأجلها _ كما في سائر الناس _ (١) <؛

فقوله: «بالحاجات» متعلّق بـ: «انصرفت»؛

>و «باؤه» للمصاحبه _ أى: مصاحبه لها، كقوله تعالى: «اهْبِطْ بِسَلَامٍ» (٢) _ . و الكلام إستعاره مكثيه، أو تمثليته (٣) <.

و «دون» هنا: نقيض الفوق؛ و قيل: «بمعنى: عند»؛

و هو وهم!

و «امتلاّت» أى: ملأت، من ملأت الإناء _ بالهمزه _ ملأ فامتلاّت: جعلت فيه مقدار ما يأخذه.

و «الأوعيه» جمع: الوعاء _ بالكسر و المدّ _ ، و هو: الظرف؛ قال _ تعالى _ : «فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ» (٤).

و «الطلبات» جمع: الطلبه _ مثل كلمه _ ، و هى: الحاجه؛ أى: ظروف أهل الحوائج. و إثبات «الأوعيه» للـ «طلبات» إستعاره تخيليه، كما أنّ إثبات «الإمتلاء» للـ «جود» تخيل، لأنّه شبه الجود بالماء الكثير مثل البحر، فهو إستعاره بالكنايه، و إثبات الإمتلاء له تخيل.

و «تفسّخت» من: تفسّخت الفأره فى البئر، أى: تقطعت الصفات قبل وصولها إلى كنه نعتك و حقيقه وصفك؛ و الحاصل: أنّ الواصفين لم يقدروا على وصفك لعدم إطلاعهم على صفاتك و ذاتك _ لأنّ صفاتك عين ذاتك _ . و قد سبق لهذه الفقره معانٍ آخر فى اللمعه الثانيه و الثلاثين؛ فليرجع إليها (٥).

ص : ١٥٤

١- ١. قارن: «نور الأنوار» ص ١٨٩.

٢- ٢. كريمه ٤٨ هود.

٣- ٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢١٦.

٤- ٤. كريمه ٧٦ يوسف.

٥- ٥. هذا مفادّ كلام المحدث الجزائري، راجع: «نور الأنوار» ص ١٨٩.

«فلک العلوّ الأعلى _ ... إلى آخره _» أى: علوّك أعلى من كلّ علوّ و عظمتك أعظم من كلّ عظمه. فالتفريع فى قوله _ عليه السلام _ : «فلک» ظاهرٌ، فلا يحتاج إلى أخذ الفاء سببيّه _ كما ذكره الفاضل الشارح(١) _ ؛ وقد تقدّم الكلام فى علوّه _ تعالى _ .

«كلّ جليلٍ عندك صغيرٌ _ ... إلى آخره _»، لأنّ جلاله كلّ جليلٍ ذرّة من ذرّات جلالتك، و شرافه كلّ شريفٍ رائحه من رائحه شرفك.

خَابَ الْوَافِدُونَ عَلَى غَيْرِكَ، وَ حَسِرَ الْمُتَعَرِّضُونَ إِلَّا لَكَ، وَ ضَاعَ الْمُلْمُونَ إِلَّا بِكَ، وَ أَجْدَبَ الْمُتَجِيعُونَ إِلَّا مَنْ انْتَجَعَ فَضْلَكَ. بَابُكَ مَفْتُوحٌ لِلرَّاعِبِينَ، وَ جُودُكَ مُبَاحٌ لِلسَّائِلِينَ، وَ إِعَانَتُكَ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمُسْتَغِيثِينَ. لَا يَخِيبُ مِنْكَ الْآمِلُونَ، وَ لَا يَيْئَسُ مِنْ عَطَائِكَ الْمُتَعَرِّضُونَ، وَ لَا يَشْقَى بِنَقْمَتِكَ الْمُسْتَغْفِرُونَ.

«خاب الوافدون» أى: يئس الواردون «على غيرك».

و «الخسران»: إنتقاص رأس المال، ينسب إلى الإنسان، و إلى الفعل؛ فيقال: خسر فلانٌ، أو: خسرت تجارتك. و يستعمل فى المقتنيات الخارجة _ كالمال و الجاه فى الدنيا _ ، و هو الأكثر، و فى المقتنيات النفسية _ كالصحة و السلامه و العقل و الإيمان و الثواب؛ كذا قال الراغب(٢).

و «المتعرّضون» أى: المتصدّون و المتوجّهون، فخرانهم عبارة عن نقص عقولهم و معرفتهم. و الإستثناء مفرّغ _ أى: المتعرّضون لأحدٍ إلا لك _ .

و «ضاع الملمون» أى: المنزلون «إلا بك»، يعنى: من لم ينزل عليك _ بل ينزل على غيرك _ يضيع و يهلك.

ص : ١٥٥

١- ١. راجع: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢١٦.

٢- ٢. راجع: «المفردات» ص ٢٨١ القائمه ٢.

و «أجذب المنتجعون» يقال: <أجذب القوم إجداباً: أصابهم الجذب، و هو(١)>: <انقطاع الأمطار.

و «المنتجع»: طالب الكلاء فى موضعه؛ و المعنى: أنه قد انقطع مطر الرحمة عن طالب الكلاء و الخير إلا عمن طلب كلاء فضل رحمتك.

و «لايأس» بفتح الهمزة، و بالكسر _ كما فى بعض النسخ _ شاذٌ(٢)>.

و جملة قوله: «لايخيب منك الآملون» و ما بعدها تأكيدٌ لمضمون الجمل السابقة؛ و لذلك تعين الفصل و لم يعطفها على ما قبلها لكمال الإتصال.

رَزَقُكَ مَبْسُوطٌ لِمَنْ عَصَاكَ، وَ حِلْمُكَ مُعْتَرِضٌ لِمَنْ نَاوَاكَ. عَادَتْكَ الْإِحْسَانُ إِلَى الْمُسِيئِينَ، وَ سَيِّئَتِكَ الْإِبْقَاءُ عَلَى الْمُعْتَدِينَ حَتَّى لَقَدْ غَرَّتْهُمْ أَنْتُكَ عَنِ الرُّجُوعِ، وَ صَيَّدَهُمْ إِمْهَالُكَ عَنِ التُّزُوعِ. وَ إِنَّمَا تَأْنَيْتَ بِهِمْ لِيَفِيؤُوا إِلَى أَمْرِكَ، وَ أَمْهَلْتَهُمْ ثِقَةً بِعَدَوَامِ مُلْكِكَ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ خَتَمَتْ لَهُ بِهَا، وَ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ خَذَلَتْهُ لَهَا.

«رزقك مبسوطٌ» أى: موشّع «لمن عصاك». و إنما جعله لـ «من عصاه»، لأن من بسط رزقه لمن عصاه فهو لمن أطاعه أبسط!. و قد مرّ معنى «الرزق» و «انبساطه»؛ فتذكر!.

«معترض»، و فى نسخه: «معترض»(٣)، كلاهما بمعنى: التصدى؛

و قيل: «بمعنى: الإتيان و الإقبال».

و «ناواه» أى: عاداه.

و جملة <«عادتك الإحسان» مستأنفة على وجه التعليل، كأنه قال: لأن عادتك

ص : ١٥٦

١-١. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٢٠.

٢-٢. قارن: «نور الأنوار» ص ١٨٩.

٣-٣. كما حكاها العلامة المدينى عن نسخه ابن ادريس، راجع: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٢٢.

الإحسان _ ... إلى آخره (١) < . يعنى: إحسانك إلى العاصين ليس معنىً بديعاً، بل ذلك عادتك القديمة و سنتك القويمه.

و «السَّنة»: الطريقه.

و «الإبقاء» مصدر: أبقيت على فلانٍ إبقاءً: إذا أشفقت عليه و رحمته؛ يعنى: طريقتك الشفقة و الرحمه على العاصين و المجاوزين للحدّ.

و «حتّى» هنا حرف ابتداءٍ مفادها التعظيم.

و «اللام» جواب قسمٍ محذوفٍ.

و «الأناه»: الإمهال.

و «النزوع»: الرجوع؛ أى: جعلهم حلمك و إمهالك مغرورين حتّى لم يرجعوا عن المعصيه.

و «الصدّ»: المنع. و إسناد «الغرور» و «الصدّ» إلى «إناته» و «إمهاله» _ تعالى _ من باب إسناد الشىء إلى غير ما هو له، بل إلى سببه.

قيل: «من لم يثق بدوام ملكه و تسلّطه يسارع فى الانتقام و الجزاء كيلاً- يفوته، و الله _ تعالى _ أعلم من ذلك؛ و هذا سبب إمهاله و إنظاره».

أقول: الإمهال و الإنظار ليسا من الجبهه المذكوره، بل من جبهه الشفقة و الرحمه حتّى يرجع عن المعصيه بالتوبه _ كما مرّ غير مرّه _ .

و «خذلته لها» أى: تركته لها.

و «السعاده» و «الشقاوه» قد مرّ معناهما. قال الفاضل الشارح: «و الفاء فى قوله: «فمن كان من أهل السعاده ختمت له بها» للتفريع (٢). و معنى كونه «من أهل السعاده و الشقاوه»: من قدّرت له السعاده أو الشقاوه تقديراً سابقاً على الخلق موافقاً للظاهر (٣) (٤)؛

ص : ١٥٧

١- ١. قارن: نفس المصدر و المجلّد ص ٢٢٣.

٢- ٢. ههنا حذفت قطعاً من كلام الفاضل الشارح.

٣- ٣. المصدر: _ موافقاً للظاهر.

٤- ٤. راجع: نفس المصدر و المجلّد ص ٢٢٥.

و فى قوله _ عليه السلام _ : «ختمت له بها» إيذاناً بأن من كان من أهل السعادة و إن عمل عمل من كان من أهل الشقاوه فلن يخذله الله _ تعالى _ ، بل لابد أن يختم عمله بعمل أهل السعادة؛ كما روى فى الكافى (١) عن أبى عبد الله _ عليه السلام _ قال: «أنه يسلك بالسعيد فى طريق الأشقياء حتى يقول الناس: ما أشبهه بهم! بل هو منهم، ثم تداركته (٢) السعادة!؛ و قد يسلك بالشقى فى طريق السعداء حتى يقول الناس: ما أشبهه بهم! بل هو منهم، ثم يتداركه الشقاوه (٣)! ان من كتبه الله سعيداً و إن لم يبق من الدنيا إلا- فواق ناقيه ختم له بالسعادة» _ بيان: «فواق الناقيه»: من أفاقت الناقيه إفاقه: اجتمعت الفقيه فى ضرعها؛ و الفقيه: اسم اللبن الذى يجتمع بين الحليين. و المراد بفواق الناقيه ههنا: زمان شرب الفصيل ذلك اللبن المجتمع فى ضرعها _ .

و هذا فى الحقيقة يرجع إلى الطينه و مزجها _ كما مرّ فى دعاء دخول شهر رمضان؛ فتذكر! _ .

و مما يدل على مزج الطينه الحديث الذى روى عن أبياسحق عن الباقر _ عليه السلام _ فى حديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة، أنه قال: «اعلم! أن الله _ عزّ و جلّ _ خلق أرضاً طيبه طاهره و فجّر فيها ماءً عذباً زلالاً فاراتاً سائغاً _ : ولايتنا أهل البيت _ ، فقبلتها. فأجرى عليها ذلك الماء سبعة أيام، ثم تصب عنها ذلك الماء بعد السابع فأخذ من صفوه ذلك الطين طيناً، فجعله طين الأئمه، ثم أخذ _ جلّ جلاله _ ثقل ذلك الطين فخلق منه شيعتنا و محبينا من فضل طينتنا، فلوترك طينتكم _ يا إبراهيم! _ كما ترك طينتنا لكتنم أنتم و نحن سواء!

ص : ١٥٨

-
- ١- ١. راجع: «الكافى» ج ١ ص ١٥٤ الحديث ٣، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٥ ص ١٩٥، «المحاسن» ج ١ ص ٢٨٠ الحديث ٤٠٩.
 - ٢- ٢. المصدر: يتداركه.
 - ٣- ٣. المصدر: الشقاء.

قلت: يابن رسول الله! ما صنع بطينتنا؟

قال: مزج طينتكم و لم يمزج طينتنا.

قلت: يابن رسول الله! و بما مزج طينتنا؟

قال _ عليه السلام _ : خلق الله _ عزّ و جلّ _ أيضاً سبخه خبيثه منتنه و فجّر فيها ماءً أجاجاً مالحاً آسناً، ثمّ عرض عليها _ جلّت عظمتها _ ولا-يه أمير المؤمنين _ عليه السلام _ فلم تقبلها، و أجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام. ثمّ تصبّ ذلك الماء عنها، ثمّ أخذ من كدوره ذلك الطين المنتنّ الخبيث و خلق منها أئمه الكفر و الطغاه و الفجرة؛ ثمّ عمد إلى بقيته ذلك الطين فمزجه بطينتكم، و لو ترك طينتهم على حاله و لم يمزج بطينتكم ماعملوا أبداً عملاً صالحاً، و لا-أدوا أمانه إلى أحدٍ، و لاشهدوا الشهادتين و لا صاموا و لا صلّوا و لا زكّوا و لا حجّوا و لاشبهوكم فى الصورة أيضاً. يا إبراهيم! ليس شيء أعظم على المؤمن أن يرى صورة حسنه فى عدوّ من أعداء الله _ عزّ و جلّ _ و المؤمن لا يعلم أنّ تلك الصورة من طين المؤمن و مزاجه!؛ يا إبراهيم! ثمّ مزج الطينتان بالماء الأوّل و الماء الثانى، فما تراه من شيعتنا و محبينا من ربا و زنا و لواط و خيانه و شرب خمر و ترك صلاه و زكاه و حجّ و جهادٍ فهى كلّها من عدونا الناصب و سنخه و مزاجه الذى مزج بطينته، و ما رأيته من هذا العدو الناصب من الزهد و العباده و المواظبه على الصلاه و أداء الزكاه و الصوم و الصلاه و الحجّ و الجهاد و أعمال البرّ و الخير فذلك كلّ من طين المؤمن و سنخه و مزاجه، فإذا عرض أعمال المؤمن و أعمال الناصب على الله يقول الله _ عزّ و جلّ _ : أنا عدلّ لا أجور و منصف لا أظلم!، و عزّتى و جلالى و ارتفاع مكانى ما أظلم مؤمناً بذنبٍ مرتكبٍ من سنخ الناصب و طينته و مزاجه!، هذه الأعمال الصالحه كلّها من طين المؤمن و مزاجه؛ و الأعمال الرديئه التى كانت من المؤمن من طين العدو الناصب. و يلزم الله _ تعالى _ كلّ واحدٍ منهم ما هو من أصله و جوهره و طينته، و هو أعلم بعباده من الخلائق كلّها.

أفترى هيهنا _ يا إبراهيم! _ ظلماً و جوراً و عدواناً؟!، ثمّ قرأ: «مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ

وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ» (١). يا إبراهيم! انَّ الشمس إذا طلعت و بدأ شعاعها فى البلدان كلها أ هو بائن من القرصه أم هو متصل بها شعاعها يبلغ فى الدنيا فى المشرق و المغرب حتى إذا غابت تعود الشعاع و يرجع إليها، أ ليس ذلك كذلك؟

قلت: بلى يابن رسول الله!

قال: فكذلك كل شىء يرجع إلى أصله و جوهره و عنصره. فإذا كان يوم القيامة ينزع الله _ تعالى _ من العدو الناصب سنخ المؤمن و مزاجه و طينته و جوهره و عنصره مع جميع أعماله الصالحة و يرده إلى المؤمن، و ينزع الله _ تعالى _ من المؤمن سنخ الناصب و مزاجه و طينته و جوهره و عنصره مع جميع أعماله السيئه الرديه و يرده إلى الناصب، عدلاً منه _ جلّ جلاله و تقدّست أسماؤه _، و يقول للناصب: لا- ظلم عليك، هذه الأعمال الخبيثه من طينتك و مزاجك و أنت أولى بها، و هذه الأعمال الصالحة من طينه المؤمن و مزاجه و هو أولى بها؛ «الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ» (٢). أ فترى هيهنا ظلماً و جوراً؟

قلت: لا يابن رسول الله _ عليه السلام _!، بل أرى حكمه بالغه فاضله و عدلاً بيناً واضحاً.

ثم قال _ عليه السلام _ : أزيدك بياناً فى هذا المعنى من القرآن؟

قلت: بلى يابن رسول الله!

قال _ عليه السلام _ : أ ليس الله _ عزّ و جلّ _ يقول: «الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ» (٣)؛ وقال _ عزّ و جلّ _ : «وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ * لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَ يَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ

ص : ١٦٠

١- ١. كريمه ٧٩ يوسف.

٢- ٢. كريمه ١٧ غافر.

٣- ٣. كريمه ٢٦ النور.

قلت: سبحان الله العظيم! ما أوضح لمن فهمه و ما أعمى قلوب هذا الخلق المنكوس عن معرفته!!

ثم قال _ عليه السلام _ بعد كلامٍ من هذا القبيل: يا إبراهيم! أزيدك في هذا المعنى من القرآن؟

قلت: بلى يا بن رسول الله!

قال _ عليه السلام _ : قال الله _ تعالى _ : «يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً»(٢) _ : يبدل الله سيئات شيعتنا حسناتٍ و حسنات أعدائنا سيئات _ ، «يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ»(٣)، و «يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ»(٤)، «لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ»(٥) و لا _ رادَّ لقضائه، «لَا يُسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْتَلُونَ»(٦). هذا _ يا إبراهيم! _ من باطن علم الله الممكنون و من سرّه المخزون»(٧).

و في الكافي(٨) بإسناده عن علي بن الحسين _ عليه السلام _ قال: «إنَّ الله _ عزَّ و جلَّ _ خلق النبيين من طينه عليين قلوبهم و أبدانهم، و خلق قلوب المؤمنين من تلك الطينه و جعل خلق أبدان المؤمنين من دون ذلك؛ و خلق الكفار من طينه سجين قلوبهم و أبدانهم فخلط بين الطينتين، فمن ذلك(٩) يلد المؤمن الكافر و يلد الكافر المؤمن، و من ههنا يصيب

ص : ١٦١

١- ١. كريمتان ٣٦ / ٣٧ الأنفال.

٢- ٢. كريمه ٧٠ الفرقان.

٣- ٣. كريمه ٢٧ إبراهيم.

٤- ٤. كريمه ١ المائدة.

٥- ٥. كريمه ٤١ الرعد.

٦- ٦. كريمه ٢٣ الأنبياء.

٧- ٧. راجع _ مع تغييرٍ يسير _ : «بحار الأنوار» ج ٦٤ ص ١٠٤، «علل الشرايع» ج ٢ ص ٦٠٨ الحديث ٨١.

٨- ٨. راجع: «الكافي» ج ٢ ص ٢ الحديث ١، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٦٤ ص ٧٨، «الإختصاص» ص ٢٤، «بصائر الدرجات» ص

١٥ الحديث ٥، «علل الشرايع» ج ١ ص ١١٦ الحديث ١٣.

٩- ٩. المصدر: هذا.

المؤمن السيئه، و من هيهنا يصيب الكافر الحسنه. فقلوب المؤمنين تحنّ إلى ما خلقوا منه، و قلوب الكافرين تحنّ إلى ما خلقوا منه».

كأنّه _ عليه السلام _ أراد بـ «العَلَّين»: ما يعمّ الملكوت المجرّد عن المادّه والصوره معاً، أو الملكوت المجرّد عن المادّه فقط؛ فإنّ خلق قلوب النّبيين من الملكوت الأعلى _ أعنى: عالم العقول و الأرواح _، و خلق أبدانهم من الملكوت الأسفل _ أعنى: عالم النفوس و الأشباح _؛

و أراد بـ «السّجّين»: عالم الملك و المادّه.

و إنّما لم يتعرّض لذكر الأبدان العنصريّه للنّبيين، لأنّه لاعلاقه لهم بها، «فكأنّهم و هم فى جلايبٍ من هذه الأبدان قد نضّوها و تجرّدوا عنها، لعدم ركونهم إليها و شدّه شوقهم إلى النشأ الأخرى»^(١). و إنّما نسب خلق أبدان المؤمنين إلى ما دون ذلك، لأنّها مركّبه من هذه و من هذه _ لتعلّقهم بهذه الأبدان العنصريّه ما داموا فيها _.

و إنّما نسب خلق قلوب الكفّار إلى سجّين، لأنّهم لشدّه ركونهم إلى العالم الأدنى هو بمنزله السجن و إخلادهم إلى الأرض بشرائهم، كأنّهم ليس لهم من الملكوت نصيبٌ لاستغراقهم فى الملك.

و الخلط بين الطّينتين إشارة إلى تعلّق الأرواح البرزخيّه بالأبدان العنصريّه، بل نشوها منها شيئاً فشيئاً. فكلٌّ من النشأتين غلبت عليه صار من أهلها، فيصير مؤمناً حقيقياً أو كافراً حقيقياً أو بين الأمرين _ على حسب مراتب الإيمان و الكفر _؛ هكذا ذكره بعض أهل التحقيق.

أقول: التحقيق أنّ الوجود البحت الخالص هو الله، و العدم البحت الصرف لا ذات له و لا أثر و لا تميّز، بل هو لاشيءٌ؛ و الوجود المشوب بالعدم هو كلّ ما سواه _ تعالى _ . فلم يكن

ص : ١٦٢

١- ١. العبارة نقلها العلامة المجلسي من «بعض أرباب التأويل من المحقّقين»، انظر: «بحار الأنوار» ج ٦٤ ص ٧٩.

شيئاً من المعلولات خيراً محضاً من كلّ جهه، بل فيه شوب شرّيه بقدر نقصان درجته عن درجه الخير المطلق الّذى لا ينتهى خيريته إلى حدٍّ لا تكون فوقه غايه. و ذلك لأنّ الممكن زوجٌ تركيبى، لأنّ تحلله الذهنى يؤدى إلى وجودٍ نورانى و مهيه ظلماتيه. و الوجود بنفس ذاته و سنخ تجوهره مبدئٌ للخيرات و الكمالات الوجوديه، فإذا قوى الوجود فى شىء من الموجودات قوى معه جميع صفاته الكماليه، و إذا ضعف ضعف؛ و المهيه بحسب سنخ هويتها مبدئٌ للشرور و الآفات، فإذا قوى قويت، و إذا ضعفت ضعفت _ على وزان الوجود _ . و قد تقرّر فى محلّه أنّ الفائض عن العلّه لكلّ شىء هو نحو وجوده؛ و أمّا المسمّاه بالمهيه فهى أنّما توجد و تصدر عن العلّه لالذاتها، بل لإتحادها مع ما هو الوجود و المفاض بالذات عن العلّه _ و هو أنحاء الوجود _ . فالشرّ يدخل فى الوجود بالعرض و التبعيه.

و كلّ من الوجود و المهيه يتّصف ببعض صفات الآخر، كما قال بعض أهل الشهود: «كلّ من العين الثابته و الوجود فى الخارج متعاكس الحكم إلى الآخر».

و هذا هو السرّ فى صدور بعض الشرور الواقعه فى هذا العالم عن مراتب الوجود مع ان الوجود كلّ خير.

إذا علمت هذا فلعلّ المراد من «طينه علّين»: هو الوجود، و من «سجين»: هو المهيه، لأنّ الطين و الطينه يطلق على الأصل و المبدأ و المادّه.

و المراد بـ «مزج الطينتين»: هو مزجهما من لدن العقل الأول إلى الهيولى الأولى، فالعقل و الهيولى متقابلان، و ما بينهما يزيد و ينقص جهه العلّين و السجين فيه بحسب القرب و البعد عن الطرفين.

و على هذا فالإنسان مركّب من الوجود و المهيه، و كلّ منهما مبدئٌ لما يناسبه من النور و الظلمه و الطاعه و المعصيه؛ و لكن أحدهما بالذات و الأصاله و الآخر بالعرض و التبعيه _ كما عرفت _ . فمن قوى وجوده بحيث تستهلك الماهيه فيه فهو الإنسان العقلى، و مقابله الإنسان المادى، و المتوسط متوسّط.

[كَلَّهْم صَيَّاوُونَ إِلَى حُكْمِكَ، وَأُمُورُهُمْ آتَلَهُ إِلَى أَمْرِكَ، لَمْ يَهْنُ عَلَى طُولِ مِدَّتِهِمْ سُلْطَانُكَ، وَلَمْ يَدْخَضْ لِتَرْكِ مَعِاجِلَتِهِمْ بُزْهَانُكَ. حُجَّتُكَ قَائِمَةٌ لَا تُدْخَضُ، وَسُلْطَانُكَ ثَابِتٌ لَا يَزُولُ^(١)]. فَالْوَيْلُ الدَّائِمُ لِمَنْ جَنَحَ عَنْكَ، وَالْخَيْبَةُ الْخَاذِلَةُ لِمَنْ خَابَ مِنْكَ، وَالشَّقَاءُ الْأَشَقَى لِمَنْ اغْتَرَّ بِكَ. مَا أَكْثَرَ تَصَيُّرُفَهُ فِي عَذَابِكَ، وَمَا أَطْوَلَ تَرَدُّدَهُ فِي عِقَابِكَ، وَمَا أَبْعَدَ غَايَتَهُ مِنَ الْفَرْجِ، وَمَا أَقْنَطَهُ مِنْ سُهُولِهِ الْمَخْرَجِ عَدْلًا مِنْ قَضَائِكَ لَا تَجُورُ فِيهِ، وَإِنْصَافًا مِنْ حُكْمِكَ لَا تَحِيفُ عَلَيْهِ.

«الويل» كلمة عذاب، كما أنَّ «الويح» كلمة رحمة. وقال الترمذی: «هما بمعنى واحد، تقول: ويلٌ لزيدٍ وويحٌ لزيدٍ^(٢). و قد تدخل الهاء على الويل ويقال: ويله؛ و ترفع بالإبتداء و تنصب بتقدير الفعل، فإذا أضفت فليس إلا النصب».

و قيل: «وَادٍ فِي الْجَهَنَّمَ لَوْ أُرْسِلَتْ فِيهِ الْجِبَالُ لَمَاعَتْ مِنْ حَرِّهِ»^(٣)؛

و قال ابن عباس: «الويل: العذاب الأليم»^(٤)؛

و قال الفراء: «الويل: كلمة شتم و دعاءٍ، و أصلها: وى، و هى كلمة تعجّبٍ أو كلمة تنبيهٍ على الخطأ، جىء بعدها بلام آخر مفتوحه مع المضممر، نحو: وى لك، و: وى له. ثم خلطت اللام بـ «وى» حتى صارت لام الكلمة، فأدخلوا بعدها لاماً أخرى لصيوره الأولى لام الكلمة، فقالوا: ويلاً له؛ ثم نقل إلى باب المبتدأ ف قيل: ويلٌ لك، و أدخل عليها لام التعريف

ص : ١٦٤

١- ١. هذه القطعه من الدعاء لم توجد فى النسختين، لانفسها و لا مايتعلق بشرحها.

٢- ٢. لم أعثر على قوله هذا، بل نصّ الراغب على خلافه، راجع: «المفردات» ص ٨٨٨ القائمة ١، ٢. و قال الزبيدي: «و ويل مثل ويح إلا أنّها (أى: ويل) كلمة عذابٍ»، راجع: «تاج العروس» ج ١٥ ص ٧٨٩ القائمة ٢.

٣- ٣. لم أعثر على قائله.

٤- ٤. راجع: «التفسير الكبير» ج ٣ ص ١٤٠، و انظر: «تفسير القرطبي» ج ٢ ص ٨، «بحار الأنوار» ج ٦٦ ص ٢١٨.

فقليل: الويل له»(١).

و «جَنَحَ» _ بفتحين _ أى: مال، أصله من: الجناح، كأنَّ الجناح يستعين بجناحيه فى الميل إلى الشيء أو فى الميل عنه؛ أى: العذاب الدائم لمن تميل عنك إلى غيرك(٢).

و «الخبية»: فوت الظفر بالمطلوب.

و «الخدلان»: ترك النصره و الإعانه(٣)، أى: الحرمان المذل _ التارك للشخص الإعانه و النصره _ لمن كان محروماً من رحمتك.

و «الشقاء» من: الشقاوه.

و وصفه بـ «الأشقى» من باب «ليل أليل»؛ أى: الشقاوه التامه لمن صار مغروراً عليك بسبب الجراه على عصيانك. قال الجوهري: «ما عَزَّك بفلانٍ؟ أى: كيف اجتأت عليه»(٤).

و «ما» فى: «ما أكثر» و: «ما أطول» للتعجب، و كذا ما بعده.

و الضمير لـ «مَنْ» الأخيره، أو الثلاث _ باعتبار كل واحدٍ _ .

«غايته» أى: نهايه أمره، فكيف بأوائله!؛ فما ذكره الشارح من: «أنَّ الغايه هنا بمعنى: المدى»(٥)؛

غير ظاهرٍ وجهه _ كما لا يخفى _ .

و «الفرج»: انكشاف الغم.

و «القنوط»: اليأس.

و «المخرج»: المخلص. و هو مصدرٌ ميميٌّ بمعنى: الخروج؛ و منه قوله _ تعالى _ : «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً»(٦). و هذه الفقرات الأربع تعجبٌ من حالته الهائله التى هى تلبسه

ص : ١٦٥

١ - ١. انظر: «تفسير القرطبي» ج ٢ ص ٨، و حكاه الزبيدي عن المنذرى عن أبيطالب النحوى، راجع: «تاج العروس» ج ١٥ ص ٧٨٨ القائمه ٢.

٢ - ٢. المصدر: _ أى ... غيرك.

٣ - ٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٢٩.

٤ - ٤. راجع: «صاح اللغه» ج ٢ ص ٧٦٩ القائمه ١.

٥-٥. راجع: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٣٠.

٦-٦. كريمه ٢ الطلاق.

بما لاطاقه له به ولا صبر له ع(١)ليه <.

و «العدل»: خلاف الجور؛ وقد تقدّم الكلام عليه مراراً.

و «الإنصاف»: المعاملة بالعدل.

و «عدلاً» و «إنصافاً» منصوبان على المصدرية بفعلٍ محذوفٍ _ أى: تعدل عدلاً و تنصف إنصافاً _ .

و الظرفان من قوله: «من قضائك» و «من حكمك» فى محلّ نصبٍ على النعت؛ و الجملتان بعدهما إمّا نعتان أيضاً _ من باب تعدّد النعوت _ ، أو حالان من المصدرين لتخصّصهما بالوصف؛ و فائدتهما التأكيد. و رابط الجملة الثانية محذوفٌ، أى: لاتحيف به عليه.

و «لاتحيف» أى: لاتظلم. و قال الراغب: «الحيف: الميل فى الحكم و الجنوح إلى أحد الجانبين، قال الله _ تعالى _ : «أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ رَسُولُهُ» (٢) - (٣)، أى: يخافون أن يجور فى حكمه» (٤)؛ و الله أعلم!.

فَقَدْ ظَاهَرَتِ الْحَيَجُ، وَ أَبْلَيْتِ الْأَعْيَادَارَ، وَ قَدْ تَقَدَّمْتَ بِالْوَعِيدِ، وَ تَلَطَّفْتَ فِي التَّرْغِيبِ، وَ ضَرَبْتَ الْأَمْثَالَ، وَ أَطَلَّتِ الْأَمْهَالَ، وَ أَخَرْتَ وَ أَنْتَ مُسْتَطِيعٌ لِلْمُعَاجَلَةِ، وَ تَأَنَّنْتَ وَ أَنْتَ مَلِيٌّ بِالْمُبَادَرَةِ. لَمْ تَكُنْ أَنْاتُكَ عَجْزاً، وَ لَا إِمْهَالُكَ وَهْنًا، وَ لَا إِمْسَاكُكَ غَفْلَةً. وَ لَا انْتِظَارُكَ مُدَارَةً، بَلْ لِتَكُونَ حُجَّتُكَ أَبْلَغَ، وَ كَرَمُكَ أَكْمَلَ، وَ إِحْسَانُكَ أَوْفَى، وَ نِعْمَتُكَ أَتَمَّ.

«الفاء» سببيّة، و هو لرفع توهمٍ يخطر بالبال: انّ الله كيف أبعد من الفرج و أقنط و ضيقٍ عليه المخرج و قضى عليه الشقاء و خذله عن الهدى؟!

ص : ١٦٦

١- ١. قارن: نفس المصدر و المجلّد ص ٢٣١.

٢- ٢. كريمه ٥٠ النور.

٣- ٣. هي هنا حذفت بقيه الآيه، و هى موجوده فى المصدر.

٤- ٤. راجع: «المفردات» ص ٢٦٦ القائمه ١.

قال: هذا عدلٌ من الله _ تعالى _ حيث «ظاهر الحجاج» البينه و البرهان، فلم يعملوا بمقتضى عقولهم، بل اتبعوا الهوى فيضلّهم عن سبيل الله؛ فحينئذ الخيبة و الشقاء من سوء اختيارهم لا من جنابك الذى معدن الفيض و منبع الرحمه، أو من أعينهم الثابتة و طينتهم الخبيثه _ كما عرفت _ .

و «أبليت الأعدار»، هذه و مابعداها من تتمه الحجّه؛ >قال فى القاموس: «أبلاه عذراً أى: أداه إليه فقبله»(١). و يجوز أن يكون من قولهم: أبليت الثوب أى: صيرته خلقاً بالياً، يعنى: إنذارك من الوعد و الوعيد و وصول المكاره و إرسال الرسل _ لتكرّرها و كثرتها _ كأنها صارت كالثوب الخلق من تكرّر لبسه(٢)<.

>و «ضربت الأمثال» تلميحٌ إلى قوله _ تعالى _ : «و تِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَضْرِبَ بِهَا لِلنَّاسِ وَ مَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ»(٣)، و قوله _ تعالى _ : «و لَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ»(٤). قال: الزمخشريّ: «ضرب المثل إيماده و صيغته(٥) من: ضرب اللبن، و: ضرب الخاتم»(٦)؛

و قال الجوهريّ: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا»(٧) أى: وصف و بين»(٨).

و لذا قال جارالله فى قوله _ تعالى _ : «و لَقَدْ ضَرَبْنَا»(٩) _ ... الآية _ : «أى(١٠): وصفنا كلّ صفه كأنها مثلٌ فى غرابتها، و قصصنا عليهم كلّ قصه عجيبه»(١١)؛

ص : ١٦٧

١- ١. راجع: «القاموس المحيط» ص ١١٦٣ القائمه ١.

٢- ٢. قارن: «نور الأنوار» ص ١٨٩.

٣- ٣. كريمه ٤٣ العنكبوت.

٤- ٤. كريمه ٢٧ الزمر.

٥- ٥. الكشاف: صنعه.

٦- ٦. راجع: «تفسير الكشاف» ج ١ ص ٢٦٤.

٧- ٧. تكرّرت هذه العبارة فى القرآن الكريم ٧ مرّاه، فانظر مثلاً: كريمه ٢٤ إبراهيم.

٨- ٨. راجع: «صحاح اللغة» ج ١ ص ١٦٨ القائمه ١.

٩- ٩. كريمه ٥٨ الروم.

١٠- ١٠. الكشاف: _ أى.

١١- ١١. راجع: «تفسير الكشاف» ج ٣ ص ٢٢٨.

و فى مجمع البيان: «الضرب يقع على جميع الأعمال إلا قليلاً، فيقال (١): ضرب فى التجاره، و ضرب فى الأرض، و ضرب فى سبيل الله، و ضرب بيده إلى كذا، و ضرب فلان على يد فلان: إذا أفسد عليه أمراً أخذ فيه. و ضرب الأمثال: أنما هو جعلها لتسير فى البلاد، فيقال (٢): ضربت القول مثلاً، و: أرسلته مثلاً (٣)، و ما أشبه ذلك» (٤) (٥) <.

و «المثل» قد مرّ معناه. و مورد ما ورد به أولاً حين إنشائه و إرساله، و مضربه ما يضرب له ثانياً و يستعمل فيه.

لمعه مشرقية

اعلم! أنّ الغرض الأصلي من المثل و المثال إيضاح المعنى المعقول و إزاله الخفاء عنه و إبرازه فى صورته المشاهيد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل و لا يزاحمه، فإنّ العقل الإنسانى مادام تعلّقه بهذه القوى الحسيّة لا يمكن إدراك روح المعنى مجرداً عن مزاحمه الوهم و محاكاته. و لذلك شاعت الأمثال فى الكتب الإلهيّة و فشت فى عبارات الفصحاء من العرب و غيرهم، و كثرت فى إشارات الحكماء و رموزاتهم و صحف الأوائل و مسفوراتهم، سيّما فى العلوم الهندسيّة تميماً للتخيّل بالحسّ؛ فهناك يضاعف فى التمثيل حيث يمثّل أولاً المعقول بالتخيّل ثم يمثّل المتخيّل بالمرسوم المحسوس المهندس المشكّل. و نحن نرى الإنسان إذا ذكر معنى وجدّه، أدركه العقل، و لكن مع منازعه الخيال؛ فإذا ذكر التشبيه معه أدركه العقل و لكن مع منازعه الخيال؛ فإذا ذكر التشبيه معه أدركه العقل مع معاونه الخيال. و لاشكّ أنّ الثانى يكون أكمل؛ و ذلك لأنّ من طبع الخيال المحاكاه، فلا يلوح معنى — كما ينبغى — إلا إذا ذكر مع المثال الصحيح؛ و هذا ممّا لا يخفى إستقامته و لا يخفى صحّته على من له أدنى مسكّه.

ص : ١٦٨

١-١. مجمع البيان: يقال.

٢-٢. مجمع البيان: يقال.

٣-٣. مجمع البيان: مثلاً.

٤-٤. راجع: «مجمع البيان» ج ١ ص ١٣٣.

٥-٥. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٣٥.

لكن ديدن المحجوج المبهوت و المحجوب المقطوع من عالم الملكوت لفرط الحيره والعجز حيثما ينضغط في مضائق المغالطه لدى المناظره أن يدفع الواضح المستقيم لسوء فهمه و آفه طبعه السقيم؛

وَ كَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وَ آفَتُهُ مِنْ الطَّنَعِ السَّقِيمِ (١)

فليس بمستنكر من الله _ سبحانه _ أن يتمثل الحقير بالحقير كما يتمثل الخطير بالخطير _ كما قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَهُ فَمَا فَوْقَهَا» (٢) ... الآية _ ، و إن كان الممثل المحاكى أعظم من كل عظيم!، بل لغايه عظمته يحيط بالصغير كما يحيط بالعظيم! و لا يعزب عن علمه ذرة واحدة مما فى الأرض و السماء (٣) و دقيقه من دقائقها، كما لا يعزب عنها عظام الأشياء و جلائلها، لأنه «مع كل شىء لا بمزايله، و مع كل شىء لا بمزاوله» (٤) _ كما مر غير مره _ .

فمن زعم ان التمثيل بالأشياء الحقيره _ كالنحل و الذباب و العنكبوت و النمل _ لا يليق بالله، فذلك لجهله بالأحكام الإلهيه و الأوصاف الربوبيه و رحمته الواسعه؛ لأنه _ تعالى _ هو الذى خلق بحكمته الكبير و الصغير، و رحمته فى كل ما خلق رحمه و بر، لأنه أحكم جميعه. و ليس الصغير أخفى و أخف عليه من العظيم، و لا العظيم أجلى و أصعب عليه من الصغير، بل الكل بمنزله واحده، فليس الكل أولى بأن يضرب مثلاً _ كالفيل و البعير _ إذا كان الأليق بحال الممثل له تمثيله بالحقير _ كالذباب و العنكبوت _ .

و قال بعض العرفاء فى قوله _ تعالى _ : «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَهُ فَمَا فَوْقَهَا» (٥): «سبب ذلك من وجهين:

ص : ١٦٩

١ - ١. البيت منسوب إلى المتنبي، و لم أعثر عليه فى «ديوانه»، و انظر: «قرى الضيف» ج ١ ص ٢٥٨، «خزانه الأدب» ج ١ ص ١٩٢.

٢ - ٢. كريمه ٢٦ البقره.

٣ - ٣. تلميخ إلى كريمتان ٦١ يونس، ٣ سبأ.

٤ - ٤. كذا فى النسختين، و انظر: «نهج البلاغه» الخطبه ١ ص ٣٩، «شرح ابن أبيالحديد» عليه ج ١ ص ٧٨.

٥ - ٥. كريمه ٢٦ البقره.

إِمَّا أَنْ يَكُونَ لَيْسَ فِي الْوُجُودِ إِلَّا-اللَّهُ، فَالْوُجُودُ كَلِمَةٌ عَظِيمَةٌ فَلَا-يَتْرَكَ مِنْهُ شَيْءٌ _ لِأَنَّ الْحَيَاءَ تَرَكْتُ، فَهُوَ نَعْتُ سَلْبِي، وَ تَرَكْتُ التَّرِكَ تَحْصِيلٌ، فَهُوَ نَعْتُ ثُبُوتِي _ ؛

وَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي الْوُجُودِ الْأَعْيَانُ الَّتِي لَا قِيَامَ لَهَا إِلَّا بِاللَّهِ، فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَتْرَكَ شَيْءٌ مِنْهَا _ لِإِرْتِبَاطِ كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِحَقِيقَةِ إِلَّاهِهِ هِيَ تَحْفَظُهُ _ ، فَالْكُلُّ شَعَائِرُ اللَّهِ، «وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» (١)، فَأَمْرُكَ وَ عَلَمُكَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ لَا تَتْرَكَ شَيْئًا إِلَّا وَ تَنْسِبُهُ إِلَى اللَّهِ، وَ لَا تَمْنَعَكَ حَقَارَهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ وَ لَا مَا تَعْلَقُ بِهِ مِنَ الدِّمِّ _ عِرْفًا وَ شَرَعًا _ فِي عَقْدِكَ. ثُمَّ تَقِفُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ فَلَا تَطْلُقُ مَا فِي الْعَقْلِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَ لَا فِي كُلِّ حَالٍ، وَ قِفْ عِنْدَ مَا قَالَ الشَّرْعُ: قِفْ عِنْدَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الْأَدَبُ الْإِلَهِيّ الْمَذْيُ جَاءَ بِهِ الشَّرْعُ؛ وَ الْأَدَبُ جَمَاعُ الْخَيْرِ. وَ فِي إِيْرَادِ الْأَلْفَاظِ تَسْتَعْمَلُ الْحَيَاءَ، لِأَنَّكَ لَا تَتْرَكَ بَعْضَهَا _ كَمَا أَمَرْتُ _ ، وَ فِي الْعَقْلِ لَا تَتْرَكَ شَيْئًا إِلَّا تَنْسِبُهُ إِلَى اللَّهِ؛ فَعَامِلُ اللَّهِ _ تَعَالَى _ بِحَسَبِ الْمَوَاطِنِ.

وَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ التَّمْثِيلِ: مَا أَجَابَ مَوْلَانَا عَلَيَّ بْنُ مُوسَى الرِّضَا _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ عِمْرَانَ الصَّابِيَّ حَيْثُ قَالَ: «أَلَا تُخْبِرُنِي _ يَا سَيِّدِي! _ أَ هُوَ فِي الْخَلْقِ أَمْ الْخَلْقُ فِيهِ؟

قَالَ الرِّضَا _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ : جَلَّ _ يَا عِمْرَانُ! _ عَنْ ذَلِكَ؛ لَيْسَ هُوَ فِي الْخَلْقِ وَ لَا الْخَلْقُ فِيهِ، تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ؛ وَ سَأَعْلَمُكَ مَا تَعْرِفُهُ بِهِ _ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا-بِاللَّهِ _ . أَخْبِرْنِي عَنِ الْمَرَاةِ أَنْتَ فِيهَا أُمُّ هِيَ فَيْكَ؟، فَإِنْ كَانَ لَيْسَ وَاحِدٌ مِنْكُمَا فِي صَاحِبِهِ فَبَأَى شَيْءٌ اسْتَدَلَّتْ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ؟

قَالَ: بِضَوْءِ بَيْنِي وَ بَيْنَهَا،

قَالَ الرِّضَا _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ : هَلْ تَرَى مِنْ ذَلِكَ الضَّوْءِ فِي الْمَرَاةِ أَكْثَرَ مِمَّا تَرَاهُ فِي عَيْنِكَ؟

قَالَ: نَعَمْ (٢)!

قَالَ الرِّضَا _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ : فَلَا أَرَى النُّورَ إِلَّا وَ قَدْ دَلَّكَ وَ دَلَّ الْمَرَاةَ عَلَى أَنْفُسِكُمَا مِنْ

ص : ١٧٠

١- ١. كَرِيمُهُ ٣٢ الْحَجَّ.

٢- ٢. الْمَصْدَرُ: + قَالَ الرِّضَا _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ فَأَرْنَاهُ فَلَمْ يَحِرْ جَوَابًا.

غير أن يكون في واحدٍ منكما»(١)؛ و لهذا أمثال كثيرة غير هذا لا يجد الجاهل فيها مقالاً؛ «وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى»(٢)، قال الله _ سبحانه _ : «وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»(٣).

عن الصادق _ عليه السلام _ : «وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى»: «لا يشبهه شيءٌ ولا يوصف ولا يتوهم، فذلك المثل الأعلى»(٤)؛

و عن الرضا _ عليه السلام _ : «إِنَّ النَّبِيَّ _ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ _ قَالَ لِعَلِيَّ _ عَلَيْهِ السَّلَام _ : أَنْتَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى»(٥)؛ و لاشك في أنه _ عليه السلام _، و كل واحدٍ من أولاده المعصومين _ المثل الأعلى، لأن له مرتبه جمع الجمع _ كما لا يخفى على الفطن الزكي _ .

كُلُّ ذَلِكَ كَانَ وَلَمْ تَزَلْ، وَهُوَ كَائِنٌ وَلَا تَزَالُ. حُجَّتُكَ أَحْيَلُ مِنْ أَنْ تُوصَفَ بِكُلِّهَا، وَمَجِيدُكَ أَرْفَعُ مِنْ أَنْ يُحَدَّ بِكُنْهِهِ، وَ نِعْمَتُكَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى بِأَسْرِهَا، وَ إِحْسَانُكَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُشْكَرَ عَلَى أَقْلِهِ.

«ذلك» إشارة إلى ما ذكر.

حو «كان» هنا تامّة بمعنى: ثبت.

و «لم تزل»، و يروى بالتاء المثناة الفوقائية، فالواو فيه للحال _ أي: و الحال أنك لم تزل كائناً، أي: ثابتاً _ ؛

و يروى بالياء المثناة التحتائية على أن الضمير فيه عائِدٌ إلى «كل ذلك»، فالواو فيه للعطف على «كان» _ أي: و لم يزل كل ذلك كائناً _ . و الغرض دفع توهم انقطاع كونه، كما

ص : ١٧١

١- ١. راجع: «التوحيد» ص ٤٣٣ الحديث ١، «عيون أخبار الرضا» ج ١ ص ١٧١ الحديث ٣٨، «بحار الأنوار» ج ١٠ ص ٣١٣.

٢- ٢. كريمه ٦٠ النحل.

٣- ٣. كريمه ٢٧ الروم.

٤- ٤. راجع: «التوحيد» ص ٣٢١ الحديث ١، «بحار الأنوار» ج ٥٥ ص ٣٠.

٥- ٥. راجع: «عيون أخبار الرضا» ج ٢ ص ٦ الحديث ١٣، «بحار الأنوار» ج ٣٦ ص ٤.

يقتضيه الإخبار بصيغه الماضى؛ لأنّ «لم يزل» بمعنى: مازال، و هى موضوعه لاستمرار مضمون خبرها فى الماضى (١) <.

قوله _ عليه السلام _ : «و هو كائنٌ و لا يزال» يروى بالياء المثناه فوقانيه و التحتانيه _ كما عرفت فى «لم يزل» _ ؛

فعلى الأوّل «الواو» للحال _ أى: و الحال أنّك لم تزل كائناً _ ؛

و على الثانى «الواو» للعطف _ أى: كلّ ذلك كائنٌ حالاً- و لا يزال كائناً استقبلاً _ ، لأنّ اسم الفاعل حقيقةً فى الحال، فربّما أوهم أنّه لا يكون فى المستقبل، فنصّ عليه بقوله: «و لا يزال» الّذى هو نصّ فى الدوام و الإستمرار _ لأنّها موضوعه لاستمرار مضمون خبرها فى المستقبل _ .

قوله _ عليه السلام _ : «حجّتك أجلّ _ ... إلى آخره _ » أى: برهانك أعظم «من أن توصف بكلّها».

و «مجدك» أى: عظمتك و شأنك «أرفع من أن» يعلم حقيقته و «كنهه»؛ قيل: «شرف الذات إذا قارنه حسن الفاعل سَمِيَ: مجداً» (٢). و ذلك لما عرفت مراراً أنّه _ سبحانه _ فوق لا يتناهى بما لا يتناهى فى الوجود شدّة و قوّة.

و «نعمتك أكثر من أن تحصى بأسرها» أى: بأجمعها، يعنى: لا يمكن إحصاء جميعها؛ «وَ إِن تَعِدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ» (٣)؛ و قد مرّ وجه ذلك.

وَ قَدْ فَصَّرَ بَيَ الشُّكُوتِ عَنْ تَحْمِيدِكَ، وَ فَهَّجَنِي الْأَمْسَاكَ عَنْ تَمْجِيدِكَ، وَ قُصَّارَايَ الْأَقْرَارُ بِالْحُسُورِ، لَارَغْبَةَ _ يَا إِلَهِي _ بَلْ عَجْزاً. فَهَذَا أَنَا ذَا أَوْءُؤْمُكَ

ص : ١٧٢

١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٣٩.

٢- ٢. لم أعثر عليه، نعم قال الفيروز آبادى: «... و المجيد: الرفيع العالى، و الكريم، و الشريف الفعال»، راجع: «القاموس المحيط» ص ٣٠١ القائمة ١.

٣- ٣. كريمه ١٨ النحل.

بِالْوَفَادِهِ، وَ أَسْأَلُكَ حُسْنَ الرَّفَادِهِ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ اسْمَعْ نَجْوَايَ، وَ اسْتَجِبْ دُعَائِي، وَ لَا تَخْتِمَ يَوْمِي بِخَيِّتِي، وَ لَا تَجْهَنِي بِالرَّدِّ فِي مَسْأَلَتِي، وَ أَكْرِمْ مِنْ عِنْدِكَ مُنْصَرَفِي، وَ إِلَيْكَ مُنْقَلَبِي.

يقال: «قصره عنه» _ بالتخفيف و التشديد _ : رده و جعله قاصراً و مقصراً.

و «السكوت»: الصمت، و ترك الكلام.

و «عن تحميدك» متعلق بـ «قصر».

و «التحميد»: حمد الله مرّة بعد أخرى؛ يعنى: السكوت صار سبباً للتقصير عن حمدك.

و «فَهَنِي» فى أكثر النسخ بالتشديد، تفعيلٌ من فهه _ كفرحه _ ، أى: أعيانى. و الفَهْه و الفهاهه: العى و الحصر فى النطق؛ و فى دعاء أمير المؤمنين _ عليه السلام _ : «و إن فهت عن مسألتى أو عمهت عن طلبتى فدلّنى على مصالحى و خذ بقلبى إلى مرشدى» (١).

و «عن تمجيدك» متعلق بـ «قصر»، يعنى: الإمساك عن الكلام صار سبباً لقيد لسانى.

و «قُصاراى» _ بضَمّ القاف _ أى: غايتى و آخر أمرى أن أقف «بالحسور»، أى: العجز و الكلال عن تمجيدك؛ من «حسر البصر حسوراً» أى: كلّ و انقطع عن النظر لطول مدىّ و نحوه، و هذا سبب السكوت؛

«لا- رغبه _ يا إلهى! _ بل عجزاً» نصب على المفعول لأجله، أى: إقرارى بالحسور لا-لرغبه فيه، أو لا-لرغبه عن تمجيدك أو تحميدك، بل لعجزى عن القيام بما يجب لك منهما.

«فها أنا ذا أوْمَك».

«الفاء» فصيحّة، أى: إذا كان الأمر كذلك «فها أنا» أقصدك.

و «الهاء» للتنبيه.

و «الوفاده» _ بالكسر _ مصدر: وفد عليه وفداً أى: ورد عليه رسولاً، و هو وافدٌ.

ص : ١٧٣

و «الباء» للملابسه، أى: متلبساً بالفاده، إذ مجرد الوفاده يقتضى الكرامه و إن لم يكن مسبقاً بشيءٍ يجب الجزاء عليه، و منه:

وَفَدْتُ عَلَى الْكَرِيمِ بَغَيْرِ زَادٍ (١)

و فى الحديث: «الحاج وفد الله» (٢).

و «الرفاده» _ بكسر الراء _ : الإعانه، من: رفده رفداً أى: أعانه؛ أى: أسألك حسن الإنعام و الإحسان و الإعانه. و أصل «الرفاده»: خرقه يرفد بها الجرح و غيره؛ قال أبو زيد: «رفدت على البعير أرفد رفداً: إذا عملت له الرفاده، و هى مثل حذبه السرج» (٣). و «الرفاده» أيضاً: > شىءٌ كانت تترافد به _ أى: تتعاون به _ قريشٌ فى الجاهليّه _ : يخرج كلّ إنسانٍ بقدر طاقته مالاً فيجمعونه فيما بينهم و يشترّون به للحاجّ طعاماً أو زيباً للنبذ، و يطعمون الحاجّ و يسقونهم أيام الموسم حتى ينقضى _ . و كانت الرفاده و السقايه لبنى هاشم، و السدانه و اللواء لبنى عبدالدار (٤) <.

و «لاتختم يومى بخيبتى» أى: لاتجعلنى هذا اليوم مأيوساً من رحمتك و من عدم الوصول إلى مطلبى؛ من «الخيبة» بمعنى: اليأس و الحرمان.

و «لاتجبهنى» أى: لاتضع يد الردّ على جبهتى فى سؤال مطلبى؛ من «جبهته»: إذا ضربت جبهته.

ص : ١٧٤

١- ١. قال المحدث النورى فى شأن سيّدنا سلمان _ رضى الله عنه _ : «و ممّا شاع نسبته إليه و كتبه على الأكفان قوله: وَفَدْتُ عَلَى الْكَرِيمِ بَغَيْرِ زَادٍ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالْقَلْبِ السَّلِيمِ وَ حَمْلُ الزَّادِ أَقْبَحُ كُلِّ شَيْءٍ إِذَا كَانَ الْوُفُودُ عَلَى الْكَرِيمِ» راجع: «نفس الرحمن فى فضائل سلمان» _ الطبعه الحجرية _ ص ١٣٩.

٢- ٢. لم أعثر عليه، و روى: «الحاجّ و المعتمر وفد الله»، راجع: «الكافى» ج ٤ ص ٢٥٥ الحديث ١٤، «التهذيب» ج ٥ ص ٢٤ الحديث ١٧، «وسائل الشيعة» ج ٤ ص ١١٦ الحديث ٤٦٦٤.

٣- ٣. راجع: «تاج العروس» ج ٤ ص ٤٥٩ القائمه ١.

٤- ٤. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٤٥.

و «أكرم من عندك منصرفي» أي: اجعلني مكرماً معزّزاً في الإنصراف حتّى أرجع من عندك مكرماً معزّزاً، لأنّ من حصل مطلبه عند مولاه يرجع عزيزاً مكرماً، و من خاب في مسأله ينصرف مردوداً.

و «من عندك» متعلّق بـ: «منصرفي».

و «إليك منقلبي» عطْفٌ على قوله: «من عندك»، أي: أكرم إليك منقلبي بأن تقبل توبتي إذا رجعت إليك.

>و «المنصرف» و «المنقلب» _ بفتح العين فيهما _ : مصدران بمعنى: الإنصراف و الانقلاب، و هما بمعنى، يقال: صرفته فانصرف و قلبته فانقلب. و أصلهما من الصرف و القلب بمعنى: ردّ الشيء من حاله إلى حاله و أمرٍ إلى أمرٍ؛ و إيقاع «الإكرام» عليهما مجازٌ عقليٌّ (١) <.

إِنَّكَ غَيْرُ ضَائِقٍ بِمَا تُرِيدُ، وَ لَا عَاجِزٍ عَمَّا تُسْأَلُ، وَ أَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَ لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

«إِنَّكَ» و ما بعده جملةٌ تعليليّةٌ لاستدعاء التّقبل و الاستجابة.

>و «غير» هنا لمجرّد النفي.

و «ضاق» بالأمر: شقّ عليه و لم تسعه قدرته. و أصله من: الضيق: خلاف السعة.

و «لا» في «لا عاجزٍ» مزيدةٌ لتأكيد النفي المدلول عليه بـ «غير»، كأنه قيل: لا ضائق بما تريد و لا عاجز.

و «ما» في الموضعين موصولةٌ أو موصوفةٌ.

و مفعولاً «تريد» و «تسأل» محذوفان، أي: تريده و تسأله. و حذف المفعول إذا وقع ضميراً عائداً إلى الموصول أو الموصوف
كثيرٌ مطرّدٌ؛ و منه: «إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ» (٢)، و:

ص : ١٧٥

١- ١. قارن: نفس المصدر و المجلّد ص ٢٤٧.

٢- ٢. كريمه ١ المائدة.

«لَا يُسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ» (١)(٢). و المعنى: لا يشقّ عليك ما تريده و لاتعجز عنه.

و جملة «و أنت على كلّ شيءٍ قديرٌ» معطوفةٌ على ما قبلها مقرّرةٌ لمضمونها. و قد سبق الكلام على معنى قدرته _ تعالى _ و تعلّقها بكلّ شيءٍ؛

و كذا الكلام على معنى «لا حول و لا قوة إلاّ بالله»، فلانظّول الكتاب بإعادته. و بالجملة فى هذه الكلمة الشريفه دلالة على التوحيد الحقيقى، و على نفى الشرك الخفى تحقيقاً لمعنى الحصر الحقيقى. و فى ختم الدعاء بها إشعاراً بما رواه فى الكافى (٣) بسند صحيح عن أبى عبد الله _ عليه السلام _ أنّه قال: «إذا دعا الرجل فقال بعد ما دعا: ما شاء الله (٤) لا قوه إلاّ بالله، قال الله _ عزّ و جلّ _ : استبسل عبدى و استسلم لأمرى، اقضوا حاجته!» _ «استبسل» أى: وّطن نفسه لحكمى، من قولهم: استبسل للموت: إذا وّطن نفسه على الموت؛ أو من: استبسله لعلمه و به: إذا وّكله إليه _ .

هذا آخر الروضة السادسة و الأربعين من لوامع الأنوار العرشية فى شرح الصحيفة السجّادية؛ وفقنى الله لإتمامها ليله الأحد غره شهر ربيع الأوّل سنة الثلاث و الثلاثين و المأتين بعد الألف من الهجرة.

ص : ١٧٦

١- ١. كريمه ٢٣ الأنبياء.

٢- ٢. قارن: نفس المصدر و المجلّد أيضاً ص ٢٤٨.

٣- ٣. راجع: «الكافى» ج ٢ ص ٥٢١ الحديث ١، و انظر: «وسائل الشيعة» ج ٧ ص ٩١ الحديث ٨١٩.

٤- ٤. المصدر: + و.

اللمعه السابعه و الأربعون فى شرح الدعاء السابع و الأربعين

ص : ١٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل يوم العرفه محلاً لمعرفة الآباء الروحانيه و الجسمانيه إتماماً و إكمالاً لدائرته قوسى النزول و الصعود فى السلسله المعلوليه؛ و الصلاه و السلام على عله هذه المعرفة العليه محمّد و أهل بيته الذين هم خير البريه.

و بعد؛ فيقول الملتجى إلى الحضرة الأحديّه فى الوصول إلى هذه المعرفة السنيه، محمّد باقر بن السيد محمّد من السادات الموسويه _ رزقه الله تعالى معارفه الدنيويه و الآخريّه _ : هذه اللمعه السابعه و الأربعون من لوامع الأنوار العرشيه فى شرح الصحيفه السجاديّه _ عليه و على آباءه و أبنائه صنوف الآلاء و التحيه _ .

وَ كَانَ مِنْ دُعَائِهِ _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ فِي يَوْمِ عَرَفَةِ.

و هو: اليوم التاسع من ذىالحجّه، حو ما قبله يسمّى: يوم الترويه.

و للتسميه بهما وجوه كثيره من الأخبار و اللغه؛

أَمَّا الْأَوَّلُ: فمنها: إنّ الله _ تعالى _ أهبط آدم على الصفاء، و حوّاء على المروه، و بهما سمّى الجبلان _ لنزول صفيّالله على الصفاء، و نزول المراه و هى حوّاء على المروه _ ، فنظر إليها فى يوم ثامن ذىالحجّه فلم يعرفها _ لبعد العهد و لطول مدّه بكائهما على ما أتيا به _ ، فتروّى فى ذلك اليوم و تفكّر و عرفها فى يوم عرفه، فهو مأخوذ من المعرفة؛

ص : ١٧٩

و منها: أنّ الخليل _ على نبينا و آله و عليه السلام _ رأى فى المنام أنّه يذبح ابنه!، فأصبح يروى يومه أجمع _ أى: يتفكر أ هو أمرٌ من الله أم لا-؟ _ ، فسَمِيَ بذلك «يوم الترويه». ثم رأى فى الليلة الثانية، فلمّا أصبح عرف أنّه من الله، فسَمِيَ «يوم عرفه» (١) - (٢)؛

و منها: قول الصادق _ عليه السلام _ : «إنّ جبرئيل خرج بإبراهيم يوم عرفه، فلمّا زالت الشمس قال له جبرئيل: يا إبراهيم! اعترف بذنبك و اعرف مناسكك. فسَمِيت عرفات لقول جبرئيل: اعرف و اعترف» (٣)؛

و منها: ما روى من: «أنّ آدم _ عليه السلام _ لمّا كان تحت العرش رأى اسم النبى و الأئمة _ عليهم السلام _ مكتوباً على ساق العرش بسطورٍ من نورٍ، فترَوَى و تفكّر فى اليوم الثامن فيهم و فى مراتبهم، و عرفهم فى اليوم التاسع» (٤) (٥) <.

و أمّا الثانى: > فقال المطرزيّ فى المغرب: «عرفات: علّم للموقف. و هى مؤنّثة (٦) لاغير، و يقال لها عرفه أيضاً» (٧)؛

و قال فى القاموس: «يوم عرفه: التاسع من ذى الحجة. و عرفات: موقع (٨) الحاجّ ذلك اليوم» (٩)؛

و قال النووى فى التهذيب: «عرفات و عرفه: اسمٌ لموضع الوقوف» (١٠) (١١) <؛

ص : ١٨٠

١- ١. الأوّل قول الضحّاك و السدى، و الثانى مروى عن ابن عباس، راجع: «مجمع البيان» ج ٢ ص ٤٦.

٢- ٢. المصدر: _ أى: يتفكر ... عرفه.

٣- ٣. راجع _ مع تغيير _ : «مستدرک الوسائل» ج ١٠ ص ٢٦ الحديث ١١٣٧٢، «بحار الأنوار» ج ٩٦ ص ٢٥٣، «تفسير القمى»

ج ٢ ص ٢٢٤، «علل الشرايع» ج ٢ ص ٤٣٦ الحديث ١، «المحاسن» ج ٢ ص ٣٣٥ الحديث ١٠٩.

٤- ٤. لم أعثر عليه.

٥- ٥. قارن: «نور الأنوار» ص ١٨٩.

٦- ٦. المغرب: مؤنّثة.

٧- ٧. راجع: «المغرب» ص ٣١١ القائمة ٢.

٨- ٨. القاموس: موقف.

٩- ٩. راجع: «القاموس المحيط» ص ٧٧١ القائمة ٢.

١٠- ١٠. راجع: «تهذيب الأسماء و اللغات» / القسم الثانى ج ٢ ص ٥٥ القائمة ٢.

١١- ١١. قارن _ مع تقديم و تأخير _ : «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٦٩.

وقيل: «اسمٌ لموقف الحاجّ ذلك اليوم». وهو على إثني عشر ميلاً من مكّه، ويسمّى عرفات أيضاً. وهو المذكور في القرآن، قال — تعالى —: «فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ» (١). و «يوم الترويه» في اللغة: يومٌ يرتوون فيه الماء لما بعد (٢)؛

أو لأنّ إبراهيم — عليه السلام — كان يتروّى و يتفكّر في رؤياه فيه، و في التاسع عرف، و في العاشر استعمل.

لمعه عرشيّه

اعلم! أنا قد ذكرنا لك فيما سبق أنّ العوالم متطابقة، فكلّ شهاده مطابقة لغيب، و كلّ غيب مطابقة لشهاده.

و كما أنّ آدم و حواء في هذه النشأه الحسيّه الشهاديه عبارة عن هيكلٍ من شخصين في بدنين عنصريّين، فكذلك في عالم الأرواح عبارة عن العقل و النفس المعبرتين بـ: الجوهر الفعّال، و الجوهره الإنفعاليّه. و كما أنّ الرجل إذا تفرّد هيهنا بذاته عمّن يسكن إليها من زوجته يتوحّش و يضطرب حاله في الخلوه و الوحده — عنايه من الحضرة الأحديّه لتكثير النوع بحصول الأفراد —، كذلك العقل إذا لم يتوجّه إلى تربيّه النفس و السكون إليها و أراد التفرّد بذاته عن فعله يلزم عليه التعطيل و يلحقه الإضطراب في قرب الأنوار الأحديّه الإلهيه قبل أوانه — كما يلحق أبصار الخفافيش من نور الشمس عند رفع حجاب الليل و يعتريه الذوبان تحت سطوع النور الإلهيّ الواجب، كذوبان الثلج عند طلوع الشمس عليه من غير حجاب —. فهذا نكاح معنويّ وقع بين العقل و النفس، و العاقد بينهما هو الله؛ و هكذا جرى الإزدواج بين كلّ قوّه فاعله و مادّه منفعله، كما بين الطبائع و الصور الجسمانيّه و

ص : ١٨١

١- ١. كريمه ١٩٨ البقره.

٢- ٢. هذا نصّ كلام الفيروزآبادي، راجع: «القاموس المحيط» ص ١١٨٦ القائمه ٢.

بين موادها القابله بحكم النكاح الأول السارى فى جميع الذرارى. و من هذا قيل: «كلّ ممكن زوج تركيبي» (١).

و بالجمله، فنزولهما و صعودهما على وفق هبوط آدم و حواء و عروجهما، تكميلاً للحكمه و إظهاراً للقدره، و وقوعهما من القربه فى الغربه، و من الألفه فى الكلفه. فإذا تلاقيا فى العروج و دائره الصعود و وقعت المعرفه انعكس الأمر، و وقعا من الغربه فى القربه و من الكلفه فى الألفه و من المحنه فى المحبّه؛ و هذا وجه التسميه؛ فتبصّر!

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ يَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ، ذَا الْجَلَالِ وَ الْأَكْرَامِ، رَبِّ الْأَرْبَابِ، وَ إِلَهَ كُلِّ مَلُوءٍ، وَ خَالِقَ كُلِّ مَخْلُوقٍ، وَ وَارِثَ كُلِّ شَيْءٍ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَ لَا يَغْزُبُ عَنْهُ عِلْمُ شَيْءٍ، وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ، وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبٌ.

و التعريف فى «الحمد» للجنس، أو للاستغراق؛ و قد تقدّم الكلام عليه مستوفى فى اللمعه الأولى.

و فى «الحمد لله» إشارة إلى مبدأ الوجود و غايته، سواء كانت «اللام» فى «الله» للغايه، أو للاختصاص؛

فمعناه على الأول: أنّ حقيقه الوجودات كلّها _ إذا كان للاستغراق _ لأجل استكمالها بمعرفته _ تعالى _ و وصولها إليه؛

و معناه على الثانى: أنّ حقيقه الوجود أو جميع أفرادها لله _ تعالى _ . و إذا كانت هى له _ تعالى _ كان هو _ تعالى _ لها أيضاً، لقوله _ صلى الله عليه و آله و سلم _ : «من كان لله

ص : ١٨٢

كان الله له»(١). فذاته _ تعالى _ عله تماميته كل شيء و غايه كمال كل موجود؛

إمّا بلاواسطه، كما للحقيقه المحمديه التي هي صورته نظام العالم و أصله و منشؤه؛

و إمّا بواسطه فيضه الأقدس و جوده المقدس، كما لسائر الموجودات.

و قال بعض العرفاء: «الحمد لله أى: عواقب الثناء ترجع إلى الله»(٢)؛ و يعنى بـ «عواقب الثناء» أى: كل ثناء يثنى به على كون من الأكوان دون الله فعاقبته إلى الله، بطريقتين:

الطريق الأول: إنّ الثناء على الكون إنّما يكون بما هو عليه ذلك الكون من الصفات المحموده، أو بما يكون منه. و على أى وجه كان فإن ذلك راجع إلى الله _ إذ كان الله هو الموجد لتلك و لذلك الفعل، لا الكون _ ، فعاقبه الثناء عادت إلى الله؛

و الطريق الثانى: أن ينظر العارف فيرى أنّ وجود الممكنات المستفاد إنّما هو عين الحق فيها، فهو متعلق الثناء لا الأكوان. فيحصر العارف فى قوله: «الحمد لله رب العالمين» جميع ما ذكرناه و ما تعطيه الربوبية من الثبات و الإصلاح و التريه و الملك و السيادة.

و تعليق «الحمد» على «الله»، لأنه اسم للذات المقدسه المستجمعه لجميع صفات الكمال، بخلاف باقى أسماء الله _ تعالى _ ، لأنها معانٍ و صفات؛ و لهذا تحمل عليه و لا يحمل على شيء منها _ كما تقدم بيانها فى اللغه الأولى _ . و للإشعار بأنه _ سبحانه _ هو المستوجب له بذاته و بترتيبه للعالمين عقبه به، فكأنه عله للحمد، و الحمد عله غايه لتربيتهم، لأنه ربى ليحمد _ لأن ترتب الحكم على الوصف مشعر بعليته _ .

قال الشيخ الكفعمي: «و اعلم! أنّ هذا الاسم _ و هو الله _ قد(٣) امتاز عن غيره من الأسماء(٤) الحسنى بأمرٍ عشره:

الأول و الثانى و الثالث: أنه أشهر أسماء الله _ تعالى _ و أعلاها محلاً فى القرآن و(٥)

ص : ١٨٣

١- ١. لم أعثر عليه، لا فى مصادرنا و لا فى مصادر العامه، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٨٢ ص ٣١٩.

٢- ٢. هذا كلام الشيخ ابن عربى، راجع: «الفتوحات المكيه» ج ١ ص ٤٢٣ السطر ١١.

٣- ٣. المصباح: الاسم الشريف قد.

٤- ٤. المصباح: أسمائه.

٥- ٥. المصباح: + أعلاها محلاً فى.

و(١) الرابع و الخامس و السادس: أنه جعل أمام سائر الأسماء، و خصّص به كلمه الإخلاص، و وقعت به الشهاده؛

و(٢) السابع: أنه علم للذات المقدّسه، فلا يطلق على غيره حقيقةً و لامجازاً؛ قال الله _ تعالى _ : «هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً» (٣) _ أى: هل أحدا يسمّى الله (٤)؟ _ ؛

الثامن: أنّ هذا الإسم الشريف دلّ (٥) على الذات المقدّسه الموصوفه بجميع الكمالات (٦)، و باقى الأسماء (٧) لا تدلّ آحادها إلّا على آحاد المعانى _ كالقادر على قدره، و العالم على العلم _ ؛ أو فعلٍ منسوبٍ إلى الذات _ مثل قوله: الرحمن، فأنه اسمٌ للذات مع اعتبار الرحمة (٨) _ ؛

التاسع: أنه اسمٌ غير صفهٍ، بخلاف سائر الأسماء (٩)، فأنها تقع صفاتٍ؛

العاشر: أنّ جميع أسمائه الحسنی يسمّى بهذا الإسم و لا يتسمّى هو بشيءٍ منها، فلا يقال: الله اسمٌ من أسماء الغفور أو الرحيم (١٠)، و لكن يقال: الغفور اسمٌ من أسماء الله _ تعالى (١١) _ «(١٢).

و رأيت فى كتاب الدر المنتظم فى السرّ الأعظم _ لمحمد بن طلحه _ : «أنّ الجلاله تدلّ على التسعه و التسعين اسماً، لأنك إذا قسّمته فى علم الحروف على قسمين كان كلّ قسم ثلاثه و

ص : ١٨٤

١- ١. المصباح: _ و.

٢- ٢. المصباح: _ و.

٣- ٣. كريمه ٦٥ مريم.

٤- ٤. المصباح: + و قيل سمياً أى مثلاً و شبيهاً.

٥- ٥. المصباح: دالّ.

٦- ٦. المصباح: + حتّى لا يشدّ به شىء.

٧- ٧. المصباح: أسمائه.

٨- ٨. ههنا حذفت قطعاً واسعاً من كلام الكفعمي _ رحمه الله _ .

٩- ٩. المصباح: أسمائه _ تعالى _ .

١٠- ١٠. المصباح: الصبور أو الرحيم أو الشكور.

١١- ١١. المصباح: _ تعالى.

١٢- ١٢. راجع: «المصباح» _ للكفعمي _ ص ٣١٤، و انظر: «المقام الأسنى» ص ٢٤.

ثلاثين، فتضرب الثلاثة و الثلاثين في آخر بعد إسقاط المكرّر _ و هي ثلاثة _ يكون عدد الأسماء الحسنی.

و أيضاً: إذا اجتمعت من الجلاله طرفيها _ و هما ستّ _ و تقسمها على حروفها الأربعة تقوم لكل حرفٍ واحدٍ و نصفٌ، فتضربه فيما للجلاله من العدد _ و هو ستّ و ستون _ تبلغ تسعّه و تسعين»(١).

و في مشارق الأنوار _ للشيخ رجب البرسي _ : «انّ هذا الإسم المقدّس أربعة أحرف، فإذا وقفت على الأشياء عرفت أنّه منه، و به، و إليه، و عنه؛

فإذا أخذ منه «الألف» بقي «لله»، و لله كلّ شيء؛

فإذا أخذ «اللام» و ترك «الألف» بقي «إله»، و هو إله كلّ شيء؛

فإن أخذ «الألف» من «اللام» بقي «له»، «و له كلّ شيء»(٢)؛

فإن أخذ من «له» «اللام» بقي «هاء» مضمومّه هي هو، فهو هو، «لأشريك له»(٣)؛ و هو لفظٌ يوصل إلى ينبوع العزّه. و لفظ «هو» مركّب من حرفين، و الهاء أصلها الواو، فهو حرفٌ واحدٌ يدلّ على الواحد الحقّ. و «الهاء» أوّل المخارج، و «الواو» آخرها، «هو» الأوّل و الآخر و الظاهر و الباطن»(٤)؛ انتهى ملخصاً(٥).

و هو ناظرٌ إلى ما قلنا: انّ اسم الله عبارة عن المرتبه الألوهيه.

و قد بسطنا الكلام في «الحمد» و اسم الجلاله في أوّل اللمعه الأولى؛ و في «الرّب» و «العالمين» في آخر اللمعه الثانيه عشر؛ فتذكّر!

قوله _ عليه السلام _ : «أللّهم لك الحمد» إلتفاتٌ من الغيبه إلى الخطاب.

ص : ١٨٥

١- ١. لم أعثر على هذا الكتاب، و أظنّه لم يطبع بعد.

٢- ٢. كريمه ٩١ النمل.

٣- ٣. كريمه ١٦٣ الأنعام.

٤- ٤. كريمه ٣ الحديد.

٥- ٥. هذا تحرير كلامه مع تغييراتٍ واسعٍ، راجع: «مشارق أنوار اليقين» _ الطبعة المحقّقه _ ص ٧١ الفصل ٣٦.

٦- ٦. قارن: «نور الأنوار» ص ١٩٠.

قوله: «بديع السماوات والأرض» منصوبٌ على المدح _ أى: مبدعهما و مخترعهما _ ؛

أو صفهٌ مشبههٌ مضافهٌ إلى فاعلها _ أى: بديع سماواته و أرضه _ ؛

و قيل: «بتقدير: يا بديع السماوات والأرض». و الفرق بين «المبدع» و «المخترع» و «المكوّن» فى الإصطلاح قد سبق؛ فتذكر!

«ذا الجلال والإكرام» أى: صاحب العظمه و الغنى المطلق و الفضل العام. و قيل: «معناه: أنّه يستحقّ أن يحلّ و يكفر و لا يكفر به»؛

و قيل: «الجلال: صفه القهر، و الإكرام: صفه اللطف»^(١).

و «إله كلّ مألوه» أى: معبود كلّ عابد. <و يجوز أن يكون من باب الإشتقاق الجعلى _ كما مرّ ^(٢)> . و قيل: «المألوه: هو العبد»، و دلّ عليه بعض الروايات و الأدعيه _ من قبيل: «خالق كلّ مخلوق»، و «ربّ كلّ مربوب»^(٣).

و للمخلوقات عبادتان: ظاهريّه، و باطنيّه؛ اختياريّه، و اضطراريّه. و ما من شىء من ذى شعورٍ و غيره إلّا و يعبد الله _ تعالى _ ،
إمّا سرّاً، و إمّا جهراً، و إمّا طوعاً، و إمّا كرهاً.

قوله _ عليه السلام _ : «و وراث كلّ شىء»، لأنّه يبقى و يفنى كلّ شىء، «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ»^(٤). قال الغزالى فى المقصد الأسنى: «الوارث هو المذى ترجع إليه الأملاك بعد فناء الملاك. و ذلك هو الله _ سبحانه _ ، لأنّه هو الباقي بعد فناء خلقه، و إليه يرجع كلّ شىء و مصيره، و هو القائل إذ ذاك: «لِمَنِ الْمُلْكُ؟»، و هو المجيب: «لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ»^(٥). و هو بحسب ظنّ الأكثرين _ إذ يظنون أنّ لهم ملكاً! _ ، فتكشف لهم ذلك اليوم حقيقه الحال؛ و هذا النداء عبارة عن حقيقه ماينكشف لهم فى ذلك الوقت»^(٦)؛ انتهى كلامه.

ص : ١٨٦

١- ١. كما حكاها العلامة المدنى، راجع: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٧٤.

٢- ٢. قارن: «نور الأنوار» ص ١٩١.

٣- ٣. فانظر مثلاً: «إعلام الدين» ص ٧٢، «المصباح» _ للكفعمي _ ص ٧٤٤.

٤- ٤. كريمه ٨٨ القصص.

٥- ٥. كريمه ١٦ غافر.

٦- ٦. راجع: «المقصد الأسنى» ص ١٠٧.

أقول: لا اختصاص بذلك اليوم، بل اليوم كذلك لمن كحل عين بصيرته بكحل المعرفة!.

قوله: «ليس كمثله شيء» إقتباس من قوله _ تعالى _ في الشورى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» (١).

بعض المفسرين على أنّ «الكاف» زائدة، >أى: ليس مثله شيء فى شأنٍ من الشؤون، لأنّ المقصود نفى أن يكون شيء مثله، لامثل مثله. و إنما زيدت لتوكيد نفى المثل _ لأنّ زياده الحرف بمنزله إعادته الجملة ثانياً _ ؛

و ردّه بعضهم بـ: أنّ «الكاف» إنما تؤكد المماثلة، لا نفيها؛ ففى هذا التأكيد إخلالٌ بالغرض _ فإنّ نفى المماثلة المؤكّده المخفّفه لا يستلزم أصل المماثلة _ ؛

و أجيب بـ: أنّها لتأكيد ماسبق له الكلام من حكم التشبيه، إن إثباتاً فاثباتٌ و إن نفيّاً فنفى (٢). <

و بعضهم على أنّها ليست بزائدة، بل كافٌ إسميٌّ بمعنى: المثل؛ أى: ليس مثل مثله شيء، لأنّ من له مثلٌ له مثلٌ مثلاً إذا كان زيدٌ مثل عمروٍ فلعمرٍ مثل المثل، لأنّ نفس عمروٍ مثل مثله، فمثل المثل لازمٌ للمثل. فنفى الشيء ينفى لازمه، لأنّ نفى اللانزم يستلزم نفى الملزوم. و المراد نفى مثله _ تعالى _ ، إذ لو كان له مثلٌ لكان هو مثل مثله _ إذ التقدير أنّه موجودٌ _ . فحينئذٍ نفى المثل بالبينه و البرهان. و هذا كما قيل: أنّ الكناية أبلغ من التصريح، لأنّه دعوى الشيء بالبينه و البرهان؛ بخلاف الصريح، فإنّه محض دعوى (٣).

و قال >صاحب الكشف: «هو من باب الكناية، لأنهم قالوا: مثلك لا يبخل، فنفوا البخل عن مثله و الغرض نفيه عن ذاته. فسلكوا طريق الكناية قصداً إلى المبالغه، لأنهم إذا نفوه عن مماثله و عمّن يكون على أخصّ أوصافه فقد نفوه عنه _ كما يقولون: قد أيفعت

ص : ١٨٧

١- ١. كريمه ١١ الشورى.

٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٧٨.

٣- ٣. و انظر فى ذلك كلّ: «تفسير القرطبي» ج ١٦ ص ٨، «التفسير الكبير» ج ٢٧ ص ١٤٧، «التبيان» ج ٩ ص ١٤٨.

لداته و بلغت أترابه، و يريدون إيقاعه و بلوغه _ . فحينئذٍ لافرق بين قوله: ليس كالله شيء، و بين قوله: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها، و هما عبارتان متعقبتان على معنى واحد، و هو نفى المماثلة عن ذاته. و نحوه: «بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ» (١)، فان معناه: بل هو جوادٌ من غير تصوّر يدٍ و لا بسطٍ، لأنها وقعت عبارةً عن الجود لا يقصدون شيئاً آخر، حتّى أنّهم استعملوها فيمن لا يد له؛ فكذلك يستعمل هذا فيمن له مثلٌ و من لا مثل له» (٢)؛ انتهى.

و قال بعضهم: «المثل بمعنى: الذات، أى: ليس مثل ذاته ذاتٌ. و هذا كما يطلق فى العرف المثل و يراد به الذات، فيقال: مثلك لانظير له فى العالم»؛

و قيل: «بمعنى: الصفه، أى: ليس مثل صفته صفه، فأخذ المثل بمعنى المثل _ متحرّكاً _ ، و هو بمعنى الصفه؛ قال الله _ تعالى _ : «لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ الشُّؤِّ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى» (٣)، أى: الصفه العجيبه الشأن»؛

و ذهب بعضهم إلى: أنّ الزائد فى الآية أنّما هو «مثل» (٤) كما زيدت فى قوله _ تعالى _ : «فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ» (٥). و إنّما زيدت لتفصل الكاف من الضمير.

قال ابن هشام: «و قد تشهد (٦) للقائل بزياده «مثل» فى «بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ»: قراءه ابن عباس: «بِمَا آمَنْتُمْ بِهِ» (٧)» (٨)؛

قال الدمامينى: «و هى شهاده حقّ لا كلام فى قبولها» (٩).

ص : ١٨٨

-
- ١- ١. كريمه ٦٤ المائده.
 - ٢- ٢. هذا تحرير كلام الزمخشريّ مع فروقٍ، راجع: «تفسير الكشاف» ج ٣ ص ٤٦٢.
 - ٣- ٣. كريمه ٦٠ النحل.
 - ٤- ٤. وانظر: «التفسير الكبير» ج ٢٧ ص ١٥٣.
 - ٥- ٥. كريمه ١٣٧ البقره.
 - ٦- ٦. المغنى: فقد يشهد.
 - ٧- ٧. و هذه هى قراءه عبدالله بن مسعود و ابن مجاهد أيضاً، انظر: «البحر المحيط» ج ١ ص ٤٠٩، «المحتسب» ج ١ ص ١١٣.
 - ٨- ٨. راجع: «مغنى اللبيب» ج ١ ص ٢٣٨.
 - ٩- ٩. هذا. و لم أعر على العبارة، إذ حاشيه الدمامينى على «المغنى» لم تبلغ إلى هذه العبارة من المتن، بل ختمت عند قول ابن هشام: «أو صفه» _ راجع: «مغنى اللبيب» ج ١ نهايه صفه ٢١٥ _ ، و لم يمهل الله لتكميل هذه الحاشيه الأنيقه. و انظر: نهايه حاشيته فى هامش نهايه المجلد الأوّل من «المنصف من الكلام على مغنى ابن هشام» للعلامه الشمنى.

وقال بعضهم: «إنما جمع بين «الكاف» و «المثل» لتأكيد النفي تنبيهاً على أنه لا يصح استعمال «الكاف» و لا «المثل»، فنفي ب «ليس» الأمرين جميعاً؛

و فيه نظرٌ ظاهرٌ!.

و قيل: «الكاف اسمٌ مؤكَّدٌ بمثلٍ مضافٍ إليه، كما عكس ذلك من قال:

بِالْأَمْسِ كَانُوا فِي رَجَاءٍ مَأْمُولٍ فَأَصْبَحُوا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ»^(١)

فـ «الكاف» اسمٌ مضافٌ إليه «مثل»؛

ورَدَّ بـ: أن مثل هذا في غايه الدور، و لا ينبغي تخريج القرآن على مثله.

و إنما لم يكن كمثله شيءٌ، لأنه لو كان ذا شبه من خلقه لكان مفتقراً إلى مؤثِّرٍ ومدبِّرٍ مثله؛

و أيضاً: المثلّية هي الاتِّفاق بالكيفيّة، و لا كيفيّة له _ تقدّس و تعالى _ (٢) <.

هذا ما ذكره في هذا المقام. و الحقّ أنّ «الكاف» إن كانت زائدة _ كما هو الظاهر _ فلا إشكال؛

و إن كانت غير زائدة فالمراد المبالغة في نفي المثل عنه، أي: ليس لمثل مثله وجودٌ، فكيف لمثله؟!؛

أو: ليس لمثله مثلٌ، فكيف لذاته؟! _ بناءً على إطلاق المثل على الذات، كما عرفت _ .

و إذ قد بيّنا في اللمعات السابقة أن لا مشاركة بينه و بين غيره _ لا في المهية و لا في جزءٍ منها _ فلا يمكن أن يكون له مثلٌ، إذ قد ذكرنا لك فيما سبق أنّ المماثلة هي المشاركة في تمام المهية؛

كما أنّ المجانسه هي المشاركة في بعض المهية؛

و أنّ المشابهة هي المشاركة في صفه قارّه زائده على الذات؛

ص : ١٨٩

١- ١. انظر: «تفسير الكشاف» ج ٣ ص ٤٦٣.

٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٧٨.

فالبارى _ جلّ اسمه _ حيث لا مهيّة له غير الحقيقة الواجبية فلامماثل له ولا مجانس، و إذ ليس له صفه حقيقيّة زائدة على ذاته فلاشبيه له.

و بعبارة أخرى: ليس بينه و بين غيره شيء مشترك، لا ذاتي _ لكونه بسيط الحقيقة _ ؛ و لا عرضي _ إذ ليس له أمر عارض إلا السلوب و الإضافات و المعاني الاعتبارية _ . فالأولى كالتدوسية و الفردية و نحوهما، و الثانية كالمبدئية و الأولية و الازقية و غيرها، و الثالثة كالشيئية و الموجودية و الهويّة و الذاتية؛ كلّ ذلك بالمعنى العام كالشيئية.

فان قلت: أ ليس الوجود أمراً مشتركاً بين الخالق و المخلوق؟

قلنا: أمّا الوجود بالمعنى العام البديهي فهو أمر اعتباري ذهني من المعقولات الثانية و الإعتبارات الشاملة العامة _ كالشيئية و نحوها، كما قلت لك _ ؛

و أمّا الوجود الحقيقي فليس بطبيعته مشتركاً بين الخالق و مخلوقه، لأنّ وجوده _ تعالى _ حقيقة الوجود المحض العلى لا-أتم منه، و لاتناهى له فى الشدّة، و لا يشوبه عدم و قصور و نقص، و لا يمازجه مهيّة و حدّ؛ و أمّا وجود الممكن فهو كشرح و فيض من وجوده _ تعالى _ ، و قد خالطه الأعدام و النقائص و الإمكانات، و كلّ ما هو كذلك فهو ناقص محدود يحتاج إلى موجد و محدّد، إذ لو كانت نفس طبيعته الوجود يقتضى ذلك الحدّ لكان الجميع كذلك، و ليس كذلك؛ هذا خلف! فإذن كلّ ما له حدّ وجوديّ فله علة محدّدة تحدّده على ذلك الحدّ.

فالوجود الإمكانى _ لقصوره و فقره _ اشتمل على معنى آخر غير حقيقة الوجود _ هو حدّه الذى حصل له من إمكانه و نقصانه _ ، فأين المشاركة بينهما فى نحو من الوجود؟!.

فان رجعت و قلت: كيف يتصور عدم اشتراكه _ تعالى _ مع شيء من المخلوقات و الحال أنّها موجودات خاصّة، و الوجود حقيقة خارجيّة _ بل نفس ما به يتحقّق كلّ موجود؟! _ ؛

قلت: قد قرّنا لك سابقاً أنّ اشتراك طبيعته الوجود بين الموجودات ليس كاشتراك المعنى الكلّي بين أفرادها، إذ لو كانت كذلك لكانت مهيّة مبهمّة محتاجة فى تحقّقها إلى ما به يتحقّق فى

الواقع؛ كحال المعنى الجنسى أو النوعى أو العرضى حيث أنّ شيئاً منها لا يتحقق بنفس معناه، بل بوجود زائد عليه. فلو كان الوجود كذلك لكان للوجود وجوداً آخر و يتسلسل إلى ما لانهايه له. فإذا الوجود فى كلّ موجودٍ نفس تعينه الخاصّ و وحدته الشخصيه.

و ليس حال طبيعته فى الاشتراك و الاختلاف كحال الكليات الطبيعیه فى اشتراكها و اختلاف أفرادها، إذ اشتراكها بأمرٍ و اختلافها فى الأفراد بأمرٍ آخر زائد عليها؛ بل ما به الاشتراك فيها عين ما به الاختلاف، و التفاوت بين آحادها إمّا بالشده و الضعف و التمام و النقص؛ و إمّا بعوارض خارجيه و لواحق مادّيه فيما يقبل التكرّر و الإنقسام. فالمباينه ثابتة بين الوجودات المقيده باعتبار تعيناتها، و امتيازاتها بالمهيات و الأعيان الثابته.

فبين وجود الخالق و المخلوقات مباينه، و لكن مباينه صفه لا مباينه عزله؛ كما ذكر فى إحتجاج (١) الطبرسى فى خطبه لأمير المؤمنين _ عليه السلام _ : «دليله آياته، و وجوده إثباته، و معرفته توحيده، و توحيده تمييزه من خلقه، و حكم التمييز بينونه صفه لا بينونه عزله. أنّه ربُّ غير مربوبٍ و خالقٌ غير مخلوقٍ (٢)؛ كلّ ما يتصوّر (٣) فهو بخلافه _ ... الحديث _»؛ فتبصّر!

و قال بعض العرفاء: «إنّ الله _ سبحانه _ نزّه و شته فى الآيه المذكوره، بل فى نصفها!، فإنّ هذه الآيه نصفها «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»، و النصف الآخر: «وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» (٤). و فى كلّ من النصفين تنزيهٌ و تشبيهٌ؛

أمّا فى الأوّل: فلأنّ «الكاف» يحتمل الزيادة، و عدمها؛

فعلى تقدير الزيادة يصير المعنى: ليس مثله شىءٌ أصلاً بوجهٍ من الوجوه، و هو تنزيهٌ؛

و على تقدير عدمها أثبت المثل و نفى مثل المثل، و هو تشبيهٌ؛

ص : ١٩١

١- ١. راجع: «الإحتجاج» ج ١ ص ١٩٨، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٤ ص ٢٥٣.

٢- ٢. المصدر: أنّه ربُّ خالقٌ غير مربوبٍ مخلوقٍ.

٣- ٣. المصدر: تصوّر.

٤- ٤. كريمه ١١ الشورى.

و أما في الثاني: فشبهه، لأن الخلق سميعٌ و بصيرٌ؛

و نزهه، لأن تقديم الضمير و تعريف الخبر يفيد الحصر _ أي: هو وحده السميع البصير دون غيره، يعنى: لاسميع و لابصير إلا هو _ . فشبهه في عين التنزيه و نزهه، ليعلم أن الحق هو الجمع بينهما^(١)؛ كما قال في الفصوص:

فَإِنْ قُلْتَ بِالتَّنْزِيهِ كُنْتَ مُقَيِّدًا وَإِنْ قُلْتَ بِالتَّشْبِيهِ كُنْتَ مُحَدِّدًا

وَإِنْ قُلْتَ بِالْأَمْزِجِ كُنْتَ مُسَدِّدًا وَكُنْتَ إِمَامًا فِي الْمَعَارِفِ سَيِّدًا^(٢)

قوله _ عليه السلام _ : «و لا يعزب عنه علم شيء»، أي: لا يغيب. فيه إشارة >إلى قوله _ تعالى _ : «لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصِغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ»^(٣). يقال: عزب يعزب عزوباً _ من باب قعد _ أي: غاب و بُعد^(٤).

و ذلك لأنه _ سبحانه _ يعلم ذاته بذاته، و يعلم من ذاته ما هو سبب له _ بوسطٍ أو بغير وسطٍ _ ، و ما من شيء إلا و يستند إليه في سلسله الأسباب المترتبة عنه المرتقبه إليه، و هو مسبب الأسباب من غير سبب.

أو نقول: قد قلنا لك فيما سبق أن علمه عين وجوده؛ فكما أن وجوده يحيط بالوجود كله فكذا علمه؛ و قد استوفينا الكلام في «علمه» _ تعالى _ .

و «هو بكل شيء محيط».

>«الواو» فيه و فيما بعده يجوز أن يكون للحال؛

و يجوز أن يكون للعطف^(٥).

و «الإحاطه» بالشئ: الاستداره به. و فسر بعضهم «الإحاطه» من حيث العلم؛

ص : ١٩٢

١- ١. هذا مفاد كلام القيصرى فى شرحه على كلام الشيخ ابن عربى، راجع: «شرح فصوص الحکم» ص ٥١٧.

٢- ٢. راجع: «فصوص الحکم» الفصّ النوحى ص ٧٠، و انظر: «شرح القيصرى» عليه ص ٥١٠.

٣- ٣. كريمه ٣ سبأ.

٤- ٤. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٨٠.

٥- ٥. قارن: «نور الأنوار» ص ١٩١.

و بعضهم من حيث الحفظ؛

و بعضهم من حيث العلم و القدره معاً.

و قال بعض العرفاء: «الإحاطه بالشئ تستر ذلك الشئ، فيكون الظاهر المحيط و المستور المحاط. فإن الإحاطه به تمنع من ظهوره، فصار ذلك الشئ _ و هو العالم _ فى المحيط كالروح للجسم، و المحيط كالجسم للروح»؛ انتهى.

أقول: «و هو بكل شئ محيط»، إذ الكل ذاته و صفاته و أفعاله. و ليس المراد بهذه الإحاطه ما يكون بحسب الوضع _ كما هى بين الأجسام التى بعضها فى جوف بعض _ ، فإنها عين المغايره؛ بل ما يكون بحسب المعنى و الحقيقه _ كإحاطه العالم بالمعلوم و إحاطه التام بالناقص _ .

و مثال إحاطته بكل شئ كمثل إحاطه علم أحد منّا بأشياء كثيره متباينه الوضع من جهه العلم بأسبابها و مبادئها؛ لكن علمه عين ذاته و علمنا زائد على ذاتنا؛ و علمه تام و بكل شئ و علمنا ناقص و ببعض الأشياء. و كما لا يلزم من علمنا بتلك الأشياء حصول شئ واحد بالعدد فى أماكن متباينه _ كحصول جسم واحد فى أماكن فوق واحد _ ، فكذلك لا يلزم من علمه بها؛ بل ذاته أشد إحاطه و أشرف علماً و أوسع وجوداً.

و بالجملة العقول عاجزة عن تصوّر هذه الإحاطه على وجه لا يقدح فى وحدته، و لا يلزم كثرة فى ذاته و لا فى صفاته، فهما ممّا لا يعرفه إلا الراسخون.

قوله _ عليه السلام _ : «و هو على كل شئ رقيب». اقتباس من قوله _ تعالى _ فى سورة الأحزاب: «وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا» (١)، أى: حفيظاً.

و «الرقيب»: فعيل بمعنى فاعل، من: رقبه يرقبه _ من باب قتل _ أى: حفظه؛ ف _ «الرقيب» بمعنى: الحفيظ؛

و قيل: «المهيمن عليهم و المطلع على أحوالهم».

ص : ١٩٣

و حظَّ العبد الإستطلاع على نفسه و معايبها و الاستصلاح ممَّن يرى فيه آثار الصلاح و الفلاح و الإطّلاع على أحوال الناقصين المسترشدين بالإصلاح للفلاح، و حفظ النفس من الزلَّة و موافقه الهوى و متابعه الشيطان. و قال الغزاليّ: «هو العليم الحفيظ، فمن راعى الشيء حتّى لم يغفل عنه و لاحظته ملاحظَةً لازمةً دائمةً (١) لزوماً بالإضافة إلى ممنوعٍ عنه محروسٍ عن التناول فهو الرقيب؛ و ليس ذلك إلاّ الله _ تعالى _» (٢).

أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَعْدُ الْمُتَوَحِّدُ الْفَرْدُ الْمُتَفَرِّدُ. وَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْكَرِيمُ الْمُتَكَرِّمُ، الْعَظِيمُ الْمُتَعَظِّمُ، الْكَبِيرُ الْمُتَكَبِّرُ. وَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْعَلِيُّ الْمُتَعَالِ، الشَّدِيدُ الْمَحَالِ.

«أنت» _ ... إلى آخره _ إلتفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب. و هو اسمٌ مضمَرٌ يدلّ على المخاطب.

و اختلفوا فى أنّ «تاء» زائدة؟ أم لا؟

الفراء على الأوّل (٣)؛

و البصريّون على الثانى. قالوا: الضمير أنّما هو «أن»، و «التاء» حرف خطاب؛

و بعضهم على أنّ الضمير هو «التاء»، فلمّا أرادوا إنفصالها دعموها بـ «أن» لتستقلّ لفظاً _ كما هو مذهب الكوفيين فى «إياك» و إخوانها من أنّ «الكاف» فيها كـ _ انت متّصلة، فلمّا أرادوا إنفصالها جلعوا «يا» عماداً لها لتستقلّ لفظاً _ . و هو مبتدئ؛

و «الله» خبره؛

و جملة «لا إله إلاّ أنت» إمّا مؤكّدة للأولى مقرّرة لمضمونها؛

ص : ١٩٤

١- ١. المصدر: دائمة لازمة.

٢- ٢. هذا تلخيص قوله، راجع: «المقصد الأسنى» ج ١ ص ١١٧.

٣- ٣. و هذا يخالف ما حكاه الرضى عنه فى هذا المضممار، انظر: «شرح الرضى على الكافية» ج ٢ ص ٤١٩.

أو معترضة، فلامحلّ لها من الإعراب؛

أو خبر ثانٍ للمبتدئ، فمحلّها الرفع؛

أو حالٌ من الإسم الجليل، و العامل معنى الجملة _ على الصحيح _ ، فمحلّها النصب.

و «الأحد» صفه «الله»؛

أو: خبرٌ بعد خبرٍ؛

أو: بدلٌ من الخبر. و أصله: «وحد»، فأبدلت «الواو» همزةً؛

و قيل: «أصله: واحد، فأبدلت «الواو» همزةً، فاجتمع ألفان _ لأنّ الهمزة تشبه الألف _ ، فحذفت إحداهما تخفيفاً» (١).

قيل: «الواحد و الأحد بمعنى واحدٍ، أى: الفرد الذى لا ينبعث من شىءٍ و لا يتحد لشيءٍ»؛

و قيل: «بافتراقهما؛ فالأول بالتفرد و نفى الشريك فى الذات؛

و الثانى فى الصفات».

و قال أبو حاتم: «هو اسمٌ أكمل من الواحد، ألا ترى أنّك إذا قلت: فلانٌ لا يقاومه واحدٌ، جاز أن يقال: لكن يقاومه إثنان؛ بخلاف قولك: لا يقاومه أحدٌ؟! و هو مخصوصٌ بأولى العلم دون غيرهم، بخلاف الواحد».

و قال بعض المحققين: «الأحد أخصّ من الواحد، لأنّ «الواحد» مقولٌ بالتشكيك على ما لا ينقسم أصلاً، و على ما لا ينقسم عقلاً، و على ما لا ينقسم حسّاً بالقوّة و ما ينقسم بالفعل؛ و كلّ سابقٍ أولى من اللاحق؛

و «الأحد» يختصّ بالأول؛ و لذلك اختصّ به _ تعالى _ لاختصاصه بالأحديّة.

ص : ١٩٥

١- ١. هذا كما حكاه العلامة المدينى _ راجع: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٨٣ _ قول مكّى، و الظاهر أنّه مكّى بن أبي طالب، و لم أعر عليه فى «مشكل إعراب القرآن».

فلا يشاركه فيها غيره؛ فلهذا لا ينعت به غير الله _ تعالى _ ، فلا يقال: رجلٌ أحدٌ» (١)؛ انتهى.

و قال في العدّه (٢): «هما اسمان يشملهما نفى الأبعاض عنهما والأجزاء. و الفرق بينهما من وجوه:

الأول: أنّ الواحد هو المتفرد بالذات، و الأحد هو المتفرد بالمعنى؛

الثاني: أنّ الواحد أعمّ موردًا _ لكونه قد يطلق على من يعقل و من لا يعقل _ ؛ بخلاف الأحد، فإنّه لا يطلق إلّا على من يعقل؛

و الثالث: أنّ الواحد يدخل في الضرب و العدد؛ و يمتنع دخول العدد في ذلك. و قد يقال للعبد: واحدٌ، إذا لم يكن له في أبناء جنسه نظيرٌ في خصله من خصال الخير و في زمانٍ من الأزمنة؛ فلا يكون الواحد المطلق سواء _ سبحانه _ ؛ انتهى.

و الحقّ أنّ الفرق بينهما: أنّ الواحد هو الذي يمتنع من وقوع الشرکه بينه و بين غيره، و معنى الأحد: هو الذي لا تركيب فيه و لا أجزاء له بوجهٍ من الوجوه. فالواحدية عبارة عن نفى الشريك، و الأحديّة عبارة عن نفى الكثرة في ذاته.

و في إصطلاح العرفاء: «الأحد هو اسم الذات باعتبار انتفاء تعدّد الصفات و الأسماء و النسب و التعيّنات عنه _ تعالى _ » (٣)؛ و الأحديّة: «اعتبار الذات مع إسقاط الجميع» (٤).

و «الفرد» قيل: «هو الوتر، و هو الواحد».

و قال الراغب: «الفرد: الذي لا يختلط به غيره، فهو أعمّ من الوتر و أخصّ من الواحد» (٥)؛ قال _ تعالى _ : «لَا تَذَرْنِي فَرْدًا» (٦) أي: وحيداً. و يقال في الله: فردٌ، تنبيهاً على أنّه خلاف (٧).

ص : ١٩٦

١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٨٣.

٢- ٢. كذا، و لم أهتد إلى مراده.

٣- ٣. راجع: «لطائف الاعلام» ص ٧٢ الإصطلاح ٢٢.

٤- ٤. راجع: نفس المصدر و الصفحة الإصطلاح ٢٣.

٥- ٥. المصدر: + و جمعه فرادى.

٦- ٦. كريمه ٨٩ الأنبياء.

٧- ٧. المصدر: بخلاف.

الأشياء كلها في الإزدواج المتبته عليه بقوله: «وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ» (١) «(٢)».

و قيل: «معناه: المستغنى عما عداه، كما نبه عليه بقوله: «غَنَى عَنِ الْعَالَمِينَ» (٣)» و إذا قيل: هو متفردٌ بوحدايته فمعناه: مستغنٍ عن كل تركيبٍ و إزدواجٍ، تنبيهاً على أنه مخالفٌ للموجودات كلها؛ انتهى.

و قيل: «الفرد: من لانظير له؛ و المتفرد: البليغ الفردانيه»؛

و قيل: «هو المتفرد بالجلال و الجمال في كل كمال»؛

و قيل: «هو الذي تفرد بخصوص وجوه تفرد لا يتصور أن يشاركه غيره فيه، فهو الفرد المطلق أزلاً أبداً؛ و المخلوق إنما يكون فرداً إذا لم يمكن أن يظهر في وقتٍ آخر مثله و بالإضافة إلى بعض الخصال دون الجميع؛ فلا فردانيته على الإطلاق إلا لله — تعالى —».

وَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. وَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، الْقَدِيمُ الْخَبِيرُ. وَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْكَرِيمُ الْأَكْرَمُ، الدَّائِمُ الْأَدْوَمُ.

«الرحمن الرحيم»: صفتان مشبهتان بنيتا للمبالغة؛ و قد تقدّم الكلام عليهما.

و «العليم» أى: العالم بجميع المعلومات، و هو مبالغه «العالم»؛

و قيل: «هو الذي كمل علمه و كماله بأن يحيط بكل شيء — : ظاهره و باطنه — مشاهدهً و كشفاً على أتم ما يمكن بحيث لا يتصور فوقه. و لا يكون مستفاداً من المعلوم، بل المعلوم يكون مستفاداً منه». و يفارق علم العبد علمه — سبحانه — في المراتب الثلاث.

و «الحكيم» هو الذي أتقن كل شيء خلقه على حسب علمه — سبحانه — بمقتضى القابليات — فيكون من صفات الأفعال — ، و لا يصدر عنه قبحٌ و لا بخلٌ بواجبٍ، و يضع كل

ص : ١٩٧

١-١. كريمه ٤٩ الذاريات.

٢-٢. راجع: «المفردات» ص ٦٢٩ القائمه ١.

٣-٣. كريمه ٩٧ آل عمران.

شيءٍ موضعه بعلمه _ فيكون من صفات الذات _ .

وقيل: «هو العالم بحقائق الأشياء و أوصافها و خواصها و أحكامها على ما هي عليه، و الذي ضابط نظام الموجودات بأحكام الأسباب، و رابط الأسباب بالمسببات، و جاعل الوسائط مع قدرته على الأفعال ابتداءً» (١) <.

و عن ابن عباس أنه قال: «الحكيم هو الذي كمل في حكمته» (٢)؛

و عن مقاتل أنه قال: «تفسير الحكمة في القرآن يقع على أربعة وجوه:

أحدها: مواعظ القرآن، ففي النساء: «وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ» (٣)، و مثلها في آل عمران (٤)؛

و ثانيها: الحكمة بمعنى: الفهم و العلم، قوله: «وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا» (٥)، «وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ» (٦) _ يعني: الفهم و العلم _ ، و في الأنعام: «أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ» (٧)؛

و ثالثها: الحكمة بمعنى: النبوة، وفي صآ: «وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ» (٨) _ يعني: النبوة _ ، و في البقرة: «وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ» (٩)؛

و رابعها: القرآن بما فيه من عجائب الأسرار، و في النحل: «أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ» (١٠)، «وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا» (١١) (١٢).

ص : ١٩٨

١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٨٨.

٢- ٢. راجع: «المصباح» _ للكفعمي _ ص ٣٢٥، و لم أظفر عليه في غيره من مصادرنا الروائية.

٣- ٣. كريمه ١١٣ النساء.

٤- ٤. إشارة إلى كريمه ٧ آل عمران.

٥- ٥. كريمه ١٢ مريم.

٦- ٦. كريمه ١٢ لقمان.

٧- ٧. كريمه ٨٩ الأنعام.

٨- ٨. كريمه ٢٠ صآ.

٩- ٩. كريمه ٢٥١ البقرة.

١٠- ١٠. كريمه ١٢٥ النحل.

١١- ١١. كريمه ٢٦٩ البقرة.

١٢- ١٢. لم أعثر على هذا الكتاب، و انظر ترجمته باللغة الفارسيه _ المسماه ب «وجوه قرآن» لأبيالفضل حبش بن إبراهيم

التفليسي _ ص ٨٠.

و أنت _ يا حبيبي! _ إذا تأملت في جميع هذه الوجوه الأربعة وجدت مرجعها جميعاً إلى العلم، بل لو نظرت في جميع موارد استعمال لفظه «الحكمة» لم تجده خارجاً عن العلم بحقائق الأشياء و العمل بموجبها بقدر الطاقه فيها، و هو التجرد عن الدنيا و ما فيها؛ و لهذا قيل في حدّها ب _ : «أنّها التخلّق بأخلاق الله» (١) أي: في الإحاطه بصور المجردات و التقدّس عن المادّيات. و إليها الإشارة في الحديث عنه _ صلى الله عليه و آله و سلّم _ من: «تخلّقوا بأخلاق الله» (٢)، أي: تشبّهوا به في هذين الأمرين.

ثمّ اعلم! أنّ الحكمة لا يمكن خروجها من هذين المعنيين _ و هما: العلم الصحيح و العمل الصواب على وفق العلم _ . و ذلك لأنّ الحكمة كمال الإنسان بلاشبهه، و كمال الإنسان منحصر في شيئين:

أحدهما: أن يعرف الخير لذاته؛

و الثاني: أن يعرف الخير لأجل العمل به؛

فالمرجع في الأولى إلى العلم و الإدراك المطابق؛

و في الثاني إلى الفعل العدل. و كمال هذين الأمرين في نوع الإنسان مرتبه النبوه و الولاية.

و «السميع»: هو العالم بالمسموعات لا يخفى منها عليه شيء.

و «البصير»: هو العالم بالمبصرات؛ أو: بالخفيات.

ص : ١٩٩

١ - ١. لم أعر على هذا القول في كتب الحكمة كتعريف للحكمة، و الحكيم السبزواريّ أورد العبارة في تعريف «القربه المحضه»، راجع: «الحكمة المتعاليه» هامش ج ٢ ص ٢٧٩، و صدر المتألّهين نفسه أوردّها في تبين مقام من مقامات السائرين إلى الله _ تعالى _ ، راجع: نفس المصدر ج ٩ ص ٨٢.

٢ - ٢. راجع: «بحار الأنوار» ج ٥٨ ص ١٢٩، و لم أعر عليه في غيره من مصادر الروايه، لا في مصادرها و لا في مصادر العامه.

اعلم! أنَّ المسلمين _ على ما ذكره العلامة (١) _ اتَّفَقوا على إتِّصافه _ سبحانه _ بكونه مدركاً؛ بل قال المحقّق اللاهيجي (٢): «أنّه ممّا علم بالضروره من الدين و ثبت في الكتاب و السنّه، و انعقد عليه إجماع أهل الأديان»؛

و قال شيخنا المفيد في أوائل المقالات (٣): «استحقاق القديم _ تعالى _ في وصفه بأنّه سميعٌ بصيرٌ و راءٍ و مدركٌ، كلّها من جهه السمع؛ دون القياس و دلائل العقول. و إنّ المعنى في جميعها العلم خاصّه، دون ما زاد عليه في المعنى، إذ ما زاد عليه في معقولنا و معنى لغتنا هو الحسّ، و ذلك ممّا يستحيل على القديم». ثمّ قال (٤): «و لست أعلم من متكلمى الإماميه في هذا الباب خلافاً. و هو مذهب البغداديين من المعتزله و جماعه من المرجئه و نفر من الزيديه؛ و يخالف فيه المشبهه و إخوانهم من أصحاب الصفات و البصريّون من أهل الاعتزال»؛ انتهى كلامه.

و الأولون اختلفوا في معناه؛

ففسّره أبوالحسين البصريّ (٥) و الكعبيّ (٦) بـ: العلم بالمسموعات و المبصرات؛ و بهذا ذهب المحقّق الطوسي _ رحمه الله _ حيث قال (٧): «لَمَّا كَانَ السَّمْعُ وَ الْبَصَرُ أَلْفَ الْحَوَاسِّ وَ أَشَدَّهَا مَنَاسِبَةً لِلْعَقْلِ عَبَّرَ بِهِمَا عَنِ الْعِلْمِ، وَ لِأَجْلِ ذَلِكَ وَصَفُوا الْبَارِيَّ _ تَعَالَى _ بِالسَّمِيعِ وَ الْبَصِيرِ دُونَ الشَّامِّ وَ الذَّائِقِ وَ اللَّامِسِ. وَ عَنُوا بِهِمَا الْعَالَمَ بِالسَّمْعِ وَ الْمُبْصَرَاتِ»؛ انتهى.

ص : ٢٠٠

-
- ١ - ١. قال: «... في أنّه _ تعالى _ متكلمٌ. أجمع المسلمون عليه»، راجع: «نهج المسترشدين» ص ٤١؛ و قال أيضاً: «اتَّفَقَ المسلمون كافّةً على أنّه _ تعالى _ مدركٌ»، راجع: «كشف المراد» ص ٢٢٤.
 - ٢ - ٢. راجع: «شوارق الإلهام» ص ٥٥٤ السطر ٨.
 - ٣ - ٣. راجع _ مع تغييرٍ يسير _ : «أوائل المقالات» ص ١٣.
 - ٤ - ٤. راجع: نفس المصدر.
 - ٥ - ٥. راجع: «كشف المراد» ص ٢٢٤.
 - ٦ - ٦. راجع: «إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين» ص ٢٠٦.
 - ٧ - ٧. راجع: «شرح رساله مسأله العلم» ص ٢٩.

و فى حديث أهل البيت _ عليهم السلام _ ما يدلّ على ذلك حيث قالوا _ عليهم السلام _ : «سمّينا ربّنا سمياً لأنّه لا يخفى عليه ما يدرك بالأسماع، و سمّيناه بصيراً لأنّه لا يخفى عليه ما يدرك بالأبصار»(١).

و عن الأشعريّ و الكراميّ و جماعه من المعتزله أيضاً أنّهم قالوا بكونه صفه زائده على العلم(٢). و فى الشرح الجديد(٣) نقل عن الشيخ الأشعريّ: «أنّ السمع نفس العلم بالمسموع، و البصر نفس العلم بالمبصر»؛ و زيادتهما على العلم نسبها إلى سائر المتكلمين(٤).

و زيادتهما على الذات لازمه على الأشعريّ _ كما فى العلم عنده _ ، فلانضيق العمر بنقل الأدله من الطرفين! و قد ذكرنا لك فيما سبق أنّ القوم بين مشبه و معطل!

و الحقّ أنّ السمع و البصر و سائر الصفات _ بل كلّ المعقولات _ يثبت لخالق الأرض و السماوات على سبيل الحقيقة، لا على المجاز. لا- بالوجه المتفاهم فى المخلوقات و الكائنات، بل بوجه أتمّ و أكمل و طريقه أعلى و أجلّ ممّا تناولته أيدي الأوهام، «أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ»(٥)!

و به صرّح صدرالحكماء و المحقّقين فى شرح الأصول(٦)، و فى مفاتيح الغيب(٧)؛ و خلاصه تقريره: «أنّ ذاته _ سبحانه _ من حيث قيامه بذاته كالجوهر؛

و من حيث الكمّ المتّصل القارّ شدّه وجوده؛

ص : ٢٠١

-
- ١- ١. راجع _ مع تغييراتٍ _ : «الكافي» ج ١ ص ١١٦ الحديث ٧، «بحار الأنوار» ج ٤ ص ١٥٣، «الإحتجاج» ج ٢ ص ٤٤٢.
 - ٢- ٢. راجع: «إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين» ص ٢٠٦.
 - ٣- ٣. قال: «و ذهب الشيخ أبوالحسن الأشعريّ إلى أنّ السمع نفس العلم بالمسموع و البصر نفس العلم بالمبصر»، راجع: «الشرح الجديد على التجريد» ص ٣١٥ السطر ٢٣.
 - ٤- ٤. قال: «و ذهب سائر المتكلمين إلى أنّهما صفتان زائدتان على العلم»، راجع: نفس المصدر و الصفحة السطر ٢٤.
 - ٥- ٥. كريمه ١٧٩ الأعراف.
 - ٦- ٦. راجع: «شرح أصول الكافي» ج ٣ صص ٢٠٨، ٢٠٩.
 - ٧- ٧. راجع: «مفاتيح الغيب» ج ١ ص ٤٠٣.

و من حيث الكمّ المتّصل الغير القارّ _ و هو الزمان _ سرمدية؛

و من حيث الكمّ المنفصل عدد أسمائه؛

و من حيث كيف كونه سمياً بصيراً؛

و من حيث الأين كونه مستوياً على العرش؛

و من حيث المتى كونه _ سبحانه _ فى الأزل، و معناه _ على ما حقّقه بعض المحقّقين _ عبارة عن: الزمان السابق؛

و من حيث الوضع وضعه للشرائع، و أنّه باسط اليدين بالرحمة؛

و من حيث الإضافة كونه خالق الخلق؛

و من حيث الجده مالك الملك؛

و من أن يفعل «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ» (١)، «سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ» (٢)؛

و من أن يفعل «هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ» (٣)، «وَ يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ» (٤)، و يسمع الدعاء. فهذه كلّها صورته القائمة على وجهٍ أعلى و أشرف ممّا يوجد فى كونٍ، أو يوهّم أو يتصوّر فى عقلٍ أو وهمٍ أو حسٍّ. و الأخبار متكرّرة متضافرة فى أنّ علمه _ سبحانه _ بالأشياء قبل إيجادها كعلمه فيما بعد من غير تفاوتٍ أصلاً؛ و كذا سمعه و بصره. و عن هشام بن الحكم فى حديث الزنديق الذى سئل أباعده الله _ عليه السلام _ فقال له: «أتقول أنّه سميعٌ بصيرٌ؟»

فقال أبو عبد الله _ عليه السلام _ : هو سميعٌ بصيرٌ، سميعٌ بغير جارحٍ و بصيرٌ بغير آله، بل يسمع بنفسه و يبصر بنفسه. و ليس قولى: أنّه يسمع بنفسه: أنّه شىءٌ و النفس شىءٌ آخر، و لكنّى أردت عبارة عن نفسى إذ كنت مسؤولاً. و إفهاماً لك إذ كنت سائلاً! فأقول: سميعٌ بكّله لا أنّ كلّ له بعضٌ، و لكنّى أردت إفهامك و التعبير عن نفسى، و ليس مرجعى فى

ص : ٢٠٢

١-١. كريمه ٢٩ الرحمن.

٢-٢. كريمه ٣١ الرحمن.

٣-٣. كريمه ٢٥ الشورى.

٤-٤. كريمه ١٠٤ التوبة.

ذلك إلا إلى أنه السميع البصير العالم الخبير بلا اختلاف الذات و لا اختلاف المعنى» (١).

قال صدر الحكماء و المحققين: «إذا قلنا أنه سمع بنفسه فيتوهم أنه المشار إليه بأنه شيء و السميع بنفسه شيء آخر؛ فقال: «ليس قولي: سمع يسمع بنفسه ... إلى آخره _». و المراد: أن الضرورة دعت إلى إطلاق مثل هذه العبارات للتعبير عن نفى الكثرة عن ذاته حين كون الإنسان مسؤولاً، يريد إفهام السائل في المعارف الإلهية (٢) في مقام التوحيد، فإنه يضطر إلى إطلاق الألفاظ الطبيعية و المنطقية المستعملة التي تواطأ عليها (٣) الناس؛ فإنه لو قصد (٤) اختراع ألفاظٍ آخر و استئناف وضع لغتٍ (٥) سوى ما هي مستعملة، لما كان أحد يجد (٦) السبيل إليها (٧). و هو المراد من قوله _ عليه السلام _ : «و لكن أردت عبارة عن نفسى إذ كنت مسؤولاً»، أى: أردت التعبير عما فى نفسى من الاعتقاد فى هذه المسألة بهذه العبارة الموهمة للكثرة، لضروره التعبير عما فى نفسى إذ كنت مسؤولاً، و لضروره إفهام الغير _ الذى هو السائل _ ، و إلا فالذى فى نفسى لا يقع الاحتياج فى تعقله إلى عبارة.

إذ المرجع و المراد بقولي: أنه سمع: أن ذاته من حيث ذاته مصداق معنى السميع؛ و بقولي: يسمع بنفسه: أنه يسمع لا بغيره. و كذا فى غير ذلك من الصفات الوجودية باختلاف فى الذات و لا اختلاف فى معانى الصفات، لأنها كلها موجودة بوجوهٍ واحدٍ بسيطٍ من كل وجهٍ، لأنها لا تقتضى كثرة _ لا فى الذات و لا فى الاعتبار _ .

فهو سمع من حيث هو بصير، و بصير من حيث هو سمع، و عليم من حيث هو قدير؛ و ذاته سمعه و بصره و علمه و قدرته و حياته و إرادته. فهو سمع بكله بصير بكله عليم بكله قدير بكله بهذا المعنى، لا أن فيه شيئاً دون شيء أو جزءاً بوجه من الوجوه، بل المرجع فيه

ص : ٢٠٣

-
- ١- ١. راجع: «الكافي» ج ١ ص ١٠٨ الحديث ٢، «بحار الأنوار» ج ٤ ص ٦٩، «التوحيد» ص ١٤٤ الحديث ١٠.
 - ٢- ٢. المصدر: + سيما.
 - ٣- ٣. المصدر: عليه.
 - ٤- ٤. المصدر: إن قصد.
 - ٥- ٥. المصدر: لغات.
 - ٦- ٦. المصدر: يوجد.
 - ٧- ٧. المصدر: + بحدود.

إلى ضروره التعبير عما في الضمير _ كما مرّ _ .

و يوافق لهذا الكلام الصادر عن مشكاه الولايه و معدن الحكمه ما قاله (١) الفارابي: «أنّه _ تعالى _ وجودُ كلّ وجوبُ كلّ علمُ كلّ حياةُ كلّ إرادةُ كلّ، لا أنّ شيئاً منه علمٌ و شيئاً آخر فيه (٢) قدره ليلزم التركيب في ذاته، و لا أنّ شيئاً فيه علمٌ و شيئاً آخر فيه قدره ليلزم التكثر في صفاته» (٣)؛ انتهى كلامه.

و قال أبوعلّى بن سينا: «كونه _ تعالى _ عقلاً لذاته و معقولاً لذاته لا يوجب أن يكون (٤) إثنيّة _ لا في الذات و لا في الاعتبار _ ، فالذات واحده (٥). لكن في الاعتبار تقديمٌ و تأخيرٌ في ترتيب المعاني. و لا يجوز أن تحصل حقيقه الشئ مرّتين _ كما تعلم _ ، فلا يجوز أن يكون الذات إثنين» (٦)؛ انتهى. و المراد بقوله: «لا يجوز أن تحصل حقيقه الشئ مرّتين»: أنّه لو كان كونه عقلاً لذاته غير كونه (٧) معقولاً لذاته يلزم حصول حقيقه الشئ (٨) مرّتين و كون الذات الواحده ذاتين، و هو محالٌ؛ فهكذا القول في سائر صفاته الحقيقيه، إذ كلّ منها عين ذاته. فلو تعددت لزّم كون الذات الواحده ذواتاً.

و قال في موضع آخر: «الأول لا يتكثر لأجل تكثر صفاته، لأنّ كلّ واحدٍ من صفاته إذا حقّق يكون الصفه الأخرى بالقياس إليه، فتكون قدرته حياته و حياته قدرته، و تكونان واحده. فهو حيٌّ من حيث هو قادرٌ و قادرٌ من حيث هو حيٌّ؛ و كذلك سائر صفاته» (٩)؛ انتهى» (١٠).

ص : ٢٠٤

١-١. المصدر: + بعض الحكماء، و هو أبونصر.

٢-٢. المصدر: _ فيه.

٣-٣. كما حكاه عنه في «الحكمه المتعاليه» ج ٦ ص ١٢١.

٤-٤. المصدر: + هناك.

٥-٥. المصدر: + و الاعتبار واحد.

٦-٦. لم أعثر عليه بألفاظه، و هناك ما يشبهه في المعنى، راجع: «الشفاء» / الإلهيات ص ٣٥٨.

٧-٧. المصدر: _ كونه.

٨-٨. المصدر: + الواحد.

٩-٩. كما حكاه عن «التعليقات» في «الحكمه المتعاليه» ج ٦ ص ١٢٠.

١٠-١٠. راجع: «شرح أصول الكافي» ج ٣ ص ٥١.

وقال بعض الحكماء: «معطى كل كمال و جمال ليس بفاقد له، بل هو منبعه و معدنه، و ما فى المَجْعول رشحه و ظلّه. فهو _ سبحانه _ ذات الذوات و وجود الوجودات و حقيقه الحقائق و علم العلوم و قدره القدر و سمع الأسماع و بصر البصائر؛ و بالجملة هو كل الأشياء و ليس بشيء من الأشياء. فما وجد من الصفات الكماليّه فى الأدنى يكون فى الأعلى على وجهٍ أرفع و أعلى».

و بالجملة لا يتصحّ هذه المسأله المعظله و الأحاديث الكثيره المشكله إلا بالطريقه المذكوره.

و البرهان على هذا المطلب العالى الشريف هو: انّ كلّ شيءٍ بسيط الحقيقه كلّ الأشياء الوجوديّة إلا- ما يتعلّق بالنقائص و الأعدام، و إلاّ لكان وجود ذاته متحصّل القوام من هويّه شيءٍ و لاهويّه شيءٍ آخر، فيتركّب ذاته _ و لو فى العقل بحسب الاعتبار عند التحليل _ من وجودٍ و عدمٍ، أو إمكان أمرٍ من الأمور الثبوتيه. ففيه حيثتان مختلفتان:

حيثيه وجوب وجود شيءٍ؛

و حيثيه إمكان وجود شيءٍ آخر، أو إمتناعه؛ و هو ممتنعٌ.

بيان ذلك: انّ المفروض بسيطاً إذا كان شيئاً دون شيءٍ آخر كان يكون «ألفاً» دون «ب»، فحيثيه كونها «ألفاً» هل هى بعينها حيثيه أنّه ليس «ب»؟، فيلزم أن يكون تعقلنا «الألف» هو بعينه تعقلنا للـ «ب» دون أن يكون من «الف» و من ليس «ب» شيئاً واحداً؛ و اللازم باطلٌ، لأننا يمكننا أن نعقل «الف» مع الغفله عن «ب»، و عن سلبه عن «الف»؛

و أيضاً: حيثيه ثبوت أمرٍ وجوديّ و حيثيه عدمه أمرٌ سلبيّ، فلا يجتمعان فى ذاتٍ واحدهٍ من جههٍ واحدهٍ، و إذا بطل اللازم فالملزوم مثله؛ فثبت انّ كلّ بسيط الحقيقه من كلّ وجهٍ يجب أن يكون كلّ الأشياء؛ و هو المطلوب.

وَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ، وَ الْآخِرُ بَعْدَ كُلِّ عَدَدٍ. وَ أَنْتَ

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الدَّانِي فِي عُلُوِّهِ، وَالْعَالِي فِي دُنُوِّهِ. وَأَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، ذُو الْبَهَاءِ وَالْمَجْدِ، وَالْكِبَرِيَاءِ وَالْحَمْدِ.

«الداني في علوه»، قيل: «أى: القريب إلى خلقه بالرحمة في حال علوه و تنزّهه عن المشابهة»^(١)؛ انتهى.

أقول: قد عرفت سابقاً أنّ الله _ سبحانه _ أقرب الأشياء من كلّ قريب، ولكن لا بحلولٍ فيها؛ و أبعد منها من كلّ بعيد، ولكن لا بمباينة، كما قال سيّد الأولياء أمير المؤمنين _ عليه السلام _ : «داخلٌ في الأشياء لا بمدخله و خارجٌ عن الأشياء لا بمزاييله»^(٢)، بل هو _ سبحانه _ دانٍ في علوه و عالٍ في دنوه؛ لأنّ شَيْئَهُ الأشياء بوجوداتها، و الوجودات شؤونٌ و أطوارٌ للوجود الحقّ.

و اعلم! أنّ من خاصّه النور: الظهور و القرب، و من خاصّه الظلمة: الخفاء و البعد. فكلّ ما هو أشدّ نوريّة أقوى ظهوراً و قرباً؛ ألا ترى أنّك إذا حدّدت النظر إلى الشمس تراها كأنّها أقرب إليك من غيرها من المريّيات، بل كأنّها داخل عينيك! فإذا كان في سطحٍ ما سوادٌ و بياضٌ ترى البياض أقرب إليك _ لمناسبته للنور و مشابته للظاهر _، و السواد أبعد _ لمقابل ما قلنا من مناسبه للظلمة و مشابهة للخفاء _ . و لكون البياض مشاكلاً للنور المستلزم للظهور، و السواد مشاكلاً للظلمة المستلزم للخفاء يلوح على البياض في سائر الألوان، كما يرى في النور سائر الألوان و لا يظهر في السواد لونٌ أصلاً، كما لا يرى في الظلمة لونٌ كذلك. ففي الأنوار المحضه العقلية المنزّهه عن المكان و المسافه كلّما كان أعلى مراتب العلل فهو أدنى إلى المعلول الأدون _ لشدّه الظهور _ . فالحقّ الأوّل _ تعالى _ نور الأنوار و إن كان أبعد الأشياء و أرفعها من جهة علوّ رتبته و كثره المراتب و الدرجات بينه و بين أدون الخلق؛

ص : ٢٠٦

١- ١. هذا قول المحدث الجزائري، راجع: «نور الأنوار» ص ١٩١.

٢- ٢. مرّت بنا الصور المختلفه التي يرويها المصنّف عن القوله المشهوره المرويه عن أمير المؤمنين _ عليه السلام _ بين حينٍ و حينٍ، و هذه أيضاً صورَةٌ منها!، و لصحيحها راجع: «نهج البلاغه» الخطبه ١ ص ٣٩.

فهو أقرب الأشياء إليه و أدناها؛ و ذلك من جهة شدّه ظهوره و قوّه نوره. و اعتبر ذلك في الوسائط النوريّه أيضاً؛ لما ذكرنا من كون الأبعد في الدرجه أقرب في الظهور. فإذاً لاأبعد و أرفع من واجب الوجود، و لأقرب و أجلى منه _ سبحانه _ ؛ فسبحان الأبعد الأقرب و الأعلى الأدنى و الأخرى الأجلّى!

فهو أولى بالتأثير و الإيجاد في ذات كلّ مخلوق و كمالها، لأنّ الوسائط و إن كان لها تأثيرٌ في الإعداد فمنه يستفاد، و هو واهب ذوات الموجودات و معطى كمالاتها.

<و «البهاء»: ما يملأ العين من الحسن و الجمال، يقال: بها يبهو _ مثل علا يعلو _ بهاء: إذا ملأ العين حسنه و جماله. و «بهاء» الله: عظّمته و رفعته.

و «المجد»: السعه في الكرم. و «مجده» _ تعالى _ : سعه فيضه و كثره جوده(١) >.

و «الكبرياء»: <العظمه و الملك؛ و قيل: «هو عبارة عن كمال الذات و كمال الوجود»(٢) >. و هو صفه خاصه لا يستحقّها غيره _ تعالى _ ، و لذا ورد: «الكبرياء ردائي و العظمه إزارى، فمن نازعنى في شىءٍ منهما قصّمته»(٣).

وَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الَّذِي أَنْشَأْتَ الْأَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ سَبْخٍ، وَ صَيَّرْتَ مِائًا صِوَرَاتٍ مِنْ غَيْرِ مِثَالٍ، وَ ابْتَدَعْتَ الْمُتَبَدِّعَاتِ بِالْاِخْتِدَاءِ. أَنْتَ الَّذِي قَدَّرْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَقْدِيرًا، وَ يَسَّرْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَيْسِيرًا، وَ دَبَّرْتَ مَا دُونَكَ تَدْبِيرًا. أَنْتَ الَّذِي لَمْ يُعْنِكَ عَلَى خَلْقِكَ شَرِيكٌ، وَ لَمْ يُؤَاوِرَكَ فِي أَمْرِكَ وَزِيرٌ، وَ لَمْ يَكُنْ لَكَ مُشَاهِدٌ وَ لَا نَظِيرٌ.

<«الإنشاء»: إحداث الشىء و إيجاده.

ص : ٢٠٧

١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٩٤.

٢- ٢. قارن: «نور الأنوار» ص ١٩١.

٣- ٣. راجع: «بحار الأنوار» ج ٧٠ ص ١٩٢، «شرح ابن أبيالحديد» ج ١١ ص ١٠٥، «منيه المريد» ص ٣٣٠.

و «السنخ» من كل شيء: أصله و مادته. و في نسخه: «من غير شبح» — محرّكه بالشين المعجمه و الموحده من تحت و بعدها حاء مهمله (١) < — ، > و هي: الصورة الذهنيّة التي يتصوّرُها البناء قبل العمل، ثمّ يعمل في الخارج ما يوافقها (٢) <؛ أو: ما يرى من بعيد.

و «صورت ما صورت» أي: صورته، بحذف العائد. و هو يشتمل أنواع الصور — نوعيّة كانت أو جسميّة أو شخصيّة، و عنصريّة كانت أو فلكيّة — .

> و «المثال» — بالكسر — : مصدر: ماثله مماثله و مثالا: شابهه؛ ثمّ استعمل في وضع شيء ما ليحتذى به في ما يعمل؛ أو: مقابله شيء بشيء و هو نظيره؛ أي: من غير مثال سابق.

و «ابتداع» الشيء: صنعه و إيجاده و إحداثه؛ و معناه الإصطلاح قد مرّ.

و «احتذيت» به احتذاء: إقتديت به في فعله.

و الظرف في محلّ نصب حالا من الفاعل؛ أي: أحدثت المحدثات و أوجدت الموجودات من غير اقتداء منك بموجد و محدث قبلك (٣) <. > قال الغزالي: «قد يظنّ أنّ «الخالق» و «الباري» و «المصور» ألفاظ مترادفة، و أنّ الكل يرجع إلى الخلق و الإختراع. و ليس كذلك؛ بل كلما يخرج من العدم إلى الوجود مفتقر إلى تقديره أولاً، و إلى إيجاده على وفق التقدير ثانياً، و إلى التصوّر بعد الإيجاد ثالثاً. فالله — تعالى — خالق من حيث إنّهُ مقدّر، و باري من حيث إنّهُ مخترع موجد، و مصوّر من حيث إنّهُ مرتّب صور المخترعات أحسن ترتيب. و هذا كالبناء مثلاً، فإنّه يحتاج إلى مقدّر يقدر ما لا بدّ منه من الخشب و اللبن و مساحه الأرض، و هذا يتولاه المهندس، فيرسمه و يصوره؛ ثمّ يحتاج إلى بناء يتولّى الأعمال التي عندها تحدث أصول الأبنية؛ ثمّ يحتاج إلى مزين ينقش ظاهره، فيتولاه غير البناء؛ هذه هي العادة في التقدير في البناء و التصوير. و ليس كذلك في أفعاله — تعالى — ، بل هو المقدّر و

ص: ٢٠٨

١-١. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٩٥.

٢-٢. قارن: «نور الأنوار» ص ١٩١.

٣-٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٩٧.

الموجد و الصانع، و هو الخالق و البارى و المصوّر» (١)(٢)؛ انتهى.

أقول: البرهان على أنّ صانع كلّ شىء فمن شىء صنع و الله لا من شىء صنع: أنّ الأول _ سبحانه _ كونه هو و كونه صانعاً شىء واحد و حيثيته واحدة، لأنّه واحدٌ صرفٌ لاكثره فيه، فهو بذاته صانعٌ؛ و إلاّ فلو كانت صانعيته بشىء غير هوّيته يلزم اختلاف الجهتين؛ و هو محالٌ. و أمّا سائر الصنّاع و الفواعل فليست كذلك، فإنّها من شىء غير ذواتها يصنع ما يصنع _ كآله أو ملكه نفسانيّه أو مادّه أو معاونٍ _، و ربّما اجتمعت عدّة من هذه الأمور فى تتميم فعلٍ. كالإنسان مثلاً إذا صنع شيئاً _ كالكتابه _ فإنّه يحتاج إلى آله _ كاليد و القلم _، و إلى ملكه الكتابه، و إلى مادّه _ كالقرطاس _، و إلى معاونٍ يتّخذ له الآله الخارجيه و يصلح له مادّه الكتابه.

و أيضاً: كلّ صانعٍ ما يصنع لأجل غرضٍ و غايه غير ذاته، و الله _ سبحانه _ لا غرض و لا غايه فى صنعهِ إلاّ ذاته.

و «تقديره كلّ شىء» عبارة عن إيجاده لجميع الأشياء على وفق قضائه، كلاً بمقداره؛

أو نقول: «تقديره»: إعطاؤه كلّ شىء ما يطلبه بلسانه الإستعدادى فى عينه الثابته.

و «تقديره»: >مصدرٌ مؤكّدٌ لعامله باعتبار حدّثه المفهوم منه مطابقه، أى: تقديره بليغاً لا يكتنه كنهه و لا يوصف شأنه.

و «تيسير» الشىء: تهيئته لما يراد منه. و أصله من: التيسير بمعنى: التسهيل، لأنّ الشىء إذا هيئ سهل استعماله. و المعنى: أنّه _ تعالى _ هيأ كلّ شىء لما خلقه له.

و «تدبيره» _ تعالى _ يعود إلى تصريفه لجميع الذوات و الصفات تصريفاً كلياً و جزئياً على وفق حكمته و عنايته (٣) >.

و «لم يوازرَكَ» > أى: لم يعاونَكَ و لم يتحمّل أوزارك و أثقالَكَ، لأنّ «الوزر» هو: حمل

ص : ٢٠٩

١-١. راجع _ مع اختلافاتٍ _ : «المقصد الأسنى» ج ١ ص ٧٥.

٢-٢. قارن: «نور الأنوار» ص ١٩١.

٣-٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٢٩٧.

الثقيل؛ و به سَمَى الوزير _ لتَحْمَلْهُ أَثْقَالُ السُّلْطَانِ _ (١) <.

و المراد بـ «الأمر» هنا: الحكم و الشأن، أى: لم يحاملك فى حكمك أو شأنك محاملٌ. لَمَّا ثَبِتَ بالبرهان وحدانيته و كمال قدرته _ التى لاتعجز عن شىءٍ _ لاجرم ثبت أنه لم يكن له شريكٌ فيعنيه على خلقه.

و «لم يكن لك مشاهدٌ و لانتظيرٌ» أى: أنه _ تعالى _ منزّهٌ من أن يشاهد و يعاين، و ان يكون له شبيهها. و ذلك لأنّ واجب الوجود لا يوصف بشىءٍ من أنحاء الوحده الغير الحقيقته، فلاشريك له فى شىءٍ من المعانى و المفهومات الحقيقته؛

فلامجانس له _ إذا لاجنس له _ ؛

و لامماثل له _ إذا لانوع له _ ؛

و لامشابه له _ إذا لا كيف له _ ؛

و لامساوى له _ إذا لا يوصف بكّم _ ؛

و لامطابق له _ إذا لا يوصف بوضع _ ؛

و لا محاذى له _ إذا لا يوصف بأين _ ؛

و لامناسب له _ و إن وصف بالصفات الإضافيه، و ذلك لأنّ جميع الصفات الإضافيه يرجع إلى إضافهٍ واحدهٍ هى القِيُومِيَه _ ؛

و إذا لا مؤثّر و لا موجد سواه فلامشاركه له فى صفه القِيُومِيَه؛

و إذا لامحلّ له فليست له نسبة الحلول _ كما يقول النصارى _ ؛

و إذا هو بذاته واجبٌ و ماسواه ممكنٌ فليست له نسبة الإتحاد _ كما يقوله جهّال المتصوّفه _ ؛

و إذا لامناسب له فالمناسبات التى أثبتتها بعض المتصوّفه فى حقّه _ تعالى _ كلّها أوهامٌ مضلّّه؛

ص : ٢١٠

و إذا كان كذلك فلامعين له و لاشبيه له و لاوزير.

و قد عرفت أنّ كلّ ذلك ثابتٌ له بنحوٍ أعلى و أشرف؛ فلانفاه بين ما ذكر و ما مرّ؛ فتبصّر!

أَنْتَ الَّذِي أَرَدْتَ فَكَانَ حَتْمًا مَا أَرَدْتَ، وَ قَضَيْتَ فَكَانَ عَدْلًا مَا قَضَيْتَ، وَ حَكَمْتَ فَكَانَ نِصْفًا مَا حَكَمْتَ. أَنْتَ الَّذِي لَا يُحَوِّكُ مَكَانٌ، وَ لَمْ يَقُمْ لِسُلْطَانِكَ سُلْطَانٌ، وَ لَمْ يُعْيِكَ بُرْهَانٌ وَ لَا بَيَانٌ. أَنْتَ الَّذِي أَحْصَيْتَ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا، وَ جَعَلْتَ لِكُلِّ شَيْءٍ أَمَدًا، وَ قَدَّرْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَقْدِيرًا.

«الإرادة» قد تقدّم معناها. و هي فينا: شوقٌ متأكّدٌ عقيب داعٍ هو تصوّر الشيء الملائم الحسّي أو الظنّي أو الحقيقي تصوّرًا تخيليًّا أو ظنّيًّا أو عقليًّا موجبٌ لتحريك القوى المحرّكة للأعضاء الآليه لتحصيل ذلك من حدود العلم إلى حدود العيان و الشهود؛ و في الواجب — تعالى —: هي المحبّة الإلهيّة التابعة لإبتهاجه بذاته — التي هي ينبوع كلّ فضيله و كمال و كلّ حسن و جمال —، و هو نفس علمه بنظام الخير الذي هو عين ذاته المقتضيه للنظام الكلّي المؤدّيه للخيرات أتم اقتضاء و تأديّه، لأنّه لما علم ذاته — الذي هو أجل الأشياء — بأجل علم، يكون مبتهجا بذاته أشدّ الإبتهاج.

فالواجب — تعالى — يريد الأشياء لا- لأجل ذواتها الإمكانية، بل لأجل أنّها آثارٌ صادرة عنه — تعالى —. فالداعي في إيجاده للممكنات و الغايه لها هو ذاته — تعالى — فاعلا- و غايه — كما مرّ سابقاً —. فهو الأوّل و الآخر. فكلّ ما أراد الله وقوعه إرادّة ذاتيّة أزليّة فيجب تحقّقه، «لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ» (١) و لا رادّ لقضائه.

و اعلم! أنّ حقيقه «الأمر» التكويني و الإراده الإلهيّة بالمعنى الذي مرّ كلتاهما واحده، فأمره لكلّ شيء عين إرادته له؛

ص : ٢١١

و أنَّ أمره و إرادته للموجودات ليس أمر قسِرٍ و إجبارٍ، و لا إرادته قهَرٍ و اضطرارٍ، بل ما أمرهم إلّا ما أحبّوه و لا أراد منهم إلّا ما عشقوه بحسب ذواتهم الأصليّة و مهّيّاتهم الذاتيّة في المرتبة العلميّة الإلهيّة المعبّره بالفيض الأقدس. فلولا- سبق السؤال الإستحقاقيّ الفطريّ في هذه المرتبة لما ورد الأمر من الله بالدخول إلى دار الوجود بالفيض الأقدس _ كما مرّ غير مرّة _ .

فإن قيل: أين للمعدوم لسانٌ يسأل بها؟!

قلنا: هيهات هيهات!، أنت بعدُ في الحجب و الضلالات!؛ هل يكون وجودٌ أقوى من الوجود الإلهيّ؟! و قد حقّقنا لك سابقاً ثبوت أعيانهم و ثبوت ما هو بمنزلة لسانهم، و هو المشار إليه في قوله _ صَلَّى الله عليه و آله و سلّم _ : «انّ الله خلق الخلق في ظلمه ثمّ رشّ عليهم من نوره»^(١) _ ... الحديث _ ؛ فالأوّل إشارة إلى الفيض الأقدس، و الثاني إلى الفيض المقدّس.

و من ههنا ضلّت المعتزلة من أهل الكلام فذهبوا إلى إنفكاك الماهيات عن وجودها، فبعدوا عن الحقّ بمراحل!. فعليك بالتأمّل الكامل!.

و «الحتّم»: مصدرٌ بمعنى: إحكام الأمر و إبرامه و الجزم به.

<و «ما» في الفقرات الثلاث مصدريةٌ؛ أى: أردت فكان حتماً إرادتك، و قضيت فكان عدلاً قضاؤك^(٢)>، و حكمت فكان نصفاً حكمك _ أى: عدلاً حكمك و قضاؤك _ .

و «النّصف»: اسمٌ من: أنصف إنصافاً: إذا عدل و أقسط.

و المراد بـ «قضائه» _ تعالى _ : هو الذى تعلّقت به إرادته الحتميّه و مشيئته القطعيّه.

و «حواه» يحويه حوايه: ضمّه و جمعه.

ص : ٢١٢

-
- ١- ١. لم أعثر عليه في مصادرنا، و انظر _ مع اختلافٍ يسير _ : «مسند أحمد» ج ٢ ص ١٧٦، «المستدرک على الصحيحين» ج ١ ص ٣٠، «إتحاف الساده المتّقين» ج ١٠ ص ٥٢١، «تفسير ابن كثير» ج ٦ ص ٦٤.
- ٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٣٠٠.

اعلم! أنّ من إمارات المكان و خواصّه: أنّ كلّ جسمٍ نسب إلى مكانٍ _ بأنّه فيه _ ، يكون مكانه غيره و غير أجزائه، و يصحّ إنتقاله منه بالكلّيّة، أو تبدّل أجزائه بالنسبة إلى أجزائه إن لم ينقل، و يصحّ حصول جسمين في واحدٍ منه على سبيل البدل، و لا ينتقل بإنتقال الجسم و لا تحصل معه مباينةٌ بحسب الوضع فيه؛ بل هو بجملته مساوٍ له.

و هو لا يجوز أن يكون أمراً غير منقسم، و لا أن يكون منقسماً في جههٍ واحدٍ فقط _ لاستحاله حصول الجسم في النقطة و الخطّ _ ، فهو إمّا منقسمٌ في جهتين _ فيكون سطحاً _ ، أو في الجهات _ فيكون بُعداً _ .

و إذا كان سطحاً لا يجوز أن يكون حالاً في المتمكّن _ و إلّا لانتقل بانتقاله، بل فيما يحويه _ ؛ و لا بدّ أن يكون مماسّاً للمتمكّن حاوياً من جميع الجوانب _ و إلّا- لم يكن مماسياً له، كما هو مذهب المشائين _ . و عزّفوه بـ: أنّه السطح للحاوي المماسّ بالسطح الظاهر للمحوي (١).

و إذا كان بُعداً لم يجز أن يكون عرضاً _ لتوارد المتمكّنات عليه _ ؛ و لا مادياً _ و إلّا لزم تداخل الجواهر الماديّة _ ؛ فهو بُعدٌ مجردٌ منطبقٌ على مقدار الجسم بكتّيته _ كما هو مذهب الإشراقيين (٢) _ .

و لاستبعاد في وجود هذا البعد المجرد عن المادّه بعد التصديق بوجود الصوره الخياليّة و المناميّة المعلومه بالضروره؛ غايه الأمر أنّ ذلك ممّا ليس بقابلٍ للإشاره الحسيّة و المكان قابلٌ لها بتبعيّة المتمكّن؛

و يتعيّن بتعيّنه، و لا ضير في ذلك؛

ص: ٢١٣

١- ١. انظر: «النجاه» ص ٢٣٣، «شرح حكمه العين» ص ٤٠١، «المعتبر في الحكمه» ج ٢ ص ٤٠.

٢- ٢. و انظر: «سه رساله» _ للشيخ الإشراقي _ ص ٨٥.

و أما حديث إمتناع التداخل فقد ثبت أنّ ذلك مختصّ بالمادّيات؛

و أيضاً: فإذا فرضنا خروج الماء من الإناء مثلاً و عدم دخول الهواء فيه يلزم أن يكون البعد الثابت بين أطراف الإناء موجوداً؛

و أيضاً: فإنّ كون الجسم فى المكان ليس بسطحه فقط، بل و بحجمه؛ فيكون كالجسم ذا أقطارٍ ثلاثه؛ فهو إذن ليس إلاّ البعد.

و عند المتكلمين هو: البعد المجرد الموهوم (١)؛

و عند الفقهاء: ما يمنع السقوط.

و لما كان _ تعالى _ مبرّءً عن الجسميّة و لواحقها من الجبهه المخصوصه و الوضع المخصوص و سائر اللوازم و اللواحق، فهو _ تعالى _ برىء عن المكان و لواحقها إلاّ على النحو الذى ذكرناه؛ فتبصّر!.

و قال بعض الفضلاء: «نفى المكان و الحيّز عنه _ تعالى _ ممّا اتّفق عليه العقلاء، خلافاً للمجسّـمه _ المحكوم بكفرهم بلسان الأنبياء _ .

و الدليل على نفيهما: أنّه لو كان صانع العالم فيهما لزم إمكان الواجب، أو وجوب الممكن، و كلاهما محالان _ لاستحاله الانقلاب _ ؛

بيان الملازمه: أمّا فى لزوم إمكان الواجب: فلأنّ الكون فى الحيّز من مقتضيّات الإمكان و خواصّه، فلو تحيّر الواجب _ تعالى _ شأنه _ أو التصق بالمكان لكان محتاجاً إليهما، فلزم امكانه؛

و أمّا وجوب الحيّز و المكان: فلاستلزامه سبقهما عليه، فيكون كلّ منهما واجب الوجود _ لإستغنائه عن المتحيّز و المتمكّن _ .

و الحاصل: أنّ وجوب الوجود يدلّ على نفى الأين له، فإنّ من كان فى الأين يكون محوياً

ص : ٢١٤

١- ١. و انظر: «رسائل الشريف المرتضى» ج ٤ ص ٢٣، «شرح المقاصد» ج ١ ص ١٩٣، «شرح القوشجى على التجريد» ص ١٥٦.

و محتاجاً إليه؛ و قد تبين أنّ مقتضاه الإحاطه بكلّ شيء _ كما قال تعالى: «أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ» (١) _ .

قوله _ عليه السلام _ : «و لم يقم لسلطانك سلطان» > أى: لم يقم لمعارضه سلطنتك و ملكك أحد (٢) <؛ قال الزمخشريّ فى الأساس: «ما قام له (٣): إذا لم يطقه» (٤).

و «لم يعيك»: من الإعياء، و هو: الكلال من العمل.

و «جعلت لكلّ شيءٍ أمداً» أى: زماناً و أجلاً و غايةً.

أَنْتَ الَّذِي قَصَّرْتَ الْأَعْوَهاِمَ عَنْ ذَاتِيكَ، وَ عَجَزْتَ الْأَفْهَامَ عَنْ كَيْفِيَّتِكَ، وَ لَمْ تُدْرِكِ الْأَبْصَارُ مَوْضِعَ أَيْتِيكَ. أَنْتَ الَّذِي لَا تُحَدُّ فَتَكُونُ مُحْدُوداً، وَ لَمْ تُمَثَّلْ فَتَكُونُ مَوْجُوداً، وَ لَمْ تَلِدْ فَتَكُونِ مَوْلُوداً.

> «ذاتيتي» _ تعالى _ عبارة عن: كنهه و حقيقته القائمه بذاته، فإن «ياء» النسبه إذا لحقتها «التاء» أفادت معنى المصدرية _ كالألوهية و الربوبية _ (٥) <.

و قد تقدّم الكلام على قصور الأوهام عن الإحاطه بكنه ذاته؛ و كذا كنه صفاته _ لأنّ الصفات عين الذات _ .

و «عجزت الأفهام عن كيفيتك»، لأنّ كلّ ما يقع فى الأوهام و الأفهام فصورها الإدراكيه و كيفيات نفسانيه و أعراض قائمه بالذهن، و معانيها مهيات كليات قابله للإشتراك و التجزيه؛ و واجب الوجود صرف الوجود و الآتيه، فيمتنع أن يكون محاطاً للأفهام البشريه.

و «لم تدرك الأبصار موضع أيتيتك»، لأنك منزّه عنهما و لوازمهما. و المعنى: كيفيتك

ص : ٢١٥

١- ١. كريمه ٥٤ فصلت.

٢- ٢. قارن: «نور الأنوار» ص ١٩٢.

٣- ٣. المصدر: + و لا يقوم له.

٤- ٤. راجع: «أساس البلاغه» ص ٥٢٨ القائمه ٢.

٥- ٥. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٣٠٦.

ليست كالكيفيات المألوفة حتى تدركها الأفهام، و كذا الكلام فى الأيتيه.

و ظاهر هذه الفقره يدلّ على أنّ له _ تعالى _ كيفاً و أيناً، و لكنّهما غير الكيف و الأين اللّازمين للحدوث _ لأنّهما من مقوله الأعراض و العرض مطلقاً فى محلّ التغيّر و يتغيّر به المحلّ، و التغيّر من خواصّ الممكن. فالواجب خلوّ عنها كما أنّ الممكن خلوّ عن خواصّ الواجب _ .

و الأحاديث فى هذا الباب كثيره؛

منها: فى الكافى (١) عن أمير المؤمنين _ عليه السلام _ أنّه سئل: «أين كان ربّنا قبل أن يخلق أرضاً و سماء؟» (٢)

فقال _ عليه السلام _ : «أين» سؤالٌ عن مكانٍ، و كان الله و لا مكان!»؛

و منها: فى التوحيد (٣) عن سليمان بن مهران قال: «قلت لجعفر بن محمّد _ عليهما السلام _ : هل يجوز أن نقول: إنّ الله _ عزّ و جلّ _ فى مكانٍ؟

فقال: سبحان الله و تعالى عن ذلك!، أنّه لو كان فى مكانٍ لكان محدثاً _ لأنّ الكائن فى مكانٍ محتاجٌ إلى المكان، و الإحتياج من صفات المحدث لا من صفات القديم _»؛

و منها: فى التوحيد (٤) فى حديث عبدالأعلى عن أبى عبد الله _ عليه السلام _ قال: «أتى رسول الله _ صلى الله عليه و آله و سلّم _ يهودىّ يقال له: سَبَخْتُ؛ فقال له: سل عمّا شئت!

فقال: أين ربّك؟

فقال: هو فى كلّ مكانٍ و ليس هو فى شىءٍ من المكان بمحدودٍ؛

قال: و كيف هو؟

ص : ٢١٦

١-١. راجع: «الكافى» ج ١ ص ٨٩ الحديث ٤، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٣ ص ٣٢٦، «التوحيد» ص ١٧٥ الحديث ٤.

٢-٢. المصدر: سماء و أرضاً.

٣-٣. راجع: «التوحيد» ص ١٧٨ الحديث ١١، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٣ ص ٣٢٧.

٤-٤. راجع _ مع تغييرٍ _ : «التوحيد» ص ٣٠٩ الحديث ١، و انظر: «الكافى» ج ١ ص ٩٤ الحديث ٩، «بحار الأنوار» ج ١٧ ص ٣٧٣، «القصص» _ للراوندى _ ص ٢٨٣.

فقال: وكيف أصف ربّي بالكيف والكيف مخلوقٌ والله لا يوصف بخلقه؟! _ ... الحديث _ .

و أحاديث كثيرة تدلّ على أنّه في كلّ مكانٍ، وأنّه لا يخلو منه مكانٌ؛

و روى في الكافي (١) _ في باب إطلاق القول بأنّه شيءٌ _ عن أبي عبدالله _ عليه السلام _ حيث قال: «و لكن لا بدّ من إثبات أنّ له كَيْفِيَّةً لا يستحقّها غيره و لا يشاركه فيها و لا يحاط بها و لا يعلمها غيره»؛ انتهى.

و وجه الجمع بين الأحاديث ما ذكرناه لك من أنّ جميع المقولات يثبت له _ تعالى _ بنحوٍ أشرف و أعلى.

«أنت المذّي لاتحدّ فتكون محدوداً»، و ذلك لأنّ كلّ وجودٍ غير وجوده _ تعالى _ فهو يشوبه عدمٌ و نقصٌ، فيحتاج إلى موجدٍ. و له حدٌّ من مراتب الوجود يحتاج إلى محدّدٍ، إذ لو كان نفس طبيعته الوجود يقتضى ذلك الحدّ لكان الجميع كذلك، و ليس كذلك؛ هذا خلفٌ! فإذا كلّ ما له حدٌّ وجوديّ فله علّة محدّدة تحدّده على ذلك الحدّ. و هذا بخلاف الوجود الإلهيّ الذي لا ينتهي شدّةً إلى حدٍّ و نهايه، بل هو وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى.

قوله _ عليه السلام _ : «و لم تمثّل فتكون موجوداً»، قيل أى: «لا يقدر العقل على أن يمثلك و يصوّرك حتّى تكون موجوداً فيه بتلك الصورة و المثال؛ أو: فتكون موجوداً من جملة الموجودات؛ أو: فيقع عليك الإيجاد» (٢).

و قيل: «معناه: فيكون موجود المثل بحيث يكون ظاهراً للبصر و لو في وقتٍ ما، أو يتصوّر فيكون موجوداً على تلك الصورة»؛

و قيل: «يجوز أن يكون مأخوذاً من قولهم: وجدت الظالّة، أى: أصبتها؛ فالمعنى: أنّ العقل

ص : ٢١٧

١- ١. راجع: «الكافي» ج ١ ص ٨٣ الحديث ٤، و انظر: «بحار الأنوار» ج ١٠ ص ١٩٨.

٢- ٢. هذا قول المحدث الجزائري، راجع: «نور الأنوار» ص ١٩٢.

لم يمثلك بمثالٍ حتّى يقال: أنّه وجدك و أنت موجودٌ له»^(١)؛

و قيل: «الكلام على الخطابه و غايه الإقناع»؛

و لا يخفى بعد بعض ما ذكر و سخافه بعض آخر!

و التحقيق أنّ التمثيل يطلق على ثلاثه معانٍ:

التمثّل بمعنى: التّصوّر _ أو: التمثّل العلمى _ ؛

و التمثّل بمعنى: التشكّل الخارجى _ كتمثّل جبرئيل بصوره دحيه الكلبى^(٢) _ ؛

و التمثّل بمعنى ما له مثلاً؛

و كلّ من هذه الثلاثه تصحّح^(٣) إرادته هنا؛

أمّا الأول: فلأنّ ما سواه _ تعالى _ وجوده الخارجى مسبوقٌ بالصور العلميه و الأعيان الثابته فى مرتبه الإلهيه، بخلاف الواجب _ سبحانه _ ، إذ ليس فوقه شىء حتّى يتصوّر و يتمثّل بهذا المعنى فى حقّه _ تعالى _ فيكون موجوداً به؛

و أمّا الثانى: فلأنّه يستلزم المحدوديه و المادّيه، و هو عليه _ سبحانه _ محالٌ؛ و المعنى: و لم يتشكّل فتكون موجوداً به؛

و أمّا التمثيل بمعنى ما له مثلاً: فلأنّ المماثله الحقيقيه إنّما يتحقّق فى ما إذا كان أحد المثلين مشتركاً مع مماثله فى كلّ شىء _ حتّى فى نفس الحقيقه بما هى هى _ ، و هى مستحيله بديهه، لامتناع حصول الإثنيّه، فإذا حصلت الإثنيّه لزم التركيب المنافى لبساطه الحقيقيه _ إذ كلّ ما له مثلاً فذاته مركّبٌ من جزئين:

أحدهما: جهه الإتحاد و المجانسه؛

و الثانى: جهه الإمتياز و الإثنيّه، فلا يتحقّق بنفس معناه بل بوجود زائدٍ عليه _ .

ص: ٢١٨

١- ١. كما حكاه المحدث الجزائري، راجع: نفس المصدر.

٢- ٢. فانظر: «الكافى» ج ٢ ص ٥٨٧ الحديث ٢٥، «بحار الأنوار» ج ١٤ ص ٣٤٣، «الصراط المستقيم» ج ١ ص ٢٠٨، «الفضائل» ص ٩٦.

٣- ٣. هكذا فى كـ _ ل من النسختين، و الظاهر: لاتصحّ.

فالمعنى على هذا: و لم يكن لك مثل فتكون موجوداً بوجودٍ زائدٍ عليك.

و يحتمل أن يكون موجوداً بمعنى: مدرَكًا _ من: الوجدان _ ، أى: لم يتصوّر فى الذهن حتّى يكون مدرَكًا؛ لما تقرّر من أنّه ليس لوجود الواجب وجودٌ ذهنيٌّ _ لأنّ الخارجيّ عين حقيقته، فإذا حصل فى الذهن لزم الانقلاب _ .

قال بعض الفضلاء: «قد دلّت العقول السليمه و الأفهام المستقيمه على تنزيهه _ سبحانه _ عمّا لا يليق بجناحه المقدّس _ مثل الجسميّه و الصوره و الحركه و الإنتقال و الحلول و الإتحاد و كونه محلاً للحوادث، و فى جهه أو مكانٍ أو زمانٍ، و كونه مرئياً لشيءٍ من الحواسّ، و غير ذلك من النقائص الّتى هى من صفات الممكنات _ ؛ بل نقول: أنّه _ سبحانه _ منزّه عن كلّ وصفٍ من أوصاف الكمال الّذى يظنّه أكثر الخلق، لأنّ الخلق إنّما يصفونه بما هو كمالٌ فى حقّهم و الله _ تعالى _ منزّه عن أوصاف كمالهم _ كما أنّه عزّ و جلّ منزّه عن أوصاف نقصهم _ . و كلّ صفه يوصف بها الخلق _ ممّا يدركه حسّ أو يتصوره خيالٌ أو يسبق إليه وهمٌ أو يختلج به ضميرٌ أو يفضى به فكرٌ _ فهو مقدّسٌ عنها و عما يشبهها و يماثلها، و لولا ورود الرخصه و الإذن بإطلاقها لم يجز إطلاق أكثرها. قال باقر العلوم _ صلوات الله عليه _ : «هل سمى عالماً و قادراً إلّا لأنّه وهب العلم للعلماء و القدره للقادرين؟!، و كلّ ما ميّزتموه بأوهامكم فى أدقّ معانيه مخلوقٌ مصنوعٌ مثلكم مردودٌ إليكم، و البارى _ تعالى _ واهب الحياه و مقدّر الموت. و لعلّ النمل الصغار يتوهم أنّ لله زبانيّتين! _ فإنّهما كمالها و يتصوّر أنّ عدمهما نقصان لمن لا تكونان له!! _ ، هكذا حال العقلاء فيما يصفون الله _ تعالى _ فيما أحسب؛ و إلى الله المفزع!» (١).س

و أمّا إتصافه _ عزّ و جلّ _ بما يوهم التشبيه ممّا ورد فى الكتاب و السنّه، فإنّما ذلك من حيث أسمائه و صفاته و معيّته للأشياء، لا من حيث ذاته بما هى هى؛ فهو _ جلّ جلاله _ من حيث ذاته منزّه عن التنزيه و التشبيه؛ انتهى.

ص : ٢١٩

١- ١. لم أعثر عليه، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٦٦ ص ٢٩٢، «إرشاد القلوب» ج ١ ص ١٧١.

أقول: قد عرفت مراراً أنَّ كلَّ ما ورد من الآيات و الأخبار فى التنزيه و التشبيه فهو محمولٌ على ظاهره من غير تأويلٍ و لاتعطيلٍ، و لكن بالمعنى الذى ذكرناه؛

مع أنه _ سبحانه _ منزّه عن الأمرين جميعاً؛ فتفكر و تبصر!.

قوله _ عليه السلام _ : «و لم تلد فتكون مولوداً».

«ولّد» يلد _ من باب وعد يعد _ : إذا حصل منه ولّد. و هذه الفقره بعينها وقعت فى قول جدّه علىّ _ عليهما السلام _ فى بعض خطبه التى أوردت النهج: «لم يلد فيكون مولوداً»^(١)، تنبيهاً على أن كلَّ ما يلد فقد اقتضى طبيعته أن يكون مولوداً، إلّا أن يكون هناك سببٌ هو أعلى من الطبيعه يجبرها على خلاف مقتضاها _ لحكمه قضائيه و غايه أخرويّه _ فحصل والدٌ ليس بمولودٍ من مادّه واحده من نوعه، بل من مادّه أبعد من تلك المادّه _ كحدوث آدم أبى البشر _، فلم يرد به نقصٌ على ما ذكره.

قال ابن أبيالحديد^(٢): «لقائل أن يقول: كيف يلزم من كونه والداً كونه مولوداً و آدم والدٌ و ليس بمولودٍ؟!

و جوابه: إنّ المراد: أنّه يلزم من فرض صحّه كونه والداً صحّه كونه مولوداً؛ و الثانى محالٌ؛ فالمقدّم مثله. و إنّما قلنا بلزوم ذلك، >لأنّه لو صحّ أن يكون والداً على التفسير المفهوم من الوالديه _ و هو أن يتصوّر من بعض أجزائه حتّى آخر من نوعه على سبيل الإستحالة لذلك الجزء، كما نعلقه فى النطفه^(٣) < المنفصله من الإنسان المستحيله إلى صورهِ أخرى حتّى يكون منها بشرٌ آخر من نوع الأوّل _ يصحّ أن يكون هو مولوداً من والدٍ آخر قبله. و ذلك لأنّ الأجسام متماثله فى الجسميه، و قد ثبت ذلك بدليلٍ عقليّ واضحٍ فى مواضعه التى هى أملك به. و كلّ مثلين فإنّ أحدهما يصحّ عليه ما يصحّ على الآخر، فلو صحّ كونه والداً صحّ كونه

ص : ٢٢٠

١- ١. راجع: «نهج البلاغه» الخطبه ١٨٦ ص ٢٧٢، و انظر: «شرح ابن أبيالحديد» عليه ج ١٣ ص ٨٠، «الإحتجاج» ج ١ ص ١٩٨، «بحار الأنوار» ج ٧٤ ص ٣١٢.

٢- ٢. راجع _ مع تغييرٍ فى بعض الألفاظ _ : «شرح نهج البلاغه» ج ١٣ ص ٨٠.

٣- ٣. قارن: «نور الأنوار» ص ١٩٢.

مولوداً.

و أمّا بيان أنّه يصحّ كونه مولوداً فلائذّ كلّ مولودٍ متأخّر عن والده بالزمان، و كلّ متأخّرٍ عن غيره بالزمان محدثٌ، فالمولود محدثٌ؛

و الباري _ تعالى _ قد ثبت أنّه قديمٌ و أنّ الحدوث عليه محالٌ؛

فاستحال أن يكون مولوداً؛ و تمّ الدليل.

و هذا كما ترى!، و الوجه ما ذكرناه.

و قال الشيخ ميثم البحراني (١): «و (٢) يحتمل أن يريد بكونه مولوداً: ما هو المتعارف، و يكون (٣) قد سلك في ذلك مسلك المعتاد الظاهر في بادي النظر و (٤) بحسب الإستقراء، و (٥) أنّ كلّ ما له ولدٌ فإنّه يكون مولوداً و إن لم يجب ذلك في العقل. و قد علمت أنّ الإستقراء ممّا يستعمل في الخطابه و يحتجّ بها، فتكون (٦) مقنعاً إذا (٧) كان غايتها الإقناع؛

و يحتمل أن يريد ما هو أعّم من المفهوم المتعارف _ أعنى: التولّد عن آخر مثله من نوعه _، فإنّ ذلك غير واجب _ كما في أصول أنواع الحيوان الحادثه _؛

و حينئذٍ يكون بيان الملازمه (٨) على الإحتمال الأوّل ظاهراً (٩)؛

و أمّا على التقدير الثاني فيبيانها (١٠): أنّ مفهوم الولد (١١): الّذى يتولّد و ينفصل عن آخر مثله من نوعه، لكن أشخاص النوع الواحد لا يتعيّن في الوجود و لا يتشخّص (١٢) إلّا بواسطه المادّه و علاقتها _ على ما علم في مضائه من الحكمه _؛ و كلّ ما كان مادّياً و له علاقته بالمادّه

ص : ٢٢١

١- ١. راجع: «شرح نهج البلاغه» _ لابن ميثم البحراني _ ج ٤ ص ١٦٣.

٢- ٢. المصدر: + اعلم أنّه.

٣- ٣. المصدر: فيكون.

٤- ٤. المصدر: _ و.

٥- ٥. المصدر: _ و.

٦- ٦. المصدر: فيكون.

٧- ٧. المصدر: إذ.

٨- ٨. المصدر: + الأولى.

٩- ٩. المصدر: ظاهرٌ.

١٠-١٠. المصدر: فنقول في بيانها.

١١-١١. المصدر: + هو.

١٢-١٢. المصدر: مشخّصاً.

كان متولّداً عن غيره _ وهو: مادّته و صورته و أسباب وجوده و تركيبه _ ؛ فثبت أنّه _ تعالى _ لو كان له ولدٌ كان مولوداً.

و قيل: «فيكون مولوداً أى: من جنسه و نوعه _ لأنّ الوالد و الولد يشتركان فى النوع و الصنف و العوارض _ ، فيكون جسماً مركّباً محتاجاً»؛

و قيل: «يحتمل أن يكون المراد بـ «المولود»: المخلوق، أى: فيكون جسماً مخلوقاً»؛

و قيل: «المعنى: لم يتّصف بصفه المحدثات فيكون محدثاً»؛

و لا يخفى ما فى هذه الوجوه من السخافه!.

و إن شئت التحقيق فى ذلك فنقول: لما ثبت و تحقّق أنّه _ تعالى _ وجودٌ صرفٌ و أنّيته محضه ليس له مهيهٌ كليّة، فلامجانس و لامماثل له، فلم يلد و لم يولد؛ لأنّ كلّ ما لا يلد مجانساً أو مماثلاً فلا يولد أيضاً _ لتضاعيف الافتقار _ ؛

و لأنّ التوالد عبارة عن كون الشىء مبدئاً لما هو فى نوعه و جنسه، فالولد مشاركٌ لوالده فى درجه الوجود و رتبته فى الكمال، و واجب الوجود لامهيه له حتّى يشاركه شىءٌ فى مرتبه وجوده، فلا ولد و لا والد له؛

و لأنّ التولّد و التوالد إنّما يقعان فيما لا يحفظ نوعه و لا يبقى ذاته إلا بتعاقب الأشخاص، فكلّ مولودٍ والدٌ.

و الحاصل: أنّه _ تعالى _ لبراءته عن الأجسام و المواد، و لأنّ أنّيته نفس مهيته لم تكن له مهيهٌ سوى الهويّه المحضه؛ فلامثل له أصلاً فضلاً عن أن يكون والد له و مولوداً عنه.

أَنْتَ الَّذِى لَا ضِدَّ مَعَكَ فَيَعَايِدُكَ، وَ لَا عِدْلَ لَكَ فَيُكَاثِرُكَ، وَ لَا يَتَدَلَّ لَكَ فَيَعَارِضُكَ. أَنْتَ الَّذِى ابْتَدَأَ، وَ اخْتَرَعَ، وَ اسْتَحْدَثَ، وَ ابْتَدَعَ، وَ أَحْسَنَ صُنْعَ مَا صَنَعَ.

«الضدّ»: المنازع المساوى فى القوّه. و ليس المراد منه ما هو المصطلح فى الحكمة (١) _ و هما: العرضان الموجودان اللّذان لا يجتمعان فى موضعٍ واحدٍ أو محلٍّ واحدٍ، كالسود و البياض، و بينهما غايه الخلاف _ ؛ و إحتمال معنى الإصطلاحى بعيدٌ جدّاً!.

و «العِدْل» _ بكسر العين و فتحها _ بمعنى: >المثل و النظير؛ و قيل: «بكسر العين بمعنى: المساوى فى المقدار، و بفتحها: المساوى فى الحكم و إن لم يكن من جنسه» (٢)(٣) <.

«فيكثر» أى: يغلبك فى الكثره؛ >يقال: كثره مكاثرة: غالبه فى الكثره.

و «النَدّ»: المثل؛ قال الراغب: «نَدّ الشئ: شاركه فى جوهره، و ذلك ضربٌ من المماثله. و بينهما عمومٌ و خصوصٌ مطلقٌ، فكلّ نَدٌّ مثلٌ و ليس كلّ مثلٍ نَدّاً، فإنّ المثل يقال فى أىّ مشاكله كانت» (٤).

و «عارضه» معارضه: فعل مثل فعله (٥) <. و إذ قد ذكرنا لك من أنّه _ سبحانه _ وجودٌ صرفٌ و أُثيّته نفس مهيتّه و لم يكن سوى الهويّه المحضه فلامثل له و لاندّ و لاشبه له و لانظير.

و «الإبتداء» هو: الإيجاد الغير المسبوق بإيجادٍ آخر.

و «الإختراع» هو: الإيجاد لا عن مثالٍ.

و «الإستحداث» هو: الإيجاد من بعد عدمٍ و من غير قدمٍ.

و «الإبتداع» هو: الإيجاد من غير مادّه و مدّه. قال الراغب: «الإبتداع» (٦) إذا استعمل فى

ص : ٢٢٣

-
- ١- ١. و انظر: «المباحث المشرقيّه» ج ١ ص ١٠٣.
 - ٢- ٢. هذا قول الفراء، راجع: «صحاح اللغه» ج ٥ ص ١٧٦١ القائمه ١. أمّا الفيروزآبادى فقد نصّ على خلافه، راجع: «القاموس المحيط» ص ٩٤٨ القائمه ٢.
 - ٣- ٣. قارن: «التعليقات» ص ٩٢.
 - ٤- ٤. هذا قريبٌ من كلامه، راجع: «المفردات» ص ٧٩٦ القائمه ١.
 - ٥- ٥. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٣١٤.
 - ٦- ٦. ههنا حذفت قطعهُ من المصدر.

اللّٰهُ فهو إيجاد الشيء بغير آله (١) و لا مكان، و ليس ذلك إلّا للّٰه (٢)؛ انتهى.

أقول: لا فرق في اللغة بين الإبتداء و الإستحداث، و لا بين الإختراع و الإبتداع؛ و قد تقدّم الفرق بين هذه الأربعة في اللمعات السابقة، فلانعيده خوفاً للإطالة.

و لم يذكر مفعول شيء من هذه الأفعال الأربعة لتنزيل المتعدّي منزله اللازم، لقصد نفس الفعل؛ أي: أنت الذي وجد لك حقيقة الإبتداع و الإختراع و الإستحداث و الإبتداع من غير اعتبار قيد و تعلّق و عموم و خصوص. و المقصود: أنّه _ تعالى _ تامّ الفاعليّة لا ينفكّ فعله عن علمه و إرادته، بل يتبدّى كلّما أراد إبتداه، و يخترع كلّما أراد إختراعه، و استحدث كلّما أراد إستحدثه، و ابتدع كلّما أراد إبتداعه من نفس ذاته بذاته من غير تراخٍ أو تفوّقٍ أو توقّفٍ على شيءٍ آخر _ من ملكه أو صنعه، كما يكتب الإنسان و يبني بيتاً بملكه الكتابه و صنعه البناء _ ، أو صلوح وقتٍ أو استعداد مادّه أو استعمال آله أو حضور معاونٍ أو دفع مانع، ... أو غير ذلك من الأمور التي تمّت بها فاعليّته سائر الفاعلين الناقصين في الفاعليّة؛ بل كونها إيّاه و كونه أحداً من الأمور الأربعة شيء واحدٌ باختلاف ذاتٍ أو اختلاف جهه و اعتبار.

و قد ذكرنا لك سابقاً أنّ كلّاً من هذه الأربعة على قسمين:

ذاتيّة أزليّة ثابتة؛

و حادثه جزئيّة متجدّدة؛

فما ورد من الأحاديث في حدوث هذه الأربعة محمولٌ على القسم الثاني؛

منها: في العيون (٣) في حديث سؤال عمران الصابى عن الرضا _ عليه السلام _ حيث سأله: «بأيّ شيء عرفناه؟

ص : ٢٢٤

١- ١. المصدر: + و لا مادّه و لازمان.

٢- ٢. راجع: «المفردات» ص ١١٠ القائمه ٢.

٣- ٣. راجع: «عيون أخبار الرضا» ج ١ ص ١٧١، و انظر: «التوحيد» ص ٤٣٣ الحديث ١، «بحار الأنوار» ج ١٠ ص ٣١١.

قال: بغيره!

قال: فأى شىء غيره؟

قال الرضا _ عليه السلام _ : مشيئته و اسمه و صفته و ما أشبه ذلك، و كل ذلك محدث مخلوق مدبر _ ... إلى آخره _ .

و مما سأل عمران على بن موسى الرضا _ عليه السلام _ أنه قال: «يا سيدي! ألا تخبرني عن الإبداع خلق هو أم غير خلق؟

قال _ عليه السلام _ : بل خلق ساكن لا يدرك بالسكون، و إنما صار خلقاً لأنه شىء محدث و الله الذى أحدثه، فصار خلقاً له _ ... الحديث _ «(١)».

و مما خاطب مولانا على بن موسى الرضا _ عليه السلام _ عمران الصابى أنه قال _ عليه السلام _ : «اعلم! أن الإبداع و المشيئة و الإرادة معناها واحد و أسماؤها ثلاثة _ ... الحديث _ «(٢)»؛

إلى غير ذلك من الأحاديث؛ فتبصر!

قوله _ عليه السلام _ : «و أحسن صنع ما صنع»، قال الراغب: «الصنع هو(٣) : إجاده الفعل، و كل(٤) صنع فعل و ليس كل فعل صنعاً. و لا ينسب إلى الحيوانات و الجمادات كما ينسب إليها الفعل»(٥)؛ و فيه تلميح إلى قوله _ تعالى _ : «الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ»(٦).

و قد فسر «إحسانه _ تعالى _ صنع ما صنع» بـ : «إحكامه له أو إتقانه إياه؛ أو يجعل كل شىء خلقه و صنعه حسناً على مقتضى الحكمة و المصلحه، حتى أنه جعل الكلب حسناً لأنه أحسن خلقه من جهة الحكمة _ فجميع المخلوقات حسنٌ و إن تفاوت إلى حسنٍ و أحسنٍ _ ؛ أو بعلمه صنع ما صنع قبل صنعه كيف يصنعه، من قولهم: «قيمة المرء ما يحسنه»(٧) أى:

ص : ٢٢٥

١-١. راجع: نفس المصدر و المجلد ص ١٧٤.

٢-٢. راجع: نفس المصدر و المجلد أيضاً ص ١٧٣.

٣-٣. المصدر: _ هو.

٤-٤. المصدر: فكل.

٥-٥. راجع: «المفردات» ص ٤٩٣ القائمه ١.

٦-٦. كريمه ٧ السجده.

٧-٧. القوله نقلها العلامة المجلسي عن أمير المؤمنين _ عليه السلام _ ، راجع: «بحار الأنوار» ج ٦٢ ص ٤٩، و لم أعر عليها فى غيره.

يحسن معرفته و يعرفه معرفهً حسنهً بتحقيقٍ و إتقانٍ»(١).

أقول: التفسير الأول أحسن، لدلاله أفعال المحكمه المتقنه و كون العالم على أشرف النظام و أحكم ترتيبٍ و أحسن تقويمٍ عليه، و إن كان الأخيران يرجعان إليه.

سُبْحَانَكَ! مَا أَجَلَ شَأْنِكَ، وَ أَشْنَى فِي الْأَمْكَانِ مَكَانَكَ، وَ أَصْدَعَ بِالْحَقِّ فُرْقَانَكَ! سُبْحَانَكَ مِنْ لَطِيفٍ مَا أَلْطَفَكَ، وَ رَوْوُفٍ مَا أَرْأَفَكَ، وَ حَكِيمٍ مَا أَعْرَفَكَ.

«سبحان» قيل: «اسم مصدرٍ لا مصدرٍ»؛

و قيل: «مصدرٌ _ كفغران _ بمعنى: التنزه»؛

و قيل: «علمٌ للتسييح _ و هو التنزيه _ ، كعثمان علماً للرجل»؛

و هو أجود! و المعنى: أنزهك عن صفات المخلوقين و سمات المحدثين.

و «ما أجل شأنك» للتعجب _ كما مرَّ _ ، أى: ما أعظم أمرك العظيم.

و ما «أشنى» أى: ما أرفع، من: السناء _ بالمد _ ، و هو: الرفعه و العلو؛ و قد تقدّم الكلام على أنَّ للحقَّ _ سبحانه _ هو العلو المطلق.

و «أصدع» أى: أظهر و أجهر، من: صدع بالأمر: إذا ظهر و جهر به؛ و أصله من: الصدع، و هو: الشقّ الظاهر فى الأجسام كلّها.

و «الفرقان»: مصدرٌ _ كفغران _ ، و هو الفارق بين الحقّ و الباطل. قال الراغب: «الفرقان أبلغ من الفرق، لأنّه يستعمل فى الفرق بين الحقّ و الباطل _ و تقديره تقدير(٢) قنعان: يقنع به فى الحكم، و هو اسمٌ لا مصدرٌ فيما قيل _ ، و الفرق يستعمل فى ذلك و فى غيره»(٣)؛ انتهى. >و

ص : ٢٢٦

١- ١. هذا قول العلامة المدنى، راجع: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٣١٦.

٢- ٢. المصدر: كتقدير رجلٍ.

٣- ٣. راجع: «المفردات» ص ٦٣٣ القائمة ٢.

يجوز أن يراد به «القرآن»، بل هو الأظهر (١) <.

و الظرف في الفقرتين متعلقٌ بالفعلين. و في الفصل بين المتعجب منه و فعل التعجب خلافٌ، و الصحيح جوازه _ كما قال ابن مالك (٢) _ .

قال الفاضل الشارح: «و الصحيح جوازه، لثبوت ذلك عند العرب نشرًا و نظمًا؛ فمن النثر قول معديكرب (٣): «ما أحسن في الهيجاء لقاءها و كثر في اللزبات عطاءها و أثبت في المكرمات بقاءها»؛ و في النظم قول الشاعر:

خَلِيلِي مَا أُخْرَى بِذِي اللَّبِّ أَنْ يُرَى صَبُورًا وَ لَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَيَّ الصَّبْرِ (٤)

و ساق غير ذلك من الشواهد، ثم قال: «و أمّا صحّحه ذلك قياساً، فلأنّ الظرف و المجرور يغتفر الفصل بهما بين المضاف و المضاف إليه مع أنّهما كالشيء الواحد، و هنا أحقّ و أولى» (٥).

و «اللطيف» في اللغة: خلاف الضخامة؛ و قيل: «هو العلم بدقائق الأشياء و غوامضها و ما لا يدركه الحاسّة»؛

و قد يعبر عن التحف المتوصّل بها إلى المؤدّه بـ: اللطف؛

و قد يراد به المعطى عباده أسباب الصلاح برفقٍ بحيث لا يحتسبون؛

أو: الخالق لطائف المخلوقات؛

أو: الفاعل لما يقرب العبد إلى الطاعة و يبعده عن المعصية.

و الجمع بينها أن يقال: اللطيف من يعلم دقائق المصالح و غوامضها و ما دقّ منها و لطف، ثم يسلك في إيصالها إلى المستصلح سبيل الرفق، فإذا اجتمع الرفق في الفعل و اللطف في الإدراك تم معنى اللطف.

ص : ٢٢٧

١- ١. قارن: «نور الأنوار» ص ١٩٣.

٢- ٢. راجع: «شرح ابن عقيل» على «الألفيه» ج ٢ ص ١٥٦.

٣- ٣. شرح ابن عقيل: عمرو بن معديكرب.

٤- ٤. هذان الشاهدان منقولان من نفس المصدر، فراجع.

٥- ٥. راجع: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٣١٩.

و يمكن أن يكون عبارة عن تجرّده _ تعالى _ . و بالجملة هو اسمٌ من أسماء الله _ تعالى _ .

و حظّ العبد منه: الرفق بعباد الله و اللطف بهم فى الدعوه إلى الله و الهدايه إلى سعادته الأبد من غير عنفٍ و تعصّبٍ، و إرشاد العباد إلى ما يقربهم إلى الطاعة و يبعدهم عن المعصيه و تجريد السرّ عن قيد الظلماتيات و الحجب الغواسق.

<و «الرأفة»: الرحمة؛ و قيل: «أبلغ من الرحمة، لأنها لا تكاد تقع فيما يكره، و الرحمة تقع فيه للمصلحة»(١)> و قيل: «أخصّ من الرحمة».

سُبْحَانَكَ مِنْ مِّلِكٍ مَا أَمْنَعَكَ، وَ جَوَادٍ مَا أَوْسَعَكَ، وَ رَفِيعٍ مَا أَرْفَعَكَ، ذُو الْبَهَاءِ وَ الْمَجْدِ وَ الْكِبَرِيَاءِ وَ الْحَمْدِ. سُبْحَانَكَ بَسَطْتَ بِالْخَيْرَاتِ يَدَكَ، وَ عُرِفَتِ الْهَدَايَةُ مِنْ عِنْدِكَ، فَمَنْ التَّمَسَّكَ لِدِينٍ أَوْ دُنْيَا وَجَدَكَ.

«المليك»: فعيلٌ من المُلِك _ بالضم _ ، <و هو: المتولّى للأمر؛ يقال: ملك على الناس أمرهم: إذا تولّى التصرف فيهم، فهو مُلِكٌ _ بكسر اللام، و تسكن _ و مليكٌ، و الاسم: المُلِك _ بالضم _ . و يعتبر عنه بالسلطان و السلطنه. و ملكه _ تعالى _ عبارة عن سلطانه القاهر و استيلائه و غلبته التامه و قدرته الكامله على التصرف الكلى فى الأمور العامه بالأمر و النهى(٢)> . و المليك: من يملك حقيقه ماسواه و استغنى عنهم فى الذات و الصفات و الأفعال و المتصرف فيهم بالأمر و النهى؛ و ربّما فسرنا بالمعزّ و المذلّ. و افتقار كلّ شىء إليه و غناه عنهم و وجوب وجوده من دليل ذلك.

و قال المحقّق الطوسى _ رحمه الله _ فى شرح الإشارات(٣): «قد اعتبر فيه _ يعنى فى

ص : ٢٢٨

١-١. قارن: نفس المصدر و المجلّد ص ٣٢٠.

٢-٢. قارن: نفس المصدر و المجلّد أيضاً ص ٣٢١.

٣-٣. راجع _ مع تغييراتٍ يسيره _ : «شرح الإشارات» ج ٣ ص ١٤٤.

أحدها: كونه غنياً مطلقاً، و هو سلبى؛

و الثانى: إفتقار كلِّ شىءٍ إليه، و هو إضافى؛

و الثالث: كون كلِّ شىءٍ له، و هو إضافى أيضاً. و علل بكون كلِّ شىءٍ منه، فإنّه لما كان كونه غايه للأشياء هو كونه فاعلاً لها بعينه صحّ تعليل كون الأشياء له بكون الأشياء منه؛ انتهى كلامه.

و حظّ العبد منه أن تستغنى عن كلِّ ما سوى الله و لا يملكه إلا الله، و يملك قلبه و جنود الشهوة و الغضب، فإذا ملكه و لم يكن مملوكاً للهوى فقد زال درجه الملك فى عالمه ممّا يليق به بإذن خالقه. فيصرف الهمة فى الإستغناء عن الناس و إن احتاجوا إليه فى إراءه طريق الآخرة؛ بل يرفع الهمة إلى الإستغناء عن كلِّ شىءٍ بمقدار همته و مساعدته قواه. و حقيقة ذلك بعد الله _ سبحانه _ للأنبياء و الأوصياء.

و «منع» مناعه _ كضخم ضخمه _ فهو منيع: إذا أعزّ و قوى فلا يقدر عليه من يريده؛ ف _ «ما أمتعك» أى: ما أقواك؛ أو: ما أشدّ غلبتك؛ أو: ما أشدّ منعتك لأن تصل إليك العقول و الأوهام!. >قال الزمخشري: «معنى التعجب فى هذا المقام تعظيم الأمر فى قلوب السامعين، لأنّ التعجب لا يكون إلا من شىءٍ خارجٍ عن نظائره و أشكاله»(١).

و «الرفيع»: كشریف وزناً و معنى.

و «ذو البهاء» خبر مبتدئ محذوف(٢)، أى: أنت صاحب الشرف و الرفعه والجلال.

و «بسط اليد» كناية عن الجود؛ قال الزمخشري فى الفائق(٣): «جعل بسط اليدين كناية عن الجود، حتّى قيل للملك الذى يطلق عطايه بالأوامر و الإشارة(٤): مبسوط اليد و إن

ص : ٢٢٩

١- ١. لم أعثر عليه، لا- فى «أساس البلاغة» و لا فى «الفائق» و لا فى مظانّه من «تفسير الكشاف»، كما فى ج ١ صص ٣٥٢، ٣٦٠ حيث فسّر فيهما الزمخشري هذه اللفظه.

٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٣٢٢.

٣- ٣. راجع: «الفائق» ج ١ ص ١٠٨.

٤- ٤. المصدر: بالإشارة.

كان لم يعط منها شيئاً بيده ولا بسطها به ألبته. وكذا (١) المراد بقوله _ تعالى _ : «بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ» (٢): الجود والإنعام، لا غير؛ من غير تصوّر يدٍ ولا بسطها، لأنّ قولهم: مبسوط اليد و: جوادٌ عبارتان معتقتان (٣) على معنى واحد؛ انتهى.

و «الهدايه»: الدلاله بلطفٍ _ كما مرّ مراراً _ ، أى: أنزّهك من أجل أنّ الهدايه من عندك و تعليمك.

و «الفاء» من قوله: «فَمَنْ التمسك» فصيحته؛ أى: إذا كنت كذلك فمن طلبك و قصدك لتحصيل دينٍ أو دنياً وجدك محصّياً لذلك المطلب.

سُبْحَانَكَ خَضَعَ لَكَ مَنْ جَرَى فِي عِلْمِكَ، وَ خَشَعَ لِعَظَمَتِكَ مَا دُونَ عَرْشِكَ، وَ انْقَادَ لِلتَّسْلِيمِ لَكَ كُلُّ خَلْقِكَ. سُبْحَانَكَ لَا تَحْسُ وَلَا تَجْسُ وَلَا تَمْسُ وَلَا تَكَادُ وَلَا تَمَاطُ وَلَا تَنَازُعُ وَلَا تَجَارَى وَلَا تَمَارَى وَلَا تُخَادَعُ وَلَا تَمَآكُرُ.

«خضع» أى: ذلّ و انقاد.

و «جرى فى علمك» أى: حصل و وقع؛ أى: أنزّهك من جهه خضوع كلّ شىء فى علمك.

و «خشع» أى: تواضع. و قد تقدّم الكلام على الفرق بين «الخضوع» و «الخشوع»، فلانعيده.

و «مادون عرشك» أى: ما تحته.

و «العرش» قد مرّ معناه؛ والمعنى: ما دون عرشك فى جنب عظمه العرش خاضعٌ خاشعٌ، فكيف فى جنب عظمتك!. و إذا كان المراد من «العرش»: علم الله المحيط بجميع الأشياء، أو: الفيض الإنبساطى فالمراد بـ «مادون»: ما سوى الله _ تعالى _ من المجزّات و غيرها؛ كما

ص : ٢٣٠

١- ١. المصدر: كذلك.

٢- ٢. كريمه ٦٤ المائده.

٣- ٣. المصدر: معتقتان.

قال أمير المؤمنين _ عليه السلام _ : «كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ» (١)، قال الشيخ ميثم البحراني (٢): «الخشوع هنا مرادٌ بحسب الإشتراك اللفظي، إذ الخشوع من الناس يعود إلى تطيئ منهم و خضوعهم لله؛ و من الملائكة: دؤوبهم في عبادته ملاحظَةً لعظمته؛ و من سائر الممكنات: إنفعالها عن قدرته و خضوعها في رِقِّ الإمكان و الحاجه إليه. و المشترك و إن كان لا يستعمل في جميع مفهوماته حقيقة فقد (٣) يجوز استعماله مجازاً (٤) بحسب القرينه، و هي (٥) إضافته إلى كُلِّ شَيْءٍ و إسناده إلى مادون عرشها (٦)؛ و (٧) لأنه في قوّه المتعدّد لتعدّد المسند إليه (٨) _ كقوله _ تعالى _ : «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ» (٩)؛ انتهى.

أقول: هذا الفاضل مبلغ علمه هذا!. و قد حَقَّقنا لك سابقاً أنَّ الألفاظ موضوعه للمفاهيم الكلّيه و أنَّ الحقيقه الواحده لها قوالب متعدده متكثره يترتب عليها آثارٌ و خواصٌ مختلفه _ كما مرّ غير مرّه _ .

و «انقاد» فلانٌ للأمر: إذا أذعن و لم يستعص _ طوعاً أو كرهاً _ و سلّم له تسليمًا. و إنقياد الخلق له _ تعالى _ ظاهرٌ، لأنَّ الكلَّ مخلوقٌ مقهورٌ تحت ظلِّ سلطانه لا يطيق أحدٌ خلاف أمره و إرادته و مشيئته؛ قال _ تعالى _ : «إِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً» (١٠) _ ... الآيه _ .

و «لا تحسّ» _ بالحاء المهمله _ من: أحسّ بالشئ إحساساً: أدركه بشئٍ من حواسّه الظاهره أو الباطنه؛ أى: أنزّهك من أن تدرك بالحواسّ، لأنَّ إدراكها مقصورٌ على ذوات الأوضاع؛ و أيضاً: لا يمكن حضور الأنوار الحسيّيه في مشهد نورٍ عقليّ _ بل يضمحلّ و

ص : ٢٣١

-
- ١- ١. راجع: «نهج البلاغه» الخطبه ١٠٩ ص ١٥٨، و انظر: «شرح ابن أبيالحديد» عليه ج ٧ ص ١٩٤، «بحار الأنوار» ج ٤ ص ٣١٧.
 - ٢- ٢. راجع: «شرح نهج البلاغه» _ لابن ميثم البحراني _ ج ٣ ص ٥٠.
 - ٣- ٣. المصدر: + بيّنّا أنّه.
 - ٤- ٤. المصدر: + فيها.
 - ٥- ٥. المصدر: + هنا.
 - ٦- ٦. المصدر: _ و ... عرشها.
 - ٧- ٧. المصدر: أو.
 - ٨- ٨. المصدر: _ لتعدّد المسند إليه.
 - ٩- ٩. كريمه ٥٦ الأحزاب.
 - ١٠- ١٠. كريمه ١١ فصلت.

يفنى _ ، فكيف فى مشهد نور الأنوار العقليّه!.

و يمكن أن يكون المراد: مطلق المشاعر و المدارك _ حتّى العقول _ ، لأنّ المدارك على كثرتها منحصره فى أمرين، إذ العوالم على كثرتها منحصره فى عالَمين:

أحدها: عالم الشهاده و الدنيا؛

و ثانيها: عالم الغيب و العقبى. فالمدرّك لما فى الأوّل هو إحدى الحواسّ الخمس؛

و المدرّك لما فى الأخرى _ و هو عالم الغيب _ : القلب. و المراد بالقلب: مجمع المشاعر الباطنه.

و الحواسّ إدراكها على ثلاثه أنحاءٍ _ لأنّها متفاوتة فى اللطافه و الكثافه _ ، فالّتى فى غايه الكثافه هى الحاسّه اللمسيّه، و هى أدنى درجات الحيوانيّة و أنزلها حيث لا يخلو عنه حيوانٌ و قد يخلو عن ما سواها _ كالخراطين و الحلزونات _ . و هى الفارق بين الحياه و الممات، و هى المنبّه فى جميع الأعضاء الكثيفه و تمام الجلد و اللحم. و إدراكها بالماسّه و مباشره الملموس من غير توسّط شىءٍ بينهما، و هذا أيضاً دليل كثافتها و بعدها عن صقع الملكوت؛

و الّتى فى غايه اللطافه من جملتها هى الحاسّه البصريّه، و هى أرفعها درجهً من حيث إنّ إدراكها ليس بالماسّه و لا بمداخله شىءٍ عليها؛ و من حيث إنّ إدراكها يتعدّى إلى عالم السماويّات فتدرك الكواكب الّتى فى الفلك الثامن؛ و من حيث إنّ آلتها الّتى بمنزله البدن ألطف الأعضاء و أشفّها و أقبلها لقبول النور و أصغرها قدراً، فإنّ قلّه الجرم و لطافه الآله مع كثرة الإدراك، و شدّته علامه قوّه القوّه و قربها إلى أفق التجرّد و الإستقلال فى الوجود؛

و الّتى هى متوسّطه بين أدنى الحواسّ _ الّتى هى اللمس _ و أعلاها _ الّتى هى البصر _ هى الثلاث الباقيه الّتى إدراكها بمداخله شىءٍ إليها و ورود متوسّطٍ بينها و بين مدرّكها إليها. فهى ليست بتلك الكثافه حتّى ينال المادّه الكثيفه الظلماتيّة بآلتها، و لا بتلك اللطافه حتّى يباشر بنفسها للمادّه الكثيفه، و لا المتوسّط المتأدّى إليها.

قوله _ عليه السلام _ : «و لا تجسّ»، > من: جسّه جسّاً: إذا مسّه بيده؛ يقال: جسّه الطيب: إذا مسّه ليعرف حرارته من برودته.

و «لاتمس» أى: لاتلمس و لاتلصق بالبشره بلاحجاب؛ يقال: مسسته مساً _ من باب تعب، و فى لغه من باب قتل _ أى: أفضيت إليه بىدى من غير حائل. قال البيضاوى: «المس: إتصال(١) الشىء بالبشره بحيث تتأثر الحاسه به، و اللمس كالطلب له؛ و لذلك يقال: ألمسه فلاأجده»(٢). فعطفه على «الجس» من باب عطف العام على الخاص، فإنّ الجس لا يكون إلاّ باليد و المس الإتصال بالبشره مطلقاً؛ فكلّ جسّ مسّ من غير عكس. و كلاهما ممتنعان عليه لاستلزامهما الجسميه و براءته _ تعالى _ من الجسميه(٣) < و لواحقها.

و «لاتكاد» من: كاده كيداً: خدعه و مكر به، و الاسم: المكيده؛ أى: لايمكن لأحد الكيد بالنسبه إلى الله _ تعالى، تعالى عن ذلك علواً كبيراً! _ .

و «لاتماط» أى: لايعيد و لاتدفع، من: ماطه يميطة ميطاً _ من باب باع _ : نحاه و أبعده، كأماطه _ و منه: «أدناها إماطه الأذى» أى: تنحيته _ ؛ أى: لايقدر أحدٌ على أن يعزلك عن سلطانك _ كسلاطين الدنيا _ . > و فى بعض النسخ «بالطاء المعجمه»، و معناه: لاتنازع؛ و فى البعض الآخر: «لاتحاط»، أى: لايحيط علم أحدٍ بك(٤) <، بل هو _ سبحانه _ مع كلّ أحدٍ و محيطٌ بكلّ شىء _ كما مرّ _ .

و «لاتنازع» أى: لاينازعك أحدٌ، من: >نازعته نزاعاً و منازعاً: خاصمته و جادلتها. و أصلها: المجاذبه، يقال: نزع الشىء من يده أى: جذبه.

و «لاتجارى» أى: لاتطاول و لاتغالب؛ و أصله: الجرى، يقال: جراه مجاراً: جرى معه، ثم استعمل فى معنى المناظره _ و منه الحديث: «من طلب العلم ليجارى به العلماء» _ أى: ليناظرهم _ «يريد بذلك الرياء و السمعه ...»(٥) _ (٦) <. و يجوز أخذه من: الجراه، أى: ليس لأحدٍ جرأه كجرأتك.

ص : ٢٣٣

١- ١. البيضاوى: إيصال.

٢- ٢. راجع: «تفسير البيضاوى» ص ١٧.

٣- ٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٣٢٨.

٤- ٤. قارن: «نور الأنوار» ص ١٩٣.

٥- ٥. راجع: «منه المريد» ص ١٣٤، «بحار الأنوار» ج ٢٧ ص ٢٥٤، و انظر: «النهايه» ج ١ ص ٢٦٤.

٦- ٦. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٣٢٩.

و «لاتمارى» أى: لاتجادل، و «المراء»: الجدل؛ يقال: ماراه مماراة و مرأء: حاجه فيما مر به _ أى: تردد _ ، قال _ تعالى _ :
«فَلَاتَمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا»(١).

و «لاتخاذ» بل هم خادعتهم أنفسهم!، إشارة إلى قوله _ تعالى _ : «يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ مَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ»(٢).

و «لاتماكر» أى: لايقدر أحد أن يمكر الله، بل «اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ»(٣). و فى نسخه: «لاتمانن» أى: لاتعارض؛ قال فى الأساس:
«بينهما ممانته: معارضة فى كل أمر»(٤). و فى نسخه ابن إدريس: «لاتمانن»(٥)، أى: لاتكون لأحد منه _ أى: نعمه _ عليك.

لمعه عرشه

فإن قلت: أنهم كيف خادعوا الله و لا يخفى عليه خافية؟!

و كيف خادعهم الله و المؤمنون _ كما يقتضيه صيغه المفاعله _ و الخدعه صفة مذمومة؟!

قلنا: المراد من الأول أحد أمورٍ خمسة:

أولها: أن يكون ذلك على معتقدهم و ظنهم أن الله ممن يرضى عنهم بصوره الأعمال الصادره عنهم سمعه و رياء، مع أن القصد منهم بها لم يكن إلا أغراض النفس و الهوى و محبه الجاه و الثروه و متاع الدنيا. و ذلك لاغترارهم و جهلهم بأن الناقد بصير و الطريق خطير و البضاعة معيبة مموتة!، و لا يقبل عند الله إلا العمل الخالص. كيف و من كان إدعاؤه الإيمان بالله و اليوم الآخر نفاقاً لم يكن قد عرف الحق و صفاته، و أن له تعلقاً بكل معلوم، و له غنى عن كل ماسواه؛ فلم يبعد عن مثله تجويز أن يكون الله فى زعمه مخدوعاً من وجه خفى. و ربما يوجد فى الناس _ بل فى أكثر الأكياس منهم! _ من كان هذا شأنهم مع الله!، و قد

ص : ٢٣٤

١- ١. كريمه ٢٢ الكهف.

٢- ٢. كريمه ٩ البقره.

٣- ٣. كريمه ٥٤ آل عمران، ٣٠ الأنفال.

٤- ٤. راجع: «أساس البلاغه» ص ٥٨١ القائمه ٢.

٥- ٥. كما حكاه المحدث الجزائري، راجع: «نور الأنوار» ص ١٩٤.

و ثانيها: أن يقال: صوره صنيعهم مع الله _ حيث يتظاهرون بالإيمان و يستنبطون بالكفر _ صوره صنيع الخادعين؛

و ثالثها: أن المراد من «يُخَادِعُونَ اللَّهَ»: المخادعه مع رسول الله، إما على حذف المضاف، أو على أن معامله الرسول معاملته الله من حيث إنه خليفته في أرضه و الناطق عنه بأوامره و نواهيه مع عباده _ كما قال عز و جل: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» (١)، و هو مع ذلك خارج عن مقام بشريته مستغرق في شهود إلهيته _ ؛ فإطاعته إطاعه الله _ كما قال تعالى: «وَمَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ» (٢)، و قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «من رآني فقد رأى الحق» (٣) _ ؛

و رابعها: ما ذكره في الكشف، و هو: «أن يكون من قبيل قولهم: أعجبنى زيد» (٤) كرمه، فيكون المعنى: يخادعون الحذرين آمنوا بالله. و فائدة هذه الطريقة قوه الاختصاص» (٥)، و له نظائر ذكرها؛

و خامسها: فيه أيضاً، و هو أن يقال: «عنى به: يخدعون، إلا أنه أخرج في زنه المفاعله للمبالغه، لأن الزنه في أصلها للمبالغه، و الفعل متى غولب فيه فاعله كان أبلغ و أحكم منه إذا زاوله من غير مقابله معارض. و يعضده قراءه من قرأ: «يُخَادِعُونَ» (٦) لأنه بيان لـ: «يَقُولُ». و يحتمل الاستيناف لذكر ما هو الغرض من دعواهم الإيمان كذباً» (٧). و المراد من الثانى: هو أن صوره صنع الله معهم صوره صنع الخادع، حيث أمر باجراء أحكام المسلمين

ص : ٢٣٥

-
- ١- ١. كريمتان ٣، ٤ النجم.
 - ٢- ٢. كريمه ٨٠ النساء.
 - ٣- ٣. راجع: «بحار الأنوار» ج ٥٨ ص ٢٣٤، و لم أعثر عليه في غيره من مصادرنا.
 - ٤- ٤. المصدر: + و.
 - ٥- ٥. راجع: «تفسير الكشف» ج ١ ص ١٧٢.
 - ٦- ٦. هذه هي قراءه عبدالله بن مسعود و أبيحيوه، انظر: «البحر المحيط» ج ١ ص ٥٥، «التفسير الكبير» ج ١ ص ١٩٢.
 - ٧- ٧. هذا تحرير كلامه، راجع: «تفسير الكشف» ج ١ ص ١٧٣.

عليهم و هم عنده أخبث الكفار و أهل الدرك الأسفل من النار!، إستدراجاً لهم و تلطفاً فى إغفالهم عمّا أعدّ لأولائهم، و ردعهم و طردهم من جناب قدسه و محلّ كرامته من حيث لا يشعرون مجازاةً لهم بمثل صنيعهم. و كذا صنعه الرسول و المؤمنون معهم من حيث إمتثالهم أمر الله فى إخفاء حالهم و إجراء حكم الإسلام عليهم. و عن أبيذرّ قال: «قال رسول الله _ صلى الله عليه و آله و سلم _ : كيف أنتم و أئمتهم من بعدى يستأثرون بهذا الفىء؟»

قلت: أما و الذى بعثك بالحقّ أضع سيفى على عاتقى ثم أضرب به حتى ألقاك!

قال: أ و لأدلك على خيرٍ من ذلك؟ تصبر حتى تلقانى! [\(١\)](#).

سُبْحَانَكَ سَيِّلُكَ جَدِّ. وَ أَمْرُكَ رَشْدٌ، وَ أَنْتَ حَيٌّ صَيِّمٌ. سُبْحَانَكَ قَوْلُكَ حُكْمٌ، وَ قَضَاؤُكَ حُكْمٌ، وَ إِرَادَتُكَ عَزْمٌ. سُبْحَانَكَ لَأَرَادَ لِمَشِيَّتِكَ، وَ لَأَمْبَدَلْ لِكَلِمَاتِكَ. سُبْحَانَكَ بَاهِرَ الْآيَاتِ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ، بَارِئَ النَّسَمَاتِ.

«الجدّد» _ بالفتحين _ : الأرض الصلبة المستوية، أى: الصراط إليك مستقيمٌ سديداً لا يعثر فيه السائل.

و «الصمد» فَيَر في المشهور ب _ : السيّد الذى يصمد إليه _ أى: يقصد إليه _ فى الحوائج و يلجأ عليه فى النوازل. و يفهم هذا المعنى عن حديث جابر [\(٢\)](#)، و روته العامة [\(٣\)](#) أيضاً عن ابن عباس عن رسول الله _ صلى الله عليه و آله و سلم _ ؛ و فى حديث زراره [\(٤\)](#) و غيره. فالصمديّه على هذا لها تفسيران:

ص : ٢٣٦

١- ١. راجع: «الصراط المستقيم» ج ٣ ص ١١٤، و لم أعثر عليه فى مصادر الفريقين الروائيين.

٢- ٢. راجع: «الكافى» ج ١ ص ١٢٣ الحديث ٢، «التوحيد» ص ٩٣ الحديث ٩، «المحاسن» ج ١ ص ٢٤١ الحديث ٢٢٦.

٣- ٣. لم أعثر عليه، و انظر: «فتح البارى» ج ١٣ ص ٣٥٧، «تفسير ابن كثير» ج ٤ ص ٥٧١، «مسند الربيع» ج ١ ص ٣٣٦ الحديث ٨٧٧، «عون المعبود» ج ٢ ص ٢٧٣.

٤- ٤. راجع: «تفسير العياشى» ج ٢ ص ٣١٦ الحديث ١٦٠.

أحدهما: سيّد الكلّ، أى: مبدأ الجميع؛ فيكون من الصفات الإضافية؛

و الثانى: ما لاجوف له، و هو معنىّ سلبيّ، إشارة إلى نفى المهية و القوّة و ما ينسلم به وجوب وجوده من كلّ جهه. فإنّ كلّ ما له مهية و قوّة فهو مجوّفٌ بالحقّيقه، لأنّ كلّ ممكنٍ زوجٌ تركيبىّ مزدوج الحقيقه من الجنس و الفصل، و أيضاً من المهية و الآتيه، و أيضاً من الإمكان بحسب سنخ الذات و الوجوب من تلقاء الإستناد إلى العلّه الجاعله، و من مفهوم ما بالقوّة بحسب طبع الإمكان الذاتى و مفهوم ما بالفعل بحسب الوجوب من تلقاء إقتضاء الفاعل؛ و إلى هذا المعنى الثانى أشار فى جامع الأخبار(١) فى حديث محمّد بن الحنفية عن الصمد؟ فقال: قال علىّ _ عليه السلام _ : «تأويل الصمد: لا اسم و لا جسم، و لا شبه و لا مثل(٢)، و لا-صوره و لا تمثال، و لا حدّ و لا حدود، و لا موضع و لا مكان، و لا كيف و لا أين، و لا هنا و لا ثمّة، و لا ملاً و لا خلاً، و لا قيام و لا قعود، و لا سكون و لا حركة، و لا ظلمانيّ و لا نورانيّ، و لا روحانيّ و لا نفسانيّ، و لا يخلو منه موضعٌ و لا يسعه موضعٌ، و لا على لونٍ و لا على خطر قلبٍ، و لا على شَم رائحه؛ منفى عنه هذه الأشياء»؛ و قد تقدّم الكلام عليه مستوفى.

«قولك» أى: كلامك؛ و قد تقدّم الكلام عليه و الفرق بينه و بين الكتاب.

و «حكّم» أى: حتمّ لا يتخلف، و قد تقدّم أنّ الكلام من عالم الأمر، قال الله _ تعالى _ : «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»(٣)؛ فأمره لكلّ شىء عين إرادته له، «لَا مَعْقَبَ لِحُكْمِهِ»(٤) و لا رادّ لقضائه؛ هذا فى الأمر التكوينيّ؛

و أمّا التشريعيّ _ و هو الأمر بالواسطة _ فيتطرّق إليه الإباء و العصيان و الطاعة و الإتيان؛ فما ذكره الفاضل الشارح _ من: «أنّ الحكم هنا بمعنى: الحكمة»(٥) _ فلا داعى له!.

ص : ٢٣٧

١- ١. راجع: «جامع الأخبار» ص ٦، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٣ ص ٢٣٠.

٢- ٢. المصدر: و لا مثل و لا شبه.

٣- ٣. كريمه ٨٢ يأس.

٤- ٤. كريمه ٤١ الرعد.

٥- ٥. راجع: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٣٣٣.

و «القضاء» و «الإرادة» و «المشيئة» قد تقدّم الكلام عليها فى اللمعة الأولى.

قوله _ عليه السلام _ : «و لا مبدّل لكلماتك»، قيل: «هى علم الله و حكمته؛ أو: ما يقدر الله على أن يخلقه من الأشياء»؛

و قيل: «أراد بها ما وعد لأهل الثواب فى الجنّة و أهل العقاب فى النار»؛

و قيل: «أراد بها معانى كلمات الله و فوائدها، و هى القرآن و سائر كتبه _ سبحانه _».

و الظاهر أنّ المراد بـ «كلماتك»: كلمات الله التامّيات، و هى الهويّات العقلية النورية التى وجودها عين الشعور و الإشعار و العلم و الإعلام؛ و هى التى لانسخ و لا تبديل لها.

قوله _ عليه السلام _ : «باهر الآيات» منصوبٌ بتقدير: أعنى؛ و قيل: «يحتمل أن يكون منادى مضافٍ».

>و «البهر»: الضوء و الغلبة؛ يقال: بهره بهراً: غلبه؛ و: بهر القمر: أضاء حتّى غلب ضوءه ضوء الكواكب.

و «الآيات» جمع: آية، و هى العلامة الظاهرة (١) <.

و «آيات» الله: آيات الآفاق و الأنفس _ كما مرّ تحقيق ذلك مستوفى _ .

قوله _ عليه السلام _ : «فاطر السماوات» أى: خالقها و مبتدعها. و أصل «الفطر»: الشقّ، >كأنّه _ تعالى _ شقّ العدم بإخراجها منه؛ قال ابن عباس: «ما كنت أدري ما «فاطر السماوات» حتّى أحتمكم إلى أعرايينان فى بئرٍ، فقال أحدهما: أنا فطرتها» (٢) (٣) <.

و «برئ» أى: خلق.

و «النسمه»: كلّ دابّة فيها روحٌ؛ و قيل: «الإنسان»؛ قال فى القاموس: «النَّسَمَه _ محرّكه _ : الإنسان، و (٤) الجمع: نسَمٌ و نسمات» (٥)؛ أى: خالق الإنسان.

ص : ٢٣٨

١- ١. قارن: نفس المصدر و المجلّد ص ٣٣٨.

٢- ٢. راجع: «المصباح» _ للكفعمى _ ص ٣٣٩، «المقام الأسنى» ص ٧٢، «بحار الأنوار» ج ٨١ ص ٣٦٩.

٣- ٣. قارن: «نور الأنوار» ص ١٩٤.

٤- ٤. المصدر: _ و.

٥- ٥. راجع: «القاموس المحيط» ص ١٠٧١ القائمة ١.

لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا يَدُومُ بِدَوَامِكَ. وَ لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا خَالِدًا نِيْعَمَتِكَ. وَ لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا يُوَازِي صُيُوعَكَ. وَ لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا يَزِيدُ عَلَى رِضَاكَ. وَ لَمَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا مَعَ حَمِيدِ كُلِّ حَامِدٍ، وَ شُكْرًا يَقْصِرُ عَنْهُ شُكْرُ كُلِّ شَاكِرٍ. حَمْدًا لَا يَتَبَغَى إِلَّا لَكَ، وَ لَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَّا إِلَيْكَ.

قيل: «أى: لك حمدٌ و شكرٌ دائماً، لأنَّ ذاتك دائماً و نعمتك دائماً»؛

و قال الفاضل الشارح: «أى: يستمر وجود ثوابه و أجره ملتبساً باستمرار وجود ملكك»^(١)؛

و هما كما ترى! و التحقيق ما ذكرناه لك فى اللمعه الأولى من: أنَّ حقيقة الحمد هى إظهار الصفات الكمالية، و ذلك:

قد يكون بالقول _ كما هو المشهور عند الجمهور _ ؛

و قد يكون بالفعل _ و هو كحمد الله ذاته و حمد جميع الأشياء له _ ، و أنَّ حمد الله ذاته هو أجل مراتب الحمد، و هو إيجاد كل موجودٍ. فإيجاده هو الحمد بالمعنى المصدرى بمنزله التكلم بالكلام الدال على الجميل، و نفس ذلك الموجود هو الحمد بالمعنى الحاصل بالمصدر. فإطلاق الحمد على كل موجودٍ صحيح بهذا المعنى؛

و أنَّ كل موجودٍ كما هو حمدٌ فهو حامدٌ أيضاً، لإشتماله على مفهوم عقلى و جوهرٍ نطقى _ كأرباب الأنواع و ملائكة الطباع و غيرهم، ... كما تقرّر فى موضعه _ ؛ و لذلك عبّر فى القرآن عن تلك الدلالة العقلية بالنطق فى قوله _ تعالى _ : «أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ»^(٢)؛

و أنَّ جميع الموجودات من حيث نظامها الجملى حمدٌ واحدٌ و حامدٌ واحدٌ، لما قد ثبت أنَّ الجميع بمنزله إنسانٍ واحدٍ كبيرٍ له حقيقة واحدة و صورة واحدة و عقلٌ واحدٌ _ و هو العقل

ص : ٢٣٩

١-١. راجع: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٣٤١.

٢-٢. كريمه ٢١ فصلت.

الأَوَّلُ الَّذِي هُوَ صُورُهُ الْعَالَمُ _ ؛ ... إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرْنَا لَكَ فِي اللَّمْعَةِ الْأُولَى. فَعَلَيْكَ بِالتَّأَمُّلِ فِي جَمِيعِ مَا ذَكَرْنَا فِيهَا حَتَّى يَظْهَرَ لَكَ حَقِيقَةُ الْحَمْدِ بِأَنْوَاعِهَا.

فَظْهَرَ مِمَّا ذَكَرْنَا مَعْنَى قَوْلِهِ _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ : «لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا يَدُومُ بِدَوَامِكَ»؛ وَ كَذَا الْفَقَرَاتُ الْلاحِقَةُ إِلَى قَوْلِهِ _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ : «رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ»، فَلَيْسَ عَلَيْنَا إِلَّا تَفْسِيرُ لُغَاتِ الْفَقَرَاتِ وَ مَا يَتَعَلَّقُ بِعَرَبِيَّتِهَا.

قَوْلُهُ _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ : «يُوزَى صَنَعُكَ» أَي: يَسَاوَى وَ يُقَابَلُ فَعْلُكَ وَ إِحْسَانُكَ، مِنْ: الْمَوَازَاهِ بِمَعْنَى: الْمَحَازَاهِ وَ الْمَقَابِلَةِ.

وَ «الرِّضَا»: سَكُونُ النَّفْسِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا يَلَائِمُهَا وَ يُوَافِقُهَا عِنْدَ تَصَوُّرِ كَوْنِهِ مُوَافِقًا وَ مُلَائِمًا لَهَا؛ وَ قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى مَعْنَى «الرِّضَا» بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ فِيمَا سَبَقَ. وَ الْمَعْنَى: قِيلَ: «يَعْنَى: أَنْتَ بِفَضْلِكَ وَ كَرَمِكَ تَرْضَى عَنَّا بِعَمَلٍ قَلِيلٍ _ كَمَا مَرَّ: «يَا مَنْ يَقْبَلُ الْيَسِيرَ وَ يُجَازِي بِالْجَلِيلِ» (١)»، لِأَنَّ حَمْدَنَا مِنْ حَيْثُ هُوَ حَمْدُنَا «يَزِيدُ عَلَى رِضَاكَ» عَنَّا وَ أَنْتَ تَرْضَى عَنَّا بِالْقَلِيلِ؛

وَ قِيلَ: «مَعْنَى «يَزِيدُ عَلَى رِضَاكَ» أَي: يَزِيدُ عَلَى مَا لَا تَرْضَى بِهِ مِنَّا مِنَ الْحَمْدِ، فَ _ «رِضَاكَ» بِمَعْنَى: مُرَضِيَّكَ»؛

وَ قِيلَ: «أَي: يَزِيدُ عَلَى رِضَاكَ بِعَمَلِنَا، لَكُونَهُ _ تَعَالَى _ تَرْضَى مِنْ عِبَادِهِ بِالْقَلِيلِ مِنَ الْعَمَلِ».

وَ «مَعَ» اسْمٌ، ظَرْفٌ لِمَكَانِ الْإِجْتِمَاعِ وَ زَمَانِهِ، وَ قَدْ يَرَادُ بِهِ مَجَرَّدُ الْإِجْتِمَاعِ وَ الْإِشْتِرَاكُ مِنْ غَيْرِ مَلَاظَمَةِ الْمَكَانِ وَ الزَّمَانِ _ نَحْوُ: «وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» (٢)(٣) < _ ، وَ هُوَ الْمُرَادُ هُنَا.

وَ «حَمْدًا لَا يَنْبَغِي إِلَّا لَكَ» أَي: لَا يَحْسَنُ إِلَّا لَكَ وَ لَا يَسْتَأْهِلُهُ غَيْرُكَ؛ قَالَ الرَّاعِبِيُّ: «يَنْبَغِي،

ص : ٢٤٠

١ - ١. لَمْ أَعْثُرْ عَلَيْهِ، وَ انْظُرْ: «مُصْبَاحُ الْمُتَهَجِّدِ» ص ٥٩٧، «الْبَلَدُ الْأَمِينُ» ص ١٣٥، «الْأَمَالِيُّ» _ لِلْمُفِيدِ _ ص ٢٨٧ الْحَدِيثُ ٦، «الْأَمَالِيُّ» _ لِلطُّوسِيِّ _ ص ٦٥ الْحَدِيثُ ٩٥.

٢ - ٢. كَرِيمُهُ ١١٩ التَّوْبَةُ.

٣ - ٣. قَارَنَ: «رِيَاضُ السَّالِكِينَ» ج ٦ ص ٣٤٣.

يستعمل على وجهين:

أحدهما: على معنى: الاستيهال، نحو: فلانٌ ينبغى أن يعطى لكرمه؛

و الثاني: ما يكون مسخراً للفعل، نحو: النار ينبغى أن تحرق الثوب، و منه: «وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَ مَا يَنْبَغِي» (١)، فإنّ معناه: لا يتسخر و لا يتسهّل له، ألا ترى أنّ لسانه لم يكن يجرى به؟! (٢)؛ انتهى.

و قال الفخر الرازي: «لفظه «ينبغي» تارةً يراد بها الحسن العقليّ، كما يقال: العلم ممّا ينبغى؛

و تارةً: الإذن الشرعيّ، كما يقال: النكاح ممّا ينبغى» (٣)؛ انتهى. فعلى هذا، المعنى: لا يسوغ شرعاً أن يحمد به غيرك.

و «لا يتقرّب به» _ أي: بذلك الحمد _ «إلاّ إليك»، و هو ما يكون خالصاً لله _ تعالى _ و لا يليق لغيره _ تعالى _ لكمالهِ و خلوصه؛ يقال: تقرّب إلى الله بكذا: فعله طلباً للقربه عنده. و قال بعضهم: «المراد بـ: «القربه»: إمّا موافقه إرادته الله _ تعالى _؛ أو: القرب منه المتحقّق بحصول الرفعه عنده و نيل الثواب لديه، تشبيهاً بالقرب المكانيّ»؛

و قد تفسّر بـ: الطاعة.

حَمِيداً يُسَبِّحُ تَدَامُ بِهِ الْأَوَّلُ، وَ يُشِيدُ تَدْعَى بِهِ دَوَامُ الْآخِرِ. حَمِيداً يَتَضَاعَفُ عَلَى كُرُورِ الْأَعْزَمَنِ، وَ يَتَزَايِدُ أَضْعَافاً مُتَرَادِفَةً. حَمِيداً يَعْجُزُ عَنْ إِخْصَائِهِ الْحَفْظُ، وَ يَزِيدُ عَلَى مَا أَحْصَيْتُهُ فِي كِتَابِكَ الْكُتُبَةُ. حَمِيداً يُوَازِنُ عَرْشَكَ الْمَجِيدَ وَ يُعَادِلُ كُرْسِيَّكَ الرَّفِيعَ. حَمِيداً يَكْمُلُ لَدَيْكَ ثَوَابُهُ، وَ يَسْتَعْرِقُ كُلَّ

ص : ٢٤١

١-١. كريمه ٦٩ يآس.

٢-٢. راجع _ مع تقديم و تأخير و زياده _ : «المفردات» ص ١٣٧ القائمة ٢.

٣-٣. لم أعر عليه في كتبه الكلاميّة و لا في مظانّه من تفسيره، كما في ج ٢٦ ص ١٠٤، ج ٢١ ص ٢٥٣.

جَزَاءِ جَزَائِهِ. حَمْدًا ظَاهِرُهُ وَفَقُّ لِبَاطِنِهِ، وَبَاطِنُهُ وَفَقُّ لِبَاطِنِهِ. حَمْدًا لَمْ يَحْمَدَكَ خَلْقٌ مِثْلُهُ، وَ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ سِوَاكَ فَضْلَهُ.

«حمداً يستدام به الأول ... إلى آخره _».

قيل: «أى: حمداً يستدام بسببه الحمد الأول بأن يكون خالصاً مقبولاً، بحيث يكون ثوابه باقياً؛ يقال: استدمت الشيء: طلبت دوامه، و استدعيت: طلبته و التمسته. و أصله من الدعاء بمعنى: النداء. أو: يحصل بسببه التوفيق لدوام الحمد و يكون سبباً لدوام الآخر»(١)؛

و قال بعضهم: «المراد بـ _ : «الأول» و «الآخر»: أفراد الحمد، و النعمة الأولى و النعمة الأخيرة»(٢)؛

>و قال آخر: «حاصل المعنى من ظاهر العبارة: حمداً يكون به أول الحمد و آخره دائماً؛ أو: أول الحامد و آخره»؛

و قال آخر: «المراد بـ _ : «الأول»: القديم من النعم، و بـ _ «الآخر»: الحديث منها، من قولهم: ما تركت له أولاً و لا آخرأ أى: قديماً و لا حديثاً»(٣) <.

هذا ما ذكره. و أنت إذا تذكرت ما ذكرناه لك من معنى الحمد ظهر لك معنى «الحمد الأول و الآخر»، و هو حمد الله _ تعالى _ نفسه أولاً فى المرتبة الألوهية و ثانياً فى المرتبة الإمكانية.

و «كرور الأزمنة» أى: عودها مرة أخرى، من: كَرَّ يَكْرُرُ كَرّاً و كروراً _ من باب قتل _ : إذا عاد و رجع بعد الذهاب، و منه: تكرير الشيء _ و هو: إعادته مراراً _ .

>و «تزايد» الشيء من: الزيادة. و تفاعل هنا بمعنى: تَفَعَّلَ الذى هو للعمل المتكرر فى مهلة؛ قال فى الأساس: «من(٤): تزايد السعر(٥). و تزايدوا فى ثمن السلعة حتى بلغ منتهاه»(٦)؛

ص : ٢٤٢

١- ١. كما حكاها العلامة المدنى، راجع: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٣٤٦.

٢- ٢. هذا قول المحدث الجزائرى، راجع: «نور الأنوار» ص ١٩٥.

٣- ٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٣٤٦.

٤- ٤. الأساس: _ من.

٥- ٥. الأساس: + و تزيد.

٦- ٦. راجع: «أساس البلاغة» ص ٢٨٠ القائمه ١.

انتهى. و المعنى (١) <: يتزايد و ينمو شيئاً فشيئاً.

«أضعافاً»: بعضها خلف بعض، و هو منصوبٌ إمّا على الحائِثِ _ أى: حالكونه أضعافاً _ ، أو على التمييز المحوّل عن الفاعل، و الأصل: يتزايد أضعافه _ بدليل قوله: «يتضاعف على كرور الأزمنه» _ ، ثمّ حوّل الإسناد إلى الحمد و نصب «أضعافاً» على التمييز؛ أو على المفعولِيه المطلقة _ لنيابته عن مصدر الفعل _ ، و الأصل: تزايد أضعاف، فحذف المصدر و أنيب «أضعافاً» منابه.

و «مترادفه» أى: متتابعة متلاحقة.

و «إحصاء» الشىء: تحصيله بالعدد.

و «الحفظه»: جمع حافظ، من: حفظت الشىء: إذا رعيته و تعهّدته. و المراد بهم هنا: الملائكة الحافظين و الكرام الكاتبين؛ و قد تقدّم الكلام عليهم فى اللمعه الثالثه.

و «وازن» الشىء: ساواه فى الوزن.

و «مساواه الحمد العرش» قيل: «لأجل أنّ المركز فى الطبائع أنّه ليس شىءٌ أعظم من العرش»؛

أقول: بل لأجل أنّ حقيقه الحمد مساويه لحقيقه العرش _ كما مرّ _ ؛ فتدبرّ!

و «العرش» > قيل: «عبارة عن علمه المحيط بجميع الأشياء»؛

و قيل: «هو مطاف الملائكة»؛

و قيل: «هو الفلك التاسع المسمّى بفلك الأفلاك و الفلك الأطلس»؛

و قيل: «هو كناية عن سلطانه و ملكه _ تعالى _» (٢) <؛

و قيل وجوهٌ أخرى؛ و قد مرّ تحقيق الكلام فيه.

و «الكرسى» لغه: كلّ أصلٍ يُحتمل عليه، و: كلّ شىءٍ تراكب و تبالد؛ من: «الكرس» _ بالكسر _ ، و هو: تراكم الشىء بعضه على بعض و تلبّد جزء منه على جزء؛ و منه: الكرسي،

ص : ٢٤٣

١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٣٤٧.

٢- ٢. قارن: نفس المصدر و المجلّد ص ٣٤٨.

و هو: الأبدال و الأبعاد يتلبد بعضها على بعض؛ و: الكراسه _ و جمعها: الكراريس _ ليتركب بعض أوراقها على بعض؛ و: الكرسي: الموضوع لهذه الهيئه المعروفه المصنوع لما يجلس عليه، لتركب خشباته.

و للمفسرين فى معناه أقوالاً:

الأول: أنه جسمٌ عظيمٌ يسع السماوات و الأرض من جهه الظرفيه و الإحاطه المقداريه. ثم القائلون بهذا المعنى اختلفوا:

ففرقه ذهبوا إلى أنه هو العرش، و هما جسمٌ واحدٌ، و به قال الحسن(١). و استدّلوا بأن «السري» قد يوصف بأنه عرشٌ، لقوله _ تعالى _ : «وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ»(٢)، و بأنه كرسيٌ، لقوله _ سبحانه(٣) _ : و جلس سليمان على كرسيه، و لكون كل منهما يصح التمكن عليه؛

و فرقه ذهبوا إلى أن كل واحدٍ منهما غير الآخر؛ ثم اختلفوا:

فمنهم من قال: أنه سريزٌ دون العرش و فوق السماء السابعه، و قد روى ذلك عن أبى عبد الله _ عليه السلام _ مرفوعاً فى مجمع البيان(٤)؛

و قال آخرون: أنه تحت الأرض، و هو منقولٌ عن السدى(٥)؛

و منهم من قال: أن السماوات و الأرض جميعاً على الكرسي و الكرسي تحت الأرض، كالعرش فوق السماء.

و من أهل الهيئه من ذهب إلى أن الفلك الثامن هو الكرسي، و العرش هو مجموع الثمانيه يتعلّق به نفسٌ يحركه بالحركه السريعه اليوميّه؛ و به قال المحقق الطوسى(٦) _ رحمه الله _ .

ثم اعلم! أننا قد ذكرنا لك فيما سبق أنه ما خلق الله من شىء فى عالم الصوره إلا و له نظيرٌ فى عالم المعنى حتّى ينتهى إلى الله _ تعالى _ ، إذ العوالم متطابقه _ كما مرّ غير مرّه _ ؛ فالأدنى

ص : ٢٤٤

١-١. راجع: «مجمع البيان» ج ٢ ص ١٦٠.

٢-٢. كريمه ٢٣ النمل.

٣-٣. كذا فى النسختين، و يمكن أن يكون إشارة إلى كريمه ٣٤ صآ.

٤-٤. راجع: «مجمع البيان» ج ٢ ص ١٦٠.

٥-٥. و انظر: «تفسير القرطبي» ج ٣ ص ٢٧٧.

٦-٦. لم أعثر على قوله هذا.

مثالٌ وظلٌّ للأعلى والأعلى روحٌ وحقيقته للأدنى، ... وهكذا إلى حقيقته الحقائق. فكلٌ ما فى عالم الدنيا أمثله وقوالب لما فى عالم الآخرة، وكلٌ ما فى عالم الآخرة _ على درجاتها _ مثالٌ وأشباحٌ للحقائق العقليّة والصور المفارقة، وهى مظاهر لأسماء الله _ تعالى _ .

ثم ما خلق شيءٌ فى العالمين إلّا وله مثالٌ وأنموذجٌ فى عالم الإنسان، فليجعل ذلك دستوراً لما فى العالم الكبير.

فنقول: كما أنّ مثال العرش فى ظاهر الإنسان قلبه الصنوبريّ الشكل المخروطيّ الهيكل، وفى باطنه روحه النفسانيّ، وفى باطن باطنه نفسه الناطقه _ إذ هى محلّ استواء الروح الإضافى الأمرى الذى هو جوهرٌ قدسىّ وسرٌّ إلهيّ بخلافه الله فى هذا العالم الصغير من وجه _ ، و مثال الكرسيّ فى الظاهر صدره، وفى الباطن روحه الطبيعيّ، الذى هو مستوى نفسه الحيوانيّة التى وسعت سماوات القوى الطبيعّية السبعة _ : الغاذية والنامية والمولده والجاذبه والماسكه والهاضمه والدافعه _ ، كما وسع الصدر مواضع تلك القوى وأرواحها المنتشرة فى الأعصاب والرباطات وغيرها؛

فكذلك مثال العرش فى ظاهر العالم الكبير فلك الأطلس المستدير، وفى باطنه نفسه المستدير، وفى باطن باطنه العقل الذى هو محلّ استواء عرش الله الأعظم _ وهو المعبر عنه بالفيض الإنبساطيّ والحقّ المخلوق به، كما مرّ ذكره غير مرّة _ ؛

و مثال الكرسيّ فى الظاهر فيه الفلك الثامن _ المشتمل على الأفلاك السبعة المشهوره والعناصر المعروفة _ ، وفى الباطن نفسه الخفيّة _ التى هو مستوى النفس الكليّة _ .

فلنرجع إلى شرح الألفاظ؛ فنقول:

«كمال» الشئ: حصول ما فيه الغرض منه.

و «الثواب»: ما يرجع إلى الإنسان من جزاء أعماله. وأصله من: تاب ثوباً أى: رجع؛ فسمى جزاء العمل: ثواباً على تصوّر أنّه هو. وقد أسلفنا فى اللمعه الأولى أنّ الصحيح أنّ الجزاء فى الآخرة هو عين العمل هنا _ خيراً كان أو شراً _ ؛ فإنّا قد حقّقنا لك أنّ الحقيقه الواحده تختلف صورها باختلاف المواطن المتعدّده، فتتحلّى فى كلّ موطنٍ بحليّه ويتّريّا فى

كلّ نشأه بزى.

> و «ظاهر الحمد»، قيل: «ما أعلن (١) منه؛ و «باطنه»: ما أسر منه»؛

و قيل: «ظاهره: ما عمل بالجوارح؛ و «باطنه»: ما عمل بالقلب» (٢) <.

أقول: المراد من «ظاهر الحمد» على طريقتنا هو القشر؛ و من «باطنه»: هو اللب. و هكذا حتّى ينتهى إلى الحمد الذى هو حمد ذاته المقدّسه فى المرتبه الألوهيه _ كما مرّ تحقيق ذلك فى اللمعه الأولى _ .

قال الفاضل الشارح: «و لما كان ما يسيّر من العمل خالصاً فى الغالب عن الرياء و السمع، سأل _ عليه السلام _ أن يكون ظاهر حمده موافقاً لباطنه _ أى: فى الخلوص من شائبه تشوبه _ ، ثمّ لما كان الباطن من العمل قد يخلو عن صدق التّيه _ أى: حسنّها، و هو الإقبال على العمل من صميم القلب أو تركيتها عن جميع النقائص و تصفيتها من غير وجه الله تعالى _ ، سأل _ عليه السلام _ أن يكون باطن حمده موافقاً لصدق التّيه و حسنّها فيه؛ فيكون ظاهره كباطنه و باطنه مشتملاً على صدق التّيه فيه» (٣)؛ انتهى.

و هو _ كما ترى _ لا يليق بشأنه _ عليه السلام _ !، و التحقيق ما ذكرناه لك فى مبحث التّيه؛ فتذكر!

قوله _ عليه السلام _ : «لم يحمدك خلق مثله» لأنّ حمده _ عليه السلام _ لم يقدر عليه أحد، إذ حقيقه الحمد هى إظهار الكمالات و إظهار كمال كلّ نفس بحسب نحو وجودها، فما هو وجوده أشدّ و أقوى فإظهار كمالاته أكثر و أوفر؛ و لاشكّ أنّ وجوده _ عليه السلام _ أشدّ و أقوى من كلّ وجودٍ بعد الواجب _ تعالى _ ، فلا يمكن لأحدٍ مثل حمده؛ و لذا قال _ عليه السلام _ : «و لا يعرف أحدٌ سواك فضله».

ص : ٢٤٦

١- ١. المصدر: ما أعلی.

٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٣٥١.

٣- ٣. راجع: نفس المصدر.

حَمْدًا يُعَانُ مَنْ اجْتَهَدَ فِي تَعْدِيدِهِ، وَ يُؤَيِّدُ مَنْ أَغْرَقَ نَزْعًا فِي تَوْفِيَّتِهِ. حَمْدًا يَجْمَعُ مَا خَلَقْتَ مِنَ الْحَمْدِ، وَ يَنْتَظِمُ مَا أَنْتَ خَالِقُهُ مِنْ بَعْدِ. حَمْدًا لَا حَمْدَ أَقْرَبُ إِلَى قَوْلِكَ مِنْهُ، وَلَا أَحْمَدَ مِمَّنْ يَحْمَدُكَ بِهِ. حَمْدًا يُوجِبُ بِكَرَمِكَ الْمَزِيدَ بِوُفُورِهِ، وَ تَصِلُهُ بِمَزِيدِ بَعْدِ مَزِيدٍ طَوْلًا مِنْكَ. حَمْدًا يَجِبُ لِكَرَمِ وَجْهِكَ، وَ يُقَابِلُ عِزَّ جَلَالِكَ.

«يعان» من: الإعانة، أى: يحتاج إلى معاونه الناس؛ أو إلى تأييده _ تعالى _، و هو إخبارٌ. و قيل: «هو دعاء، كأنه قال: اللَّهُمَّ أَيْدِ مَنْ بِالْغِ فِي تَوْفِيَّتِهِ حَتَّى يُوْفِيَهُ»؛

و هو بعيدٌ!

و «الإعانة» و «الأيد» من الله هما عبارتان عن: إعطاء ما يقوى به المكلف على فعل الخيرات و المبرّات، و بالجمله ما يوجب السعادة الدنيويّة و الآخرويّة.

و «يُؤَيِّدُ» بالمجهول.

و «من أغرق نزعاً في توفيته»، >يقال: أغرق نزعاً في الأمر: إذا بالغ و استفرغ الجهد فيه(١)<.

و «حماً يجمع ما خلقت من الحمد» أى: حماً يجمع جميع أفراد الحمد حتى لا يخرج حمداً منه.

و «ينتظم ما أنت خالقه من بعد» أى: ينتظم و يجمع الحمد الذى سيخلق، أى: لا يخرج فرداً من أفراد الحمد إلا و هو داخل فيه من الأزل إلى الأبد؛ و هذه الفقرة مواخية و موافقة للأولى و غرضها.

و «حماً لا حمد أقرب إلى قولك منه» أى: إلى ما يحمد به نفسه، فهو أكمل و أعلى.

و «لاأحمد» إمّا عطفٌ على قوله: «لاحمد» _ أى: و لا يوجد حامداً مِمَّنْ يحمدك به _، و إمّا عطفٌ على «أقرب» _ أى: و لا حمداً أحمداً مِمَّنْ يحمدك به، و يرجع إلى أنه لا يكون فى

ص : ٢٤٧

الحامدين من حمده أحمد من هذا الحمد _ .

و «أحمد»: أفعل تفضيل من الحمد، و هو إمّا بمعنى فاعل _ أى: لأكثر منه حمداً لله تعالى _ ، أو بمعنى: مفعول _ و المعنى: لأكثر منه فى الناس محموديةً _ .

و «الباء» فى «بوفوره» للمصاحبه؛ أو الاستعانه؛ أو السبيته.

و «المزيد» مصدرٌ ميميٌّ بمعنى: الزيادة. و «وفر» المال يفر _ من باب وعد و كرم _ وفوراً: كثر و اتسع، فهو وفرّ و وفرّ؛ أى: بكثرتة و اتساعه.

و «تصله بمزيد بعد مزيد» أى: و تصل أنت ذلك بمزيد إحسانك بعد مزيد إحسانٍ، يعنى: تصل ذلك الحمد بإحساناتٍ متواليه متكاثره.

و «الطول» _ بفتح الطاء _ : التفضّل.

و «حمداً يجب لكرم وجهك» أى: حمداً يجب و يليق كرامه وجهك.

و «يقابل عزّ جلالك»، من المقابله بمعنى: المواجهه.

ثم بعد الإتيان بالحمد شرع فى الصلاه على النبى _ صلى الله عليه و آله و سلم _ ؛ و قال:

رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ، الْمُتَّجِبِ الْمُضِيْطْفَى الْمُكْرَمِ الْمُقَرَّبِ أَفْضَلَ صَلِّ لِمَوَاتِكَ، وَ بَارِكْ عَلَيْهِ أَتَمَّ بَرَكَاتِكَ، وَ تَرَحَّمْ عَلَيْهِ أَمْتَعْ رَحْمَاتِكَ. رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، صَلِّ لَاهَ زَاكِئِهِ لَا تَكُونُ صَلِّ لَاهَ أَرْكَى مِنْهَا، وَ صَلِّ عَلَيْهِ صَلِّ لَاهَ نَامِيَهُ لَا تَكُونُ صَلِّ لَاهَ أَنْمَى مِنْهَا، وَ صَلِّ عَلَيْهِ صَلِّ لَاهَ رَاضِيَهُ لَا تَكُونُ صَلِّ لَاهَ فَوْقَهَا.

«رَبِّ» بحذف حرف النداء، و هو: «يا» خاصه، أى: يا رب.

و «أفضل الصلاه»: أشرفها و أعظمها كمّاً و كيفاً.

حو «بارك عليه» أى: اقض عليه بركاتك؛ و «بركاته» _ تعالى _ : نعمه المتواتره.

و «ترحم عليه» أى: بالغ فى إفاضه أمتع رحمتك عليه، يقال: متّعه الله بالشىء و أمتعته

به أى: نفعه به؛ و يحتمل أن يكون «أمتع» بمعنى: أجود، من: مَتَعَ الشَّيْءُ أَيْ: جاد(١)؛ و يحتمل أن يكون بمعنى: الدوام، من قولهم: مَتَّعَنِي اللَّهُ بِرُؤْيَيْكَ أَيْ: أدامها لي، ف _ «أمتع رحمتك» أَيْ: أدامها.

و «زاكيه» أَيْ: زائدهً.

<و «ناميه» أَيْ: كثيرة، من: نَمَى الشَّيْءُ يَنْمَى نَمَاءً _ بالفتح و المَدَّ _ أَيْ: كثر(٢)>.

و «راضيه»، قيل: «بمعنى: المرضيَّه، كما فى قوله _ تعالى _: «فِي عَيْشِهِ رَاضِيَهُ»(٣)؛

و قيل: «راضيه أَيْ: ذات رضى، على النسبه بالصيغه _ فَإِنَّ النِّسْبَةَ نَسَبَتَانِ: نَسْبَةٌ بِالْحَرْفِ، كَقَرَشَى وَ بَصْرَى؛ وَ نَسْبَةٌ بِالصِّيغَةِ، كَلَابِنِ وَ تَامِرٍ لِلْمَنْسُوبِ إِلَى اللَّبَنِ وَ التَّمْرِ، أَيْ: ذَى لَبَنٍ وَ ذَى تَمَرٍ. وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ الْإِسْنَادِ الْمَجَازِيِّ، كَقَوْلِكَ: نَهَارُهُ صَائِئٌ، جَعَلَ الصُّومَ لِلنَّهَارِ وَ هُوَ لِصَاحِبِهِ. قَالَ ابْنُ جُنَيٍّْ: «إِذَا حَمَلَتْ رَاضِيَهُ عَلَى مَعْنَى ذَاتِ رَضَى كَانَتْ بِمَعْنَى: مَرْضِيَهُ»(٤). وَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ التَّاءَ فِيهَا حِينَئِذٍ لَيْسَتْ هِيَ التَّاءُ الَّتِي يَخْرُجُ بِهَا اسْمُ الْفَاعِلِ عَلَى التَّأْنِيثِ، لِتَأْنِيثِ ذَلِكَ الْفِعْلِ مِنْ لَفْظِهِ؛ لِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ تِلْكَ لَفَسَدَ الْقَوْلُ. أَلَّا تَرَى أَنَّهُ لَا يَقَالُ: رَضِيَتْ الْعَيْشَةُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى. وَ إِذَا لَمْ تَكُنْ إِيَّاهَا وَجِبَ أَنْ تَكُونَ التَّاءُ لِلْمُبَالِغَةِ _ كَدَاهِيهِ وَ رَاوِيهِ، مِمَّا لَحَقَهُ لِلْمُبَالِغَةِ _، وَ حَسَنَ ذَلِكَ جَرِيَانُهَا صِفَةً عَلَى مُؤَنَّثٍ(٥)؛ انتهى.

رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، صَلَّاهُ تُرَضِّيهِ وَ تَزِيدُ عَلَى رِضَاهُ، وَ صَلِّ عَلَيْهِ صَلَّاهُ تُرَضِّيكَ وَ تَزِيدُ عَلَى رِضَاكَ لَهُ، وَ صَلِّ عَلَيْهِ صَلَّاهُ لَا تُرَضِّي لَهُ إِلَّا بِهَا، وَ لَا تُرَى غَيْرُهُ لَهَا أَهْلًا.

و «تزيد على رضاه» مرضيَّه، من قولهم: هذا شَيْءٌ رَضِيَ أَيْ: مرضيٌّ _ أَيْ: تزيد على ما

ص : ٢٤٩

١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٣٦٠.

٢- ٢. قارن: نفس المصدر و المجلد ص ٣٦٠.

٣- ٣. كريمه ٢١ الحاقه / ٧ القارعه.

٤- ٤. لم أعثر عليه.

٥- ٥. هذا قول العلامة المدني، راجع: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٣٦٠.

يرضاه من الصلاه _ ؛ أى: صلّ على محمّدٍ وآله صلاةً تجعل محمّداً راضياً فوق رضاه.

و «صلاةً ترضيك و تزيد على رضاك له»، قيل: «التقدير هكذا: إرحم على محمّدٍ وآله برحمه ترضيك عنّا و تزيد على رضاك عنّا له»؛

و قال الفاضل الشارح: «ثمّ لما استشعر _ عليه السلام _ أنّه _ تعالى _ لا يرضى له إلّا بالصلاه الّتى هى أتمّ الصلوات و الرحمة الّتى هى أكمل الرحمات، سأل أن يصلّى عليه صلاةً لا يرضى له إلّا بها، فلا تكون صلاةً أشرف منها؛ إذ لو كان فوقها صلاةً أشرف منها لم يرض له بما دونها(١). ثمّ لما كان _ صلّى الله عليه وآله و سلّم _ فى الرتبة الّتى لا يشاركه فيها أحدٌ من الشرف و الكمال، سأل _ عليه السلام _ أن يصلّى عليه صلاةً لا يشاركه فيها أحدٌ، فقال: لا ترى غيره لها أهلاً(٢)؛ انتهى كلامه.

و هو كما ترى!.

و الظاهر أنّ هذه الفقرات إشارةً إلى المراتب الثلاث الّتى سلك الخضر مع موسى _ عليهما السلام، على ما لا يخفى على الخبير البصير _ .

رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ صَلَاةً تُجَاوِزُ رِضْوَانَكَ، وَ يَتَّصِلُ اتِّصَالُهَا بِبِقَائِكَ، وَ لَا يَنْفَدُ كَمَا لَا تَنْفَدُ كَلِمَاتُكَ.

«الرضوان»: الرضى الكثير. و لما كان أعظم الرضى رضى الله خصّ لفظ الرضوان فى القرآن بما كان من الله _ تعالى _ ؛ هكذا قال الراغب(٣). أى: صلاةً تجاوز رضاك له.

و «يَتَّصِلُ اتِّصَالُهَا بِبِقَائِكَ»، لأنّ مرتبه الرضى دون مرتبه البقاء _ كما مرّ غير مرّة _ .

و قيل: «المراد من «الرضوان»: الجنّة؛ أى: لا تكتفّ بالجنّة، بل تجاوز على الجنّة و يتّصل اتّصالها ببقائك».

ص : ٢٥٠

١- ١. ههنا حذف المصنّف قطعةً من كلام العلامة المدنى.

٢- ٢. راجع: نفس المصدر و المجلّد ص ٣٦٢.

٣- ٣. راجع: «المفردات» ص ٣٥٦ القائمة ١.

و اختلفوا فى صفه البقاء؛

فذهب الأشعرى إلى أنه باقٍ ببقاءٍ زائدٍ يقوم على ذاته؛

و ذهب الآخرون إلى أنه باقٍ لذاته، و ليس البقاء زائداً عليه، بل هو عين ذاته بذاته^(١)؛

و هو الحقّ الذى لا يعتريه شكٌّ و ريبٌ، فإنّ وجوب الوجود مقتضى للبقاء و الإستغناء. فلو كان مفتاقاً فى شىءٍ من ذاته و صفاته إلى غيره لزم الانقلاب — كما هو بديهى عند أولى الألباب —؛ و هو محالٌ بلاشكٍّ و ارتيابٍ.

و «نفد» الشىء ينفد — بالدال المهملة — نفاداً: فنى و انقطع، أى: لا تنفى تلك الصلاه كما لا تنفى كلماتك. و هذا إشارة إلى قوله — تعالى — فى سورة لقمان: «وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرٍ أَقْلَامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»^(٢).

و «كلماته — تعالى —» قيل: «مقدوراته التى هى فى المقدور، دون ما خرج منها إلى الوجود»؛

> و قيل: «صفاته، و معنى «عدم نفادها»: عدم تناهى تعلقاتها»؛

و قيل: «كلمات علمه و حكمته»؛

و قيل: «معانى كلماته و فوائدها، و هى القرآن و سائر كتبه. و لم يرد بذلك أعيان الكلمات، لأنه قد فرغ من كتابتها»؛

و قال الشيخ الطبرسى: «الأولى أن تكون^(٣) عبارة عن معلوماته و مقدورات^(٤)، لأنها إذا كانت لا تنهاى فكذلك الكلمات التى تقع عبارة عنها لا تنهاى»^(٥)؛ انتهى.

و قالوا: تقدير الآية: لو أنّ الأبحار أقلامٌ و الحال أنّ البحر المحيط بسعته تمدّه الأبحر السبعة مدّاً لا تنقطع أبداً و كتبت بتلك الأقلام و بذلك المداد كلمات الله ما نفدت كلمات الله و

ص : ٢٥١

١- ١. و انظر فى المذهبين: «البراهين فى علم الكلام» ج ١ ص ١٦٠، «تلخيص المحصل» ص ٢٩٢، «شرح القوشجى» على تجريد الإعتقاد ص ٢٣٠، «إرشاد الطالبين» ص ٢١٣.

٢- ٢. كريمه ٢٧ لقمان.

٣- ٣. مجمع البيان: يكون.

٤- ٤. مجمع البيان: مقدورات و معلوماته.

٥- ٥. راجع: «مجمع البيان» ج ٨ ص ٩٢.

نفدت تلك الأقلام و ذلك المداد!.

قيل: «و إسناد المد إلى الأبحر السبعة دون البحر المحيط _ مع كونه أعظم منها _ لأنها هي المجاوره للجبال و منابع المياه الجارية، و إليها تنصب الأنهار العظام أولاً و منها تنصب إلى البحر المحيط ثانياً»؛

و قيل: «المراد بـ «البحر»: جنس البحار، و بـ «السبعة الأبحر»: التكثير، لا التقرير»^(١)؛ هذا ما ذكروه.

و قد ذكرنا لك فيما سبق أنّ «الكلمات التامات» هي هويّات وجوديّة بسيطة و ذوات مجرّدة عن الموادّ الجسميّة مرتفعه عن عالم الأزمنه و الأمكنه، كأنّها فوق الخلق و دون الخالق؛ لأنّها حجب إلهيّة و سرادق نوريّه و أضواء قيوميّه _ كأضواء هذا الشمس المحسوسه _ كأنّها برزخ بين الذات التّيره و بين الأشياء المستنيره بها.

و إنّما وصفت بأنّها تامّات، لأنّ جميع ما لها من الكمال هو بالفعل ليس فيها شوب قوّه استعداديّة و لا كمال منتظر و لا أحوال مترقبه الحصول. و قد يعبر عنها بـ «قول الله»، لقوله _ تعالى _ : «لَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَعْدِيَّ»^(٢)، و قوله _ تعالى _ سبحانه _ : «إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»^(٣).

و الأسماء متكرّرة باعتبار حيثيّاتٍ مختلفه، و المسمّى واحد؛ فمن حيث يقع بها إعلام الحقائق من الله _ تعالى _ يقال لها: «الكلمات»؛

و من حيث يجب بها وجود الكلّيات كلّ في وقته: «أمر الله»، و: «قضاؤه الحتمي»؛

و من حيث يكون بها حياه الموجودات يقال لها: «روح الله»، _ «قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي»^(٤) _ .

و أمّا وجه أنّها «لا تنفد» و «لا تنفى»، فهو أنّ عالم الأمر خير كلّ برىء من الشرّ و العدم

ص : ٢٥٢

١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٣٦٤.

٢- ٢. كريمه ٢٩ ق.

٣- ٣. كريمه ٤٠ النحل.

٤- ٤. كريمه ٨٥ الإسراء.

و التغيير و الزوال، لأنَّ شيئاً من هذه الأمور لا يتحقّق إلّا فى ناحيه عالم الخلق، إذ وجود ذلك العالم لا يتعلّق إلّا بذاته _ تعالى _ لا بشيءٍ آخر من مادّه أو حركه أو زمانٍ أو استعدادٍ و زوال مانع أو حدوث شرطٍ؛ و كلّ ما هو كذلك فليس بقابل العدم و الزوال، إذ كلّ ما جاز عدمه بعد أن وجد فذلك بسبب عدم شيءٍ من أسباب وجوده أو أجزاء علّته التامّه _ ضروره أنّ العلّه التامّه للشئ مادامت باقيةً يمتنع عدمه، لاستحاله إنفكاك المعلول عن علّته التامّه _ .

فإذن لو فرض عدم المفارق العقليّ لذلك يستلزم عدم شيءٍ من أسباب وجوده، و هى العلل الأربع: الفاعل و الغايه و المادّه و الصوره؛ لكنّه لامادّه له _ لتجرّده عن المحلّ و الوضع _ ؛

و لاصوره له _ لبساطته و عدم تركّبه الخارجيّ، بل ذاته نفس صورته المجرّده عن الموادّ _ ؛

و أمّا فاعله فهو ذات واجب الوجود؛

و كذا علّته الغائيّه ذاته المقدّسه؛

فإذن لا سبب له إلّا فاعليّته و غائيّته، و هما شيءٌ واحدٌ ممتنع العدم بالذات، فهو أيضاً واجب البقاء ببقائه _ تعالى _ ، لابلقائه _ إذ ليس فيه إمكان العدم _ .

فان قلت: أ ليس كلّ ما هو عن ذاته _ تعالى _ فهو ممكنٌ، و كلّ ممكنٍ جائز العدم؟!

قلت: إمكان المفارقات إمكان ذاتيّ، إذ ليست لها مهيهٌ يعرضها الوجود و يسبق إمكانها فى الخارج على وجودها _ كما فى الطبائع الماديّه و الأكوان الزمانيّه _ .

ف _ «الكلمات» فى الآيه المذكوره إشارة إلى الذوات النوريّه الّتى بها يصل فيض الوجود إلى الأجسام و الجسمانيّات؛

و «البحر» إشارة إلى هيولى الأجسام الّتى شأنها القبول و التجدّد. و إنّما يقع تجدّد الفيض بحسب توارّد إنفعالاتها و استعداداتها، و إنّما يتلاحق استعداداتها بمددٍ بعد مددٍ من العوالى.

فشأن الموادّ النفاد و الإنقطاع؛ و شأن الكلمات الإفاضه بعد الإفاضه. فاحتفظ بما قلنا

لك في هذا المقام، فإنه عزيز المرام جداً لا يوجد إلا في مثل هذا الكتاب!.

رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، صِيْلَاهُ تَنْتَظِمُ صَلَوَاتِ مَلَائِكَتِكَ وَأَنْبِيَائِكَ وَرُسُلِكَ وَأَهْلِ طَاعَتِكَ، وَتُشْتَمِلُ عَلَى صَلَوَاتِ عِبَادِكَ مِنْ جَنَّكَ وَإِنْسِكَ وَأَهْلِ إِجَابَتِكَ، وَتَجْتَمِعُ عَلَى صَلَاةٍ كُلِّ مَنْ ذَرَأَتْ وَبَرَأَتْ مِنْ أَصْنَافِ خَلْقِكَ.

«صلوات ملائكتك» أي: تجمعها و تجمع فضلها؛ و قيل: «أو صارت في سلك صلواتهم».

و قد تقدّم الكلام على الفرق بين «النبي» و «الرسول».

و «زرأ» و «برأ» كلاهما بمعنى: خلق، فهو من باب عطف الشيء على مرادفه.

حو «الأصناف»: جمع صنف، بالكسر _ كحمل و أحمال، و ثقل و أثقال _، و قد يفتح في لغه فيجمع على صنوف _ كفلس و فلوس _؛ قال الجوهري: «هو النوع و الضرب» (١)؛ و قال آخر: «هو الطائفة من كل شيء» (٢)(٣). و الغرض إستيعاب الصلاه عدد كل الموجودات.

رَبِّ صَلِّ عَلَيْهِ وَآلِهِ، صِيْلَاهُ تُحِيطُ بِكُلِّ صِيْلَاهِ سَالِفِهِ وَ مُسْتَأْنَفِهِ، وَ صَلِّ عَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ صَلَاةً مَرْضِيَّةً لَكَ وَ لِمَنْ دُونَكَ، وَ تُنْشِئْ مَعَ ذَلِكَ صَلَوَاتٍ تُضَاعِفُ مَعَهَا تِلْكَ الصَّلَوَاتِ عِنْدَهَا، وَ تَزِيدُهَا عَلَى كُرُورِ الْأَيَّامِ زِيَادَةً فِي تَضَاعِيفٍ لَا يَعُدُّهَا غَيْرُكَ.

و «الإحاطه»: الإستداره من كل جانب، و منه قيل للبناء: الحائط.

حو «سلف» الشيء سلفاً _ من باب قعد _: مضى و انقضى، فهو سالف؛ و الجمع:

ص : ٢٥٤

١- ١. راجع: «صاح اللغة» ج ٤ ص ١٣٨٨ القائمة ١.

٢- ٢. هذا نصّ كلام الخليل حيث قال: «الصنف: طائفة من كل شيء»، راجع: «ترتيب كتاب العين» ج ٢ ص ١٠١٤ القائمة ٢.

٣- ٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٣٦٨.

سَلَفٌ وَ سُلَافٌ _ مثل خدم و خَدَامٌ _ ، و أما الأسلاف فيجمع: سَلَفٌ _ كَسَبَ و أسباب، فهو جمع جمعٍ _ .

و «استأنفت» الشيء: ابتدأته و أحدثته، يقال: هذا شيءٌ مستأنفٌ أى: مبتدئٌ لم يتقدّم قبل هذا الوقت (١)؛ أى: صلاةٌ تجمع الصلوات الماضية و المستقبله.

و «صلاةٌ لك و لمن دونك» أى: سواءٌ كانت صلاةٌ صلّيت عليه لك أو لمن دونك، أى: حالكونها ثابتةً لك بأن صدرت منك أو من غيرك؛ أو «اللام» للتعليل و المعنى: صلاةٌ لأجلك و لأجل من دونك. و فى بعض النسخ: «صلاةٌ مرضيةٌ لك و لمن دونك» (٢)، و على هذا فـ «اللام» فى «مرضيةٌ لك و لمن دونك» مبيّنةٌ للفاعل، لأنّ المعنى: ترضاه و يرضاه من سواك. و الغرض إظهار عجز من دونه _ سبحانه _ عن تأديهِ الصلاة عليه _ صلّى الله عليه و آله و سلّم _ حقّها، فسأل أن تصلّى عليه عن نفسه و عمّن دونه. و نظيرها وقع فى بعض المناجاة: >«إلهى! أنت تعلم عجزى عن مواقع شكرك، فاشكر نفسك عني!» (٣).

و «نشأ» الشيء نشأ، مهموزٌ بمعنى: حدث و تجدد؛ و: أنشأته: أحدثته، و الاسم: النشأ _ كتمره _ ، و قد تمدّ فيقال: النشأه _ كالضلاله _ ؛ أى: تحدث مع (٤) >الصلاة السالفه _ أو المنشأه _ صلاةٌ تزيد عليها أمثالها.

و قوله: «عندها» حالٌ من «الصلوات» قبلها، و الضمير عائذٌ إلى «الصلوات» المسؤلُ إنشاؤها؛ أو المعنى: تضاعف معها تلك الصلاة عند إنشاء الصلوات المسؤلُ إنشاؤها و عند حصولها، فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه، و هو كثيرٌ فى كلامهم.

و «كرور الأيام» أى: مادامت الأيام تكرر و ترجع.

ص : ٢٥٥

١- ١. قارن: نفس المصدر و المجلّد ص ٣٦٩.

٢- ٢. و هذا هو المشهور فى النسخ كما جعلناه فى المتن.

٣- ٣. لم أعثر على مأخذٍ لهذا المناجاة فى مصادر الفريقين الروائيّ و الدعائيّ، و أورده العلامة المدنّى فى موضعٍ آخر من كتابه و قال: «و فى مناجاه بعضهم»، راجع: «رياض السالكين» ج ٥ ص ٢٣٤.

٤- ٤. قارن: نفس المصدر ج ٦ ص ٣٧٠.

و «فى» من قوله: «فى تضاعيف» بمعنى: مع، أى: زيادةً مع تضاعيف.

و الجملة من قوله: «لا يعدها غيرك» فى محل جرّ صفة لـ «تضاعيف»، أى: لا يعلم عددها غيرك _ كما قال تعالى: «لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا» (١) _ .

رَبِّ صَيْلٍ عَلَى أَطَائِبِ أَهْلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ اخْتَرْتَهُمْ لِإِمْرِكَ، وَ جَعَلْتَهُمْ خَزَنَةَ عِلْمِكَ، وَ حَفَظَهُ دِينِكَ، وَ خُلَفَاءَكَ فِي أَرْضِكَ، وَ حُجَجَكَ عَلَى عِبَادِكَ، وَ طَهَّرْتَهُمْ مِنَ الرَّجْسِ وَ الدَّنَسِ تَطْهِيراً بِإِرَادَتِكَ، وَ جَعَلْتَهُمُ الْوَسِيلَةَ إِلَيْكَ، وَ الْمَسْلُوكَ إِلَى جَنَّتِكَ.

>«الأطائب»: جمع أطيب _ كأكابر: جمع أكبر _ ؛ و هو أفعل تفضيل من: طاب يطيب طيباً فهو طيبٌ: إذا كان لذيذاً، فإن أصل «الطيب»: ما تستلذه الحواس، ثم استعمل فى التنزه عن النقائص و الإتصاف بصفات الكمال.

و «أهل بيته» _ عليهم السلام _ عندنا: أهل الكساء، الذين أدخلهم معه تحت الكساء و قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتى و خاصتى، فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً» (٢)؛ و هم: على و فاطمة و الحسنان؛ كما تواترت به الروايات من الخاصه و العامه (٣) <. و من روايات العامه:

ما رواه مسلم فى صحيحه (٤) من طرق؛ فمنها فى الجزء الرابع فى فضائل أمير المؤمنين على بن أبي طالب _ عليه السلام _ فى ثالث كراسٍ من أوله من الباب الذى نقل الحديث منه فى

ص : ٢٥٦

١- ١. كريمه ٩٤ مريم.

٢- ٢. راجع: «مستدرک الوسائل» ج ١ ص ٤٦٠ الحديث ١١٦٠، «بحار الأنوار» ج ١٧ ص ٣٥٩، «الأمالى» _ للطوسى _ ص ٥٥٩ الحديث ١١٧٣، «تأويل الآيات» ص ٤٤٩، «تفسير فرات الكوفى» ص ٣٣١ الحديث ٤٥١.

٣- ٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٣٧١.

٤- ٤. راجع: «صحيح مسلم» ج ٤ ص ١٨٧١ الحديث ٢٤٠٣، و انظر أيضاً: «تفسير القرطبى» ج ١٤ ص ١٨٣، «موارد الظمان» ج ١ ص ٥٥٥ الحديث ٢٢٤٥، «الدرّالمثور» ج ٥ ص ١٩٨.

تفسير قوله _ تعالى _ : «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعِيدٍ مَيَّا حَيَاءُكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاتَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ»^(١)؛ فرفع المسلم الحديث إلى النبي _ صلى الله عليه وآله وسلم _ ، وهو يتضمن عدّه فضائل لعليّ بن أبي طالب _ عليه السلام _ خاصّة. ويقول في آخره: «ولما نزلت هذه الآية دعا رسول الله _ صلى الله عليه وآله وسلم _ عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً _ عليهم السلام _ وقال: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي»؛

و^(٢) عن عائشه: «إن رسول الله _ صلى الله عليه وآله وسلم _ خرج و عليه مرطٌ مرجلٌ من شعرٍ أسودٍ، فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم فاطمه ثم عليٌّ؛ ثم قال: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً» ... إلى غير ذلك من الأحاديث المتواتره الوارده من طرقهم في ذلك. وقد بسطنا الكلام في هذه الآية والأحاديث الوارده من طرق العامّه بما لا مزيد عليه في كتابنا الكبير المسمّى بأنوار الحقائق في مبحث الإمامه؛ من أراد الإطلاع عليها فليرجع إليه.

و القصّه^(٣): إنّ وفداً من نصارى النجران بعد فتح مكّه قدموا إلى النبي، وفيهم من علمائهم العاقب و عبدالمسيح. فسألوه عن دينه و عن نبوّته و عن عيسى، و جادلوه، فدعاهم بعد كثره المجادله إلى المباهله _ و هي مفاعلةٌ من المداعاه بمعنى: أنّهم يدعون و يبتهلون إلى الله تعالى أن يهلك المبطل _ ، و أنزل الله في ذلك: «فَقُلْ تَعَالَوْا» _ ... الآية المذكوره _ . فدعاهم النبي _ صلى الله عليه وآله وسلم _ إلى ذلك، فاستمهلوه للمشاوره و الفكره.

ص : ٢٥٧

١-١. كريمه ٦١ آل عمران.

٢-٢. راجع: نفس المصدر ج ٤ ص ١٨٨٣ الحديث ٢٤٢٤، و انظر أيضاً: «تفسير الطبري» ج ٢٢ ص ٦، «تفسير ابن كثير» ج ٣ ص ٤٨٦، «المستدرک علی الصحيحين» ج ٣ ص ١٥٩ الحديث ٤٧٠٧.

٣-٣. لتفصيل الحكايه راجع: «زاد المعاد» _ للزرعي _ ج ٣ ص ٦٢٩، «الروض الأنف» _ ج ٣ ص ١٦.

فلماخلوا بأنفسهم قالوا لعالمهم: ماذا عندك في ما دعانا إليه محمد؟

فقال العاقب _ و كان أعلمهم _ : الرأي عندى أن دعوه و تنظروا بمن تخرج للمباهله، فإن خرج إليكم بقومه و عشريته فباهلوه، فإنه ليس بصاحبكم؛ و إن خرج بأهله و خاصيته _ : أهل بيته _ فلاتباهلوه، فتهلكوا و لايبقى على وجه الأرض نصراني! ثم أرسلوا إليه بالدعاء إلى المباهله، فخرج النبي _ صلى الله عليه و آله و سلم _ إليهم بعلي و فاطمه و الحسن و الحسين، و لم يخرج بأحدٍ غيرهم من الأصحاب و الأنساب. فسألوا من أولئك الذين خرج بهم؟

ف قيل لهم: هم خاصه أهل بيته، هذا علي ابن عمه و زوج ابنته، و هذان ولداه من ابنته أبوهما ابن عمه؛

فقال العاقب لأصحابه: لاتباهلوه فتهلكوا!، فإنه ما خرج بنفسه و خاصه أهل بيته إلا و هو واثق بنجح مطلوبه و استجابه دعائه! و اننى لأرى وجوهاً لو سألوا الله _ تعالى _ أن يزيل جبلاً عن مكانه لأزاله!؛ فتركوا المباهله. و دعاهم إلى المقابله، فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة!، و بذلوا الجزية و الدخول فى الطاعة، فقبل منهم الجزية و أحرهم على دينهم.

فظهر مما ذكر أنّ أهل البيت هم أهل الكساء. ثم أطلق على باقى الأئمة المعصومين _ عليهم السلام _ تغليباً، و هو معلوم من السنه المتواتره.

و قد يطلق أيضاً على مطلق أولاده _ عليه السلام _ ، كما ورد فى الحديث: «أول من أشفع له يوم القيامة أهل بيتى، ثم الأقرب فالأقرب»(١).

قوله: «و خلفاءك فى أرضك».

«خلفاء» جمع: خليف _ ككريم و كرماء _ ، و هو: من يخلف غيره و ينوب منابه لأجل مناسبه تامه يستحق بها للخلافه لا يوجد فى غيره _ و إلا لكان وضعاً للشئ فى غير

ص : ٢٥٨

١- ١. راجع: الفردوس بمأثور الخطاب» ج ١ ص ٢٣، «التدوين فى أخبار قروين» ج ١ ص ٤٢٦، و انظر: «كشف الغمه» ج ١ ص ٥٢.

موضعه! _ ؛ فعيلٌ بمعنى: فاعل، ومنه: «جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ» (١). و يقال فيه: خليفه، بالتاء للمبالغه؛ و يجمع على: خلائف، ومنه: «وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ» (٢).

و اعلم! أَنَّ لله في كلِّ عالم و نشأه خليفه، و لخلفائه أيضاً خلفاء. و بهذا جرت سنته، لالحاجه له إلى من ينوبه في فعله _ لتعالیه عن القصور في فعله، لكونه تمام كلِّ حقيقه و كمال كلِّ وجود _ ، بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه و تلقى أمره من لديه بغير واسطه. و لذلك لم يستخلف ملكاً من الملائكه في الأرض _ كما قال: «وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَ لَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ» (٣).

و ذلك لأنه لما اقتضى حكم السلطنه الواجبه للذات الأزليه و الصفات العليه بسط مملكه الألوهيه و نشر لواء الوبويه بإظهار الخلائق و تحقيق الحقائق و تسخير الأشياء و إمضاء الأمور و تدبير الممالك و إمداد الدهور و حفظ مراتب الوجود و رفع مناصب الشهود، و كان مباشره هذا الأمر من الذات القديمه بغير واسطه بعيداً جداً _ لعدم المناسبه بين عزه القدم و ذله الحدوث _ حكم الحكيم بتخليف نائب ينوب عنه في التصرف و الولايه و الحفظ و الرعايه له وجهه إلى القدم يستمد به من الحق _ سبحانه _ و وجهه إلى الحدوث يمد به الخلق، فجعل على صورته خليفه يخلف عنه في التصرف. و خلع عليه جميع أسمائه و صفاته و مكّنه في مسند الخلافه بإلقاء مقادير الأمور إليه و إحاله حكم الجمهور عليه و تنفيذ تصرفاته في خزائن ملكه و ملكوته و تسخير الخلائق لحكمه و جبروته. و سمّاه إنساناً لإمكان وقوع الأنس بينه و بين الخلق برابطه الجنسيه و واسطه الإنسيه.

و جعل له بحكم اسمه الظاهر و الباطن حقيقه باطنه و صورته ظاهره ليتمكّن بهما من التصرف في الملك و الملكوت؛

فحقيقته الباطنه هي الروح الأعظم، و هو الأمر الذي يستحقّ به الإنسان الخلافه و

ص : ٢٥٩

١- ١. كريمه ٦٩ الأعراف.

٢- ٢. كريمه ١٦٥ الأنعام.

٣- ٣. كريمه ٩ الأنعام.

النفس الكلّيه وزبره و ترجمانه، و الطبيعه الكلّيه عامله و رئيسه، و العمله من القوى الطبيعه، و كذلك إلى آخر الروحانيات جنوده و خدمه؛

و أمّا صورته الظاهره بصوره العالم من العرش إلى الفرش و ما بينهما من البسائط و المركّبات. فهذا هو الإنسان الكبير المشير إليه قول المحقّقين: «إنّ العالم إنسانٌ كبيرٌ»^(١)؛ و أمّا قولهم: «الإنسان عالمٌ كبيرٌ»^(٢) أراد به أنواع البشر؛ و هو خليفه الله في أرضه _ كما أشير إليه في هذه الآيه _ .

و أمّا خليفه الله في السماء و الأرض فهو الإنسان الكبير، و الإنسان البشريّ نسخهٌ منتخبهٌ من الإنسان الكبير الإلهيّ، و نسبته إليه نسبه الولد الصغير من الوالد الكبير.

فله أيضاً حقيقه باطنه و صورته ظاهره؛

أمّا حقيقته الباطنه فالروح الجزئيّ المنفوخ فيه من الروح الأعظم و العقل الجزئيّ و النفس و الطبيعه الجزئيتان؛

و أمّا صورته الظاهريّه فنسخهٌ منتخبهٌ من صورته العالم، فيها من كلّ جزءٍ من أجزاء العالم _ لطيفها و كثيفها _ قسطٌ و نصيبٌ؛ فسبحانه من صانع جمع الكلّ في واحدٍ! _ كما قيل:

لَيْسَ مِنَ اللَّهِ بِمُسْتَكْرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ^(٣) _

و صورته كلّ شخصٍ إنسانيّ نتيجته صورته آدم و حواء _ عليهما السلام _ و معناه، و نتيجته الروح الأعظم و النفس الكلّيه _ اللّذين هما أيضاً آدمٌ كلّيّ و حواءٌ كلّيه _ ؛ و من هذا يصحّ أن يقول بعضٌ من كتمل أولادهما _ و خليفه الله في العالم كلّهُ هو محمّدٌ صلّى الله عليه و آله و سلّم _ عند بلوغه إلى المقام المحمود:

ص : ٢٦٠

١- ١. فانظر مثلاً: «مصباح الأنس» ص ٣٩٨.

٢- ٢. فانظر مثلاً: «شرح القيصري على فصوص الحكم» ص ٩١.

٣- ٣. اشتهر أنّ هذا البيت لأبيالغلاء المعريّ في مديح علم الهدى المرتضى _ رحمه الله _ ، و لم أعثر عليه في دواوينه، و انظر: «الفتوحات المكيه» _ طبعه بولاق _ ج ٢ ص ١٥.

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنُ آدَمَ صُورَةً فَلِي فِيهِ مَغْنًى شَاهِدٌ بِأَبَوْتِي (١)

و بعده عليٌّ _ عليه السلام _ ، كما قال _ عليه السلام _ : «كنت ولياً و آدم بين الماء و الطين» (٢)؛ و بعده أولاده المعصومين حتّى ينتهى النوبه إلى خاتم الولاية المطلقه.

قال بعض أهل الذوق: «خاتم النبوة المطلقه نبينا، و خاتم الولاية المطلقه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب _ عليه السلام _ . و النبوة المطلقه إنّما كملت و بلغت غايتها بالتدرّج، فأصلها تمهّد بآدم _ عليه السلام _ ، و لم تزل تنمو و تكمل حتّى بلغ كمالها إلى نبينا محمّد _ صلى الله عليه و آله و سلّم _ ؛ و لهذا كان خاتم النبيّين. و إليه الإشاره بما روى عنه _ صلى الله عليه و آله و سلّم _ : «مثل النبوة مثل دارٍ معموره لم يبق فيها إلّا موضع لبنه، و كنت أنا تلك اللبنه» _ أو لفظٌ هذا معناه (٣) _ ؛

و كذلك الولاية المطلقه إنّما تدرّجت إلى الكمال حتّى بلغت غايتها إلى المهدى الموعود ظهوره _ الذى هو صاحب الأمر فى هذا العصر و بقيه الله اليوم فى عبادته، صلوات الله و سلامه عليه و على آبائه المعصومين _ . و هذا مطابق لما ذكرنا؛ و بما ذكرنا ظهر معنى فقرات الدعاء.

و الأوصاف السبعة الّتى ذكر _ عليه السلام _ لـ «أطائب أهل بيته» هى جهات استحقاق الصلاه من الله عليهم.

و ممّا يدلّ على ما ذكرنا من توسط خليفه بينه _ جلّ و عزّ _ و بين خلقه: ما رواه رئيس

ص : ٢٤١

١- ١. من غرر أبيات التائيّه الكبرى، راجع: «جلاء الغامض فى شرح ديوان ابن الفارض» ص ١٢٠.

٢- ٢. لم أعثر عليه، و ورد: «كنت وصيّاً و آدم...»، راجع: «عوالى اللّثالى» ج ٤ ص ١٢٤ الحديث ٢٠٨.

٣- ٣. و هذا هو الصحيح، فانظر: «عوالى اللّثالى» ج ٤ ص ١٢٢ الحديث ٢٠٣، «المناقب» ج ١ ص ٢٣١.

المحدثين محمد بن علي بن بابويه القمي _ عظم الله قدره _ في كتاب معاني الأخبار (١) بإسناده عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا عبد الله _ عليه السلام _ يقول: «إِنَّ لِلَّهِ عِزًّا وَجَلًّا _ خَلَقَ خَلْقَهُمْ مِنْ نُورِهِ وَرَحْمَةٍ مِنْ رَحْمَتِهِ لِرَحْمَتِهِ، فَهُمْ عَيْنُ اللَّهِ النَّاطِرَةِ وَأُذُنُ السَّامِعِ وَلسَانُهُ النَّاطِقُ فِي خَلْقِهِ بِأُذُنِهِ، وَ أَمْنَاؤُهُ عَلَى مَا أَنْزَلَ مِنْ عَذْرٍ أَوْ نَذْرٍ أَوْ حُجَّةٍ؛ فَهُمْ يَمَحُو اللَّهُ السَّيِّئَاتِ وَ بِهِمْ يَدْفَعُ الْبَلِيَّاتِ وَ بِهِمْ يَحْيَى مَيِّتًا وَ يَمِيتُ حَيًّا، وَ بِهِمْ يَبْتَلِي خَلْقَهُ وَ بِهِمْ يَقْضَى فِي خَلْقِهِ قَضِيَّتُهُ؛

قلت: جعلت فداك! من هؤلاء؟

قال: الأوصياء».

و روى (٢) أيضًا بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله _ عليه السلام _ قال: «قال أمير المؤمنين _ عليه السلام _ في خطبته: أنا الهادي، أنا المهدي، أنا أبو اليتامى و المساكين و زوج الأرملة، و أنا ملجأ كل ضعيف و مأمن كل خائف، و أنا قائد المؤمنين إلى الجنة، و أنا حبل الله المتين، و أنا عروه الله الوثقى و كلمه الله التقوى، و أنا عين الله و لسانه الصادق و يده، و أنا جنب الله العذى يقول: «أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْبَ رَبِّي عَلَى مَا فَطَرْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ» (٣)، و أنا يد الله المبسوطة على عباده بالرحمة و المغفرة، و أنا باب حظته؛ من عرفني و عرف حقِّي فقد عرف ربِّي، لأنِّي وصي نبيِّه في أرضه و حجَّته على خلقه، لا ينكر هذا إلَّا رادُّ على الله و على رسوله»؛

و عن صاحب هذه الصحيفة السجادية _ عليه السلام _ : «نحن أبواب الله و نحن الصراط المستقيم، و نحن عيبه علمه و موضع سرِّه» (٤)؛

ص : ٢٦٢

-
- ١- ١. راجع: «معاني الأخبار» ص ١٦ الحديث ١٠، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٢٦ ص ٢٤٠.
 - ٢- ٢. راجع: «معاني الأخبار» ص ١٧ ص ١٤، و انظر: «التوحيد» ص ١٦٤ الحديث ٢، «الإختصاص» ص ٢٤٨، «بحار الأنوار» ج ٣٩ ص ٣٣٩.
 - ٣- ٣. كريمه ٥٦ الزمر.
 - ٤- ٤. راجع _ مع تلخيص _ : «معاني الأخبار» ص ٣٥ الحديث ٥، «بحار الأنوار» ج ٢٤ ص ١٢.

و قال: «ليس بين الله و بين حجّته حجابٌ، و لا لله دون حجّته سرٌّ» (١)؛

و فى الكافى (٢) عن أبى عبد الله _ عليه السلام _ يقول: «نحن و لاه الأمر» (٣) و خزنه علم الله و عييه و حى الله؛

و عنه _ عليه السلام _ قال: «نحن خزائن علم الله و تراجمه و حى الله، نحن الحجّ البالغ على من دون السماء و (٤) فوق الأرض» (٥)؛

و روى الصدوق (٦) بإسناده عن أبي الحسن الرضا _ عليه السلام _ عن أبيه عن آبائه _ صلوات الله و سلامه عليهم _ قال: «قال رسول الله _ صلى الله عليه و آله و سلّم _ : أنا سيّد من خلق الله _ عزّ و جلّ _ ، و أنا خيرٌ من جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل و حملة العرش و جميع ملائكته الله المقربين و أنبياء الله المرسلين، و أنا صاحب الشفاعة و الحوض الشريف (٧). أنا و علىّ أبوا هذه الأمّة، من عرفنا فقد عرف الله _ عزّ و جلّ _ و من أنكر فقد أنكرنا الله _ عزّ و جلّ _ ، و من علىّ سبطا أمّتى و سيّدا شباب أهل الجنّة _ : الحسن و الحسن _ ، و من ولد الحسين أئمّة تسعة طاعتهم طاعتى و معصيتهم معصيتى، تأسعهم قائمهم»؛

و بإسناده (٨) عن الصادق _ عليه السلام _ عن آبائه عن علىّ _ عليه السلام _ قال: «قال

ص : ٢٦٣

١- ١. راجع: نفس المصادر المذكورة فى التعليقه السالفه.

٢- ٢. راجع: «الكافى» ج ١ ص ١٩٢ الحديث ١، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٢٦ ص ١٠٦، «بصائر الدرجات» ص ٦١ الحديث ٢.

٣- ٣. المصدر: أمر الله.

٤- ٤. المصدر: + من.

٥- ٥. راجع: «الكافى» ج ١ ص ١٩٢ الحديث ٣، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٢٦ ص ١٠٥، «إعلام الورى» ص ٢٨٤، «بصائر الدرجات» ص ١٠٤ الحديث ٦.

٦- ٦. راجع: «كمال الدين» ج ١ ص ٢٦١ الحديث ٧، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٥٧ ص ٣٠٤.

٧- ٧. المصدر: + و.

٨- ٨. راجع: «كمال الدين» ج ١ ص ٢٨١ الحديث ٣٣، و انظر: «عيون أخبار الرضا» ج ١ ص ٦٤ الحديث ٣٢.

رسول الله _ صَلَّى الله عليه وآله وسلم _ : إنا عشر من أهل بيتي أعطاهم الله فهمي و علمي و حكمي و خلقهم من طينتي، فويل للمتكبرين عليهم بعدى القاطعين فيهم صلتى، ما لهم!، لا أنالهم الله شفاعتى!!».

رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، صَلِّ لَاهُ تُجْزِلُ لَهُمْ بِهَا مِنْ نَحْلِكَ وَكَرَامَتِكَ، وَتُكْمِلُ لَهُمُ الْآلَاءَ مِنْ عَطَايَاكَ وَنَوَافِلِكَ، وَتُوفِّرُ عَلَيْهِمُ الْحِظَّ مِنْ عَوَائِدِكَ وَفَوَائِدِكَ. رَبِّ صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ صَلِّ لَاهُ لَا أَمِيدَ فِي أَوَّلِهَا، وَلَا غَايَةَ لِأَمَدِهَا، وَلَا نِهَآيَةَ لِآخِرِهَا. رَبِّ صَلِّ عَلَيْهِمْ زَنَّهُ عَرْشِكَ وَ مَا دُونَهُ، وَمِلْءَ سَمَآوَاتِكَ وَ مَا فَوْقَهُنَّ، وَ عَدَدَ أَرْضِيكَ وَ مَا تَحْتَهُنَّ وَ مَا بَيْنَهُنَّ، صَلِّ لَاهُ تُقَرِّبُهُمْ مِنْكَ زُلْفَى، وَ تَكُونُ لَكَ وَ لَهُمْ رِضَى، وَ مُتَّصِلَةً بِنَظَائِرِهِنَّ أَبَدًا.

«الجزاله»: الوسعه فى العطاء.

<و «النحل»: جمع نَحْلَه _ بالكسر، كَسَدَرَه و سَدَر _ ، و هى: العطيه على سبيل التبرّع(١)>. و فى بعض النسخ: «نحلتك» بدلًا من «نحلك»؛ و فى نسخه ابن ادريس «تحفك» بدلًا عنها.

و «تكمل» من باب المزيّد؛ و فى نسخه الشهيد من باب المجرّد.

و «النوافل»: جمع نافله بمعنى: العطيه؛ و قيل: «هى ما يفعل من الإحسان ممّا لا يجب و لا يراد به عوض»(٢).

«وفرت» عليه حقّه: أعطيته الجميع فاستوفره، أى: فاستوفاه.

و «العوائد»: جمع عائده، و هى: الصله و المعروف، و: كلّ منفعه تعود إليك من شىء؛ من

ص : ٢٤٤

١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٣٧٨.

٢- ٢. هذا قول العلامة المدنى، راجع: نفس المصدر و المجلّد ص ٣٧٩.

قولهم: عاد علينا بمعروفه.

و «الفوائد»: جمع فائده، و هي ما استفدته من مالٍ أو علمٍ؛ و أصلها زياده تحصيل للإنسان.

و «الأمد» يستعمل لمعنيين:

أحدهما: الغايه بمعنى النهايه؛

و الثاني: مدّه الشيء المضروب لها حدٌ ينتهى إليه؛ هكذا قال الشارح الفاضل (١).

و الظاهر أنّه بمعنى الزمان هنا؛ و المعنى: صلاة لازمان لها، بل تكون أزلياً أبدياً؛ كما قال _ عليه السلام _ : «و لا غايه لأمدّها و لانهايه لآخرها».

و «زنه عرشك» أى: موازن عرشك كمّاً و كيفاً؛ و قد تقدّم الكلام عليه مستوفىً.

و «ملأ سماواتك» بكسر الميم، و هو ما يملؤها _ أى: مقدار ما يملؤها _ ؛ أى: صلاةً بالقدر الذى يملؤ السماوات «و ما فوقهنّ، و عدد أرضك و ما تحتهنّ».

لمعه إشراقه

اعلم! أنّ الأجرام تنقسم إلى بسيطه؛ و مركبه.

و نعى بالبسيط: ما له طبيعته واحده _ كالهواء و الماء و الأفلاك _ ؛

و بالمركب: الذى يجمع بين طبيعتين متخالفتين أو أكثر باختلاف قوى و طبائع فيه _ كأبدان الحيوانات _ .

و البسيط ينقسم إلى:

ما له وجود كماله و حياة ذاتيه يمكن له مع بساطته و هوّيته عباده الحقّ و معرفته من غير اكتساب قوّه أخرى تحتاج إليها فى ذلك؛

و: إلى ما ليس له ذلك من حيث هو هو _ لقصور جوهره و حسّه صورته _ و لكن يتأتّى

ص : ٢٦٥

منه التركب الموصل إلى ذلك بالفساد و الكون؛ فإن الموجودات لم يخلق عبثاً و هباءً، بل لأن تكون عباداً عابدين لله _ عزّ و
جلّ _ شاهدين بوجوده و وحدانيته.

فالأجسام البسيطة صنفان:

صنفٌ مختصّ بصوره واحدهٍ لاضدّها، فيكون حدوثها عن الباري _ جلّ و عزّ _ على سبيل الإبداع _ لا على سبيل التكوّن من
جسمٍ آخر _ ، و لها حياةٌ _ بالمعنى الذي ذكرناه في اللمعة الهلاليّة _ ؛ و تسمّى بـ : السماوات؛

و صنفٌ يتهيؤ لقبول الصورة بعد أخرى، فتارةً يقبل هذه بالفعل و تلك بالقوّة، و تارةً بالعكس. و ليس لها حياةٌ بالذات؛ و تسمّى
بـ : الأرضين _ و إن كانت لها حياةٌ بالمعنى الذي مرّ _ .

و قد ذكروا في إثبات وجود السماء وجوهاً عديدة؛

منها: أنّ هذا التركيب المشاهد في الأجسام يدلّ على وجود الحركة المستقيمة، و تدلّ الحركة من جهة مسافتها على جهتين
محدودتين مختلفتين بالطبع، و يدلّ اختلاف الجهتين على وجود جسمٍ محيطٍ بها، و هو السماء؛

و منها: أنّك تعقل أن تكون الأشياء الواقعة في جهة السفّل بعضها أسفل من بعضٍ، فلو لم يكن للسفّل فردٌ حقيقيٌّ و حدٌّ معيّنٌ
موجودٌ يشار إليه _ حتّى يكون الأقرب إليه أسفل و الأبعد الأعلى _ فلامعنى لكون البعض أسفل من بعضٍ، بل ينبغي أن تكون
تلك الجهة متشابهة الأفراد؛ فلا يكون أسفل و أعلى بالإضافة. و كذلك جهة العلوّ، فان لم يكن علوّ حقيقيٌّ فلا أعلى في الوجود
بالإضافة؛ و المقدّر خلافه؛ فإذا لا بدّ من جهتين حقيقيّتين محدودتين لكلّ حركةٍ مستقيمةٍ. و الجهة طرف بعدٍ، و لا بعد إلا في
الجسم، فلا بدّ إذن من جسمٍ محدّدٍ للجهات حتّى يتصوّر الحركة؛

و منها: أنّ الحركة أيضاً تدلّ من جهة حدوثها على أنّ لها سبباً إلى غير نهايه، و لا يمكن إلاّ بحركةٍ دوريّةٍ من السماء.

و أمّا أنّ السماوات لها حياةٌ ذاتيّةٌ، فلاّن لها نفوساً ناطقةً قاهرةً عليها تدبّرها و تحرّكها. و

ذلك لأن حركاتها إرادية، لأن الحركة إما إرادية؛

أو طبيعته؛

أو قسريته؛ و الحركة الدوريه لا يمكن أن تكون طبيعته مبدؤها طبيعه الجسم المتحرك بها؛

و لاقصريه مبدؤها قسر قاسر؛

فبقى أن يكون إرادية مبدؤها إرادته مريد لأجل داع عقلي أو باعث حيواني _ كشهوه أو غضب _ .

أما أن حركتها الدوريه ليست طبيعته، فلأن الطبيعه لا يطلب شيئاً تهرب عنه بعينه، و لا يلج في جهه يرجع بعينها _ إذ لا شعور لها و لا تفنن في قصدها _ ، بل حركتها إما ذاهبه أبداً من غير رجوع و إياب، و إما راجعه أبداً من غير ذهاب؛ و الحال في الدوريه بخلاف ذلك.

و أما أنها ليست قسريته: لأن ما لا طبع فيه لا قسر فيه _ إذ القسر على خلاف مقتضى الطبع _ .

فثبت أن حركاتها من مبدء إرادي؛ و كل فعل إرادي لابد فيه من داع و مرجح _ إذ نسبة الفاعل المختار إلى مقدوراته واحده _ ؛

و الداعي إما باعث حيواني حسّي لنفس حيوانيه جريته؛

و إما باعث عقلي لمدير كلي؛

و الأول باطل، لأن داعيه الحيوانات الحسيه منحصرة في الشهوه _ لجذب المنفعه البدنيه _ ، و الغضب _ لدفع المضار البدنيه _ ، و شيء منهما لا يكون للأجساد المركبه الكائنه من الإمتزاج الحامله للمزاج القابله للتحليل و الذوبان و النمو و الذبول و الصحه و المرض المفتقره إلى إيراد البدل عما يتحلل عنها سريعاً باستيلاء الحراره الغريزيه عليها الفاعله لأفاعيلها الغذائيه و غيرها لإنمائها إلى غايه النشو و التوليد لمثلها عنها ببقية للأشخاص أولاً _ و للأنواع ثانياً؛ و الأجرام السماويه مرتفعه بريئه عن هذه الأغراض _ لبساطتها و استحكامها و تمامها _ ، فتعين الثاني _ و هو: أن باعثها و محرّكها مطلب كلي و غرض عقلي

يلزمه إرادة كليّة لأمرٍ عقليّ خارجٍ عن طبيعته الجرميّة _ ؛

فهو إما نفسٌ ناطقٌ؛

أو عقلٌ محضٌ؛

لجائزٌ أن يكون عقلاً محضاً لا يقبل التغيير و الإرادة الكليّة لا توجب حركةً جزئيّةً من موضعٍ إلى آخر و من الثاني إلى الثالث، بل لا بدّ فيها من تجددٍ إراداتٍ جزئيّة، و الإرادة الجزئيّة إنّما تحدث بالتصوّر الجزئيّ مع الإرادة الكليّة، و التصوّر الجزئيّ تحدث بالحركة.

و هكذا الحال في تجدد بعضها من بعضٍ على وجه الدور الغير المستحيل. مثاله كمن يمشى بسراجٍ في ظلمةٍ لا يظهر له بالسراج إلّا- مقدار خطوه بين يديه، فيصوّره بضوء السراج فتنبعث منه مع الإرادة الكليّة إرادةً جزئيّةً لسلوكه، فيسلكه؛ و إذا سلكه وقع ضوء السراج على مقدارٍ آخر، و حصل منه تصوّرٌ آخر و إرادةً أخرى جزئيّةتين لسلوكه مع التصوّر و الإرادة الكليّتين للحركة، فيقع سلوكٌ آخر موجبٌ لحصول الضوء على مقدارٍ آخر؛ ... و هكذا الكلام في أجزاء الخطوه الواحدة و التصوّرات و الإرادات و الحركات المتعلّقه بها، بعينها هذا الكلام؛

و كذا في أجزاء أجزائها حسب قبول المقدار و الإنقسام بلانهايه. فهكذا يمكن أن يكون حركه السماء.

و كلّ ما هو متغيّر الإرادة و التصوّر يسمّى: نفساً، لا عقلاً محضاً. و ليست حركتها أيضاً لما دونها من الأجرام السفليّة لخصيّتها و ظلّمتها، فإنّها أحسن رتبةً من أن تتحرّك لأجلها العوالى و التّيرات.

ثمّ اعلم! أنّه دلّت المشاهده بالأرصاد على كثرتها، فلا بدّ أن يكون طبائعها مختلفه؛

و أن لا يكون إثنان منها من نوعٍ واحدٍ، بل نوع كلّ سماءٍ منحصرٌ في نوعه. و ذلك لأنّ سبب الانفصال في كلّ منفصلٍ لا يكون إلّا لتخالف النوع، و لولا التباين النوعيّ في لواحق أفراد طبيعته واحدهٍ _ كالإنسان مثلاً _ لكان أفرادها كلّها متواصله _ كاتصال الماء بالماء و

إِتِّحَادُ الذَّهْنِ بِالذَّهْنِ (١) _ ؛ فَكُلٌّ مُتَخَالِفٌ الْأَجْزَاءُ بِالطَّبَائِعِ فَهُوَ مُنْفَصِلُ الْأَجْزَاءِ _ كَالْمَمْزُوجِ مِنَ الْمَاءِ وَالذَّهْنِ _ ، وَ بَعْكَسِ النَّقِيضِ لِهَذَا: كُلٌّ مُتَّصِلٌ وَاحِدٌ فَهُوَ مُتَّحِدُ الطَّبِيعَةِ لِأَجْزَائِهِ.

و هِيَهْنَا شَبَهَةٌ مَشْهُورَةٌ؛ وَ هِيَ: إِنَّ الْفَلَكَ بَعْضُهَا أَقْرَبُ إِلَى جِهَةِ الْمَرْكَزِ وَ بَعْضُهَا أَبْعَدُ؛ وَ بَعْضُهَا تَكُونُ الْحَرَكَةُ فِيهَا شَدِيدَةً _ كَمَوْضِعِ الْمَنْطِقَةِ _ وَ بَعْضُهَا تَكُونُ الْحَرَكَةُ فِيهَا بَطِيئَةً، بَلْ يَنْتَهِي إِلَى سَكُونٍ _ كَمَوْضِعِ الْقُطْبِ وَ مَا يَلِيهَا _ ؛ وَ الْحَرَكَةُ أَيْضاً تَخَصَّصَتْ فِيهَا بِجَهَةٍ مَعْيَنَةٍ دُونَ غَيْرِهَا مَعَ تَسَاوِيِ الْجِهَاتِ كُلِّهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى السَّمَاءِ _ لِبَسَاطَتِهَا _ ؛ وَ حَلٌّ هَذِهِ الشَّبَهَةِ: إِنَّ تَعَدُّدَ الْجِهَاتِ وَ كَسْرَتَهَا كَمَا تَرْجِعُ إِلَى الْقَابِلِ كَذَلِكَ تَرْجِعُ إِلَى الْفَاعِلِ.

وَ أَهْلُ الْأَرْصَادِ أَثْبَتُوا تِسْعَةَ أَفْلَاقٍ لِأَجْلِ مَشَاهِدِهِ حَرَكَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ سَبْعَةٍ لِلْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ الْمَشْهُورَةِ _ لِاخْتِلَافِ حَرَكَاتِهَا الْخَاصَّةِ _ ؛ وَ إِثْنَيْنِ لِلْفَلَكَ الثَّامِنِ وَ فَلَكَ الْأَفْلَاقِ؛

وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ وَجَدُوا أَوَّلًا لِجَمِيعِ الْكَوَاكِبِ حَرَكَةً سَرِيعَةً مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ _ وَ هِيَ الَّتِي بِهَا يَتَحَقَّقُ طُلُوعُهَا وَ غُرُوبُهَا، وَ بِهَا يَتَحَقَّقُ اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ _ ، وَ هِيَ الْمَسْمَاةُ بـ: الْحَرَكَةُ الْيَوْمِيَّةِ، وَ بـ: الْحَرَكَةُ الْأُولَى. فَأَثْبَتُوا لَهَا فَلَكَاً وَاحِداً يَشْتَمِلُ عَلَى الْجَمِيعِ؛

ثُمَّ وَجَدُوا لِكُلِّ مِنَ الْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالسِّيَّارَةِ حَرَكَةً مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ مُخَالَفَةً لِحَرَكَةِ آخَرِ مِنْهَا فِي السَّرْعَةِ وَ الْبَطْءِ، فَأَثْبَتُوا لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا فَلَكَاً؛

ثُمَّ وَجَدُوا لِجَمِيعِ الْكَوَاكِبِ الَّتِي هِيَ غَيْرُ السَّبْعَةِ حَرَكَةً غَرْبِيَّةً بَطِيئَةً جَدًّا، فَأَثْبَتُوا لَهَا فَلَكَاً عَلِيحِدَةً؛

فَحَصَلَتْ تِسْعَةُ أَفْلَاقٍ لِتِسْعَةِ حَرَكَاتٍ؛ وَ هِيَ الْمَسْمَاةُ بِالْأَفْلَاقِ الْكَلِّيَّةِ.

وَ أَمَّا تَرْتِيبُ السِّيَّارَاتِ فَالْمَشْهُورُ أَنَّ الْقَمَرَ فِي الْفَلَكَ الْأَدْنَى هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْنَا؛ ثُمَّ عِطَارْدُ؛ ثُمَّ الزَّهْرَةُ؛ ثُمَّ الشَّمْسُ؛ ثُمَّ الْمَرْيَخُ؛ ثُمَّ الْمَشْتَرَى؛ ثُمَّ زَحْلُ؛ ثُمَّ فَلَكَ الثَّوَابِتِ؛ ثُمَّ الْأَطْلَسُ _ الَّذِي هُوَ غَيْرُ مَكُوكٍ _ .

ص : ٢٦٩

و ما ورد فى لسان الشرع بلفظ السماوات ينزلونها على أفلاك السيارات؛

و بلفظ الكرسي على فلك البروج _ و هو الثامن _ ؛

و بلفظ العرش على التاسع.

و استدّلوا على الترتيب المذكور بأنّ الزحل يكسف بعض الثوابت، فيكون تحتها؛ و ينكسف بالمشتري، فيكون فوقه؛

و المشتري ينكسف بالمريخ و هو فوقه؛ و هذه الثلاثة تسمّى: علويّة.

و أمّا كون الشمس تحتها، فلأنّ لها اختلاف منظرٍ دون العلويّة.

و أمّا الزهره و عطارد فلا جزم بكونهما تحت الشمس أو فوقها، إذ لا يكسفها غير القمر و لا يدرك كسفها لشيءٍ من الكواكب _ لاحتراقها عند مقارنتها _ . و لا يعرف لهما اختلاف منظرٍ أيضاً، لأنّهما لا يبعدان عن الشمس كثيراً و لا يصلان إلى نصف النهار.

و الآله التى يعرف بها اختلاف المنظر إنّما تنصب فى سطح دائره نصف النهار، فحكموا بكونهما تحت الشمس إستحساناً، لتكون متوسّطه بين السّته بمنزله شمس القلاده. و أيدوا ذلك بمناسباتٍ آخر.

و ذكر الشيخ و بعض من تقدّمه: أنّه رأى الزهره كاسفّه على وجه الشمس(١)؛ و بعضهم: أنّه رآها و عطارد كاسفتين عليها؛ و سمّيا: سفليّين، لذلك.

و الزهره منهما فوق عطارد _ لانكسافها به _ ؛ و القمر تحت الكلّ _ لانكساف الكلّ به _ .

و أمّا خصوص عدد التسعه فجزم الأ-كثر بأنّه لأقلّ منها. و المحقّق الطوسى _ قدّس سرّه _ جوّز كونها ثمانية، حيث قال: «و إسناد إحدى الحركتين الأوليين إلى المجموع _ لا إلى فلكٍ خاصّ به _ لم يكن ممّتنعاً، لكنّهم لم يذهبوا إلى ذلك»(٢).

ص : ٢٧٠

١- ١. لم أعثر عليه. و كان أكثر الظنّ أنّ عبارته الشيخ توجد فى الفصل السادس من الفن الثانى من الطبيعيات، حيث يبحث الشيخ فى هذا الفصل عن انطباق بعض الكرات على بعضها _ راجع: «الشفاء» / الطبيعيات ج ٢ ص ٤٥ _ ، و لكن لم أعثر عليها فيه.

٢- ٢. لم أعثر على العبارة. و للمحقّق الطوسى بحثٌ مبسّطٌ حول عدد الأفلاك فى شرحه على الإشارات _ راجع: «شرح الإشارات» ج ٣ ص ٢١٢ _ ، و لكن لم يذكر هذا الرأى فيه. بل يلوح من بعض عباراته ما يخالف ذلك، راجع: نفس المصدر و المجلّد ص ٢٢٠.

و قال صاحب التحفه: «إننى سمعت من الأستاذ: أن جواز إسناد إحدى الأوليين إلى المجموع _ لا إلى فلكٍ خاصٍّ بها _ معلَّلٌ بجواز اتِّصالِ نفسٍ بالثمانيه، و أخرى بالثامنه؛ و تكون دوائر البروج و المنطقتان مفروضه على محدِّبِ الثامنه؛

فقلت: فعلى هذا يمكن أن تكون الأفلاك الكليّه سبعة فقط، بأن تفرض الثوابت مركوزه فى ممثِّل زحل و دوائر البروج على محدِّبِه متحرِّكه بالحركه السريعه دون البطيئه، و تتعلّق نفسٌ واحدهٌ بمجموع السبعه و تحرّكه الحركه الأولى، و نفسٌ أخرى تعلّقت بممثِّل زحل وحده و تحرّكه الحركه البطيئه؛ و نفسٌ ثانيهٌ علقت بخارجِه و تحرّكه الحركه البطيئه، و نفسٌ ثانيهٌ تعلّق بخارجِه و تحرّكه الحركه الخاصّه و باقى الأفلاك الستّه على حالها؛ فاستحسنه و أثنى على! (١)؛ انتهى.

و قال المحقّق الدوانى: «يجوز أن تكون الأفلاك الكليّه إثنين، بأن تفرض أفلاك الخارجِه المراكز كلّها سوى خارج القمر فى ثخن ممثِّل واحدٍ بحيث لا يكون السطوح الّتى يثبتونها بين الممثّلات إلّا بين ذلك الممثِّل و ممثِّل القمر، فتتخصّر الأفلاك الكليّه فيهما» (٢)؛ انتهى.

هذا هو الكلام فى جانب القلّه.

و أمّا فى جانب الكثره فلاقطع، لإحتمال أن يكون كلّ من الثوابت أو كلّ طائفيه منها فى فلكٍ على حده، و أن تكون أفلاكٌ كثيرهٌ غير مكوكبه.

و قد ذهب بعض قدماء الحكماء أيضاً إلى أنّ الثوابت فى فلك القمر؛ قال بليناس الحكيم فى كتاب علل الأشياء: «هى سبعة أفلاكٍ بعضها فى جوف بعض، و صارت الأفلاك فى كلّ منها كوكبٌ غير فلك القمر». هذا ما ذكروه؛ فتبسّر!

و اعلم! أنّ الأفلاك لكونها غير محسوسه بحسّ البصر و المحسوس منها ليس إلّا

ص : ٢٧١

١- ١. لم أعثر على هذا الكتاب، و أظنّه لم يطبع بعد.

٢- ٢. لم أعثر عليه فى رسائله المطبوعه الحكيمه.

الكواكب، فلا تحصل المعرفة بها إلا من جهة الحركات المستديره المتّفقه و المختلفه الدالّه على وجود جرم عظيم مستدير شاملٍ لها، و من جهة الحركات المستقيمه الدالّه على وجود محدّد للجهات بالصفه المذكوره.

و لَمّا كان تجدّد الحوادث و الأبدان و تعاقب الأكوان فى الأزمان لا بدّ له من جسم دائم الحركة و آخر دائم السكون، فالله _ تعالى _ خلق السماء فوق الأرض و جعلها مشتملة على أجرام بعضها نيرة _ كالكوأكب _ ، و بعضها شفّافه _ كالأفلاك الكليّه و الجزئيه _ ليؤثر أنوارها فى الأرضيات و يمتزج بها و يخرج منها اللطائف و البخارات و تنشأ منها الكائنات و يتكوّن بها الحيوان و النبات _ رزقاً للعباد و وسيله لارتقاء الكلمات الطيبات إليه تعالى _ ؛ و لو كانت الفلكيات كلّها نوريّه لاحتقرت بالشعاع ما دونها من عالم الكون و الفساد؛ و لو كانت عريّه من النور لبقى فى مهوى ظلمه شديده لا أوحش منها. فجعل الله الكواكب مضيئه و السماء شفّافه، إذ لو كانت ملوّنه لوقف الضوء على سطوحها _ كما تقف على الأجرام الملوّنه الكثيفه _ ؛

و لو كانت الكواكب الثيره ثابتة غير متحرّكه _ بأن يكون مكان أكثرها أو معظمها كالشمس يلى القطب _ لأحرقت ما قبلها من الأرض، و لم تلحق أثرها ما غاب عنها؛ فيؤدّى إلى شدّه البرد و جمود المياه و الرطوبات الموجب لهلاك الحيوان و الثمرات؛

و لو كانت الكواكب الثيره _ سيّما الشمس _ متحرّكه بالحركة البطيئه فعلت ما فعله السكون من إفراط الجمود و البروده فى المواضع الخارجه عن سمتها؛

و لو كانت مع تحرّكها بالحركة السريعه اليوميه بوجه لازمت دائره واحده لأحرقت ما سامته الدائره و لم يصل أثر الشعاع إلى باقى النواحي و الأقطار. فجعل للكواكب _ مع حركة الكلّ السريعه _ الحركات الأخر البطيئه لتميل بها إلى النواحي شمالاً و جنوباً ليحصل من ذلك الفصول الأربعة التى يتمّ بها الكون و باختلافها يتصلّح أمرجه البلاد و يتكوّن النفوس الصالحه من العباد للمعاد.

هذا هو الجليّ من حكمه أوضاع السماء و ما فيها و الذى يعرفه أكثر الناس، و لها فى

هيئاتها و أوضاعها الخفيّة من خصائص مواضع أوجائها و تحضيضاتها و غيرها منافع عظيمة و مصالح كثيرة يطلع على نبذ منها أهل الهيئة و الهندسه ليس ههنا موضع بيانه.

لمعه إشرافه إستبصاره

لما كان المراد بـ «الإمام» هنا ما يعمّ النبيّ و الوصيّ، فلا بأس بأن نبسط الكلام في الإمامه و النبوه و الرساله ليكون الناظر المتأمل فيها على البصيره.

اعلم! أنّ الإمامه و النبوه و الرساله لا يقتنص بالحدود الحقيقيه، و لاستبعاد فيه، لأنّ معرفه الأشياء لا يتوقّف على الظفر بحدودها و وجدان جنسها و فصلها؛ فكم من موجود لاجنس له و لفصل و لاحد له و لارسم، و ما لاجنس و لفصل له فربما لا يظفر بجنسه و فصله، و أكثر الأمور كذلك! نعم! يستدلّ على وجوده و حقيقته بآثاره و لوزم وجوده — كالعقل و النفس — . و كثيرا من المفارقات نتصوّرها و لاحد لها و لارسم، و إنّما يدلّ عليها برهان «إنّ» — كما سنذكر هذا المطلب في الإمامه و النبوه و الرساله الخاصه عن قريب، إن شاء الله! — .

و أمّا إثبات النبوه العامه فهو: أنّ الناس محتاجون في معاشهم و معادهم إلى من يدبّر أمورهم و يعلمهم طريقه المعيشه في الدنيا و النجاه من العذاب في العقبي، و ذلك لأنّ الإنسان غير مكتفٍ في الوجود و البقاء بذاته — لأنّ نوعه لم ينحصر في شخصه، كما ذكرنا في الجواهر العاليه — ، و لا يعيش وحده — كسائر الحيوانات — ؛ فلا يتنظم تعيشه لو انفرد وحده لاحتياجه إلى غذاء و لباس و مسكن، ... و غير ذلك من الأمور التي كلّها صناعيّ لا يقدر عليها صانع واحد مدّه حياته؛ بل لابدّ أن يكون مستعيناً بآخر من نوعه يكون ذلك الآخر أيضاً مستعيناً مكفياً به؛ فيكون هذا يزرع لهذا و هذا يطحن لذلك و ذاك يخبز لآخر و آخر يخييط لغيره، ... و على هذا القياس، حتّى إذا اجتمعوا كان أمرهم مكفياً.

و لهذا اضطرّوا إلى عقد المدن و الإجتماع و التعاون و المشاركة؛ و لذا قيل: «إنّ الإنسان

مدنئى بالطبع»(١) _ و كان «التمدن» باصطلاحهم عبارة عن هذا الاجتماع و المشاركة _ .

و كذا اضطرّوا إلى تمناع لحفظ نفوسهم و حريمهم و أموالهم، فالناس فى استبقاء حياتهم و استحقاق نوعهم و استئراس أموالهم و حريمهم مضطرون إلى تعاون و تمناع. و هذا التعاون و التمانع يجب أن يكونا على حدّ محدودٍ من سنّ و قانونٍ عدلٍ؛ و لابدّ للسّنّ و العدل من مسنّنٍ و معدّلٍ؛ و لا يجوز أن يترك الناس و آراؤهم و أهواؤهم فى ذلك فيختلفون، فيرى كلّ أحدٍ منهم ما له عدلاً و ما عليه ظلماً و جوراً!! لأنّ من الأمور البديهيّة أنّ العقول البشريّة لا تقى بتمهيد هذه السّنّ العادلة بحيث يشتمل مصالح النوع و مفاسدهم جملة؛ و لا يحتوى على حال كلّ شخصٍ تفصيلاً إلّا خالق هذا النوع و بارؤه.

ثمّ أنّه لَمّا لم يكن البارى محسوساً و لا يمكن الإشارة الحسيّة إليه و لا المواجهه و المخاطبه له، وجب وجود واسطه بينه و بين خلقه، له وجهٌ روحانيّ لتلقّى الوحي و الإلهامات الإلهيّة، و وجهٌ آخر جسمانيّ ليخاطب به الأشخاص البشريّة و يلزمهم السّنّ و الشريعة و هم يرونه و يشاهدونه. فلا بدّ أن يكون إنساناً لا ملكاً، لأنّ الملك لا يراه الناس ما لم يتجسّم، لأنّه روحانيّ الذات لا يتمثّل بشراً سويّاً إلّا من طريق الباطن لأهل النبوه و المكاشفه _ فإنّ القوّه البشريّة لا تقوى على رؤيه الملك فى صورهِ الملكيّه، و إنّما رآهم الأفراد من الأنبياء عليهم السلام بقوّتهم القدسيّه _ .

ثمّ لو فرض أن يتجسّم لهم فى صورهِ البشر كان ملتبساً عليهم _ كما قال تعالى: «و لو جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا و لَلْبَشَرِ بِنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ»(٢) _ ، فلا فائده لهم فى بعثه؛ فواجبٌ إذاً أن يكون إنساناً. و واجبٌ أن تكون له خصوصيّة ليست لسائر الناس لتميّز منهم و ليطيعوه و يتبعوه فيما يأمر و ينهى، فتكون له المعجزات و الآيات الدالّه على صدقه؛ فيجب وجود الشىء بحكم العناية الربّانيّه.

و كما لابدّ فى نظام العالم و معيشه الخلق من المطر مثلاً و العناية لم يقصر عن إرسال السماء

ص : ٢٧٤

١-١. و انظر: «جامع السعادات» ج ١ ص ١١٥.

٢-٢. كريمه ٩ الأنعام.

عليهم مداراراً، فبأن يرسل إليهم من يعرفهم موجب صلاح الدنيا والآخرة كان أولى وأهم، وحاجه الخلق إلى هذا الإنسان في أن يبقى نوع الناس في الدنيا وينجوا عن العذاب في الأخرى أشد من حاجه إلى إنبات الشعر على الحاجبين و تقعر الأخمص من القدمين، ... وغير ذلك من المنافع والمحسِّنات التي لاضروره فيها في البقاء، بل بعضها للزينة وبعضها للسهولة في الأفعال والحركات _ كما يظهر في علم التشريح _ .

وجود هذا الإنسان الصالح لأن يسرّ ويشرع ممكن، وتأييده بالآيات والمعجزات الموجهة لإذعان الخلق له أيضاً ممكن، فلا يجوز أن تكون العناية الأولى تقتضى تلك المنافع التي لاضروره فيها ولا تقتضى هذه التي هي أصلها وعمدتها _ كما قال الشيخ في إلهيات الشفاء(١) _ . فقد تبين إثبات النبوة على طريقه الحكماء والقائلين بأنه _ سبحانه _ يفعل بالعناية ويسوق الأشياء بحسبها إلى ما يليق بها من كمالاتها الممكنة، فإنها من أعظم الأسباب الموجهة للنفوس إلى كمالاتها اللائقة.

وأما إثبات النبوة على طريقه العرفاء والصوفية؛ فاعلم! أنّ الغاية المترتبة على وجود الإنسان السير والسلوك في طريق معرفه خالق الإنس والجان. ومراتب السير والسلوك عند أهل العرفان:

الأولى: السفر من الخلق إلى الحق، وهو لا يحصل إلا بالتجرد عن الغواشي الماديّة والعلائق الجسمانيّة والنفى عمّا سواه بالكلية حتى عن وجود نفسه؛ وعند ذلك يحصل له المشاهده التامّة والوصول إلى الحضرة الأحديّة بلاملاحظه التعينات والشؤون والإعتبارات القائمّة. وهو المسمّى عند العرفاء والصوفية بـ: الفناء من الآتيّة التي هي الغرض الأصلي من البعث؛

الثانية: السفر بالحق في الحق، وهو عبارة عن المشاهده الحضورية للذات الأحديّة باعتبار تعيّن من التعينات الصفاتيّة وتطوّر من تعيّن صفتي إلى تعيّن صفتي آخر، إلى آخر

ص : ٢٧٥

الثالثه: السفر من الحق إلى الخلق _ : عكس الأول _ ، و هو مشاهده الهويّ المطلقه باعتبار تعيّن من التعيّنات الخلقية حتّى لايبقى تعيّن إمكانيّ و ماهيّة اعتباريّة إلّا و قد شاهد فيه الهويّ المطلقه حقيقه متأصله و المهيه الإمكانيه اعتباريّة محضه؛

الرابعه: السفر بالحق في الخلق، و هو عبارة عن الرجوع من الحقيقه الواجبيّه إلى مرتبه هذا العالم الناسوتيه الكونيّه بالأوامر و النواهي الإلهيه و ترتيب القوانين الناموسيه لانتظام أمور البريه و تعليم الأمم و هدايتهم و تخليصهم عن القيود و التعلّقات الجسمانيّه و تكميل نفوسهم بأنوار العلوم و المعارف الإلهيه و تنبيههم عن الغفله التامه و ترجيعهم إلى مواطنهم الأصليّه و ترقّي كلّ مستعدّ منهم إلى مقاماته اللائقه و ردّهم من الكثره الإعتباريه إلى مقام الوحده الحقيقه التي هي الغايه الأصليّه و الغرض الحقيقيّ من البعثه.

و لاشكّ في أنّ هذه الأسفار الأربعه يترتّب بعضها على بعض في المرتبه.

و المراد من «النبي»: هو المسافر إلى الرابعه بعد تحقّق أسفار ثلاثه سابقه. و لابدّ من وجود مسافر كذا حتّى يمكنه سلوك بوادي هذا العالم الناسوتيه الخسيسه البائده الفانيه إلى مدينه الوجوب العليه الشريفه الباقيه؛ و هذا لايمكن إلّا بتوفيق ربّانيّه و عنايات إلهيه.

و أمّا طريقه الخاصّه في إثبات النبوه فهو: أنّه لمّا كان نفس الإنسان في مبدء الفطره خاليه عن العلوم _ و هي العقل بالقوه، ثمّ تصير عقلاً بالفعل _ فتكون ناقصه محتاجه إلى مكمل آخر يكملها _ إذ الشئ لا يستعمل ذاته عن ذاته _ ، فاقترضت العناية الربّانيّه بإيجاد معلّم مكمل خارج؛ و هو إن لم يكن عقلاً كاملاً بالفعل في أصل الفطره فيحتاج إلى معلّم مكمل آخر، و هكذا، فيتسلسل؛ فهو لامحاله جوهر كامل عقليّ بالفعل.

و ليس مرادنا من النبيّ إلّا الشخص الكامل المؤيّد بهذا الجوهر الكامل العقليّ المسمّى بـ: روح القدس، و: المعلّم الشديد القوى _ كما قال تعالى: «عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى» (١) _ .

ص : ٢٧٦

و البرهان على ذلك: أنّ كلّ ما يخرج من حدّ القوّه إلى حدّ الفعل في أمرٍ ما يخرج إليه، و هذا الّذى يخرجها من القوّه إلى الفعل لو لم يكن جوهرًا كاملاً عقلياً بل جسماً أو نفساً _ أى: عقلاً بالقوّه _ ؛

ففى الأوّل يلزم كون الجسم مفيداً للعقل و الخسيس مكماً للشريف، و هو محالٌّ؛

و فى الثانى يلزم احتياجه إلى جوهرٍ آخر هو عقلٌ بالفعل _ إذ العقل بالقوّه ما لم يصر عقلاً بالفعل لا يخرج النفس من القوّه إلى الفعل _ ، و الناقص مادام ناقصه لا يجعل الناقص كاملاً، و الكلام يعود فى مخرجه إلى مخرجٍ آخر، فيتسلسل أو يدور أو ينتهى إلى مخرجٍ عقليٍّ هو كاملٌ بالفعل؛

و كلّ من الأوّلين باطلٌ؛ فتعيّن وجود نورٍ علوىّ و جوهرٍ قدسىّ إلهيّ يتنوّر به النفوس الناقصه و تصير بالإتصال به و الصيروه إياه عقلاً كاملاً بالفعل؛ و هو المطلوب.

و قال صدر الحكماء و المحقّقين فى مفاتيح الغيب(١): «المشهد الخامس: فى التأمّ و فوق التأمّ و المستكفى. اعلم! أنّ الأنوار المجرّده القاهره القاطنه فى حظيره عالم القدس _ أعنى: العقول الفعّاله _ هى كلمات الله التامّات، لأنّ التأمّ هو الّذى يوجد له كلّما يمكن له فى أوّل الكون و بحسب الفطره الأولى من غير انتظار؛

و فوق التمام هو الّذى يحصل عن وجوده غيره و يفيض على غيره لفرط كماله، و هو واجب الوجود؛

و الناقص ما يحتاج إلى غيره فى كماله اللائق بحاله، و لا يوجد له فى أوّل الفطره ما يستكمل به؛

و المستكفى هو الناقص الّذى لا يحتاج فى تمامه و كماله إلى أمرٍ مبائنٍ عنه خارجٍ عن أسبابه الذاتيه، كالنفوس الفلكيه المستكفيه فى خروجها عن ما بالقوّه إلى الفعل فى حرّكاتها

ص : ٢٧٧

١- ١. ما نقله المصنّف اقتباساتٍ من كلام المصدر من غير تقييدٍ بعباراته، راجع: «مفاتيح الغيب» ج ٢ ص ٥٣٩.

الشوقيه بمادّتها الذاتيه العقلية. كنفس الأنبياء سيّما خاتمهم _ عليه و عليهم السلام _ ، حيث لم يحتج في تكميل نفسه المقدّسه إلى معلّم خارجٍ بشرى، بل «يَكَادُ» زيت نفسه الناطقه «يُضَتَّى» بنور ربّه «وَلَوْ لَمْ تَمَسِّ شُهُ نَار» (١) التعليم البشرى لغايه لطفه و ذكائه.

فالعقول المقدّسه عن الأجرام هي كلمات الله التامه العليا؛

و النفوس المدبره السمائيه هي كلماته الوسطى؛

و النفوس السفليه هي كلماته السفلى؛

فالأجرام نواقص أبدأ؛

و النفوس مستكفيات بعضها و متوسطات بعضها في الكمال و النقص و العلوّ و السفاله، و بعضها ناقصات مستحيلات هالكات _ كالأجرام _ « ... إلى آخر كلامه _ .

فهذا الصدر أثبت النبوه بالاستكفاء.

و أمّا طريقه المتكلّمين في إثبات النبوه: فاعلم! أنّه لا طريق للأشاعره منهم إلى إثبات النبوه بالدلائل العقلية، لأنّهم نافون للعلّه و المعلول و يثبتون الإراده الجزائيه و ينكرون ترتيب الوجود و قائلون بخلق الأعمال و سائر الأمور الجزئيه منه _ تعالى _ بلا واسطه و ترتيب؛ بل طريقته منحصره في السمع و تصديقهم النبوه مقصور بمشاهده المعجزه. و لهذا تعسّر عليهم الأمر على الغايه!، لأنّهم على طريقته يلزم إلزام الأنبياء على ادّعائهم النبوه، لأنّهم لمّا لم يكونوا قائلين بحكم العقل و لم يحكموا بوجوب شيء عقلاً - فالنظر في المعجزه لم يجب عليهم إلّا - من طريق السمع؛ و السمع _ الّذى يتوقّف عليه النبوه _ لم يثبت إلّا من النظر في المعجزه؛ فللأّمّه أن يمتنعوا عن النظر في المعجزه و يقولوا: متى لم يجب علينا النظر لم ننظر، و متى لم ننظر لم يجب علينا قبول قولك و التصديق بنبوتك! فلا طريق للنبي لإثبات نبوته و لزّم إلزامه على هذه الطريقه!.

و أمّا المعتزله منهم، فإنّهم يقولون بأنّ النظر واجب عقليّ. على أنّ دفع الخوف عن النفس

ص : ٢٧٨

واجبٌ بالضروره عقلاً- وإهمال النظر فى المعجزه موجبٌ للخوف لامحاله _ لأنّ قول مدّعى المعجزه محتمل الصدق، و على تقدير الصدق و عدم المتابعه فالضرر عائدٌ بالضروره _ ؛ فالنظر فى المعجزه للمعتزلى كافٌ فى ثوبت النبوه لشخص يدّعيه.

و لكن وجوب النظر فى المعجزه موقوفٌ باحتمال الصدق _ كما أشير إليه _ ، و إحتمال الصدق قد يتحقّق إذا كان أصل النبوه أمراً ممكن الوقوع بالإمكان العام؛ فلا بدّ من إثبات صحّه النبوه أولاً، و حسن البعته.

و الدليل على ذلك: أنّ النبوه مشتمله على فوائد كثيره؛ منها: تقويه القوه العاقله فى الأحكام التى يستقلّ العقل بإدراكها و تنبيه العقل من نوم الغفله لأجل تحصيل المعرفه الإلهيه و التهيئه للسعاده الأبدية و إرشاد الناس إلى ما ينفعهم و يضرّهم من الأغذيه و الأدوية. و لاطريق للعقل بمعرفته إلّا بالتجربه، و التجربه تستدعى زماناً لا يخلو الإنسان فى هذا الزمان عن استعمالها و ينجرّ إلى الهلاك بالضروره _ بل التجربه بنفسها قد يؤدّى إلى الهلاك، كما هو مشاهدٌ غير مرّه _ ؛ إلى غير ذلك من الفوائد التى لاتحصى؛

و لاشكّ فى إمكان وجود شخصٍ كذلك فى الجملة، و هو محتاجٌ إليه فى بقاء نوع الإنسان الذى هو أفضل أنواع الأكوان _ لأنّ عدمه موجبٌ لإهمال النوع، و الإهمال يؤدّى إلى الهلاك و يلزم منه نقض الغرض _ ، فوجب بعته الأنبياء و إرسال الرسل فى الجملة؛ و هو المطلوب.

و أيضاً: لمّا ثبت و تحقّق فى موضعه وجوب التكليف فنقول: لاشكّ فى أنّ كلّ شخصٍ لا يكون قابلاً لتلقّى الوحي الإلهي و تحمّل إتيان الأوامر و النواهي، فلا بدّ من وجود شخصٍ ممتازٍ عن أقرانه بقابليته للأمور المذكوره ذى جهتين:

جهةٌ إلى بارئه حتّى يمكنه تلقّى الوحي الإلهي؛

و جهةٌ إلى أقرانه من بنى نوعه حتّى يمكنه تبليغ الأوامر و النواهي.

فان قلت: كلّ ممكنٍ ذوجهتين، فلاتخصيص للأنبياء و الرسل ؟!

قلت: نعم! و لكن الفرق ثابتٌ بين الأنبياء و غيرهم، لأنّ الجبهه الإلهيه فى النبى أشدّ و

أقوى من غير النبي.

و بوجه آخر نقول: كما أنّ نوع الإنسان تميّز عن سائر الحيوان بنفسٍ ناطقهٍ هي فوقها بالفضيله العقلية المسخرة لها و المالكه عليها و المتصرّفه فيها، كذلك نفوس الأنبياء _ عليهم السلام _ تميّزت عن سائر النفوس بعقلٍ هادٍ مهديٍّ هو فوق العقول كلّها بالفضيله الربانيّه و العناية الإلهيّة؛

و كما أنّ حركات الإنسان معجزات الحيوان (١) _ فليس حيوانٌ يتحرّك مثل حركته الفكرية و القولية و الفعلية _ فكذاك النبي بالنسبه إلى أفراد البشريّه؛

و كما تميّز النبي _ صلى الله عليه و سلّم _ عن سائر الناس بعقله المناسب للعقول المفارقة كذلك يميّز بنفسه المشاكله للنفوس السماويه و النفس الكليّه، و كذلك تميّز بطبعه و مزاجه المستعدّ لقبول مثل هذا العقل و النفس بالفعل؛

و كما لا يتصوّر في سنّه الفطره الإلهيّة أن يكون من نطفه كلّ حيوانٍ إنسانً، كذلك لا يتصوّر في سنّه الفطره أن يكون من نطفه كلّ إنسانٍ نبياً؛ الله «يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ» (٢)، «اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَ مِنَ النَّاسِ» (٣). فهو المختار في طبعه و مزاجه، المصطفى بنفسه و عقله، لا يشاركه فيها أحدٌ من الناس.

و من الأدلّه النقلية على إثبات النبوه: ما رواه ثقه الإسلام في باب الإضطرار إلى الحجّه (٤) عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن العباس بن عمرو الفقيمي عن هشام بن الحكم عن أبي عبدالله _ عليه السلام _ أنّه قال للزنديق الذي سأله: من أين أثبت الأنبياء و الرسل ؟

قال: «إنّا لمّا أثبتنا أنّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا و عن جميع ما خلق، و كان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه و لا يلامسوه فيباشروهم و يباشروه و يحاجّهم و

ص : ٢٨٠

١- ١. كذا في النسختين.

٢- ٢. كريمه ٦٨ القصص.

٣- ٣. كريمه ٧٥ الحجّ.

٤- ٤. راجع: «الكافي» ج ١ ص ١٦٨ الحديث ١، و انظر: «بحار الأنوار» ج ١١ ص ٢٩، «الإحتجاج» ج ٢ ص ٣٣٦، «التوحيد» ص ٢٤٧ الحديث ١.

يُحَاجُّوهُ، ثَبَتَ أَنَّ لَهُ سَفَرَاءَ فِي خَلْقِهِ يَعْبُرُونَ عَنْهُ إِلَى خَلْقِهِ وَ عِبَادِهِ وَ يَدُلُّونَهُمْ إِلَى مَصَالِحِهِمْ وَ مَنْفَعَتِهِمْ وَ مَا بِهِ بَقَاؤُهُمْ وَ فِي تَرْكِهِ فَنَاقُؤُهُمْ؛ ثَبَتَ الْآمُرُونَ وَ النَّاهُونَ عَنْ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ فِي خَلْقِهِ وَ الْمَعْبُرُونَ عَنْهُ — جَلٌّ وَ عِزٌّ — . وَ هُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَ صَفْوَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، حُكَمَاءُ مُؤَدِّبِينَ بِالْحُكْمِ مَبْعُوثِينَ بِهَا غَيْرَ مُشَارِكِينَ لِلنَّاسِ عَلَى مُشَارَكَتِهِمْ لَهُمْ فِي الْخَلْقِ وَ التَّرْكِيبِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِهِمْ، مُؤَيَّدِينَ مِنْ عِنْدِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ بِالْحُكْمِ».

ثُمَّ ثَبَتَ ذَلِكَ فِي كُلِّ دَهْرٍ وَ زَمَانٍ مِمَّا أَتَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَ الْأَنْبِيَاءُ مِنَ الدَّلَائِلِ وَ الْبَرَاهِينِ لِكَيْ لَا يَخْلُو أَرْضَ اللَّهِ مِنْ حُجَّتِهِ يَكُونُ مَعَهُ عِلْمٌ يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ مَقَالَتِهِ وَ جَوَازِ عَدَالَتِهِ.

تَبَصُّرُهُ

اعْلَمْ! أَنَّ الْإِنْسَانَ ذُو أَجْزَاءٍ ثَلَاثَةٍ:

عَقْلٌ؛

وَ نَفْسٌ؛

وَ طَبِيعَةٌ.

وَ كُلُّ مِنْهَا مِنْ عَالَمٍ آخَرَ. وَ لِكُلِّ مِنْهَا كَمَالٌ وَ نَقْصٌ، وَ قَلٌّ مِنَ الْإِنْسَانِ مَا يَكُونُ كَامِلًا فِي الْجَمِيعِ. فَكَمَالُ الْعَقْلِ — وَ يَقَالُ لَهُ: الرُّوحُ أَيْضًا، وَ هُوَ الْعَقْلُ النَّظَرِيُّ — بِالْعِلْمِ بِالْحَقَائِقِ وَ الْأُمُورِ الْإِلَهِيةِ؛

وَ كَمَالُ النَّفْسِ — وَ هُوَ الْقُوَّةُ الْخَيَالِيَّةُ — بِاسْتِثْبَاتِ الصُّورِ الْجَزْئِيَّةِ؛

وَ كَمَالُ الطَّبِيعَةِ هُوَ التَّصَرُّفُ فِي الْمَوَادِّ الْكَوْنِيَّةِ بِالْقَلْبِ وَ التَّحْرِيكِ وَ الْإِحَالَةِ.

وَ النَّبِيُّ هُوَ الشَّخْصُ الْكَامِلُ فِي الْقُوَّةِ النَّظَرِيَّةِ مِنْ جِهَةِ الْإِلَهَامَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ، فَإِذَا حَصَلَتْ لَهُ الرِّسَالَةُ أَيْضًا فَقَدْ كَمَلَ أَيْضًا فِي الْقُوَّةِ النَّفْسَانِيَّةِ، وَ إِذَا كَانَ صَاحِبَ شَرِيعَةٍ وَ عِزْمٍ فَقَدْ صَارَ جَامِعًا لِلْكَمَالَاتِ الثَّلَاثَةِ؛ فَكَأَنَّهُ رَبُّ إِنْسَانِيٍّ يَجِبُ طَاعَتُهُ بَعْدَ طَاعَةِ اللَّهِ فِي الْعَوَالِمِ الْإِمْكَانِيَّةِ!

فَفِي الْإِنْسَانِ الْكَامِلِ الْجَامِعِ لِلْكَمَالَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ خَوَاصُّ ثَلَاثَ:

إِحْدَاهَا — وَ هُوَ أَعْلَى الْخَوَاصِّ النَّبَوِيَّةِ —: كَمَالٌ فِي الْقُوَّةِ الْعَقْلِيَّةِ بِأَنْ حَصَلَ لَهُ الْعُلُومُ وَ

أكثرها من غير تعلّم بشريّ، بل بتعليم ربّانيّ من معلّم شديد القوى؛ وذلك بأن يصفو الجوهر العقليّ صفاءً يكون شديد الإتّصال بالعقل الفعّال _ المسمّى بـ: القلم الأعلى أو المعلّم الشديد القوى _، وبقوّه التحدّس. و أنت ترى الناس متفاوتي النفوس في الحدس، فمنهم البليد _ الذي لا يفلح أبداً في فكره _، ومنهم المتحدّس أحياناً، ومنهم شديد الحدس يفوق على غيره في كمّيّته الحدسيّات و كيفيّتها _ أعني: سرعتهم _ . و ليس لمراتبه حدّ يجب التوقّف عنده فيها، فيجوز أن يوجد إنسانٌ يدرك بحدسه أكثر العلوم العقليّات في زمانٍ قليلٍ دون معلّم خارجيّ؛ و من ذلك نفسٌ سمّيت قدسيّه «يَكَاذُ زَيْتُهَا يُضْتَىءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسُسْهُ نَارٌ» عقليّ، فإذا مسّسته صار نوراً «عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ».(١)

فصاحب هذه القوّه القدسيّه يقال له: نبيّ، أو: وليّ؛ و إنّ ذلك: معجزه، أو: كرامه.

و هو ممكنٌ و ليس بمحالٍ، و إذا جاز أن يكون القصور إلى حدّ يمنع عن الفهم من التعلّم يجوز أن يترقّى الكمال إلى حدّ يغني عن التعلّم. و كيف لا يمكن هذا؟! و كم من شخصين متعلّمين قد سبق أحدهما الآخر بحقائق العلوم مع أنّ إجتهاده أقلّ! و لكن شدّه الحواسّ و قوّه الزكاء و الزياده في هذا كيفاً و كمّاً من الممكنات.

و الفرق بين «الحدس» و «الفكر»: أنّ الفكر هي حركهٌ للنفس الإنسانيّه في المعاني بترتيب المقدمات للنتيجه مستعيناً بالقوّه المتخيّله في أكثر الأمور يطلب بها الحدّ الأوسط _ و ما يجري مجراه ممّياً يشابهه _ إلى علم بالمجهول حاله العقل استقراضاً للمخزون _ و ما يجري مجراه _؛ فربّما تأدّت إلى المطلوب. و أمّا الحدس فهو: أن يتمثّل الحدّ الأوسط في الذهن دفعهً بأن يعلم العلّه فيعلم المعلول، أو يعلم الدلائل فيحصل له العلم بالمدلول دفعهً أو قريباً.

فان قلت: هذه القوّه القدسيّه موجودهٌ في غير النبيّ من الأفراد البشريّه، فإنّ الإنسان يجد من نفسه هذا التحدّس في مسائل كثيره!

قلنا: إنّ هذه القوّه قابلهٌ للنقصان و الزياده، ففي النبيّ في أعلى الدرجه و منتهى المرتبه

ص : ٢٨٢

بحيث لا يكون أعلى منه في المرتبة الإمكانية؛

و ثانيها: قوّة في النفس بما هي نفس، فتجلّى له الحقائق في كسوه الأشباح و الأمثال فتقوى النفس بقوّتها الخياليّة بأن تتّصل في اليقظه بعالم الغيب المثاليّ فيرى أشياء محاكيّة لما أدركته بقوّتها العقليّة من صورٍ جميله و أصواتٍ منظومهٍ _ إذ العوالم متطابقه في أصول الحقائق _، فيرى في اليقظه و يسمع ما كان يراه و يسمعه في النوم _ للسبب الذي ذكرناه _ . فيكون الصور المحاكيه للجواهر الشريفه القدسيّه و العقل الفعّال للصور العلميّه في النفوس القابله صوره عجيبه في غايه الحسن، و هو الملك الذي يراه النبيّ. و تكون المعارف التي تصل إلى العقل من الإتّصال بالجواهر الشريف القدسيّ يتمثّل بالكلام الحسن المنظوم، فيصير مسموعاً _ و هو كلام الله المسموع _ من الملك الملقى للوحى و الإلهام؛

و ثالثها: كمالٌ في القوّه العمليّه متصرّفه في المادّه المحرّكه للجسم، فيؤثّر في هوى العالم بازاله صورهِ و إحداث أخرى، فيحصل أعمالٌ خارقه للعاده _ كحصول طوفاناتٍ و زلازل و استنزال عقوباتٍ، و استهلاك أمّه فجرت و عنت عن أمر ربّها و رسله، و استشفاء المرضى، و استسقاء العطشى، ... و غير ذلك _ . و هذا أيضاً ممكنٌ، فإنّه قد ثبت في العلوم الإلهيّة أنّ الهوى و الأجسام مطيعه للنفوس و متأثّره لها؛ و قد علمت تأثير الأوهام حتّى أنّ الماشى على الجدار المرتفع قليل العرض إنّما يسقط بسبب توهمه صورهِ السقوط، و الأمزجه قد تغيّر بالأوهام العاميّة فيمرض الإنسان و ربّما يموت؛ و من هذا الباب أصابه العين من النفوس القويّه في الشرّ _ كما ورد من قوله صلى الله عليه و آله و سلّم: «العين يدخل الرجل القبر و الجمل القدر» (١) _ .

فبهذه الخصال الثلاث المذكوره _ التي هي من شرائط النبوه بحسب الشدّه والضعف و الكمال و النقص _ تتفاوت مراتب الأنبياء و الأولياء و درجاتها.

ص : ٢٨٣

١- ١. راجع _ مع تغيّراتٍ و زياداتٍ _ : «بحار الأنوار» ج ٦٠ ص ٢٠، «جامع الأخبار» ص ١٥٧، «مكارم الأخلاق» ص ٣٨٦.

و هذه الخواصّ الثلاث لنبينا محمّد بن عبد الله _ صَلَّى الله عليه وآله و سلّم _ فى الغايه و أعلى الدرجه. و الدليل عليه: الآثار المترتبه على وجوده _ صَلَّى الله عليه وآله و سلّم _ ؛ و وجود الآثار دليل على وجود المؤثرات؛ فتأمل!.

اعلم! أنّ بعد وجود النبى _ صَلَّى الله عليه وآله و سلّم _ يجب عليه أن يسنّ للناس فى أمورهم سنناً بإذن الله و أمره و وحيه و إنزاله الروح القدس عليه. و يكون الأصل فيما يستنه تعريفه إياهم أنّ لنا صانعاً قادراً واحداً، و أنّه عالم السرّ و العلانيه، و أنّه من حقّه أن يطاع بأمره _ فأنّه يجب أن يكون الأمر لمن له الخلق _ ، و أنّه قد أعدّ لمن أطاعه النعيم، و لمن عصاه الجحيم. حتّى يتلقوا رسمه المنزل على لسانه من الله و الملائكه بالسمع و الطاعه.

و لا ينبغي أن يشغلهم بشيء من معرفه الله فوق معرفه أنّه واحد حقّ لاشييه له لئلا يعظم عليهم الشغل و يشوش فيما بين أيديهم الدين، و يوقعهم فيما لامخلص عنه من الشكوك و الشبه إلاّ لمن كان للمعان الموقّق الذى يشدّ وجوده و ينذر كونه، فإنّهم لا يمكنهم تصوّر ذلك على وجهه إلاّ بكدّ، فيقعوا فى تنازع و آراءٍ مختلفهٍ مخالفهٍ لصلاح المدينه. بل يجب أن يعرفهم جلاله الله و عظمتهم برموزٍ و أمثلهٍ من الأشياء التى هى عندهم جليله عظيمه.

و يلقى إليهم مع هذا أنّه لا نظير له و لا شريك له و لا شبيهه، و كذلك يقرّر لهم أمر المعاد على وجهٍ يتصوّرون كيفيته و يسكن إليه نفوسهم، و يضرب للسعاده و الشقاوه أمثالا بما يفهمونه و يتصوّرونه و إن اشتمل مع ذلك على رموزٍ و إشاراتٍ تستدعى المستدعين بالجله للنظر إلى البحث الحكمي. و ذلك لأنّه _ صَلَّى الله عليه و سلّم _ يكلم الناس على قدر عقولهم، و لأنّه يمثّل لهم المدرّكات على قدر مداركهم.

و يجب أيضاً عليه أن يلزمهم الصناعات و العبادات ليسوقهم عن مقام الحيوانيه إلى مقام الملكيه؛ إمّا بأمرٍ و جوديه يخصّهم نفعاً _ كالصلاه و الأذكار على هيئه الخشوع و الخضوع _ ليحرّكهم بالشوق إلى الله؛

أو يعمّ نفعها لهم و لغيرهم _ كالصدقات و القرايين فى هيكال العبادات _ ؛

و إمّا أموراً عدميه يزكّيهم؛

إِذَا يَخْضَعُونَ كَالصَّيَامِ _ ؛

أَوْ يَعْمَهُمْ وَغَيْرَهُمْ _ كَالْكَفِّ عَنِ الْكَذِبِ وَإِيلَامِ النَّوْعِ وَالْجَنَسِ وَالصَّمْتِ _ .

وَأَنْ يَسْنَ عَلَيْهِمْ أَصْفَارًا يَنْزَعُونَ فِيهَا عَنْ بَيُوتِهِمْ طَالِبِينَ رِضَاءِ رَبِّهِمْ وَيتَذَكَّرُونَ يَوْمًا «مِنْ الْأَعْجِدَاتِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ» (١)،
فَيُزَوِّرُونَ الْهِيَاطَ الْإِلَاحِيَّةَ وَالْمَشَاهِدَ النَّبَوِيَّةَ وَنَحْوَهَا؛

وَيُشَرِّعُ لَهُمْ عِبَادَاتٍ يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهَا _ كَالْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَاتِ _ ، فَيَكْسِبُوا مَعَ الْمُتَوْبَةِ الْإِتْلَافَ وَالْمُضَافَاتِ وَيَكْرَّرُ عَلَيْهِمُ
الْعِبَادَاتِ وَالْأَذْكَارَ فِي كُلِّ يَوْمٍ لَثَلًا يَنْسُوا ذِكْرَ رَبِّهِمْ فِيهِمْ.

وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَيْضًا أَنْ يَقْنَنَ لِلنَّاسِ قَوَانِينَ لِلْمُعَامَلَاتِ وَالْأَنْكَحَةِ وَسَائِرِ الْعُقُودِ الشَّرْعِيَّةِ _ كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي الشَّرِيعَةِ _ ؛

وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَيْضًا أَنْ يَنْصِبَ خَلِيفَةً يَكُونُ إِمَامًا لِلنَّاسِ يَحْفَظُ سُنَّتَهُ وَشَرِيعَتَهُ إِلَى بَعَثَةِ نَبِيِّ آخَرٍ، لِأَنَّ النَّبِيَّ لَيْسَ مِمَّا يَتَكَرَّرُ وَجُودُ
مِثْلِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَلَا النَّاسُ يَحْتَاجُونَ إِلَى شَرِيعَةٍ مُتَجَدِّدَةٍ فِي كُلِّ حِينٍ وَآنٍ؛

وَأَنْ لَا يَكُونَ الْإِسْتِخْلَافُ إِلَّا مِنْ جِهَةٍ بُوْحِيٍّ مِنَ اللَّهِ _ عَزَّ وَجَلَّ _ وَنَصٌّ مِنْهُ لَثَلًا يُؤَدِّي إِلَى التَّشَعُّبِ وَالتَّشَاغِبِ؛

وَأَنْ يَفْرَضَ عَلَى النَّاسِ جَمِيعًا طَاعَةُ مَنْ يَخْلُفُهُ وَيَحْكُمُ فِي سُنَّتِهِ، وَأَنْ مِنْ خَرَجٍ وَادَّعَى خِلَافَتَهُ _ بِفَضْلِ قُوَّهِ أَوْ مَالٍ _ فَعَلَى
كَافَّةِهِمْ قِتَالُهُ وَقَتْلُهُ؛ فَإِنْ قَدَرُوا وَلَمْ يَفْعَلُوا فَقَدْ عَصَوْا اللَّهَ وَكَفَرُوا بِهِ، وَيَحِلُّ دَمٌ مِنْ قَعْدٍ عَنْ ذَلِكَ وَهُوَ مُتِمِّكُنٌّ بَعْدَ أَنْ يَصْحَحَ
عَلَى رَأْسِ الْمَلَأِ ذَلِكَ مِنْهُ؛

وَيَجِبُ أَنْ يَسْنَ أَنْ لَا قُرْبَهُ عِنْدَ اللَّهِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِالنَّبِيِّ أَعْظَمَ مِنْ إِتْلَافِ هَذَا الْمُتَغَلَّبِ لِيَنْضَبِطَ السِّيَاسَةُ الْمَدِينِيَّةُ الَّتِي يَتَوَلَّاهُ حَارِسُ
السَّالِكِينَ وَكَافِلُ الْمُحَقِّقِينَ نَائِبًا عَنِ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

هَذَا مُلَخَّصُ مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ فِي هَذَا الْبَابِ.

ص : ٢٨٥

ثم اعلم! أنَّ العلم بصدق مدّعى النبوة للحكماء والعقلاء الناظرين فى حقائق الموجودات العينيّة _ الذين كملوا أنفسهم بترك الهوى ومتابعه النفس الأمّارة و كانوا كاملين فى قوّة النظرية والعملية _ فى نهايه السهوله، فإنّ معرفه الخواصّ الثلاث للنبوه عندهم من البديهيّات الأولى. وكذا التأمل فى مجارى الأحوال والأفعال والأقوال من صاحب الدعوه لهم يفيد حصول الجزم بصدق الصادق وكذب الكاذب على الغايه.

و أمّا على جمهور الناس من العامّة فى غايه الصعوبه!، و لامحاله يحتاجون إلى النظر والتأمل فى المعجزات الباهره؛ و إصابه النظر فى المعجزه يحتاج إلى الكمال فى قوّه العاقله، و هم يفقدونه؛ فلا بدّ لهم التقليد لعقلائهم فى ذلك حتّى حصل لهم الإيمان الإجمالى، و لهم الاكتفاء بالمواظبه على الأفعال والأعمال الوارده عن الشارع و الإنقياد لأوامره و نواهيه حتّى يؤدّى إلى صلاح المعاش و نجات المعاد.

و ربّما اشتبه عليهم المعجزه بأفعال الساحرين و المشعبدین و الكهنة و غيرهم، و التميّز بمقارنه الدعوه إلى الحقّ و الباطل. و لكن يتوقّف على العقل الكامل الفارق بين الحقّ و الباطل، و هم يفقدونه؛ فبالأخره يحتاجون إلى تقليد العقلاء و العلماء.

لمعه عرشيّه تميميّه

اعلم! أنّ إثبات النبوه الخاصّه فى زمن الغيبه فى غايه الصعوبه، لأنّ ثبوت نبوه شخص فى زمنه و حضوره فى نهايه السهوله _ بملاحظه الأحوال و مشاهد الآثار و الأفعال و الأقوال _ لمن له أدنى كياسه و فطانه؛ و لا يحتاج إلى مشاهد المعجزه، فكيف إذا شاهد المعجزه! _ كما ذكرناه لك _ .

و أمّا إثبات نبوه شخص بعينه بعد إنقضاء زمانه على طريق القوم فمنحصر بطريق التواتر على إدّعائه النبوه و إظهار المعجزه على طبق دعواه و وفق مدّعاه، و من أنكر التواتر صعب عليه الإثبات. بل لا يمكنه على هذه الطريقه، لأنّ نسبتنا و نسبه كلّ من اليهود و النصرارى و أهل المذاهب إلى نبيّنا و نبيّهم _ عليهم السلام _ مثلاً فى زمن الغيبه على السويّه،

فإنَّ المعجزه مفقودهٌ و الكتب منكّرهٌ و التواتر غير مسلّمه، فلافرق بيننا و بينهم فى إثبات هذه المسأله المعضله فى زمن الغيبه.

و لم أر إلى الآن أحداً من السلف و الخلف يتكلّم فى هذا ما يشفى العليل و يروى الغليل، و نحن بعون الله الجليل و عونہ الجميل أثبتناها بالبرهان و الدليل. و قبل إقامتنا البرهان على هذا المطلب النبيل فلنقدّم مقدّماتٍ ثلاثٍ:

الأولى: إنّ البرهان المفيد للقطع و اليقين على قسمين:

أحدهما: اللَّمَى المفيد لحقيقه المطلوب من طريق مقدّماته و مباديه و علله، و بالجملة: الإستدلال من العلّه إلى المعلول؛

و ثانيهما: البرهان الإئنى المفيد للعلم بوجود الشىء مطلقاً، لالحقيقته المخصوصه؛ و هو الإستدلال من الآثار و اللوازم الصادره عن حاقّ وجوده المنبعثه من كنه هويّته، بل ليس الآثار إلاّ الهويّه المتنزّله _ كما لا يخفى على أهل البصيره _ .

و هو يوصل الذهن إلى حدٍّ ليس هو بأقلّ فى باب إفاده المعرفه من تعريف المهيات بأجزائها الذهنيه المسّماه بالحدّ فى عرف أهل المنطق و الحكمه _ كما صرّح به الشيخ الرئيس فى كتابه المسمّى بالحكمه المشرقيه(1) _ . و بالجملة هو الإستدلال من المعلول إلى العلّه. و ذلك لأنّ معرفه الأشياء لا يتوقّف على الظفر بحدودها و رسومها و وجدان جنسها و فصلها، لأنّ التعريف غير منحصره فى الحدود و الرسوم، بل قد يعرف الأشياء بآثارها و أفعالها _ كما فى القوى حيث يعرف بأفاعيلها _ . فكم من موجودٍ لا-جنس له و لا فصل و لا حدّ له و لا رسم و لا برهان _ كالوجود الواجبى _ ؛ بل ما له جنسٌ و فصلٌ فربّما لا يظفر على فصله. و أكثر الأمور كذلك، فإنّ إعطاء الحدود صعبٌ عسرٌ على أكثر الأذهان.

فالعلم بالأشياء إمّا أن يحصل بالمشاهده الحضوريه؛ أو بالإستدلال عليها بآثارها و لوازمها المترتبه على نحو وجودها و كنه ذاتها و هويّتها الخارجيه الشديده و الضعيفه. بل

ص : ٢٨٧

معرفة الأتيات الوجودية مطلقاً لا يمكن إلا بمشاهدته آثارها الخارجية.

و توضيح ذلك: أنّ تعريف حقيقته الشيء إما أن يكون بنفس تلك الحقيقة؛

أو بشيء من أجزائها؛

أو بأمر خارج عنها؛

أو بما يتركب من الداخل و الخارج.

أمّا تعريفها بنفسها فهو محال، لأنّ المعرّف معلومٌ قبل المعرّف، فلو عرف الشيء بنفسه لزم أن يكون معلوماً قبل أن لا يكون، و هو محالٌ!

و أمّا تعريفها بالأشياء الداخلة ففي حقّ البسائط الوجودية — سيّما ما هو أبسط من كلّ بسيطٍ — محال، لأنّ البسائط الوجودية لاجزء لها أصلاً — لاالذهنية و لاالخارجية — . و قد علمت البرهان على هذا المطلب، لأنّ كلّ مركّب يحتاج إلى كلّ واحدٍ من أجزائه — و هو غيره — ، و المحتاج إلى الغير — و إن كان ذلك الغير جزؤه — ممكن، فكلّ مركّب ممكن؛ فما ليس بممكنٍ يستحيل أن يكون مركّباً. فواجب الوجود العزى هو أبسط البسائط لا-يكون مركّباً، و إذا لم يكن الشيء مركّباً استحال تعريفه بالأشياء الداخلة؛ فإذا بطل القسمان ثبت المطلوب.

و الثاني: أنّ مبدأ الآثار هو الوجود، و تشخّص كلّ شيء عبارة عن نحو وجوده — مجرداً كان أو مادياً — . و أمّا الأعراض التي يسمّى بالتشخصات عندهم فهي من اللوازم الشخصية، لا من مقومات الشخص؛ فيجوز أن يتبدّل كمّياته و كيفياته و أوضاعه و أزمنته و الشخص هو هو بعينه — كما هو مقرّر في مقامه — .

و الثالث: أنّ الوجود كلّما كان أقوى كان أشدّ تأثيراً و أكثر حيطة بالمراتب و أوفر سعة و أبسط جمعية للدرجات؛ أ و لا ترى كيف يفعل الحيوان أفاعيل الجماد و النبات مع ما يختصّه — كالإحساس و الإرادة — ؛ و يفعل الإنسان أفاعيلها جميعاً مع النطق و العقل؛ يفعل الكلّ بالإنشاء و الباري — تعالى — يقضى على الكلّ ما يشاء.

فإذا تمهّد هذه المقدمات الثلاث فنقول: فكما أن ليس لحقيقته الواجب حدٌّ و لا برهان، بل العلم بها إمّا أن يكون بالمشاهدته الحضورية أو بالإستدلال عليها بآثارها و لوازمها المترتبة

على نحو وجودها و كنه ذاتها و هويتها الشديده _ كما قال تاليس، و هو أوّل من تفلسف بالحكمه الملطيّه: «إنّ للعالم مبدعاً لا تدرك صفته العقول من جهه هويته، و إنّما يدرك من جهه آثاره و لوزامه المعبره عنها بآيات الآفاق و الأنفس» (١) _ ، فكذاك ليس للحقيقه المحمّديه حدّ و لبرهان؛ بل العلم بها إمّا بالمشاهده الحضوريه، أو بالاستدلال عليها بآثارها و لوازمها الناشئه عن حاقّ ذاتها و شدّه وجودها.

فمن آثارها الباقيه إلى يوم القيامة: كلام الله الصامت المشتمل على كلّ مطلب؛

و الشريعه المحكمه المتقنه الدائره بين الأمّه؛

و ما صدر من كلام الله الناطق _ أعنى: أمير المؤمنين عليه السلام _ و أولاده الطاهره من الأحاديث و الخطب و الأدعيه و العلوم الغير المتناهيه التي عجزت عن إحصائها العقول البشريه. و كفى بذلك شاهداً كتاب نهج البلاغه مع أنّه بالنسبه إلى كلامه و خطبه _ عليه السلام _ أقلّ من سدسٍ!، و هو مشتمل على أصول التوحيد و المعرفه الربوبيّه و الأسرار الإلهيه و الحكم الغير المتناهيه التي عجزت عن إحصائها المهره من الحكماء و العرفاء و أهل المكاشفه من السالفه و اللاحقه إلى يوم القيامة، لأنّه خاتم الولايه و به ختمت الكمالات الممكنه الإنسيّه. و قد مرّ أنّ الولايه باطن النبوه، و أنّ ولايه كلّ نبيّ أشرف من نبوته؛ فكذا الولايه في نبينا محمّد _ صلى الله عليه و آله و سلّم، خاتم الأنبياء _ ، فجّه ولايته أشرف من جهه نبوته؛ فتذكّر تفهم!.

و كذا الصحيفه الكريمه السجّاديّه لاشتغالها على أنوار حقائق المعرفه و أثمار حدائق الحكمه و أسرار دقائق البلاغه و الفصاحه حتّى تجرى مجرى التنزيلات السماويه، و لذا يلقبها العلماء و العظماء: زبور آل محمّد و إنجيل اهل البيت (٢) _ عليهم السلام _ .

ص : ٢٨٩

١ - ١. لم أعثر على مصدرٍ لكلامه هذا في مظانّه، ك «الحكمه المتعاليه»، و «الملل و النحل»، و الإلهيات من «الشفاء»، و «المطالب العاليه»، و شرحي «المواقف» و «المقاصد».

٢ - ٢. فانظر مثلاً: «معالم العلماء» ص ١٢٥ الرقم ٨٤٧، ثمّ ص ١٣١ الرقم ٨٨٦.

و كذا ما خلف عن الأئمة الطاهره من العلوم الغير المتناهيه سيّما من الباقرين، حيث ملأ الخافقين! _ كما مرّ في أوّل الكتاب _ .

و بالجملة ما يشتمل عليه هذه الشريعة المقدّسه النبويّه ممّا يتعلّق بأصول التوحيد و حقائق المعارف و بالعبادات و المعاملات و السياسات و الآداب و السنن بفنونها و أقسامها و ما أودع فيها من الدقائق و الحقائق و الأسرار و الرموز _ ما لم يبلغ إلى أدنى درجته لافلسفه الفلاسفه السابقين و لاحكمه الحكماء اللاحقين و لامشاهده العلماء العارفين _ شاهدٌ مبينٌ و برهانٌ متينٌ على أنّ من كان مبدئاً لهذه الآثار العجيبه و الآيات البديعه لا يكون إلاّ نبياً، لأنّ الشخص الواحد لا يمكنه تحصيل هذه الأمور المتكثّره _ التي بلغ كلّ منها حدّ المعجزه و خرق العاده _ بالإكتساب و التعلّم من المهرة و إن كان له إستعدادٌ و قوّة تامّة و ذكاءٌ و فطانتٌ على الغايه، فضلاً عن أن يكون أمّياً!؛ فهل يكون ذلك إلاّ بوحىٍ و إلهامٍ من الحضرة الأحديّه؟!.

و إن شئت البرهان فى هذا المطلب البهّى على القواعد المنطقيّه فنقول: محمّدٌ _ صلّى الله عليه و آله و سلّم _ كان مبدئاً و مبدعاً لهذه الآثار العجيبه و الآيات الغريبه المحكمه المتقنه المسّماه بالشريعة السمحه السهله؛

و كلّ من كان كذلك فهو نبىٌ؛

فمحمّدٌ نبىٌ.

أمّا الصغرى: فبإتفاق كلّ الأئمّه المرحومه، بل كلّ الأمم، لأنّهم يعترفون بأنّ هذه الشريعة ليست شريعة أنبيائهم _ بل شريعة محدثه _ ، و لا يمكنهم تكذيب الأئمّه المحمّديّه فى أنّ المبدء و المبدع لهذه الشريعة هو محمّد بن عبد الله، لأنّ تكذيب هذه الجماعه الكثيره فى أزمنهٍ مديدّه و قرونٍ متعدّدهٍ مع عدم المعارض مكابرهٍ صريحهٍ!، و كانكار الكتب و المصنّفات الكثيره المنسوبه إلى المصنّفين _ كما لا يخفى على المنصفين! _ . و قد تقرّر فى محلّه أنّ إنكار هذه الأمور من سبيل السوفسطائيّه _ الذى أبطله الحكماء و الشيخ الرئيس فى

الشفاء(١)، وقالوا: أنّه باطلٌ محضٌ و مكابرةٌ صريحةٌ _ .

فان قلت: لاسبيل إلى إثبات أنّ المبدء و المبدع لهذه الشريعة هو محمد بن عبد الله _ صلى الله عليه و آله و سلم _ إلا بالتواتر، و الخصم ينكره؛

قلت: الخصم ينكر التواتر المخصوص و بجماعه خاصه، لاتواتر العامة _ كجود حاتم و شجاعه رستم _ ، و استناد هذه الشريعة إلى الحضرة المحمديه من قبيل الثانى، لا الأول؛ و إن كان إثبات جزئيات هذه الشريعة فرداً فرداً من قبيل الأول، لا الثانى؛ فتأمل تفهم!.

و أما الكبرى: فيما ذكرناه فى المقدمه الثانيه و الثالثه؛

أو نقول فى إثبات النبوه الخاصه _ بعد ما تقرّر من أنّ الشريعة هى التى ينتظم بها أمور الدنيا و الآخره _ : أنّ الإحتمالات العقليه لاتخلوا من ثلاثه:

إمّا أن يكون الشخص صاحب شريعة؛

أو عارفاً بالشريعة؛

أو إجنياً لايعرف الشريعة أصلاً؛

فإن كان إجنياً فيجب أن ثبت له أولاً الشريعة، و إثباتها يتوقف على إثبات الحضرة الإلهيه ثم إثبات النبوه المطلقه حتّى يحصل له معرفه الشريعة؛ و نحن _ بفضل الله تعالى _ قد أقمنا البرهان على إثبات الواجب ثم إثبات النبوه المطلقه فى اللمعات السابقه، و فى هذه اللمعه، و فى سائر كتبنا _ سيّما كتابنا الكبير المسمّى بـ: أنوار الحقائق _ ؛

و إن كان صاحب شريعته أو عارفاً بالشريعة فبمجرد الملاحظه و التأمل فى هذه الآثار الدائره بين الأمه المحمديه يعترف بأنّها شريعته فى أقصى الغايه، فكيف بالموازنه بينها و بين الشرائع التى قبلها جزءً فجزءً و حرفاً فحرفاً!. فيرتب المقدمات و يأخذ النتيجة، فيقول: هذه الآثار ممّا ينتظم بها أمور الدنيا و الآخره؛

ص : ٢٩١

١ - ١. الظاهر أنّه إشارة إلى قوله: « ... و أمّا السوفسطائيه فمبدؤه من المقدمات المشبهه بالدائعه أو اليقيتيه من غير أن تكون كذلك فى الحقيقه»، راجع: «الشفاء» / كتاب البرهان ص ١٦٦.

و كل من كان كذلك فهو نبي؛

فينتج: ان محمدا _ صلى الله عليه وآله وسلم _ نبي _ كما مر _ ؛ فتبصر!

و هذه القاعده كليّه تجرى فى جميع الأمور الكونيه، مثلاً نقول: زيدٌ شاعرٌ؛ أو عارفٌ بالشعر؛ أو إجنبيٌّ لا يعرف الشعر أصلاً؛ و كذلك نقول: عمروٌ صاحب صنعه السيف؛ أو عارفٌ بالسيف و إن لم يكن صاحب آله؛ أو إجنبيٌّ لا يعرف السيف أصلاً؛ و هكذا فى كل صنعه و حرفه. خذ هذا!، فإنه عزيز المرام لم يسبقنى إليه أحد من علماء الأعلام.

و أمّا إثبات النبوه الخاصه على طريق الجمهور، فقد ذكرناه مستقصى فى كتابنا الكبير المسمى بـ: أنوار الحقائق، من أراد الإطلاع عليه فليرجع إليه.

فهذا النبى _ الذى أثبتنا نبوته _ هو خليفه الله فى أرضه، و هو الإمام الذى نصبه علماً لعباده و مناراً فى بلاده.

و أمّا إثبات الإمامه العامه؛ فهو: انّ الوحي إذا انقطع و باب الرساله إذا انسَد استغنى الناس عن الرسول و إظهار الدعوه بعد تصحيح الحجّه و تكميل الدين، و ليس من الحكمه إظهار زياده فائده من غير حاجه. فأما باب الإلهام فلا ينسدّ و مدد نور النفس الكليّه لا ينقطع _ لدوام ضروره و احتياج النفوس إليه و إلى تأكيد و تجديد و تذكير فى كل زمانٍ و عصرٍ و أوانٍ _ . فانّ الناس لمّا استغنوا عن الرساله و الدعوه و احتاجوا إلى التذكّر و التنبيه _ لاستغراقهم فى هذه الوسوس و انهماكهم فى هذه الشهوات _ فالله _ تعالى _ فتح باب الإلهام عليهم رحمهً و عنايةً، و هيأ الأمور و رتب المراتب لتعلم انّ الله لطيفٌ بعباده «يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ»(١).

و قال الجمهور: كما احتاج المكلفون إلى نبي يستفيد الشريعة و الحكمه من الوحي فكذلك يحتاجون إلى حافظٍ لما بلغه النبى إلى الأئمّه بعد فوته، إذ لا يمكنهم حفظ جميع أحكامه، و الكتاب لا يفي بعد النبى بمعرفه الأحكام على وجه يرفع الاحتياج إلى الإمام _

ص : ٢٩٢

فإن فيه مجملًا و مفصّلًا، و محكمًا و متشابهًا، و خاصًا و عامًا، و ناسخًا و منسوخًا، و علومًا باطنه و دقائق غامضه من الأحكام و غيرها ممّا لا يتيسّر الإحاطه به إلّا لنبيّ بطريق الوحي أو وصيّ ذى أذنٍ واعيه يعي كلّما يسمعه من النبيّ، فيحفظه على وجهه _ . و الاجتهاد ممنوعٌ، و إن قلنا بصحّته فإنّما هي عند الضروره؛ و هي منتفيه من جانبه. فلا بدّ لتلك الأمور من حافظٍ عالم بها على وجهها. و لا يتيسّر _ كما عرفت _ إلّا لذى نفسٍ قدسيّه و حدسٍ عالٍ و بصيرهٍ منورهٍ مصقولهٍ من دنس الجهل و صدء الصفات الذميمة لتنتطح فيها العلوم الإلهيّة و يظهر فيها الأسرار الغيبيّه.

و أمّا تعريف الإمامه على طريق الحكماء، فهي: الإستقامه الوسطى و العداله المطلقه الموجهه لكونها على الصراط المستقيم، فيخضع له النوع و ينقاد له الأشخاص الإنسانيّه؛ و يسمّى عندهم: تعريف صاحب الناموس. و قال ارسطو: «الأنبياء هم الذين عنايه الله بهم أكثر. ثمّ يأتى من بعده مقرر أحكام المدينه على القانون العقلى و يوسسهم بتأييدٍ إلهي، يمتاز عن غيره و يكمل الأشخاص الإنسانيّه».

و فى عبارات قدماء الحكماء: ملكاً على الإطلاق، و أحكامه: صناعه الملك؛ و فى عبارات المتأخّرين: إماماً، و فعله: إمامه.

و يسمّى افلاطون هذا الشخص و أمثاله: مدبّر العالم؛

و ارسطاطاليس يسمّيه: إنسان المدينه، لأنّ قوام المدينه به.

و أمّا تعريف الإمامه على طريق العرفاء و الصوفيّه فهو: الولايه الّتى يوجب لصاحبها التصرّف فى العالم العنصرىّ و تديره بإصلاح فساده و إظهار الكمالات فيه لاختصاص صاحبها بالعنايه الإلهيّة الّتى توجب له قوّه فى نفسه لا يمنعها الإشتغال بالبدن عن الإتّصال بالعالم العلوىّ و اكتساب العلم الغيبيّ منه فى حاله الصّحه و اليقظه، بل يجمع بين الأمرين لما فيها من القوّه الّتى تسع الجانبين.

و إنّما قيّدوا بـ «حاله الصّحه و اليقظه»، لأنّه فى حال المرض ضعفت العلاقه البدنيّه و يقوى جوهر النفس الإنسانيّه، و حصل لها الإتّصال بالمبادئ العاليه القدسيّه، و بسببه

يحصل لها الدقائق الروحانيه و الحقائق الغيبية فيطلع على بعض المعلومات الغائبه؛ و كذا في حال النوم. فإذا تخلت بواسطه النوم عن التصرفات الحسيه و التعلقات الجزئيه و كانت سليمه من قيد الخيال المضاف من إستيلاء شيء من الأخلاط و من غلبه شيء من أمور اليقظه و الإهتمام بأمر من أحوالها، بل كانت سالمه من هذه العوائق فأنها عند هذه الشروط قد يتعلّق ببعض مظاهر عالم المثال _ بل و قد يتصل إليه _ ، فيشاهد الصور الشخصيه الكائنه فيه. بل و إذا كانت قويه الإستعداد قد يتجاوز إلى عالم الروحانيات من العقول و النفوس، فيشاهد ما هناك مشاهد حقه. و ذلك هو معنى المنام الصدق، حتى أنه قد لا يحتاج إلى التعبير. و ذلك بعض أجزاء الوحي، حتى أن كثيراً من الأنبياء كانت نبوتهم بطريق المنام.

فالإمامه ليس باكتسابها للعلم الغيبى بأحد هذين الأمرين، بل فى حال صحته و يقظته يدرك العلم الغيبى لقوّه نفسه و عدم ممانعه العلاقه لها؛ و هذا العلم الغيبى هو المسمى بـ : العلم اللدنى المشار إليه فى قوله _ تعالى _ : «وَعَلَّمَآه مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا»(١)، و قوله _ عزّ و جلّ _ فى حقّ نبينا _ صلى الله عليه و آله و سلم _ : «وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ»(٢).

و العلم اللدنى هو الذى لا واسطه فى حصوله بين النفس و البارى _ تعالى، كما ذكرنا فى النبوه فى أوّل الكتاب؛ فتذكر! _ .

و أمّا إثبات الإمامه الخاصه على طريقتنا الخاصه، على النهج الذى ذكرناه فى النبوه الخاصه؛ فتبصّر!.

و قال بعض الفضلاء: «الإمام عندنا من ينوب عن رسول الله _ صلى الله عليه و آله و سلم _ فى جميع ما تحتاج الأمه فى أمر دينهم و دنياهم، و يكون ممّن عنده علم القرآن _ : ظاهره و باطنه و تفسيره و تأويله _ و جميع علوم الأنبياء و المرسلين. و لا يوجد هذا الوصف باتّفاق محققى الأمه بعد النبى _ صلى الله عليه و آله و سلم _ فى غير عترته الطاهرين _ عليهم السلام _ ممّن يتولّى الإمامه و يتسمّى بالخلافه، أولهم على بن أبيطالب _

ص : ٢٩٤

١- ١. كريمة ٦٥ الكهف.

٢- ٢. كريمة ١١٣ النساء.

عليه السلام _ و آخرهم المهدي _ عليهم السلام _ .

و أما الأدلة النقلية فبحد الإستفاضه من طرق العامة و الخاصه؛

أمّا من طرق العامة فمنها: ما أخرجه الحاكم (١) و صحّحه عن ابن عمر عن رسول الله _ صلى الله عليه و آله و سلّم _ : «من مات و ليس عليه إمام جماعه فانّ موته مؤتة جاهليّة!»؛

و فى معناه الحديث المشهور المتفق عليه بين الفريقين (٢): «من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة» (٣). و المراد بـ: «إمام الزمان» فى هذا الحديث: هو الإنسان الكامل الذى أبدعه الله _ تعالى _ مثلاً لنفسه المقدسه ذاتاً و صفاتاً و أفعالاً، و هو الذى لا يمكن معرفته _ تعالى _ إلاّ به. و هو باب الله الأعظم و العروة الوثقى و الجبل المتين الذى به يرتقى إلى العالم الأعلى، و الصراط المستقيم إلى الله العليم الحكيم، و الكتاب الكريم الوارد من الرحمن الرحيم. فيجب على كلّ أحد معرفه ما فى هذا الكتاب المكنون، و فهم هذا السرّ المخزون، لأنّ حياه الإنسان فى النشأ الدائمه إنّما هى بمعارف الحكم الإلهيّة، و الإنسان الكامل تنطوى فيه حكمه كلّها، و هو مفادّ قوله: «من أطاعنى فقد أطاع الله» (٤)؛ و قوله أيضاً: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه» (٥).

ص : ٢٩٥

١- ١. راجع: «المستدرک على الصحيحين» ج ١ ص ١٥٠ الحديث ٢٥٩، و انظر أيضاً: نفس المصدر و المجلّد ص ٢٠٣ تابع الحديث ٤٠٢.

٢- ٢. هذا الحديث رواه جُمّ غفيرٌ من علماء الخاصه _ راجع: التعليقه الآتیه _ ، و أمّا الحديث فلم أجده فى مصادر العامة، لا فى مصادرهم الروائيّه و لا فى تفاسيرهم.

٣- ٣. راجع: «وسائل الشيعة» ج ١٦ ص ٢٤٦ الحديث ٢١٤٧٥، «بحار الأنوار» ج ٥١ ص ١٦٠، «إعلام الوری» ص ٤٤٢، «الإقبال» ص ٤٦٠.

٤- ٤. راجع: «بحار الأنوار» ج ٢٢ ص ٤٧٦، «الإحتجاج» ج ١ ص ٢٧٣، «إرشاد القلوب» ج ٢ ص ٢٦٢، «الأمالی» _ للطوسی _ ص ٥٥١ الحديث ١١٦٨.

٥- ٥. راجع: «بحار الأنوار» ج ٢ ص ٣٢، «شرح نهج البلاغه» ج ٢٠ ص ٢٩٢، «الصراط المستقيم» ج ١ ص ١٥٦، «عوالی اللثالی» ج ٤ ص ١٠٢ الحديث ١٤٩.

و المراد به: نفس النبي، تحقّقاً لقوله _ تعالى _ : «النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ» (١).

و ذلك أنّ حقيقه النبويّه بنور هدايتها كملت نفوس المؤمنين و نورّت عقول الآدميين و أخرجتهم من القوّه إلى الفعل و أفاضت عليهم النور و أفادت لهم الوجود الأخرى، فتكون علّة لتحقق الحكمه و الإيمان فيهم و يحصل ذواتهم بحسب الوجود البقائي و الثبوت السرمدي، و العلّه الفاعليّه للشيء أولى به من نفسه _ لأنّ الشيء مع نفسه بالإمكان و مع علته و مكمله بالوجود، و الوجود و الكمال أولى بالشيء من الإمكان و النقصان _ . فافهم ما ذكرناه لك في هذا المقام من معنى «وجوب إتباع الإمام»، فإنّه عزيز المرام!؛ و الله وليّ الفضل و الإنعام.

و يؤيّد ما ذكرناه ما روى في الأمالي (٢) و معاني الأخبار (٣) و عيون الأخبار (٤) عن الرضا _ عليه السلام، في حديثٍ طويلٍ في علامه الإمام، إلى أن قال، عليه السلام _ : «الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحدٌ و لا يعادله عالمٌ و لا يوجد منه بدلٌ، و لا مثل له و لا نظير، مخصوصٌ بالفضل كلّهُ من غير طلبٍ منه و لا اكتسابٍ، بل اختصاصٌ من المفضّل الوهاب. فمن ذا الذي معرفه يبلغ بمعرفه الإمام _ عليه السلام _ أو يمكنه اختياره، هيهات! هيهات! ضلّت العقول و تاهت الحلوم و حارت الأبواب و حسرت العيون و تصاغرت العظماء و تحيرت الحكماء و تقاصرت الحلما و حصرت الخطباء و جهلت الأبواب و كلّت الشعراء و عجزت الأدباء و عيت البلغاء عن وصف شأنٍ من شأنه أو فضليه من فضائله، فأقرّت بالعجز و التقصير. و كيف يوصف أو ينعت بكنهه أو يفهم شيءٌ من أمره أو يوجد من يقوم مقامه أو يغني عنه؟ لا! كيف؟ و أين؟ و هو بحيث التحم من يد المتناولين و وصف الواصفين. فأين الاختيار من هذا؟، و أين العقول من هذا؟، و أين يوجد مثل هذا _ ... الحديث _»؛

ص : ٢٩٦

١- ١. كريمه ٦ الأحزاب.

٢- ٢. راجع: «الأمالي» ص ٦٧٧ الحديث ١.

٣- ٣. راجع: «معاني الأخبار» ص ٩٨ الحديث ١.

٤- ٤. راجع: «عيون الأخبار» ج ١ ص ٢١٩ الحديث ١.

و ما فى زياره الجامعه الكبيره: «كيف أصف حسن ثنائكم»^(١)، ... إلى غير ذلك من الأخبار و الأدعيه التى فيها الإشاره إلى مقامهم _ عليهم السلام _ .

و إنما يذكرون من بيان مناقبهم و مفاخرهم ما تحتمله العقول البشرى، لا ما هو مناقبهم و مفاخرهم فى الحقيقة.

و أخرج ابن مردويه^(٢) عن عليّ _ عليه السلام _ قال: «قال رسول الله فى قول الله: «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ»^(٣) قال: يدعى كل قوم بإمام زمانهم و كتاب ربهم و سنّه نبّيهم»؛

و أخرج ابن عساكر عن خالد بن صفوان أنّه قال: «لم تخل الأرض من قائم لله بحجّته فى عباده»^(٤)؛

و أمّا من طرق الخاصّه فالأخبار فيه غير محصوره؛ منها: ما روى عن النبى _ صلى الله عليه و آله و سلّم _ أنّه قال: «فى كلّ خلف من أمتى عدلٌ من أهل بيتى ينفون عن الدين تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين»^(٥)؛

و منها: ما رواه فى الكافى^(٦) بسنده عن أبى عبد الله _ عليه السلام _ أنّه قال: «ما زالت الأرض إلّا - و لله فيها الحجّه يعرّف الحلال و الحرام و يدعو الناس إلى سبيل الله»؛

و بسنده^(٧) عنه _ عليه السلام _ قال: «إنّ الله أجلّ و أعظم من أن يترك الأرض بغير إمام

ص : ٢٩٧

١ - ١. راجع: «الفتيه» ج ٢ ص ٦١٥ الحديث ٣٢١٣، «تهذيب» ج ٦ ص ٩٩ الحديث ١، «بحار الأنوار» ج ٩٩ ص ١٣١، «البلد الأمين» ص ٣٠٢.

٢ - ٢. لم أعثر عليه فى الموجود من «كتاب المناقب» _ له _ ، و راجع: «الدرر المنثور» ج ٤ ص ١٩٤.

٣ - ٣. كريمه ٧١ الإسراء.

٤ - ٤. لم أعثر عليه فى «تهذيب تاريخ دمشق».

٥ - ٥. راجع _ مع تغييرٍ _ : «الإختصاص» ص ٤، «بصائر الدرجات» ص ١١ الحديث ٣، «الصراط المستقيم» ج ٢ ص ٢٧٧، «الفصول المختاره» ص ٣٢٥.

٦ - ٦. راجع: «الكافى» ج ١ ص ١٧٨ الحديث ٣، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٢٣ ص ٤١، «بصائر الدرجات» ص ٤٨٤ الحديث ١١، «الغيبه» _ للنعمانى _ ص ١٣٨ الحديث ٤.

٧ - ٧. راجع: «الكافى» ج ١ ص ١٧٨ الحديث ٦، و لم أعثر عليه فى غيره.

و منها: ما رواه غير واحدٍ عن أمير المؤمنين _ عليه السلام _ فى حديث كميل بن زياد النخعى المشهور أنه قال: «اللهم بلى! لا يخلو الأرض من قائم لله بحججه، إمّا ظاهر مشهورٍ أو خائفٍ مغمورٍ لئلا يبطل حجج الله و بيناته. و أين أولئك؟! و الله الأقلون عددا الأعظمون خطراً! بهم يحفظ الله حججه و بيناته حتى يودعوها نظرائهم و يزرعوها فى قلوب أشباههم. هجم به العلم على حقائق الأمور و باشروا روح اليقين و استلانوا ما استوعره المترفون و آنسوا بما استوحش منه الجاهلون و صحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحها معلقة بالمحل الأعلى، أولئك خلفاء الله فى أرضه و الدعاه إلى دينه. آه! آه! شوقاً إلى رؤيتهم» (١)؛ انتهى الحديث.

و فيه دلالة على أمور:

الأول: أن العالم الحقيقى و العارف الربانى له الولاية على الدنيا و الدين، و له الرياسة الكبرى؛

و الثانى: أن سلسلة العرفان بالله و الولاية المطلقة لا تنقطع أبداً؛

و الثالث: أن عماره العالم الأرضى و بقاء الأنواع فيهما بوجود العالم الربانى، و قد أقيم عليه البرهان فى الحكمه المتعاليه، فيلزم الإعتراف بوجود إمام حافظٍ للدين فى كل زمانٍ؛

الرابع: أن هذا القائم بحججه الله لا يجب أن يكون ظاهراً مشهوراً _ كعلّى بن أبيطالبٍ عليه السلام فى أوقات تمكّنه من الخلافه _ ، بل ربّما يكون خاملاً مستوراً _ كأولاده المعصومين، صلوات الله عليهم أجمعين _ ؛

الخامس: أن قوله _ عليه السلام _ : «هجم بهم العلم على حقائق الأمور و باشروا روح اليقين» دالٌّ على أن علوم أولياء الله حاصلهٌ بحدسٍ تامٍّ و إلهامٍ من الله، و أنه أطلعهم الله

ص : ٢٩٨

١- ١. راجع _ مع تغييراتٍ _ : «نهج البلاغه» الكلمه ١٤٧ ص ٤٩٥، «شرح ابن أبيالحديد» عليه ج ١٨ ص ٣٤٦، «الغارات» ج ١ ص ٨٩.

على الحقائق وقذف في قلوبهم نوراً من لدنه يراهم الأشياء كما هي.

فعلم ممّا ذكر أنّه لا بدّ في كلّ زمانٍ بعد الرساله من وجود وليّ يعبد الله على الشهود الكشفى، و يكون عنده علم الكتاب الإلهى و مأخذ علوم العلماء و المجتهدين، و له الرياسه المطلقه و الإمامه فى أمر الدنيا و الآخره _ سواء كان ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مستوراً، و سواء الرعيه أطاعوه أو عصوه، و الناس أجابوه أو أنكروه _ . و كما كان الرسول رسولاً و إن لم يؤمن برسالته أحدٌ _ كما كان حال نوح عليه السلام _ مثلاً، فكذلك الإمام إمامٌ و إن لم يطعه أحدٌ من الرعيه؛ و كما أنّ الطبيب طبيبٌ و إن لم يستعلاج و لم يستشف المرضى منه. فهكذا الحكم فى الذين هم أطباء النفوس و معالجوا الأمراض النفسانيه و الأدوية القلبيه، و هم الأولياء و الأنبياء _ عليهم السلام و الثناء _ .

و منها: ما رواه فى الكافى (١) بسنده عن أبيجعفر _ عليه السلام _ قال: «و الله! ما ترك الله أرضاً منذ قبض الله آدم إلّا و فيها إمامٌ يهتدى به إلى الله _ عزّ و جلّ _ ، و هو حجّته على عباده، و لا تبقى الأرض بغير إمامٍ حجّه لله على عباده»؛

و بسنده (٢) عن أمير المؤمنين _ عليه السلام _ أنّه قال: «اللهم انك لا تخلى أرضك من حجّه لك على خلقك» ... إلى غير ذلك من الأخبار التى لا تحصى، و فيما ذكر كفايه للمستبصر.

و بالجملة سنّه الله من لدن ابتداء العالم و وجود بنى آدم جاريه على عدم خلوّ الأرض عن القائمين بأمره الحافظين لدينه المخبرين عنه الهادين لخلقّه، فيكون الحال فى كلّ زمانٍ على هذا المنوال؛ و لن تجد لسنّته تبديلاً (٣) و لا تحويلاً.

إلّا أنّ الرساله لمّا ختمت بمحمّد _ صلى الله عليه و آله و سلم _ فلا يكون بعده نبىٌ _ أى:

ص : ٢٩٩

-
- ١- ١. راجع: «الكافى» ج ١ ص ١٧٨ الحديث ٨، و لم أعثر عليه بالفاظه فى غيره.
 - ٢- ٢. راجع: «الكافى» ج ١ ص ١٧٨ الحديث ٧، و انظر: «بصائر الدرجات» ص ٤٨٦ الحديث ١٥، «دلائل الإمامه» ص ٢٣٢، «الصراط المستقيم» ج ٢ ص ٢٧٧، «الفصول المختاره» ص ٣٢٥.
 - ٣- ٣. تلمييحٌ إلى كريمات ٦٢ الأحزاب / ٤٣ فاطر / ٢٣ الفتح.

نبؤه التشريع _ ؛ و لارسول، لأن كل من يأتي بعده من الأئمة و الأولياء فهو تابع له في دينه و شريعته. لأن الدين قد كمل بيعته _ صلى الله عليه و آله و سلم _ و بلغت الشريعة غايتها _ لقوله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ» (١) _ ، فلم تبقى إلا علامات و الإلهامات الباطنية المتعلقة بأسرار اليقين و علوم الكتاب و الحكمه و الدين. و هي لاتنقطع أبداً، فلا بد في كل زمان من هادٍ منذرٍ يتعلم من الله و يتنور قلبه بنوره و يهتدى بهداه.

و إنما بسطنا الكلام في هذا المقام، لأنه من المهام. و لم يسبقنى أحد من الأنام إلى تحقيق النبؤه.

لمعه عرشية تنبيهية

اعلم! أن الغرض الأصلي من ارسال الرسول و وضع الشريعة إنما هو استخدام الغيب للشهادة، و خدمه الشهوات للعقول، و سياقه الدنيا إلى الآخرة و تغيير المحسوس معقولاً و الحث و الزجر على عكس هذه الأمور لكي ينجو الخلائق من عذاب الآخرة و وخامه العقابه و سوء المآل، و يفوز بالسعادة القصوى على قدر استعداداتهم؛ و إلا فيكفى الإنسان أن يعيش في نوع من السياسة يحفظ اجتماعهم الضروري و إن كان ذلك منوطاً بتغلب أو ما يجرى مجراه _ كما يرى من يعيش من سكان أطراف العماره بالسياسات الضرورية _ . و لهذا إذا تدبرت في الأحكام الشرعية لم تجد شيئاً منها خالياً عن تقوية الجنبه العاليه.

و الفرق بين الشريعة و السياسة المحضه: أن السياسة تحرك الأشخاص البشريه ليجمعهم على نظام مصلح لجماعتهم، و إنما تصدر عن النفوس الجزئية؛ و الشريعة تحرك النفوس و قواها إلى ما وكت به في عالم التركيب من مواصله نظام الكل و تذكرها معادها إلى العالم الأعلى الإلهي و تزجرها عن الانحطاط إلى الشهوه و الغضب و ما يترتب منها و ما يتفرع

ص : ٣٠٠

عليها؛ وإنما تصدر عن العقول الكليّة الكاملة. فأفعال السياسة جزئيّة ناقصه مستعينة بالشريعه مستكملة بها، و أفعال الشريعة كليّة تامّة غير محوجه إلى السياسة؛

و أيضاً: فإنّ أمر السياسة مفارق عن ذات المأمور؛ و أمر الشريعة لازم لها. مثاله: إنّ السياسة تأمر بالتجمل و هو لأجل الناظرين، و الشريعة تأمر بالصلاه و الصوم و نحوهما ممّا يعود نفعه إلى نفس المكلف.

و بالجملة: فالسياسة للشريعة بمنزله الجسد للروح و العبد للمولى، يطيعها مرّة و يعصيه أخرى؛ فإذا أطاعها انقاد ظاهر العالم باطنه و قامت المحسوسات فى ظلّ المعقولات و تحرّكت الأجزاء نحو الكلّ و كانت الرغبة فى الباقيات الصالحات و الزهاده فى الفائتات البائدت، و يكون حال الإنسان عند ذلك الراحه من المؤذيات و الفضيله الموصله إلى الخيرات، و كان كلّ يوم يمضى عليه أفضل من أمسه؛ و إذا عصيت للشريعة تأمرت عكس الأمور المذكوره _ كما لا يخفى على أهل البصيره _ .

و إنّما بسطنا الكلام فى هذا المقام لأنّه من المهام، و لم يستغن [\(١\)](#) أحد من الأنام تحقيق نبوّه شخص خاصّ أو إمامته بنحو البرهان؛ و ذلك من فضل الله ولى الجود و الإحسان!

اللَّهُمَّ فَأَوْزِعْ لَوْلِيَّكَ شُكْرَ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّهِ، وَ أَوْزِعْنَا مِثْلَهُ فِيهِ، وَ آتِهِ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا، وَ افْتَحْ لَهُ فَتْحًا يَسِيرًا، وَ أَعِنُّهُ بِرُكْنِكَ الْأَعَزِّ، وَ اشْدُدْ أَرْزَهُ، وَ قَوِّ عَضُدَهُ، وَ رَاعِهِ بِعَيْنِكَ، وَ احْمِهِ بِحِفْظِكَ وَ انصُرْهُ بِمَلَايِكَتِكَ، وَ امْدُدْهُ بِجُنْدِكَ الْأَعْلَبِ.

«فاوزع لوليّك» أى: ألهمه، من: < أوزعه الله الشىء أى: ألهمه إياه، قال _ تعالى _ : «فَهُمْ يُوزِعُونَ» [\(٢\)](#)، و قال _ سبحانه _ : «رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ

ص : ٣٠١

١- ١. كذا فى النسختين.

٢- ٢. كريمه ١٧ / ٨٣ النمل، ١٩ فصلت.

و «فاؤه» فصيحة.

و «اللام» فى «لولىك» إما زائدة للتأكيد _ نحو: «رَدِفَ لَكُمْ» (٢) عند المبرد و من وافقه _ ، أو صلة لـ «أوزع» _ على أن معناه: أفعَل الإيزاع (٣). و فى النسخ القديمة: «وليك» بدون اللام، و هى المعتمد.

و المراد من «الولى»: هو الإمام العصر _ عليه السلام _ .

و الضمير من قوله: «به» عائِدٌ إلى «الولى».

و «الباء» سببٌ، أى: ما أنعمت بسببه علينا من الإمامه و الولاية. و قيل: «ما فى» ما أنعمت به» مصدرية، و ضمير «به» راجعٌ إلى «الولى»، أى: شكر إنعامك به علينا؛ فالتقدير: شكر ما جعلته إماماً لنا. و عدل إلى هذا الكلام _ أدباً و تعظيماً _ إشارةً إلى أن نعمه الإمامه ليست إلّا لنا، لا لهم، و منه الله _ تعالى _ فيها علينا أكثر. فسأله أن يلهم الإمام شكر هذه النعمة التى حظنا منها أكثر؛ انتهى.

و هو كما ترى!.

قوله _ عليه السلام _ : «و أوزعنا مثله فيه» أى: مثل ذلك الإيزاع أو الشكر، فإنه نعمة تستحق منا الشكر عليها.

و «آته» أى: أعطه، يقال: آتته مالاً _ بالمد _ أى: أعطيته، و منه: «و آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ» (٤).

و «السلطان»: الحجّة و البرهان و الملكة و القدره؛ و قيل للخليفة: السلطان لأنه ذو السلطان.

و «النصير»: الناصر؛ أى: أعطه من عندك حجة ظاهرة تنصره بها على جميع من خالفه؛

ص : ٣٠٢

١- ١. كريمه ١٩ النمل، ١٥ الأحقاف.

٢- ٢. كريمه ٧٢ النمل.

٣- ٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٣٩٥.

٤- ٤. كريمه ٢٦ الإسراء.

أو: ملكاً و عزّاً ناصراً له و لشيعته.

قوله _ عليه السلام _ : «و افتح له فتحاً يسيراً». «الفتح»: إزاله الأغلاق الظاهري _ كفتح الباب و القفل _ أو الباطني _ كفتح الهم، و هو إزاله الغم و المستغلق من العلوم _ .

و «يسيراً» أى: سهلاً هيناً غير عسير.

و «الأزر»: القوّه؛ و قيل: «هو: الظهر، و منه: المثزّر، لأنّه يشدّ على الظهر؛ و: الإزار، لأنّه يسبل على الظهر» (١) - (٢).

و «العصّد»: ما بين المرفق و الكتف، ثم استعير للقوّه.

و «راعه بعينك» أى: احفظه بحفظك و حراستك.

و «حميته» من الأعداء حمياً _ من باب رمى _ و حميةً _ بالكسر _ : منعه عنهم، و الحمايه _ بالكسر _ : اسم منه.

و «انصره بملائكتك» كما نصرت النبي _ صلى الله عليه و آله و سلم _ بهم يوم بدر (٣).

> و «الجند»: الأنصار و الأعوان، و الجمع: أجناد و جنود، و الواحد: جندى، فالياء للوحده _ مثل روم و رومى _ .

و «الآغلب»: أفعل تفضيل من: غلبت الخصم غلباً _ من باب ضرب _ : إذا قهرته و ظفرت به؛ و الاسم: الغلب و الغلبه _ محرّكتين _ (٤) <.

وَ أَقِمْ بِهِ كِتَابِيكَ وَ حُدُودَكَ وَ شَرَائِعَكَ وَ سُنَنَ رَسُولِكَ، صِلْ أَوْلِيَاءَكَ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، وَ أَخِي بِهِ مَيَّا أَمَاتَهُ الظَّالِمُونَ مِنْ مَعَالِمِ دِينِكَ، وَ أَجَلُ بِهِ صَدَاءَ الْجُورِ عَنْ طَرِيقَتِكَ، وَ أَبْنُ بِهِ الضَّرَاءَ مِنْ سَبِيلِكَ، وَ أزلْ بِهِ

ص : ٣٠٣

١- ١. و قريب منه ما عن الفيروز آبادي، راجع: «القاموس المحيط» ص ٣٢٢ القائمة ٢.

٢- ٢. كما حكاها العلامة المدني، راجع: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٤٠٠.

٣- ٣. راجع في هذا الشأن: «تاريخ الطبري» ج ٢ ص ٤٤٨.

٤- ٤. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٤٠١.

النَّاكِبِينَ عَنْ صِرَاطِكَ، وَامْتَحَقَّ بِهِ بُغَاةَ قَصْدِكَ عَوِجًا.

و «أقم به» أى: بالإمام. وقد ذكرنا لك إقامه الكتاب بالإمام.

و «حدودك» أى: أحكامك؛ أو: الحدود المصطلحه _ كالقطع فى السرقة و الجلد و الرجم فى الزنا لغير المحصن و المحصن _ .

و «شرائعك» أى: أحكام شريعتك.

و «سنن رسولك»، و هى إمّا سنن الهدى _ و هى التى تتعلّق بتركها كراهة و إساءة _ ، و إمّا سنن الزوائد _ و هى التى إقامتها حسنة و لا يتعلّق بتركها كراهة و إساءة _ .

و «أحى» من باب الإفعال.

و «جلوت» السيف و نحوه جلاء _ بالكسر و المدّ _ : كشفت «صداءه»، و هو: ماعلاه من الوسخ، المسمّى بالفارسيّ: زنگ.

و «أبن» من الإبانة، بمعنى: البعد و التفريق.

و «الضراء»: نقيض السراء، و تستعمل فى الأنفس كالقتل و العمى كما أنّ البأساء تستعمل فى الأموال.

و «أزل به الناكبين» >أى: أهلك بسببه و على يديه المولّين مناكبهم «عن صراطك»(١)؛ < يقال: نكب عن الطريق نُكوباً _ من باب قعد _ و نكباً: مال و عدل. و فى نسخه: «و أذل به الناكبين» من الذلّ _ بضمّ الذال المعجمه و تشديد اللام _ ، و هو: الهوان و الضعف.

و «محقه» الله محققاً _ من باب نفع _ : أذهب كله حتّى لا يرى منه أثر، و منه: «يَمَحَقُ اللَّهُ الرَّبَا»(٢)(٣)؛

و قيل: «أهلكه، و منه: «وَيَمَحَقُ الْكَافِرِينَ»(٤)؛

ص: ٣٠٤

١- ١. قارن: «نور الأنوار» ص ١٩٥.

٢- ٢. كريمه ٢٧٦ البقره.

٣- ٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٤٠٦.

٤- ٤. كريمه ١٤١ آل عمران.

و قيل: «الإبطال و النقض».

و «البُغاه» _ بالضم _ جمع: باغ _ كقضاء: جمع قاضٍ _ ، و هو اسم فاعلٍ من: بغيت الشيء أبغيه بغياً: إذا طلبته؛ و قيل: «إذا بالغت في طلبه، نظراً إلى أنّ أصله من البغى، و هو طلب تجاوز الإقتصاد فيما يتحرى تجاوزه، فيقال: بغيت الشيء: إذا طلبته أكثر ممّا يجب. و المعنى: و امحق به الذين يبغون لقصدك عوجاً، كقوله _ تعالى _ : «الَّذِينَ يَصِفُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَبْغُونَهَا عِوَجاً» (١) أى: يبغون لها إعوجاجاً».

أقول: و فى هذه الفصول من الدعاء أشار _ عليه السلام _ إلى ما أحدثه زعماء القوم و أمراؤهم الغاصبون للخلافه المتقّمصون للأماره من التحريفات و التغيرات الكثيره فى الكتاب و السنّه. و ذلك لأنّهم غمّضوا العينين و رفضوا الثقلين و أحدثوا فى العقائد بدعاً و تخربوا فيها و اخترعوا فى الأحكام أشياء حكموا فيها بالآراء، و تابعهم فى ذلك جماعة من العلماء و فرّعوا تفرّعاتٍ دقيقه ينقضى الدهر و لا يحتاج إلى شيءٍ منها! حكموا فيها بالأهواء حتّى بدا بينهم بتخالفهم العداوه و البغضاء، و زادوا و نقصوا فى التكليف و صنعوا فيها بتصانيف. حتّى كثر الاختلاف و خيف على بيضه الإسلام من شيوع القول بالخراب، فمنعتهم ملوكهم من الإجتهد بالسعه و حصروا المجتهدين فى الأربعه. و اعتمد جمهورهم فى الأصول على قول رجلٍ يقال له: أبو الحسن الأشعرى، و كان يقول بالجبر و بالصفات الزائده و إثبات القدماء الثمانية، ... إلى غير ذلك. ثم لم يفوا الناس بذلك و لم يمتنعوا من منع أولئك، بل اتّسعوا فى أهوائهم و أكثروا من آرائهم قرناً بعد قرنٍ حتّى آل الأمر إلى ما آل!

و من أراد أن يعلم أنّ الأمر إلى ما آل فلينظر إلى الباب الثامن عشر و ثلاثمائه _ : «فى معرفه نسخ الشريعة المحمّديّه و غير المحمّديّه بالأغراض النفسانيّه» _ من كتاب الفتوحات المكيّه (٢). و لا يدفع هذا البدع _ بل يزيد يوماً فيوماً! _ إلا بظهور القائم من آل محمّد _ صلى

ص : ٣٠٥

١- ١. كريمه ٤٥ الأعراف / ١٩ هود.

٢- ٢. راجع: «الفتوحات المكيّه» ج ٣ ص ٦٨ السطر ٢٧، و فيه: ... بالأغراض النفسانيّه.

اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ اَللّٰهُمَّ عَجِّلْ فَرَجَهُ بِمَحَمَّدٍ وَآلِهِ! _ .

وَ اَلِنْ حِجَابَهُ لِأَوْلِيَائِكَ، وَ ابْسُطْ يَدَهُ عَلَى أَعْدَائِكَ، وَ هَبْ لَنَا رَأْفَتَهُ، وَ رَحْمَتَهُ وَ تَعَطُّفَهُ وَ تَحَنُّنَهُ، وَ اجْعَلْنَا لَهُ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، وَ فِي رِضَاةٍ سَاعِينَ، وَ إِلَى نُصْرَتِهِ وَ الْمَدَافَعَةِ عَنْهُ مُكْنِفِينَ، وَ إِلَيْكَ وَ إِلَى رَسُولِكَ _ صَلَوَاتُكَ اَللّٰهُمَّ عَلَيْهِ وَ آلِهِ _ بِذَلِكَ مُتَقَرِّبِينَ.

وَ «أَلِنْ» مِنَ اللَّيْنِ ضِدٌّ: الْخَشُونَةُ، قَالَ _ تَعَالَى _ : «وَ اَلَّنَا لَهُ الْحَدِيدَ» (١).

>«الْجَانِبُ»: النَّاحِيَةُ، وَ هُنَا مُجَازٌ عَنِ النَّفْسِ _ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَ نَأَى بِجَانِبِهِ» (٢)(٣)؛ أَيْ: أَلِنْ نَفْسَ الْإِمَامِ _ عَلَيْهِ السَّلَامِ _ لِأَوْلِيَائِكَ حَتَّى يَمِيلَ وَ يَشْفُقَ عَلَيْهِمْ.

قَالَ الْفَاضِلُ الشَّارِحُ: «وَ مَجْمُوعُ الْجُمْلَةِ كُنَايَةٌ مَطْلُوبٌ بِهَا تَوْفِيقُهُ لِلرَّفَقِ وَ سَمَاحَةِ (٤) الْخَلْقِ وَ الْحِلْمِ وَ التَّعَطُّفِ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ _ تَعَالَى _ كَمَا وَفَّقَ لَذَلِكَ نَبِيَّهُ الْعَدَى أَرْسَلَهُ رَحِمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَقَالَ مُخَاطَبًا لَهُ: «فَبِمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتُ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتُ فَظًّا غَلِيظًا الْقَلْبُ لَا نَقْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ» (٥).

وَ بَيَانُ الْحُكْمِ فِي ذَلِكَ: أَنَّ كَلًّا مِنَ النَّبِيِّ وَ وَصِيَّهِ إِمَامِ الْعَالَمِينَ، فَوَجِبَ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرُهُمْ حِلْمًا وَ أَحْسَنَهُمْ خَلْقًا. لِأَنَّ الْغَرَضَ مِنْ إِقَامَتِهِ وَ نَصْبِهِ إِلْتِزَامُ التَّكَالُيفِ، وَ ذَلِكَ لَا يَتِمُّ إِلَّا إِذَا مَالَتْ قُلُوبُ الْأُمَّةِ إِلَيْهِ وَ سَكَنَتْ نَفُوسُهُمْ لَدَيْهِ وَ رَأَوْا فِيهِ آثَارَ الشَّفَقَةِ وَ أَمَارَاتِ النَّصِيحَةِ وَ حُبِّ الْخَيْرِ لَهُمْ وَ أَخْذِهِمْ بِاللَّطْفِ وَ الرَّفْقِ؛ وَ لَذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ: «لَقَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْنَا كُلَّ الْإِحْسَانِ!، فَلَوْ جَاءَنَا رَسُولُ اللَّهِ _ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ _ بِهَذَا الدِّينِ جَمْلَةً وَ بِالْقُرْآنِ دَفْعَةً لَثَقَلْتُ هَذِهِ التَّكَالِيفُ عَلَيْنَا فَمَا كُنَّا نَدْخُلُ فِي الْإِسْلَامِ، وَ لَكِنَّهُ دَعَانَا إِلَى كَلِمَةٍ

ص : ٣٠٦

١- ١. كَرِيمُهُ ١٠ سَبَأً.

٢- ٢. كَرِيمُهُ ٨٣ الْإِسْرَاءِ / ٥١ فَصَّلَتْ.

٣- ٣. قَارَنَ: «رِيَاضُ السَّالِكِينَ» ج ٦ ص ٤٠٨.

٤- ٤. الْمَصْدَرُ: سَجَّاجُهُ.

٥- ٥. كَرِيمُهُ ١٥٩ آلِ عِمْرَانَ.

واحدٍ فلَمَّا قبلناها و عرفنا حلاوه الإيمان قبلنا ماوراءها كُلّه على سبيل الرفق إلى أن يتمّ هذا الدين و كملت هذه الشريعة».

و لَمَّا كانت دواعي الخير و إرادته و فعله إنّما هي بالهام الله _ تعالى _ و توفيقه و إعانتة، توَسَّل _ عليه السلام _ بالدعاء إليه _ سبحانه _ في إلّانه جانب وليّه لأوليائه من المؤمنين ليتّم الغرض و يحصل المقصود بأحسن وجهٍ و أسهل طريقه. و عن النبي _ صَلَّى الله عليه و آله و سلّم _ : «لا حِلْمَ أَحَبَّ إلى الله من حِلْمِ إمامٍ و رفيقه، و لا جهلَ أبغضَ إلى الله من جهلِ إمامٍ و خرقه» (١)؛ (٢) انتهى كلامه.

و العجب من هذا الفاضل _ مع ادّعائه الفضيله! _ كيف صدر عنه أمثال هذه المزخرفات!، و أرباب العصمه و الطهارات أجَلّ شأنًا و أعظم قدرًا من أن ينسب إليهم هذه الأمور. فالصواب أن يحمل أمثال هذه الأدعية على تشريف الداعي و تصديره من جملة الداعين للإمام _ عليه السلام _ كما في الصلاة على الرسول _ صَلَّى الله عليه و آله و سلّم _ . و قد حقّقنا فيما سبق معنى الصلاة على الرسول؛ فتذكّر!

و «ابسط يده على أعدائك» حتّى يقهرهم و يغلبهم.

و «اجعلنا له» _ أى: للإمام _ «سامعين» أى: محبّين مؤتمرين لأمره لاعاصين.

و «فى رضاه ساعين» أى: جادّين و مجتهدين لاكسالى و كاهلين، من: سَعَى فى الأمر يسْعَى سَعْيًا _ من باب نفع _ : إذا جدّ و اجتهد.

«مكنفين» أى: معينين، من: أكنفه بمعنى: أعانه _ ك _ : كَنَفَه _ ، فتعلّق به _ «إلى» بتضمين الميل، أى: معينين حالكونا مائلين إلى نصره الإمام و مدافعه المضّرّ عنه. و فى بعض النسخ: «مكبين» بدل «مكنفين» (٣) _ مثل قوله تعالى: «أَفَمَنْ يَمْشِي مُكَبًّا عَلَى وَجْهِهِ»

ص: ٣٠٧

١- ١. لم أعثر عليه بألفاظه، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٣٤ ص ٣٣٥، «شرح نهج البلاغه» ج ١٢ ص ٩٩.

٢- ٢. راجع: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٤٠٨.

٣- ٣. كما حكاه المحدّث الجزائريّ و المحقّق الفيض، راجع: «نور الأنوار» ص ١٩٥، «التعليقات» ص ٩٥.

أَهْدَى»(١)، أى: متوجّهين _ و أصل «الكَب»: السقوط على الوجه.

اللَّهُمَّ وَ صَلِّ عَلَى أَوْلِيَائِهِمُ الْمُعْتَرِفِينَ بِمَقَامِهِمْ، الْمُتَّبِعِينَ مِنْهُمْ، الْمُقْتَنِينَ آثَارَهُمْ، الْمُسْتَمْسِكِينَ بِعُرْوَتِهِمْ، الْمُتَمَسِّكِينَ بِوَلَايَتِهِمْ، الْمُؤَوِّدِينَ بِإِمَامَتِهِمْ، الْمُسْلِمِينَ لِأَمْرِهِمْ، الْمُجْتَهِدِينَ فِي طَاعَتِهِمْ، الْمُنتَظِرِينَ أَيَّامَهُمْ، الْمَادِّينَ إِلَيْهِمْ أَعْيُنَهُمْ.

«الولاية» هنا بمعنى: المحبة و النصرة.

و كذا «المقام» بمعنى: المنزلة و المرتبة، و هى الخلافة و الرياسة العامّة.

«المتّبعين» أى: المقتدين بطريقتهم، من: اتّبعته اتّباعاً: اقتفيته و سرت فى أثره.

«المقتفين آثارهم» أى: التابعين لآثارهم و أطوارهم.

«المسلمين لأمرهم». قد ورد فى «التسليم لأمرهم» _ أى: الإنقياد لحكمهم _ أخبارٌ كثيرةٌ، و عقد له فى الكافى باباً عنوانه: «باب التسليم و فضل المسلمين»(٢).

«المجتهدين فى طاعتهم» أى: الساعين فى إمتثال أمرهم و نهيمهم.

«المنتظرين أيامهم» أى: أيام ظهور دوله آل محمّد _ عليهم السلام _ علائقاً بلائقيّة؛ إشارةً إلى الرجعه.

«المادّين إليهم أعينهم» أى: الناظرين إليهم حتّى يظهر أمرهم و يغلبوا على عدوّهم، يقال: مدّ عينه إلى الشىء: طمح ببصره إليه راغباً فيه. و الأخبار عن الأئمّه الأطهار فى مدح مدّ الأعين و الأنظار أكثر من تحصى؛

منها: >عن أبى عبد الله _ عليه السلام _ عن آبائه عن أمير المؤمنين _ عليه السلام _ أنّه قال: «المنتظر لأمرنا كالمتشحّط بدمه فى سبيل الله»(٣)؛

ص : ٣٠٨

١- ١. كريمه ٢٢ الملك.

٢- ٢. راجع: «الكافى» ج ١ ص ٣٩٠.

٣- ٣. راجع: «بحار الأنوار» ج ١٠ ص ١٠٤، «تحف العقول» ص ١١٥، «تفسير فرات الكوفى» ص ٣٦٧ الحديث ٤٩٩، «الخصال» ج ٢ ص ٦٢٤.

و منها: ما رواه الصدوق فى إكمال الدين (١) بإسناده عن أبي الحسن _ عليه السلام _ عن آبائه _ عليهم السلام _ : «إن رسول الله _ صلى الله عليه وآله وسلم _ قال: أفضل أعمال أمتى إنتظار فرج الله (٢)»؛

و بإسناده (٣) عن الرضا _ عليه السلام _ قال: «ما أحسن الصبر و إنتظار الفرج!، أما سمعت قول الله _ عزَّ و جلَّ _ : «فَانْتَظِرُوا إِنِّى مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ» (٤). فعليكم بالصبر، فإنه (٥) يجىء الفرج على اليأس، فقد كان الذين من قبلكم أصبر منكم» (٦)؛

... إلى غير ذلك مما يطول الكتاب بذكره.

الصلوات المباركات الزاكيات الناميات الغاديات الرائحات. وَ سَلِّمْ عَلَيْهِمْ وَ عَلَى أَرْوَاحِهِمْ، وَ اجْمَعْ عَلَى التَّقْوَى أَمْرَهُمْ، وَ أَصْلِحْ لَهُمْ شُؤْنَهُمْ، وَ تُبَّ عَلَيْهِمْ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ وَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ، وَ اجْعَلْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ السَّلَامِ بِرَحْمَتِكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

«الصلوات» مفعول مطلق لقوله _ عليه السلام _ : «صل على أوليائهم».

و «المبارك» : ما فيه الخير الإلهي _ و منه : «أَنْزَلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً» (٧)، أى: حيث يوجد الخير الإلهي _ . ف _ «الصلوات المباركات» هى التى تنطوى فيه الخيرات الإلهية.

ص : ٣٠٩

١ - ١. راجع: «إكمال الدين» ج ٢ ص ٦٤٤ الحديث ٣، و انظر: «المناقب» ج ٤ ص ٤٢٥، «عيون الأخبار» ج ٢ ص ٣٦ الحديث ٨٧، «بحار الأنوار» ج ٥٢ ص ١٢٨.

٢ - ٢. المصدر: الفرج من الله.

٣ - ٣. راجع: «إكمال الدين» ج ٢ ص ٦٤٥ الحديث ٥، و انظر: «قرب الاسناد» ص ١٦٨، «تفسير العياشى» ج ٢ ص ٢٠ الحديث ٥٢، «بحار الأنوار» ج ٥٢ ص ١٢٩.

٤ - ٤. كريمه ٧١ الأعراف / ٢٠ / ١٠٣ يونس.

٥ - ٥. المصدر: إنما.

٦ - ٦. قارن: «رياض السالكين» ج ٦ ص ٤١٨.

٧ - ٧. كريمه ٢٩ المؤمنون.

>و «سَلِّمْ عَلَيْهِمْ» أى: أفض سلامك عليهم.

و «السلام»: اسمٌ من التسليم _ كالكلام من التكليم _ ، يقال: سَلِّمَهُ اللهُ تسليماً: إذا وقاه من الآفات و البليات.

و قوله: «عليهم و على أرواحهم» من قبيل عطف الخاص على العام (١).<

و قد تقدّم الكلام على «الروح» و «النفس» فى اللمعة الأولى.

و «الشؤون»: جمع شأن بمعنى: الحال؛ أى: أصلح لهم أحوالهم.

>قوله _ عليه السلام _ : «و تب عليهم» أى: اقبل توبتهم.

و «التَّوَابُ»: المبالغ فى قبول التوبه كمّا و كيفاً و إن كثرت الجنايات و عظمت.

و «خير الغافرين»، لأنّه إذا غفر ستر (٢)؛ إشارة إلى ترغيب العفو من ذنوب المماليك و الضعفاء حيث يصيرون موصوفين بصفات الله.

و «دار السلام»: الجنّة، لسلامتها من العذاب و المكروهات و البليات.

«برحمتك يا أرحم الراحمين» أى: برحمتك التى وسعت كلّ شىء.

اللَّهُمَّ هَذَا يَوْمٌ عَرَفَهُ يَوْمٌ شَرَفْتُهُ وَ كَرَّمْتُهُ وَ عَظَّمْتُهُ، نَشَرْتَ فِيهِ رَحْمَتَكَ، وَ مَنْنْتَ فِيهِ بَعْفُوكَ، وَ أَجَزَلْتَ فِيهِ عَطِيَّتَكَ، وَ تَفَضَّلْتَ بِهِ عَلَى عِبَادِكَ.

>و «يوم» من قوله: «شَرَفْتُهُ» بدلٌ من «يوم عرفه»؛ أو: عطف بيانٍ لوصفه بالجمله بعده، فقد اتّصل به ما لم يتّصل بالأوّل. فلا يرد: أنّ عطف البيان لا يكون من لفظ الأوّل _ لأنّ الشىء لا يبيّن نفسه _ ؛

فإنّ ذلك على تقدير تسليمه إنّما هو عند عدم اتّصال شىءٍ بالثانى و لم يتّصل بالأوّل (٣).<

ص : ٣١٠

١- ١. قارن: نفس المصدر و المجلّد ص ٤٢٠.

٢- ٢. قارن: نفس المصدر و المجلّد أيضاً ص ٤٢١.

٣- ٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣.

و «شَرَّفَته و كَرَّمَته و عَظَّمَته» أوصافٌ متعدِّدةٌ لـ «يومٍ»؛ أو أخبارٌ متواليَّةٌ لـ «هذا» _ أَى: هذا يومٌ شَرَّفَته، و يومٌ كَرَّمَته، و يومٌ عَظَّمَته _ . و فى هذا تنويُّه بشأن هذا اليوم و اختصاصه بما اختصَّ به دون سائر الأيام من إجتماع الأمم فيه فى ذلك الموقف. و جعل الوقوف فيه بذلك المكان أعظم أركان الحجِّ حتَّى قال _ صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلَّم _ : «الحجَّ عرفه!»(١).

قوله _ عليه السلام _ : «نُشِرَ فى رحمتك» جملةٌ مستأنفةٌ تعليليَّةٌ، أَى: شَرَّفَته و كَرَّمَته و عَظَّمَته، لأنَّك نشرت فيه رحمتك _ ... إلى آخره _ .

و الأخبار فى شرف هذا اليوم و فضله و وقوع المغفرة و الرحمة فيه أكثر من أن تحصى؛

منها: «انَّ لأهل العرفات دوىَّ كدوىَّ النحل بالنسبة إلى أهل السماوات، فينادى من بطنان العرش: ما... (٢) حاجتهم ان كان مقصدهم المغفرة، فاشهدوا _ يا ملائكتى _ انى قد غفرت لهم»(٣)؛

و منها: «أنَّه إذا وقفت بعرفات إلى غروب الشمس فإن كان عليك من الذنوب مثل رملٍ عالٍ أو بعدد نجوم السماء أو قطر المطر يغفرها الله لك»(٤)؛

و منها: عن الرضا _ عليه السلام _ : «ما وقف أحدٌ فى تلك الجبال إلَّا- استجاب الله له، فأَمَّا المؤمنون فيستجاب لهم فى آخرتهم، و أمَّا الكفَّار فيستجاب لهم فى دنياهم»(٥)؛

ص : ٣١١

١- ١. راجع: «مستدرک الوسائل» ج ١٠ ص ٣٤ الحديث ١١٣٨٨، «عوالى اللئالى» ج ٢ ص ٩٣ الحديث ٢٤٧، «مسکن الفؤاد» ص ٤٢.

٢- ٢. ههنا كلمةٌ فى النسختين لم أتمكَّن من قراءتها.

٣- ٣. لم أعثر عليه، لا فى مصادرنا ولا فى مصادر العامَّة.

٤- ٤. راجع: «التهذيب» ج ٥ ص ٢٠ ص ٣، «وسائل الشيعة» ج ١١ ص ٢١٨ الحديث ١٤٦٥٠، و انظر: «الفيہ» ج ٢ ص ٢٠٢ الحديث ٢١٣٨، «الخراج» ج ٢ ص ٥١٤.

٥- ٥. راجع: «الكافى» ج ٤ ص ٢٥٦ الحديث ١٩، «وسائل الشيعة» ج ١١ ص ١٦٠ الحديث ١٤٥٢٥.

و عن أبي جعفر _ عليه السلام _ : « ما يقف أحدٌ على تلك الجبال _ برٌّ و لافاجرٌ! _ إلا استجاب الله له، فأما البرّ فيستجاب له في آخرته و دنياه، و أما الفاجر فيستجاب له في دنياه» (١)؛

... إلى غير ذلك؛ و فيما ذكر كفايةً للمستبصر.

اللَّهُمَّ وَ أَنَا عَبْدُكَ الَّذِي أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ قَبْلَ خَلْقِكَ لَهُ وَ بَعْدَ خَلْقِكَ إِيَّاهُ، فَجَعَلْتَهُ مِمَّنْ هَدَيْتَهُ لِدِينِكَ، وَ وَقَفْتَهُ لِحَقِّكَ، وَ عَصَيْتَهُ بِحَبْلِكَ، وَ أَدْخَلْتَهُ فِي حِزْبِكَ، وَ أَرْشَدْتَهُ لِمُؤَالَاهِ أَوْلِيَائِكَ، وَ مُعَادَاهِ أَعْدَائِكَ.

«أنعمت عليه قبل خلقك»، قيل: «إنعامه _ تعالى _ على عبده قبل خلقه هو ما قضى له بالخير و السعادة في علمه السابق؛ و «إنعامه بعد خلقه»: إمضاء ما قضى فيه و قدّر من الخير في عالم الشهادة» (٢)؛

و قيل: «إنعامه _ تعالى _ على عبده قبل خلقه أمورٌ:

الأوّل: تعلق إرادته _ عزّ و جلّ _ بإيجاده عنايةً منه به و رحمه له مع إستغنائه عنه _ كما ورد في الدعاء: «يا بارىء خلقى رحمه بى و كان عن خلقى غنياً» (٣) _ ؛

الثانية: عنايته _ تعالى _ به بسدّ جميع أنحاء عدمه الأصلي _ أعنى: الموانع العدمية _ التى يتوقّف وجوده على ارتفاعها _ أى: بقائها على العدم _ ، المعبّر عنه بارتفاع الموانع. ضروره أنّ شيئاً من الممكنات لا يستحقّ الوجود ابتداءً، و إنّما ذلك من جناب المبدء الأوّل _ تعالى شأنه _ . فلا يتصوّر وجوده ابتداءً إلاّ مع بقاء الموانع التى يتوقّف وجوده على عدمها مع

ص: ٣١٢

١ - ١. راجع: «الكافي» ج ٤ ص ٢٦٢ الحديث ٣٨، «الفقيه» ج ٢ ص ٢١٠ الحديث ٢١٨٠، «وسائل الشيعة» ج ١١ ص ١٦٠ الحديث ١٤٥٢٦.

٢ - ٢. هذا قول المحقّق الفيض، راجع: «التعليقات» ص ٩٥.

٣ - ٣. راجع: «الكافي» ج ٣ ص ٣٢٥ الحديث ١٧، «الفقيه» ج ١ ص ٣٢٩ الحديث ٩٦٧، «التهذيب» ج ٦ ص ٦٥، «وسائل الشيعة» ج ٧ ص ١٥ الحديث ٨٥٨٥.

إمكان وجودها في نفسها، فارتفاعها ببقائها على العدم من آثار نعمه الفائضة على كل مخلوق؛

الثالث: إيجاد ما يتوقف عليه وجوده من الأمور الوجودية التي هي مبادئه وعلله وشرائطه البعيدة والقريبة؛

فمنها: أمور حسية، و أمور معنوية؛

ومنها: وسائط جسمانية و روحانية _ كالأبوين و ما يتوقف عليه وجودهما ابتداءً و بقاءً، كالملائكة المدبرات و المقسمات؛ ... إلى غير ذلك مما لا يكاد يبلغ الحاسب بلوغ مرتبه معتد بها من مراتبه فضلاً عن بلوغ غايته! _ «؛ انتهى.

و قال الشيخ صدرالدين القنوي: «اعلم! أنّ النعم الواصلة من الحق إلى عباده على قسمين:

نعم ذاتية؛

و نعم أسمائية.

فالنعم الذاتية هي كل ما تطلبه الأشياء من الحق من حيث حقائقها بألسنه استعداداتها الكلية الغيبية، و هذه ألسنه الذوات. و لا تتأخر عنها الإجابة و لا تعويض في حقها و لا تكفير، بل هي إجابتها ذاتية _ كالسؤال في عين المسؤول _ . و هذه النعم من حيث الأصل نعمة واحدة و تعددها إنما هو من حيث (١) تنوعها في مرتبه كل حقيقه و بحسبها.

و النعم الأسمائية على أقسام؛

فمنها: نعم تثمر نعماً، كالأعضاء و القوى و الآلات البدنية، و كالصفات و الأحوال الوجودية و المعنوية؛ و هي بأجمعها صور الاستعدادات الوجودية الجزئية. فكل فرد فرد من هذا المجموع بالنظر إلى فقر الإنسان و احتياجه إلى الاستكمال و الأسباب المعينه على تحصيله نعمة تثمر نعمة أو نعماً (٢)؛ انتهى.

ص: ٣١٣

١-١. المصدر: تكييفها و.

٢-٢. راجع: «إعجاز البيان» ص ٣٣٠.

و الظاهر أنّ المراد من «الإنعام قبل خلقك له و بعد خلقك إيّاه» هو النعم القريبه و البعيده جميعاً؛

أمّا البعيده فهي النعم الذاتيه التي ذكرها القونوي؛

و أمّا القريبه فهي النعم المترتبّه على مادّه وجود الإنسان و صورته.

أمّا مادّه وجوده فاعلم! أنّ الطبيعه ما لم توفّ بالمادّه جميع درجات النوع الأخسّ لم تتجاوز بها إلى النوع الأشرف، و قد حقّق بالبرهان أنّ الموجود الأشرف يجب أن يندرج فيه جميع المعاني المتحقّقه في الموجود الأخسّ الأعلى الألف. و قد تقرّر في موضعه أنّ العناصر إذا امتزج بعضها ببعض و خرجت بسبب اعتدال كيفيّاتها عن صرافه تضادّها و تعصّبها عن قبول الفيض الإلهيّ تصير قابله لأثر من آثار الحياه؛

فأول ما قبلته من إفاضه الله هي صورة حافظه لتركيبها مبقية لوجودها بإذن الله؛

ثمّ إذا حصل لها امتزاج أتمّ و اعتدال أفضل و أقرب إلى الوحده الجامعه قبلت أثراً آخر من آثار الحياه أشرف، _ و هي النفس النباتيه التي شأنها التغذيه و التنميه و التوليد للمثل _؛

و إذا امتزجت امتزاجاً أكثر اعتدالاً و أرفع قدماً من التسفلّ و التضادّ و التفرقه و أقرب مقاماً إلى عالم الصفات و النور تهتأت لقبول أصل الحياه بعد أن تستوفي درجات الجماد و النبات بفيضان النفس الحيوانيه الحساسه المتحرّكه بالإراداه؛

و إذا لطف المادّه العنصريّه جدّاً حتّى يشبه الجرم الفلكيّ صار محلّ استواء الروح النطقيّ الإضافيّ الذي من الله مشرقه و إلى الله مغربه. ففي الإنسان شيء كالفلك و شيء كالملك، و بهما جميعاً يصلح عماره الدارين و يستحقّ خلافه الله أولاً في العالم الأسفل الأرضيّ و في العالم الأعلى السماويّ؛

هذا ما يترتب على مادّه وجوده.

و أمّا ما يترتب على صورته وجوده فهو كثير تفصيلها خارج عن حوصله هذا الكتاب.

و قد ذكر _ عليه السلام _ في هذا الدعاء أعظمه و أشرفه الذي يترتب عليه السعاده

العظمى و ما هو البغيه الكبرى؛ فقال: «فجعلته مَمِّينَ هديته لدينك»، و هو الإسلام _ لقوله تعالى: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» (١) _ .

و «وفقته لحقك» أى: للقيام بحقك.

و «عصمته بحبلك» أى: حفظته بدينك، أو بكتابك، أو بولايه الأئمة حسبما فسّر به قوله _ تعالى _ : «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا» (٢).

و «حزب» الرجل: أصحابه المجتمعون لأمر حزبهم؛ يقال: حزبهم أمرٌ _ من باب قتل _ أى: أصابهم و اشتدّ عليهم.

و «أرشده» الله كذا: هداه إليه.

و «الموالاه»: ضدّ المعاداه.

ثُمَّ أَمَرْتَهُ فَلَمْ يَأْتِمِرْ، وَ زَجَرْتَهُ فَلَمْ يَنْزَجِرْ، وَ نَهَيْتُهُ عَنْ مَعْصِيَتِكَ فَخَالَفَ أَمْرَكَ إِلَى نَهْيِكَ، لَامُعَانَدَةً لَكَ وَ لَااسْتِكْبَاراً عَلَيْكَ، بَلْ دَعَاهُ هَوَاهُ إِلَى مَا زَيَّلْتَهُ وَ إِلَى مَا حَيَّرْتَهُ، وَ أَعَانَهُ عَلَى ذَلِكَ عِيدُوكَ وَ عِيدُوهُ، فَأَقْدَمَ عَلَيْهِ عَارِفاً بِوَعِيدِكَ، رَاجِياً لِعَفْوِكَ، وَاثِقاً بِتَجَاوُزِكَ، وَ كَانَ أَحَقَّ عِبَادِكَ مَعَ مَا مَنَنْتَ عَلَيْهِ أَلَّا يَفْعَلَ.

«ثم أمرته فلم يأتِمِر» يعنى: بعد ذلك الإحسان الكثير أمرت ذلك العبد و لم يتمثل أمرك. قال الرضى: «و قد تجىء «ثم» (٣) فى الجمل خاصه لاستبعاد مضمون مابعداها عن مضمون ما قبلها و عدم مناسبتها له (٤)، كقوله _ تعالى _ : «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَ النُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ» (٥)، فالإشراك بخالق السماوات و الأرض مستبعدٌ

ص : ٣١٥

١- ١. كريمه ١٩ آل عمران.

٢- ٢. كريمه ١٠٣ آل عمران.

٣- ٣. المصدر: _ ثم.

٤- ٤. هيها حذف قطعاً من المصدر.

٥- ٥. كريمه ١ الأنعام.

غير مناسب. و هذا المعنى فرع التراخي و مجاوزه (١)» (٢).

و «زجرته فلم يترجر» أى: منعه فلم يمتنع.

و «النهي»: طلب ترك الفعل بالقول على سبيل الاستعلاء، كما انّ الأمر طلب الفعل بالقول كذلك.

و لمّا كان نهى المعصيه أمراً بالطاعة _ إذ لا يتحقّق عدم العصيان إلّا _ بالطاعة _ قال _ عليه السلام _ : «فخالف أمرك إلى نهيك لامعاندّة لك _ ... إلى آخره _»، أى: مخالفه أمرك و إرتكاب نهيك ليس لعناد ذلك العبد معك و لالتكبر ذلك العبد عليك؛

«بل دعاه هواه إلى ما زيلته» بتقدير «عنه» أى: إلى ما فرّقه عنه؛ يقال: زيلت الشيء تزييلاً: ميزته عن غيره، و منه قوله _ تعالى _ : «فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ» (٣) أى: ميزنا و فرّقنا.

و «إلى ما حدّرت» كالعطف التفسيرى للأولى.

و «أعانه على ذلك عدوك» أى: أعان ذلك العبد على المخالفة «عدوك»؛

و «عدوه» أى: ذلك العبد؛ يعنى: الشيطان.

«فأقدم» ذلك _ أى: على تلك المخالفة _ حالكون ذلك العبد «عارفاً بوعيدك راجياً لعفوك واثقاً بتجاوزك»، يعنى: اعتمد بعفوك و وثق بتفضلك، فخالف أمرك لا لأنه لم يبال و لم يهتم بأمرك.

و «كان أحقّ عبادك» جملةً حاليّة، أى: و الحال أنّه كان أولى عبادك «مع ما مننت عليه ألا يفعل».

وَهَا أَنَا ذَا بَيْنَ يَدَيْكَ صَاغِرًا ذَلِيلًا خَاضِعًا خَاشِعًا خَائِفًا، مُعْتَرِفًا بِعَظِيمِ

ص : ٣١٦

١- ١. المصدر: مجازه.

٢- ٢. راجع: «شرح الرضى على الكافية» ج ٤ ص ٣٨٩.

٣- ٣. كريمه ٢٨ يونس.

مِنَ الذُّنُوبِ تَحَمَّلْتُهُ، وَ جَلِيلٍ مِنَ الْخَطَايَا اجْتَرَمْتُهُ، مُسْتَجِيرًا بِصَفْحِكَ، لَائِدًا بِرَحْمَتِكَ، مُوقِنًا أَنَّهُ لَا يُجِيرُنِي مِنْكَ مُجِيرٌ، وَلَا يَمْنَعُنِي مِنْكَ مَانِعٌ. فَعِيدُ عَلَيَّ بِمَا تَعُودُ بِهِ _ عَلَيَّ مِنْ اقْتِرَافِ _ مِنْ تَغْمُدِكَ، وَ جِدْ عَلَيَّ بِمَا تَجُودُ بِهِ _ عَلَيَّ مِنْ أَلْقَى يَدِهِ إِلَيْكَ _ مِنْ عَفْوِكَ، وَ ائْمُنْ عَلَيَّ _ بِمَا لَا يَتَعَاضَمُكَ أَنْ تَمُنَّ بِهِ عَلَيَّ مِنْ أَمْلَكَ _ مِنْ غُفْرَانِكَ.

«الواو» للإستيناف.

و «ها» حرف تنبيه صدر بها كلام يهتم بشأنه؛ أى: أنا واقف بين يديك.

و «ذا» كناية عن حضور علمي للواجب _ تعالى _ حالكوني «صاغراً»، يقال: صغر صغراً _ من باب تعب _ : ذل و هان، فهو صاغراً؛ و الاسم: الصغار.

و «معتزلاً» بمعنى من الذنوب» أى: حالكوني معترفاً بالذنوب التي حملت على ظهري.

و «اجترام الخطايا»: اقترافها و اكتسابها.

«مستجيراً» أى: حالكوني مستجيراً بعفوك.

«لائدًا» أى: ملتجئاً «برحمتك، موقناً أنه لا يجيرني منك مجير» أى: لا يخلصني من عذابك أحد.

«فعيد عليّ ... إلى آخره _» أى: عِدْ عَلَيَّ بِالْإِحْسَانِ وَ الْجُودِ «بما تعود به» من المغفرة «علي من» اكتسب الذنوب؛ فقوله: «من تغمدك» بيان «ما تعود».

و «أن» من قوله _ عليه السلام _ : «أَنْ تَمُنَّ» مصدرية، وَ هِيَ وَ صَلَّتْهَا فِي مُحَلٍّ رَفَعَ عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ ل _ «يتعاضمك»، أى: لا يتعاضمك منك به على من أملك.

و «من غفرانك» بيان ل _ «ما لا يتعاضمك».

وَ اجْعَلْ لِي فِي هَذَا الْيَوْمِ نَصِيبًا أَنَالُ بِهِ حَظًّا مِنْ رِضْوَانِكَ، وَ لَا تَرُدَّنِي صِفْرًا مِمَّا يَنْقَلِبُ بِهِ الْمُتَعَبِدُونَ لَكَ مِنْ عِبَادِكَ. وَ إِنِّي وَ إِنْ لَمْ أَقْدَمْ مَا قَدَّمُوهُ مِنَ الصَّالِحَاتِ فَقَدْ قَدَّمْتُ تَوْحِيدَكَ وَ نَفَى الْإِثْمِ وَ الْإِعْدَادِ وَ

الْأَشْبَاهِ عَنْكَ، وَ أَتَيْتُكَ مِنَ الْأَبْوَابِ الَّتِي أَمَرْتَ أَنْ تُؤْتَى مِنْهَا، وَ تَقَرَّبْتُ إِلَيْكَ بِمَا لَا يَقْرُبُ أَحَدٌ مِنْكَ إِلَّا بِالتَّقَرُّبِ بِهِ. ثُمَّ أَتَيْتُ ذَلِكَ بِالْأَنْبَاءِ إِلَيْكَ، وَ التَّدْلِيلِ وَ الْإِسْتِكَانَةِ لَكَ، وَ حُسْنِ الظَّنِّ بِكَ، وَ الثَّقَةِ بِمَا عِنْدَكَ، وَ شَفَعْتُهُ بِرَجَائِكَ الَّذِي قَلَّ مَا يَخِيبُ عَلَيْهِ رَاجِيكَ.

«الجعل» هنا بمعنى: الإيجاد، أى: أوجد «لى فى هذا اليوم نصيباً أنال به» أى: أجد بسبب ذلك النصيب «حظاً من رضوانك»، أى: من جنتك؛ أو: من رضاك _ كما تقدّم _ .

و «الصِّفْرُ» _ بالكسر فالسكون _ : الخالى، أى: لاتجعلنى خالياً ممّا ينال و يرجع إليه العابدون لرضاكَ يوم القيامة من الثواب و الجزاء.

و «من الصالحات» بيان لـ «ما قدّمه»، أى: من الأعمال الصالحات.

«فقد قدّمت توحيدك _ ... إلى آخره _»، يعنى: لو كان عملى قليلاً لكن إعتقادى صحيح.

قوله: «و أتيتك من الأبواب التي أمرت أن تؤتى منها»، إشارة إلى قوله _ تعالى _ : «وَأُتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا» (١)؛

فعن أبيجعفر _ عليه السلام _ قال: «يعنى: أن يؤتى الأمر من وجهه أى الأمور كان» (٢)؛

و عن أهل البيت _ عليهم السلام _ : «نحن أبواب الله التي أمر الله أن يؤتى منها» (٣)؛

و فى النهج (٤) عن على _ عليه السلام _ : «نحن الشعار و الأصحاب و الخزنة و الأبواب، و لاتؤتى البيوت إلا من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سمى مارقاً». كل طاعة لاتؤدى من

ص : ٣١٨

١- ١. كريمه ١٨٩ البقره.

٢- ٢. راجع: «بحار الأنوار» ج ٢ ص ٢٦٢، «المحاسن» ج ١ ص ٢٢٤ الحديث ١٤٣.

٣- ٣. لم أعثر عليه بألفاظه، و انظر: «تفسير نور الثقلين» ج ١ ص ١٧٧ الحديث ٦٢٠، «تفسير البرهان» ج ١ ص ١٩٠ الحديث ٤، و انظر أيضاً: «نور الأنوار» ص ١٩٥، «التعليقات» ص ٩٥.

٤- ٤. راجع: «نهج البلاغه» الخطبه ١٥٤ ص ٢١٥، و انظر: «شرح ابن أبيالحديد» عليه ج ٩ ص ١٦٤، «بحار الأنوار» ج ٢٩ ص ٦٠٠، «وسائل الشيعة» ج ٢٧ ص ١٣٤ الحديث ٣٣٤١١.

وجھہا الّتی أمر اللّٰہ بها فحقیقٌ علی اللّٰہ _ تعالیٰ _ أن لا یقبلہا؛

و روى عنه _ صلی اللّٰہ علیہ و آلہ و سلّم _ : «أنا مدینہ العلم و علّی بابہا»^(۱)؛

و فی الکافی^(۲) بسندہ عن أبی بصیر قال: «قال أبو عبد اللّٰہ _ علیہ السلام _ : الأوصیاء هم أبواب اللّٰہ _ عزّ و جلّ _ الّتی یؤتی منها، و لولاهم ما عرف اللّٰہ _ عزّ و جلّ _ ؛ و بهم احتجّ اللّٰہ _ تبارک و تعالیٰ _ علی خلقه»؛

و عن أبی جعفر _ علیہ السلام _ : «آل محمّد أبواب اللّٰہ و سبیلہ، و الدّعاء إلى الجنّ و القادہ إليها و الأدلاء علیہا إلى يوم القيامة»^(۳).

و بالجملة الأئمّہ المعصومون _ صلوات اللّٰہ علیہم _ هم الأبواب و الصراط إلى اللّٰہ _ سبحانہ _ ، و بمعرفتهم و مشایعتهم یؤتی إلى اللّٰہ _ تعالیٰ _ و یسلک سبیل اللّٰہ. و ذلک بالأدلّٰہ العقلیہ _ كما سبق ذکرها فی اللّٰمعات السابقہ _ ، و بالأدلّٰہ النقلیہ _ كما عرفت آنفاً _ .

و «تقرّبت الیک _ ... إلى آخره _ » أی: قرّبت إلى جنابک بوسیلہ الاعتقادات الحقّہ و الأعمال الصالحہ الّتی لا یمکن التقرّب إلى جنابک إلّا بها؛ أو بوسیلہ موّدہ أهل البيت _ علیہم السلام _ >الّذین افترض طاعتهم و حتم ولایتهم، إذ هی الأمر الّذی لا یرفع عملٌ إلّا به و لا تقبل حسنّہ إلّا معه. و الأخبار فی ذلک من الطریقین متظافرة؛ فمن طرق أهل السنّہ:

أخرج الموفّق بن أحمد^(۴) _ المعروف بفخر خوارزم^(۵) _ بسندہ عن جعفر بن عمر قال: قال رسول اللّٰہ _ صلی اللّٰہ علیہ و آلہ و سلّم _ : «من أحبّ علیّاً قبل اللّٰہ منه صلاته و صیامه و

ص : ۳۱۹

۱- ۱. راجع: «وسائل الشیعه» ج ۲۷ ص ۳۴ الحدیث ۳۳۱۴۶، «بحار الأنوار» ج ۲۸ ص ۱۹۸، «إرشاد القلوب» ج ۲ ص ۲۱۲، «إعلام الوری» ص ۱۵۹، «الإقبال» ص ۲۹۶.

۲- ۲. راجع: «الکافی» ج ۱ ص ۱۹۳ الحدیث ۲، و انظر: «تأویل الآیات» ص ۹۲.

۳- ۳. راجع: «وسائل الشیعه» ج ۲۷ ص ۲۰ الحدیث ۳۳۰۹۹، «بحار الأنوار» ج ۲ ص ۱۰۴، «تفسیر العیاشی» ج ۱ ص ۸۶ الحدیث ۲۱۰.

۴- ۴. راجع: «المناقب» _ للخوارزمی _ ص ۷۲ الحدیث ۵۱.

۵- ۵. کذا تبعاً لما فی «الریاض»، و الصحیح «خطیب خوارزم».

قيامه، و استجاب دعاءه، ألا و من أحبّ علياً أعطاه الله بكلّ عرقٍ في بدنه مدينه في الجنه، ألا و من أحبّ آل محمّدٍ _ صلوات الله عليهم _ أمن من الحساب و النار و الصراط، ألا و من مات على بغض آل محمّدٍ _ صلوات الله عليهم _ جاء يوم القيامة مكتوبٌ بين عينيه: آيسٌ من رحمته»؛

و عن عمّار بن يقظان الأسديّ عن أبي عبد الله _ عليه السلام _ في قوله _ تعالى _ : «إِنَّهُ يَضِيعُ عَدُوَّ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَرْفَعُهُ» (١)، قال: «ولايتنا أهل البيت _ و أهوى بيده إلى صدره _ ، فمن لم يتولّنا لم يرفع الله له عملاً» (٢)؛

و أخرج ابن مردويه (٣) و الموقّق بن أحمد (٤) و غيرهما (٥) عن زيد بن عليّ عن أبيه عن جدّه عن النبيّ _ صلّى الله عليه و آله و سلّم _ قال: «يا عليّ! لو أنّ عبداً عبد الله مثل ما قام نوحٌ في قومه و كان له مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله و مدّ في عمره حتّى حجّ ألف عامّ على قدميه ثمّ قتل بين الصفا و المروه مظلوماً ثمّ لم يوالك _ يا عليّ! _ لم يشمّ رائحه الجنّه و لم يدخلها»؛

و في تاريخ النسائيّ و شرف المصطفى (٦) _ و اللفظ له _ قال النبيّ _ صلّى الله عليه و آله و سلّم _ : «لو أنّ عبداً عبد الله _ تعالى _ بين الركن و المقام ألف عامّ ثمّ ألف عامّ ثمّ ألف عامّ و لم يكن يحبّنا أهل البيت لأكبه الله على منخره في النار»؛

ص : ٣٢٠

-
- ١- ١. كريمه ١٠ فاطر.
 - ٢- ٢. راجع: «الكافي» ج ١ ص ٤٣٠ الحديث ٨٥، «بحار الأنوار» ج ٢٤ ص ٣٥٧، «تأويل الآيات» ص ٤٦٨، «المناقب» _ لابن شهر آشوب _ ج ٤ ص ٣.
 - ٣- ٣. راجع: «كتاب المناقب» _ لابن مردويه _ ص ٧٣ الحديث ٤٩.
 - ٤- ٤. راجع: «المناقب» _ للخوارزمي _ ص ٦٧ الحديث ٤٠.
 - ٥- ٥. فانظر: «فردوس الأخبار» ج ٣ ص ٤١٩، «ميزان الاعتدال» الحديث ٧٧٥٧، «لسان الميزان» ج ٥ ص ٧٦٦.
 - ٦- ٦. لم أعثر عليهما، و انظر: «ملحقات إحقاق الحقّ» ج ١٧ ص ١٨٦، ج ٧ ص ١٧٩.

و أخرج أبوالمؤيد في المناقب (١) و أبو تراب في الحقائق (٢) عن أنس بن مالك و الديلمي في الفردوس (٣) عن معاذ و جماعه عن ابن عمر قال: قال رسول الله: «حَبَّ عَلَيَّ بَنُ أَبِيطَالِبٍ حَسَنُهُ لَا تَضُرُّ مَعَهَا سَيِّئُهُ وَ بَغْضُهُ سَيِّئُهُ لَا تَنْفَعُ مَعَهَا حَسَنُهُ» (٤) (٥)؛ إلى غير ذلك مما لا تحصى.

و بالجملة كما أنَّ طاعه الكافر بالنبوه المنكر لها غير صحيحه و لا مقبوله، فكذا الحكم في طاعه الكافر بالإمامه المنكر لها عناداً. و أمّا المنكر لها _ إنكار من لم يعرف الشيء و لم يستبصر _ من دون عنادٍ فهو ضعيف الدين ضالٌّ عن الهدى و اليقين، و أمره إلى ربِّ العالمين _ كما ورد به الروايات عنهم، سلام الله عليهم أجمعين _ .

لمعه عرشه

اعلم! أنَّ الفوز و النجاة و السعاده الأبدية لا يحصل إلاّ بالعمل الصالح، و لا يكون العمل الصالح مقبولاً عند الله إلاّ إذا كان مقروناً باستيفاء شروطه و عهوده التي لا يتم إلاّ بها. و من الشروط و العهود الإخلاص في العمل، و معرفه الغايه التي لأجله العمل، و معرفه المبدء الذي أمر العباد بذلك، و توحيده و علمه الكامل المحيط، و قدرته الشامله و كرمه و لطفه و جوده و رحمته و سائر الصفات التمجيدية و التقديسيه، و معرفه الهادين المعلمين، و معرفه الشياطين المضللين من الجنّ و الإنس، و جنود إبليس أجمعين.

و الهادون هم الأنبياء المكرمون و من يخلفهم من الأولياء الهادين، و لذا أمر عباده بطاعه الله و طاعه رسوله و طاعه أولي الأمر في قوله: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» (٦). فقد ربط طاعه ولي أمره بطاعه رسوله، كما وصل و ناط طاعه رسوله

ص : ٣٢١

١-١. راجع: «المناقب» _ للخوارزمي _ ص ٧٦ الحديث ٥٦.

٢-٢. لم أعثر عليه.

٣-٣. راجع: «فردوس الأخبار» ج ٢ ص ٢٢٧.

٤-٤. و لتفصيل أسانيده راجع: «ملحقات إحقاق الحق» ج ٧ ص ٢٥٧، ج ١٧ ص ٢٣٣.

٥-٥. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٢٦.

٦-٦. كريمه ٥٩ النساء.

فقد علم و تحقّق أنّ طاعه الله كما لا يتمّ إلاّ بطاعه الرسول فكذلك طاعه الرسول لا يتمّ ولا تكمل إلاّ بطاعه وليّ الأمر في كلّ زمانٍ. فمن ترك طاعه ولاه الأمر والأئمّه — عليهم السلام — فقد ترك طاعه الرسول — صلى الله عليه وآله وسلم —، لأنّهم حفظه كتابه و علمه و خزنه سرّه و وحيه، و من ترك طاعه الرسول — و هو الإقرار بجميع ما أنزل إليه من عند الله — فقد كفر بالله و ترك طاعته و أشرك به.

و كما أنّ طاعه الله بعد معرفته أصل الخيرات الحقيقيه و مفتاح السعادات العقليّه كلّها، فكذلك طاعه الرسول و طاعه الإمام أصل الخيرات و مفتاح السعادات على النحو الذي يليق بنشأه المتّبعين المطيعين؛ فإنّ طبقات النشأه الآخره و درجات الجنّه متفاوتة متفاضله. و قوله — تعالى —: «وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا» (١)، أي: من أعرض الطاعه و تولّى عنها إلى طاعه الطاغوت فلا يعود وبال ذلك و شرّه إلاّ عليه، فليس على الرسول إلاّ التبليغ و الإعلام و النصيحة. فما أرسل الرسول على الأئمّه ليكون حفيظاً لهم عن المعاصي و الشرور و الآفات، فلا تضرّه كثرة المخالفات و المعاصي الواقعه منهم؛

و كذا حال الإمام — عليه السلام —، فإن تولّى القوم عن طاعته إلى طاعه غيره من أمراء الجور لا يضرّه و لا ينقص قدره عند الله.

و بالجملة ليس شيء أقرب إلى الله من محبّه الرسول و الأئمّه و متابعتهم و امتثال أمرهم بالطوع و الرغبة، و في ذلك سعادته الدنيا و الآخره — رزقنا الله و جميع المؤمنين بحقّ محمّدٍ و أهل بيته المعصومين —، كما في الزيارة الجامعة الجواديه: «من والاكم فقد والى الله و من عاداكم فقد عادى الله و من عرفكم فقد عرف الله و من أنكركم فقد أنكر الله» (٢).

ص : ٣٢٢

١- ١. كريمه ٨٠ النساء.

٢- ٢. القطعه الأولى — إلى قوله: عادى الله — توجد في الروايه المشهوره من الزيارة الجامعة، فانظر: «الفقيه» ج ٢ ص ٦١٣ الحديث ٣٢١٣، «التهذيب» ج ٦ ص ٩٧ الحديث ١، «مستدرک الوسائل» ج ١٠ ص ٤١٩ الحديث ١٢٢٧٤، «عيون الأخبار» ج ٢ ص ٢٧٤ الحديث ١.

و «شفعته» _ مخففه _ : ضممت إليه.

«يخيب عليه» أى: حالكونه وارداً عليه؛ وقيل: «إنَّ «على» بمعنى: من، مثلها فى قوله _ تعالى _ : «إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ» (١).

و سَأَلْتُكَ مَسْأَلَةَ الْحَقِيرِ الدَّلِيلِ الْيَائِسِ الْفَقِيرِ الْخَائِفِ الْمُسْتَجِيرِ، وَمَعَ ذَلِكَ خِيفَهُ وَ تَضَرُّعاً وَ تَعَوُّذاً وَ تَلَوُّذاً، لَامُسٍ تَطِيلًا بِتَكْبَرِ الْمُتَكَبِّرِينَ، وَ لَامُتَعَالِيًا بِدَالِهِ الْمُطِيعِينَ، وَ لَامُسٍ تَطِيلًا بِشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ. وَ أَنَا بَعِيدٌ أَقْلُ الْأَعْقَلِينَ، وَ أَذِلُّ الْأَعْزَلِينَ، وَ مِثْلُ الذَّرَّةِ أَوْ دُونِهَا.

و «مع ذلك خيفه» يجوز نصبه على التمييز _ أى: و مع فقرى أسألك من جهة الخيفه _ ؛ و يجوز أيضاً على المصدرية _ أى: و مع أنه أسألك مسأله الفقير أخاف منك خيفه و «تعوذاً» _ .

و «التلوذ»: الالتجاء.

«لامستطيلاً» أى: لاطالباً للعلو و الرفعه، فهو من باب عطف الحال على الحال _ كقولك: جاء زيدٌ راكباً لا ماشياً؛ و أمّا لا بمجرّد النفى إن جعلنا «خيفه» و مابعداً منصوباً على المصدرية، >فيكون «لامستطيلاً» حالٌ مؤكّده لمضمون الكلام السابق _ نحو: «و لَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» (٢) _ . و فى نسخه: «لامتسلطاً»، من: تسلط بمعنى: تمكّن و تحكّم (٣) <.

و «داله المطيعين» هى إعجاب بعضهم بطاعته، فكأنهم يدلّون بها على الله _ تعالى _ ؛ و قد سبق ذكر الداله و الدلال.

و «الذره» تطلق على النمله؛ و على ما تصاعد فى الهواء من الذرات.

ص : ٣٢٣

١- ١. كريمه ٢ المطففين.

٢- ٢. كريمه ٦٠ البقره / ٧٤ الأعراف / ٨٥ هود / ١٨٣ الشعراء.

٣- ٣. «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣٢.

و «أو» هنا إما للإضراب بمعنى: بل _ أى: بل أنا دونها _ مبالغه في تحقير نفسه و إغراقاً في التواضع له _ تعالى، لأنه شبه نفسه في الحقاره بالذره أولاً ثم بدالّه، فأضرب عنه و أبطله فقال: أو دونها _ ؛ أو على حالها من التريد _ أى: انّ حالى متردّد بين هذين، فمن شاء شبهنى بالذره و من شاء شبهنى بما هو أدون منها _ .

فَيَا مَنْ لَمْ يُعَاجِلِ الْمُسَيِّئِينَ، وَلَا يَنْدَهُ الْمُتَرَفِينَ، وَيَا مَنْ يَمُنُّ بِإِقَالَةِ الْعَاثِرِينَ، وَيَنْفَضُّ بِإِنْظَارِ الْخَاطِئِينَ. أَنَا الْمُسِيءُ الْمُعْتَرِفُ الْخَاطِئُ الْعَاثِرُ. أَنَا الَّذِي أَقْدَمَ عَلَيْكَ مُجْتَرئاً. أَنَا الَّذِي عَصَاكَ مُتَعَمِّداً. أَنَا الَّذِي اسْتَخَفَى مِنْ عِبَادِكَ وَ بَارَزَكَ. أَنَا الَّذِي هَابَ عِيَادَكَ وَ أَمِنَكَ. أَنَا الَّذِي لَمْ يَرْهَبْ سَطَوَتَكَ، وَ لَمْ يَخَفْ بَأْسَكَ. أَنَا الْجَانِي عَلَى نَفْسِهِ. أَنَا الْمُؤْتَهُنُ بِبِلِيَّتِهِ. أَنَا الْقَلِيلُ الْحَيَاءِ. أَنَا الطَّوِيلُ الْعَنَاءِ.

«الفاء» للإستيناف.

و «لاينده المترفين» أى: لايمنع الطاعنين بكثره النعم، يقال: ندهت البعير أى: زجرته و طردته.

و «المترفين»: جمع مترَف _ بفتح الراء المهمله _ : اسم مفعولٍ من: أترفته النعمه أى: أطعته. و الله _ تعالى _ يرفق بعباده حتّى المترفين الطاعين بالنعم، و يمهلهم و لايزجرهم.

و «المن»: الإنعام و التفضل.

و «الإقاله» فى الأصل: إزاله القول _ بناءً على أن تكون الهمزه للإزاله _ ، و هنا للنفو عن عثرات المذنبين، يقال: أقال الله عثرته إقاله: سامحه بذنبه و غفر زلّته؛ و قد تقدّم الكلام عليه مراراً.

و «الإنظار»: الإمهال و التأخير.

و «الخاطيء»: المتعمّد للذنب.

حو «العائر»: الساقط فى الإثم، من: عشر عشر عثراً و عثاراً و عثوراً _ من باب قتل _ :

إذا سقط في ثوبه و نحوه و هو ماشٍ.

و «مجترئاً»: حال مؤكّدهُ لعاملها مبيّنه لهيئته صاحبها(1) < أى: حال كوني جريئاً _ ، لأنّ في الإقدام مع كثرة الذنوب على المنعم العادل المنتقم كمال الجرأه.

و «المبارزه»: مفاعله من البروز، يقال: برز بروزاً: إذا خرج إلى البراز _ بالفتح، و هو الفضاء _ .

و «هابه» يهابه _ من باب تعب _ هيبه و مهابه: حذره و خافه.

و «رهب» رهباً من باب تعب و خاف، و الاسم: الرهبه؛ و قيل: «الرهب و الرهبه: مخافه مع تحرّز و اضطراب».

و «الغناء» _ بالفتح و المدّ _ : النصب و التعب، يقال: عنى: كتعب وزناً و معنى.

و قد مرّ مراراً وجه صدور أمثال هذا الكلام من الإمام _ عليه السلام _ ؛

و قيل: «من باب كسر النفس»؛

و قيل: «من باب التعليم».

بِحَقِّ مَنْ اِنْجَبَتْ مِنْ خَلْقِكَ، وَ بِمَنْ اضِطَفَيْتَهُ لِنَفْسِكَ، بِحَقِّ مَنْ اخْتَرْتَ مِنْ بَرِيَّتِكَ، وَ مَنْ اجْتَبَيْتَ لِسَائِتِكَ، بِحَقِّ مَنْ وَصَلْتَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِكَ، وَ مَنْ جَعَلْتَ مَعْصِيَتَهُ كَمَعْصِيَتِكَ، بِحَقِّ مَنْ قَرَنْتَ مُوَالَاتَهُ بِمُوَالَاتِكَ، وَ مَنْ نُطْتَ مُعَادَاتَهُ بِمُعَادَاتِكَ، تَعَمَّدَنِي فِي يَوْمِي هَذَا بِمَا تَعَمَّدُ بِهِ مَنْ حَارَ إِلَيْكَ مُتَنَصِّلاً، وَ عَاذَ بِاسْتِغْفَارِكَ تَائِباً. وَ تَوَلَّيْنِي بِمَا تَتَوَلَّى بِهِ أَهْلَ طَاعَتِكَ وَ الزُّلْفَى لِمَدْيِكَ وَ الْمَكَانَةَ مِنْكَ. وَ تَوَخَّدَنِي بِمَا تَتَوَخَّدُ بِهِ مَنْ وَفَى بِعَهْدِكَ، وَ اَتَعَبَ نَفْسَهُ فِي ذَاتِكَ، وَ أَجْهَدَهَا فِي مَرْضَاتِكَ.

«الباء» في «بحق» للقسم. و هذه الفقرات قسماً متعدّده، و جواب القسم بعد ذلك قوله

ص : ٣٢٥

— عليه السلام — : «تَغْمِدْنِي». و لم يعطف هذه الفقرات بعضها على بعضٍ مع اقتضاء التناسب فيها للعطف، لكمال الإِتِّصال، إذ لا مغايره ههنا تقتضى الربط بالعاطف؛ > أو لقصد إيرادها على منهاج التعديد، كقوله — تعالى — : «الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» (١)؛ و كقول الشاعر (٢):

بِحَقِّ الْوَفَا بِالْوُدِّ بِالشَّيْمَةِ الَّتِي عُرِفَتْ بِهَا بِالْجُودِ بِالْكَرَمِ الْجَمِّ

يَتْلُكَ الْخِصَالِ الْأَشْرَفِيَّاتِ بِالنُّهَى بِعَزَّتِكَ الْغُلْيَا عَلَى قِمِّهِ النَّجْمِ

بِذَاكَ الْمُحْيَا الْهَشَّ بِالْمُنْطِقِ الشَّهِي بِمَا فِيكَ مِنْ خُلُقٍ رَضِيٍّ وَ مِنْ عَزْمِ

أَجْرَنِي مِنَ التَّكْلِيفِ وَ أَقْبَلَ تَحِيَّتِي بِتَقْيِيلِ أَرْضٍ لَمْ تَزَلْ مُتَّهَى هَمِّي

و «جأراً» يجأراً جأراً — من باب نفع — و جئراً — بالضم، مهموز العين فى الكل — : ضَجَّ و تَضَرَّع بالدعاء، تشبيهاً بجؤار الوحشيات — كالظبي و البقر — ، و هو صياحها (٣) <.

و «تنصل» من ذنبه: خرج و تبرأ، أى: حالكونه متبرئاً عن الذنوب.

و «عاذ باستغفارك» أى: اعتصم به حالكونه «تائباً» راجعاً إليك.

و «تولّنى» أى: كن متولياً لى بما تكون متولياً به أهل طاعتك؛ من: تولّى العمل: إذا قام به، لا من: تولّى: مقابل تبرّء — كما زعم بعضهم — .

و «توحّيدنى» — بنون الوقايه — أى: كن لى واحداً من دون غيرك، فى القاموس: «توحّده الله بعصمه أى: عصمه (٤) و لم يكله إلى غيره» (٥)؛

و قال بعضٌ: «توحّيدنى أى: اجعلنى وحيداً متوحداً — كما يقال: فلانٌ وحيد عصره — و اكفى أمرى من دون مشاركه خلقك و لا تكنلى إلى غيرك».

و «اتعب نفسه فى ذاتك» قيل: «أى: فى طلب القربه إليك»؛

ص: ٣٢٦

١- ١. كريمات ٤، ٣، ٢، ١ الرحمن.

٢- ٢. لم أعثر عليه.

٣- ٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٤١.

٤- ٤. المصدر: بعصمته عصمه.

٥-٥. راجع: «القاموس المحيط» ص ٣٠٧ القائمة ١.

و قيل: «فى معرفه ذاتك»؛

و قيل: «أى: فى طاعتك و عبادتك»^(١)، كقوله: «فى جَنبِ اللَّهِ»^(٢)، قال البيضاوى: «أى: فى حقّه»^(٣)، و هو طاعته؛

و قيل: «فى ذاته على تقدير مضاف، كالطاعه»؛ انتهى.

و «أجهدّها _ ... إلى آخره _» أى: استفرغ طاعته و بلغ جهده فى تحصيل مرضاتك.

و لَا تُؤَاخِذْنِي بِتَفْرِيطِي فِي جَنْبِكَ، وَ تَعِدِّي طَوْرِي فِي حُدُودِكَ، وَ مُجَاوِزِهِ أَحْكَامِكَ. وَ لَا تَسْهِنْ تَدْرِجْنِي بِإِمْلَائِكَ لِي اسْتِدْرَاجَ مَنْ مَنَعَنِي خَيْرَ مَا عِنْدَهُ وَ لَمْ يَشْرُكْكَ فِي حُلُولِ نِعْمَتِهِ بِي.

«و لَا تُؤَاخِذْنِي بِتَفْرِيطِي فِي حَقُوقِكَ» نظير قوله _ تعالى _ : «يَا حَسْبُ رَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ». قال الراغب: «فى تخصيص»^(٤) لفظ «المؤاخذه» تنبيه على معنى المجازاه و المقابله، لما أخذوه من النعم فلم يقابلوه بالشكر»^(٥).

و «فَرَّطَ» فى الأمر تفريطاً: قَصَّرَ فيه؛ قالوا: «التفريط ترك الفعل الواجب، كما أنّ الإفراط التعدى إلى الفعل الغير المرضي».

و «تَعِدِّي طَوْرِي» _ و فى نسخه الشهيد: «و عن تعدّي»، بزياده لفظ «عن» _ «فى حدودك». و <«حدود» الله _ تعالى _ قيل: «أحكامه»؛

و قيل: «محارمه التى منع من مقارنتها و ارتكابها، لقوله _ تعالى _ : «تَلَمَّكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا»^{(٦)(٧)}؛ و المعنى: لَا تُؤَاخِذْنِي بِتَجَاوِزِي عَنْ حُدُودِكَ». فى الصحاح: «يقال:

ص : ٣٢٧

١- ١. هذا قول العلامة المدنى، راجع: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٤٤.

٢- ٢. كريمه ٥٦ الزمر.

٣- ٣. راجع: «تفسير البيضاوى» ص ٦١٥.

٤- ٤. المصدر: فتخصيص.

٥- ٥. راجع: «المفردات» ص ٦٧ القائمه ٢.

٦- ٦. كريمه ١٨٧ البقره.

٧- ٧. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٤٩.

عدى طوره أى: تجاوز حدوده»(١)، فاستعماله إمّا من قبيل ليل أليل و ظلّ ظليل؛

أو المراد من «الطور» الطريقه، أى: لاتعدّبنى بتجاوز سبيلي و طريقى عن حدودك.

و «مجاوزه أحكامك». هذا تأكيد أو تفسير للفقره الأولى إن كان المراد من «الحدود»: الأحكام؛ أو تأسيس إن كان المراد من «الحدود»: المحارم، فيكون هذا من باب عطف العام على الخاص، فإنّ الأحكام تشمل المحارم و الواجبات و غيرها.

قوله _ عليه السلام _ : «و لاتستدرجنى بإملائك لى».

>«الإستدراج»: استفعال، إمّا من: درج _ من باب سمع _ بمعنى: صعد _ و منه الدرجة للمرقاه _ ، ثم اتسع فيه فاستعمل فى كلّ نقلٍ تدريجى _ سواءً بطريق الصعود أو الهبوط أو الاستقامه _ ؛

و إمّا من: درج الصبى دروجاً _ من باب قعد _ : إذا مشى قليلاً فى أوّل ما يمشى(٢)؛

و إمّا من: التقرب إلى الشىء على سبيل التدرّج، كما أنّ الصياد يقرب الصيد إلى الشبكة.

و «الإملاء»: الإمهال و التأخير.

و «الباء» إمّا للسببيه؛ أو للإستعانه؛ أو للملابسه. و فيه تلميح إلى قوله _ تعالى _ : «و الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسَبَدْرُجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَ أُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ»(٣).

و «استدراج الله» _ تعالى _ العبد يشبه المكر، و هو أن يمدّ له فى عمره و يمهلّه فى معصيته و لاتأخذه بذنوبه فى الدنيا و ينسيه معاصيه، فلا يتوب و لا ينزع و هو فى غروره يزداد يوماً فيوماً و درجهً فدرجهً، حتّى تمّ نصاب شقائه و زمان إمهاله، فيأخذه _ و العياذ بالله! _ بغته بعذاب أليم. و مثاله: العبد يخون مولاه فيتغافل عنه و هو يخوض فى خيانتة و خلافه، حتّى إذا عظمت الخيانه و اشتدت يأخذه أخذاً شديداً!

ص : ٣٢٨

١- ١. لم أعثر عليه، و انظر: «صحيح اللغة» ج ٦ ص ٢٤٢١ القائمه ١.

٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٤٩.

٣- ٣. كريمتان ١٨٣، ١٨٢ الأعراف.

و روى عن أبى عبد الله فى تفسيره: «هو العبد يذنب الذنب فيملئ له و تجدد له عندها النعم فتلهيه عن الاستغفار من الذنوب، فهو مستدرج من حيث لا يعلم» (١).

قوله _ عليه السلام _ : «استدراج من معنى خير ما عنده» مفعولٌ مطلقٌ مبينٌ لنوع عامله. و الأصل: استدراج مثل استدراج من معنى، فحذف الموصوف ثم المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه؛ > أى: لا تستدرجنى مثل استدراجك لأهل الأموال الذين لم يصل خيرهم إلى و لا تحل نعمتهم لدى مع أنى أولى منهم بالأموال و الأزواج.

و قيل: «المراد بـ _ من منعه _ عليه السلام _ خير ما عنده»: أهل الدولة و السلطان من أعدائهم الذين منعوهم حقهم، فإنهم منعوهم السلطان الذى هو ثابت لهم من الله _ سبحانه _ ، و هو خير ما عند عدوهم».

قوله _ عليه السلام _ : «و لم يشركك فى حلول نعمته بى» أى: فى حلول النعمة التى هى حاله بى منك _ و هى وجوب طاعتي و متابعتي _ . و إضافته إليه حينئذ باعتبار غصبه إيّاه.

و قيل: «المراد به: الشيطان، فإن الله _ تعالى _ قد استدرجه إلى «يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» (٢) بالأموال و الأولاد و الملك»؛ و هذان القولان كما ترى! (٣) <.

قال الفاضل الشارح بعد نقل وجوه عديده فى حل هذه العبارة: «لا يخفى ما فى (٤) جميعه من التعسف و التكلف بما (٥) لا يزيد عليه (٦)!». و إنما أوقعهم فى هذه التمحلات جعلهم إضافه «الاستدراج» إلى قوله: «من معنى» من باب إضافه المصدر إلى المفعول _ كضربته ضرب اللص _ ، و الصواب أنه من باب إضافه المصدر إلى الفاعل _ كضربته ضرب الأمير، و قوله

ص : ٣٢٩

١- ١. راجع: «الكافى» ج ٢ ص ٤٥٢ الحديث ٢، «وسائل الشيعة» ج ١٦ ص ٨٢ الحديث ٢١٠٤١، «بحار الأنوار» ج ٥ ص ٢١٨، و انظر: «التعليقات» ص ٩٦.

٢- ٢. كريمه ٣٨ الحجر / ٨١ صآ.

٣- ٣. قارن: «نور الأنوار» ص ١٩٦.

٤- ٤. المصدر: و فى.

٥- ٥. المصدر: ما.

٦- ٦. ههنا حذفت قطعه من المصدر.

تعالى: «فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ» (١). و المعنى: لاستدراجنى استدراج مستدرجٍ معنى خير ما عنده و هو مع ذلك مستبدٌ و مستقلٌ فى حلول نعمته بى، فإن استدراج مَنْ هذه صفته يكون أفضع استدراجٍ و أشده، لأنه إذا منعه خير ما عنده و كان مستبدًا فى حلول النعمة به كان متمكناً من حرمانه سابقاً و لاحقاً. فإذا استدراج لم يبق و لم يذر، بخلاف ما إذا لم يكن مستبدًا فى الإنعام _ بل شرك غيرهِ فيه _ و أراد الاستدراج لم يتمكّن كلّ التمكّن لإحتمال أن لا يوافقهُ شريكهُ على الحرمان؛ خصوصاً إذا كان الشريك أقوى و أكرم و أرحم، و هو الله _ سبحانه و تعالى _ . و من هنا قيل: «إنما العاجز من لا يستبدّ».

و على هذا فجملة قوله: «و لم يشركك» يجوز أن تكون من تمام الصلة عطفاً على «منعنى» ؛ و أن تكون حالاً من فاعله _ أى: غير شريكٍ لك _ . و لاتتعيّن الحالّيه، كما توهم بعضهم.

إذا عرفت ذلك ظهر أنّ إضافه «الاستدراج» إلى الموصول من إضافه المصدر إلى الفاعل كما ذكرناه، لا من إضافته (٢) إلى المفعول _ كما توهم القوم _ ؛ و هو نظير قولك: «لاتؤاخذنى أخذ عزيزٍ مقتدرٍ» لفظاً و معنىً.

فان قلت: كيف عبّر بالماضى فقال: «من منعنى»، و كان الأنسب بهذا المعنى أن يعبّر بالمستقبل فيقول: «من يمنعنى»؟!

قلت: هو من باب التعبير بالفعل عن إرادته، أى: من أراد منعى _ كقوله: «و كَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا» (٣) أى: أردنا إهلاكها؛ و قول الشاعر:

فَارَقْنَا قَبْلَ أَنْ نَفَارِقَهُ (٤)

أى: أراد فراقنا _ . و ذلك أنّ الاستدراج لا يكون بعد المنع، بل بعد إرادته؛ كما أنّ مجيء

ص : ٣٣٠

١- ١. كريمه ٤٢ القمر.

٢- ٢. المصدر: إضافه المصدر.

٣- ٣. كريمه ٤ الأعراف.

٤- ٤. مجهول القائل، راجع: «مغنى اللبيب» ج ٢ ص ٩٠٤.

البأس لا يكون بعد الإهلاك، بل بعد إرادته»(١)؛ انتهى كلامه.

أقول: لا يخفى التمثيل في ما ذكر أيضاً؛ مع أنه يمكن أن يكون الاستدراج مضافاً إلى المفعول، و المعنى صحيحاً أى: لا تستدرجنى بالإمهال و المدّ فى الزمان كاستدراجك من أبغضنى و قلانى من المترفين الذين منعنى خيره و لم تصل منه نعمه إلى؛ فعبر عن هذا المعنى بأنه لم يشرك بالله _ تعالى _ فى إيصال نعمه.

و يمكن أن يكون «الواو» للحال، أى: منعنى خيره و الحال أنه لم تصل منه نعمه إلى فيزعم أنه شريكك فيها و له منه على بهذه النعمة فيصير سبباً لمنعه.

بيان ذلك: أنه _ عليه السلام، كما عرفت سابقاً _ هو الإنسان الكامل الذى هو المفيض للكل و المتولى لهم، فهو الأولى من أنفسهم _ كما قال الله تعالى: «النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ»(٢) _، فيجب على الناس متابعتة و امتثال أمره فى بذل الروح، فكيف فى بذل المال! فكمال الاستدراج من منع خيره عنه _ عليه السلام _؛ فتأمل تفهم!

و تَبَهَّنِي مَن رَقَدَهُ الْغَافِلِينَ، وَ سَيَّئَهُ الْمُشْرِفِينَ، وَ نَعَسِيَهُ الْمُخْذُولِينَ. وَ خُذْ بِقَلْبِي إِلَىٰ مَا اسْتَعْمَلْتَ بِهِ الْفَانِينَ، وَ اسْتَعْبَدْتَ بِهِ الْمُتَعَبِّدِينَ، وَ اسْتَنْقَذْتَ بِهِ الْمُتَهَوِّينَ. وَ أَعِزَّنِي مِمَّا يُبَاعِدُنِي عَنْكَ، وَ يَحْوِلُ بَيْنِي وَ بَيْنَ حَظِّي مِنْكَ، وَ يَصِيدُنِي عَمَّا أُحِبُّ لَدَيْكَ. وَ سَهِّلْ لِي مَسْلَكَ الْخَيْرَاتِ إِلَيْكَ، وَ الْمُسَابَقَةَ إِلَيْهَا مِنْ حَيْثُ أَمَرْتُ، وَ الْمَشَاحَةَ فِيهَا عَلَىٰ مَا أَرَدْتُ.

و «تبهنى من رقه الغافلين» أى: من نومهم.

حو «الرقده»: فغله من الرقاد، و هو: النوم؛ و قيل: «هو المستطاب من النوم القليل»(٣).

ص : ٣٣١

١- ١. راجع: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٥٢.

٢- ٢. كريمه ٦ الأحزاب.

٣- ٣. لم أعثر عليه فى مصادر اللغة، فانظر مثلاً: «لسان العرب» ج ٣ ص ١٨٣ القائمة ١، «تاج العروس» ج ٤ ص ٤٦١ القائمة ١، «أساس البلاغه» ص ٢٤٤ القائمة ٢، «المصباح المنير» ص ٣٢٠.

و «السنه»: مقدّمه النوم، و أصلها: وسن، حذف فاءها و عوض عنها الهاء _ كعده و زنه (١) < _ ، و «السنه» و «النعسه» متقاربتان.

و قيل: «أول النوم: النعاس، يغفل عن أمره، فكذلك المسرف في أمر الله و المخذول عن نصره في سنه و نعاس لغفلتهما عن الآخره و الطاعه و الحذر من العقاب و المعصيه. فإضافه «الرقده» إلى «الغافلين» و «السنه» إلى «المسرفين» و «النعسه» إلى «المخذولين» إمّا من باب الإستعاره التبعية بتشبيه حاله التي هم عليها _ من عدم التنبيه و التيقّظ _ بالأحوال المذكوره بجامع الذهول و الإنقطاع عن معرفه ما يضرّ و ينفع؛ و إمّا من باب الإستعاره بالكنايه و التخيليه.

و «القانت»: الداعى الخاضع، و منه: «كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ» (٢)؛ أو: القائم في الصلاه؛

> و قيل: «هو الإشتغال بالعباده و رفض كلّ ما سوى الله، و منه: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا» (٣).

و «استعبد» الله عباده بالصلاه و الزكاه: طلب منهم أن يعبدوه بها. و ليس الإستعباد هنا بمعنى تصيّرهم عبيداً إلا أن يراد عبيداً بالطاعه و الإنقياد، لا بالخلق و الإيجاد. و: تعبّد الرجل: بالغ في العباده، فهو متعبّد.

و «استنقذته» من الشرّ و انقذته: خلّصته منه (٤) <.

و «التهاون»: الإستخفاف بالشىء و تحقيره، و المراد هنا: التهاون بالعباده.

و «سهّل لى» أى: سهّل لى الأمور التي عندك خيرٌ _ كالأعمال الصالحات _ ، و اجعل طريقى و استعمالى إليها سهلاً يسيراً حتّى يصدر منى الحسنات بالسهوله، لا بالصعوبه _ كما قال الله فى شأن المستضعفين: «وَ إِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى» (٥) _ .

ص : ٣٣٢

١-١. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٥٤.

٢-٢. كريمه ١١٦ البقره / ٢٦ الروم.

٣-٣. كريمه ١٢٠ النحل.

٤-٤. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٥٥.

٥-٥. كريمه ١٤٢ النساء.

و «مسلك الخيرات» من قبيل: لجين الماء.

و «التسهيل» ترشيحٌ للتشبيه على أنَّ «المسلك» اسم مكانٍ، و يحتمل المكثه و التخيل و الترشيح بتشبيه «الخيرات» بالطريق ثم إثبات «المسلك» بمعنى السلوك ثم تسهيل الله له.

و «المسابقه إليها» أى: إلى الخيرات، إشارةً إلى قوله _ تعالى _ : «فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ» (١).

و قوله _ عليه السلام _ : «من حيث أمرت» للتقرير و التبيين، أى: سهل لى التبادر إلى الخيرات من طريق القربه لامشوباً بالرياء و السمع، لأنه ربما يسابق المرء إلى ما هو من الخير لكن لا على وجه أمر الله _ تعالى _ ، كمن يتصدق بأموالٍ اكتسبها عن غير حلّه أو عن حلّه و لكن رياءً و سمعاً!.

و «المشاحه» _ بالتشديد _ هو: التنافس فى الأمر و الضئنه و الشخ به و التنازع عليه، و: «المؤمنون يتشاحون فى الخيرات» (٢) أى: لا يرضون بإهمالها و تركها للغير؛ و فى القاموس: «تشاحا على الأمر: لا يريدان أن يفوتهما» (٣) - (٤).

و «على ما أردت» أى: على النحو الذى أردته؛ و حذف المفعول العائد إلى الموصول كثيرٌ مطردٌ.

و الظرف مستقرٌ حالٌ من «المشاحه»؛ أى: حالكونها جاريه على النهج و النحو الذى أردته و أمرت به (٥).

و لَا تَمَحْفَنِي فِيمَنْ تَمَحَّقُ مِنَ الْمُسْتَحْفَيْنِ بِمَا أَوْعَدْتَ. وَ لَا تُهْلِكْنِي مَعَ مَنْ تُهْلِكُ مِنَ الْمُتَعَرِّضِينَ لِمَقْتِكَ. وَ لَا تُبْزِنِي فِيمَنْ تُبْزِي مِنَ الْمُنْحَرِفِينَ

ص : ٣٣٣

١ - ١. كريمه ١٤٨ البقره / ٤٨ المائده.

٢ - ٢. لم أعثر على مصدرٍ لهذه القوله، لا فى الأحاديث و الآثار و لا فى الأمثال.

٣ - ٣. راجع: «القاموس المحيط» ص ٢٢٠ القائمه ١.

٤ - ٤. و انظر: «التعليقات» ص ٩٦.

٥ - ٥. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٥٨.

عَنْ سَيْلِكَ. وَنَجَّيْنِي مِنْ غَمَرَاتِ الْفِتْنَةِ، وَخَلَّصْتَنِي مِنَ لَهَوَاتِ الْبُلُوَى، وَأَجَزْتَنِي مِنَ اخْذِ الْأَمْلَاءِ. وَحُلَّ بَيْنِي وَبَيْنَ عَدُوِّ يُضِلَّنِي، وَهَوًى يُوبِقُنِي، وَمَنْقَصِهِ تَرْهَقُنِي.

«المحق»: الإبطال، و مرجعه هنا إلى الاهلاك.

و «التبتر»: الإهلاك، يقال: تبتره تبتيراً، و الإسم: التبار _ بالفتح؛ و منه قوله تعالى: «وَكَلَّا تَبَرَّنَا تَبْتِيرًا» (١). و فى نسخه الشهيد: «لاتبؤرنى» (٢)، و هو أيضاً بمعنى: الهلاك، لأنه من البوار بمعنى: الهلاك.

و «الغمرات»: الشدائد، جمع: غمره، و منه: غمرات الموت. و أصلها من: الغمره، و هى: معظم الماء الذى يغمر و يستمر مقره فلا يرى منتهاه.

و «اللّهوات»: جمع لهاه _ كحصاه _، و هى: اللحمه المشرفه على الحلق فى أقصى الفم (٣) (٤) <.

و «البلوى»: الإختبار و الإمتحان، و الكلام إستعاره مكثّه تخييليه، شبه «البلوى» بأكلٍ له قد أخذ فى مضغه و بلعه، فطوى ذكر المشبه به و أثبت له اللّهوات تخيلاً.

و «أخذ الإملاء» هو أن يؤخر الله _ تعالى _ فى أخذ المعاصى، و فى التنزيل: «إِنَّمَا تُمْلَى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا» (٥).

و «الهوى»: ميل النفس إلى شهواتها.

و «أوبقه» إيباقاً: أهلكه.

و «ترهقنى» أى: تغشاني، من: رهقه أى: غشيه و لم يبعد عنه و أفسده. و فى نسخه:

ص : ٣٣٤

١- ١. كريمه ٣٩ الفرقان.

٢- ٢. و حكاه العلامة الفيض فى صوره «لاتبؤرنى»، ثم فسرّه طبقاً لما فى المتن، راجع: «التعليقات» ص ٩٦.

٣- ٣. و انظر: «نور الأنوار» ص ١٩٦، «التعليقات» ص ٩٦.

٤- ٤. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٦١.

٥- ٥. كريمه ١٧٨ آل عمران.

«ترهقنى» (١) بضم أوله من باب الإفعال، يقال: أرهقه إرهاقاً؛ إذا حمّله ما لا يطيقه؛ و أيضاً: أرهقه: أدخله فى الإثم.

وَلَا تُعْرِضْ عَنِّي إِعْرَاضَ مَنٍ لَا تَرْضَى عَنْهُ بَعِيدَ غَضَبِكَ. وَلَا تُؤْهِسْنِي مِنَ الْأَمْرِ لِي فِيكَ فَيَغْلِبَ عَلَيَّ الْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَتِكَ. وَلَا تَمْنَحْنِي بِمَا لَا طَاقَةَ لِي بِهِ فَتُبْهَظَنِي مِمَّا تُحْمَلُنِيهِ مِنْ فَضْلِ مَحَبَّتِكَ. وَلَا تُزْسِلْنِي مِنْ يَدِكَ إِرْسَالَ مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، وَلَا حَاجَةَ بِكَ إِلَيْهِ، وَلَا إِنَابَةَ لَهُ. وَلَا تَزِمِ بِي رَمَى مَنْ سَقَطَ مِنْ عَيْنِ رِعَايَتِكَ، وَمَنْ اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْخِزْيُ مِنْ عِنْدِكَ.

و «لاتعرض عني» من: الإعراض؛ يقال: أعرض عنه إعراضاً: صدّ عنه.

و «إعراض من لا ترضى عنه» مفعولٌ مطلقٌ مبينٌ لنوع عامله، أى: إعراضك عمن لا ترضى عنه. و قيل: «المعنى: لاتعرض عني مثل إعراضك عن الكفار، فالإضافه بأدنى ملابسهِ».

قيل: «لا فرق بين «القنوط» و «الإياس»؛ و فرّق بعضهم بينهما بـ _ : أنَّ القنوط فوق الإياس» (٢).

و «لا تمنحني» من: منحه يمنحه _ بكسر العين و فتحها _ ، أى: أعطاه؛ فالمعنى: لاتعطني بما لا طاقه لى فى تحمّله. و فى نسخه: «تمتحنى» _ من: الإمتحان _ .

«فتبهظنى» أى: فتثقلنى، من: بهظه الحمل بهظاً: أثقله.

و «الباء» فى قوله: «بما تحمّلني» سببيّة، أى: بسبب شىءٍ تحمّله علىّ.

و «من» فى قوله: «من فضل محبتك» تعليليّة متعلّقه بـ _ «تمنحني»، أى: لاتمنحني بذلك من أجل فضل محبّتى لك. و فى نسخه الشهيد: «منحتك» _ بالنون و الحاء المهمله و التاء _ ،

ص : ٣٣٥

١- ١. كما حكاها العلامة المدنى، راجع: نفس المصدر و المجلّد ص ٦٢.

٢- ٢. و هو السيّد نورالدين الجزائرى، راجع: «فروق اللغات» ص ١٩٥ الرقم ٢٣٧.

فحينئذٍ «من» بياتيه و هي و مخفوضها في موضع نصبٍ على الحال من مبيئها _ و هو «ما تحمّلنيه» _ .

و «الإرسال» هنا: خلاف الإمساك، يقال: أرسله من يده أى: خلاه و أطلقه؛ أى: لاتخلنى من يدك تخليتك من لاخير فيه. و المراد به من فى علم الله _ سبحانه _ أنه لايفىء و لايرجع إلى خيرٍ أبداً، فيمنعه لطفه و يكله إلى نفسه.

قوله _ عليه السلام _ : «و لاجاه بك إليه» تأكيدٌ لمضمون ما قبله. >قال بعضهم: «و لفظ «الجاه» مستعارٌ فى حقّه _ سبحانه _ باعتبار طلبه للطاعه و العباده بالأوامر و غيرها، كطلب ذى الجاه ما يحتاج إليه. أو سلب الجاه كنايةً عن سلب اللطف به و ترك الإقبال إليه _ لأنّ اللطف و الإقبال متلازمان للجاه _ ، فنفى الملزوم و أراد اللزوم»(١)؛ انتهى.

و «لا إنا به له» أى: لارجوع له إليك.

و «لا ترم بى _ ... إلى آخره _ » أى: لاتلقنى مثل إلقاء الشخص الذى ألقته من عين عنايتك و إلقاء من اشتهل عليه الخزى و الفضيحه بسبب جزاء عمله «من عندك».

بَلْ خُذْ بِيَدِي مِنْ سِقْطَةِ الْمُتَرَدِّينَ، وَ وَهْلِهِ الْمُتَعَسِّفِينَ، وَ زَلَّهِ الْمَغْرُورِينَ، وَ وَرَطَهُ الْهَالِكِينَ. وَ عَافِنِي مِمَّا ابْتَلَيْتَ بِهِ طَبَقَاتِ عِبِيدِكَ وَ إِمَائِكَ، وَ بَلِّغْنِي مَبَالِغَ مَنْ عُنِيتَ بِهِ، وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ، وَ رَضِيتَ عَنْهُ، فَأَعَشْتُهُ حَمِيداً، وَ تَوَفَّيْتُهُ سَعِيداً.

أى: «خذ بيدى» من أجل سقوطى فى بئر الهلاك و الضلال.

و «تردّى» بمعنى: هلك، و منه قوله _ تعالى _ : < «وَ مَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى»(٢)،

ص : ٣٣٦

١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٦٦.

٢- ٢. كريمه ١١ الليل.

قال مجاهد: «إذا مات و هلك» (١).

و «الوهله»: المرّه من الوهل، بمعنى: الفرع، يقال: وهل وهلاً _ أى: فرع _ فهو وهْلٌ؛ و يجوز أن يكون من: الوهل بمعنى: الغلط (٢) < و الغفله.

و «المتعسف»: الخابط على غير هدايه. و لَمّا كان المتعسف يلزمه الفرع أو الغلط و الوهم فى الوصول إلى المقصود أضاف «الوهله» إلى «المتعسفين»، و هى استعاره تخيليه. و استعاره «المتعسفين» لأرباب الضلال استعاره مكثيه.

و «الزلّه»: المرّه من الزلل، و هو زلق الرجل حال المشى.

و «الورطه»: كلّ أمرٍ تعرّس النجاه منه، و: الهلاك؛ و فى الأساس: «وقع فى ورطه فى بيته لا مخلص منها» (٣).

> و «طبقات» الناس: جماعاتهم و أصنافهم المختلفه، لأنّ كلّ جماعه طبقه _ أى: متطابقه متوافقه _ ؛ أى: عافى من الأمراض التى ابتليت بها أصناف مخلوقاتك، اذ كلّ صنفٍ منهم لا تنفك عن بليّه تخصّها _ كما قال:

فِي كُلِّ بَيْتٍ مِخْنَةٌ وَ بَلِيَّةٌ وَ هُمُومٌ بَيْنَكَ لَوْ شَكَرْتَ أَقْلَهَا _ (٤) <

و «المبالغ»: جمع مبلغ _ كمقعد _ ، و «مبلغ» الشىء: منتهاه و غايته التى يصل إليه.

و «عُنِيَتْ به» بصيغه المجهول؛ أى: أوصلنى مرتبه من اهتممت بشأنه و تعنى بحاله، يقال: عنيت بحاجتك أعنى بها عنايةً: اهتممت به.

و «الفاء» من قوله: «فأعشته» عاطفه سببيه، أى: فبسبب ذلك أحييته.

«حميداً» أى: محموداً بلسان الخالق و الخلق، لحسن أعماله.

و «توفيته» أى: أمته.

ص : ٣٣٧

١- ١. راجع: «مجمع البيان» ج ١٠ ص ٣٧٧.

٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٦٨.

٣- ٣. قال: «وقع فى ورطه لا يتخلص منها: فى بليّه»، راجع: «أساس البلاغه» ص ٦٧٢ القائمه ١. و لاشكّ فى أنّ العبارة مصحّفه.

٤- ٤. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٧٠.

«سعيداً» أى: مسعوداً، لرجوعه إلى الباقيات الصالحات و الدرجات. و «التوفى» أصله: الإستيفاء، و هو أخذ الحق كاملاً، لكنه صار حقيقة عرفية فى أخذ الروح، يقال: توفاه الله: إذا أماته.

وَ طَوَّقْنِي طَوْقَ الْأَقْلَاعِ عَمَّا يُحِبُّ الْحَسَنَاتِ، وَ يَذْهَبُ بِالْبَرَكَاتِ. وَ أَشْعُرُ قَلْبِي الْإِزْدَجَارَ عَنْ قَبَائِحِ السَّيِّئَاتِ، وَ فَوَاضِحِ الْحَوْبَاتِ. وَ لَا تَشْغَلْنِي بِمَا لَا أَدْرِكُهُ إِلَّا بِكَ عَمَّا لَا يُرْضِيكَ عَنِّي غَيْرُهُ.

«الطوق»: حلقة مستديرة تجعل فى العنق؛ و هو خلقى _ كطوق الحمامه _ ، و صناعى _ كطوق الذهب و الفضة _ ؛ أى: اجعل الطوق فى عنقى و جرّنى إليك.

و إضافه «الطوق» إلى «الإقلاع» من باب تشبيه المشبه به إلى المشبه _ كلجين الماء _ . و ذكر التطويق ترشيح.

و «أشعر قلبى الإزدجار» أى: اجعل خوفك ملاصقاً لقلبى كالشعار الملاصق للجسد؛ أو: اجعل قلبى شاعراً عالمياً به، من الشعور.

و «الإزدجار»: افتعالٌ من الزجر، و هو: المنع و النهى. و أصله: ازتجر، قلبت التاء دالاً _ لاستثقال مجيء التاء بعد الزاء _ ، و لم تدغم الزاء فى الدال لأن حرف الصغير لا يدغم إلا فى مثله. و الإدغام بقلب الدال زاءً _ نحو: ازجر _ ضعيف.

و «الحوبات»: جمع حوبه _ بالفتح _ ، و هى: الإثم و المعصية؛ أو: القرايه.

و «لا تشغلنى بما لا أدركه». قيل: «لا تشغلنى بعمل الدنيا عن عمل الآخرة.

و: لا يرضيك عنى غيره» أى: لا يقوم ما أدركه و أظفر به من الدنيا مقامه».

و قيل: «يحتمل أن يريد بـ» ما لا يدركه»: الرزق الذى يشتغل عَمَّا يرضيه؛ أو الأعم، فإنه _ تعالى _ متكفلٌ به. و السعى الذى لا يشتغل لامنافاه فيه. و يحتمل أن يريد _ عليه السلام _ أن لا يشغله بشىء لا يدركه بقوته و اختياره إلا أن يقويه الله على إدراكه و يعينه عليه عَمَّا يرضيه _ تعالى _ مع إعطائه قدره عليه، و فيه رضاه. و حينئذٍ فالتقييد بقوله:

«عَمَّا لَا يَرْضِيكَ عَنِّي» لفائده أنّه لو كان رضاه فيما لا يدركه إلّا به ليس مسؤولاً ترك الشغل به؛ و لعلّ المراد الأوّل»(١)؛ انتهى.

أقول: و يحتمل أن يكون المراد: لا تشغلني بما سواك و إن كان هو ما لأدركه إلّا بك عَمَّا لَا يَرْضِيكَ عَنِّي غيره؛ و هو عدم الالتفات إلى ما سواك حتّى عن نفسه، بل يفنى عن الفناء أيضاً، فالفناء عن الفناء غاية الفناء و نتيجة البقاء؛ فتأمل تفهّم!

وَ انْزِعْ مِنْ قَلْبِي حُبَّ دُنْيَا دِينِي، تَنْهَى عَمَّا عِنْدَكَ، وَ تَصِيدُ عَنْ ابْتِغَاءِ الْوَسِيلَةِ إِلَيْكَ، وَ تُذْهِلُ عَنِ التَّقَرُّبِ مِنْكَ. وَ زَيْنُ لِي التَّفَرُّدِ بِمُنَاجَاتِكَ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ.

و «النزاع»: جذب الشيء و قلعه من مقرّه و موضعه. و يستعمل في الأعراض أيضاً — كما في قوله تعالى: «وَ نَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ»(٢) — .

و «الحبّ» قد تقدّم الكلام عليه في اللمعة الأولى.

و «دنيا»: تأنيث أدنى، و هو أيضاً قد مرّ.

و «الدنيّة»: الخسيسه الحقيره القدر.

و «الصدّ»: المنع.

و «ابتغاء» الشيء: الإجتهد في طلبه.

حو «الوسيله»: فعيله بمعنى: ما يتوسّل به و يتقرّب به إلى الله — تعالى — من فعل الطاعات و ترك المعاصي(٣) <.

و «الذهول» بمعنى: الغفله؛ أى: انزع عن قلبي محبّه الدنيا الخسيسه الحقيره حالكون تلك المحبّه تنهى عَمَّا عندك و تمنع عن ابتغاء الوسيله إليك. و ذلك لأنّ كلّ محبّه لشيء فهو

ص : ٣٣٩

١- ١. كما حكاها العلامة المدنيّ، راجع: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٧٥.

٢- ٢. كريمه ٤٣ الأعراف / ٤٧ الحجر.

٣- ٣. قارن: نفس المصدر و المجلّد ص ٧٧.

محبّة هي من صفات النفس الإنسانيّة، و هي من هوى النفس الأمّاره بالسوء؛

و محبّة هي من صفات الحقّ، و هي محبّة المعرفة و الحكمه _ كما في قوله تعالى: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف» (١). فكما أنّ محبوب الحقّ كونه معروفاً، فمحبوب أهل الله كونهم عارفين له _ كما أشار إليه قوله: «يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ» (٢)، كما مرّ _ فمن وكلّ إلى محبّته النفسانيّة تعلّقت محبّته بما يلائم هوى النفس و شهواتها من الأصنام و غيرها. فكما أنّ الكفّار بعضهم يحبّون اللات و يعبدونها و بعضهم يحبّون العزّى و يعبدونها، كذلك أهل الدنيا بعضهم يحبّون الأموال و يعبدونها و بعضهم يحبّون الأولاد و يعبدونها، كما قال: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ» (٣).

و لقد حذر الله _ تعالى _ الخلق عن فتنة هذه الأشياء و أعلمهم عداوتها بقوله: «إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ» (٤)، و بقوله: «إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عِدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ» (٥) يعنى: فاحذروا عن محبّتهم، لأنّها عدوّ لكم يمنعكم عن محبّة الله، و هو الحبيب الحقيقيّ و المقصود الأصليّ، و أنّهم الأعداء. فمن أحبّ الله ينظر إلى ماسواه _ من حيث هو ما سواه _ بنظر العداوة، كما كان حال الخليل _ عليه السلام: «فَإِنَّهُمْ عِدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ» (٦) _ . فإذا كان حال الخليل هكذا فكيف حاله _ عليه السلام _ ؟!

و لذا قال _ عليه السلام _ : «و زَيْنَ إِلَى التَّفَرّدِ بِمَنَاجَاتِكَ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ»، لأنّ الحبيب يلتذّ بمناجاة الحبيب.

ف _ «التفرد» بالشئ: التخلّى به.

ص : ٣٤٠

١- ١. راجع: «بحار الأنوار» ج ٨٤ صص ١٩٨، ٣٤٤.

٢- ٢. كريمه ٥٤ المائدة.

٣- ٣. كريمه ١٦٥ البقرة.

٤- ٤. كريمه ١٥ التغابن.

٥- ٥. كريمه ١٤ التغابن.

٦- ٦. كريمه ٧٧ الشعراء.

و «المناجاه»: مصدر ناجاه أى: ساره. وقالوا: اشتقاقها من النجوه، وهى: ما ارتفع من الأرض، فإنَّ السرَّ مرفوعٌ إلى الذهن لا يتيسر لكلِّ أحدٍ أن يطَّلع عليه. فالتفرّد بالمناجاه أن يتفرّد من الناس و يطلب خلوةً يصفو بها مناجاته عن الشواغل و الوسوس. قيل لبعض العباد: «ما أصبرك على الوحده!

فقال: ما أنا وحدى!، أنا جليس ربّى _ عزّ و جلّ _ !، إذا شئت أن يناجينى قرأت كتابه و إذا أردت أن أناجيه صليت! (١).

و «الباء» من قوله: «بالليل و النهار» ظرفيّة، و هو ظرفٌ لغوٍ متعلّق بـ «المناجاه»، و معناه: دائماً دائماً من غير فتورٍ _ كما قال تعالى حكايةً عن نوح عليه السلام: «رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَ نَهَارًا» (٢)، أى: دائماً فى كلّ وقتٍ _ .

و قد عبّروا عن التفرّد بذكر الله بـ: الخلو و العزله، و عزّفوها بـ: الخروج عن مخالطة الخلق بالإنزواء و الإنقطاع إلى الحقّ. قال أهل العرفان: «لابدّ لمن آثره الله على من سواه من العزله فى إبتدائه توحّشاً من غير الله، و من الخلوه فى إنتهائه أنساً بالله» (٣).

وَ هَبْ لِي عِصْمَةً تُدِينِنِي مِنْ خَشْيَتِكَ، وَ تَقْطَعْنِي عَنْ رُكُوبِ مَحَارِمِكَ، وَ تَفْكِنِي مِنْ أَسْرِ الْعِظَائِمِ. وَ هَبْ لِي التَّطَهِيرَ مِنْ دَنَسِ الْعِصْيَانِ، وَ أَذْهِبْ عَنِّي دَرَنَ الْخَطَايَا، وَ سِرْبِلْنِي بِسَرِّبَالِ عَافِيَتِكَ، وَ رَدِّنِي رِداءَ مُعَافَاةِكَ، وَ جَلِّلْنِي سَوَابِغِ نِعْمَائِكَ، وَ ظَاهِرْ لَدَيَّ فَضْلَكَ وَ طَوْلَكَ. وَ أَيْدِنِي بِتَوْفِيقِكَ وَ تَشْدِيدِكَ، وَ أَعِنِّي عَلَى صَالِحِ التَّيِّهِ، وَ مَرْضِي الْقَوْلِ، وَ مُسْتَحْسِنِ الْعَمَلِ.

و «هب لي عصمة» أى: حفظاً.

ص : ٣٤١

١- ١. راجع: «المحجّج البيضاء» ج ٤ ص ١٢، «عدّه الداعى» ج ١ ص ٢٠٨.

٢- ٢. كريمه ٥ نوح.

٣- ٣. و انظر: «الرساله القشيريّه» ص ١٨٣، نقلاً عن أبيعلّى الدقاق.

«تدني» أى: تقرّبنى. و جملة «تدني» فى محلّ نصبٍ نعتٌ للـ «عصمه».

و «الخشيه»: خوفٌ يشوبه تعظيمٌ؛ و قد تقدّم الكلام عليها.

و «تقطعنى» _ تلك العصمه _ «عن ركوب محارمك» أى: عن إرتكاب ما جعلته حراماً علىّ. >و أصل «الركوب»: كون الإنسان على ظهر الحيوان، ثم استعير فى المعانى فقل: ركب ذنباً و ارتكبه: إذا اقترفه، كأنّه حمل نفسه عليه. و هى استعارهٌ تبعيّةٌ، و يحتمل أن تكون مكثيّةً و تمثليّةً.

و «فككت» الأسير فكّاً: خلّصته من الأسر.

و «العظام»: جمع عظيمه، و هى النازله و المصيبه الشديده (١)؛ أو الذنوب الكبيره _ لأنها مصائب فى الشريعة _ ؛ أى: تخلّصنى تلك العصمه عن رقّ المعاصى الكبيره؛ أو المعاصى كلّها _ لأنها كلّها عظيمه، كما نقل عن أهل العصمه: «إنّها كبيرهٌ كلّها، لكنّها صغيرهٌ بنسبه بعضها إلى بعض» (٢). و «التاء» فى «عظيمه» أمارهٌ للنقل من الوصفية إلى الإسميّة، و علامهٌ لكون الوصف غالباً غير مفتقرٍ إلى موصوفٍ؛ و كذا فى «كبيره» _ .

و إضافه «الأسر» إلى «العظام» من باب لجين الماء؛ و يحتمل الإستعاره المكثيه التخيليه.

>و «الدّنس» _ بالتحريك _ : الوسخ (٣)؛ و مثله: «الدرن» وزناً و معنىً.

و «السربال»: القميص و الدرع، أو: كلّ ما يلبس (٤)؛ أى: ألبسنى لباس عافيتك.

و «الردآء» _ بالكسر و المدّ _ : بردٌ يضعه الإنسان على عاتقه و بين كتفيه فوق ثيابه.

و «المعافاه» إمّا من العافيه _ كما قال ابن الاثير: «المعافاه هى أن يعافيك الله من الناس و يعافيه منك، أى: يغنيك عنهم و يغنيهم عنك و يصرف أذاك عنهم و أذاهم عنك» (٥) (٦) _ ؛ و

ص : ٣٤٢

١-١. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٨٤.

٢-٢. لم أعثر عليه، لا فى مصادرنا الروائيه و لا فى مصادرنا التفسيريه.

٣-٣. و انظر: «نور الأنوار» ص ١٩٧.

٤-٤. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٨٤.

٥-٥. المصدر: أذاهم عنك و أذاك عنهم.

٦-٦. راجع: «النهايه» ج ٣ ص ٢٦٥.

إِذَا مِنَ الْعَفْوِ، وَهُوَ أَنْ يَعْفُوَ عَنِ النَّاسِ وَيَعْفُوا النَّاسُ عَنْهُ.

و «جَلَّلَنِي» أَي: أَكْسَنِي، مِنْ: جَلَّلَهُ بِالثَّوبِ: كَسَّاهُ وَغَطَّاهُ بِهِ.

و «السَّوَابِغُ»: جَمْعُ سَابِغَةٍ، وَهِيَ: الْفَائِضَةُ الْوَاسِعَةُ، مِنْ: سَبَغَ الثَّوبَ سَبْوَغًا _ مِنْ بَابِ قَعْدَ _: إِذَا اتَّسَعَ وَكَمَلَ، وَ مِنْهُ: سَبْوَغُ النِّعْمَةِ: هُوَ اتَّسَاعُهَا؛ أَي: أَكْسَنِي بِكَسْوِهِ نِعْمَاتِكَ الْكَامِلَةَ. فإِضَافَةُ «السَّوَابِغِ» إِلَى «النِّعْمَاءِ» مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ. فَمَا قِيلَ: «إِضَافَتُهَا إِلَيْهَا لِأَمِّيَّةٍ _ كَمَكَارِمِ زَيْدٍ _، لِأَفْرَادِ النِّعْمَاءِ إِلَّا عَلَى جَوَازِ الدِّرَاهِمِ الْبَيْضِ وَالدِّينَارِ الصَّفْرِ؛

أَوْ: عَدَمُ إِشْتِرَاطِ الْمِطَابَقَةِ حِينَئِذٍ بَيْنَ الصِّفَةِ وَ الْمَوْصُوفِ؛

أَوْ: أَنَّ النِّعْمَاءَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعًا»

يُدْفَعُهُ أَنَّ النِّعْمَاءَ اسْمُ جَنْسٍ يَقَعُ عَلَى الْقَلِيلِ وَ الْكَثِيرِ، كَالنِّعْمَةِ؛ وَ بِهِ صَرَّحَ أَهْلُ اللُّغَةِ؛ قَالَ الرَّاجِبُ: «النِّعْمَةُ اسْمُ جَنْسٍ (١) تُقَالُ لِلْقَلِيلِ وَ الْكَثِيرِ» (٢)؛ وَ قَالَ فِي الْأَسَاسِ: «جَلَّتْ نِعْمَةُ اللَّهِ وَ نِعْمَاؤُهُ وَ أَنْعَمَهُ (٣) عَلَيْهِمْ» (٤)؛ وَ قَالَ الطَّبْرَسِيُّ فِي قَوْلِهِ _ تَعَالَى _: «اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ» (٥): «ذَكَرَ النِّعْمَةَ بِلَفْظِ الْوَاحِدِ وَ الْمُرَادُ بِهَا الْجَنْسُ، كَقَوْلِهِ _ تَعَالَى _: «وَ إِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا» (٦)، وَ الْوَاحِدُ لَا يُمْكِنُ عَدُّهُ» (٧).

و «ظَاهِرٌ»: أَمْرٌ مِنَ الْمَفَاعِلِ، يُقَالُ: ظَاهَرَتْ بَيْنَهُمَا أَيْ: طَابَقَ؛ أَوْ مِنْ: التَّعَاوُنِ، أَيْ: أَعَانَ بَعْضُهَا بَعْضًا فِي وَصُولِ أَثَرِهَا إِلَى.

و «التَّسْدِيدُ»: التَّقْوِيمُ؛ وَ قَالَ الْفَارَابِيُّ فِي دِيْوَانِ الْأَدَبِ: «سَدَّدَكَ اللَّهُ أَيْ: وَفَّقَكَ اللَّهُ لِلْسَّدَادِ، وَ هُوَ الصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ وَ الْعَمَلِ (٨)» (٩). وَ الْمُرَادُ بِهِ هُنَا: الصَّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ _ الَّذِي مَرَّ

ص : ٣٤٣

-
- ١- ١. المصدر: النعمة للجنس.
 - ٢- ٢. راجع: «المفردات» ص ٨١٤ القائمة ٢.
 - ٣- ٣. المصدر: أنعم الله.
 - ٤- ٤. راجع: «أساس البلاغة» ص ٦٤٣ القائمة ١.
 - ٥- ٥. كريمه ١٢٢ / ٤٧ / ٤٠ البقره.
 - ٦- ٦. كريمه ١٨ النحل.
 - ٧- ٧. راجع: «مجمع البيان» ج ١ ص ١٨٣.
 - ٨- ٨. المصدر: الفعل.
 - ٩- ٩. راجع: «ديوان الأدب» ج ٣ ص ١٦٩ القائمة ١.

ذكره _ .

وَلَا تَكِلْنِي إِلَى حَوْلِي وَقُوَّتِي دُونَ حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ. وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ تَبْعُنِي لِلْقَائِكَ، وَلَا تَفْضَحْنِي بَيْنَ يَدَيِ أَوْلِيائِكَ، وَلَا تُنْسِنِي ذِكْرَكَ، وَلَا تُذْهِبْ عَنِّي شُكْرَكَ، بَلْ أَلْزِمْنِيهِ فِي أَحْوَالِ السَّهْوِ عِنْدَ غَفَلَاتِ الْجَاهِلِينَ لِأَلَا تُنْكِرَ، وَأَوْزِعْنِي أَنْ أُثْنِيَ بِمَا أَوْلَيْتَنِيهِ، وَأَعْتَرِفَ بِمَا أَسَدَيْتَهُ إِلَيَّ. وَاجْعَلْ رَغْبَتِي إِلَيْكَ فَوْقَ رَغْبَةِ الرَّاغِبِينَ، وَحَمْدِي إِيَّاكَ فَوْقَ حَمْدِ الْحَامِدِينَ.

و «لا تكلني» أي: لا تفوضني إلى نفسي، من: وكلت إليه الأمر: إذا فوضته إليه؛ ومنه: كلني إلى كذا أي: دعني أقم به. وقيل: «أي: لا تجعلني حواله إلى قوتي و قدرتي بغير حولك وقوتك، لأنني أكون من الهالكين»؛ انتهى.

وقد مرّ معنى «لا حول ولا قوة إلا بالله».

و «لا تخزني يوم تبعثني للقائك» إشارة إلى الآية الكريمة: «وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ» (١).

وقد تقدّم الكلام على «لقاء الله _ تعالى _».

حو «بين يدي» الشيء عبارة عن قدّامه. وأصله في الإنسان _ لأنّ ما بين يديه قدّامه _ ، ثمّ استعمل في قدّام كلّ شيءٍ وإن لم يكن له يدان _ نحو: «بين يدي الساعة» (٢) <.

و «لا تنسني ذكرك»، لأنّه مستلزمٌ لنسيان ذكرك إياي، كما قال الله _ تعالى _ : «نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ» (٣) _ .

و «لا تذهب عني شكرك»، لأنّه يستلزم أن أكون كافراً بالنعمة.

و «بل أُلْزِمْنِيهِ» أي: بل أُلْزِمْنِي ذِكْرَكَ وَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ فِي أَحْوَالٍ تَقْتَضِي السَّهْوَ وَ الْغَفْلَةَ _

ص : ٣٤٤

١- ١. كريمة ٨٧ الشعراء.

٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٩٠.

٣- ٣. كريمة ٦٧ التوبة.

من حاله لهو و سرور و دعه _ ، أو حزن و بليّه هي أوقات غفله الجاهلين بالآئه.

و «أوزعني» أي: ألهمني «أن أثنى» عليك بسبب ما أنعمتني؛ أو جعلتني والياً له. و حذف متعلق «الثناء» للعلم به.

و «أسديته إليّ» أي: أحسنته و أنعمته إليّ، لأنّ «الإسداء» يستعمل غالباً في النعمه.

و لَا تَخْذُلْنِي عِنْدَ فَاقَتِي إِلَيْكَ، وَ لَا تُهْلِكْنِي بِمَا أَسَدَيْتُهُ إِلَيْكَ، وَ لَا تَجْبِهْنِي بِمَا جَبَّهْتَ بِهِ الْمُعَانِدِينَ لَكَ، فَإِنِّي لَكَ مُسَلِّمٌ، أَعْلَمُ أَنَّ الْحُجَّةَ لَكَ، وَ أَنَّكَ أَوْلَى بِالْفَضْلِ، وَ أَعْوَدُ بِالْإِحْسَانِ، وَ أَهْلُ التَّقْوَى، وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ، وَ أَنَّكَ بِأَنْ تَغْفُوَ أَوْلَى مِنْكَ بِأَنْ تُعَاقِبَ، وَ أَنَّكَ بِأَنْ تَسِيرَ أَقْرَبُ مِنْكَ إِلَى أَنْ تَشْهَرَ. فَأَحْيِنِي حَيَاةً طَيِّبَةً تَنْتَظِمُ بِمَا أُرِيدُ، وَ تَبْلُغُ مَا أَحِبُّ مِنْ حَيْثُ لَا آتِي مَا تَكْرَهُ، وَ لَا أَزْكِبُ مَا نَهَيْتَ عَنْهُ، وَ أَمْنِي مَيْتَهُ مَنْ يَسْعَى نُورُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَ عَنْ يَمِينِهِ.

و «لا تخذلني» أي: لا تتركني ذليلاً «عند فاقتي» و حاجتي «إليك».

و «لا تجبهني» أي: لا تضرب يد الردّ على جبهتي كما ضربتها على جبهه المعاندين لك؛ من: جَبَّهْتَهُ جَبْهًا _ من باب منع _ : رددته أقبح الردّ. و أصله من: جبهته: إذا ضربت جبهته.

و «الفاء» من قوله _ عليه السلام _ : «فإنّي لك مُسَلِّمٌ» للتعليل. و «مسلم» من باب الإفعال _ و في نسخه الشهيد من التفعيل _ أي: منقاد.

و جملة «أعلم أنّ الحجّه _ ... إلى آخره _» مستأنفة إستينافاً بيانياً، و لذا انفصلها عمّا قبلها _ كأنّه سئل: كيف أنت مسلم؟

فقال: أعلم أنّ الحجّه لك _ .

و «أنك أولى بالفضل» و الاحسان من كلّ أحدٍ، لغنائك المطلق و افتقار الكلّ إليك.

و «أعود بالإحسان»، من: العاده، أو: العود _ و هو: النفع _ .

و «أهل التقوى و أهل المغفرة»، يقال: هو أهلٌ لكذا أي: مستحقٌّ له. > و روى أنّه لما

نزل قوله _ تعالى _ : «هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ» (١) قال النبي _ صَلَّى الله عليه و آله و سلم _ : «اللَّهُمَّ اجعلنا من أهل التقوى و أهل المغفرة» (٢). الأول من الأول و الثاني من الثاني من المجهول، و الأول من الثاني و الثاني من الأول من المعلوم (٣)؛ و قد مرّ هذا فيما سبق.

>و «الفاء» من قوله _ عليه السلام _ : «فأحيني» فصيحة، أى: إذا كنت بهذه المثابة من الكرم و الجود «فأحيني حياة طيبة» (٤).
و «من يسعى نوره _ ... إلى آخره _ » تلمييح إلى قوله: «يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمَانِهِمْ» (٥)، و قد تقدّم تفسيره.

وَ ذَلَّلْنِي بَيْنَ يَدَيْكَ، وَ أَعَزَّنِي عِنْدَ خَلْقِكَ، وَ ضَمَّنِي إِذَا خَلَوْتُ بِكَ، وَ ارْفَعْنِي بَيْنَ عِبَادِكَ، وَ أَغْنِنِي عَمَّنْ هُوَ غَنِيٌّ عَنِّي، وَ زِدْنِي إِلَيْكَ فَاقَةً وَ فَقْرًا. وَ أَعِزَّنِي مِنْ شَمَاتِهِ الْأَعْدَاءِ، وَ مِنْ حُلُولِ الْبَلَاءِ، وَ مِنْ الذُّلِّ وَ الْعَنَاءِ.

و «ذلّلتني» _ من الذلّ، بالضم _ : ضدّ العزّ، و العزّ: ضدّ الذلّ و المهانه؛ يقال: أعزّه الله إعزازاً: جعله عزيزاً _ أى: معظماً موقراً _ .
أى: اجعلني ذليلاً حقيراً عندك، لأنّ روح العباده الذلّ و الخضوع و الخشوع و الإستكانه، ولئلا أكون معجباً.

و اجعلني عزيزاً «عند خلقك» و بين يديك، كناية عن الحضور المعنويّ العلميّ عند الله.

و «ضعني إذا خلوت بك _ ... إلى آخره _ ». هذه نظير فقره الأولى، أى: اجعلني إذا انفردت عن الخلق بمناجاتك وضعياً، و عند خلقك رفيعاً. و ليس المراد الانفرد الجسمانيّ فقط، بل العمده الإنفراد بالسّر. و لذلك عرّف أرباب القلوب الخلوه بـ: «أنّها محادثه السّر»

ص : ٣٤٦

١- ١. كريمه ٥٦ المّدثر.

٢- ٢. لم أعثر عليه بعد الفحص البالغ، لا في مصادرنا و لا في مصادر العامّة.

٣- ٣. قارن: «نور الأنوار» ص ١٩٧.

٤- ٤. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٩٦.

٥- ٥. كريمه ١٢ الحديد.

مع الحق بحيث لا يرى غيره من بشرٍ و ملكٍ». قالوا: «هذه حقيقه الخلوه و معناه. و أما صورتها فهو ما يتوصل به إلى هذا المعنى من التبتل إلى الله _ تعالى _ و الإنقطاع من الغير»(١).

و قال بعضهم: «الخلوه فى الحقيقه خلو السر عن غير الله، لا الانقطاع عن الإخوان؛ و لهذا قيل للعارف: «كائنٌ بائنٌ»، أى: كائنٌ مع الخلق بائنٌ عنهم بالسر(٢)؛

كَالْبُدْرِ يَبْعُدُ فِي السَّمَاءِ مَحَلُّهُ وَ كَأَنَّهُ مَعَنَا لِقُرْبِ ضِيَائِهِ(٣)»

اعلم! أن المرء مادام مبتلى بالطبع و النفس الأماره لا تتم له الخلوه و إن عمّر دهره وحيداً فريداً، فاللازم عليه أولاً إصلاح النفس و قتلها حتى تتم له الخلوه بالمعنى المذكوره؛ و ذلك لا يمكن إلا بتوفيق الله _ تعالى _ و عونهِ.
قوله: «و أغنى عمن هو غنى عني».

«الغنى»: ضد الفقر؛ و قيل: «قطع الطمع عما فى أيدي الناس»؛

و قيل: «الغنى: عدم الإحتياج إلى السؤال عن الخلق»؛

و قال بعض الأكابر: «الغنى: الرضا بالموجود و الصبر على المفقود»؛

و قيل: «لقى حكيمٌ حكيماً فقال له: من أغنى الناس؟

قال: الذى يجد ما يشتهى،

قال: و من أغنى منه؟

قال: الذى لا يشتهى و لا يحتاج إلى أن يجد ما يشتهى!».

و «الفقر» _ بالفتح _ : ضد الغنى، و قد يضم؛ كأنه سَمِيَ «الفقير» فقيراً لأنه انكسر فقاره

ص : ٣٤٧

١- ١. و انظر: «لطائف الاعلام» ص ٢٦٢ الإصطلاح ٦٠٨.

٢- ٢. راجع: «الرساله القشيريّه» ص ١٨٤.

٣- ٣. البيت للصنوبرى، و قبله: لم ينأ من لم ينأ حسن وفائه و كريم عشرته و صدق إخائه ولم أعثر على «ديوانه».

من شدّه الحاجه. و حدّه: من ليس له مالٌ يكفى عياله.

و كون أموال الأغنياء خزائن أرزاق الفقراء ممّا دلّت عليه الآيات و شهدت به الروايات، فقد قال _ سبحانه _ : «وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ»^(١)؛ و قال: «إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ»^(٢)؛

و فى الحديث القدسيّ: «المال مالى و الفقراء عيالى و الأغنياء خزّانى، فقل لخزّانى ينفقوا على عيالى»^(٣)؛

و روى عن ابن عباس عن النبىّ _ صلى الله عليه و آله و سلّم _ أنّه قال: «إِنَّ اللَّهَ _ تعالى _ فرض للفقراء فى أموال الأغنياء قدر ما يسعهم، فإن منعوهم حتّى يخوعوا أو يجهدوا حاسبهم الله حساباً شديداً و عذبهم عذاباً نكراً»^(٤)؛

و عن أميرالمؤمنين _ عليه السلام _ أنّه قال: «إِنَّ اللَّهَ _ تعالى _ فرض فى أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقيرٌ إلّا بما متّع به غنىّ؛ و الله _ تعالى _ يسألهم^(٥) عن ذلك»^(٦)؛

و فى بعض سور التوراه ما ترجمته: «يا بن آدم! المال مالى و أنت عبدى و الضيف رسولى، و إذا منعت مالى من رسولى فلا تطمع فى جنّتى و نعمتى! يا بن آدم! المال مالى و الأغنياء وكلائى و الفقراء عيالى، فمن أبخل مالى على عيالى أدخلته النار و لأبالى»^(٧)؛

و قيل: «أنّه خطب معاويه يوماً و قال فى خطبته: انّ الله _ تعالى _ يقول: «وَإِنْ مِنْ

ص : ٣٤٨

١- ١. كريمه ١٩ الذاريات.

٢- ٢. كريمه ٢٧١ البقره.

٣- ٣. لم أعثر عليه، لا فى مصادر القدسيّات و لا فى موسوعات الروايّيه الشامله.

٤- ٤. لم أعثر عليه، و انظر: «الكافى» ج ٣ ص ٤٩٦ الحديث ١.

٥- ٥. المصدر: سائلهم.

٦- ٦. راجع: «نهج البلاغه» الحكمة ٣٢٨ ص ٥٣٣، و انظر: «شرح ابن أبيالحديد» عليه ج ١٩ ص ٢٤٠، «بحار الأنوار» ج ٩٣ ص

٢٢، «مستدرک الوسائل» ج ٧ ص ٩ الحديث ٧٤٩٨.

٧- ٧. لم أعثر عليه أيضاً، و انظر: «جامع الأخبار» ص ٨٠.

شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ» (١)، فعلام تلومونني إذا قصّرت في عطياتكم؟!

فقام إليه الأحنف فقال: إنا _ و الله! _ لَنلومك يا معاوية على ما في خزائن الله، و لكنّا نلومك على ما أنزل الله لنا من خزائنه فجعلت أنت في خزائنك و حال بيننا و بينه بخلك و شحّك بما أغلقت أبواب تلك الخزائن علينا!

فخجل و لم يطق ردّاً و لاجواباً» (٢).

و روى أنّ أعرابياً جاء إلى أمير المؤمنين _ عليه السلام _ فقال: «جئتك يا أمير المؤمنين لتضيفني من جابر لا يرحم صغيراً لصغره و لا يوقّر كبيراً لكبره!

فقال عليّ _ عليه السلام _ : و ما ذاك يا أعرابي؟

فقال: الفقير يا أمير المؤمنين!، فاعطني ممّا في خزائن الله التي جعلك خازناً لها؛

فأمر _ عليه السلام _ الخازن أن يسلمه عشرة آلاف درهم، فأعطاه، فقال _ عليه السلام _ : يا أخا العرب! بالله عليك كلّما أتاك خصمك متعرّضاً فارجع إلى متعوّداً» (٣)؛

فلنرجع إلى فقره الدعاء؛ فنقول: المعنى: لا تجعل لي حاجة له إليه.

و «زدني إليك فاقه و فقراً»؛ قيل: «يعنى: يكون فقري إليك أزيد من فقري إلى غيرك. و ليس المراد طلب أصل الفقر، فأنه ممّا لا ينبغي»؛

و هو كما ترى!. و قد تقدّم الكلام على معنى الفقر و رفع التنافي بينه و بين قوله _ صلى الله عليه و آله و سلّم _ : «كاد الفقر أن يكون كفراً» (٤).

و «الشماته»: الفرح بمصيبه من تعاديه و تعاديك. >روى أنّه قيل لأيوّب _ على نبينا و

ص : ٣٤٩

١- ١. كريمه ٢١ الحجر.

٢- ٢. لم أعثر عليه في مصادر الحديث و التاريخ.

٣- ٣. لم أعثر عليه أيضاً.

٤- ٤. راجع: «الكافي» ج ٢ ص ٣٠٧ الحديث ٤، «وسائل الشيعة» ج ١٥ ص ٣٦٥ الحديث ٢٠٧٥٧، «بحار الأنوار» ج ٢٧ ص ٢٤٧، «الأمالى» _ للصدوق _ ص ٢٩٥ الحديث ٦، «جامع الأخبار» ص ١٠٩.

آله و عليه السلام _ : «ما كان أشدَّ عليك من بلائِكَ؟

فقال: شماته الأعداء!» (١)(٢)؛

و: «انَّ أهل النار تصبرون على عذابها حذراً من شماته الأعداء!» (٣).

و «العناء» _ بالفتح و المدَّ _ : التعب و النصب و المشقه.

تَعَمَّدَنِي فِيمَا أَطْلَعْتَ عَلَيْهِ مِنِّي بِمَا يَتَعَمَّدُ بِهِ الْقَادِرُ عَلَى الْبَطْشِ لَوْلَا حِلْمُهُ، وَ الْآخِذُ عَلَى الْجَرِيرَةِ لَوْلَا أَنَاتُهُ. وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً أَوْ سُوءاً فَنَجِّنِي مِنْهَا لَوْلَا ذِكْرُكَ بِكَ، وَإِذْ لَمْ تُقِمِّنِي مَقَامَ فَضِيحَةٍ فِي دُنْيَاكَ فَلَا تُقِمِّنِي مِثْلَهُ فِي آخِرَتِكَ. وَ أَشْفَعْ لِي أَوَائِلَ مَنِّكَ بِأَوَاخِرِهَا، وَ قَدِيمَ فَوَائِدِكَ بِحَوَادِثِهَا.

و «التغميد»: الستر؛ أى: استرني في عيوبي و ذنوبي _ أو: من عيوبي، على نسخه «مما» بدل: «فيما» _ بما يستر به «القادر على» عقوبه المذنبين و الإنتقام عنهم «لولا حلمه» الذي يمنعه على البطش بهم، لأنَّ العفو يكون مع القدره على الإنتقام.

فعلى هذا «لولا- حلمه» راجع إلى «البطش» _ أى: لولا- حلمه لفعل البطش _ . و يحتمل تعلقه بـ «القدره» على طريق المبالغه في الحلم على معنى أنَّ حلمه يمنعه عن القدره على البطش، فهو غير قادرٍ مع وجوده.

و كذا قوله: «و الآخذ على الجريره لولا أناته» و إمهاله كى يتوبوا.

و «الجريره»: هى الجنايه. و قرئ و «الأخذ» _ مصدراً _ ليكون عطفاً على «البطش».

و «إذا أردت بقوم ... إلى آخره _» ناظرٌ إلى قوله: «وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا

ص : ٣٥٠

١- ١. راجع: «بحار الأنوار» ج ١٢ ص ٣٤٤، «تفسير القمى» ج ٢ ص ٢٤١، «القصص» _ للجزائرى _ ص ٢٠٠.

٢- ٢. قارن: «نور الأنوار» ص ١٩٧.

٣- ٣. لم أعثر عليه، و انظر: «القصص» _ للجزائرى _ ص ٢٠٩.

مِنْكُمْ خَاصَّةً» (١)؛ و أيضاً إلى قوله: «وَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ» (٢).

و «الفتنه» ترد بمعنى: الشرك و الضلاله و القضاء و الإثم و المرض و العقوبه و الإختيار و العذاب و الإحتراق و الجنون، و أكثر هذه المعانى يناسب هذا المقام.

و «اللواذ»: الإلتجاء، من: لاذ به يلوذ لواذاً؛ أى: لأجل لواذى و التجائى و تمسكى بك.

و «إذ لم تقمى» من باب الإفعال.

و «إذ» قيل: «حرف»؛

و قيل: «ظرف»، و التعليل مستفاد من قوّه الكلام.

و «المقام» _ بفتح الميم و ضمّها _ : مصدرٌ بمعنى: الاقامه؛ أو: اسم مكان.

و إضافه «الدنيا» و «الآخرة» إلى «كاف» الخطاب لإفاده التعظيم.

و «اشفع لى» من: شفعت الشىء شفعاً _ من باب نفع _ : ضممته إلى الفرد؛ و منه: الشفعه، لأنّ صاحبها يشفع ماله بها؛ أى: كما مننت علىّ أولاً فمَنْ علىّ آخراً، و كما أعطيتنى قديماً أعطني حادثاً. و أمّا على نسخه «شفّع» _ منتقلاً من شفّعه فيه _ أى: أقبل شفّاعته فيه، أو: إجمعه شفيعاً _ كما قال فى دعاء التوبه: «و شفّع فى خطاياى كرمك» (٣) _ ؛ فالمعنى: اجعل لى أوائل نعمك شفيعاً لأواخرها و اقبل شفّاعه أوائل نعمك فى بضم أواخرها إليها و جميعها معها.

وَ لَا تَمُدُّ لِي مَدًّا يَقْسُو مَعَهُ قَلْبِي، وَ لَا تَقْرَعْنِي قَارِعَهُ يَذْهَبُ لَهَا بِهِائِي، وَ لَا تَسِيحْنِي حَسِيْسَهُ يَضِيغُ لَهَا قَدْرِي وَ لَا تَقْيِصَهُ يُجْهَلُ مِنْ أَجْلِهَا مَكَانِي. وَ لَا تَزْعِنِي رَوْعَهُ أُبْلِسُ بِهَا، وَ لَا خِيفَهُ أُوجِسُ دُونَهَا.

«المدّ»: بسط اليد بالنعمة؛ أى: لاتجعلنى فى نعمه يكون سبباً لقساوه قلبى، لأنّه حينئذٍ

ص : ٣٥١

١- ١. كريمه ٢٥ الأنفال.

٢- ٢. كريمه ١١ الرعد.

٣- ٣. راجع: «الصحيحه الكريمه» الدعاء ٣١ القطعه ٢٤ ص ١٤٤.

تصير نعمه؛ أو: الإمهال، يقال: >مدَّ الله له مدّاً: أمهله و زاد في عمره، قال _ تعالى _ : «قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمِذْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَذّاً» (١)، قال المفسرون: «أى: يمهل بطول العمر و ينفس في مدّه حياته» (٢)؛

و قيل: «يمدّه بطول عمره و زياده ماله و تمكينه من التصرفات و التقلّب في البلاد؛ أى: لاتمهّل ببسط النعمه و العافيه و رغد العيش بحيث يؤدّى إلى قسوه و ينتج البطر والغفله».

و «لاتقرعنى» فى النسخ المشهوره من باب نفع؛ و فى نسخه الشهيد: من باب التفعيل؛ و فى نسخه الشهيد زين المله و الدين: من باب الإفعال. يقال: قرعه أمرٌ يقرعه قرعاً _ من باب نفع _ : فجأه، و: قرعت الشىء قرعاً _ من باب نفع أيضاً _ : ضربته بشده و اعتمادٍ بحيث يحصل منه صوتٌ شديده، و: قرع السهم القرطاس _ أيضاً _ : أصابه. و «القارعه»: الداهيه الشديده القرع و النازله القادحه تقرع و تفجأ بأمرٍ عظيمٍ؛ و منه: «القَارِعَةُ» (٣) للقيامه، لأنّها تقرع القلوب و الأسماع بفنون الأقرع و الأهوال. و نصب «قارعه» على الأوّل و الثانى بنزع الخافض _ و الأصل: «بقارعه»، و يدلّ عليه ما فى بعض النسخ القديمه: «بقارعه» باثبات الباء _ ، أى: لاتقرعنى بداهيه يذهب بها ماء وجهى و جمالى؛ و على الثالث فهو مفعولٌ به على الأصل _ لأنّه متعدّدٌ إلى مفعولين _ ، و المعنى: لاتجعلنى مقروعاً لقارعه _ كما تقول: أوطات زيدا الخيل أى: جعلته موطوءً لها _ .

و «لاترعى» أى: لاتفرغنى، من: راعنى يروعى. و «الروع»: هو أن يفزع من غيره، أو: يفزع غيره.

و «أبلس» أى: آئس، من: >الإبلاس بمعنى: الإياس؛ و منه سمى «إبليس» لإيأسه من رحمه الله _ تعالى _ (٤)؛ أو من: الإبلاس بمعنى: الحزن المتعرّض من شده اليأس.

>و «الخيفه»: الحاله التى عليها الإنسان من الخوف.

ص : ٣٥٢

١- ١. كريمه ٧٥ مريم.

٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ١١١.

٣- ٣. كريمه ١ القارعه.

٤- ٤. قارن: «نور الأنوار» ص ١٩٨.

و «أوجس دونها» أى: أخاف عندها _ بصيغه المجهول(١) _ من: أوجس الرجل: إذا أوجد فى نفسه مايجده الخائف(٢). و فى نسخه ابن إدريس: «أوجر»، و الوجر: فزع القلب.

اجْعَلْ هَيْبَتِي فِي وَعِيدِكَ، وَ حَذَرِي مِنْ إِعْذَارِكَ وَ إِنْذَارِكَ، وَ رَهْبَتِي عِنْدَ تِلَاوَةِ آيَاتِكَ. وَ اعْمُرْ لَيْلِي بِإِقَاطِي فِيهِ لِعِبَادَتِكَ، وَ تَفَرُّدِي بِالتَّهَجُّدِ لَكَ، وَ تَجَرُّدِي بِسَيِّئِي كُونِي إِلَيْكَ، وَ إِنْزَالِ حَوَائِجِي بِكَ، وَ مُنَازَلَتِي إِيَّاكَ فِي فَكَاكِ رَقَبَتِي مِنْ نَارِكَ، وَ إِجَارَتِي مِمَّا فِيهِ أَهْلُهَا مِنْ عَذَابِكَ.

الجملة مستأنفة بيايته، كأنه سئل: فماذا تريد أن أصنع بك؟

فقال: «اجعل هيبتي ... إلى آخره _». فسأل _ عليه السلام _ الهيبه من الله _ تعالى _ من جهه وعيده و الحذر من الوقوع فيما أنذر الله _ تعالى _ و حذر عنه.

و «أعذر» فيه أى: بلغ عذره و لم يبق للبعد مجال إعتذار؛ و فى المثل(٣) و الحديث(٤): «لقد أعذر من أنذر».

و «رهبتى عند تلاوه آياتك». و «الهيبه» و «الحذر» و «الرهبه» ألفاظٌ متقاربه المعنى لتضمّنها معنى الخوف _ الذى هو توقّع حلول مكروه _ . لكن فرّق(٥) بينها ب _ : أنّ «الهيبه»: خوفٌ جالبٌ للخضوع و الخشوع عن استشعار تعظيم و إجلالٍ _ و لذلك فسر بعضهم بالإجلال، و ليس كذلك!، بل الإجلال ناشئٌ عنها _ ؛ و «الحذر»: خوفٌ مع تحرّزٍ من المخوف؛ و «الرهبه»: خوفٌ مع انزعاجٍ و اضطرابٍ(٦).

و «اعمر ليلي _ ... إلى آخره _» أى: اجعل ليلي معموراً بعبادتك بإيقاظ نفسي و صبرها

ص: ٣٥٣

-
- ١- ١. و المشهور بالمعلوم، كما أثبتناه فى المتن.
 - ٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ١١٤.
 - ٣- ٣. راجع: «جمهره خطب العرب» ج ٢ ص ٣٩، «صبح الأعشى» ج ١٣ ص ٢١، «مجمع الأمثال» ج ٢ ص ٢٩، «جمهره الأمثال» ج ١ ص ١٠.
 - ٤- ٤. لم أعر عليه فى عداد الأحاديث، لا فى أحاديثنا و لا فى أحاديث العامه.
 - ٥- ٥. و انظر: «التعليقات» ص ٩٧.
 - ٦- ٦. و انظر: «فروق اللغات» ص ١١٩ الرقم ١٣٧.

على يقظته و إحيائها الليل للعباده ، لاخراباً بالغفله و الكساله. و «عمارہ الليل» على الإستعاره المكتبه التخيليه.

و «التفرّد بالتهجد» هو أن يخلو ربّه في الليل للعباده و يناجيه في الخلوه.

و «التجرّد» في الليل بالسكون إليه _ تعالى _ هو أن يجرد البال من كلّ ما يخطر، بل عمّا سوى الله _ تعالى _ !، فيسكن إليه _ تعالى _ سكن الحبيب إلى الحبيب بعد ما طال به الهجران و التعذيب، لأنّ الحبيب لا يحبّ إلّا الحبيب و لا يختلط حبّه بحبّ غيره حتّى نفسه!؛

أُرِيدُ وَصَالَهَا وَ تُرِيدُ هَجْرِي فَأَتْرُكُ مَا أُرِيدُ لِمَا تُرِيدُ(١)

و «التجرّد» في اصطلاح أهل العرفان: هو القاء ما سوى الله عن القلب و السرّ(٢).

و «الباء» من قوله: «بسكوني» للسبيّه؛ أو للملابسه.

و «المنازله»: هو المبالغه في السؤال و الملازمه عليه _ أى: السؤال >مرّة بعد مرّة _ . و هو مفاعله من: النزول عن الأمر؛ أو من: النزال في الحرب(٣) < _ و هو: أن ينزل كلّ مقابل الآخر _ .

و «إجارتى» عطفت على «فكاك رقبتى». >و «أجاره» الله من سوء إجاره: حفظه و وقاه منه. و إضافه «الإجاره» إلى «ياء» المتكلم من إضافه المصدر إلى المفعول(٤) <.

وَلَا تَذَرْنِي فِي طُغْيَانِي عَامِيًا، وَلَا فِي غَمْرَتِي سَاهِيًا حَتَّىٰ حِينٍ، وَلَا تَجْعَلْنِي عِظَةً لِّمَنِ اتَّعَظَ، وَلَا تَنكَالًا لِّمَنِ اعْتَبَرَ، وَلَا فَتْنَةً لِّمَنِ نَظَرَ، وَلَا تَمَكُّرًا بِي فِيمَنْ تَمَكَّرُ بِهِ، وَلَا تَسْبِيحًا لِغَيْرِي، وَلَا تُغَيِّرْ لِي اسْمِي، وَلَا تُبَدِّلْ لِي جِسْمِي، وَلَا تَتَّخِذْنِي هُزُوءًا لِخَلْقِكَ، وَلَا تُسَخِّرِيَا لَكَ، وَلَا تَبْعًا إِلَّا

ص : ٣٥٤

١- ١. لم أعر على قائله، و انظر: «رساله تشریقات» في «مجموعه رسائل و مصنفات كاشانی» ص ٣٨٣.

٢- ٢. راجع: «لطائف الاعلام» ص ١٥٧ الاصطلاح ٣٢٣.

٣- ٣. قارن: «التعليقات» ص ٩٧.

٤- ٤. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ١١٩.

لِمَرْضَاتِكَ، وَ لَأُمْتَتِنَا إِلَّا بِالْأَعْتِقَامِ لَكَ.

و «لاتذرني» أي: لاتدعني.

و «عامها»: من العمهه، و هو في البصيره كالعمرى في البصر؛ أي: تائهاً ضالاً عن الطريق، إشارة إلى قوله _ تعالى _ : «وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ» (١).

و «لا في غمرتي» أي: إغمائي و غفلتي التي غمرتني و أحاطت بي و غشيتني.

«حَتَّى حِينَ» أي: إلى وقتٍ و زمانٍ طويلٍ؛ أو: حَتَّى حين العذاب؛ أو: الموت، ناظرٌ >إلى قوله _ تعالى _ : «فَعَذَرُهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينَ» (٢)، قيل: «أي: إلى حين الموت»؛

و قيل: «إلى حين العذاب» (٣)؛

و قال النيشابوري: «و التحقيق أنه الحاله التي تظهر عندها الحسره و الندامه، و ذلك إذا عَرَفَهُمَ اللَّهُ بطلان ما كانوا عليه و عَرَفَهُمَ سوء منقلبهم، فيشمل الموت و القبر و المحاسبه و النار» (٤) (٥) <.

و «لاتجعلني عظهً _ ... إلى آخره _»، أي: لاتجعلني بسبب ما يلحقني من المكروه سبباً لاتعاط غيري؛ و في المثل: «السعيد من وعظ بغيره» (٦).

و «العظه» تطلق على ما يتعظ به _ كالموعظه، و مثلها في المعنى _ .

و «لانكالا لمن اعتبر».

>و «النكال» _ بالفتح _ : اسمٌ من نكل به تنكيلاً: إذا عَذَّبَهُ تعذيباً يمنع من رآه من

ص : ٣٥٥

١- ١. كريمه ١١٠ الأنعام.

٢- ٢. كريمه ٥٤ المؤمنون.

٣- ٣. لهذين القولين راجع: «مجمع البيان» ج ٧ ص ١٩٥.

٤- ٤. راجع: «غرائب القرآن و رغائب الفرقان» الجزء ١٨ ص ٢٤.

٥- ٥. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ١٢١.

٦- ٦. راجع: «جمهره خطب العرب» ج ١ ص ١٣٩، «البيان و التبيين» ج ١ ص ٢٠٧، «مجمع الأمثال» ج ١ ص ٣٤٣. و انظر أيضاً:

«الكافي» ج ٨ ص ٧٢ الحديث ٢٩، «الفقيه» ج ٤ ص ٣٧٧ الحديث ٥٧٧٧، «بحار الأنوار» ج ٧٥ ص ٥٣.

و «لافتنه لمن نظر» أى: يفتتن بى من نظر إلى.

و المراد بـ «الفتنه» هنا: ما يوقع فى الضلال عن الحق، خيراً كان أو شراً^(١). فالخير بأن أكون فى نعيم و عيش هنيء من الدنيا يحسد عليه من نظر إليه، و الشرّ بأن أكون مبتلىً ببلاءٍ و فقرٍ و محنٍ حتى يقول من نظر إلى: لو كان هذا على حقّ لما أصابه هذا الفقر إلاّ بما جنى^(٢). و كذا الحال إذا استدراج الله — تعالى — عبداً فيصير فتنةً على الناس حيث إنهم يرونهم معموراً فى المعصية و الغفلة، و معذلك يرون له حياةً طيبةً و عيشاً هنيئاً، فيفتنون به و يقولون فى أنفسهم: لولا عنايه الله — تعالى — و لطفه به لما أعطاه ذاك النعيم و العيش الكريم. فيجتروون على المعاصي و الإقبال على الدنيا و طلب آمالها و شهواتها.

و «مكره» — تعالى — عبارة عن استدراج بطول الصّحّة و بظاهر النعمة، و لذلك قال أمير المؤمنين — عليه السلام —: «من وسع عليه دنياه و لم يعلم أنّه مكرّ به فهو مخدوعٌ عن عقله»^(٣).

و «لا تستبدل بى غيرى» ناظرٌ إلى قوله — تعالى —: «وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ»^(٤).

و «تغيّر» الشىء: تبدّله بغيره. >روى أنّ ناساً من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه و آله و سلّم — قالوا: يا رسول الله! من هؤلاء الذين ذكر الله فى كتابه — و كان سلمان إلى جنب رسول الله، صلى الله عليه و آله و سلّم — ؟

فضرب — عليه السلام — يده على فخذ سلمان فقال: هذا و قومه!، و الذى نفسى بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لتناوله رجالٌ من فارس»^(٥)؛

ص : ٣٥٦

١-١. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ١٢١.

٢-٢. و انظر: «نور الأنوار» ص ١٩٨.

٣-٣. راجع: «بحار الأنوار» ج ٧٢ ص ٢٨٦، و لم أعثر عليه فى غيره.

٤-٤. كريمه ٣٨ محمّد.

٥-٥. راجع: «بحار الأنوار» ج ٢٢ ص ٥٢، «قرب الاسناد» ص ٥٢.

و فى حديث آخر: «إِنَّ المراد بهم أبناء الموالى المعتقين» (١)(٢)؛

وقيل: «معنى: «و لا تستبدل بى غيرى»: لا تغيرنى عن حسن حالى و جميع أخلاقى فأصير غيرا، و لا تجعل فى مكانى الذى لى عندك غيرى بأن تضعنى و ترفع غيرى، أو تورث مكانى من الجنة غيرى»؛

وقيل: «مثل تبديل المسلم بالكافر بالإرتداد _ و نعوذ بالله! _»؛

وقيل: «أى: لا تمنعنى فتجعل غيرى مكانى فيملك أهلى و ولدى».

أقول: هذه الوجوه _ كما ترى _ لا يلىق بشأنه _ عليه السلام _!، بل يجرى فى شأن الرعيه، لأنَّ له _ عليه السلام _ مرتبه الجمعيه. و قد عرفت سابقاً أنَّ فى كلِّ عصرٍ و زمانٍ لابدَّ من حجَّه و إمام، فكأنَّه _ عليه السلام _ قال: و لا تستبدل بى غيرى فى عصرى، لأنَّ مرتبه الإمامه فوق جميع المراتب و باطن النبوه _ كما مرَّ غير مرَّه _؛ فتدبرَّ تفههم!

و قس عليه الفقرات الآتيه.

و «لا تغير لى اسماً»، قيل: «بأن تمحوه من ديوان السعداء و تثبته فى ديوان الأشقياء» (٣)؛

و قيل: «أى: لا تغيره تغييراً إلى الأدنى دون الأعلى» (٤)؛

وقيل: «لا تغير لى اسماً أحمد به فى الملاء الأعلى»؛

وقيل: «أى: لا تجعل اسمى جهنمياً»؛

وقيل: «بأن سميتنى كافراً بعد أن سميتنى بالمسلم، تلميحاً إلى قوله _ تعالى _ : «هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ» (٥)»؛

و فى هذا عن أبيجعفر _ عليه السلام _ : «اللَّهِ _ عزَّ و جلَّ _ سَمَّانا المسلمين من قبل فى

ص : ٣٥٧

١- ١. راجع: «تفسير القمى» ج ٢ ص ٣٠٩، «بحار الأنوار» ج ٦٤ ص ١٧٤.

٢- ٢. قارن: «نور الأنوار» ص ١٩٨.

٣- ٣. هذا قول المحدث الجزائرى، راجع: «نور الأنوار» ص ١٩٨.

٤- ٤. هذا قول المحقق الفيض، راجع: «التعليقات» ص ٩٨.

٥- ٥. كريمه ٧٨ الحج.

الكتب التي مضت، و في هذا القرآن»(١).

و «لا تبدل لي جسماً» بتغييره عن حاله، إمّا بالآفات الدنيويّة، أو بتشويهه في النار في الآخرة _ كما ورد في الدعاء: «و لا تشوّه خلقي في النار»(٢)(٣) _ .

و قيل: «بالمسخ، كما روى: «انّ قوماً يحشرون على صورته الذرّ، و آخرون على صورته الخنازير»(٤)، ... و نحو ذلك _ «(٥).

و «لا تتخذني ... سخرية لك» بأن تعاملني معاملته من يسخر؛ أمّا في الدنيا فبالاستدراج؛ و أمّا في الآخرة فبأن تريني عملي على أحسن الوجوه من أعظم الأعمال في وقت الإحتياج إليه حتّى إذا دني منّي أمرت الريح ففرّقه في الهواء، كما قلت: «و قدّمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً»(٦)، و ذلك بدخول الرياء في الأعمال، و هذا كلّه في الرواية.

و قيل: «المراد: سخرية الناس بسبب ما فعله الله _ تعالى _ به، و لذا أسند «السخرية» إليه»؛

و قيل: «و لا تتخذني هزوءاً، و في التنزيل: «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ»(٧).

>و «التبع» _ محرّكة _ بمعنى: التابع، يكون واحداً و جمعاً.

و قوله: «إلا لمرضاتك» استثناء مفرّغ؛ أي: و لا تجعلني تابِعاً لشيءٍ إلا لمرضاتك(٨).

ص : ٣٥٨

١-١. راجع: «الكافي» ج ١ ص ١٩١ الحديث ٤، «بحار الأنوار» ج ١٦ ص ٣٥٧، «تأويل الآيات» ص ٣٤٧، «تفسير فرات الكوفي» ص ٢٧٥ الحديث ٣٧٤.

٢-٢. راجع: «بحار الأنوار» ج ٨٤ ص ٨١، «الإقبال» ص ١٥٢، «البلد الأمين» ص ١٨، «التوحيد» ص ٢٢١ الحديث ١٤.

٣-٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ١٢٣.

٤-٤. انظر: «بحار الأنوار» ج ٧ ص ٨٩، «جامع الأخبار» ص ١٧٦.

٥-٥. هذا قول المحدث الجزائري، راجع: «نور الأنوار» ص ١٩٨.

٦-٦. كريمه ٢٣ الفرقان.

٧-٧. كريمه ١٥ البقرة.

٨-٨. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ١٢٥.

و «لاممتنه» أى: لا أكون محقراً ذليلاً إلا لأجل الذب عن دينك و المعاداة لأعدائه.

وَ أَوْجَدْنِي بَرْدَ عَفْوِكَ، وَ حَلَاوَةَ رَحْمَتِكَ وَ رَوْحَكَ وَ رِيحَانَتِكَ، وَ جَنَّةَ نَعِيمِكَ، وَ أَذِقْنِي طَعِيمَ الْفَرَاغِ لِمَا تُحِبُّ بِسَعَةِ مِنْ سَعَتِكَ، وَ الْإِجْتِهَادِ فِيمَا يُزِلُّ لَدَيْكَ وَ عِنْدَكَ، وَ أَتَحَفِّنِي بِتُحَفِّهِ مِنْ تُحَفَاتِكَ. وَ اجْعَلْ تِجَارَتِي رَابِحَةً، وَ كَرَّتِي غَيْرَ خَاسِرَةٍ، وَ أَخَفِّنِي مَقَامَكَ، وَ شَوْفَنِي لِقَاءَكَ.

حو «أوجدنى» أى: اجعله فى وجدانى و قلبى، من: أوجدته الشىء فوجده: جعلته واجداً له _ أى: مدركاً له و ظافراً به _ .

و «البرد»: ضدّ الحرّ. و يعبر به عن الطيب و اللذّة؛ قال الزمخشريّ: «الأصل فى وقوع البرد عبارة عن الطيب و الهناء: أنّ الهواء و الماء لما كان طيبهما ببردهما _ خصوصاً فى بلاد تهامة و الحجاز _ قيل: هواء بارد و ماء بارد على سبيل الإستطابه، ثمّ كثر حتّى قيل: عيش بارد و غنيمه بارده و برد أمرنا»^(١)؛ انتهى.

و «الحلاوه»: خلاف المراره^(٢)؛ أى: أوجد فى رحمتك التى هى فى اللذّة و ميل النفس إليها كالحلاوه. و فى الكلام إستعاره مكثته تخيلته.

و «روحك و ريحانك».

«الروح»: النسيم؛ أو: الاستراحه من التكاليف الدنيويّه و مشاقها؛

و قيل: «هو الهواء الذى تستلذه النفس و يزيل عنها الهم»؛

و قيل: «الروح: النجاه من النار، و الريحان: الدخول فى دار القرار»؛

و قيل: «الروح: فى القبر، و الريحان: فى الجنّه»؛

و قيل: «الريحان هو المسموم من ريحان الجنّه يؤتى به للمؤمن عند الموت، فيشّمه حتّى يجود بنفسه، فيقول عندها للملائكه: عجلونى! عجلونى! بسعه فى الرزق».

ص : ٣٥٩

١-١. راجع: «الفائق» ج ١ ص ٩١.

٢-٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ١٢٥.

>و اختلف(١) في لفظ «ريحان»، فقال الأكثر: «هو من بنات الواو، و أصله: رِيَّوْحَان، بياءٍ ساكنه ثَمَّ واوٍ مفتوحه، لكنّه أدغم ثَمَّ خَفَّفَ _ بدليل تصغيره على: رويحين _»؛

و قيل: «هو من بنات الياء كشيطان، و لم يدخله تغييرٌ _ بدليل جمعه على رياحين، مثل شيطان و شياطين _»(٢)<.

و «أذقني طعم الفراغ لما تحبّ» من العباد.

>و «الباء» من قوله _ عليه السلام _ : «بسعتك» للإستعانه؛ أو للسبب متعلّق ب _ «أذقني».

و «السعه»: الغنى.

و «الإجتهاد» _ بالخفض _ عطفٌ على «الفراغ».

و «يزلف لديك» أى: يقرب، من الزلفه _ بالضم _ ، و هى: القربه(٣)<؛ و المعنى: وسّع على رزقى و عيشى حتّى يفرغ قلبى لطاعتك و أذوق طعم الفراغ للطاعه و أستلذّ به؛ أى: إجمع لى بين الغنى و الإجهاد فى الطاعه فأذوق بسببها طعم الفراق لما تحبّ.

و «تحفه» _ وزان رطبه _ : ما اتحفت به غيرك. و حكى الصغّاني: «سكون العين أيضاً»(٤)، كذا فى المصباح المنير(٥)؛ و قال الأزهري(٦) و ابن الأثير(٧) و صاحب القاموس(٨): «إن أصلها

ص : ٣٦٠

-
- ١- ١. لتفصيل هذا الاختلاف راجع: «لسان العرب» ج ٢ ص ٤٥٨ القائمة ٢، «تاج العروس» ج ٤ ص ٦١ القائمة ٢.
 - ٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ١٢٧.
 - ٣- ٣. قارن: نفس المصدر و المجلّد ص ١٢٨.
 - ٤- ٤. لم أعثر عليه، فإنّ الصغّاني أهمل مادّه «ت ح ف» فى فصل التاء من كتاب الفاء، و لم يذكر هذه العبارة فى فصل الواو من هذا الكتاب؛ راجع: «التكملة و الذيل و الصلة» ج ٤ ص ٤٣٩ القائمة ١، ثم نفس المجلّد ص ٥٧٦ القائمة ٢.
 - ٥- ٥. راجع: «المصباح المنير» ص ١٠٠.
 - ٦- ٦. راجع: «تهذيب اللغة» ج ٤ ص ٤٤٥ القائمة ١.
 - ٧- ٧. لم أعثر عليه، نعم حكاه عن الأزهريّ و ليس هذا قوله نفسه، راجع: «النهاية» ج ١ ص ١٨٢.
 - ٨- ٨. لم أعثر عليه، بل ذكر صاحب القاموس هذه المادّه فى «ت ح ف» ثم قال: «أو أصلها وحفه، فتذكر فى ح ف»، و لم يذكرها فيه؛ راجع: «القاموس المحيط» ص ٧٣٣ القائمة ١.

وحفه، فأبدلت الواو تاءً _ كتراث و تجاه _ .

«من تحفاتك»، قال السيد السند الداماد _ قدس سره _ : «إنَّ (١) الصحيح فيها ضمّ التاء و الحاء جميعاً. و أمّا (٢) فتح الحاء _ على ما فى طائفه من النسخ _ غلطاً! فإنّ فعله _ بالضمّ، كقربه و شبهه و ظلمه و وصله و تحفه _ إنّما يجمع على فُعَل _ بضمّ الفاء و فتح العين _ و فُعَلات _ بضمّتين _» (٣)؛ انتهى.

أقول: بل يجمع على فُعَلات _ بضمّ الفاء و فتح العين _ أيضاً، كما فى الشافيه (٤) و غيرها.

و «تحفاته» _ تعالى _ خصائص برّه و لطفه؛ و فى الحديث النبوى: «ما (٥) من يومٍ و ليلهٍ إلّا و لى فيهما تحفه من الله _ عزّ و جلّ _» (٦).

و «اجعل تجارتي رابحه» هو مجازٌ من قوله _ تعالى _ : «فَمَا رَبِحْتُ تِجَارَتُهُمْ» (٧)، لأنّ التاجر رابحٌ فى التجاره؛ فاسناده إليها لتلبسها بالفاعل؛ أو لمشابهتها له من حيث إنّها سببٌ للربح و الخسران.

و «كرّتى» أى: رجعتى، من: كرّ يكرّ كرّاً _ من باب قتل _ أى: عاد و رجع.

و «خسرت كرّته»: إذا لم ينفع قيامه لأمرٍ. و فيه تلميحٌ إلى قوله _ تعالى _ : «قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ» (٨). فالعبد قام لطاعه الله و شمّر للعمل و تدارك ما فات منه بالتوبه و السعى، فهيها منه كَرَّةٌ؛ فإذا تمّ له ذلك و نفع و فاز بما أراد فازت و ربحت كرّته، و إلّا

ص : ٣٦١

١- ١. المصدر: _ إنّ.

٢- ٢. المصدر: _ أمّا.

٣- ٣. راجع: «شرح الصحيفة» ص ٤١٧.

٤- ٤. لم أعثر عليه فى الشافيه، و انظر: «شرح الشافيه» ج ٢ ص ١٠٥. نعم، قال فى شرح الكافيه: «و أمّا فعله _ بضمّ الفاء و سكون العين _ كعُرفه ... جاز فى العين الإسكان و الفتح و الإتياع»؛ راجع: «شرح الكافيه» ج ٣ ص ٣٩٤.

٥- ٥. المصدر: ليس.

٦- ٦. راجع: «الكافى» ج ٨ ص ٤٩ الحديث ١٠، «بحار الأنوار» ج ٥١ ص ٧٧.

٧- ٧. كريمه ١٦ البقره.

٨- ٨. كريمه ١٢ النازعات.

فخسرت و خابت!.

و «أخفنى» من: الإخافه؛ أى: اجعلنى خائفاً، من: أخفته إخافه: صيرته خائفاً غير آمن. و تعديته إلى الثانى على إسقاط الجار _
أى: من مقامك _ .

و «مقامه» _ تعالى _ : موقف الحساب. و يحتمل انّ «المقام» مصدرٌ، أى: قيامه _ تعالى _ عليه بالحفظ و المراقبه _ أى: خاف
قيامه على نفسه بكونه رقيباً حافظاً مهيمناً عليه، كما قال: «أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ» (١) _ ؛
> و قيل: «المقام مقحّم، و المراد: خوفه _ تعالى، مثل: سلام الله على المجلس العالى _ .

و «الشوق»: احتياج القلب إلى لقاء المحبوب (٢) <; و قد تقدّم الكلام عليه. و يتعدى بالتضعيف فيقال: شوقته تشويقاً، و تعديته
إلى الثانى على إسقاط الجار أيضاً، أى: شوقنى إلى لقائك. و قد استوفينا الكلام فى لقائه _ تعالى _ .

و تَبَّ عَلَى تَوْبَةٍ نَصُوحاً لَاتُتَّقِ مَعَهَا ذُنُوباً صَغِيرَةً وَ لَأكَبِيرَةً، وَ لَاتَذَرُ مَعَهَا عَلَانِيَةً وَ لَاسِرِيَةً. وَ انْزِعِ الْغِلَّ مِنْ صَدْرِي لِلْمُؤْمِنِينَ، وَ
اعْطِفْ بِقَلْبِي عَلَى الْخَاشِعِينَ، وَ كُنْ لِي كَمَا تَكُونُ لِلصَّالِحِينَ، وَ حَلِّى حِلْيَةَ الْمُتَّقِينَ، وَ اجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْغَابِرِينَ، وَ
ذِكْراً نَامِياً فِي الْآخِرِينَ، وَ وَاكِفِ بِي عِزَّةَ الْأَعْوَالِينَ. وَ تَمِّمْ سُبُوحَ نِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَ ظَاهِرَ كَرَامَاتِهَا لَدَيَّ.

و «التوبة» فى اللغة: الرجوع؛ و قد أشبعنا الكلام عليها.

و «النصوح»: الخالص، أى: توبه خالصاً لوجه الله لارجوع و لانقص فيها _ كما مرّ تفسير «النصوح» عن أئمتنا المعصومين عليهم
السلام _ .

قال بعض أرباب القلوب: «توبه العوام من الذنوب، و توبه الخواص من غفله القلوب، و

ص : ٣٦٢

١- ١. كريمه ٣٣ الرعد.

٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ١٣٠.

توبه خواصّ الخواصّ من كلّ شيء سوى المحبوب»^(١)؛ «فشتان بين تائب من الزلاّت و بين تائب من الغفلات و بين تائب من رؤيه الحسنات!»^(٢)، و هذا معنى قولهم: «حسنات الأبرار سيئات المقرّبين»^(٣).

و جمله «لا-تبق معها» يحتمل الإستينافيه، فلامحلّ لها من الإعراب؛ و الدعائيه فوقعت نعتاً للـ «توبه» محكيه بقول محذوفٍ _ و هو النعت فى الحقيقه _ ، و التقدير: مقولاً فيها: لا-تبق معها، لأنّ الجملة الدعائيه إنشائيّه و هى لا-تقع نعتاً لاشتراطهم الخبريه فيها. و فى نسخه قديمه: «لا-تبقى»^(٤) _ بالياء _ على أنّ «لا» نافية و «تبقى» على صيغه المضارع. و يؤيّد «لا-تدر» _ بضمّ الراء _ على نسخه الشهيد _ رحمه الله _ .

و قوله _ عليه السلام _ : «علائيّه و لاسريّه» أى: لا-تدع سوء أثر لها يظهر للخلق أو يخفى عليهم؛ أو: سوء فى ظاهر عملى و أخلاقى و باطنها.

و «انزع» _ بفتح الزاء، و فى نسخه الشهيد بالكسر _ من: نزع الشيء نزعاً _ من باب ضرب _ : قلّعته من مكانه و أخرجه من مقرّه.

و «الغل» _ بالكسر _ : الحقد.

و «اعطف بقلبي» أى: اجعل قلبى عليهم عطوفاً رؤفاً؛ ف _ «الباء» إمّا زائده للتأكيد _ و هى كثيراً ما تزداد فى المفعول، نحو: «و هُزّي إِيّيكِ بِجُدْعِ النَّخْلِ»^(٥)، و: «مِنْ يُرْذِ فِيهِ بِالْحِدَادِ»^(٦) _ ؛ و إمّا على معنى: افعّل العطف به، بأن ينزل «اعطف» مع كونه متعدّياً منزله اللازم للمبالغه _ نحو: فلان يعطى و يمنع _ ، ثمّ عدّى كما يعدّى اللازم.

و «الغابرين»: جمع غابر بمعنى: الباقي، من: غبر غبوراً _ من باب قعد _ أى: بقى.

ص : ٣٤٣

١- ١. هذا قول ذيالنون المصري، راجع: «الرساله القشيريّه» ص ١٧٣.

٢- ٢. هذا قول التميمي، راجع: نفس المصدر ص ١٧٤.

٣- ٣. انظر: «الفتوحات المكيّه» ج ٢ ص ١٣٦.

٤- ٤. كما حكاها العلامة المدني، راجع: «رياض السالكين» ج ٧ ص ١٣١.

٥- ٥. كريمه ٢٥ مريم.

٦- ٦. كريمه ٢٥ الحجّ.

و معنى كونهم «غابرين» أى: باقين(١)؛ أى: انشر محامدى فى الجماعه المستقبله حتّى يذكرونى بذكر الجميل. و جاء «الغابر» بمعنى الماضى أيضاً، فهو من الأضداد.

و «واف»: أمرٌ من: وافيت القوم أى: جئتهم و أتيتهم؛ و عدّى بـ «الباء».

و «العرصه» _ بفتح العين _ : كلّ بقعهٍ واسعٍ ليس فيها بناءٌ، و المراد بها هنا: البقعه التى يقف فيها الأولون من أرض المحشر؛ أى: أوصلنى إليها و احضرنى فيها و اجمع بينى و بينهم ليكون حشرى معهم. و فى نسخه: «الأوابين» بدل: «الأولين»، أى: الراجعين بالتوبه و الاستغاثه فى جميع الأمور إلى جناب قدسك.

و إضافه «تَمَّ» إلى «سبوغ» للمبالغه.

و «سبغت» النعمه: اتّسعت؛ و: أسبغها الله: أفاضها و أتمّها. و من هنا: إسباغ الوضوء، قال الله _ تعالى _ : «وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً»(٢)، قالوا: «الظاهره»: ما يقف عليها الإنسان، و «الباطنه»: ما لا يعرفها(٣).

و «ظاهر» بصيغه الأمر من: ظهرت الشىء: تابعته و واليته، كأنه من المظاهره، و هى: التقويه و المعاونه؛ أى: وال و تابع كرامات نعمتك عندى.

امْلَأْ مِنْ فَوَائِدِكَ يَدَى، وَ سُقْ كَرَائِمَ مَوَاهِبِكَ إِلَى، وَ جَاوِزِ بَى الْأَطْيَبِينَ مِنْ أَوْلِيَائِكَ فِي الْجَنَانِ الَّتِي زَيَّنْتَهَا لِأَعْيُنِ فَيَائِكَ، وَ جَلَّلْنِي شَرَائِفَ نَحْلِكَ فِي الْمَقَامَاتِ الْمُعَدَّةِ لِأَحِبَّائِكَ. وَ اجْعَلْ لِي عِنْدَكَ مَقِيلًا آوِي إِلَيْهِ مُطْمَئِنًّا، وَ مَنَابَهُ أَتَبَوُّوْهُا، وَ أَقْضُ عَيْنًا.

«املا»: أمرٌ من: ملأت الأثناء ملأ _ من باب نفع، مهموز الآخر _ : جعلت فيه مقدار ما يأخذه؛ و: ملأ اليد: مجازٌ عن كثره العطاء. >و الجملة مستأنفةٌ إستينافاً بيانياً، و مابعدھا

ص : ٣٦٤

١-١. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ١٣٤.

٢-٢. كريمه ٢٠ لقمان.

٣-٣. راجع: «مجمع البيان» ج ٨ ص ٨٨.

معطوفٌ عليها؛ كأنه _ عليه السلام _ سئل: كيف أتمم سبوغ نعمتي عليك و أظاهر كراماتها لديك؟

فقال: «املاً من فوائدك يدى، و سق كرائم مواهبك _ ... إلى آخره _» (١) <.

و «جللنى»: أمرٌ من: جلل الأرض المطر _ بالثقل _ : عمها و طبّقها فلم يدع شيئاً إلا غطى عليه، يقال: جلّله الله نعمةً أى: غطاه بها و ألبسه إياها.

>و «الشرائف»: جمع شريفه، و هى: العاليه القدر الرفيعه المنزل، و أصلها من الشرف، و هو: ما علا من الأرض.

و «النحل»: جمع نحله، و هى: العطيه.

و «المقامات»: جمع مقامه _ بالفتح _ ، قال المطرّزى: «هى مفعلةٌ من القيام، يقال: مقام و مقامه _ كمكان و مكانه _ ، و هما فى الأصل اسمان لموضع القيام إلا أنهم اتّسعوا فيهما فاستعملوهما استعمال المكان و المجلس؛ قال الله _ تعالى _ : «خَيْرٌ مَقَامًا وَ أَحْسَنُ نَدِيًّا» (٢) (٣) (٤) <؛ أى: ألبسنى عطياتك الشريفة فى الجنّات التى أعددتها «لأحبّائك».

و «اجعل لى عندك مقيلاً» أى: موضعاً للإستراحه، و منه القيلولة و هى: النوم نصف النهار. و فى نسخه: «و اجعله»، و هو يرجع إلى المقام الذى يفهم من «المقامات».

و «آوى» إلى منزله يأوى _ من باب ضرب _ أويّاً _ على فعولٍ، بالضم _ : انضمّ إليه و نزله و مكّنه و أقام به. و ربّما عدّى بنفسه فقيل: آوى منزله.

و جملة «آوى إليه» فى محلّ نصبٍ صفه لـ «مقيلاً».

و «مطمئناً» حالٌ من الضمير فى «آوى».

>و «المثابه»: المرجع، من: ثاب يثوب ثوباً _ من باب قال _ : إذا رجع _ و منه قوله

ص : ٣٦٥

١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ١٣٨.

٢- ٢. كريمه ٧٣ مريم.

٣- ٣. لم أعثر عليه، و انظر: «المغرب» ص ٣٩٦ القائمه ٢.

٤- ٤. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ١٤١.

تعالى: «وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ» (١) أى: مكاناً يثوب إليه الناس على مرور الأوقات _ ؛ و قيل: «مكاناً يكتسب فيه الثواب».

و «تبوء» المكان: حلَّ به و أقام فيه.

و «قرَّ» عيناً يقرَّ _ من باب ضرب و تعب _ : قرَّه _ بالضم، و يفتح _ و قروراً: سرَّ ببلوغ أمنيته؛ و أقرَّ الله عينه: سرَّه؛ و: قرَّه العين: كلَّ ما تسرَّ به النفس من ولدٍ و زوجٍ و مالٍ. قيل: «أصله من القرَّ _ بالضم _ ، و هو البرد، جعل ذلك كنايةً عن السرور لأنَّ للسرور دمعاً باردةً و للحزن دمعاً حارَّةً، و لذلك يقال فيمن يدعى له: أسخن الله عينه»؛

و قيل: «هو من القرار، و هو: السكون؛ و معنى أقرَّ الله عينه: أعطاه ما تقرَّ و تسكن به عينه فلا تطمح إلى غيره».

و جملة قوله _ عليه السلام _ : «و أقرَّ عيناً» فى محلِّ نصبٍ إمَّا على أنَّها عطْفٌ على الجملة قبلها _ و هى فى محلِّ نصبٍ صفه لـ «مثابه» _ ؛ و إمَّا على أنَّها حالٌ من فاعل «أنبؤوها» _ و هو ضمير المتكلم _ ، و «عيناً» منصوبٌ على التمييز المحوّل عن الفاعل. و أصله: و تقرَّ عيني، فحوّل الإسناد إلى نفسه و نصب «عيناً» على التمييز مبالغةً و توكيداً _ لأنَّ ذكر الشىء مبهماً ثم مفسراً أوقع فى النفس من ذكره من أوّل الأمر مفسراً _ (٢) <.

و لَا تَقَايِسْنِي بِعَظِيمَاتِ الْجَرَائِرِ، وَلَا تُهْلِكْنِي يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ، وَ أَزِلْ عَنِّي كُلَّ شَكٍّ وَ شُبْهَةٍ، وَ اجْعَلْ لِي فِي الْحَقِّ طَرِيقاً مِنْ كُلِّ رَحْمَةٍ، وَ أَجْزِلْ لِي قِسَمَ الْمَوَاهِبِ مِنْ نَوَالِكِكَ، وَ وَفِّرْ عَلَيَّ حُظُوظَ الْأَحْسَانِ مِنْ إِفْضَالِكَ. وَ اجْعَلْ قَلْبِي وَاثِقاً بِمَا عِنْدَكَ، وَ هَمِّى مُسْتَفْرَغاً لِمَا هُوَ لَكَ.

و «لاتقايسنى» من المقياس، و هو: المقدار؛ أى: لاتجعل بمقدار عظيمات الجرائر منى؛ و قيل: «من القياس، أى: لاتكافينى بجرائرى العظيمة و ذنوبى الكبيره و لاتعاملنى على

ص : ٣٦٦

١- ١. كريمه ١٢٥ البقره.

٢- ٢. قارن: نفس المصدر و المجلد ص ١٤٢.

قياس عملي». و في نسخه الشهيد: «ولاتفاتشني» _ من التفتيش، أى: سامحنى _ ؛ و في نسخه: «ولاتناقشني»^(١) _ من المناقشه، و هى الإستقصاء فى الحساب _ .

«يوم تبلى السرائر» أى: يوم يحشر البواطن و تظهر ما خفى منها. و هو يوم القيامه الصغرى، كما روى >عن الصادق _ عليه السلام _ فى وصف رجعه القائم _ عليه السلام _ بعد أن ذكر ظهوره و خروج الحسين _ عليه السلام _ قال: «ثم يخرج الصديق الأكبر _ : أمير المؤمنين عليه السلام _ و نصب القبه على النجف، و يقام أركانها بالنجف و ركنٌ بحجرٍ و ركنٌ بصنعاء اليمن و ركنٌ بأرض طيب، فكأنى أنظر إلى مصابيحها تشرق فى السماء و الأرض كأنه ضوءٌ من الشمس و القمر. فعندها تبلى السرائر «و تذهل كل مُرضعه عما أرضعت و تضع كل ذات حمل حملها و ترى الناس سُكَّارَى»^(٢)»^(٣)»^(٤) < .

أو الكبرى؛ كما روى عن رسول الله _ صلى الله عليه و آله و سلم _ : «هى الصلاه و الصيام و الزكاه، كل مفروض، لأن الأعمال كلها سرائر خفيه، فإن شاء الرجل قال: صليت و لم يصل، فذلك قوله: «يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ»^(٥)، و هو يوم القيامه»^(٦).

و «السرائر»: جمع السريره، و هى ما أسرّ فى القلوب من العقائد و التّيات؛ أو فى النفوس من الأخلاق و الصفات و تعرّفها، و التمييز بين حقّها و باطلها و حسنها و قبيحها و طيبها و خبيثها؛ قال الشاعر:

سَيَبْقَى لَهَا فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَ الْحِشَاءِ سَرِيرُهُ وَدَّ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ^(٧)

قال بعض أهل السرّ: «قوله _ تعالى _ : «يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ» أى: تعرف و تظهر

ص : ٣٦٧

١- ١. كما حكاها العلامة المدنى، راجع: نفس المصدر و المجلد أيضاً ص ١٤٤.

٢- ٢. كريمه ٢ الحجّ.

٣- ٣. راجع _ مع تغييراتٍ _ : «بحار الأنوار» ج ٥٣ ص ١٥، و لم أعثر عليه فى غيره.

٤- ٤. قارن: «نور الأنوار» ص ١٩٩.

٥- ٥. كريمه ٩ الطارق.

٦- ٦. لم أعثر عليه بألفاظه، لا فى مصادرنا و لا فى مصادر العامه.

٧- ٧. راجع _ مع اختلافاتٍ _ : «خزانة الأدب» ج ٢ ص ٤٥٧، «نفح الطيب» ج ٦ ص ١٢١.

خَفِيَّاتِ الضَّمَائِرِ بِالمَفَارِقَةِ عَنِ الْأَبْدَانِ وَجَعَلَ الْبَاطِنَ ظَاهِرًا؛

و قال الآخر: «البلاءُ أبداً لا-يكون إلا- في الظاهر، فالأجسام هنا هي الظاهره، فهي تبلى هنا و السرائر هي الظاهره. ثم و ثم تبلى السرائر، لأنها هي الظواهر فيبدو «مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ» (١)، و يبدو لهم ما كانوا يكتمون. و قد نُبِّهت النبوه على ذلك بتحوّل الناس بالصور في سوق الجنان من غير نزعٍ و لا-خلعٍ، و الباطن على حاله كما يتحوّل البواطن هنا بالصور و الظاهر على حاله»؛ انتهى.

أقول: قد أشبعنا الكلام في ظهور خفیات الضمائر في القيامة الوسطى _ و هي يوم البرزخ إذ فيه سرائر النفس، لأنه يوم علنت الضمائر النفسية و خفيت الظواهر الجسميه، و فيه يحشر الناس على صور نياتهم، كما ورد في الحديث (٢) _ إشباعاً وافياً في اللمعه الأولى؛ فليرجع إليها. ف _ «يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ» أوله في القيامة الصغرى، و آخره في الكبرى، جمعاً بين الأخبار الواردة عن الرسول و أئمة الهدى _ عليه و عليهم الصلاه و السلام _؛ فتبصّر تفهم!.

قوله _ عليه السلام _ : «و أزل عني كلّ شكٍّ و شبهه»، و ذلك لا يكون إلا باندكاك جبل الأئيه.

و «اجعل لي في الحقّ طريقاً من كلّ رحمه» أي: بسبب كلّ رحمه. و في نسخه: «من كلّ وجهه»، و هو بكسر الواو، أي: اهدني طريق الحقّ من كلّ جهه؛ فحينئذٍ إشارة إلى قوله _ تعالى _ : «فَأَيْنَمَا تُولُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ» (٣)، أي: أيّ جهه تتوجّهوا من الظاهر و الباطن فثمّ ذات الله المتجلّيه بجميع صفاته؛

ص : ٣٦٨

١- ١. كريمه ٤٧ الزمر.

٢- ٢. راجع: «الكافي» ج ٥ ص ٢٠ الحديث ١، «التهذيب» ج ٦ ص ١٣٥ الحديث ٤، «وسائل الشيعة» ج ١٥ ص ٤٣ الحديث ١٩٩٥٢، «بحار الأنوار» ج ٦٧ ص ٢٠٩.

٣- ٣. كريمه ١١٥ البقره.

هر جا كه كنى روىِ دل آن جاى نماز است هر ره كه توان راست روى راه حجاز است!

و قال الشيخ صدرالدين القنوي: «هو تنبيه منه _ سبحانه _ على سرّ الحيطه و المعينه الذاتيه و الإطلاق»(١)؛

و قال عين القضاء: «الناظرون بعين العقل يرون للموجودات ترتيباً و يرون بعضها أقرب من البعض إلى الأوّل الحقّ. و أمّا الناظرون بعين المعرفة فإنّهم لا يرون للموجودات ترتيباً أصلاً، و لا يرون بعضها أقرب إليه من بعض، بل يرون هويته مساوقه لكل موجود حسب مساوقته للموجود الأوّل فى نظر العلماء. و ما لم يصل الرجل إلى هذا المقام فلا تتجلى له معنى قوله _ تعالى _ : «فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ». و قد سمع أنّ أربعة أملاكِ التقا _ : ملكاً كان يأتى من المغرب، و آخر مقبلاً من المشرق، و آخر نازل من الفوق، و آخر صاعده من التحت _ ؛ فسأل كلّ واحد صاحبه: من أين جئت؟

فكلّ قال: من عند الله!»(٢)-(٣).

و «أجزل»: أمرٌ من: أجزل له العطاء: إذا أوسعه و أكثره.

و «القسم»: جمع قسمه _ كسدره و سدر _ .

و «المواهب»: جمع موهبه، و هى: العطيه.

و «النوال»: العطاء.

و «الحظوظ»: جمع حظّ _ كفلس و فُلوس _ .

و «الهمّ»: عقد القلب على فعل شىء قبل أن يفعل _ خيراً كان أو شراً _ .

ص : ٣٦٩

١- ١. لم أعر على قوله هذا فى آثاره المطبوعه كـ _ «إعجاز البيان» و «مفتاح الغيب» و «رساله النصوص» و «الأربعين».

٢- ٢. راجع: «بحار الأنوار» ج ٣ ص ٣٠٩، «الإحتجاج» ج ١ ص ٢٠٩، «الإرشاد» ج ١ ص ٢٠١، «كشف اليقين» ص ٧٠؛ و كان الإلتقاء عند موسى _ عليه السلام _ .

٣- ٣. لم أعر على مصدر لقول عين القضاء هذا.

و «مستفرغاً» _ بفتح الراء _ من: استفرغت الشيء: استقصيته؛ أى: اجعل همى فى سلكٍ و فيما هو لك حتى لأهمم و لأعتقد قلبى على شىءٍ غيره.

وَ اسْتَعْمَلْنِي بِمَا تَسْتَعْمِلُ بِهِ خَالِصَتَكَ، وَ أَشْرَبَ قَلْبِي عِنْدَ ذُحُولِ الْعُقُولِ طَاعَتَكَ، وَ اجْمَعْ لِي الْغِنَى وَ الْعَفَافَ وَ الدَّعَةَ وَ الْمُعَافَاةَ وَ الصُّحَّةَ وَ السَّعَةَ وَ الطُّمَأْنِينَةَ وَ الْعَافِيَةَ. وَ لَا تُحِطْ حَسَنَاتِي بِمَا يَشُوبُهَا مِنْ مَعْصِيَتِكَ، وَ لَا خَلَوَاتِي بِمَا يَغْرِضُ لِي مِنْ نَزَغَاتِ فِتْنَتِكَ.

>«خالصه» الرجل: من خالصه الودّ و صافاه المحبّه. و «التاء» فيها للدلالة على الجمع _ نحو: سائله و وارده و شاربه _ ؛ قال الرضى: «و التاء فى مثل ذلك صفه «الجماعه» (١) تقديراً، كأنه قيل: جماعه خالصة (٢)، فحذف الموصوف لزوماً للعلم به» (٣). و فى نسخه: «خاصتك»، و المعنى واحد (٤)؛ أى: استعملنى فى تحصيل الحقائق و المعارف و الدقائق بما استعملت بها خاصتك و خواصك من المقرّبين.

و «أشرب»: أمرٌ من الإشراب، و هو: الخلط و الإمتزاج؛ يقال: شرب حبّ فلانٍ أى: خلط محبته مع قلبه. و قيل: «هو أن يدخله و ينفذه كنفوذ المشروب و الماء فى العروق»؛ قال _ تعالى _ : «وَ أَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ» (٥) و عبادته، قال ابن الأثير: «أشرب قلبه كذا أى: حلّ محلّ الشراب، أو (٦): اختلط (٧) كما يختلط الصبغ بالثوب» (٨). و المعنى: اخلط قلبى مع محبتك حتى لا يغفل عن طاعتك حين غفلت العقول عن طاعتك.

و «العقول»: جمع عقل؛ و هو يقال على أنحاءٍ كثيره:

ص : ٣٧٠

١- ١. شرح الكافيه: و ذلك لأنّ ذا «التاء» فى مثله صفه للجماعه.

٢- ٢. شرح الكافيه: جمّاله.

٣- ٣. راجع: «شرح الكافيه» ج ٣ ص ٣٢٦.

٤- ٤. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ١٤٧.

٥- ٥. كريمه ٩٣ البقره.

٦- ٦. المصدر: و.

٧- ٧. المصدر: + به.

٨- ٨. راجع: «النهايه» ج ٢ ص ٤٥٤.

أحدها: الشئ الذى يقول به الجمهور فى الإنسان: أنه عاقلٌ، و هو قوّه إدراك الخير و الشرّ و التمييز بينهما و حسن الأفعال و قبحها، و هو بهذا المعنى ساقطٌ للتكليف و الثواب و العقاب؛

و الثانى: العقل الذى يرّدده المتكلّمون، فيقول المعتزله منهم به _ كقولهم: هذا ما يوجب العقل، و: ينفيه العقل _ ؛

و الثالث: ما ذكره الفلاسفه فى كتاب البرهان؛

و الرابع: ما يذكر فى كتب الأخلاق المسمّى بـ: العقل العمليّ؛

و الخامس: العقل الذى يذكر فى أحوال النفس الناطقه و درجاتها؛

و السادس: العقل الذى يذكر فى العلم الإلهيّ و ما بعد الطبيع.

أمّا العقل الذى يقول به الجمهور فى الإنسان، فإنّ مرجعه إلى الحيله و جوده الرويّه فى إستنباط الأمور الدنيويّه، و ذلك أنّهم قالوا فى مثل معاويه: أنه عاقلٌ. و ربما قيل: «إنّ العاقل ليس يكون عاقلًا ما لم يكن له دينٌ، و أنّ الشرير و إن بلغ فى جوده الرويّه فى إستنباط الشرور ما بلغ لم يسمّوه عاقلًا!».

و أمّا العقل الذى يرّدده المتكلّمون فإنّما يعنون به المشهور فى بادية رأى الجميع، فإنّ بادية رأى المشترك عند الجميع _ أو الأكثر _ يسمّونه العقل _ كما يظهر من إستقراء أشياء يتخاطبون بها أو يكتبون فى كتبهم ممّا يستعملون فيها هذه اللفظه _ .

و أمّا العقل الذى ذكره الفلاسفه فى علم البرهان فإنّما يعنى به قوّه النفس التى بها يحصل للإنسان اليقين بالمقدّمات الكلّيّه الصادقه الضروريّه لا عن قياسٍ و فكره، بل بالطبع و الفطره.

و أمّا العقل المذكور فى كتب الأخلاق فإنّما يراد به جزء النفس الذى يحصل به المواظبه على اعتقاد شئٍ على طول الزمان من باب قضايا و مقدّماتٍ فى جنس الأمور الإراديّه التى شأنها أن تؤثر أو تجتنب، فالعقل بهذا المعنى مبدأ التعقل و رأى فيما سبيله أن تستنبط من هذه القضايا و المقدّمات، و نسبه هذه القضايا إلى ما يستنبط بها. و كما أنّ تلك مبادئٌ

لأصحاب العلوم النظرية كذلك هذه مبادئٌ للإرادة العملية فيما شأنه أن يستنبط من الأمور الإرادية؛ و من شأنه أن يزيد مع الإنسان طول عمره. و يتفاضل فيه الناس تفاضلاً متفاوتاً.

و أما العقل المذكور في علم النفس فهو على أربعة أنحاء:

قوة؛

و استعداد؛

و كمال؛

و فوق الكمال.

فالأول هو العقل الهولاني؛

و الثاني العقل بالملكة؛

و الثالث العقل بالفعل؛

و الرابع العقل الفعّال، و هو الذي فيه صور الموجودات بالفعل. و نسبته إلى نفوسنا كنسبه الشمس إلى أبصارنا.

و أمّا العقل الذي يذكر في العلم الإلهي و علم ما بعد الطبيعة _ و ما قبلها أيضاً بوجه _ فهو الجوهر المفارق عن الأجسام و أحوالها في الذات و في الصفات و في الأفعال جميعاً.

و في كل من هذه المعاني أبحاثٌ و تحقيقاتٌ لانطوّل الكتاب بذكرها.

و في بعض النسخ بدل «العقول»: «الغفول» _ بالغين المعجمه _ ، و هو مصدر: غفل عن الشيء _ كعقد _ . و له ثلاثه مصادر: غفول _ و هو أعمّها _ و غفله و غفل.

و «الدعه»: السعه في العيش؛ و «الهاء» عوضٌ من «الواو»، يقال: ودّع الرجل _ بضم الدال و فتحها _ ودّاعه _ بالفتح _ .

و «المافاه»: مصدر عافاه الله معافاهً أي: محا عنه الأسقام و أزال عنه المرض. و لعل الفرق بين «العافيه» و «المعافاه»: أنّ المعافاه: أن لا يصيبه من غيره و لا غيره منه ضررٌ و جفاءً.

و «النزعات»: جمع نزعه، فَعْلُهُ من النزع، و هو: دخول أمرٍ في أمرٍ لإفساده؛ يقال: نزع الشيطان بين القوم أى: دخل بينهم فأفسد أمرهم.

و «الفتنه»: البلاء و الإمتحان، و أصلها من الفتن، و هو: إدخال الذهب النار ليظهر جودته و رداءته؛ و المعنى: لا تبطل خلواتي في عبادتك بما يعرض لى من الوسواس و الفساد الذى نشأ من إختبارك و مكافاتك إياي.

وَ صُنْ وَجْهِي عَنِ الطَّلَبِ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ، وَ ذُبْنِي عَنِ الْتِمَاسِ مَا عِنْدَ الْفَاسِقِينَ. وَ لَا تَجْعَلْنِي لِلظَّالِمِينَ ظَهِيرًا، وَ لَا لَهُمْ عَلَى مَخَوِّ كِتَابِكَ يَدًا وَ نَصِيرًا، وَ حُطْنِي – مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ – حَيَاطَةً تَقِينِي بِهِمَا، وَ افْتِخْ لِي أَبْوَابَ تَوْبَتِكَ وَ رَحْمَتِكَ وَ رَأْفَتِكَ وَ رِزْقِكَ الْوَاسِعِ، إِنِّي إِلَيْكَ مِنَ الرَّاعِينَ، وَ أَتِمِّمْ لِي إِنْعَامَكَ، إِنَّكَ خَيْرُ الْمُنْعِمِينَ.

و «صن»: أمرٌ من: صانه صوناً: حفظه.

و «دبني» (١) _ بكسر الدال المهملة _ عطفتُ على «وجهي»، أى: احفظ ماء وجهي عن السؤال من غيرك؛ «و دبني عن إلتماس ما عند الفاسقين» أى: و كما أنّ الطلب و الطمع إلى أحدٍ _ و إن كان من المؤمنين _ يذهب ماء الوجه، إلتماس ما عند الفاسق يذهب بماء وجه الدين، بل الطلب و الطمع مطلقاً يذهب بماء الدين؛ كما وقع فى الحديث الصحيح: «ما تضعضع أمرى ء لآخر يريد عرض الدنيا إلا ذهب ثلثا دينه» (٢)؛

و فى كلام أمير المؤمنين _ عليه السلام _ : «من أتى غتياً فتواضع له لغناه ذهب ثلثا

ص : ٣٧٣

١ - ١. هذه هى القراءة الشاذة، و القراءة المشهورة هى: «ذُبْنِي» كما جعلناها فى المتن، و كما يحكيها المصنّف بعد سطورٍ عن نسخه الشهيد، و انظر: «شرح الصحيفة» ص ٤١٨.

٢ - ٢. لم أعثر عليه، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٧٥ ص ١٩٦، «مجموعه ورام» ج ٢ ص ١٧٠، «كنز الفوائد» ج ١ ص ٢٨٠.

دينه»(١). و لكنّه لو كان هذا المتضعض و المتواضع له فاسقاً كان الذنب أعظم و الضرر في دينه أبلغ و أتمّ!.

<و «الفاسقين»: جمع فاسق، اسم فاعلٍ من: فسق فسوقاً _ من باب قعد _ : خرج عن الطاعة، و الاسم: الفسق _ بالكسر _ (٢)>. و هو في العرف أعَمّ من الكفر، يقع بالقليل و الكثير من الذنوب، لكن تعورف فيما كانت كثيرة. و في نسخه الشهيد: «و ذُبْنِي» _ بالذال المعجمه و الباء الموحّده المشدّده _ بدل: «ديني»، أي: ادفع و امنع؛ و في نسخه: «و زُدْنِي» _ بضمّ الزاء المعجمه _ ، من الزود بمعنى: امنع _ كما قال الشاعر:

وَ أَرْسَلَهَا الْعَرَكَ وَ لَمْ يَزِدْهَا (٣)

أي: لم يمنعها _ . و على هاتين النسختين عطف الجملة على الجملة؛ أو واو استينافٍ.

و «لألهم على محو _ ... إلى آخره _ » أي: و لاتجعلني نصيراً و عوناً للظالمين على محو كتابك _ أي: العمل بخلاف ما كتبت على عبادك من الأمر والنهي _ .

و «حطني» أي: احفظني و اكلائي، من: حاطه حوطاً _ من باب قال _ و حيطة و حياطة: حفظه و صانه.

و قوله _ عليه السلام _ : «تقيني بها» أي: كلّ سوءٍ، فحذف المفعول للتعميم مع الاختصار بقرينه أنّ المقام مقام المبالغة في طلب الوقاية و فتح أبواب التوبة و الرحمة و الرأفة.

و قوله _ عليه السلام _ : «إنّك خير المنعمين» تعليلٌ للدعاء و مزيد استدعاءٍ للإجابة، فإنّ من كان خير المنعمين لا بدّ أن يكون إنعامه أتمّ و أكمل.

ص : ٣٧٤

١-١. راجع: «نهج البلاغة» الكلمة ٢٢٨ ص ٥٠٨، و انظر: «شرح ابن أبي الحديد» عليه ج ١٩ ص ٥٢.

٢-٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ١٥٢.

٣-٣. انظر: «مجمع الأمثال» ج ٢ ص ٢٧١، «شرح التصريح على التوضيح» ج ١ ص ٣٧٣.

وَاجْعَلْ بَاقِيَ عُمْرِي فِي الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَالسَّلَامَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَبَدَ الْأَبَدِينَ.

«ابتغاء» الشئ: الإجتهد في طلبه؛ أى: اجعل ما بقى من عمرى مصروفاً فى الحجّ و العمره لأجل طلب مرضاتك و خلوص وجهك، و ذلك لا يكون إلّا- بالخروج عن الوجود و القصد إلى المعبود لا لشيء من القصود. و فى سؤاله _ عليه السلام _ إشارة إلى أنّ المحرم بإحرام الحجّ و العمره بعد الإغتسال بماء الإنابه لا يميل إلى الدنيا الدنيّة و زخارفها ألبتّه؛ و بهما يتمّ العبوديّة _ كما عرفت من تعريفهما فى اللغات السابقة _ . و لذا قال الله _ تعالى _ : «وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ» (١)، أى: و اسعوا فى إتمام صورهِ الحجّ و حقيقته؛

أمّا إتمامه فى الصورة فبأن تقوم بشرائطه المشروطة و يكون قصدك بأن تخرج من بيتك للتجاره و للرياء و السمعه، بل خالصاً مخلصاً للحضره الأحديّه؛

و أمّا إتمامه فى الحقيقه فبأن يكون خروجك من وجودك و قصدك إلى الله بالله لله، لا لشيء من المقاصد فى الدارين. فانتبهى _ يا النفس! _ عن رقدّه الغافلين و استيقظى عن نوم الجاهلين! _ الذين لا يهتمهم إلّا هواهم و لا يحركهم إلّا مناهم و مشتاهم! _ ؛ «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ» (٢).

يا نفس! دعى الهوى و اسلكى سبل ربّيك بالهدى و تخلّقى بأخلاق بارئك _ : ربّ العالمين _ و قد بلغت إلى خمسين و ماخرجت من باب عيشك إلى أدنى منازل المقدّسين!؛ أَللّهُمَّ أتمم لنا نورنا و اغفرنا ذنوبنا فى الدارين و فى النشأتين بمحمّدٍ و آله، سيّما أبيالحسين.

هذا آخر اللعه السابعة و الأربعين من لوامع الأنوار العرشيّه فى شرح صحيفه سيّد

ص : ٣٧٥

١- ١. كريمه ١٩٦ البقره.

٢- ٢. كريمه ١٦ الحديد.

العابدين _ سلام الله عليه و على آباءه و أبنائه الطاهرين _ ؛ و قد وفّقنى الله _ تعالى _ لإتمامها فى ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من
شهر ربيع الثانى سنه ١٢٣٣.

ص : ٣٧٦

اللمعه الثامنه و الأربعون فى شرح الدعاء الثامن و الأربعين

ص : ٣٧٧

الحمد لله العزى جعل الأيام كلها عيداً واحداً لمن اندكَّ جبل الأئمة و هيأ نفسه الأئمة الدنية للذبح و الأضحى؛ و السلام على محمد المبعوث على كل البرية، و على أهل بيته الذين هم الذوات النورية فى الهياكل البشرية.

و بعد؛ فيقول العبد الملتجى إلى الحضرة الأحديّة فى توفيق أضحية نفسه ابتغاءً لوجهه الصمدية محمد باقر بن السيد محمد من السادات الموسوية _ غفر الله تعالى ذنوبهما الوجودية _ : هذه اللمعة الثامنة و الأربعون من لوازم الأنوار العرشية فى شرح الصحيفة السجادية _ على قائلها صنوف الآلاء و التحية _ .

وَ كَانَ مِنْ دُعَائِهِ _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ يَوْمَ الْأَضْحَى وَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ.

«يوم الأضحى» هو يوم العيد، سُمى بذلك لوقع الأضحى فيه. و هو جمع «أضحاه»، و هى: الشاة التى يضحي بها؛ >قال الفارابى فى ديوان الأدب: «الأضحى: جمع أضحاه، و هى الشاة التى يضحي بها؛ و منها(1) سُمى يوم الأضحى. و لذلك يجوز تأنيثه، فيقال: دنت

ص : ٣٧٩

الأضحى» (١). و قال هشام: «التأنيث فيه أكثر من التذكير» (٢) - (٣) (٤) > -.

و يوم الأضحى الحقيقي هو يوم ذبح شاه النفس و أضحيتها؛ فتدبر تفهم!

و «الجمعة»: اسم من الاجتماع؛ و قد تقدّم الكلام عليها و على وجه التسميه بالجمعه فى أوّل اللمعه السادسة و الأربعين، فليرجع إليه.

و قد تقدّم المراد من «الجمعه» الحقيقيه؛ فتبصر!

و ظاهر كلامه _ عليه السلام _ : «هذا يومٌ _ ... إلى آخره _» يدلّ على > أنّ اليوم بأجمعه ظرفٌ للدعاء، لكن فى المصباح: «أنّ محلّ قراءته وقت الفراغ من صلاتيهما» (٥)؛ و فى بعض فقرات هذا الدعاء تأييدٌ له (٦) <.

اللَّهُمَّ هَذَا يَوْمٌ مُبَارَكٌ، وَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ مُجْتَمِعُونَ فِي أَقْطَارِ أَرْضِكَ، يَشْهَدُ السَّائِلُ مِنْهُمْ وَ الطَّالِبُ وَ الرَّاغِبُ وَ الرَّاهِبُ وَ أَنْتَ النَّاطِرُ فِي حَوَائِجِهِمْ.

«يومٌ مباركٌ» لنماء الأعمال و الأفعال و زياده الثواب فيه؛ من البركه، و هى: الزياده و النماء من حيث لا يحس. و اشتقاقها من البروك، و هو: اللزوم و الثبوت _ لثبوتها فى الشئ _ ؛ و يوصف بها كل شئٍ لزمه و ثبت فيه خيرٌ إلهي، و ليس لصدّها اسمٌ معروف.

ص : ٣٨٠

١- ١. راجع: «ديوان الأدب» ج ٤ ص ٣١ القائمه ١.

٢- ٢. لم أعثر عليه. و كنت أظنّ أنّ هشاماً هذا هو ابن هشام اللخمي صاحب الشرح على «الفصيح»، و لكن ما وجدت هذا القول فيه، انظر: «شرح الفصيح» ص ١٦٣ فى شرح هذه اللفظه.

٣- ٣. لتفصيل هذا الخلاف راجع: «تاج العروس» ج ١٩ ص ٦١٦ القائمه ١.

٤- ٤. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ١٦٩.

٥- ٥. قال الشيخ: «... من أدعيه الصحيفة يوم الجمعة بعد الجمعة و بعد صلاه الأضحى: اللَّهُمَّ هَذَا يَوْمٌ ...»؛ راجع: «مصباح المتهجد» ص ٣٧١.

٦- ٦. قارن: «نور الأنوار» ص ١٩٩.

>و فى نسخِه: «ميمونٌ»: اسم مفعولٍ من اليمين _ بالضمّ و السكون _ ، و هو عبارةٌ عن: تيسر ماينبغى و يراد من غير قصدٍ و إرادِهِ لحصوله. و ضده: الشؤم.

و «الأقطار»: جمع قُطر _ بالضمّ، كقفل و أقفال _ ، و هو: الجانب و الناحية.

و الظرف لغوٌ متعلّق بـ «مجتمعون».

و «يشهد» أى: يحضر(١) < فى محضرٍ واحدٍ _ كالمسجد الجامع و المصلّى _ ، من: شَهِدَتِ المجلسَ أشْهَدَه _ من باب علم _ شهوداً: إذا حضرته، فأنا شاهدٌ و شهيدٌ. و الأصل: يشهد فيه السائل و «الطالب»، أى: يحضر فيه. و حذف متعلّق الفعل للعلم به مع قصد الإختصار. و الجملة مستأنفةٌ لا محلّ لها من الإعراب وقعت جواباً عن سؤالٍ ينساق إليه الذهن، كأنّه قيل: كيف يجتمعون؟

ف قيل: يشهد السائل منهم. >و فى نسخه عميد الرؤساء: «تشهد» _ على صيغه الخطاب _ ، و مابعدُها منصوبٌ على المفعولِية(٢) <؛ و الجملة على هذا فى محلّ نصبٍ على الحالِية؛ و الأصحّ نسخه الأصل.

و فى يوم الجمعة ساعةٌ ما دعى فيها مؤمنٌ إلّا أستجيب، فسئل عن هذه الساعة بعض المعصومين؟

فقال: «ما بين الفراغ من الخطبة و استواء الصفوف لصلاة الجمعة»(٣). و وقت غروب يوم الجمعة أيضاً من مظانّ استجابهِ الدعاء، و لذا قال _ عليه السلام _ : «يشهد السائل _ ... إلى آخره _».

«و أنت الناظر».

«الواو» للحال، أو الإستيناف؛ و فى نسخه الشهيد بدون «الواو»(٤).

ص : ٣٨١

١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ١٧٠.

٢- ٢. قارن: «شرح الصحيفة» ص ٤٢٠.

٣- ٣. لم أعر عليه بألفاظه، و راجع: «مستدرک الوسائل» ج ٦ ص ٦٨ الحديث ٦٤٥٢، و انظر: «الكافي» ج ٣ ص ٤١٤ الحديث ٤، «التهذيب» ج ٣ ص ٢٣٥.

٤- ٤. كما حكاها المحقّق الداماد، راجع: «شرح الصحيفة» ص ٤٢٠.

فَأَسْأَلُكَ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ وَهَوَانِ مَا سَأَلْتُكَ عَلَيْكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ. وَ أَسْأَلُكَ _ اللَّهُمَّ رَبَّنَا! _ بِأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ، وَ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ الْخَنَّانُ الْمَنَّانُ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، بِدُعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

«الفاء» لترتيب السؤال _ على ما ذكر _ من دواعي السؤال و البواعث عليه.

و «الباء» للقسم؛ أو للسببية؛ أو للاستعطاف.

و «هان» عليه الأمر هوناً _ من باب قال _ : إذا سهل و لم يصعب عليه؛ يعنى: حصول المطالب العظيم عليك سهلٌ يسيرٌ.

قوله _ عليه السلام _ : «بأنّ لك الملك». «الباء» للتوسّل؛ أى: اجعل وسيلتى لسؤال أنّ لك الملك و السلطنة، لأنّه ليس فى الدار غيره دياراً، و كذلك كلّ النعم منك و ينتهى إليك؛ ف _ «لك الحمد»، لأنّه بإزاء نعمه المنعم. قال الفاضل الشارح: «و تأكيد المسؤل به ب _ «أنّ» للإيذان بصدور المقال عنه بوفور(١) الرغبة و كمال النشاط و صدق الإعتراف بمضمونه؛ أى: أسألك بكون الملك و الحمد لك، لأنّ «أنّ» _ المفتوحة _ موضوعةٌ لتكون بتأويل مصدرٍ هو خبرها مضافاً إلى اسمها؛ فمعنى: بلغنى أنّ زيداً قائمٌ: بلغنى قيام زيدٍ؛ و: علمت أنّ زيداً فى الدار: علمت كونه فيها، لأنّ الخبر فى الحقيقة متعلّق الظرف _ و هو: كائنٌ _ ، و تقديم الظرف لإفاده اختصاص الأمرين من حيث الحقيقة»(٢)؛ انتهى كلامه.

و هو _ كما ترى _ لا طائل تحته!.

و قوله _ عليه السلام _ : «لا إله إلا أنت» > فى محلّ نصبٍ على الحالّية؛ أو جملةٌ مستأنفةٌ مقرّرةٌ لاختصاص «الملك» و «الحمد» به(٣) <.

ص : ٣٨٢

١- ١. المصدر: بوفود.

٢- ٢. راجع: «رياض السالكين» ج ٧ ص ١٧٤.

٣- ٣. قارن: نفس المصدر.

قوله _ عليه السلام _ : «الحليم الكريم _ إلى آخر الصفات _» أخبارٌ متعدّدةٌ لمبتدئٍ محذوف _ أى: لا- إله إلا أنت الحليم الكريم، ... إلى آخره _ . وهذه الصفات قد تقدّم الكلام عليها فى اللمعات السابقة.

مَهْمَا قَسَمْتَ بَيْنَ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ عَافِيَةٍ أَوْ بَرَكَهٍ أَوْ هُدًى أَوْ عَمَلٍ بِطَاعَتِكَ، أَوْ خَيْرٍ تَمُنُّ بِهِ عَلَيْهِمْ تَهْدِيهِمْ بِهِ إِلَيْكَ، أَوْ تَرْفَعُ لَهُمْ عِنْدَكَ دَرَجَةً، أَوْ تُعْطِيَهُمْ بِهِ خَيْرًا مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَنْ تُوفِّرَ حَظِّي وَنَصِيبِي مِنْهُ.

«مهما قسمت» مفعول قوله _ عليه السلام _ : «و أسألك» _ أى: أسألك مهما قسمت _ ؛ و ما بينهما جملةٌ معترضةٌ. و فى بعض النسخ بعد قوله _ عليه السلام _ : «و الآخره أن توفّر حظّي و نصيبى منه»^(١)، أى: من كلّ واحدٍ من هذه الأشياء التى تقسمها بين عبادك، و حينئذٍ فهو المفعول، و قوله: «مهما قسمت» جملةٌ معترضةٌ.

>و «مهما» كلمةٌ بسيطةٌ لا- مركبةٌ من «مه» و «ما» الشرطيّة، و لا من «ما» الشرطيّة و «ما» الإبهاميّة كمّا و كيفاً؛ خلافاً للأخفش و الزّجاج فى الأوّل، و للخليل فى الثانى^{(٢)(٣)}. و هى من كلم المجازاه الجازمه لفعلين شرطاً و جواباً، تقول: مهما تفعل أفعل، أى: أى شىءٍ تفعل أفعل؛ فشرطها «قسمت»، و جوابها محذوفٌ لدلاله المتقدّم عليه _ و هو: «أسألك» _ .

و «من» فى قوله _ عليه السلام _ : «من خيرٍ أَوْ عَافِيَةٍ» بيانيّةٌ، مثلها فى قوله _ تعالى _ : «مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ»^(٤). و إنّما عطف الأشياء المذكوره على الخبر بـ _ «أو» دون «الواو»، لأنّ الطالب لأحدها يكون لجميعها أطلب، فهو من قبيل دلالة النصّ.

ص : ٣٨٣

١- ١. كما حكاها العلّامة الفيض، راجع: «التعليقات» ص ٩٨.

٢- ٢. راجع فى ذلك الخلاف _ من غير ذكرٍ للقائلين _ : «مغنى اللبيب» ج ١ ص ٤٣٦.

٣- ٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ١٧٨.

٤- ٤. كريمه ١٣٢ الأعراف.

وقوله _ عليه السلام _ : «تهديهم به» يحتمل البدليته من «تمنّ به عليهم»، و العطف البيان لها، فمحله خفض، و الاستيناف للتعليل _ أى: لتهديهم به _ ، فلامحلّ له من الإعراب. فحاصل المعنى: أنّه حين قسمت بين عبادك أقسام المعروفات و أصناف الخيرات ممّا ذكرنا أن تجعل حظّي و نصيبى من تلك العطيات أكثر و أوفر.

قوله _ عليه السلام _ : «أن توفّر حظّي» فى محلّ نصب مفعول ثانٍ لـ «أسألك»، و ليس هو فى أكثر النسخ، فعليها لابدّ من تقدير المفعول الثانى لـ «أسألك».

وَ أَسْأَلُكَ _ اللَّهُمَّ! _ بِأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ وَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُصَلِّىَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَ رَسُولِكَ وَ حَبِيبِكَ وَ صَةِ فُوتِكَ وَ خَيْرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَ عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ الْأَبْرَارِ الطَّاهِرِينَ الْأَخْيَارِ صَلَاةً لَا يَقْوَى عَلَى إِحْصَائِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَ أَنْ تُشْرِكَنَا فِي صَلَاحِ مَنْ دَعَاكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ مِنْ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ _ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ! _ ، وَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَ لَهُمْ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

«صلاة لا يقوى على إحصائها» من كثره العدد «إلا أنت».

حو قوله: «فى صالح من دعاك» إمّا على حذف المضاف إليه _ أى: فى صالح دعاء من دعاك، كما يوجد كذلك فى بعض النسخ (١)؛ يعنى: أسألك أن تشركنا فى كلّ دعاءٍ صالحٍ يدعوك به عبادك المؤمنين ، و المراد بـ «الشركه»: الإنتفاع بصالح دعائهم _ ؛ أو على حذف الموصوف _ أى: الدعاء الصالح _ ، يعنى: تشركنا معهم فى دعائهم.

و قوله _ عليه السلام _ : «و من عبادك المؤمنين» بيانٌ لـ «من دعاك».

و «ربّ العالمين» قد مرّ معناه.

و «أن تغفر لنا»، لأنّه لا بخل فى ساحه عزّه و جلاله و خزانة جوده و جماله، فسبب

ص : ٣٨٤

المغفره من جهته تأمُّ إلا أن يمنع مانع من قبلنا _ كما قيل بلسان الفارسي:

هر چه هست از قامت ناساز بی اندام ماست و رنه تشریف تو بر بالای کس کوتاه نیست(۱)

و جمله قوله _ عليه السلام _ : «إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» تعليلٌ للدعاء و مزيد استدعاءٍ للإجابة _ كما لا يخفى على ذوى البصيره _ .

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ تَعَمَّدْتُ بِحَاجَتِي، وَ بِعَمَلِكَ أَنْزَلْتَ الْيَوْمَ فَقْرِي وَ فَاقَتِي وَ مَسِيكَتِي، وَ إِنِّي بِمَغْفِرَتِكَ وَ رَحْمَتِكَ أَوْثَقُ مِنِّي بِعَمَلِي، وَ لَمَغْفِرَتِكَ وَ رَحْمَتِكَ أَوْسَعُ مِنْ ذُنُوبِي، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ، وَ تَوَلَّ قَضَاءَ كُلِّ حَاجَةٍ هِيَ لِي بِقُدْرَتِكَ عَلَيْهَا، وَ تَيْسِيرِ ذَلِكَ عَلَيْكَ، وَ بَفَقْرِي إِلَيْكَ، وَ غِنَاكَ عَنِّي، فَإِنِّي لَمْ أَصِبْ خَيْرًا قَطُّ إِلَّا مِنْكَ، وَ لَمْ يَصِيرْ عَنِّي سُوءٌ قَطُّ إِلَّا مِنْكَ، وَ لَا أَرْجُو لِأَمْرِ آخِرَتِي وَ دُنْيَايَ سِوَاكَ.

«تعمدت» أى: قصدت.

و تقديم الجارّ و المجرور فى الفقرتين للقصر.

>و «الباء» من: «بحاجتى» للملابسه؛ أى: تعمّدت ملتبساً بحاجتى؛

و من: «و بك أنزلت» إمّا بمعنى: على _ أى: و عليك أنزلت _ ، أو للإلصاق _ مثلها فى: بك مررت؛ و: بك حللت من قولهم: نزل عليه ضيفٌ، و: نزل به ضيفٌ: إذا نزل عنده _ ، فيكون «أنزلته بك» بمعنى: جعلته نازلاً عندك؛ قال الزمخشريّ فى الأساس: «و من المجاز: ... أنزلت حاجتى على كريم»(۲)(۳) <.

ص : ٣٨٥

١- ١. راجع: «ديوان حافظ» ص ١٤٣ الغزل ٩٣ البيت ٨.

٢- ٢. راجع: «أساس البلاغه» ص ٦٢٨ القائمة ٢.

٣- ٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ١٧٩.

و «الفقر» قد مرّ معناه.

و «الفاقة»: الحاجة.

حو «المسكنه»: مَفْعَلَةٌ، لَا فَعْلَلَهُ _ على الأصحّ _ ، و هي حاله المسكين. قال الطبرسي: «هي (١) مصدر المسكين» (٢)، يعني أنّها مشتقة من لفظه المسكين كما يشتق من الجمل _ نحو: البسمله من «بسم الله»، و حوقله من «لا حول و لا قوة إلا بالله» _ . و المسكنه أسوء من الفقر، لأنّ المسكين أسوء حالاً من الفقير، على أصحّ الأقوال؛ لما ورد في الصحيح عن الصادق _ عليه السلام _ في قوله _ تعالى _ : «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسَاكِينِ» (٣): «إنّ الفقير الذي لا يسأل الناس، و المسكين أجهد منه، و البائس أجهدهم» (٤)(٥).

و جملة قوله _ عليه السلام _ : «و أنّي بمغفرتك _ ... الى آخره _ » إمّا اعتراضية، أو حاليّة؛ أي: وثوقى و اعتمادى بمغفرتك و رحمتك زائد على وثوقى بعملى الذى محفوف بالشرور و الآفات و القصور.

حو «اللام» من قوله: «و لمغفرتك» للإبتداء، و فائدتها تحقيق مضمون الجملة و تأكيده.

و «أوسع» أي: أكثر (٦)، لأنّ رحمتك غير متناهية و ذنوبى و لو كانت عظيمة متناهية.

و «تولّى» الأمر: قام به؛ أي: قم بقضاء كلّ حاجه هي لى.

و «الباء» من قوله _ عليه السلام _ : «بقدرتك» للسببية.

و «التيسير» قيل: «أنّه جاء لازماً»؛ أي: قم بقضاء حاجتى بواسطه انّ قضاء جميع الحوائج عليك سهل يسير، و بواسطه احتياجى إليك «و غناك عنى».

و «الفاء» من قوله: «فإنّى» للتعليل.

ص : ٣٨٦

١- ١. المجمع: _ هي.

٢- ٢. راجع: «مجمع البيان» ج ١ ص ٢٣٥.

٣- ٣. كريمه ٦٠ التوبه.

٤- ٤. راجع: «الكافي» ج ٣ ص ٥٠١ الحديث ١٦، «التهذيب» ج ٤ ص ١٠٤ الحديث ٣١، «وسائل الشيعة» ج ٩ ص ٢١٠ الحديث ١١٨٥٨، «عوالى اللثالى» ج ٣ ص ١٢٠ الحديث ٢٦.

٥- ٥. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ١٧٩.

٦- ٦. قارن: نفس المصدر و المجلّد ص ١٨٠.

و «قَطَّ» _ بفتح القاف و ضمّ الطاء المشدّده على أفصح اللغات _ : ظرفٌ مبنئٌ موضوعٌ لاستغراق جميع ما مضى من الأزمنة الماضية.

و قوله _ عليه السلام _ : «إلا منك» استثناءٌ مفرغٌ؛ و الظرف مستقرٌّ متعلّقٌ بمحذوفٍ حالٌ من «الخير»؛ و التقدير: لم أصب خيراً في حالٍ من الأحوال إلا حالكونه منك _ أى: إصابه الخير منحصره فيك _ .

اللَّهُمَّ مَنْ تَهَيَّأَ وَ تَعَبَّأَ وَ أَعَدَّ وَ اسْتَعَدَّ لَوْفَادِهِ إِلَى مَخْلُوقٍ رَحِيَاءٍ رَفِدِهِ وَ نَوَافِلِهِ وَ طَلَبَ نَيْلِهِ وَ جَائِزَتِهِ، فَإِلَيْكَ _ يَا مَوْلَايَ! _ كَانَتْ الْيَوْمَ تَهَيَّئَتِي وَ تَعَبَّيْتُ وَ إِعْدَادِي وَ اسْتِعْدَادِي رَحِيَاءَ عَفْوِكَ وَ رَفْدِكَ وَ طَلَبَ نَيْلِكَ وَ جَائِزَتِكَ. اللَّهُمَّ فَصِّلْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ، وَ لَا تَحْبِيبِ الْيَوْمَ ذَلِكَ مِنْ رَحَائِي، يَا مَنْ لَا يُخْفِيهِ سَائِلٌ وَ لَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ، فَإِنِّي لَمْ آتِكَ نَفَقَةً مِنِّي بِعَمَلٍ صَالِحٍ قَدَّمْتُه، وَ لَا شَفَاعَةٍ مَخْلُوقٍ رَجَوْتُهُ إِلَّا شَفَاعَةَ مُحَمَّدٍ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ _ عَلَيْهِ وَ عَلَيْهِمْ سَلَامُكَ _ .

«تهَيَّأَ» من: التهيئه بمعنى: الاستعداد.

و جزاء «مَنْ» محذوفٌ، و هي مع إخوانها الثلاثة متقاربهٌ في المعنى.

و «تَعَبَّأَ» بمعنى: تهيَّأ، >فهو من باب عطف الشيء على مرادفه لغرض التأكيد _ لأنّ ذكر الشيء مرّتين يفيد تأكيده _ <(1) .

«لوفاده» أى: لورودٍ و قدومٍ؛ و قد مرّ غير مرّه.

و «رجاء رفته» منصوبٌ على المفعول لأجله معمولٌ للـ «وفاده»؛ أى: لأجل رجاء رفته.

>و «الرّفْد» _ بالكسر _ : العطيه و المعونه.

ص : ٣٨٧

و «الفاء» من قوله _ عليه السلام _ : «فإليك» رابطة لشبه الجواب بشبه الشرط، فإنَّ المبتدأ _ الّذى هو «مَنْ» الموصولة _ كالشرط فى كون مضمونه لازماً (١) لمذكور، و تقديم الظرف لإفاده الاختصاص (٢) <.

«لا يحفيه سائل» أى: لا يستقصيه فى السؤال؛ من: الحفاوه بمعنى: المبالغة و الإستقصاء فى الشئ (٣)، > إذ كلّ ما سأله شيئاً فما بقى عنده فهو أكثر منه بكثير، بل لانسبه بينهما لنهايه أحدهما و لانهايه الآخر! (٤) <.

و «لا ينقصه نائل» أى: إعطاؤه و إن كان كثيراً خطيراً، و هى عطف تفسير للأولى.

و «النائل»: العطاء.

و تنكير «السائل» و «النائل» لإفاده الاستغراق _ أى: كلّ سائل و كلّ نائل _ ، لأنّ النكره فى سياق النفى يفيد الاستغراق. و فى نسخه: «لا يحفيه» (٥) من: الإحافه بمعنى: الحمل على الميل و الجور. و قيل: «لا يحفيه أى: لا يمنع»؛

و هو خطأ!.

قوله: «فإنى لم آتك ثقةً منى» للتعليل.

و «ثقة» يحتمل النصب على المصدرية؛ أو الحالية؛ أو المفعول لأجله _ أى: أثق ثقة؛ أو: آتياً ثقة؛ أو: واثقاً؛ أو للثقة. و لكن عطف «شفاعه» عليها يعين الثالث، لوجوب مشاركته المعطوف و المعطوف عليه فى الجهة الّتى انتسب بها المعطوف عليه إلى عامله _ ككونه فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه _ ، و نصب «شفاعه» هنا لا يحتمل سوى المفعوليه لأجله _ أى: و لالشفاعه مخلوق _ ، فتعين كون «ثقة» مفعولاً لأجله للعلّه المذكوره.

و قوله _ عليه السلام _ : «إلا شفاعة محمدٍ استثناءً متّصلٌ».

ص : ٣٨٨

١- ١. المصدر: ملزوماً.

٢- ٢. راجع: نفس المصدر و المجلّد ص ١٨٤.

٣- ٣. و انظر: «شرح الصحيفة» ص ٤٢٢.

٤- ٤. قارن: «التعليقات» ص ٩٨.

٥- ٥. و هذا نسخه الشهيد كما حكاه المحقّق الداماد، راجع: «شرح الصحيفة» ص ٤٢٢.

و «أهل بيت محمّد» _ صَلَّى الله عليه وآله و سلّم _ عندنا _ : معشر الإماميّة _ : عليّ و فاطمه و الحسنان؛ و يطلق تغليباً على باقى الأئمّه _ عليهم السلام _ . و قال جمهور العامّة: نساؤه من أهل بيته. و قد وقفت على حديث رواه الحافظ السيوطيّ الشافعيّ فى الجامع الصغير (١) عن ابن عساكر عن واثله، و هو نصّ على مذهب الإماميّة من أنّ نساءه _ صَلَّى الله عليه وآله و سلّم _ لسن من أهل بيته، و هو قوله _ صَلَّى الله عليه وآله و سلّم _ : «أول من يلحقنى من أهلى أنت يا فاطمه، و أول من يلحقنى من أزواجى زينب، و هى أطولكنّ كفّاً»؛ هذا نصّ الحديث و هو كما ترى صريحٌ فى المطلوب. و لم يستدلّ بهذا الحديث على ذلك أحد قبل هذا، فهو من خواصّ هذا الكتاب (٢)؛ هكذا ذكره الفاضل الشارح.

أقول: قد روى مسلم (٣) فى صحيحه فى مسند عائشه أنّها روت عن النّبى _ صَلَّى الله عليه وآله و سلّم _ : «أنّه لما نزلت آيه: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» (٤) جمع عليّاً و فاطمه و الحسن و الحسين _ عليهم السلام _ فقال: «هؤلاء أهل بيتى»؛ انتهى.

و قد روى فى صحاحهم بطرق متعدّده أنّ نبيهم _ صَلَّى الله عليه وآله و سلّم _ باهل بهؤلاء الأربعة نصارى نجران (٥)، و جمعهم تحت الكساء و قال: «هؤلاء أهل بيتى» (٦)؛ و اجتهد

ص : ٣٨٩

-
- ١- ١. راجع: «فيض القدير فى شرح الجامع الصغير» ج ٣ ص ٩١.
 - ٢- ٢. راجع: «رياض السالكين» ج ٧ ص ١٨٥.
 - ٣- ٣. لم أعثر عليه فيه، و انظر: «صحيح مسلم» ج ٤ ص ٢٢٦٤ الحديث ٢٤٠٤.
 - ٤- ٤. كريمه ٣٣ الأحزاب.
 - ٥- ٥. لتفصيل حكاية المباهله راجع: «بحار الأنوار» ج ٢١ ص ٣٢٠، «الإقبال» ص ٥١١، و انظر: «تحفه الأخوذى» ج ٨ ص ٢٧٩، «تفسير القرطبي» ج ٤ ص ١٠٤، «تفسير الطبري» ج ٣ ص ١٠٦، «تفسير ابن كثير» ج ١ ص ٣٦٩.
 - ٦- ٦. راجع: «الكافي» ج ١ ص ٢٨٦ الحديث ١، «مستدرک الوسائل» ج ١ ص ٤٦٠ الحديث ١١٦٠، «بحار الأنوار» ج ٢٣ ص ١٥٧، «تفسير فرائد الكوفى» ص ٣٣٢ الحديث ٤٥١، «التحسين» ص ٦٣٤.

فى النصّ عليهم و الوصيه بهم.

و لا يخفى أنّ ما ذكر نصّ على إطلاق «أهل البيت» على هؤلاء الأربعة.

أَتَيْتُكَ مُقَرَّراً بِالْجُزْمِ وَالْأَسِيَاءِ إِلَى نَفْسِي، أَتَيْتُكَ أَرْجُو عَظِيمَ عَفْوِكَ الَّذِي عَفَوْتَ بِهِ عَنِ الْخَاطِئِينَ، ثُمَّ لَمْ يَمْنَعْكَ طُولُ عُكُوفِهِمْ عَلَى عَظِيمِ الْجُزْمِ أَنْ عُذْتُ عَلَيْهِمْ بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ. فَيَا مَنْ رَحْمَتُهُ وَاسِعَةٌ، وَ عَفْوُهُ عَظِيمٌ، يَا عَظِيمُ يَا كَرِيمُ يَا كَرِيمُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ وَ عُدْ عَلَى بَرَحْمَتِكَ وَ تَعَطَّفْ عَلَى بِفَضْلِكَ وَ تَوَسَّعْ عَلَى بِمَغْفِرَتِكَ.

«مقرراً بالجرم ... إلى آخره _» أى: أتيتك معترفاً بالذنب و اكتساب الإثم، فإنّ الإقرار و الاعتراف بالذنب موجبٌ للعفو _ كما روى عن أبيجعفر عليه السلام قال: «و الله ما ينجو من الذنب إلّا من أقرّ به» (١). و هى جملة استينافية مبينة لكيفيته إتيانه، لا لأجل ثقته بعملٍ صالح؛ كأنه سئل: إذا لم تأت ثقه بعملٍ صالحٍ قدّمته فكيف أتيت؟

فقال: أتيتك _ ... إلى آخره _.

و اعلم! أنّ الإقرار بالجرم و الإساءة بحسب الأشخاص متفاوتة، ففى غير المعصوم من حيث اقرار الخطيئة، و هو ظاهر؛ و أمّا فى المعصوم فباعتبار ما يعده ذنباً _ من قبيل: «حسنات الأبرار سيئات المقربين» (٢) _، أو باعتبار ذنب الوجود _ من قبيل:

وَجُودُكَ ذَنْبٌ لَا يُقَاسُ بِهِ ذَنْبٌ (٣) _

ص : ٣٩٠

-
- ١- ١. راجع: «الكافي» ج ٢ ص ٤٢٦ الحديث ١، «وسائل الشيعة» ج ١٦ ص ٥٨ الحديث ٢٠٩٧٤، «مستدرک الوسائل» ج ١٢ ص ١١٦ الحديث ١٣٦٦٩، «الزهد» ص ٧٢ الحديث ١٩٣.
 - ٢- ٢. انظر: «الفتوحات المكيّة» ج ٢ ص ١٣٦.
 - ٣- ٣. راجع: «وفيات الأعيان» ج ١ ص ٣٧٤، «مصباح الأنس» ص ٦٩٣، «الراح القراح» ص ٧٤.

و جمله: «أَتَيْتَكَ أَرْجُو عَظِيمَ عَفْوِكَ ... إِلَى آخِرِهِ» إِمَّا اسْتِيفَانِيَّةٌ مَبْنِيَّةٌ كَالأُولَى؛ أَوْ بَدَلٌ مِنْهَا.

و جمله «أَرْجُو» فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى الْحَالِيَّةِ مِنْ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ.

و إِضَافَةُ «عَظِيمٍ» إِلَى «الْعَفْوِ» مِنْ قَبِيلِ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ؛ أَيْ: جِئْتُكَ حَالِكُونِي رَاجِيًا عَفْوَكَ الْعَظِيمَ. وَ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى >أَنَّ عَظِيمَ الْعَفْوِ لَا يَرْجَى إِلَّا لِعَظِيمِ الْجُرْمِ!.

و «الْبَاءُ» مِنْ قَوْلِهِ: «بِهِ» إِمَّا لِلْمَلَابَسَةِ؛ أَوْ لِلْسَبَبِيَّةِ.

و «ثُمَّ» هُنَا لِاسْتِبْعَادِ مَضْمُونٍ مَابَعْدَهَا عَنْ مَضْمُونٍ مَاقَبْلَهَا، فَإِنَّ عَدَمَ مَنَعَ طَوْلَ عَكُوفِ الْخَاطِئِينَ عَلَى عَظِيمِ الْجُرْمِ لَهُ — تَعَالَى — مِنْ عَوْدِهِ — تَعَالَى — عَلَيْهِمْ بِالرَّحْمَةِ مُسْتَبَعْدٌ مِنَ الْعَفْوِ عَنْهُمْ، بِشَهَادَةِ الْبَدِيهِهِ.

و «الْعَكُوفُ»: الْإِقْبَالُ عَلَى الشَّيْءِ وَ مَلَاظِمَتُهُ (١)، وَ مِنْهُ قَوْلُهُ — تَعَالَى —: «يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ» (٢).

و قَوْلُهُ — عَلَيْهِ السَّلَامُ —: «أَنْ عَدْتَ» مَنْصُوبٌ بِنَزْعِ الْخَافِضِ، وَ التَّقْدِيرُ: مَنْ أَنْ عَدْتَ؛ لِأَنَّ حَذْفَ الْخَافِضِ مَطْرُودٌ مَعَ «أَنْ» الْمَشْدُودَةِ وَ الْمَخْفُفَةِ — وَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ» (٣)، أَيْ: مَنْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ —.

و «الْفَاءُ» مِنْ قَوْلِهِ — عَلَيْهِ السَّلَامُ —: «فِيَا مَنْ» لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَرْتِيبِ مَضْمُونِ الْجُمْلَةِ الَّتِي بَعْدَهَا عَلَى الْجُمْلَةِ قَبْلَهَا، وَ التَّكَرُّارِ فِي الدُّعَاءِ لِمَزِيدِ الْإِلْحَاحِ.

و «عُدَّ» — وَ مَا عَطَفَ عَلَيْهِ —: صِيغَةُ الْأَمْرِ.

اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا الْمَقَامَ لِخُلَفَائِكَ وَ أَصْفِيَائِكَ وَ مَوَاضِعِ أُمْنَائِكَ فِي الدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ الَّتِي اخْتَصَصْتَهُمْ بِهَا قَدْ ابْتَرُوهَا، وَ أَنْتَ الْمُقَدَّرُ لِذَلِكَ، لَا يَغَالِبُ

ص : ٣٩١

١-١. قَارَنَ: «رِيَاضُ السَّالِكِينَ» ج ٧ ص ١٨٨.

٢-٢. كَرِيمُهُ ١٣٨ الْأَعْرَافِ.

٣-٣. كَرِيمُهُ ٥٤ التَّوْبَةِ.

أَمْرُكَ، وَ لَا يُجَاوِزُ الْمُخْتَوِّمُ مِنْ تَدْيِيرِكَ كَيْفَ شِئْتَ وَ أَنَّى شِئْتَ.

الظاهر أنَّ المراد من «المقام»: الإمامه و الخلافة؛ و قيل: «مقام صلاه الجمعة، أو العيد». و يؤيده ما رواه في التهذيب (١) بسنده عن عبد الله بن دينار عن أبي جعفر _ عليه السلام _ قال: قال: «يا عبدالله! ما من عيدٍ للمسلمين _ أضحى و لا فطر _ إلَّا و هو يجدد لآل محمّد فيه حزنًا!

قلت: و لم ذاك؟

قال: لأنهم يرون حقّهم في يد غيرهم».

و «الخلفاء»: جمع خليفه، و قد مرّ معناه. و هو فعيلٌ بمعنى: فاعلٍ. و «الهاء» للمبالغه؛ و قيل: «بمعنى: مفعولٍ، لأنّ الله جعله خليفه». قال الطبرسي: «الخليفة و الإمام واحدٌ (٢)، إلّا أنَّ بينهما فرقاً، فالخليفة من استخلف في الأمر مكان من كان قبله، فهو مأخوذٌ من أنّه خلف غيره و قام مقامه؛ و الإمام مأخوذٌ من التقدّم، فهو المتقدّم فيما يقضى و جوب الإقتداء به و فرض طاعته فيما تقدّم فيه» (٣)؛ انتهى.

و جمع الخليفه على «خلفاء» _ مع أنَّ الفعل بهاء لا تجمع على فعلاء _ باعتبار الأصل، و هو خليفٌ _ كشریف و شرفاء _؛ قال الجوهري: «قالوا (٤): خلفاء، من أجل أنّه لا يقع إلّا على مذكّر، و فيه الهاء، جمعه على اسقاط الهاء، مثل ظريف و ظرفاء» (٥).

و قد استدلّ بعضهم على اختصاص هاتين الصلاتين بحضورهم _ عليهم السلام _؛

و هو كما ترى!، فإنّ الظاهر من «المتبرّزين»: المخالفون، لا المخلصون من الشيعة، فإنّهم

ص : ٣٩٢

١- ١. راجع _ مع تغييراتٍ _ : «التهذيب» ج ٣ ص ٢٨٩ الحديث ٢٦، و أشبه منه به ما في «الفقيه» ج ١ ص ٥١١ الحديث ١٤٨٠، «بحار الأنوار» ج ٨٨ ص ١٣٥، «الإقبال» ص ٢٧٩.

٢- ٢. المصدر: + في الإستعمال.

٣- ٣. راجع: «مجمع البيان» ج ١ ص ١٤٦.

٤- ٤. المصدر: + أيضاً.

٥- ٥. راجع: «صاحح اللغة» ج ٤ ص ١٣٥٦ القائمة ٢.

مأذونون بالإذن و الرخصة العامه (١)، فلا ينافي الإختصاص.

و «لخلفائك» مفعول «المقام».

و «المواضع» مضبوط بالنصب على النسخ المشهوره؛ و على نسخه قديمه بالرفع. فالنصب على أنه عطف على اسم «ان» _ و هو المقام، و خبره قوله عليه السلام: «قد ابتزوها» (٢)؛ و التقدير: ان مواضع أمناك قد ابتزوها _؛ و الرفع على أنه مبتدئ، و جمله «قد ابتزوها» الخبر؛ و الجملتان متعاطفتان؛ أو على أنه عطف على خبر «ان» و هو متعلق الظرف من قوله: «لخلفائك»، و التقدير: ان هذا المقام كائن لخلفائك و أصفياكك و مواضع أمناك.

و «فى الدرجة» متعلق بـ «مواضع».

و قوله _ عليه السلام _ : «قد ابتزوها» بصيغه المعلوم على النسخ المشهوره؛ و ضميره إما راجع إلى «المواضع»، أو إلى «الدرجة»، أو للـ «مقام» لاكتسابه التأنيث من «الدرجة». و فى نسخه ابن ادريس بصيغه المجهول (٣)؛ قيل: «فحيثُها» يكون حرف >تنبيه أو كلمه دعوه، لا ضمير تأنيث (٤).

و الظاهر ان هذا مبنئ على توهمه: ان «ابتز» لا يتعدى إلى مفعولين، و قد غفل عن أن ابتز على هذا بمعنى: سلب، و سلب يتعدى إلى مفعولين؛ كما قال أبوالبقاء فى قوله _ تعالى _ : «وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ» (٥): «يسلبهم يعدى (٦) إلى مفعولين، و «شئاً» هو الثانى (٧). و من الشواهد قول أبىداود بن حرير (٨):

ص : ٣٩٣

- ١- ١. و انظر: «التعليقات» ص ٩٨.
- ٢- ٢. و انظر: «شرح الصحيفة» ص ٤٢٣.
- ٣- ٣. كما حكاها العلامة المدنى، راجع: «رياض السالكين» ج ٧ ص ١٩٤.
- ٤- ٤. هذا قول العلامة الفيض، راجع: «التعليقات» ص ٩٩.
- ٥- ٥. كريمه ٧٣ الحج.
- ٦- ٦. التبيان: يتعدى.
- ٧- ٧. راجع: «التبيان فى إعراب القرآن» ج ٢ ص ١٤٧.
- ٨- ٨. كذا فى النسختين و «الرياض»، و الصحيح: أبىداود بن جرير.

الجُودُ أَحْسَنُ مَسًّا يَا بَنِي مَطَرٍ مِنْ أَنْ تَبَرَّكُمُوهُ كَفَّ مُسْتَلَبٌ (١)

أى: تبرّككم الأموال و تسلبكموها (٢)؛ و أيضاً: لا يؤتى بعد حرف التنبيه «واو» العطف أو الحال.

قوله _ عليه السلام _ : «و أنت المقدّر لذلك _ ... إلى آخره _ » أى: و الحال أنّك أنت المقدّر لذلك؛ يعنى: ما هذا التعدى و الابتزاز إلاّ بتقدير ك و مشيتك، و لو شئت خلافه لم يقدر أحدٌ على خلافك. و ذلك لما قد حقّقناه لك مراراً من أنّ كلّ ما وقع أو سيقع فى العالم _ سواءً كان من الخيرات أو من الشرور _ فالجميع بمشيئه الله و إرادته غير خارجٍ عن قضائه و قدره، لكن الخيرات كلّها مقضيّة منه مرضيّة عنه _ تعالى _ و الشرور كلّها مقضيّة غير مرضيّة عنده، و إنّما دخل فى قضائه و قدره بالعرض، لا بالقصد الأوّل لكونها لازمة للخيرات الكثيره؛ فالخير برضائه، و الشرّ بقضائه؛

و من أنّ لله _ تعالى _ مشيتين: ثابتة و متجدّدة على وزان علمه بالأشياء، فكما أنّ له _ تعالى _ علماً أزليّاً محيطاً بالأشياء هو من صفاته الكماليّة أو ما يلزمه ذاته من قضائه الأزليّ، و له أيضاً علمٌ آخر تفصيليّ متجدّدة فى الواقع قدرىّ قابلٌ للنسخ و البداء؛ فذلك له مشيتان: ذاتيّة أزليّة متعلّقة بما هو الواقع _ كما عبّر عنها بمشيئه حتم، لأنّ متعلّقها واجب التحقيق _؛ و مشيّة جديدة تابعة لعلم جديد عبّر عنها بمشيئه عزم. فهى المشيّه الجزئيّة الّتى يمكن فيها الطاعة و العصيان كالعلم التجددى.

و الشاهد على ما قلت ما رواه فى الكافى (٣) عن أبي الحسن _ عليه السلام _ : «إنّ لله إرادتين و مشيتين: إرادته حتم؛ و إرادته عزم. ينهى و هو يشاء، و يأمر و هو لا يشاء. أ و ما

ص : ٣٩٤

١- ١. لم أعثر على ديوانه، و راجع: «البيان و التبيين» ج ١ ص ٣٨ _ و فيه: «... أحسن مسّاً» _ ، «الأغانى» ج ١٣ ص ١٧٥ _ و فيه: «... أحسن لمسّاً» _ .

٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ١٩٥.

٣- ٣. راجع: «الكافى» ج ١ ص ١٥١ الحديث ٤، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٤ ص ١٣٩، «التوحيد» ص ٦٤ الحديث ١٨.

رأيت أنه نهى آدم و زوجته أن يأكلا من الشجرة و شاء ذلك، و لو لم يشأ أن يأكلا لما غلبت شهوتيهما مشييه الله _ تعالى _؟!؛
و أمر إبراهيم أن يذبح إسحق و لم يشأ أن يذبحه، و لو شاء لما غلبت مشييه إبراهيم مشييه الله؟!.

فان قلت: قوله: «لما غلبت مشييه إبراهيم مشييه الله» يدلّ على أنّ إبراهيم _ عليه السلام _ لم يكن فى مقام الرضا و التسليم لأمر الله، و لسنا بمثله _ عليه السلام _ و هو خليل الرحمن!

قلت: قد حقّقنا لك فى اللمعات السابقة الفرق بين الشوق الطبيعى و الإراده الجازمه كما فى صورهِ أكل الإنسان الدواء البشع إرادۀ منه بأمر الطبيب، فلم يكن العزم من الخليل _ صلوات الله عليه _ إلاّ إتيان ما أمره الله، كما دلّ عليه قوله _ تعالى _ حكايةً عن حاله و حال ولده _ عليهما السلام _ : «قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَ تَلَّهِ لِلْجَبِينِ * وَ نَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا» (١). و أمّا محبّه الولد و شوق بقائه فذلك ممّا لا ينافى الطاعه و أمر الله؛ و قد مرّ تحقيق ذلك لك فى هذا الكتاب مراراً؛ فتذكّر!

وَلِمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ غَيْرُ مُتَّبِعُهُمْ عَلَى خَلْقِكَ وَ لَا لِرَادَّتِكَ حَتَّى عِيَادَ صِفْوَتِكَ وَ خُلَفَاؤِكَ مَغْلُوبِينَ مَقْهُورِينَ مُبْتَرِّينَ، يَرَوْنَ حُكْمَكَ مَبْدَلًا، وَ كِتَابِكَ مَبْثُودًا، وَ فَرَائِضَكَ مُحَرَّفَةً عَنْ جِهَاتٍ أَشْرَاعِكَ، وَ سِيَرَنَ نَبِيِّكَ مَبْتُورَةً. اللَّهُمَّ الْعَنُ أَعْدَاءَهُمْ مِنَ الْأَعْوَالِينَ وَ الْآخِرِينَ، وَ مَنْ رَضِيَ بِفِعَالِهِمْ وَ أَشْيَاعِهِمْ وَ أَتْبَاعَهُمْ.

و «لما أنت» تعليلٌ.

و «واوه» عاطفَةٌ؛ و التقدير: و أنت المقدر لذلك، لأنك لا تسئل و تفعل ماتشاء، و لأنك

ص : ٣٩٥

أنت أعلم بها منا.

قوله: «غير متهم». «الغير» هنا للنفي المجرد كـ «لا»، و لذلك تصلح موضعها؛ أي: لا متهم. و هو على النسخ المشهوره بالرفع على خبريه لمبتدئ محذوف _ أي: أنت غير متهم _ ، و على نسخه ابن إدريس و غيرها بالنصب على أنه حال من الضمير المستتر في قوله: «و أنت المقدّر لذلك» _ أي: أنت الذي قدرته حالكونك غير متهم _ .

«على خلقك و لا لإرادتك» أي: غير مضمون بك ظلم فيما بسطت أيدي الأشرار على غصب مقام الأبرار و الأصفياء «حتى صار صفوتك و خلفاؤك مغلوبين مقهورين مبتزين».

فـ «حتى» هنا للغايه بمعنى: «إلى»، أي: إلى أن صار _ ... إلى آخره _ .

و قوله _ عليه السلام _ : «يرون حكمك مبدلاً و كتابك منبذاً _ ... إلى آخره _ » أي: يرى الصفوه و الخلفاء حكمك مبدلاً غير معمول به، فالجمله مستأنفة لامحلّ لها من الإعراب مقرّرة لمضمون ما قبلها. و قيل: «جواباً عن سؤالٍ مقدّر نشأ من الكلام، كأنه قيل: كيف حالهم في تضاعيف تلك الشده و صيرورتهم مغلوبين مقهورين؟».

<و «النبد»: القاء الشيء و طرحه لقله الإعتداد به _ قال تعالى: «فَتَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ» (١) _ أي: طرحوه لقله اعتدادهم به _ (٢) > . و هو كناية عن عدم العمل به.

و «الأشراع»: جمع شرع، و هو في الأصل مصدر: شرعت له طريقاً أي: نهجت له، ثم جعل اسماً للطريق الواضح، ثم استعير للدين. <و في نسخه قديمه: «عن جهات شرائعك»، و هي أحسن، فإن جمع الشرع على «أشراع» لم يسمع في غير هذه الروايه (٣) >؛ و المعنى: و يرون فرائضك عن جهاتها محرّفه مغیره، قال _ تعالى _ : «يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ» (٤) _ أي: يزيلون كلام الله عن مواضعه التي وضعه الله _ تعالى _ فيها، إمّا لفظاً بإهماله أو تغيير

ص : ٣٩٦

١- ١. كريمه ١٨٧ آل عمران.

٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٢٠٣.

٣- ٣. قارن: نفس المصدر و المجلّد ص ٢٠٤.

٤- ٤. كريمه ٤ النساء / ١٣ المائدة.

وضعه؛ وإما معنًى بحمله على غير المراد و صرفه عن المعنى الذى أنزله الله _ تعالى _ إلى ما لاصحّه له.

و «السنن»: جمع سنّه، و هى فى اللغة: طريقه مرضيه؛ و فى اصطلاح الشرع: هى الطريقه المسلوكه فى الدين من غير افتراضٍ و لا وجوبٍ؛ و قيل: «سنّه النبى _ صلى الله عليه و آله و سلم _ هى طريقته قولاً أو فعلاً، أصالة أو نيابة». و قد تقدّم الكلام عليها؛ فتذكّر!.

و «ترك سنّه» _ صلى الله عليه و آله و سلم _ : إما رفضها و إطراحها _ لأنّ «الترك»: الرفض _ ؛ أو تغيير وضعها و مخالفتها. و كلاهما وقع _ كما لا يخفى على من تتبع _ .

و هذا الكلام منه _ عليه السلام _ يدلّ على كفرهم و نفاقهم و شقاقهم _ لعنهم الله تعالى! _ . و قد شهدوا به على أنفسهم و روه فى صحاحهم (١)؛ فمنها ما روى من كتاب الجمع بين الصحيحين (٢) فى الحديث الثامن و العشرين من المتفق عليه عن سهل بن سعد أنّه قال: سمعت رسول الله _ صلى الله عليه و آله و سلم _ أنّه قال: «إنّى لأرد قبلكم على الحوض، الذى هو حوض من ورد عليه و شرب منه جرعه لم يصر عطشاً قطّ، و بعدى ليردّ على من أقوامى الذين أنا أعرفهم و هم يعرفونى، ثمّ يحال بينى و بينهم فيمنعونهم منى، فقلت هؤلاء منى!

فيقال: أنّك لا تدرى ما أحدثوا بعدك!

فأقول: سحقاً لمن بدّل بعدى و غير!.

و أيضاً فى الجمع بين الصحيحين (٣) فى الحديث السّتين من المتفق عليه من مسند عبد الله

ص : ٣٩٧

١ - ١. راجع: «صحيح مسلم» ج ٤ ص ١٧٩٣ الحديث ٢٢٩٠، «صحيح البخارى» ج ٦ ص ٢٥٨٧ الحديث ٦٦٤٣، «مسند أحمد» ج

٣ ص ٢٨ الحديث ١١٢٣٦، «مسند الرويانى» ج ٢ ص ١٩٢ الحديث ١٠٢٢.

٢ - ٢. لم أعثر على هذا الكتاب، و انظر إلى التعليقه السالفه.

٣ - ٣. قلت فى التعليقه السالفه أنّى لم أعثر على هذا الكتاب، و انظر: «مسند عمر بن الخطّاب» ج ١ ص ٨٦، «مسند الطيالسى» ج

١ ص ٣٤٣ الحديث ٢٦٣٨، «المعجم الكبير» ج ١٧ ص ٢٠١ الحديث ٥٣٨، «فتح البارى» ج ١١ ص ٣٨٥، «التمهيد» ج ٢ ص

٣٠٨.

بن عباس قال: انّ النبيّ _ صَلَّى الله عليه و آله و سلّم _ قال: «ألا! و أنّه سيّجاء برجالٍ من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا ربّ أصحابي! _ و في روايه: أصحابي! أصحابي! _ ،

فيقول: أنّك لاتدرى ما أحدثوا بعدك!

فأقول كما قال العبد الصالح: «و كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ» (١) _ ... إلى قوله _ : «العزيرُ الحَكِيمُ» (٢)، فيقال لى: أنّهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم».

و أيضاً: في الجمع بين الصحيحين (٣) ما رواه الحميدى في مسند أبيالدرداء في الحديث الأوّل من صحيح البخارى، قالت أمّ الدرداء: «دخل أبوالدرداء و هو مغضبٌ!، فقلت: ما أغضبك؟

فقال: و الله ما أعرف من أمر محمّد شيئاً إلاّ أنّهم يصلّون جميعاً!»؛

و روى (٤) أيضاً في الحديث الأوّل من صحيح البخارى من مسند أنس بن مالك عن الزهرى قال: «دخلت على أنس بن مالك بدمشق و هو يبكى، فقلت: ما يبكيك؟!

فقال: لا-أعرف شيئاً ممّا أدركت إلاّ هذه الصلاه، و هذه الصلاه قد ضيّعت!» _ ... إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيره التى رووها فى كتبهم فى هذا الباب.

و ظاهرٌ على العارف الفطن أنّ الإرتداد المنسوب إلى الصحابه بعد حضره رساله و التبديل و التغيّر فى الكتاب و السنّه و إحداث ما أحدثوا لا يكون إلاّ لما فعلوا مع علّى و فاطمه _ عليهما السلام _ و سائر أهل البيت _ عليهم السلام _ بلاواسطه أو بواسطه غصب

ص : ٣٩٨

١-١. كريمه ١١٧ المائده.

٢-٢. كريمه ١١٨ المائده.

٣-٣. لم أعثر على الكتاب _ كما سلف منّى فى التعليقه السالفه _ ، و لم أعثر على الحديث فى غيره من مصادر العامّه.

٤-٤. لم أعثر عليه _ كما ذكرته فى التعليقه السالفه و التى قبلها _ ، و انظر: «صحيح البخارى» ج ١ ص ١٩٨ الحديث ٥٠٧، «الأحاديث المختاره» ج ٥ ص ١٠٣ الحديث ١٧٢٤.

الحقوق و دفعهم من المراتب و المقامات التي عين الله _ تعالى _ لهم، و أخبر رسول الله _ صلى الله عليه و آله و سلم _ بها. و ذلك لأنه لما غلب على أراذل العرب و منافقيهم حبّ الرياسة و اشتعل في نفوسهم نائره الحسد و نبذوا ما أوصاهم به رسول الله _ صلى الله عليه و آله و سلم _ وراء ظهورهم، خذلوا وصيّيه و الأوصياء بعد وصيّيه، الذين كانوا هم أزمه الحقّ و السنّه و الصدق، و شجرة النبوه و موضع الرساله، و مختلف الملائكه و مهبط الوحي، و معدن العلم و منار الهدى، و الحجج على أهل الدنيا، خزائن أسرار الوحي و التنزيل و معادن جواهر العلم و التأويل، الأمناء على الحقائق و الخلفاء على الخلائق، أولى الأمر الذين أمروا بطاعتهم، و أولى الأرحام الذين أمروا بصلتهم، و ذوى القربى الذين أمروا بمودّتهم، و أهل الذكر الذين أمروا بمسألتهم، و الموالى الذين أمروا بموالاهم و متابعتهم، و أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً، و الراسخون فى العلم الذين عندهم علم القرآن كله _ تأويلاً و تفسيراً _، و ثانى الثقلين الذين من تمسك بهما نجى. و بالجملة جميع المفاسد التي وقعت فى الدين و الشريعة المحمديّه نشأ من هذا؛ كما لا يخفى على أرباب الهدى.

ثم اعلم! أنّه لما أخبر رسول الله _ صلى الله عليه و آله و سلم _ بارتداد الصحابه و ذكروا هذا أهل السنّه فى كتبهم و صحاح أحاديثهم _ كما عرفت _ و لم يستبعدوه فسترهم و إخفائهم ماسمعه عن النبى _ صلى الله عليه و آله و سلم _ من النصّ الجلىّ فى خلافه على _ عليه السلام _ بناءً على اجتهد و مصلحه ذكروا أهل السنّه فى سبب الإخفاء و الستر؛ و بناءً على ما ذكر الشيعة من حبّ الرياسة و متابعه النفس الأمّاره و الحقد و الحسد لأهل بيت الرساله، و لتكون الخلافه و الإمامه متداوله بين الناس كالرياسة و السلطنه؛ كيف يستبعد؟! _ كما لا يخفى على أهل البصيره _ .

و قد أطنبنا الكلام فى هذا المقام فى مبحث الإمامه من كتابنا الكبير المسمّى بأنوار الحقائق، من أراد الإطلاع عليه فليرجع إليه.

قوله _ عليه السلام _ : «اللهمّ العن أعداءهم من الأولين و الآخرين».

«اللّعن» فى اللغة: >الطرد و الإبعاد؛ قال الجوهريّ: «اللّعن: الطرد و الإبعاد من الخير. و اللعنه: اسمٌ (١)، و الجمع: لعانٌ و لعناتٌ» (٢)(٣) <.

و «أعداءهم» أى: أعداء الخلفاء و الأئمّه.

و «الفعّال» بفتح الفاء: مصدر فعِلَ، يقال: فعِلَ فعَلاً _ مثل ذهب ذهاباً _ ؛ و بالكسر: جمع فعل _ كشعب و شِعاب _ ؛ و بالوجهين وردت الروايه فى الدعاء؛ أى: العن من رضى بفعل الأعداء؛ أو أفعالهم. >و عن على _ عليه السلام _ : «الراضى بفعل قومٍ كالدّاخل فيه معهم، و على كلّ داخلٍ فى باطلٍ إثمَان: إثم العمل به، و إثم الرضا به» (٤).

و «الأشياع» قيل: «جمع: شيعة»؛

و قيل: «جمع: شيع، و هو جمع شيعة _ كسِتْدَرَه و سِتْدَر _ ، فهو جمع جمع». و شيعة الرجل: أولياؤه و أنصاره و من شايعه على الأمر، أى: تابعه عليه (٥) < . ف _ «أشياعهم» فى الدعاء _ بفتح العين _ مفعول «العن»؛

و «أتباعهم» عطفٌ عليه؛ أى: العن تابعى الأعداء.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، كَصَلِّمَ لَوَاتِكَ وَ بَرَكَاتِكَ وَ تَحِيَّاتِكَ عَلَى أَصْفِيائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَ عَجَلِ الْفَرَجَ وَ الرُّوحَ وَ النُّصْرَةَ وَ التَّمَكِينَ وَ التَّأْيِيدَ لَهُمْ.

«إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» جملةٌ مستأنفةٌ معترضةٌ لبيان العلّة _ أى: صلّ عليهم لأنّك حميدٌ _ .

ص : ٤٠٠

١- ١. الصحاح: الإسم.

٢- ٢. راجع: «صاح اللغة» ج ٦ ص ٢١٩٦ القائمة ١.

٣- ٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٢٠٧.

٤- ٤. راجع: «نهج البلاغه» الحكمة ١٥٤ ص ٤٩٩، و انظر: «شرح نهج البلاغه» ج ١٨ ص ٣٦٢، «غرر الحكم» ص ٣٣١ الحكمة ٧٦٣٣، «خصائص الأئمّه» ص ١٠٧، «بحار الأنوار» ج ٩٧ ص ٩٦.

٥- ٥. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٢٠٩.

قال الفاضل الشارح: «أى: فاعل ما يوجب الحمد، أو محمودٌ في كلِّ أفعالك، أو الحامد عباده على الطاعات»^(١)؛ انتهى.

و هو كما ترى!، لأنَّ من حمد المنعم لأجل إنعامه الَّذي وصل إليه فهو في الحقيقة ما حمد المنعم و إنّما حمد الإنعام!؛ فحمد الله بالحقيقة هو الَّذي لأجل ذاته بذاته، بل الحمد و الحامد و المحمود في مرتبه واحدٍ _ كما استقصينا الكلام في هذا المرام في دعاء التحميد _ . ف _ «هو _ تعالى _ حميدٌ» أى: في ذاته بذاته؛

و: «مجيدٌ» كذلك. و قيل: «مجيدٌ أى: كريمٌ، أو عزيزٌ، أو شريفٌ، أو لأنّه مجده خلقه و عظّمه».

> و الظرف من قوله _ عليه السلام _ : «كصلواتك» مستقرٌّ في محلّ نصبٍ على المفعوليه المطلقه، و الأصل: صلّ على محمّدٍ و آل محمّدٍ صلواتٍ كصلواتك، فحذف الموصوف و نابت صفته منابه^(٢)<.

قوله _ عليه السلام _ : «و عجل الفرّج _ ... إلى آخره _».

«الفرّج» _ بفتحين _ : هو ضدّ الشدّه.

> و «الروح» _ بالفتح _ : الراحه.

و «النصره» _ بالضمّ _ : اسمٌ من نصره الله على عدوّه نصرّاً أى: أعانه^(٣)< و قوّاه عليه؛ يعنى: إمداد الخلفاء و إعانتهم في إعلاء كلمه الحقّ.

و «التمكين»: مصدر مكّنته من الشئ تمكيناً: جعلت له عليه سلطاناً و قدره، قال الله _ تعالى _ : «و لقد مكّناكم في الآرضِ»^(٤) أى: أقدرناكم على التصرف فيها.

و «التأييد»: التقويه؛ أى: إقدار الخلفاء و تقويتهم على إظهار الحقّ و إجراء أحكام

ص : ٤٠١

١-١. راجع: نفس المصدر و المجلّد ص ٢١٤.

٢-٢. قارن: نفس المصدر أيضاً.

٣-٣. قارن: نفس المصدر و المجلّد أيضاً ص ٢١٦.

٤-٤. كريمه ١٠ الأعراف.

اللَّهُمَّ وَاجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ بِكَ، وَالتَّضِيدِ بِرَسُولِكَ، وَالْأَعِثَّةِ الَّذِينَ حَتَمَتْ طَاعَتَهُمْ مِمَّنْ يَجْرِي ذَلِكَ بِهِ وَ عَلَى يَدَيْهِ، آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ. اللَّهُمَّ لَيْسَ يَرُدُّ غَضَبَكَ إِلَّا حِلْمُكَ، وَلَا يَرُدُّ سَخَطَكَ إِلَّا عَفْوُكَ، وَلَا يُجِيرُ مِنْ عِقَابِكَ إِلَّا رَحْمَتُكَ، وَلَا يُنَجِّنِي مِنْكَ إِلَّا التَّضَرُّعُ إِلَيْكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَهَبْ لَنَا يَا إِلَهِي! — مِنْ لَمَدُنْكَ فَرَجًا بِالْقُدْرَةِ الَّتِي بِهَا تُحْيِي أَمْوَاتَ الْعِبَادِ، وَبِهَا تَنْشُرُ مَيِّتَ الْبِلَادِ. وَلَا تَهْلِكْنِي يَا إِلَهِي! — عَمَّا حَتَّى تَسْتَجِيبَ لِي، وَتُعَرِّفَنِي الْأَجَابَةَ فِي دُعَائِي، وَادْفِنِي طَعْمَ الْعَافِيَةِ إِلَى مُنْتَهَى أَجَلِي، وَلَا تُشِمْتُ بِي عُدُوِّي، وَلَا تُمَكِّنُهُ مِنْ عُنُقِي، وَلَا تُسَلِّطْهُ عَلَيَّ.

>«الواو» من قوله — عليه السلام — : «و اجعلني» عاطفه جملة إنشائية على مثلها.

و توسط النداء لمزيد التبتل و استدعاء الإجابة(١) <.

و «التوحيد» و «الإيمان» قد مرَّ معناهما لغةً و اصطلاحاً.

و «الأئمة»: جمع إمام؛ و أصله: أئمه — على وزن أمثله — ، فأدغمت الميم فى الميم بعد نقل حركاتها إلى الهمزة.

و «حتمت» أى: أوجبت «طاعتهم» على كلِّ أحدٍ، فحذف متعلق الفعل للتعميم و الاختصار؛ و ذلك بقوله — تعالى — : «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ»(٢). و هم الأئمة الإثنا عشر الذين صرح فى تفسير الثعلبى(٣) و غيره من كتب المخالفين بأسمائهم

ص : ٤٠٢

١- ١. قارن: نفس المصدر و المجلد أيضاً ص ٢١٧.

٢- ٢. كريمه ٥٩ النساء.

٣- ٣. لم أعر على هذا الكتاب، و الظاهر أنه طبع حديثاً لأول مرّة فى بيروت و لم يصل إلى بلادنا بعد.

الشريفه؛ أولهم عليّ و آخرهم المهديّ من ولده _ عليه و عليهم السلام؛ كما مرّ _ . فإنّ المراد من «أولى الأمر» ليس إلّا المعصومون، لأنّ الأمر بمتابعه غير المعصوم قبيح عقلاً. فبمقتضى الآيه الكريمه يجب وجود المعصوم في الأمه، و إلّا لزم الأمر باطاعه غير الموجود؛ و هو باطلٌ. و بالاتّفاق العصمه من غير عليّ و أولاده _ عليهم السلام _ منتفيه، فلا يكون المراد من أولى الأمر إلّا عليّاً و أولاده _ عليهم السلام _ ؛

و لأنّه _ تعالى _ أردف في الآيه إطاعه أولى الأمر باطاعته و إطاعه رسوله، و هو يدلّ على مزيّه أولى الأمر على سائر الناس بأمر لا يكون لهم؛ و هو ليس إلّا العصمه _ للزوم الترجيح بلامرّجّح، كما لا يخفى على أهل البصيره _ .

و قوله _ عليه السلام _ : «ممنّ يجرى ذلك به و على يديه» مجرورٌ ليكون بدل بعض من مجرور الأولى في قوله _ عليه السلام _ : «من أهل التوحيد».

و «ذلك» إشارة إلى «التوحيد» و ما عطف عليه؛ أي: إجعلني ممّن جرى ذلك الفرج أو التوحيد بنصرته و إعانته و سعيه. و في نسخه: «و ممّن يجرى» بالواو عطفاً على «من أهل التوحيد».

و «آمين»: اسم فعل بمعنى: استجب _ كما مرّ غير مرّه _ .

و «ربّ العالمين» أي: يا مالّكهم. و قد سبق مشروحاً معنى «التربيه» و «العالم».

قوله _ عليه السلام _ : «أللّهمّ ليس يردّ غضبك إلّا - حلمك»، لأنّ غضبه _ تعالى _ لا يمكن دفعه إلّا بحلمه _ سبحانه _ ، لبطلان ما سواه _ تعالى _ .

قيل: «ليس: من الأفعال الناقصه، تلازم رفع الاسم و نصب الخبر، و إذا دخلت على الجمله _ فعليّه كانت أو اسميّه _ فاسمها ضمير شأنٍ مستكنٌّ فيها؛ و خبرها الجمله بعدها _ كما في عبارته الدعاء _ ؛»

و قيل: «هي في نحو ذلك حرفٌ بمنزله «لا»، و لا عمل لها؛»

و قال الفاضل الشارح: «ليس: فعلٌ جامدٌ، و من ثمّ ادّعى قومٌ حرفيّتها. و معناها نفى مضمون الجمله في الحال؛

و قيل: «مطلقاً».

و الإستثناء فى قوله: «إلا حلمك» مفرغ؛ فـ «حلمك» فاعلٌ لفظاً و بدلٌ من الفاعل تقديرًا، إذ لابد من تقدير المستثنى منه _
أى: ليس يرد غضبك شيءٌ _ ، و قس عليه مابعده و هكذا كل استثناءٍ مفرغٍ.

و «الفاء» من قوله: «فصل» فصيحته، أى: إذا كان الأمر كذلك فصل على محمدٍ و آل محمدٍ (١).

«أموات العباد» من إضافه الصفه إلى الموصوف _ أى: العباد الأموات _ .

و «نشر» الميت نشورا: أحيى و عاش بعد الموت، يتعدى _ كما يقال: نشره الله نشرًا: أحياه _ ، و لا يتعدى؛ و يتعدى بالهمزه
أيضاً فيقال: أنشره الله إنشاراً، قال _ تعالى _ : «ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرُهُ» (٢).

و «ميت البلاد»: الخاليه عن الناس و الثمار؛ أى: و بالقدره التى تحيى البلاد الميتة بسبب إنزال المطر و هبوب الرياح المحييه. و
فى نسخه الشهيد: «ينشر» _ من باب الإفعال _ .

و «لا تهلكنى» أى: لا تميتنى.

و «غمًا» إمّا منصوبٌ على المصدرية _ أى: إهلاك غمٌ _ ؛ أو على الحاليه > من مفعول «الإهلاك» على تأويله بالوصف _ أى:
مغمومًا _ . قال ابن هشام فى التوضيح: «و قد (٣) جاءت مصادر أحوالاً بكثرة فى النكرات _ كـ: طلع بغته، و: جاء ركضاً، و:
قتلته صبراً _ ؛ و ذلك على التأويل بالوصف _ أى: مباغياً، و: راكضاً، و: محبوساً _» (٤).

و «حتى» هنا بمعنى: إلى، و المضارع بعدها منصوبٌ بـ «أن» مضمرة، و هى و الفعل فى تأويل مصدرٍ مخفوضٍ بـ «حتى» _
أى: إلى استجابتك لى _ ؛ و المعنى: امهلنى و لاتعاجلنى

ص : ٤٠٤

١- ١. راجع: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٢٢٠.

٢- ٢. كريمه ٢٢ عبس.

٣- ٣. التوضيح: _ قد.

٤- ٤. راجع: «شرح التصريح على التوضيح» ج ١ ص ٣٧٤، و القطعه الأولى هى نصّ الشيخ خالد لا ابن هشام.

بالهلاك غمًّا إلى أن تستجيب لي دعائي. و حذف المفعول للعلم به (١)، فبعد استجابه الدعاء لاغم لي.

و «أذقني طعم العافيه إلى منتهى أجلى» أى: إجعلني معافاً عن البلاء مدّه حياتي. شبّه «العافيه» بشيء ذى طعم على طريق الاستعاره بالكنايه، و أثبت لها الطعم تخيلاً، و رشح الاستعاره بالإذاقه.

و «لا تسمت بى عدوى»، لأنّ أشقّ المصائب شماته الأعداء! _ كما مرّ _ .

و «لا تمكّنه» أى: العدو.

و «العنق»: اسمٌ للعضو المخصوص، ثم عبّر به عن الجملة كما عبّر عنه بالرقبه؛ أى: لا تمكّنه منى. و إنّما أقحم العنق، لأنّ العدو إذا تمكّن منها فقد استولى عليه أعظم الإستيلاء.

إِلَهِى إِنْ رَفَعْتَنى فَمَنْ ذَا الَّذى يَضْمُنِى؟ وَ إِنْ وَضَعْتَنى فَمَنْ ذَا الَّذى يَرْفَعُنِى؟ وَ إِنْ أَكْرَمْتَنى فَمَنْ ذَا الَّذى يُهِنُنِى؟ وَ إِنْ أَهَنْتَنى فَمَنْ ذَا الَّذى يُكْرِمُنِى؟ وَ إِنْ عَذَّبْتَنى فَمَنْ ذَا الَّذى يَرْحَمُنِى؟ وَ إِنْ أَهْلَكْتَنى فَمَنْ ذَا الَّذى يَعْرِضُ لَكَ فى عَذَابِكَ؟ أَوْ يَسْأَلُكَ عَنْ أَمْرِهِ؟ وَ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ فى حُكْمِكَ ظُلْمٌ وَ لَآ فى نِقْمَتِكَ عَجَلَةٌ، وَ إِنَّمَا يَعْجِلُ مَنْ يَخَافُ الْقَوْتَ، وَ إِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى الظُّلْمِ الضَّعِيفُ، وَ قَدْ تَعَالَيْتَ _ يَا إِلَهِى! _ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

«الرفع»: مقابل الوضع بمعنى الحطّ، و هو إنزال الشيء من علوّ؛ يقال: رفعت الشيء: أعليته عن مقرّه. و أصله فى الأجسام ثم استعير فى المنزله و الرتبه _ قال الله تعالى: «وَ رَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ» (٢) _ ؛ أى: إن جعلتنى رفيعاً عزيزاً فلا يقدر أحد أن يجعلنى ذليلاً، لأنّه لاسلطان فوق سلطانك.

ص : ٤٠٥

١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٢٢٣.

٢- ٢. كريمه ٤ الشرح.

و «الإكرام»: الإعظام.

و «الإهانة»: خلافه؛ قال الله _ تعالى _ : «وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ» (١)؛ أى: ليس أحدٌ يكرمنى إن أهنتنى و بالعكس. و قس على الفقرات المذكورة مابعداها.

و «يعرض» _ بكسر الراء _ من: >عرض له فى الأمر عرضاً _ من باب ضرب (٢) _ : تعرّض له فمنعه باعتراضه أن يبلغ مراده (٣) <، يقال: عرض لى فى الطريق عارضاً أى: منعنى مانع.

و المراد بـ «السؤال» فى قوله _ عليه السلام _ : «أو يسألك عن أمره»: السؤال على طريق المناقشه و الاعتراض _ كقوله: لم أهلكته؟ و بأى جرم أخذته؟، و لم لم تعطف عليه؟، و نحو ذلك _ .

و قوله _ عليه السلام _ : «من ذا الذى» فى جميع الفقرات نظير قوله _ تعالى _ : «مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ» (٤) إستفهام إنكارى.

و «من» مرفوعه المحلّ على الإبتداء؛

و «ذا» خبرها؛

و الموصول صفته، أو بدلٌ منه. و الجملة جواب الشرط، و لذلك دخلت الفاء الجوابية عليها.

و «الواو» من قوله: «و قد علمت» إمّا للإبتدائية و الجملة مستأنفة، أو للحاليّة و الضمير فى «أنه» للشأن.

و «النِّقْمَة» _ ككلمه _ : الإنتقام _ كما مرّ غير مرّة _ .

>حو إسناد «الظلم» إلى «الحكم» و «العجلة» إلى «النقمة» من باب المجاز العقليّ، لمشابهتهما الفاعل فى الملابسه.

ص : ٤٠٦

١- ١. كريمه ١٨ الحجّ.

٢- ٢. المصدر: منع.

٣- ٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٢٢٥.

٤- ٤. كريمه ٢٥٥ البقره.

و «إنّما» لقصر الصفه على الموصوف؛ أى: لا يعجل إلا من يخاف الفوت و لا يحتاج إلى الظلم إلا الضعيف. أما الأول (١) < فلاّته لافوت منك لبقاءك و هلاك الكل؛ و أما الثانى فلاّ أن الظلم وضع الشىء فى غير موضعه، فمن كان ضعيفاً عاجزاً بعدم العلم بالموضع أو علم الموضع لكن لا يقدر على موضعه فحينئذٍ يحتاج إلى الظلم؛ فمن كان عالماً قادراً لا يتصور منه الظلم.

و قوله _ عليه السلام _ : «و قد تعاليت _ ... إلى آخره _ » أى: ارتفعت بذاتك و تنزهت بصفاتك عمّا ذكر من خوف الفوت و الإحتياج إلى الظلم.

«علوّاً كبيراً» أى: تعالياً عظيماً لا غاية وراءه!.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ، وَ لَا تَجْعَلْنِي لِلْبَلَاءِ غَرَضاً، وَ لَا لِنَقِمَتِكَ نَصِيباً، وَ مَهْلِنِي، وَ نَفْسِي، وَ أَقْلِي عَثْرَتِي، وَ لَا تَبْتَلِيَنِي بِنَبَلٍ عَلَى أَثَرِ بَلَاءٍ، فَقَدْ تَرَى ضَغْفِي وَ قَلَّةَ حِيلَتِي وَ تَضَرُّعِي إِلَيْكَ. أَعُوذُ بِكَ _ اللَّهُمَّ! _ الْيَوْمَ مِنْ غَضَبِكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ أَعِزَّنِي. وَ أَسْتَجِيرُ بِكَ الْيَوْمَ مِنْ سَيِّئِ خَطَايَايَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ أَجْزِنِي. وَ أَسْأَلُكَ أَمْنًا مِنْ عَذَابِكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ آمِنِّي. وَ أَسْتَهْدِيكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ اهْدِنِي.

«الغرض» _ بالغين المعجمه _ : الهدف الذى يرمى إليه، و المعنى: لاتجعلنى هدفاً لسهام البلاء؛ و لا يخفى ما فيه من الإستعاره. و بالغين المهمله مع فتح الراء أيضاً صحيح، أى: معرضاً، يقال: فلان فى معرض البلاء أى: فى مقام أن يعرضه بلاء.

و «النصب»: هو العلم المنسوب. و يجوز فيه التسكين و التحريك، و بالوجهين > فى

ص : ٤٠٧

قراءه غير ابن عامرٍ و حفصٍ (١) قوله _ تعالى _ : «كَانَتْهُمْ إِلَى نُصَبٍ يُوفَضُونَ» (٢)، قال الجبائى و مسلمٌ (٣): «أى: إلى علم نصب لهم يسرعون» (٤). و مع (٥) نى الدعاء<: و لاتنصبنى لنقمتك علماً فيسرع إلى و يقصدنى من كل وجه كما يقصد العلم المنسوب من كل جهه.

و «مهلى»: أمرٌ من: أمهلت إمهالاً: أنظرته و أخرت طلبه. و قد جاء مهلته تمهياً قال الله _ تعالى _ : «فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا» (٦).

و «نفسنى»: أمرٌ من: نفس له فى الأمر: وسع و فسح؛ من النفس _ بالتحريك _ بمعنى: السعه و الفسحه فى الأمر؛ أى: اكشف كرى؛ أو عطف تفسير لـ «مهلى»، أى: أنظرنى.

و «أقلنى عثرتى» أى: و اعف زلاتى.

و «لا-تبلىنى _ ... إلى آخره _ » أى: لا-تجعلنى مبتلىً ببلاءٍ عقب بلاءٍ _ أى: بالبلاء المتواتر _ ، يقال: بلاءه الله يبلوه بلاءً، و: ابتلاه يبتليه ابتلاءً: امتحنه. و >ابتلاه الله لعباده تارة يكون بالمبارٍ ليشكروا، و تارةً بالمضارٍ ليصبروا. فصارت المنحه و المحنه كلاهما بلاءً، فالمحنه مقتضية للصبر، و المنحه للشكر؛ غير أن إطلاق البلاء فى ما يدفع إليه الإنسان من شدّه و مكروهٍ أظهر معنىً و أكثر استعمالاً _ كما وقع فى عبارته الدعاء _ (٧)<.

و الظرف مستقرٌّ فى محلٍ خفضٍ صفه لـ «بلاء»، أى: ببلاءٍ كائنٍ إثر بلاءٍ.

و «الإثر»: بكسر الهمزه و سكون الثاء، و أيضاً بفتحهما، و: جئت فى أثره _ بالإعرابين _ أى: تبعته.

و «الحيله»: الحذق فى تدبير الأمور، و هو قلب الفكر حتّى يهتدى إلى المقصود. و

ص : ٤٠٨

١ - ١. النصّ المصحفّى هو «نُصِب»، و قرء بعضهم: «نَصَب»، و بعضهم: «نُصِب»؛ راجع فى ذلك: «البحر المحيط» ج ٨ ص ٣٣٦، «التيان» ج ١٠ ص ١٢٦، «التفسير الكبير» ج ٣٠ ص ١٣٣، «النشر» ج ٢ ص ٣٩١، «إتحاف الفضلاء» ص ٤٢٤.

٢ - ٢. كريمه ٤٣ المعارج.

٣ - ٣. المجمع: أبو مسلم.

٤ - ٤. راجع: «مجمع البيان» ج ١٠ ص ١٢٩.

٥ - ٥. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٢٢٧.

٦ - ٦. كريمه ١٧ الطارق.

٧ - ٧. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٢٢٨.

أصلها: حوله، قلبت «الواو» «ياءً» لانكسار ما قبلها؛ فـ «قله حيلتي» أى: قلّه تدبيري.

و «التضرّع» أى: التذلل.

و تعديته بـ «إلى» لتضمينه معنى الرغبة؛ أو الإبتهاال، أى: ابتهالى و استكانتى إلى جناب قدسك.

و «أستجير» — بصيغه المتكلم — من: استجاره: طلب منه أن يحفظه فأجاره.

«من سخطك» أى: من عذابك.

و «أجرنى» — بصيغه الأمر — أى: إذا طلبت الإلجاء إليك — محفوفاً بالصلاه على محمدٍ و آله — فأجرنى. و على هذه الوتيره الفقرات الآتية.

و «الأمن»: طمأنينه النفس و زوال الخوف.

و «الإستهداء»: طلب الهداية.

و «اهدنى» أى: إجعلنى مهدياً.

وَ اسْتَنْصِرْ رُكَّ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ انْصِرْ رُنَى. وَ اسْتَرْحِمُكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ ارْحَمْنِى. وَ اسْتَكْفِيكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ اكْفِنِى. وَ اسْتَرْزُقْكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ ارْزُقْنِى. وَ اسْتَعِينُكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ اعْنِى. وَ اسْتَعْفِرْكَ لِمَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِى، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ اغْفِرْ لى. وَ اسْتَعْصِمُكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ اعْصِمْنِى، فَإِنِّى لَنْ أَعُودَ لَشَيْءٍ كَرِهْتَهُ مِنِّى إِنْ شِئْتَ ذَلِكَ.

و «الإستنصار»: طلب النصر، و هو الإعانه على العدو الظاهريّ، أو الباطنى.

و «الإسترحام»: طلب الرحمة؛ أى: إذا طلبت منك الرحمة محفوفه بالصلاه فارحمنى.

و «الإستكفاء»: طلب الكفايه؛ أى: إذا طلبت منك كفايه مهمى فاكف مهمى.

و «الإسترزاق»: طلب الرزق؛ و قد مرّ معنى «الرزق».

و «استعينك» على كلّ أمرٍ يستعان عليه.

و «أَعْنَى» من: الإِيعَانَة.

و «الإِستِغْفَار»: طلب المغفرة.

و «الإِستِعْصَام»: طلب العصمة، و هى لغة: المنع، و اصطلاحاً قيل: <«هى ملكه اجتناب المعاصى مع التمكن منها»(١)>؛

و قيل: «فيضُ إلهي يقوى به العبد على تجنّب الشر»؛

و قيل: «ملكه تمنع الفجور و يحصل بها العلم بمثالب المعاصى و مناقب الطاعات».

و تصدير الجملة بحرف التأكيد(٢) < للإشعار بأنه ممّا يجب أن يبالغ فى تأكيده و تحقيقه. قال الفاضل الشارح: «للإيدان بأنّ

مضمونها عن جدّ لاهزل، و عن صدق عزيزه و صميم قلب»(٣)؛

و هو كما ترى!، لمكان عصمته _ عليه السلام _ .

حو «لن» حرف نصبٍ و نفىٍ و استقبالٍ، و النفى بها أبلغ من النفى بـ «لا» حتّى قال بعضهم: «انّ منعه مكابرة!»، فهى لنفى أنى

أفعل، لا- لنفى أفعل. و ادّعى الزمخشريّ فى أنموذجه(٤) أنّها لتأييد النفى _ كقوله تعالى: «وَلَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً»(٥)، و «لَنْ

تَفْعَلُوا»(٦) _ ، و وافقه على ذلك ابن عطية.

و «اللام» من قوله _ عليه السلام _ : «لشئٍ كرهته منى» بمعنى: إلى _ كقوله تعالى: «وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ»(٧)(٨) < _ .

و الجملة فى محلّ خفضٍ صفه لـ «شئٍ».

ص : ٤١٠

١- ١. للتفصيل فى هذا الشأن راجع: «كشف المراد» ص ٢٨٧، و انظر أيضاً: «أوائل المقالات» ص ١٢٢.

٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٢٣٢.

٣- ٣. راجع: نفس المصدر.

٤- ٤. قال: «و «لن» نظيره «لا» فى نفى المستقبل و لكن على التأكيد»؛ راجع: «حدائق الدقائق فى شرح الأنموذج» ص ٤١٦، و

انظر: «مغنى اللبيب» ج ١ ص ٣٧٤.

٥- ٥. كريمه ٧٣ الحجّ.

٦- ٦. كريمه ٢٤ البقره.

٧- ٧. كريمه ٢٨ الأنعام.

٨- ٨. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٢٣٢.

و «إن شئت ذلك» فى محل نصب على الحالیه.

و جواب الشرط محذوف لدلاله ما قبله عليه، أى: إن شئت عدم عودى فلا أعود؛ لما قد عرفت سابقاً من أن التخلّف عن المشيّه الحتميّه محالٌّ!

يَا رَبِّ! يَا رَبِّ! يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاسْتَجِبْ لِي جَمِيعَ مَا سَأَلْتُكَ وَطَلَبْتُ إِلَيْكَ وَرَغِبْتُ فِيهِ إِلَيْكَ، وَارِدُهُ وَقَدَّرُهُ وَأَقْضِهِ وَأَمْضِهِ، وَخِزْ لِي فِيمَا تَقْضِي مِنْهُ، وَبَارِكْ لِي فِي ذَلِكَ، وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ بِهِ، وَأَسْأَلُكَ بِمَا تُعْطِينِي مِنْهُ، وَزِدْنِي مِنْ فَضْلِكَ وَسَعِّهِ مَعِيَ عِنْدَكَ، فَإِنَّكَ وَاسِعٌ كَرِيمٌ، وَصَلِّ ذَلِكَ بِخَيْرِ الْأَخَرَةِ وَنَعِيمِهَا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

«يا رب» >أصله: يا ربّي، فحذفت الياء تخفيفاً وأبقيت الكسره دليلاً عليه.

و تكرير النداء لإبراز مزيد التضرع و الإبتهاال(1)<.

و «طلبت» عدّى بـ «إلى» لتضمّنه معنى الإبتهاال و الإلتجاء فى كلا- الموضعين؛ أى: حصّل جميع ما طلبت إليك حالكونى مبتهاً ملتجئاً إليك؛

و كذا: «رغبت».

قوله _ عليه السلام _ : «و أردّه و قدّره» أى: ما طلبت منك أرد إيجاده و «قدّره و اقضه و أمضه»، لأنّه لا يكون شىء إلا بعد علمه و مشيئته و إرادته و قضائه و تقديره و إمضائه؛ كما روى عن أهل البيت _ عليهم السلام _ : «فى جريان الحكم الإلاهى ستّه مراتب:

العلم؛

و المشيّه؛

و الإراده؛

ص : ٤١١

و القضاء؛

و القدر؛

و الإمضاء»(١).

أمّا العلم: فلاّنه المبدء الأوّل لجميع الأفعال الإختياريّه، فإنّ الفاعل المختار لا يصدر عنه فعلٌ إلّا بعد القصد و الإراده، و لا يصدر عنه القصد و الإراده إلّا بعد تصوّر ما يدعوه إلى ذلك الميل و تلك الإراده و التصديق به _ تصديقاً جازماً أو ظناً راجحاً _ . فالعلم مبدء مبادئ الأفعال الإختياريّه.

و اعلم! أنّ المراد بهذا العلم المقدمّ على المشيّه و الإراده و ما بعدهما بحسب الإعتبار أو التحقّق هو العلم الأزليّ الذاتيّ الإلهيّ أو القضائيّ المحفوظ عن التغيّر، فيبحث ما بعده؛

و أنّ كلّ ما يصدر عن فاعلٍ فإنّه:

إمّا أن يكون بالذات؛

أو بالعرض.

و مايكون بالذات:

إمّا ان يكون طبعياً؛

أو إرادياً.

و كلّ فعلٍ يصدر عن علمٍ فإنّه لا يكون بالطبع و لا بالعرض، فإذاً يكون بالإرادة؛

و كلّ فعلٍ يصدر عن فاعلٍ _ و الفاعل يعرف صدوره عنه و يعرف أنّه فاعله _ فإنّ ذلك الفعل صدر عن علمه.

و أمّا المشيّه: فالمراد بها مطلق الإراده _ سواءً بلغت حدّ العزم و الإجماع أم لا _ . و قد ينفكّ المشيّه فينا عن الإراده الجازمه _ كما نشتاق أو نشتهي شيئاً و لانعزم على فعله لمانعٍ عقليّ أو شرعيّ _ .

ص : ٤١٢

و أمّا الإرادة: فهي العزم على الفعل أو الترك بعد تصوّره و تصوّر الغايه المترتبه عليه من خيرٍ أو نفعٍ أو لذّه. و التحقيق أنّها تطلق بالإشتراك الصناعيّ على معنيين:

أحدهما: ما يفهمه الجمهور، و هو الّذى ضدّه الكراهه، و هي الّتي قد يحصل فينا عقيب تصوّر الشئ الملائم و عقيب التردّد حتّى يترجّح عندنا الأمر الداعى إلى الفعل أو الترك فيصدر منّا أحدهما. و هذا المعنى فينا من الصفات النفسانيّه، و هي و الكراهيّه فينا كالشهوه و الغضب فينا و فى الحيوان؛ و لا يجوز على الله، بل إرادته نفس صدور الأفعال الحسنه منه على جهه علمه بوجه الخير، و كراهيّه عدم صدور الفعل القبيح عنه _ لعلمه بقبحه _ ؛

و ثانيهما: كون ذاته بحيث يصدر عنه الأشياء لأجل علمه بنظام الخير فيها التابع لعلمه بذاته، لا كاتّباع الضوء للمضىء و السخونه للمسّخن _ كفعل الطبايع لا- عن علم و شعور _ ، و لا كفعل المجبورين و المسّخرين، و لا كفعل المختارين بقصدٍ أو إرادهِ زائده؛ بل هو _ سبحانه _ فاعلٌ للأشياء كلّها بإرادهِ ترجع إلى علمه بذاته المستتبّع لعلمه بغيره المقتضى لوجود غيره فى الخارج، بل غايه فعله محبّه ذاته _ كما مرّ غير مرّه _ .

و أمّا التقدير: فلأنّ الفاعل لفعلٍ جزئى من أفراد طبيعهِ واحدهٍ مشتركهٍ إذا عزم على تكوينه فى الخارج كما إذا عزم الانسان على بناء بيتٍ فى الخارج، فلا بدّ قبل الشروع أن يعيّن مكانه الّذى يبنى عليه، و زمانه الّذى يشرع فيه، و مقداره الّذى تكون عليه من كبيرٍ أو صغيرٍ أو طولٍ أو عرضٍ، و شكله و وضعه و لونه و غير ذلك من صفاته و أحواله؛ و هذه كلّها داخله فى التقدير.

و أمّا القضاء: فالمراد منه هيهنا إيجاب العمل و إقتضاء الفعل من القوّه الفاعله المباشره، فإنّ الشئ ما لم يجب لم يوجد _ كما هو مقرّر فى محلّه _ ، سواءً كان صدور الفعل باختيارٍ أو طبعٍ أو غيرهما.

و برهان ذلك مسطورٌ فى الكتب الحكميّه و بعض الكتب الكلاميّه.

و لم يخالف فى ذلك أحدٌ من العقلاء إلّا أتباع أبيالحسن الأشعرى _ : المنكرون للعلّه و المعلول _ ، و أمّا ماسوى هؤلاء فما من أحدٍ إلّا و هو قائلٌ بضربٍ من الإيجاب؛ قالوا: و

الوجوب بالإختيار لا ينافي الإختيار. وهذه القوّة الموجهة لوقوع الفعل منّا هي القوّة التي تقوم في العضله و العصب من العضو التي تقع القوّة الفاعله فيها _ قبضاً و تشنّجاً و بسطاً و إرخاءً _ أولاً، فتتبعه صورته الفعل في الخارج _ من كتابه أو بناءً أو غيرهما _ .

و الفرق بين هذا الإيجاب و بين وجود الفعل في العين كالفرق بين الميل الذي في المتحرّك و بين حركته؛ و قد ينفكّ الميل عن الحركة كما يحسّ بميل من الحجر المسكّن باليد في الهواء.

و معنى هذا الإيجاب و الميل من القوّة المحرّكه أنّه لولا هناك اتفاق مانع أو واقع من خارج لوقعت الحركة ضروره، إذ لم يبق من جانب الفاعل شيءٌ منتظرٌ؛ و كذلك الأمر في سائر القوى الفاعليه عند اقتضاءها و إيجابها الفعل. و لذلك يترتب الإثم على عازم المعصيه.

و الذي ورد من: «أنّ همّ المعصيه لا يوجب ذنباً و لا عقاباً»^(١)، محمولٌ على أنّ قصده لم يبلغ حدّ العزم و الإجماع _ كما سبق في أوائل الكتاب _ .

و بالجملة: المراد من الإيجاب الذي ذكرنا أنّه لا بدّ من تحقّقه قبل الفعل _ قبله بالذات لا بالزمان، إلّا أن يدفعه دافعٌ من خارج كما في مثال الحجر المسكّن في الهواء _ ليس المراد منه القضاء الأزلي، لأنّه نفس العلم و مرتبه العلم قبل المشيّه و الإراده و التقدير _ كما علمت _ ؛ فكيف يكون بعد هذه الأمور الثلاثه التي هي بعده؟!، فيلزم تقدّم الشيء على نفسه بأربع مراتب!.

و أمّا الإمضاء: فهو نفس الإيجاد، و هو أيضاً متقدّم على وجود الشيء في الخارج، و لهذا يعدّه أهل العلم و التحقيق من المراتب السابقه على وجود الممكن في الخارج؛ فلا يقال: أوجب _ أي: الشيء الممكن في ذاته المفتقر إلى العلّه، لإمكانه الذاتيّ _ بإيجاب العلّه له فوجب إيجابها له، فأوجد بإيجادها إتياء فوجد من ذلك الإيجاد؛ بل يقال هكذا: أمكن، فاحتاج، فأوجب، فوجد، فأوجد، فوجد؛ هذا إذا لم يكن صدوره بالإختيار.

و أمّا إذا كان الصدور بالإختيار فيزيد المراتب السابقه على الذي ذكره في كلّ إيجاد

ص: ٤١٤

فان قلت: أليس الإيجاد و الوجود و كذا الإيجاب و الوجوب المتضايين، و المتضايان معاً في الوجود؟

قلت: المتضايان و إن كانا من حيث مفهومهما الإضافيان و من حيث اتّصاف الذاتين بهما معاً _ كما ذكرت _ ، لكن المراد ههنا ليس حال المفهومين، فإنّ كلاً من الموجد بالفعل أو المقتضى أو المحرّك قد يراد به المعنى الإضافي و المفهوم النسبي، و حكمه كما ذكرت من كون تحقّقه مع تحقّق ما أضيف إليه؛

و قد يراد به كون الشيء بحيث يكون وجوده مستتبّاً لوجود شيءٍ آخر، و هكذا الكون لامحاله متقدّم على كون شيءٍ آخر، و هو تابعه و مقتضاه الوجود بسبب هذا الإقتضاء أو الإيجاد، كما في تحريك اليد بحركتها للمفتاح تقول: تحرّكت اليد فتحرك المفتاح، فإنّ «الفاء» تدلّ على الترتيب و إن كانا معاً في الزمان؛

و ربّما يتقدّم المقتضى على المقتضى زماناً في عالم الإتّفاقات إذا كان هناك مانعٌ من خارج، كما في المثال الّذى ذكرناه، و كما في إقتضاء الشمس لإضاءة ما يحاذيها من وجه الأرض فحال بينهما حائلٌ، فعدم إستضاءه ذلك الموضوع ليس لأجل فتورٍ أو نقصانٍ في جانب المقتضى المضىء _ لأنّ حاله في الإقتضاء و الإضاءة لم يتغيّر عمّا كان، و التخلّف في الإضاءة لأجل شيءٍ من جانب القابل _ .

و يؤيّد ما ذكرنا ما ذكره في الكافي (١) بسنده عن الحسين بن محمّد عن معلّى بن محمّد قال: سئل العالم _ عليه السلام _ : «كيف علم الله؟»

قال: علم و شاء و أراد و قدّر و قضى و أمضى، فأمضى ما قضى، و قضى ما قدّر، و قدّر ما أراد؛ فبعلمه كانت المشيئة، و بمشيئته كانت الإرادة، و بإرادته كان التقدير، و بتقديره كان

ص : ٤١٥

القضاء، و بقضائه كان الإمضاء _ ... الحديث _ .»

و قوله _ عليه السلام _ : «و خر لى فيما تقضى منه» أى: اجعل لى الخير فى جملة ما قضيته و تحكم بوجوده متلبساً بامضائه، أو فيما توجد منه _ من: قضاء بمعنى: أوجده، و منه قوله تعالى: «فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ» (١)، أى: أوجدهنَّ و أتمهنَّ _ .

و «بارك لى فى ذلك» أى: اثبت خيرك فيه بحيث لا يزول فيما اخترته لى _ من: البركه، و هى: ثبوت الخير الإلهى فى الشىء _ ؛ أو: اجعل لى فيه الزيادة و النماء _ من: البركه بمعنى: زياده الخير الإلهى فى الشىء _ .

و «تفضل علىّ به» أى: اختره لى بمجرّد التفضّل لباستحقاقى إيّاه.

و «أسعدنى بما تعطينى منه» أى: إجعلنى مسعوداً به معاناً بسببه حتّى يكون ما تعطينى سبباً لسعادتى.

>و لما كان الفضل الإلهى غير متناهٍ و سعه ما عنده _ تعالى _ من الخيرات لا يوقف لها على حدٍّ، لم يقتصر _ عليه السلام _ على ما سأله، بل سأل الزيادة عليه فقال: «و زدنى (٢)» < _ ... إلى آخره _ .

«فإنّك واسعٌ كريمٌ»: جملة تعليلته؛

و تأكدها لغرض كمال قوّه يقينه بمضمونها.

و «صل ذلك» _ أى: النعم الدنيويّه _ «بخير الآخرة و نعيمها»، لفناء النعم الدنيويّه و بقاء النعم الأخرويّه.

و ختم الدعاء بقوله: «يا أرحم الراحمين»، لأنّه الجواد المطلق و الغنى الحقّ الذى يجود و يرحم لالمنفعه تعود إليه و لالمضره يدفعها عنه و لالطلب محمده و ثناء، أو التخلّص من مذمّه؛ و بالجملة لالغرض زائد على ذاته المقدّسه؛ بخلاف غيره _ تعالى _ ، فإنّ رحمته لغرض من الأغراض.

ص : ٤١٦

١-١. كريمه ١٢ فصّلت.

٢-٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٢٣٨.

ثُمَّ تَدْعُو بِمَا بَدَأَ لَكَ، وَتُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَلْفَ مَرَّةٍ. هَكَذَا كَانَ يَفْعَلُ _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ .

«ثُمَّ تدعوا بما بدا لك» أى: تسأل من الله ما شئت و ظهر لك أن تسأله، من: بدا له رأى أى: أظهر.

و «تصلي ركعتين _ ... إلى آخره _»، هذا قول الراوى.

و «تدعو» و «تصلي» و إن كان بصورة الخبر لكن المراد الأمر.

«هكذا كان يفعل _ عليه السلام _»، يقول الراوى: أنه _ عليه السلام _ بعد الدعاء كان يسأل مطالبه و يصلي على النبي ألفاً، فأنت _ يا داعي! _ إفعل كذلك. >و فى نسخه قديمه: «و تصلي على محمد و آله أربعين مرّة» بدل: «ألف مرّة»؛

و فى نسخه أخرى: «و تصلي على محمد و آل محمد ألف ألف مرّة»^(١)؛

و فى نسخه عميد الرؤساء لم يوجد شيء من الفقرتين، بل الإختتام بقوله: «ثُمَّ تدعوا بما بدا لك».

و اعلم! أنه إذا ورد من المعصوم _ عليه السلام _ عددٌ معيّن لا ينبغي للداعى تغييره و تبديله، بل يجب الإقتصار عليه، فإن الخصوصية العددية لها مدخلية لا توجد فى غيره.

هذا آخر اللمعة الثامنة و الأربعين من لوامع الأنوار العرشية فى شرح صحيفه سيّد الساجدين و قدوه العارفين _ صلوات الله عليه و على آبائه و أبناؤه الطاهرين _ . و قد وقّنى الله _ تعالى _ لإتمامها فى عصر يوم الإثنين لسبع عشر مضت من شهر جمادى الثانى سنة ثلاث و ثلاثين و مأتين و ألف من الهجره النبويه.

ص : ٤١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعان السعداء على دفاع كيد الأعداء، و ردّ بأسهم بالسراء والضراء؛ و الصلاة و السلام على خاتم الأنبياء و على آله و أهل بيته الذين هم عماره الأرض و السماء.

و بعد؛ فيقول المستعين بالحضره الأحديّه فى دفاع أعدائه الظاهريّه و الباطنيّه محمّد باقر بن السيّد محمّد _ من السادات الموسويّه _ : هذه اللمعه التاسعه و الأربعون من لوامع الأنوار العرشيّه فى شرح الصحيفة السجاديّه _ عليه و على آباءه و أبنائه صلوات غير متناهيّه _ .

وَ كَانَ مِنْ دُعَائِهِ _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ فِي دِفَاعِ كَيْدِ الْأَعْدَاءِ، وَ رَدِّ بَأْسِهِمْ.

>«الدِّفاع» _ بالكسر _ : مصدر دافع الله عنه السوء بمعنى: دفعه؛ قال الجوهرى: «دافع عنه و دفع بمعنًى، تقول منه: دافع الله عنك السوء دفاعاً»(١)؛ انتهى.

و «الكيد»: مصدر كاده كيداً: أخدعه. و عرّف بـ _ : أنّه إرادته مضرّه الغير خفيه(٢) <.

و «البأس»: الشدّه فى الحرب و النكايه و المكروه.

و هذا الدعاء يسمّى بـ _ : الجوشن الصغير.

ص : ٤٢١

١-١. راجع: «صحاح اللغة» ج ٣ ص ١٢٠٨ القائمة ١.

٢-٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٢٤٧.

قيل: «الظاهر أنّ المراد بـ «الأعداء»: أعداء الدين، لأهل النحلة؛ فلا يجوز أن يدعى بهم بهذا الدعاء، بل ينبغي الدعاء لهم بالهدايه»^(١).

أقول: بل الظاهر التعميم في الدعاء ليشمل الأعداء الظاهريه و الباطنيه.

قال _ عليه السلام _ :

إِلَهِي هِدَيْتَنِي فَلَهَوْتُ، وَ وَعَظْتَ فَقَسَوْتُ، وَ أَبْلَيْتَ الْجَمِيلَ فَعَصَيْتُ، ثُمَّ عَرَفْتُ مَا أَصْدَرْتَ إِذْ عَرَفْتَنِيهِ، فَاسْتَغْفَرْتُ فَأَقَلَّتْ، فَعُدْتُ فَسْتَرْتُ، فَلَكَ _ إِلَهِي! _ الْحَمْدُ.

«فلهوت» أى: غفلت عنه، أو: لعبت؛ من اللهو و هو: إشتغال الإنسان عمّا يعنيه و يهتمه بما لا يعنيه؛ أى: هديتني للحق بإرسال رسولك و إنزال آياتك و عرّفتني سبيل رضوانك، فاشتغلت عن ذلك باللهو و اللعب و غفلت من هدايتك.

و «وعظت» بلسان نبيك؛

«فقسوت»، أى: صرت قاسى القلب، لغفلتى و اشتغالى باللهو.

و «أبليت الجميل» أى: أنعمت و أحسنت إلى بالأفعال الجميله و العطيات الجليله و الهدايه إلى الطريقه المستقيمه؛

«فعصيت» و لم أعمل بها. و حذف كلّ مفعول «وعظت» و «أبليت» و «عصيت» للعلم به _ أى: وعظتني و أبليتني فعصيتك _ .

و «ثم» للترتيب و التراخى.

و «عرفت» بصيغه المتكلم؛ و كذا «ما أصدرت».

و «الإصدار»: الإرجاع، خلاف الإيراد؛ يقال: أصدرته أى: أرجعته أو صرفته.

و «ما» إمّا موصوله _ أى: عرفت ما أرجعته على _ ؛ و إمّا مصدرية محضه هى و الفعل

ص : ٤٢٢

بعدها فى تأويل المصدر _ أى: ثم عرفت إصدارى لنفسى، أى: صرفى لها عن العصيان بعد إيرادى له إيّاه _ . وفى نسخه الشهيد _ رحمه الله _ : بصيغه الخطاب؛ أى: عرفت عملى الذى أصدرته عنك، أو: حين إصدارى به عنك، كأنه عرض متاعه على كبير من الكبراء ظناً أنه صالح، ثم أصدر إذا لم يقبله فعلم أنه لم يكن صالحاً، فاستغفر.

<حو «إذ»: اسمٌ للزمن الماضى، و هو فى محلّ نصبٍ على الظرفيه، و العامل فيها: «عرفت»؛ مثلها فى قوله _ تعالى _ : «فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا»(١)(٢)>. أو: عرفتنيهِ _ من باب التفعيل _ ، أى: عرفت قبح أعمالى و إحسانك على _ على اختلاف النسختين _ بعد تعريفك.

«فاستغفرتُ» بصيغه المتكلم، أى: طلبت مغفرتك.

«فأقلتُ» بصيغه الخطاب، أى: فغفرت و أقلت عثراتى.

«فعدتُ» بالتكلم، أى: رجعت إلى المعصيه.

«فسترتُ» بالخطاب، أى: سترت عيوبى.

<حو «الفاء» من قوله _ عليه السلام _ : «فلك الحمد» سببته، أى: فبسبب ذلك لك الحمد دون غيرك(٣)>.

تَقَحَّمْتُ أَوْدِيَهَ الْهَلَاقِ، وَ حَلَلْتُ شِعَابَ تَلَفٍ، تَعَرَّضْتُ فِيهَا لِسَطَوَاتِكَ وَ بِحُلُولِهَا عُقُوبَاتِكَ. وَ وَسَّيَلَتْنِي إِلَيْكَ التَّوْحِيدُ، وَ ذَرِيعَتِي أَنَّنِي لَمْ أُشْرِكْ بِكَ شَيْئاً، وَ لَمْ أَتَّخِذْ مَعَكَ إِلَّاهَا.

«تَقَحَّمْتُ» بصيغه المتكلم من باب التفعيل. و «التقحم» و الاقتحام: الدخول فى الشئ على سبيل العنف؛ و قال فى الأساس: «قحم نفسه فى الأمور و تقحم و اقتحم فيها: دخل

ص : ٤٢٣

١- ١. كريمه ٤٠ التوبه.

٢- ٢. قارن: نفس المصدر و المجلد ص ٢٥٠.

٣- ٣. قارن: نفس المصدر و المجلد أيضاً ص ٢٥١.

فيها بغير رويّه و فكر»^(١).

و جملة «تَقَحَّمْتُ» مستأنفه جوابٌ لسؤالٍ نشأ من الكلام السابق، كأنّه قيل عند بيان أحواله من اللهو و القسوه و العصيان و العود إليه بعد الإقاله: فماذا صنعت في مدّه تماديك في هذه الزلّات؟

فقال: «تَقَحَّمْتُ أوديه الهلاك»، أى: أدخلت نفسى فيها بعنفٍ، أو: القيت نفسى فيها بغير رويّه و فكرٍ.

و «حللت» البلد حلولاً _ من باب قعد _ : إذا نزلت، و يتعدّى بنفسه أيضاً فيقال: حللت البلد.

و «الشعاب»: جمع شِعب _ بكسر الشين _ ، و هو الطريق؛ و قيل: «الطريق فى الجبل»^(٢)؛ قال فى القاموس: «الشِعب _ بالكسر _ الطريق فى الجبل و مسيل الماء فى»^(٣) أرض، أو: ما انفرج بين الجبلين»^(٤).

و «التلف» و الهلاك بمعنى؛ أى: دخلت فى أبواب المعاصى التى مَن دخلها يصير هالِكاً تالفاً.

> و «تعرّضت» للشئ: تصدّيت له.

و «سطا» عليه و به سطواً و سطوة: قهره و أذلّه و بطش به، أى: أخذه بشدّه. و الجملة فى محلّ نصبٍ نعتٌ للـ «شعاب»^(٥)؛ أى: تصدّيت و استقبلت فى أوديه الهلاك لقهرك و غضبك. و يحتمل أن يكون «اللام» للغايه _ مثل الحديث المشهور: «لدوا للموت و ابنوا

ص : ٢٢٤

١- ١. قال: «قَحَم نفسه فى الأمور: دخل فيها بغير رويّه. و تقَحَّم فيها و اقتحم»؛ راجع: «أساس البلاغه» ص ٤٩٤ القائمة ١.

٢- ٢. كما حكاه الفَيّومى، راجع: «المصباح المنير» ص ٤٢٧.

٣- ٣. المصدر: + بطن.

٤- ٤. راجع: «القاموس المحيط» ص ١٠٧ القائمة ٢.

٥- ٥. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٢٥٤.

للخراب»(١)، أى: عاقبه التولّد الموت و عاقبه البناء الخراب _ و عاقبه الدخول فى المعاصى قهرک و غضبک؛ أو للإستعاره التبعية _ كما فى قوله تعالى: «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا»(٢)، حيث شبّه ما يترتب على فعل الالتقاط بالعلّة الغائية فى الترتب على الفعل، و اللام الذى وضع للعلّة الغائية استعمل فيه _ .

و «بحلولها» عطفٌ على «فيها»؛

و «الباء» للسببية؛

و الضمير يرجع إلى «الشعاب»؛ أى: تعرّضت بسبب حلول أبواب المعاصى عقوباتك.

و «الوسيلة»: ما يتوسّل به إلى الشىء.

و «الذريعة» بمعناها.

و «وسيلتى إليك» مبتدئ؛ و خبره «التوحيد».

و كذا «ذريعتى أنى لم أشرك بك شيئاً» مبتدئ و خبر؛ أى: توسّلى و اعتمدادى بأن لم آخذ لك شريكاً و لم أّتخذ معك إلهاً. و هذا ممّا اختصّ به _ عليه السلام _ .

وَقَدْ فَرَرْتُ إِلَيْكَ بِنَفْسِي، وَ إِلَيْكَ مَفَرُّ الْمُسَىءِ، وَ مَفَرُّ الْمَضِيعِ لِحَظِّ نَفْسِهِ الْمُلتَجِي. فَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ انْتَضَى عَلَى سَيْفِ عَدَاوَتِهِ، وَ شَحَذَ لِي ظُبّه مُدَّتِيهِ، وَ أَرْهَفَ لِي شَبَا حَدّه، وَ دَافَ لِي قَوَاتِلَ سُومِهِ، وَ سَدَّدَ نَحْوِي صَوَائِبَ سِهَامِهِ، وَ لَمْ تَنْمَ عَنِّي عَيْنُ حِرَاسَتِهِ، وَ أَضْمَرَ أَنْ يَسُومَنِي الْمَكْرُوءَ، وَ يُجَرِّعَنِي زُعَاقَ مَرَارَتِهِ.

«الواو» للإستيناف.

ص : ٤٢٥

١- ١. راجع: «متشابه القرآن» ج ١ ص ١٦١، «غرر الحكم» الحكمه ٢٢٩٠ ص ١٣٣، «ديوان أمير المؤمنين» ص ٧٥، و انظر: «نهج البلاغه» الكلمه ١٣٢ ص ٤٩٣.

٢- ٢. كريمه ٨ القصص.

و «فَرَّ» يَفِرُّ فِرَاراً أَيْ: هَرَب؛ أَيْ: قَدْ فَرَّرت حَالِكُونِي مُلْتَجِئاً إِلَيْكَ.

«نَفْسِي» أَيْ: أَدْخَلَ نَفْسِي فِي حِمَايَتِكَ وَ حَصَنَ رَحْمَتِكَ وَ كَعْبَهُ وَجُوبَ وَجُودِكَ، فَإِنَّهَا مُحَلٌّ «مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا» (١).

و جملة قوله _ عليه السلام _ : «و إِلَيْكَ مَفَرُ الْمُسِيءِ» إِعْتِرَاضٌ تَذِيلِيٌّ مَقَرَّرٌ لِمَا قَبْلَهُ.

و «المَفَرُّ»: مُصَدَّرٌ مِمَّا بَعْنَى: الْفِرَارِ. وَ تَقْدِيمُ الظَّرْفِ لِلْحَصْرِ.

و «المَفْرَعُ» أَيْضاً مُصَدَّرٌ مِمَّا بَعْنَى: الْفَرْعِ وَ الْإِلْتِجَاءِ.

و «المُضَيِّعُ» مِنَ التَّضْيِيعِ، وَ هُوَ: إِهْمَالُ الشَّيْءِ حَتَّى افْتَقَدَ وَ عَدَمَ.

و «الْمُلْتَجِيءُ»: صِفَةٌ لِلـ «مُضَيِّعٍ»؛ أَيْ: إِلَى مَأْمَنِ كَعْبِهِ وَجُوبِ وَجُودِكَ مَفَرُ الشَّيْءِ وَ مَفْرَغُ الْمُضَيِّعِ عَمْرِهِ فِي الْمَعَاصِي «لِحَظَّ نَفْسِهِ» الْمُلْتَجِيءُ إِلَيْكَ.

و «الْفَاءُ» مِنْ قَوْلِهِ _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ : «فَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ لِلْإِيذَانِ بَتَرَّتْ مَا بَعْدَهَا عَلَى مَا قَبْلَهَا.

و «كَمْ» خَبَرِيَّةٌ لِلتَّكْثِيرِ _ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَ كَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا» (٢) _ . وَ مُحَلُّهَا الرِّفْعُ بِالْإِبْتِدَاءِ؛

و «مِنْ عَدُوٍّ» تَمَيِّزٌ لَهَا؛

و قَوْلُهُ _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ : «انْتَضَى» خَبَرٌ لَهَا؛

و الضَّمِيرُ فِيهِ عَائِدٌ إِلَى «كَمْ»؛ يُقَالُ: انْتَضَى السَّيْفُ: سَلَّه. شَبَّهَ الْعَدَاوَةَ فِي النَّفْسِ بِشَخْصٍ شَاهِرٍ سَيْفِهِ، وَ أَسْقَطَ الْمَشَبَّهُ بِهِ وَ أَثْبَتَ لِلْمَشَبَّهِ السَّيْفَ الَّذِي هُوَ مِنْ لَوَازِمِ الْمَشَبَّهِ بِهِ؛ فَهِيَ إِسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ تَخْيِيلِيَّةٌ.

و «شَحَذَ» السَّكِينَ _ كَمَنَعَهُ _ : أَحَدَّهَا _ كَأَشْحَذَهَا _ .

و «ظَبَّهَ الْمَدِيَّةَ»: حَدَّهَا.

و «الْمَدِيَّةُ» _ مِثْلُئِهَا _ : الشَّفْرَةُ، وَ هِيَ: السَّكِينُ الْعَظِيمُ؛ أَيْ: الْعَدُوُّ حَدَّدَ لِي طَرَفَ شَفْرَتِهِ.

ص : ٤٢٦

١- ١. كَرِيمُهُ ٩٧ آلِ عِمْرَانَ.

٢- ٢. كَرِيمُهُ ٤ الْأَعْرَافِ.

و «أرهف»: رقق.

و «شبا حدّه» أى: طرف حدّه؛ يعنى حدّته _ لأنّ حدّ كلّ شىءٍ: حدّته، و: من الإنسان: بأسه _، و مفردّه: شباه _ و هى: حدّ السيف و السنان _، أى: رقق لى طرف حدّته و بأسه و سورته.

حو «داف» زيدّ الزعفران أو الدواء دوفاً _ من باب قال _ : خلطه بالماء ليتل.

و إضافه «القواتل» إلى «السموم» من إضافه الصفه إلى الموصوف (١)؛ أى: فكم من عدوّ خلط السموم القواتل بالماء لأجل هلاك نفسى، لأنّ السمّ يخلط بالماء وقت شربه (٢).

و «سدّد» الرامى السهم إلى الهدف تسديداً: وجّهه إليه.

و «الصوائب»: جمع صائب، من: صاب السهم يصوب صوبه، و أصاب إصابةً أى: وصل الغرض؛ و منها المثل: «مع الخواطىء سهّم صائب» (٣). و إضافتها إلى «السهم» من إضافه الصفه إلى الموصوف أيضاً؛ أى: كم من عدوّ وجّه إلى جانبى سهامه الصائبه _ أى: الواصله إلى الغرض _.

قوله _ عليه السلام _ : «و لم تنم عني عين حراسته» أى: لاتنام عني عين العدو، بل دائماً فى حفظى و حراستى كما يرصد الصياد الصيد حتّى يجد الفرصه؛ فعلى هذا استعاره مكنته و تخيلته _ كما لا يخفى _ . و يحتمل أن يراد بـ «العين»: الجاسوس، فحينئذٍ إضافته إلى «الحراسه» بيانيه، أى: العين التى هى حارسه لاتنام أصلاً.

قوله _ عليه السلام _ : «و أضمر أن يسومنى المكروه» أى: دائماً فى قلب ذلك العدو أن يصيبنى مكروهاً _ : قولاً أو فعلاً _ .

و «جرّعت» الماء جرعاً: ابتلعتّه. و «الجُرعه» _ بالضمّ _ من الماء، < : هو ما يجرع مرّة

ص : ٤٢٧

١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٢٥٨.

٢- ٢. و انظر: «نور الأنوار» ص ٢٠٢.

٣- ٣. راجع: «جمهره الأمثال» ج ٢ ص ٢٦٩ الرقم ١٦٦٤، «مجمع الأمثال» ج ١ ص ٨٤ القائمه ١، و انظر: «إصلاح المنطق» ج ١ ص ٢٩٤. و قال ابن الدهان: سَيَّانٍ نَوْمِي فِي هَوَاكَ وَ يَقْظَتِي وَ مَعَ الْخَوَاطِيءِ سَهْمٌ حَتَفٍ صَائِبٌ

واحدة. و صيغه التفعيل هنا للتكثير.

و «الزقاق» بالزاء المعجمه و العين المهمله و القاف: الماء المرّ الغليظ المذى لا يطاق شربه (١)؛ >و بالفاء مع الزاء و الذال المعجمتين: القاتل السريع القتل، و منه: سَمَّ ذعاف (٢). >شبهه _ عليه السلام _ تحمّل المكروه والمشروب المرّ أو المسموم، و طوى ذكر المشبه و أثبت له زقاق المراره _ أو ذعافها _ تخيلاً و ذكر التجريع ترشيحاً، فهي استعارة مكنية تخيلية مرشحة (٣)؛ أى: يجرّ عني جرعه بعد جرعه أجاج ماء كلامه لأذيتي و إيدائي _ كما قيل:

جَرَاحَاتُ السِّنَانِ لَهَا التِّيَامُ وَ لَا يَلْتَأُمُ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ (٤)

فَنَظَرْتُ _ يَا إِلَهِي! _ إِلَى ضَعْفِي عَنِ احْتِمَالِ الْفَوَادِحِ، وَ عَجَزِي عَنِ الْإِثْتِصَارِ مِمَّنْ قَصَّ دَنِي بِمُحَارَبَتِهِ، وَ وَخِي دَنِي فِي كَثِيرِ عَدَدٍ مَنْ نَاوَانِي، وَ أَرْصَدَ لِي بِالْبَلَاءِ فِيمَا لَمْ أُعْمَلْ فِيهِ فِكْرِي. فَابْتَدَأْتَنِي بِنَصْرِكَ، وَ شَدَدْتَ أَرْزِي بِقُوَّتِكَ، ثُمَّ فَلَلْتَ لِي حَدَّهُ، وَ صَيَّرْتَهُ مِنْ بَعِيدٍ جَمْعٍ عَدِيدٍ وَخِيْدَهُ، وَ أَعْلَيْتَ كَعْبِي عَلَيْهِ، وَ جَعَلْتَ مَا سَدَّدَهُ مَزْدُوداً عَلَيْهِ، فَوَدَدْتَهُ لَمْ يَشْفِ غَيْظُهُ، وَ لَمْ يَسْكُنْ غَلِيْلُهُ، قَدْ عَصَّ عَلَى شَوَاهُ وَ أَذْبَرَ مُوَلِّياً قَدْ أَخْلَفْتَ سَرَآيَاهُ.

>و «الفاء» من قوله _ عليه السلام _ : «فَنظَرْتُ» عاطفة مفادها التعقيب.

و «الفوادح»: جمع فادح، أو: فادحه، من: فَدَحَهُ الأمر فَدْحاً _ من باب منع _ : إذا غلبه و بهظه؛ و فى القاموس: «فوادح الدهر: خطوبه» (٥) (٦)؛

ص : ٤٢٨

١-١. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٢٦٠.

٢-٢. قارن: «التعليقات» ص ١٠٠.

٣-٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٢٦٠.

٤-٤. من المشهورات، و لم أعثر على قائله.

٥-٥. راجع: «القاموس المحيط» ص ٢٢٦ القائمة ٢.

٦-٦. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٢٦٠.

و قيل: «من فدحه الدين أى: أثقله».

و «الانتصار»: الانتقام.

و «وحدتى» عطفٌ على «عجزى»، أى: نظرت إلى وحدتى فى كثره عدد من عادانى.

و قد مرَّ الكلام فى «ناوانى» أن أصله مهموزٌ من النوء _ مهموز اللام _ ، يقال: ناواه مناوأةً و نواءً: عاداه.

و على نسخه «و وحدنى» _ لو ثبتت صحّتها _ فالجمله عطفٌ على «قصدنى»، أى: طرد عني أنصارى فتركنى وحيداً بلاناصرٍ بين الأعداء.

و «ارء صاد» الشىء: إعداده. و أمّا على روايه الباء فهو إمّا بمعنى: الانتظار _ أى: انتظرنى بالبلاء _ ، أو بمعنى: الإعداد. فالباء إمّا زائدةٌ فى المفعول به _ و هى كثيراً ما تزداد فيه، نحو: «هُزِّى إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ» (١)، و: «لَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» (٢) _ ؛ أو على حذف مفعول «أرصد» _ على ما ذكره الزمخشريّ من حذفه كثيراً (٣) _ .

و «الباء» للملابسه، أى: أرصد لى الشرّ ملتبساً بالبلاء.

و «فى» من قوله _ عليه السلام _ : «فيما لم أعمل» للطرفيه المجازيه كأنّه موضعٌ لإرصاده له؛ قال فى الأساس: «فلانٌ يرصد الزكاه فى صله إخوانه أى: يضعها فيها» (٤) - (٥)؛ هكذا ذكره الفاضل الشارح.

و «أزرى» أى: ظهري.

و «شدّه» عبارةٌ عن إحكام القوّه؛ أى: قوّ به ظهري.

>و «ثمّ» حرف عطفٍ يقتضى تأخّر ما بعدها عمّا قبلها إمّا تأخراً بالذات، أو بالمرتبّه، أو بالوضع؛ و قد اجتمعت الأحوال الثلاثه هنا (٦) < _ كما لا يخفى _ .

ص : ٤٢٩

١- ١. كريمه ٢٥ مريم.

٢- ٢. كريمه ١٩٥ البقره.

٣- ٣. قال: «... و يحذف المفعول كثيراً فيقال: فلانٌ مرصدٌ لفلانٍ إذا رصد له»؛ راجع: «الفائق» ج ٢ ص ٦٢.

٤- ٤. راجع: «أساس البلاغه» ص ٢٣٣ القائمه ٢.

٥- ٥. راجع: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٢٦٢.

٦- ٦. قارن: نفس المصدر و المجلّد ص ٢٦٣.

و «الفلول»: ضدّ الحدّه، أى: كسرت لى سورتته.

و «أعليت كعبى» كناية عن الغلبة و الإرتفاع و التفوّق؛ أى: عظمت رتبتى عاليه فائقه على ذلك العدو.

و «الكعب»: هو العظم الناشر فوق قدم الإنسان، أو العظم الناتى عند ملتقى الساق و القدم _ على الخلاف المعروف فى تفسير الكعب _ . قال صاحب المحكم: «رجلٌ على الكعب: يوصف بالظفر و الشرف؛ قال:

لَمَّا عَلَا كَعْبُكَ بِي عَلَوْتُ

أراد: لَمَّا أعلانى كعبك»(١)؛ انتهى.

و «ما سدّده» أى: من سهم و سنانٍ حدّده لى رددته على عنقه، بناءً على: «من حفر بئراً لأخيه فقد وقع فيها!»(٢).

و «شفى غيظه» أى: أزاله. و الجملة فى محلّ نصبٍ على الحال من ضمير الغائب فى «رددته»؛ أى: صرفته و الحال أنّه لم يشف غيظه منى.

و «الغليل» _ بالغين المعجمه _ : حراره العطش و حراره الغيض.

و «العضّ»: الشدّ و الإمساك بالأسنان، يقال: عَضَّه و عضّ عليه.

و «شواه» أى: أطراف بدنه _ كاليدين و الرجلين و الأعضاء التى لم يلزم من قطعها قتل الشخص(٣) _ . و المراد به هنا: أطراف اليدين، و هى الأنامل؛ أى: حالكون ذلك العدو قد عضّ على أنامله من شدّه الغيظ و الغضب، >لأنّ الإنسان إذا اشتدّ غيظه و عجز عن الإنتقام عضّ أنامله. قال النيشابوى: «يوصف المغتاز و النادم بعضّ الأنامل و البنان و الإبهام، لأنّ هذا الفعل كثيراً ما يصدر عنهما، فجعل كناية عن الغضب و الندم و إن لم يكن

ص : ٤٣٠

١-١. راجع: «المحكم فى اللغة» ج ١ ص ١٧٠.

٢-٢. راجع: «تحف العقول» ص ٨٨، «بحار الأنوار» ج ٧٤ ص ٢٣٨، «مستدرک الوسائل» ج ١٢ ص ١٠٢ الحديث ١٣٦٣٣.

٣-٣. و انظر: «شرح الصحيفة» ص ٤٢٩.

هناك عَظٌّ (١)؛ انتهى. و منه قوله _ تعالى _ : «عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَعْمَالُ مِنَ الْعِظِ» (٢)(٣). <

قوله: «قد أخلفت سراياه»، «أخلفت» بالفاء لا القاف، و التاء للتأنيث لا الخطاب.

و «أخلف» إخلافاً يقال لمعانٍ كلها محتملة هنا:

أحدها: خلف الوعد، يقال: أخلفه مواعده: إذا وعده ثم عذر و لم يف؛

الثاني: أخلف زيدٌ ظنّي فيه: إذا ظننت فيه خيراً فلم يصحّ ظنّك فيه؛

الثالث: ما في الأساس: «أخلفت النجوم و الشجر: لم تمطر و لم تثمر» (٤). و جاء: «اختلقت» _ بالقاف _، و هو تصحيّف.

و «السرايا»: جمع سرّيه، و هي طائفة من الجيش؛ قال في القاموس: «من خمسة أنفس إلى ثلاثمأه و (٥) أربعمأه» (٦)؛

و قال الفيومي: «هي (٧) فعيلة بمعنى فاعله، لأنّها تسرى في خفيّه» (٨)؛ أي: أخلفت عساكر العدو وعدهم و تفرّقوا و تشتّتوا بعد اتّفاقهم في إيذائى.

وَ كَمْ مِنْ بَاغٍ بَغَانِي بِمَكَائِدِهِ، وَ نَصَبَ لِي شَرَكَ مَصَائِدِهِ، وَ كُلَّ بِي تَفَقَّدَ رِعَايَتِهِ، وَ أَضْبَأَ إِلَيَّ إِضْبَاءَ السَّبْعِ لِطَرِيدَتِهِ أَنْتَظَاراً
لِإِنْتِهَازِ الْفُرْصَةِ لِفَرِيصَتِهِ، وَ هُوَ يُظْهِرُ لِي بَشَاشَةَ الْمَلِكِ، وَ يُنْظِرُنِي عَلَى شِدَّةِ الْحَنَقِ. فَلَمَّا رَأَيْتَ _ يَا إِلَهِي!، تَبَارَكْتَ وَ تَعَالَيْتَ _
دَغَلَ سَرِيرَتِهِ، وَ قُبِحَ مَا انْطَوَى عَلَيْهِ، أَرْكَسْتَهُ لِأَمِّ رَأْسِهِ فِي زُبَيْتِهِ، وَ رَدَدْتَهُ فِي مَهْوَى حُفْرَتِهِ، فَانْقَمَعَ

ص : ٤٣١

١-١. راجع: «غرائب القرآن و رغائب الفرقان» ج ١ ص ٣٥٧.

٢-٢. كريمه ١١٩ آل عمران.

٣-٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٢٦٦.

٤-٤. راجع: «أساس البلاغة» ص ١٧٣ القائمة ٢.

٥-٥. المصدر: أو.

٦-٦. راجع: «القاموس المحيط» ص ١١٩٠ القائمة ١.

٧-٧. المصدر: _ هي.

٨-٨. راجع: «المصباح المنير» ص ٣٧٤.

بَعْدَ اسْتِطَالَتِهِ ذَلِيلًا فِي رِيقِ حَبَالَتِهِ الَّتِي كَانَ يُقَدِّرُ أَنْ يَرَانِي فِيهَا، وَقَدْ كَادَ أَنْ يَحُلَّ بِى _ لَوْلَا رَحْمَتُكَ _ مَا حَلَّ بِسَاحَتِهِ.

>«البغى»: الظلم، يقال: بغى على الناس بغياً: ظلم و اعتدى؛ وقال الراغب: «البغى: طلب تجاوز الإقتصاد فيما يتحرى تجاوزه أو لم يتجاوزه. فتارةً يعتبر فى القدر _ الذى هو الكمّيه _ ، و تارةً يعتبر فى الوصف _ الذى هو الكيفيه _ ؛ يقال: بغيت الشيء: إذا طلبته (١) أكثر ممّا (٢) يجب، و ابتغيت: كذلك (٣). و البغى على ضربين (٤):

محمودٌ، و هو تجاوز العدل إلى الإحسان و الفرض إلى التطوّع؛

و (٥) مذمومٌ، و هو تجاوز الحقّ إلى الباطل، و منه: بغى: إذا ظلم و اعتدى و تكبّر، و ذلك لتجاوزه منزلته إلى ما ليس له. و يستعمل ذلك فى أى أمرٍ كان، فالبغى فى أكثر المواضع مذمومٌ. و قوله _ تعالى _ : «غَيْرِ بَاغٍ وَ لَا عَادٍ» (٦) أى: غير طالبٍ ما ليس له طلبه و لا متجاوزٍ لما رسم؛

و قال الحسن: «غير متناولٍ للذّه و لا متجاوزٍ سدّ الجوعه» (٧)؛

و قال مجاهد: «غير باغٍ على إمامٍ و لا عادٍ فى المعصيه طريق الحقّ» (٨)؛ (٩) انتهى.

و «الباء» من قوله _ عليه السلام _ : «بمكائده» إمّا للسبب، أو الملايسه، أو الإستعانه. و «المكائد»: جمع مكيدة، و هى: المكر و الخدعه.

ص : ٤٣٢

١- ١. المصدر: طلبت.

٢- ٢. المصدر: ما.

٣- ٣. ههنا حذف المصنّف جملةً من شواهد الكتاب.

٤- ٤. المصدر: + أحدهما.

٥- ٥. المصدر: + الثانى.

٦- ٦. كريمه ١٧٣ البقره / ١٤٥ الأنعام / ١١٥ النحل.

٧- ٧. راجع: «الدرّ المنثور» ج ١ ص ٤٠٨، «مجمع البيان» ج ١ ص ٤٧٦.

٨- ٨. راجع: نفس المصدر.

٩- ٩. القطعه الثانيه هى تحرير كلام الراغب، و بينهما فروقٌ فى الجملة، راجع: «المفردات» ص ١٣٦ القائمة ١.

و «الشَّرَك» _ محرَّكَةً _ : حَبَائِلُ الصَّائِدِ، واحِدَتُهَا: شَرَكَةٌ _ كَقَصَبٍ وَقَصِيْبَةٍ _ ؛ وَقِيلَ: «هُوَ مَفْرَدٌ، وَ الشَّرَكَةُ مَوْثَنَةٌ، وَ جَمْعُهُ: أَشْرَاكٌ، وَ شُرُكٌ _ بَضْمَتَيْنِ _ نَادِرٌ» (١) <.

و «المصايد» _ بغير الهمزة، كما صرَّح به في المصباح المنير (٢) _ : جَمْعُ مَصِيدَةٍ _ وَ زَانٌ كَرِيمَةٌ _ ، اسْمُ مَصْدَرٍ بِمَعْنَى الصَّيْدِ، أَوْ جَمْعُ مَصِيْدٍ _ بِكسْرِ الميمِ وَ سكونِ الصادِ _ أَوْ مَصِيْدَةٍ _ بِكسْرِ الميمِ وَ فَتْحِ الياءِ فِيهِمَا _ . وَ هُمَا آلَةُ الصَّيْدِ، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الشَّيْءِ إِلَى مُرَادِفِهِ.

قوله _ عليه السلام _ : «وَوَكَّلْ بِي ... إِلَى آخِرِهِ _»، أَيْ: كَانَ يَرْعَانِي بِعَيْنِهِ وَ يَتَقَقَّدُنِي وَ يَرِصْدُنِي بِالشَّرِّ وَ لَا يَغْفُلُ عَنِّي.

و «ضَبًّا» يَضْبَأُ _ مِنْ بَابِ مَنَعَ، مَهْمُوزُ اللَّامِ _ ضِبَاءٌ وَ ضِبْوَةٌ: أَلْصَقُ بِالْأَرْضِ وَ اخْتَفَى لِلْحَيْلَةِ، كَ: _ أَضْبَأُ إِضْبَاءً؛ وَ بِاللَّغَتَيْنِ وَرَدَتْ الرُّوَايَةُ فِي الدَّعَاءِ.

> و «الطريدة»: فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولِهِ، مِنْ: طَرَدْتُ الصَّيْدَ طَرْدًا _ مِنْ بَابِ قَتَلَ _ : إِذَا أَثَرْتَهُ وَ أَخْرَجْتَهُ مِنْ مَكَانِهِ، وَ الْاسْمُ: الطَّرْدُ _ بَفَتْحَتَيْنِ _ . وَقِيلَ: «الطريدة: صَيْدٌ يَسُوقُهُ السَّبْعُ حَيًّا» (٣)؛

وَ قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: «هِيَ مَا طَرَدْتَهُ (٤) مِنْ صَيْدٍ وَ غَيْرِهِ» (٥) (٦) <.

وَ «انتهز الفُرْصَةَ» _ بِالضَّمِّ _ مِنْ: نَهَزَ نَهْزًا _ مِنْ بَابِ نَفَعٍ _ : إِذَا نَهَضَ لَتَنَاوُلِ الشَّيْءِ.

> و «الفُرْصَةُ» _ بِالضَّمِّ _ : الْحَالَةُ الَّتِي تَمَكَّنَ فِيهَا مِنَ الشَّيْءِ الْمَطْلُوبِ. وَ أَصْلُهَا مِنَ الْفُرْصَةِ بِمَعْنَى: النُّوبَةِ؛ قَالَ الْفَارَابِيُّ فِي دِيَوَانِ الْأَدَبِ: «الْفُرْصَةُ: النُّوبَةُ تَكُونُ بَيْنَ الْقَوْمِ

ص : ٤٣٣

١- ١. قَارَنَ: «رِيَاضُ السَّالِكِينَ» ج ٧ ص ٢٦٩.

٢- ٢. قَالَ: «... وَ الْجَمْعُ: مَصَايِدُ بِغَيْرِ هَمْزٍ»؛ رَاجِعٌ: «الْمَصْبَاحُ الْمُنِيرُ» ص ٤٨٣.

٣- ٣. لَمْ أَعْثَرِ عَلَيْهِ، فَانْظُرْ مِثْلًا: «الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ» ص ٢٨١ الْقَائِمَةُ ٢، «صَحَاحُ اللُّغَةِ» ج ١ ص ٤٩٨ الْقَائِمَةُ ٢، «الْمَصْبَاحُ الْمُنِيرُ» ص ٥٠٦.

٤- ٤. الصَّحَاحُ: طَرَدْتُ.

٥- ٥. رَاجِعٌ: «صَحَاحُ اللُّغَةِ» ج ١ ص ٤٩٩ الْقَائِمَةُ ١.

٦- ٦. قَارَنَ: «رِيَاضُ السَّالِكِينَ» ج ٧ ص ٢٧١.

يتناوبونها على الماء، يقال: جاءت فرصتك من البئر»(١)(٢) <.

و «الفريسه» هنا: ما ينتهز السبع الفرصه ليفرسه، من باب مجاز المشارفه؛ كما يقال: «صيق فم الركبه»؛ و قوله _ عليه السلام _ :
«من قتل قتيلًا فله سلبه»(٣).

قوله _ عليه السلام _ : «هو يظهر لى بشاشه الملق» فى محلّ نصبٍ على الحال من الضمير المستكنّ فى «أضباً».
و «البشاشه»: طلاقه الوجه.

حو «المَلَق» _ محرّكه _ : الودّ الشديد؛ و فى النهايه _ لابن الأثير _ : «و فى الحديث: «ليس من خلق المؤمن المَلَق»(٤)، هو _
بالحرکه _ : زياده التودّد فى الدعاء(٥) و التضرّع فوق ما ينبغى»(٦)؛ انتهى. و فى القاموس: «هو(٧) الودّ، و اللطف، و أن تعطى
باللسان ما ليس فى القلب»(٨).

و «الحَقَق» _ بالحاء المهمله و النون المفتوحتين _ : الغيظ، أو: شدّته(٩)؛ فإضافه «الشّدّه» إليه على هذا للمبالغه. قيل: «و لا يبعد
أن يراد به الحقد».
«فلما رأيت» بصيغه الخطاب.

و «دَعَلَ» _ بالتحريك _ : مفعول «رأيت»، بمعنى: الفساد و الربيه.

و «سريره» الإنسان: ما أسره و أضمره من خيرٍ و شرٍّ، و هى خلاف العلانيه؛ و منه

ص : ٤٣٤

١- ١. راجع: «ديوان الأدب» ج ١ ص ١٦٨ القائمه ٢.

٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٢٧٢.

٣- ٣. راجع: «بحار الأنوار» ج ٤١ ص ٧٢، «شرح نهج البلاغه» ج ١٤ ص ١٦٥، «عوالى اللئالى» ج ١ ص ٤٠٣ الحديث ٦٠،
«المناقب» ج ٢ ص ١١٧.

٤- ٤. راجع: «مسند الشهاب» ج ٢ ص ٢٠٣، «ميزان الاعتدال» ج ٢ ص ٢٣٦، «كشف الخفاء» ج ٢ ص ٢٢٦ الحديث ٢١٥٨.

٥- ٥. النهايه: بالتحريك الزياده فى التودّد و الدعاء.

٦- ٦. راجع: «النهايه» ج ٤ ص ٣٥٨.

٧- ٧. القاموس: _ هو.

٨- ٨. راجع: «القاموس المحيط» ص ٨٥٢ القائمه ١.

٩- ٩. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٢٧٣.

الدعاء: «إجعل سريرتي خيراً من علانيتي»(١).

و «قبح» عطفٌ على «دغل»؛ أى: و رأيت _ يا إلهي! _ قبح ما يلفّ به ذلك العدو نفسه حتّى لا يظهر غشّه و قبح عمله.

«أركسته» جواب «لما»، أى: رددته مقلوباً؛ يقال: >أركسته ركساً، و: أركسته إركاساً: قلبته على رأسه.

و «اللام» من قوله _ عليه السلام _ : «لأَمّ رأسه» بمعنى: على(٢)؛ أى: على رأسه _ نحو: «وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ»(٣) _ .

و «أَمّ الرأس»: الدماغ؛ أو: الجلد الرقيقه التى عليها.

و «الزُبيّه» _ بالضّم _ : حفرةٌ تحفر فى موضع عالٍ يصاد فيها الأسد و نحوه؛ و الجمع: زبى _ كمدية و مدى _ .

و «رددته» أى: رجعته.

و «المهوى»: اسمٌ لموضع الهوى؛ يعنى: الموضع الذى يلقى فيه الشخص، من: هوى يهوى هَوِيّاً _ بضَمّ الهاء و فتحها، و كسر الواو و تشديد الياء _ : إذا سقط من أعلى إلى أسفل.

و «الحُفرة» _ بالضّم _ : الحفيرة، و هى: ما يحفر من الأرض، و جمعها: حُفَر _ كغرفه و غرف _ ؛ أى: رددته و رجعته مقلوباً على رأسه فى حفرة.

و «قمع» خصمه قمعاً _ من باب نفع _ : قهره و أذله فانقمع؛ و قال الراغب: «قمعته فانقمع كـ(٤) : كففته فكفّ»(٥).

و «الاستطالة»: الترفع و العلو، و هى خلاف الذلّ(٦)؛ أى: فقهر و غلب ذلك العدو بعد

ص : ٤٣٥

١-١. راجع: «التهذيب» ج ٦ ص ٦٩، «بحار الأنوار» ج ٩٨ ص ٢٠٥، «كتاب المزار» ص ١٣٠، «مصباح المتهجد» ص ٧٢٩.

٢-٢. و انظر: «نور الأنوار» ص ٢٠٢.

٣-٣. كريمه ١٠٧ / ١٠٩ الإسراء.

٤-٤. المفردات: أى.

٥-٥. راجع: «المفردات» ص ٦٨٤ القائمة ٢.

٦-٦. قارن _ مع اختلافاتٍ يسيره _ : «رياض السالكين» ج ٧ ص ٢٧٤.

ارتفاعه ذليلاً.

و «ربق» _ كعنب _ : جمع ربق _ بالكسر _ : حبل فيه عدّه عرى يشدّ بها البهم.

و «حباله» الصائد _ بالكسر _ : شركته التي يصطاد بها، و تجمع على: حبال؛ أى: فى حبل حبالته التي كان يقدر و يدبر و يطمع أن يلقيني فيه.

و «قد» لتقريب الفعل الماضى من الحال.

و «كاد»: فعل ناقص أتى منه الماضى و المضارع فقط، له اسم مرفوع و خبر مضارع مجرّد من «أن» غالباً؛ و معناه: قارب.

و «يحلّ» بضمّ الحاء.

و «لولا رحمتك» جوابه محذوف لدلاله الكلام عليه؛ و التقدير: لولا رحمتك بى لحلّ بى ما حلّ بساحته.

و «الساحه»: فناء الدار و فضاؤها.

وَ كَمْ مِنْ حَاسِدٍ قَدْ شَرِقَ بِي بُغْضَتِهِ، وَ شَجَى مِنِّي بَغِيْظِهِ، وَ سَلَقَنِي بِحِدِّ لِسَانِهِ، وَ حَزَنِي بِقَرْفِ عُيُوبِهِ، وَ جَعَلَ عِرْضِيْ غَرَضاً لِّمَرَامِيهِ، وَ قَلَدَنِي خِلَالاً لَّمْ تَزَلْ فِيْهِ، وَ حَزَنِي بِكَيْدِهِ، وَ قَصَدَنِي بِمَكِيدَتِهِ. فَنادَيْتُكَ _ يَا إِلَهِيْ! _ مُسْتَعِيْثاً بِكَ، وَاثِقاً بِسُرْعَةِ إِجَابَتِكَ، عَالِماً أَنَّهُ لَا يُضْطَهُدُ مَنْ أَوَى إِلَى ظِلِّ كَنْفِكَ، وَ لَا يَفْزَعُ مَنْ لَجَأَ إِلَى مَعْقِلِ انْتِصَارِكَ، فَحَصَّنْتَنِي مِنْ بَأْسِهِ بِقُدْرَتِكَ.

«شرق» زيد بريقه و بالماء شرقاً: غصّ به؛ > و أشرق عدوّه أى: أغصّه (١) <.

و «الغصّه» _ بالضم _ : ما نشب فى الحلق.

و «الباء» من قوله _ عليه السلام _ : «شرق بى» سببته.

ص : ٤٣٦

<و «شجى» من الشجْو، و هو: ما نشب و اعترض على الحلق من عظم (١) > و غيره (٢). و الفرق بينه و بين «الشرق»: أنه يكون بالعظم و اللقمة و نحوها من كل جامدٍ بخلاف «الشرق»، فإنه يكون بالريق و الماء و نحوهما من كل مايع؛ و «الغصص» يعمهما.

<و «الباء» فى «بغيطه» صلّه لـ «شجى».

و «سَلَقَه» بلسانه سلقاً _ من باب قتل _ : خاطبه بما يكره _ و منه قوله _ تعالى _ : «سَلَقُواكُمْ بِاللِّسَنَةِ حَدَادٍ» (٣) _ .

فـ «سلقنى» _ ... إلى آخره _ أى: آذانى بحده لسانه.

و «الوحر»: الوغر، يقال: وحر صدره على وحرأ، و وحر وحرأ _ من باب تعب فيهما _ بمعنى؛ أى: امتلأ الصدر غيظاً (٤) < _ و «الوغر» بالغين المعجمه _ . و «وحرنى» فى جميع النسخ بفتح الحاء، و فى القاموس: «بكسرهما» (٥)؛ فهو إما من باب وَمَقَّ يَمُقُّ، أو عَلِمَ يَعْلَمُ. و هو لازمٌ، فتعديته بتضمين مثل بعث. و فى بعض النسخ: «و وحر بى» على الأصل لتعديته بالباء؛ و فى آخر: «و وخرنى» بالخاء و الزاء المعجمتين، و هو من الوخر بمعنى: الطعن؛ يقال: وخره وخرأ _ من باب وعد _ : إذا طعنه طعنه غير نافذه برمحٍ أو إبرهٍ أو غير ذلك.

قوله _ عليه السلام _ : «بقرف عيوبه».

و «قَرْفٌ» _ بسكون الراء، كوزن _ بمعنى: العيب؛ يقال: قرف فلاناً أى: عابه، فإضافته إلى «العيب» بناءً على التجريد من معنى العيب؛ أو من: الإقتراف بمعنى: الإكتساب؛ أو بمعنى: التهمة، يقال: قرفه قرفاً أى: اتهمه.

<و «عرض» الرجل _ بكسر العين _ : جانبه الذى يصونه من نفسه و حسبه و شرفه و يحامى عنه أن ينتقض و يثلب.

ص : ٤٣٧

١-١. قارن: نفس المصدر.

٢-٢. و انظر: «شرح الصحيفة» ص ٤٣١.

٣-٣. كريمه ١٩ الأحزاب.

٤-٤. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٢٧٨.

٥-٥. قال: «و وَجَرَ كَفَرَحَ»؛ راجع: «القاموس المحيط» ص ٤٥٧ القائمة ١.

و «الْعَرَضُ» _ محرّكة _ : الهدف.

و «المرامي»: جمع مِرَمَات _ بكسر الميم _ ، و هو: السهم، سَمِيَ بذلك لَأَنَّهُ آلهٌ للرمي(١)؛ أى: جعل ذلك العدوّ عرضى هدفًا لسهام استعماله.

و «قَلْدَتَه» القلاده تقليدًا: جعلتها فى عنقه فتقلّدها.

و «الخلال»: جمع خَلَّة _ بالفتح _ ، و هى: الخصلة. و هو استعارهٌ مكَنِّيَّةٌ بتشبيهها بالإغلال، فيكون «التقليد» تخيلاً.

>وقوله _ عليه السلام _ : «فناديتك» أى: دعوتك عقيب ذلك حالكونى «مستغيثاً بك»، أى: طالباً اغاثتك و إعانتك و نصرتك.

و توسط النداء لمزيد الضراعة(٢) <.

و «لَا يُضْطَهَدُ» _ بصيغته المجهول _ أى: لا يقهر و لا يضطرّ. و «الإضطهاد»: إِفْتَعَالٌ من الضهد بمعنى: القهر، و «الضاء» بدلٌ من «تاء» الإِفْتَعَال _ كما سبق بيانه _ .

و «أوى» إليه يأوى _ من باب ضرب _ أُوِيَاً _ على فُعُولٍ، بالضمّ _ : انضمّ و التجأ إليه _ و منه: «إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ»(٣).

و «الظلّ» هنا بمعنى: العزّ و المنعه، مستعارٌ من الظلّ المعروف.

و «الْكَنَفُ» _ بفتحتين _ : الحفظ و الحياطة و الرياسة.

و «الْمَغْفِلُ» _ كمنزل _ : الملجأ.

«إِنتصارك»: انتقامك.

و «حَصْنَتَه» تحصينًا: منعه من أن يقدر عليه، يقال: حَصَّنَ _ بالضّمّ _ حصانه فهو حصينٌ أى: منيعٌ؛ و منه: الحصين: للمكان الذى لا يقدر عليه لارتفاعه.

و «البأس»: الشدّه و القوّه.

ص : ٤٣٨

١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٢٨١.

٢- ٢. قارن: نفس المصدر و المجلّد ص ٢٨٢.

٣- ٣. كريمه ١٠ الكهف.

و «الباء» من قوله _ عليه السلام _ : «بقدرتك» للملابسه، أو للإستعانه.

وَ كَمْ مِنْ سَيِّحَاتٍ مَكْرُوهٍ جَلَّيْتَهَا عَنِّي، وَ سَيِّحَاتٍ نِعَمٍ أَمْطَرْتَهَا عَلَيَّ، وَ حَيِّدَ أَوَّلِ رَحْمَةٍ نَشَرْتَهَا، وَ عَافِيَةٍ أَلْبَسْتَهَا، وَ أَعْيُنَ أَخِيْدَاتٍ طَمَسْتَهَا، وَ غَوَاشِي كُرْبَاتٍ كَشَفْتَهَا. وَ كَمْ مِنْ ظَنٍّ حَسَنٍ حَقَّقْتُ، وَ عَدَمٍ جَبَرْتُ، وَ صِيْرَعَةٍ أَنْعَشْتُ، وَ مَسْكَنَةٍ حَوَّلْتُ. كُلُّ ذَلِكَ إِنْْعَاماً وَ تَطَوُّلاً. مِنْكَ، وَ فِي جَمِيعِهِ أَنْهَمَاكَ مَنِّي عَلَى مَعَاصِيكَ، لَمْ تَمْنَعَكَ إِسَاءَتِي عَنْ إِيْتِمَامِ إِحْسَانِكَ، وَ لَا حَجَرَنِي ذَلِكَ عَنْ ارْتِكَابِ مَسَاحِيْطِكَ.

«جلَّيْتَهَا» أى: كَشَفْتَهَا، من الجلاء بمعنى: الكشف؛ أى: كم من سَحَابٍ مَكْرُوهٍ يَمُطِرُ فِيهَا مَطَرُ الْبَلَاءِ فَكَشَفْتُ ذَلِكَ السَّحَابَ وَ رَفَعْتُ ذَلِكَ الْبَلَاءَ عَنِّي.

>«طَمَسْتَهَا»: مَحَوْتَهَا، يُقَالُ: طَمَسْتَهُ طَمْسًا: مَحَوْتَهُ؛ وَ قَالَ الطَّبْرَسِيُّ: «الطَّمَسُ: مَحُو الشَّيْءِ حَتَّى يَذْهَبَ أَثَرُهُ»^(١)؛ قَالَ _ تَعَالَى _ : «وَ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ»^(٢).

و «الغواشي»: جَمْعُ غَاشِيَةٍ، فَاعِلُهُ مِنْ غَشِيَةٍ يَغْشَاهُ _ مِنْ بَابِ تَعَبٍ _ غَشِيًا، أَيْ: سَتَرَهُ وَ غَطَّاهُ.

و «الكربات»: جَمْعُ كَرْبَةٍ _ بِالضَّمِّ _ ، اسْمٌ مِنْ: كَرْبَةُ الْأَمْرِ كَرْبًا أَيْ: شَقٌّ عَلَيْهِ وَ غَمٌّ، فَهُوَ مَكْرُوبٌ _ أَيْ: مَغْمُومٌ _ .

و «الْعَدَمُ» _ بَفَتْحَتَيْنِ، وَ بِالضَّمِّ وَ السَّكُونِ _ : الْفَقْرُ، وَ بِالْوَجْهِينِ وَرَدَّتِ الرِّوَايَةُ فِي الدَّعَاءِ.

و «جَبَّرَ» اللَّهُ فَقْرَهُ جَبْرًا _ مِنْ بَابِ قَتْلٍ _ : سَدَّهُ^(٣). فَالْعَدَمُ الَّذِي جَبَّرَ بِالْوُجُودِ كَالْفَقْرِ جَبَّرَ بِالْغِنَى، وَ الْعَجْزُ يَجْبِرُ بِالْقُوَّةِ، وَ الْجَهْلُ بِالْعِلْمِ.

ص : ٤٣٩

١- ١. راجع: «مجمع البيان» ج ٨ ص ٢٨٦.

٢- ٢. كريمه ٦٦ يآس.

٣- ٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٢٨٥.

و «الصَّرع» بالفتح: المرّه من الصرع، و هو: الطرح بالأرض؛ و بالكسر: حاله المصروع و هيئته.

و «نعشه» نعشاً و أنعشه إنعاشاً: أقامه و رفعه.

و قوله _ عليه السلام _ : «و كلّ ذلك» أى: كلّ ما ذكر من ضروب إحسانه _ تعالى _ ، و هو مبتدأ محذوف الخبر؛ و خبره فعلٌ ناصبٌ لقوله: «إنعاماً»، و التقدير: و كلّ ذلك أنعمت به إنعاماً.

> و «التطوّل»: الإفضال، أى: و تطوّلت به تطوّلاً.

و «انهمك» إنهماكاً: جدّ فيه و لجّ، فهو منهمكٌ؛ أى: و انهمكت فى جميعه إنهماكاً.

و جملة قوله _ عليه السلام _ : «لم تمنعك إساءتى» استينافٌ مقرّرٌ لما قبله من إنعامه و تطوّله _ تعالى _ و إنهماكه هو فى معاصيه.

و «المساخط»: جمع مسخطة، و هى مصدرٌ بمعنى: السخط، جاء على مفعله _ بفتح الميم و العين _ كالمحمده بمعنى: الحمد، و المنفعه بمعنى: النفع (١) <.

لَا تُسْأَلُ عَمَّا تَفْعَلُ. وَ لَقَدْ سُئِلَتْ فَأَعْطَيْتَ، وَ لَمْ تُسْأَلْ فَابْتَدَأْتَ، وَ اسْتَئْتَمَحَ فَضْلُكَ فَمَا أَكْدَيْتَ، أَيْتَ _ يَا مُؤَلَاى! _ إِلَّا إِحْسَانًا وَ امْتِنَانًا وَ تَطَوُّلاً. وَ إِنْعَامًا، وَ أَيْتَ إِلَّا تَقَحُّمًا لِحُرْمَاتِكَ، وَ تَعِدِّيًّا لِحُدُودِكَ، وَ غَفْلَةً عَنْ وَعِيدِكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ _ إِلَهى! _ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يَغْلِبُ، وَ ذِيَانَاهُ لَا يَعْجَلُ. هَذَا مَقَامٌ مِّنْ اعْتَرَفَ بِسُبُوحِ النِّعَمِ، وَ قَابَلَهَا بِالتَّقْصِيرِ، وَ شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ بِالتَّضْيِيعِ.

«لا تسأل عما تفعل» جملةٌ مستأنفةٌ لبيان رفع الاستبعاد الناشئ من الكلام السابق _ و هو: انّ إساءته لم تمنعه تعالى عن إحسانه إليه _ . و ذلك لأنّ فعله _ تعالى _ موافقٌ للحكمه و

ص : ٢٤٠

المصلحة، فليس لأحد السؤال، إذ لا يقال للحكيم: لم فعلت كذا و كذا؟.

و المراد من نفى التعليل و سلب اللّمّة و عدم السؤال عن فعله _ تعالى _ نفى ذلك عنه بما هو غير ذاته، كما في سائر الفاعلين الذين لهم في فعلهم غاية يقصدونها _ بأن يتصور صورته تلك الغاية أولاً عندهم و يرتسم في ذاتهم فيقصدونها _ و يفعلون أفعالهم لأجل حصولها ثم يستكمل ذواتهم بها، فكلّ فاعلٍ لمقصدٍ و صانعٍ لمطلبٍ غير ذاته فهو ناقصٌ في ذاته؛ و الفاعل الأول _ تعالى _ أجلّ من أن يصنع شيئاً لأجل شيءٍ غير ذاته _ لبراءته عن النقص و الشين _ ، بل ذاته غايه كلّ شيءٍ بلاغايه، كما أنّه مبدء كلّ شيءٍ بلا مبدءٍ. فهو _ تعالى _ تامٌّ في فاعليته كما هو تامٌّ في ذاته.

لكن لا يلزم من ذلك نفى الغايه و الداعي عن فعله مطلقاً حتّى يلزم العبث و الجزاف _ تعالى _ عمّا يظنّه الجاهلون! _ ، بل علمه بنظام الخير _ المبدأ هو نفس ذاته _ علّة غائيّة و غرضٌ بالذات لفعله و جوده، فالفاعل و الغايه هناك شيءٌ واحدٌ بلا تغيّر في الذات و لا تخالفٍ في الجهات.

ولولا أنّ الدخول في هذا الباب على وجه الإستقصاء بحيث يقع التصدّي لدفع جميع الشبهه الوارده في هذا المقام على اثبات الداعي و الحكمه في فعله _ تعالى _ يؤدّي إلى الإطناب الموجب للإسهاب، لكدت أن أسود فيه أوراقاً، لأنّ كثيراً من الأقوام بين أن يطلبوا الغايه و ينكروا الحكمه في فعله _ تعالى _ ، و بين أن يجعلوا الله ذا غرضٍ في فعله خارج ذلك الغرض عن ذاته؛ فهم بين التعطيل و التشبيه، و لم يعلموا أنّ الحقّ الأوّل تامّ الفاعليّه، و كلّ تامّ الفاعليّه لا بدّ و أن تكون لفعله غايه، إلّا أنّ الغايه يجب أن لا يوجد خارجة عنه _ لأنّ الغايه الخارجيه عن الفاعل أنّما تكون لناقصٍ حتّى يستكمل بها _ ، و هو _ تعالى _ منتهى الغايات و طرف النهايات؛

و لأنّ الغرض في خلقه كما يقوله المعتزله هو أيضاً من فعله و خلقه، و المعلول الواجب التأخّر عن علّته كيف يصير علّة لفعل الفاعل المطلق _ و إلّا يصير علّة لنفسه! _ ؛

و لأنّ كلّ مطلوبٍ هو من جملة الممكنات _ سواءً سمّي بإيصال النفع إلى المستحقّ الفقير

أو غير ذلك _ لا خروج له عن كونه صادراً عن الفاعل؛ والكلام في الصدور عائدٌ، لأنَّ الغرض المحرّض على الشيء سابقٌ على ذلك الشيء سبقاً في العلم و لاحقاً في الوجود.

و قيل: «جميع الممكنات ممكنٌ، وإلاّ لكان قبل نفسه»؛

و لأنَّ الغرض اللاحق في الوجود لا يمكن تحصيله إلاّ لغرضٍ سابقٍ عليه _ إذ لو جَوَز تحصيل الغرض لا لغرضٍ زائدٍ فليجوز في إيجاد الوجود عرئياً عن الأغراض _ ، و كذا الغرض الثاني يستدعي غرضاً ثالثاً، ... و هلمَّ جرّاً؛ فلا يمكن إيجاد الوجود ما لم تتقدّم عليه أغراضٌ لانهايه لها؛ هذا محالٌ، و الموقوف على المحال محالٌ _ و هو إيجاد الوجود _ ، لكن لا ريب في كذبه؛ فعلم أنّ الفاعل التامّ لا غرض له في فعله من ماتحته؛

و لأنّ الداعي الباعث للشيء على إيجاد شيءٍ مستخدمٍ له بتحصيله، بل مستعبدٌ؛ و من الذي يستعبد المعبود المسجود؟، و من الذي يستخدم المخدم المقصود؟؛ فلا مقصود له إذن في فعله غير ذاته؛ فإذن لأعله لصنعه و لاغايه لفعله إلاّ ذاته. و لذلك قال _ تعالى _ : «لَا يَسْتَلْ عَمَّا يَفْعَلُ»، لأنه يفعل لأجل ذاته التي لا يعلم كنهها إلاّ هو؛ «وَهُمْ يُسْأَلُونَ»^(١)، لأنّ غايه أفاعيل المخلوقات خارجة عن ذواتها.

و قوله _ عليه السلام _ : «و لقد سئلت» أي: طلبت؛ من السؤال بمعنى: الطلب، لا بمعنى: الاستعلام.

و قوله: «و استميح _ ... إلى آخره _» من: استمحته استمache: سألته العطاء، و أصله من: محت الماء ميحاً _ من باب باع _ : إذا دخلت البئر فملأت الدلو بيدك لقله الماء و طلبته؛ و المميح: كلٌّ من أعطى معروفاً، و السائل ممتاحٌ و مستميحٌ.

«فما أكديت» أي: ما قطعت إفضالك. >و عن الفراء في قوله _ تعالى _ : «وَأَكْدَى»^(٢): «أي: أمسك عن العطية و قطع»^(٣)؛ و قال المبرد: «معناه: منع منعاً شديداً»^{(٤)(٥)}. < و هو

ص: ٤٤٢

١- ١. كريمه ٢٣ الأنبياء.

٢- ٢. كريمه ٣٤ النجم.

٣- ٣. راجع: «معاني القرآن» _ للفراء _ ج ٣ ص ١٠١، و انظر: «مجمع البيان» ج ٩ ص ٣٣٠، «تاج العروس» ج ٢٠ ص ١١٧ القائمة ٢، «لسان العرب» ج ١٥ ص ٢١٦ القائمة ٢.

٤- ٤. راجع: «مجمع البيان» ج ٩ ص ٣٠٠.

٥- ٥. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٢٨٩.

مأخوذاً من قولهم: أكدى الحافر: إذا بلغ الكد فيه _ بالضم، كُمديه _، و هي صلابه الأرض فمنعته من أن يحفر.

حو الاستثناء من قوله _ عليه السلام _ : «إلا إحساناً» مفرغ. وإثما صحَّ من الموجب _ مع أنه لا يحسن: ضربت إلا زيدا _، لأنه متأول بالنفي، إذ كان المعنى: ما أردت إلا إحساناً. قال ابن هشام: «وقوع (١) الاستثناء المفرغ في الإيجاب في نحو: «وإنها لكبيره إلا على الخاشعين» (٢)، و: «يأبى الله إلا أن يتم نوره» (٣) من باب إعطاء الشيء حكم ما أشبهه في معناه (٤)، لما كان المعنى: و إنما لا تسهل إلا على الخاشعين؛ و لا يريد الله إلا أن يتم نوره» (٥) (٦). و المعنى: أنت أب كل شيء إلا الإحسان و الإمتنان و الطول و الإنعام.

و «أبيت» بصيغه المتكلم.

و «تقحم» الرجل الأمر تقحماً، و اقتحمه إقتحاماً: دخل فيه بلاروييه و لا تأمل.

و «الحُرُمات» _ بضمتين _ : جمع حُرْمه _ بالضم _، و هي: ما حَرَّمه الله _ تعالى _ من ترك الواجبات و فعل المحرّمات.

و «الفاء» من قوله _ عليه السلام _ : «فلك الحمد» لترتب مابعداها _ من اختصاص الحمد به تعالى _ على ما قبلها من أفعاله المذكوره.

و «من» بيانيّة.

اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِالْمَحْمَدِيِّ الرَّفِيعِ، وَ الْعَلَوِيِّ الْبَيْضَاءِ، وَ أَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِهِمَا أَنْ تُعِيدَنِي مِنْ شَرِّ كَذَا وَ كَذَا، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَضِيقُ عَلَيْكَ فِي

ص : ٤٤٣

١- ١. المغنى: وقع.

٢- ٢. كريمه ٤٥ البقره.

٣- ٣. كريمه ٣٢ التوبه.

٤- ٤. المغنى: _ من ... معناه.

٥- ٥. راجع: «مغنى اللبيب» ج ٢ ص ٨٨٦.

٦- ٦. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٢٨٩.

وُجِدَكَ، وَلَا يَتَكَادُكَ فِي قُدْرَتِكَ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. فَهَبْ لِي - يَا إِلَهِي! - مِنْ رَحْمَتِكَ وَدَوَامِ تَوْفِيقِكَ مَا أَتَّخِذُهُ سُلْماً أُعْرِجُ بِهِ إِلَى رِضْوَانِكَ، وَآمَنْ بِهِ مِنْ عِقَابِكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

و «الباء» من قوله - عليه السلام - : «و بالمحمدية» للملابسة، أو للاستعانة.

>و «المحمدية»: المنسوبة إلى محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - ، و هي صفة لموصوفٍ محذوفٍ - أى: المله أو الوسيله أو المنزله المحمدية - .

و «الرفيعه»: المتَّصفه بالرفعه و العلو و الشرف.

و «العلوية»(١) : الهدايه و الإمامه المنسوبة إلى عليّ - عليه السلام - ؛ و قيل: «يعنى محمداً و علياً و آلهما».

و «البيضاء» أى: الفاضله الكريمه، إشارة إلى رتبه نورانيه روحانيه صافيه عن الكدورات المتعلقة بالأشياء الدائره الظلماتيه.

>و «أن تعيذني» فى محلّ نصبٍ على نزع الخافض، أى: لأن تعيذني.

و «الفاء» من قوله - عليه السلام - : «فانّ ذلك» سببيّة.

قوله: «و أنت على كلّ شىءٍ قديرٌ» إعتراضٌ تذييلٌ مقررٌ لما قبله(٢) >.

قوله - عليه السلام - : «فهب لى - يا إلهي!، ... إلى آخره - » أى: بإعانه دوام توفيقك أعرج و أصل إلى فعل ما هو من مرضياتك، فشبه فعل المرضيات بالأشياء الرفيعه، فهذه استعاره مكثيه؛ و إثبات «السلم» - الذى من لوازم المشبه له - للمشبه تخيلاً؛ و «العروج» - الذى من ملائماته - ترشيح.

و «آمن» بصيغه المتكلم، أى: و أكون آمناً من عذابك بما يتوسل إليك.

ص : ٢٢٢

١- ١. قارن: نفس المصدر و المجلد ص ٢٩٢.

٢- ٢. قارن: نفس المصدر و المجلد أيضاً ص ٢٩٢.

هذا آخر اللمعه التاسعه و الأربعين من لوامع الأنوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية _ عليه و على آبائه و أبنائه صنوف
الآلاء و التحية _ .

ص : ٤٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل الرهابه الباطنيه سبباً لظهور الكمود والكآبه الظاهريه، و موجباً للخوف و الخشيه من الحضرة الأحديّه؛ و الصلاه و السلام على نبيّه المبعوث على كلّ البريّه، و على آله و أهل بيته المطهّرين من الأخراس البشريّه.

و بعد؛ فيقول العبد المفتقر إلى ألطافه الجليّه و الخفيّه فى إعطاء الرهبه الظاهريّه و الباطنيّه محمّد باقر بن السيّد محمّد _ من السادات الموسويّه _ : هذه اللمعه الخمسون من لوامع الأنوار العرشيّه فى شرح الصحيفه السجّاديّه _ عليه و على آبائه و أبنائه صلواتٌ غير محصوره _ .

وَ كَانَ مِنْ دُعَائِهِ _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ فِي الرَّهْبَةِ.

«الرهبه»: اسمٌ من: رهب رهباً: خاف. و عرّفها بعض أهل المعرفه ب _ > «أنّها إنصبابٌ إلى جهه الهرب، بل هى الهرب، رهب و هرب مثل جبذ و جذب. فصاحبها يهرب أبداً لتوقع العقوبه. و من علامتها حركه القلب إلى الإنقباض من داخلٍ و هربه و إنزعاجه عن إنبساطه، حتّى أنّه يكاد يبلغ الرهابه فى الباطن مع ظهور الكمود والكآبه على الظاهر»؛ انتهى.

و عن أبى عبد الله _ عليه السلام _ : «الرغبه أن تستقبل ببطن كفيك إلى السماء، و الرهبه

أن تجعل ظهر كفيك إلى السماء» (١)(٢)؛ ولعله إشارة إلى البسط و القبض _ اللذين مرّ ذكرهما _ .

و قال الفاضل الشارح: «و لعلّ السرّ في ذلك (٣) أنّ الراغب لمّا كان طالباً ناسب حاله أن يبسط كفيه إلى السماء ليوضع مطلوبه فيهما، و الراهب لمّا كان خائفاً ناسب حاله أن يجعل ظهر كفيه إلى السماء و بطنهما إلى الأرض، إشعاراً بأنّه ألقى نفسها على الأرض تذلاًّ؛ أو بأنّه مع الخوف من التقصير يتوقّع أخذ شيء منه _ تعالى _» (٤).

اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَنِي سَوِيًّا، وَ رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا، وَ رَزَقْتَنِي مَكْفِيًّا. اللَّهُمَّ إِنِّي وَجِدْتُ فِيهَا أَنْزَلْتَ مِنْ كِتَابِكَ، وَ بَشَّرْتَ بِهِ عِبَادَكَ أَنْ قُلْتَ: «يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا».

«الخلق» و الإيجاد بمعنى: التقدير.

و «السويّ»: فعيلٌ بمعنى المفعول، يقال: سَوَّاهُ تسويَةً و أسواه: جعله سويًّا. و فسّر قوله _ تعالى _ : «فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا» (٥) أي: «كامل الخلق و البنية لم ينقص من صور آدميته شيئاً»؛

و قيل: «حسن الصورة مستوى الخلقه» (٦).

و «سويًّا» في >الدعاء حالٌ لازمه من ضمير المتكلم، لدلاله عاملها على تجدد

ص : ٤٥٠

١- ١. راجع: «الكافي» ج ٢ ص ٤٧٨ الحديث ١، «وسائل الشيعة» ج ٧ ص ٤٨ الحديث ٨٦٨٦ «بحار الأنوار» ج ٦٦ ص ٣٥٩، «مكارم الأخلاق» ص ٢٧٢.

٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣٠١.

٣- ٣. المصدر: هذه الضروب من الحركات.

٤- ٤. راجع: نفس المصدر و المجلد ص ٣٠٢.

٥- ٥. كريمه ١٧ مريم.

٦- ٦. الأوّل قول الطبرسي، و الثاني قول أبيمسلم، راجع: «مجمع البيان» ج ٦ ص ٤١٠.

صاحبها و حدوثه _ مثله فى قوله تعالى: «وَأَخْلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا» (١) _ (٢) <.

و تأكيد الجملة بـ «أَنَّ» لكمال العناية و الإهتمام.

و «التريه»: تكميل الشئ من مرتبه النقص إلى الكمال على سبيل التدرج؛ أى: أكملتني متدرجاً حالكونى صغيراً.

و «مَكْفِيًّا» _ على وزن مَهْدِيًّا _ : من الكفايه، أى: رزقنى بقدر كفايه؛ أو: كفيت عني همّه و ضمنته لى على نفسك.

حو «ما» فى: «ما أنزلت» موصوله، و مفعوله محذوف و هو عائد الموصول _ أى: فى ما أنزلته _ .

و «مِنْ» فى: «من كتابك» بياثيه.

و «أَنَّ» فى: «أَن قُلْتَ» مصدرية فى محل نصب بـ «وجدت»، و التقدير: وجدت قولك.

و جمله قوله _ تعالى _ : «يَا عِبَادِ» (٣) _ ... إلى آخره _ « فى محل نصب على أَنَّها مفعول القول. و هل هى مفعول به؟، أو مفعول مطلق نوعي؟، فيه مذهبان:

الأول: قول المشهور؛

و الثانى: اختيار ابن الحاجب؛ و قد تقدّم الكلام عليه.

و «العبد» خاصٌّ بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن المبين فى إضافه «العباد» لتخصيصه بالمؤمنين.

و «الإسراف» إمّا بالصغائر، و لاختلاف فى أَنَّها مكفّرةٌ باجتناب الكبائر؛

و إمّا بالكبائر، و حينئذٍ يبقى النزاع بين المعتزله و غيرهم؛

فالمعتزله شرطوا التوبه؛

و غيرهم من الإماميه و الأشاعره أطلقوا، لأنّ القيد و الشرط خلاف الظاهر. كيف

ص : ٤٥١

١- ١. كريمه ٢٨ النساء.

٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣٠٤.

٣- ٣. كريمه ٥٣ الزمر.

لا؟!، و قوله _ تعالى _ : «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ» (١) ظاهرٌ في الإطلاق فيما عدى الشرك (٢) <.

وقيل: «عائٌّ فى الإسراف، و على هذا يعمّ الشرك». و لانتزاع فى أنّ عدم القنوط من الرحمة و حصول الغفران حينئذٍ مشروطٌ بالإيمان و التوبة.

و يؤيد الأول: ما روى عن أبيجعفر _ عليه السلام _ قال: «نزلت هذه الآية فى شيعه على بن أبيطالب خاصّة» (٣)؛

و ما فى الكافى (٤) عن الصادق _ عليه السلام _ : «لقد ذكركم الله فى كتابه إذ يقول: «يَا عِبَادِي» (٥) _ ... الآية _ . قال: و الله ما أراد بهذا غيركم»؛

و ما فى المعانى (٦) و القمى (٧) عن الباقر _ عليه السلام _ قال: «و فى شيعه ولد فاطمه _ صلوات الله عليها _ أنزل الله _ عزّ و جلّ _ هذه الآية خاصّة»؛

و عن أمير المؤمنين _ عليه السلام _ أنّه قال: «ما فى القرآن آيه أوسع من: «يَا عِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا» (٨)؛

و فى المجمع (٩) عن النبى _ صلى الله عليه و آله و سلم _ أنّه قال: «ما أحبّ أن لى الدنيا و ما فيها بهذه الآية!».

و قال سهل: «مهّل عباده إلى آخر نفس، فقال لهم: لا تقنطوا من رحمتى فلورجعتم إلى بابى إلى آخر نفس لقبلتكم!»؛

ص : ٤٥٢

١- ١. كريمه ١١٦ / ٤٨ النساء.

٢- ٢. قارن: نفس المصدر و المجلّد ص ٣٠٥.

٣- ٣. لم أعثر عليه، و انظر: «الفقيه» ج ٤ ص ٤١١ الحديث ٥٨٩٦.

٤- ٤. راجع: «الكافى» ج ٨ ص ٣٥ الحديث ٦، و انظر: «أعلام الدين» ص ٤٥٢، «تفسير فرات الكوفى» ص ٣٦٤ الحديث ٤٩٦.

٥- ٥. كريمه ٥٣ الزمر.

٦- ٦. راجع: «معانى الأخبار» ص ١٠٧ الحديث ٤.

٧- ٧. راجع: «تفسير القمى» ج ٢ ص ٢٥٠.

٨- ٨. لم أعثر عليه، و انظر: التعليقه الآتیه.

٩- ٩. راجع: «مجمع البيان» ج ٨ ص ٤٠٧.

وقال الحريري: «أمر الله _ تعالى _ عباده أن لا تعتمدوا على أعمالهم و لا تقنطوا من التقصير فيها، فإنّ العناية و الرعاية سبقت العبادة؛ ألا تراه يقول: «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ» (١).

و في تفسير النيشابوري: «و لا يخفى ما في الآية من مؤكّدات الرحمة؛

أولها: تسميه المذنب «عبدًا»، و العبوديّة تشعر بالإختصاص مع الحاجه، و اللاتق بالكريم الرحيم إفاضه الجود و الرحمة على المساكين؛

و ثانيها: من جهه الإضافه الموجهه للتشريف؛

و ثالثها: من جهه وصفهم بقوله: «الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ»، كأنّه قال: كيفيهم من تلك الذنوب عود مضرتّها عليهم، لا على؛

و رابعها: نهيمهم عن القنوط، و الكريم إذا أمر بالرجاء فلا يلق به إلا الكرم؛

و خامسها: قوله: «مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ» مع إمكان الإقتصار على الضمير بأن يقول: من رحمتي، فأيراد أشرف الأسماء في هذا المقام يدلّ على أعظم أنواع الكرم و اللطف؛

و سادسها: تكرير اسم الله _ تعالى _ في قوله: «إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ»، مع تصدير الجملة بـ «إِنَّ»، و مع إيراد صيغه المضارع المتبئّه عن الإستمرار، و مع تأكيد الذنوب بقوله «جَمِيعًا»، أى: حالكونها مجموعه؛

و سابعاً: إرداف الجملة بقوله: «إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» مع ما فيه من أنواع المؤكّدات (٢)؛ انتهى.

وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنِّي مَا قَدْ عَلِمْتَ وَ مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، فَيَا سَوَاتِنَا مِمَّا أَحْصَاهُ

ص : ٤٥٣

-
- ١- ١. لم أعثر عليهما في مصادر التفسير، فانظر مثلاً: «مجمع البيان» ج ٨ ص ٤٠٧، «التفسير الكبير» ج ٢٧ ص ٣، «تفسير القرطبي» ج ١٥ ص ٢٦٧، «لطائف الإشارات» ج ٣ ص ٢٨٧.
- ٢- ٢. راجع _ مع اختلافات _ : «غرائب القرآن و رغائب الفرقان» الجزء ٢٤ ص ١٢.

عَلَى كِتَابِكَ! فَلَوْلَا الْمَوَاقِفُ الَّتِي أَوْعَدْتُ مِنْ عَفْوِكَ الَّذِي شَمِلَ كُلَّ شَيْءٍ لَأَلْقَيْتُ بِيَدِي، وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا اسْتَطَاعَ الْهَرَبَ مِنْ رَبِّهِ لَكُنْتُ أَنَا أَحَقُّ بِالْهَرَبِ مِنْكَ، وَأَنْتَ لَا تَخْفَى عَلَيْكَ خَافِيَةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا أَتَيْتَ بِهَا، وَكَفَى بِكَ جَازِيًا، وَكَفَى بِكَ حَسِيبًا.

«الواو» من قوله _ عليه السلام _ : «و قد تقدّم _ ... إلى آخره _» عاطفة.

>و «قد» للتحقيق.

و إيراد المسند إليه موصولاً في الموضعين للتفخيم و التهويل؛ أى: ما قد علمت من الذنوب الخارجة عن حدّ العدّ و الوصف، فلامجال لتعدادها و بيانها إلّا بإحالتها على علمك.

و لمّا كان هو أيضاً عالماً بها فى الجملة أكّد التفخيم و التهويل بقوله: «و ما أنت أعلم به منّى» تجهيلاً لنفسه و تعظيماً لخطره _ أى: و ما أنت أعلم به منّى كمّاً و كيفاً و قبحاً و شناعه _ (١) <؛

و لذا استغاث إلى جناب عفوه من قبائح الأفعال و قال: «فيا سوأته ممّا أحصاه على كتابك».

و «الفاء» لترتب ما بعدها على ما قبلها.

>و «السّوءه» _ بالفتح _ فى الأصل بمعنى: العوره و ما لا يجوز أن ينكشف من الجسد، ثمّ نقل إلى كلّ كلمه أو فعله قبيحه (٢) <؛ >و قال فى الكشف: «السوءه: الفضيحة لقبحها، قال:

يَا لِقَوْمِي (٣) لِلْسَّوَاءِ السَّوَاءِ

أى: للفضيحة العظيمة (٤). و هذا المعنى هو المراد هنا؛ أى: يا (٥) < فضيحتاه على حالى لو ظهر ما كتب على كرام الكاتبين على جريده أعمالى. و هى منادى مندوب متوجّع منه _

ص : ٤٥٤

١-١. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣٠٧.

٢-٢. قارن: «نور الأنوار» ص ٢٠٣.

٣-٣. الكشف: لقوم.

٤-٤. راجع: «تفسير الكشف» ج ١ ص ٦٠٨.

٥-٥. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣٠٨.

لكونها سبب ألم، كقولهم: وامصيتاه، و: وا أسفاه، والغرض الإعلام بعظمه الفضيحة و المصيبة و نحوهما _ . قال الجزولي:
«المنذوب منادئ، سواء كان متفجعاً عليه _ نحو: وامحمّده _ ، أو متوجّعاً منه _ نحو: يا واويلاه، و: واحزنه _ ، فكأنك تنادى
و تقول: يا محمد تعال! فأنا مشتاق إليك، و يا ويل احضر! حتّى أتعجب من عظمك و فظاعتك»(١).

>و «المواقف»: جمع موقف، و هو فى الأصل: موضع الوقوف؛ و المراد بها هنا: مظانّ العفو، على الإستعاره بجامع الحصول فيها؛
و عائد الموصول محذوف، و التقدير: أوّمل فيها من عفوكم(٢).<

قوله _ عليه السلام _ : «لألقيت بيدى» جواب «لولا»، أى: لألقيت بيدى إلى مصارع المهالك؛ أو: لألقيت نفسى بيدى. و هو
>كنايه عن الإستسلام للوقوع فى المهالك. و قيل: «بيدى أى: بنفسى، كما قيل فى قوله _ تعالى _ : «وَلَا تَلْقُوا
بِأَيْدِيكُمْ»(٣)(٤).<

و «لو» من قوله: «و لو أنّ» شرطية.

و «أحدا» أصله: وحد، فأبدلت «الواو» همزة. و يقع على الذكر و الأنثى. و هو إمّا بمعنى إنسان؛ أو: بمعنى واحد؛ أو بمعنى شىء؛
و عليه قراءة ابن مسعود فى قوله _ تعالى _ : «وَإِنْ فَاتَكُمْ أَحَدٌ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ»(٥)(٦): «أى: شىء».

و «أنّ» موصولٌ حرفيٌّ؛

و «أحدا» اسمها؛

و قوله: «استطاع الهرب» خبرها، و هى و صلتها بعد «لو» فى موضع رفعٍ عند الجميع _

ص : ٤٥٥

-
- ١- ١. لم أعر عليه فى «المقدّمه الجزوليّه» النحويّه، و لا فى «شرح الشلّوبين» عليه، و انظر: «شرح الشلّوبين» عليه ج ٣ ص ٩٦٧.
 - ٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣١٠.
 - ٣- ٣. كريمه ١٩٥ البقره.
 - ٤- ٤. قارن: «التعليقات» ص ١٠١.
 - ٥- ٥. كريمه ١١ الممتحنه.
 - ٦- ٦. راجع فى هذه القراءه الغريبه: «معانى القرآن» _ للفرّاء _ ج ٣ ص ١٥١، «إعراب القرآن» _ للنحاس _ ج ٣ ص ٤١٨.

لأنها موضوعه لتكون بتأويل مصدر خبرها مضافاً إلى اسمها _ . ثم اختلفوا في الرفع؛ فقال سيبويه: «بالإبتداء، و لا يحتاج إلى خبرٍ _ لاشتمال صلتها إلى مسندٍ و مسندٍ إليه _»؛

و قيل: «على الإبتداء، و الخبر محذوفٌ».

ثم قيل: «يقدر مقدماً، و التقدير: فيما نحن فيه و لو ثبت استطاعه أحد الهرب _ على حدّ: «وَ آيَةُ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا» (١) _»؛

و قال ابن عصفور: «بل يقدر مؤخراً، أى: و لو استطاع أحد الهرب ثابتاً»؛

و قال المبرد و الزجاج و الزمخشريّ و الكوفيون: «إنه على الفاعليه ثبتت مقدراً بعد «لو»، و الدالّ عليه «انّ»، فإنّها تعطى معنى الثبوت؛ و التقدير: لو ثبتت استطاعه أحد الهرب».

و ربح بأن فيه ابقاء «لو» على الاختصاص بالفعل (٢) - (٣)؛ هكذا ذكره الفاضل الشارح.

و «الهَرَب» _ على وزن فَرَس _ : الفرار.

و قوله _ عليه السلام _ : «لكنت أنا أحقّ»: جواب «لو».

و «أنا» ضمير فصلٍ لا محلّ له من الإعراب على مذهب الجمهور، و قال الفراء: «محلّه بحسب ما قبله»؛

و الكسائي: «بحسب ما بعده». و فائدته الدلالة على أنّ الوارد بعده خبرٌ لاصفة، و التوكيد، و إيجاب أنّ فائده المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره.

و يحتمل كونه تأكيداً لاسم «كان».

و «أحقّ» بفتح القاف: خبرٌ للـ «كون»؛ و بضمّ القاف _ على ما ضبط في جميع النسخ المشهوره _ : خبرٌ للـ «أنا»، فـ «أنا» فى محلّ رفعٍ على الإبتداء و «أحقّ» خبره، و الجملة خبر

ص : ٤٥٦

١- ١. كريمه ٤١ يأس.

٢- ٢. راجع فى ذلك كلّهُ: «شرح رضىالدين على الكافيه» ج ٣ ص ١٤٨.

٣- ٣. راجع: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣١١.

«كنت». و في نسخه الشهيد: «... الهرب من ربّه أنا أحق»، بلا كلمه «كنت».

و جمله: «و أنت لا-تخفى عليك خافيه... إلى آخره _» استينافيه مقررّه لما قبلها. و صيغه المضارع المعلوم على شائع النسخ للدلاله على الإستمرار التجددى؛ و على نسخه بالبناء للمجهول.

و «الخافيه»: اسم لما يخفى _ كالعائيه: لما تغيب _ . و تأوّهما إمّا للنقل من الوصفيه إلى الاسميه _ كالذبيحه _ ؛ و إمّا للمبالغه _ كالراويه فى قوله: «ويلّ للشاعر من راويه السوء»(١) _ .

و قوله _ عليه السلام _ : «إلاّ أتيت بها» أى: أحضرتها يوم القيامة _ كما قال تعالى: «وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ»(٢) _ . و هذا الإستثناء إمّا متّصل _ من باب قوله تعالى: «إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ»(٣) _ ، فالمعنى: إن أمكن أن تخفى عليك خافيه فى حال إتيانك بها، و ذلك غير ممكن، لأنّه إذا أمكن إتيانه بها فخفاؤها عليه محال؛ كما أنّ معنى قوله _ تعالى _ : «وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ»: إن أمكن أن تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحلّ لكم غيره، و ذلك غير ممكن. و حاصله: أنّه من باب إخراج الكلام، فخرج التعليق بالمحال، و المتعلّق بالمحال محال! و الغرض نفى المبالغه فى نفى الخفاء و التحريم؛

و إمّا منقطع، فالمعنى: أنّه كيف تخفى عليك خافيه و أنت آت بها؟! و الأصل: لا تخفى عليك خافيه، لكن أتيت بها _ أى: أنت آت بها _ ، فكيف تخفى عليك؟! و ذلك أنّ الإستثناء المنقطع للإستدراك، و «إلاّ» فيه بمعنى: لكن، و كذلك يقدر كلّ منقطع بـ «لكن». و الغرض منه التأكيد. و وجهه أنّ ذكر أداته قبل ذكر ما بعدها يوهّم إخراجها ممّا قبلها، فإذا وليها شىء يقتر ما قبلها جاء التأكيد.

و قوله _ عليه السلام _ : «و كفى بك _ ... الى آخره _» >إعتراض تذييلّى لتقرير

ص : ٤٥٧

١- ١. لم أعثر على هذا القول، لا فى مصادر الحديث و لا فى مصادر الأمثال و لا فى مصادر الأدب.

٢- ٢. كريمة ٤٧ الأنبياء.

٣- ٣. كريمة ٢٢ النساء.

إتيانه _ تعالى _ بكلّ خافيه.

و تكرير الفعل فى الجملتين لتقويه استقلالهما المناسب للإعتراض، و تأكيد كفايته _ تعالى _ فى كلّ من الجزاء و المحاسبه.

و «الباء» فى الموضعين زائده؛

و مجرورها فاعل «كفى»، و المعنى: كفيت جازياً، و: كفيت حسيباً.

و «جازياً» _ بالجيم و الزاى _ : اسم فاعلٍ من المجازات بمعنى: المكافات؛ و فى نسخه ابن إدريس(١) <: بالخاء المعجمه و النون بعد الزاء، من: الخزانه؛ و المراد منه هنا مطلق الحفظ _ أى: كفى بك حافظاً، و منه قوله تعالى: «وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ»(٢) أى: حافظين _ .

و «حسيباً» أى: كافياً، و «الحسيب» المحاسب أيضاً. و يطلق على المحصى و العالم، قال _ تعالى _ : «وَكَفَى بِاللّهِ حَسِيباً»(٣)، و ذلك لأنه سريع الحساب، و فى الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يَفْرَغُ مِنْ حِسَابِ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ بِزَمَانٍ قَلِيلٍ»(٤)؛ انتهى؛ كيف! و فى قدره الله أن يكشف فى لحظه واحدٍ للخلائق حاصل حسناتهم و سيئاتهم، و هو أسرع الحاسبين.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ طَالِبِيْ إِنْ أَنَا هَرَبْتُ، وَ مُدْرِكِيْ إِنْ أَنَا فَرَزْتُ، فَهَذَا أَنَا ذَا بَيْنَ يَدَيْكَ خَاضِعٌ ذَلِيلٌ رَاغِمٌ، إِنْ تُعَذِّبْنِيْ فَإِنِّى لِدَلِكْ أَهْلٌ، وَ هُوَ _ يَا رَبِّ! _ مِنْكَ عَدْلٌ، وَ إِنْ تَعَفُّ عَنِّى فَقَدِيماً شَمَلْنِيْ عَفْوَكَ، وَ أَلْبَسْتَنِيْ عَافِيَتَكَ.

أى: إن هربت فأنك طالبتنى، لأنّ الهرب منك ممتنع! _ إذ الخروج من ملكك محالٌ _ ، قال الله _ تعالى _ : «يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَ الْإِنْسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ»(٥).

ص : ٤٥٨

١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣١٧.

٢- ٢. كريمه ٢٢ الحجر.

٣- ٣. كريمه ٦ النساء / ٣٩ الأحزاب.

٤- ٤. لم أعثر عليه بألفاظه، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٧ ص ٢٥١.

٥- ٥. كريمه ٣٣ الرحمن.

و قوله _ عليه السلام _ : «إن أنا فررت» كالتفسير للأولى.

و «الفاء» من قوله _ عليه السلام _ : «فها أنا ذا» سببته.

و «ها» حرف تنبيه صدرت به الجملة لكمال العناية و الإهتمام بشأنها.

و «أنا ذا» مبتدئ و خبر.

حو «بين يديك» بيان للوصف _ أى: واقف بين يديك _ ، و هو خبرٌ بعد خبرٍ؛ أو خبرٌ لـ «ذا» و الجملة خبرٌ لـ «أنا».

و «خاضع» و ما بعده أخبارٌ متعدده.

و «راغم» اسم فاعلٍ من: رَغِمَ (١)، و هو: مسح الأنف على التراب.

و جملة: «إن تعذبني فإنني لذلك أهلٌ _ ... إلى آخره _ » مستأنفة مقررّة لمضمون ما قبلها.

و المشار إليه بـ «ذلك» هو: العذاب.

و «أهل» أى: المستحق للعذاب، لأنّ العذاب للعاصين و أنا منهم و إن كان لأجل نحو وجودى _ كما قيل:

وَجُودُكَ ذَنْبٌ لَا يُقَاسُ بِهِ ذَنْبُ (٢)

و قد مرّ تحقيق ذلك غير مرّة؛ فتذكر _ .

و هو راجعٌ إلى العذاب المتضمن قوله: «إن تعذبني» _ كقوله تعالى: «إِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى» (٣) _ ؛ أى: ذلك العذاب « _ يا رب! _ منك عدلٌ، لأنّه واقعٌ موقعه.

و «إن تعف عني» فليس منك تعجّب؛ «فقدماً شملنى عفوك»، أى: عفوك شاملٌ لى من القديم إلى الآن، لا أنّه أمرٌ حادثٌ جديدٌ.

فـ «قدماً» منصوبٌ بالظرفيّة لما بعده، و هو صفةٌ لزمانٍ أقيمت مقامه _ أى: زماناً قديماً

ص : ٤٥٩

١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣١٨.

٢- ٢. راجع: «وفيات الأعيان» ج ١ ص ٣٧٤، «مصباح الأنس» ص ٦٩٣، «الراح القراح» ص ٧٤.

٣- ٣. كريمه ٨ المائدة.

شملنى عفوك _ ؛ و التقديم للإهتمام.

و «ألبستنى عافيتك» عطفٌ على «شملنى».

فَأَسْأَلُكَ _ اللَّهُمَّ! _ بِالمُخْزُونِ مِنْ أَسْمَائِكَ، وَبِمَا وَارَتْهُ الْحُجُبُ مِنْ بَهَائِكَ، إِلَّا رَحِمْتَ هَذِهِ النَّفْسَ الْجَزُوعَةَ، وَهَذِهِ الرِّمَّةَ الْهَلُوعَةَ، الَّتِي لَا تَشِي تَطِيعُ حَرَّ شَمْسِكَ، فَكَيْفَ تَشِي تَطِيعُ حَرَّ نَارِكَ، وَ الَّتِي لَا تَشِي تَطِيعُ صِوْتَ رَعْدِكَ، فَكَيْفَ تَشِي تَطِيعُ صِوْتَ غَضَبِكَ؟.

«الفاء» فصيحَةٌ، أى: إذا كان حالى على ما شرحت فأسألك مستحلفاً بحق أسمائك المخزونه فى خزانة علمك المستوره عنا بالأنوار التى سترتها الحجب التى هى ناشئة منك.

فالمراد بـ «المخزون من أسمائه» _ تعالى _ إما ما استأثر بعلمه و حجه عن خلقه، فلا يعلمه إلا هو، كما ورد فى دعاء آخر: «و بالأسماء التى استأثرت بها فى علم الغيب»(١)؛ و كما روى فى الكافى(٢) بسنده عن الصادق _ عليه السلام _ ما ملخصه: «إنَّ الله _ تعالى _ خلق أسمائه بالحروف، فجعلها أربعه أجزاء معاً ليس منها واحدٌ قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة لفاقه الخلق إليها و حجب واحداً منها، و هو الاسم المكنون المخزون» _ ... إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيره الوارده فى هذا الباب _ ؛

و إقياً المخزون عند الأنبياء و الأوصياء، كما روى: «إنَّ الاسم الأعظم ثلاثة و سبعون حرفاً، و قد علّم _ سبحانه _ كلَّ نبيٍّ و وصيٍّ شيئاً منها، و قد علّم نبيّنا و أهل بيته _ عليهم السلام _ اثنين و سبعين حرفاً و استأثر هو _ سبحانه _ بعلم حرفٍ منها لم يطلع عليه

ص : ٤٦٠

١- ١. لم أعر عليه، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٩١ ص ٤٠٢، «البلد الأمين» ص ٣٧٥، «المصباح» _ للكفعمي _ ص ٢٦٢، «مهج الدعوات» ص ٧٥.

٢- ٢. و هذا _ كما يشير إليه المؤلّف _ تلخيص الحديث، راجع: «الكافى» ج ١ ص ١١٣ الحديث ١، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٤ ص ١٦٦.

أحدًا»(١).

و «المواراه»: الستر، يقال: >واريت الشيء مواراهً: إذا سترته، و توارى: استتر؛ ومنه: «حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ»(٢).

و «الحُجُب» جمع: حجاب _ ككتب و كتاب _ ، و هو الستر؛ من: حجبهُ حجباً: منعه _ لَأَنَّهُ يَمْنَعُ الْمَشَاهِدَةَ _ . و الأصل فيه جِسْمٌ حَاجِزٌ بَيْنَ عَيْنَيْنِ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي الْمَعْنَى فَقِيلَ: «المعصية حجابٌ بين العبد و ربِّه»(٣).<

و «الحجب» إِمَّا حِسِّيَّةٌ هِيَ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ، كَمَا رَوَى الصَّدُوقُ(٤) بِإِسْنَادِهِ عَنْ وَهْبٍ قَالَ: سَأَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ عَنْ الْحِجْبِ؟

فَقَالَ: «أَوَّلُ الْحِجْبِ سَبْعَةٌ _ ... إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ _»، وَ قَدْ مَرَّ فِي اللَّمَعَةِ الثَّلَاثَةِ؛

وَ إِمَّا مَعْنَوِيَّةٌ هِيَ عَلَى قَسْمَيْنِ:

الأَوَّلُ: الصِّفَاتُ الْجَمَالِيَّةُ الذَّاتِيَّةُ الْعَالِيَةُ عَنْ مَطَارِحِ الْأَنْظَارِ وَ مَطَارِحِ الْأَفْكَارِ _ كَمَا وَرَدَ فِي الدَّعَاءِ: «يَا مَنْ كَانَ الْحِجَابُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ خَلْقِهِ أَنَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الْعَالَمُ الدَّعَاءُ»(٥) _ ؛

الثَّانِي: الصِّفَاتُ الْجَلَالِيَّةُ، وَ فِي الدَّعَاءِ مَا يُؤَيِّدُهُ أَيْضًا.

وَ قَوْلُهُ _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ : «إِلَّا رَحْمَتُ» أَي: أَنْ تَرْحَمَ، كَأَنَّهُ قَالَ: لِأَرْضِي فِي سُؤَالِي هَذَا إِلَّا أَنْ تَرْحَمَ. وَ التَّعْبِيرُ بِصِيغَةِ الْمَاضِي لِلتَّفَوُّلِ _ كَمَا وَقَعَ فِي قُنُوتِ صَلَاةِ الْغَفِيلَةِ: «أَسْأَلُكَ بِمُحَمَّدٍ وَ آلِهِ لَمَّا قَضَيْتَهَا»(٦) _ .

ص : ٤٦١

١- ١. هذا مضمون الحديث، راجع: «الكافي» ج ١ ص ٢٣٠ الحديث ١.

٢- ٢. كريمه ٣٢ صآ.

٣- ٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣٢١.

٤- ٤. راجع: «التوحيد» ص ٢٧٧ الحديث ٣، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٥٥ ص ٣٩.

٥- ٥. لم أعثر عليه.

٦- ٦. راجع: «وسائل الشيعة» ج ٨ ص ١٢١ الحديث ١٠٢١٧، «مستدرک الوسائل» ج ٦ ص ٣٠٣ الحديث ٦٨٧٥، «البلد الأمين» ص ١٥٤، «فلاح السائل» ص ٢٤٥، «مفتاح الفلاح» ص ٢٥١.

و قال الفاضل الشارح: «هذا جواب القسم صَدَرَتْ جملته بـ «إِلَّا» الإستثنائية لقصد المبالغة _ كقول الشاعر:

بِاللَّهِ رَبِّكَ إِلَّا قُلْتَ صَادِقَةً _

و الإستثناء مفرغٌ، و المستثنى فى محلّ نصبٍ على المفعوليه به؛ و المعنى: ما أسألك إِلَّا رحمتك. فالمثبت لفظاً منفىً معنىً، و لذلك تأتى التفريغ [\(١\)](#).

و «الجزوعه»: كثير الجزع.

و «الرمه» _ بالكسر _ : العظام الباليه.

و «الهلوعه»: المبالغه فى الهلع، يقال: هلع هلوعاءً: إذا جزع أشدّ الجزع.

و «الفاء» من قوله _ عليه السلام _ : «فكيف تستطيع حرّ نارك» لترتيب ما بعدها على ما قبلها.

و «كيف» منصوبٌ بالفعل بعده قدّم عليه للزومه الصدرية بالإستفهام. و اختلفوا فى نصبه؛ ف قيل: «على الحائيه، أى: على أىّ حالٍ تستطيع»؛

و قيل: «على الظرفيه، أى: فى أىّ حالٍ تستطيع»؛

و قيل: «على المفعوليه المطلقه، أى: أىّ استطاعه تستطيع».

و الإستفهام لإنكار الاستطاعه و نفيها.

و «النار» قد مرّ بيانها؛ و فى الحديث: «لوفتح بقدر ثقبه إبره من نار جهنّم فى المشرق لا حترق من شدّه حرّها من كان فى المغرب!» [\(٢\)](#) _ نعوذ بالله منها! _ .

و قوله _ عليه السلام _ : «و التى لاتستطيع صوت رعدك فكيف تستطيع صوت غضبك»، فحذف المضاف لدلاله المضاف إليه.

ص : ٤٦٢

١- ١. راجع: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣٢٣.

٢- ٢. لم أعثر عليه، لا فى مصادرنا و لا فى مصادر العامه.

فَارْحَمْنِي _ اللَّهُمَّ! _ فَإِنِّي امْرُوءٌ حَقِيرٌ، وَ خَطَرِي يَسِيرٌ، وَ لَيْسَ عَذَابِي مِمَّا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ لَسَأَلْتُكَ الصَّبْرَ عَلَيْهِ، وَ أَحَبَبْتُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لَكَ، وَ لَكِنْ سُلْطَانُكَ _ اللَّهُمَّ! _ أَعْظَمُ، وَ مُلْكُكَ أَدْوَمُ مِنْ أَنْ تَزِيدَ فِيهِ طَاعَةَ الْمُطِيعِينَ، أَوْ تَنْقُصَ مِنْهُ مَعْصِيَةَ الْمُذْنِبِينَ. فَارْحَمْنِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَ تَحَاوِزْ عَنِّي يَا ذَا الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ، وَ تُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

«الفاء» الأولى لترتب ما بعدها على ما قبلها؛

و الثانيه للتعليل، أى: لِأَنِّي امرءٌ حقيرٌ.

و «المرء»: الرجل.

حـو «الحقير»: الدليل الصغير.

و «خَطَرُ» الرجل _ مَحَرَّكَهُ _ : قدره و منزلته.

و «اليسير»: القليل و الهين، و منه: «ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ»^(١).

و «ليس»: فعلٌ جامدٌ _ و من ثَمَّ ادَّعى قومٌ حرفيته^(٢) _ ، و معناه نفى مضمون الجملة^(٣)؛ أى: ليس عَذَابِي مِمَّا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، بَلْ إِيجَادُ الدَّارِينَ لَا يَزِيدُ، فَكَيْفَ بَعْدَابِي!.

فـ «مِثْقَالَ ذَرَّةٍ» مفعول «يزيد».

قوله _ عليه السلام _ : «لَوْ أَنَّ عَذَابِي مِمَّا يَزِيدُ _ ... إِلَى آخِرِهِ _» مُسْتَأْنَفٌ مُقَرَّرٌ لِمَا قَبْلَهُ مِنْ حُكْمِهِ بِأَنَّ عَذَابَهُ لَا يَعُودُ بِمَنْفَعَةٍ عَلَيْهِ _ تَعَالَى _ .

و قوله _ عليه السلام _ : «لَسَأَلْتُكَ الصَّبْرَ عَلَيْهِ» جواب «لو». و فيه إشارةٌ إِلَى أَنَّ صَبْرِي

ص : ٤٦٣

١- ١. كريمه ٦٥ يوسف.

٢- ٢. هذا رأى ابن السراج و الفارسي و ابن شقير و جماعه آخرين، و لتفصيل المقال راجع: «مغنى اللبيب» ج ١ ص ٣٨٧.

٣- ٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣٢٧.

أيضاً بإعطائك.

و «لكن» بالتخفيف؛ و في نسخه بالتشديد؛ و ما بعدها مرفوعة على الأول بالابتدائية، و على الثاني بالاسميّة. >و قال الرضّي: «الواو الداخلة على «لكن» _ مخفّفة و مشدّدة _ يجوز كونها عاطفة جملة على جملة (١)، و جعلها إعتراضية أظهر من حيث المعنى» (٢). و مفاد «لكن» هنا تأكيد ما أفادته «لو» من الامتناع مع الاستدراك، و هو رفع توهم يتولّد من الكلام السابق، فأنّه ربّما يوهم أنّ عذابه بالخصوص لايزيد في ملكه، فرفعه و قال: «و لكن سلطانك» _ ... إلى آخره _؛ أي: سلطانك أعظم و أبعد «من أن تزيد فيه طاعه المطيعين، أو تنقص منه معصيه» العاصين. و ملكك أيضاً كذلك _ لفرط دوامه _ (٣)، فكان الواجب أن يسأل العاصي المقصّر الصبر عليها طلباً لما هو مصلحة لله _ تعالى _ و حياطة لملكه عن عروض النقص _ تعالى عن ذلك! _.

ف _ «من» المذكورة ليست الجارّة للمفضول في نحو: زيدٌ أفضل من عمرو _ إذ لا معنى لتفضيل السلطان و الملك في العظم و الدوام على الزيادة و النقصان _؛ بل هي مثلها في نحو: بعدت منه. تعلّقت بأفعل لما ضمّنه من معنى البعد، لا لما فيه من معنى التفضيل؛ و هي هنا متعلّقة بالاسمين على طريق التنازع، و المفضّل عليه متروكٌ أبداً مع أفعل في هذا التركيب و نحوه لقصد التعميم.

و إنّما أفرد الضمير في قوله: «فيه» و «منه» مع أنّ المذكور شيئان _ فكان حقّه أن يقول «فيهما» _، لأنّ السلطان و الملك بمعنى. و «الفاء» من قوله _ عليه السلام _ : «فارحمني» فصيحة، أي: إذا كان الأمر هكذا فارحمني.

ص : ٤٦٤

١- ١. شرح الكافية: و يجوز دخول الواو عليها مشدّدة و مخفّفة، و يجوز كون الواو عاطفة للجملة على الجملة.

٢- ٢. راجع: «شرح رضايا الدين على الكافية» ج ٤ ص ٣٧٢.

٣- ٣. قارن _ مع تغييرٍ يسير _ : «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣٢٨.

هذا آخر اللمعه الخمسين من لوامع الأنوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية، قد وفقني الله _ تعالى _ لإتمامها في ليلة
الأربعاء من العشر الأوسط من شهر جمادى الثانى سنة ١٢٣٣.

ص : ٤٦٥

الحمد لله الذي منه يبدىء تورّع المتورّعين، وإليه ينتهى تضرّع المتضرّعين؛ والصلاه والسلام على غايه إيجاد السموات والأرضين وعلى آله وأهل بيته الطيّين _ صلوات الله عليهم أجمعين _ .

و بعد؛ فيقول العبد المتضرّع المستكين إلى باب ملجأ الفقراء والمساكين محمّد باقر بن السيّد محمّد _ غفر الله ذنوبهما يوم الدين _ : فقد حان حين شروعى فى الدعاء الحادى والخمسين من أدعيه صحيفه سيّد الساجدين من توفيقات ربّ العالمين؛ وأرجو منه _ سبحانه _ أن يوفّقنى لإتمامه وإتمام الأدعية التى بعده بحقّ محمّد وأهل بيته المعصومين.

وَ كَانَ مِنْ دُعَائِهِ _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ فِى التَّضَرُّعِ وَ الْأَسْتِكَانَةِ.

>«التضرّع»: الإبتهال؛ قال الجوهرى: «تضرّع إلى الله أى: ابتهل» (١). وفى حديث: «التضرّع: تحريك الأصابع يميناً وشمالاً» (٢)؛ وفى آخر: «التضرّع: تحريك السبابة اليمنى يميناً و

ص : ٤٦٩

١- ١. راجع: «صباح اللغة» ج ٣ ص ١٢٤٩ القائمة ٢.

٢- ٢. لم أعثر عليه بالفاظه، وانظر: «الكافي» ج ٢ ص ٤٨١ الحديث ٧، «وسائل الشيعة» ج ٧ ص ٤٩ الحديث ٨٦٨٧.

شمالاً» (١) (٢)؛ و لعلَّ السرَّ في ذلك هو أنَّ المتضرَّع راج و خائفٌ، فناسب أن يحرك أصابعه يميناً و شمالاً إشعاراً بأنَّه لا يدري هل هو من أصحاب اليمين؟، أم من أصحاب الشمال؟.

و «الإستكانه»: الخضوع.

إِلَهِى أَحْمَدُكَ _ وَ أَنْتَ لِلْحَمْدِ أَهْلٌ _ عَلَى حُسْنِ صَنِيعِكَ إِلَيَّ، وَ سُبُوحِ نِعْمَاتِكَ عَلَيَّ، وَ جَزِيلِ عَطَائِكَ عِنْدِي، وَ عَلَى مَا فَضَّلْتَنِي بِهِ مِنْ رَحْمَتِكَ، وَ أَشْيَعْتَ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَتِكَ، فَقَدِ اضْطَنَعْتُ عِنْدِي مَا يَعْجُزُ عَنْهُ شُكْرِي. وَ لَوْلَا إِحْسَانُكَ إِلَيَّ وَ سُبُوحِ نِعْمَاتِكَ عَلَيَّ مَا بَلَغْتُ إِخْرَازَ حَظِّي، وَ لَا إِضْلَاحَ نَفْسِي، وَ لَكِنَّكَ ابْتَدَأْتَنِي بِالْأَحْسَنِ، وَ رَزَقْتَنِي فِي أُمُورِي كُلِّهَا الْكَفَايَةَ، وَ صَرَفْتَ عَنِّي جَهْدَ الْبَلَاءِ، وَ مَنَعْتَ مِنِّي مَخْذُورَ الْقَضَاءِ.

«إلآهى أحمدك» أى: يا إلآهى!، فحذف <حرف النداء استشعاراً لكمال قربهِ _ تعالى _ .

و ايثار صيغهُ الإستقبال للدلاله على التجدد و الإستمرار.

و لم يقل: «حمدتك» لئلا يتوهم الفراغ منه.

و لم يؤكد الجملة اشعاراً بقصور حمده (٣) <.

و قوله _ عليه السلام _ : «و أنت للحمد أهلٌ» جملةٌ معترضةٌ بين الفعل و متعلِّقه، فلامحلٌّ لها من الإعراب؛ و تقديم المجرور على متعلِّقه للاهتمام.

و قوله _ عليه السلام _ : «على حسن صنيعك» متعلِّقٌ بـ «أحمدك»؛ أى: حمدى بإزاء فعلك الجميل فى حقى، و بازاء «سبوح نعمائك على» _ أى: نعمائك الكامله _ ، فإضافه «السبوح» إلى «النعمة» من قبيل إضافه الصفه إلى الموصوف.

و تعلِّقه بلفظ «على» إشارةً إلى أنَّ نعماءه محيطه تشمل جميع الأعضاء اشتمال التام.

ص : ٤٧٠

١- ١. لم أعر عليه أيضاً، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٧٧ ص ٢٣١.

٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣٣٧.

٣- ٣. قارن: نفس المصدر و المجلد ص ٣٣٨.

و «الجزيل»: الكثير.

و إنّما قال: «عندي» و لم يقل «لدى» _ مع استدعاء رعايه السجع له _ ليشمل العطاء صنفى الأعيان و المعانى، و ما كان غائباً عنه و حاضراً لديه _ كما قال السيوطى فى الإتيقان (١) و ابن هشام فى المغنى (٢) _ .

> قوله _ عليه السلام _ : «و على ما فضّلتنى» عطف على «حسن صنيعك». و إعادته الجارّ للتأكيد؛ و إشعاراً بتغاير الحمدين _ : كأنّه استأنف حمداً آخر _ . قال ابن جنّى: «إعادته الجارّ بمنزله إعادته العامل» (٣). و العائد على «ما» محذوف _ أى: على ما فضّلتنى به _ ؛ و فى نسخه قديمه أثبت فيها العائد (٤) <.

و «الفاء» من قوله: «فقد اصطنعت» لترتيب ما بعدها على ما قبلها، و لكن الترتيب بحسب التغاير الإعتبارى.

و «الاصطناع»: فعل المعروف.

قوله _ عليه السلام _ : «و لولا إحسانك _ ... إلى آخره _ » أى: لولا إحسانك إلى كائن و إكمال نعمتك علىّ حاصلٌ لكنت عاجزاً عن تناول نصيبى، و لم أقدر على إصلاح نفسى. ف _ «علىّ» متعلّق ب _ «سبوغ نعمائك»، كما أنّ «إلى» متعلّق ب _ «إحسانك». و لا يجوز تعلّقهما بمحذوف _ أى: كائن إلى و علىّ _ ، لأنّ خبر المبتدأ بعد «لولا» واجب الحذف عند الجمهور (٥). فكلٌّ من خبرى «إحسانك» و «سبوغ نعمائك» المرفوعين بالإبتداء: كونٌ مطلقٌ محذوفٌ وجوباً، و التقدير: لولا إحسانك إلى كائن و سبوغ نعمائك علىّ حاصلٌ «ما بلغت إحراز حظّى و لا إصلاح نفسى».

و قوله _ عليه السلام _ : «و صرفت عنّى جهد البلاء» أى: دفعت عنّى البلاء الذى

ص : ٤٧١

١- ١. راجع: «الإتيقان فى علوم القرآن» ج ٢ ص ٢٤٥.

٢- ٢. راجع: «مغنى اللبيب» ج ١ ص ٢٠٩.

٣- ٣. لم أعثر عليه.

٤- ٤. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣٣٩.

٥- ٥. راجع: «مغنى اللبيب» ج ١ ص ٣٥٩.

>معهُ يَتَمَنَّى المَبْتَلَى به الموت لعظيم المحنة؛ أو مشقته؛ وقيل: «جهد البلاء: هو قلّه المال و كثره العيال» (١)(٢)؛ <

>قال في القاموس: «جهد البلاء: الحاله التي يختار عليها الموت؛ أو: كثره العيال و الفقر» (٣)؛

و قال ابن الأثير: «هو (٤) الحاله الشاقّه» (٥)(٦) <.

قوله _ عليه السلام _ : «و منعت مني محذور القضاء» أي: دفعت عني القضاء التي ينبغي عنها الحذر؛ ف _ «محذور القضاء» أي: القضاء المحذور _ من قبيل إضافة الصفه إلى الموصوف _ .

إِلَهِي! فَكَمْ مِنْ بَلَاءٍ جَاهِدٍ قَدْ صِرَفْتُ عَنِّي، وَ كَمْ مِنْ نِعْمَةٍ سَابَغَهُ أَفْرَزْتُ بِهَا عَيْنِي، وَ كَمْ مِنْ صَبْرٍ نَبَغَهُ كَرِيمُهُ لَكَ عِنْدِي. أَنْتَ الَّذِي أَجَبْتَ عِنْدَ الْأَضْطِرَارِ دَعْوَتِي، وَ أَقَلْتَ عِنْدَ الْعِنَارِ زَلَّتِي، وَ أَخَذْتَ لِي مِنَ الْأَعْدَاءِ بُظْلَامَتِي. إِلَهِي! مَا وَجَدْتُكَ بَخِيلًا حِينَ سَأَلْتُكَ، وَ لَا مُنْقَبِضًا حِينَ أَرَدْتُكَ، بَلْ وَجَدْتُكَ لِدُعَائِي سَامِعًا، وَ لِمَطَالِبِي مُعْطِيًا، وَ وَجَدْتُ نِعْمَاكَ عَلَيَّ سَابِغَةً فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شَأْنِي وَ كُلِّ زَمَانٍ مِنْ زَمَانِي، فَأَنْتَ عِنْدِي مَحْمُودٌ، وَ صَنِيعُكَ لَدَيَّ مَبْرُورٌ.

«الجاهد»: اسم فاعلٍ من: جهده الأمر: إذا بلغ منه المشقّه؛ أو بلغ منه الطاقه _ أي: بلاءٌ موجبٌ لضيق المعاش و المشقّه _ .

ص : ٤٧٢

١- ١. راجع: «تاج العروس» نفس الصفحة المذكوره في التعليقه الآتيه.

٢- ٢. قارن: «نور الأنوار» ص ٢٠٣، و انظر: «التعليقات» ص ١٠٢.

٣- ٣. راجع: «القاموس المحيط» ص ٢٦٣ القائمه ٢، و انظر: «تاج العروس» ج ٤ ص ٤٠٧ القائمه ٢.

٤- ٤. النهايه: أي.

٥- ٥. راجع: «النهايه» ج ١ ص ٣٢٠.

٦- ٦. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣٤٢.

قوله _ عليه السلام _ : «وكم من نعمهٍ سابغٍ _ ... إلى آخره _ » أى: كم من نعمهٍ كاملهٍ و سابغٍ جعلتها قره عينٍ لى.

و «الصنيعه»: ما صنع من معروفٍ؛

و «التاء» فيها للنقل من الوصفية إلى الإسمية.

و «الكريمة»: الشريفة، و هى صفةٌ مؤكدةٌ لل «صنيعه» _ لأنها لا تكون إلا كريمةً _ .

و «كم» خبريةٌ مفيدةٌ للتكثير، و هى فى الموضعين فى محلّ نصبٍ بمضمّرٍ يفسّره مابعد مميّزها من الفعل.

>قوله: «أنت الذى _ ... إلى آخره _ » جملةٌ مستأنفةٌ لامحلّ لها من الإعراب مقرّرةٌ لمضمون ما قبلها؛ و فيه تلميحٌ إلى قوله _ تعالى _ : «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ»(١).

و «أقلت» من: الإقاله، و هو: التجاوز عن الذنب، يقال: أقال الله عشرته إقاله: رفعه من سقوطه، ثمّ تجوّز به عن الغفران و التجاوز عن الذنب.

و «الظلامه» _ بالضّم _ : ما يطلبه المظلوم عند الظالم.

و «الباء» زائدةٌ لتقوية العمل للفصل التام بين العامل و المعمول، أى: أخذت من الأعداء ظلامتى.

و «البخيل»: فعيلٌ بمعنى فاعلٍ، من: بَخُلَ بَخْلًا _ من باب قرب _ أى: منع ما عنده من لا يحقّ منعه منه؛ و قد تقدّم الكلام عليه.

و «الانقباض»: ضدّ الإنبساط.

و «الإرادة» هنا بمعنى: القصد و الطلب؛ أى: حين قصدتك و طلبتك.

و «بل»: حرف اضرابٍ، و معناه هنا الانتقال من غرضٍ إلى آخر. و هل هى عاطفةٌ أو ابتدائيةٌ؟، خلافٌ قد سبق ذكره(٢) <.

و الظروف الثلاثة متعلّقةٌ بما بعدها، قدّمها للاهتمام.

ص : ٤٧٣

١- ١. كريمة ٦٢ النمل.

٢- ٢. راجع: نفس المصدر و المجلّد ص ٣٤٦.

>و «نعماءك» _ بفتح النون ممدوداً _ : جمع نعمه؛ و أما فتح النون مقصوراً _ كما فى بعض النسخ _ فلم يرد فى اللغة(١) <.

و «من» فى قوله _ عليه السلام _ : «من شأنى» إما بياتية، أو ابتدائية؛ أى: فى كل شأنٍ كائنٍ من شؤنى. و إنما لم يجمعه لاعتبار الأصل، لأنه فى الأصل مصدرٌ بمعنى القصد، يقال: شأن شأنه أى: قصد قصده، سَمِيَ به الأمر لما أنه أثرٌ للشأن؛ و نظيره توحيد «السمع» فى قوله _ تعالى _ : «خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ»(٢) أى: أسماهم؛

و كذلك قوله: «من زمانى»، فإن «الزمان» يشتمل بحسب التقسيط على أوقاتٍ يسمّى كلُّ منها زماناً.

و «الفاء» من قوله: «فأنت» للسببية، أى: فبسبب ذلك أنت «عندى محمود».

تَحْمِيدُكَ نَفْسِي وَ لِسَانِي وَ عَقْلِي، حَمِيداً يَبْلُغُ الْوَفَاءَ وَ حَقِيقَةَ الشُّكْرِ، حَمِيداً يَكُونُ مَبْلَغَ رِضَاكَ عَنِّي، فَتَجْنِي مِنِّي سَيِّئَاتِي. يَا كَهْفِي حِينَ تُعِينُنِي الْمَذَاهِبُ وَ يَا مُقِيلِي عَثْرَتِي، فَلَوْلَا سِتْرُكَ عَوْرَتِي لَكُنْتُ مِنَ الْمَفْضُوحِينَ، وَ يَا مُوَيْدِي بِالنَّصِيرِ، فَلَوْلَا نَصْرُكَ إِيَّايَ لَكُنْتُ مِنَ الْمَغْلُوبِينَ، وَ يَا مَنْ وَضَعْتَ لَهُ الْمُلُوكُ نِيرَ الْمَذَلِّ عَلَى أَعْنَاقِهَا، فَهُمْ مِنْ سَطَوَاتِهِ خَائِفُونَ.

«تحمدك نفسى و لسانى و عقلى» جملة مستأنفة، و المقصود منها أنه _ عليه السلام _ عين الحمد _ كما قرّرنا ذلك فى اللمعة الأولى _ .

و «الفاء» من قوله _ عليه السلام _ : «فتجنى» >للسببية، أى: فبسبب ذلك نجنى.

و «السخط»: الغضب الشديد لإرادته العقوبة(٣) <.

ص : ٤٧٤

١- ١. قارن: «نور الأنوار» ص ٢٠٣.

٢- ٢. كريمه ٧ البقره.

٣- ٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣٤٧.

قوله _ عليه السلام _ : «يا كهفي _ ... إلى آخره _ » أى: يا ملجئى حين تعجزنى ذهابى إلى الخلق و تردّداتى إليهم لتحصيل ما عندك؛ أو: حين لأهتدى إلى سلوكها؛ أو المعنى: يا ملجئى الذى أعتصم به إذا أعجزتنى الطرق فلم أدر أى طريق ممّا أسلكه منها يكون به نجاتى؛ أو: إذا أعجزتنى المقاصد فلم أهتد إلى قصدٍ أقصده لأنجو به ممّا وقعت فيه من البلاء و دفعت إليه من الشدّة.

و «الكهف» قد مرّ معناه؛

و كذا «الإيعاء».

>و «إقاله العثره» مجازٌ عن المسامحه بالذنب و الصفح عن الزلّه _ كما مرّ غير مرّه _ . و أصله الرفع من السقوط؛ و منه الإقاله فى البيع، لأنّها رفعٌ للعقد. يقال: أقال الله عثرته، و يعدّى إلى مفعولين أيضاً فيقال: أقاله الله عثرته _ كما نصّ عليه أهل اللغه _ . ف _ «مقيلى» فى الدعاء يتعدّى إلى مفعولين:

أحدهما: ضمير المتكلّم المضاف إليه؛

و الثانى: عثرتى _ أى: مقيل عثرتى (١)، بإضافه «مقيل» إلى «عثرتى» _ ، و هو من «أقال» المتعدّى إلى مفعولٍ واحدٍ.

و «الفاء» من قوله _ عليه السلام _ : «فلولا - سترك» فصيحةٌ منبأةٌ عن محذوفٍ، كأنّه قال: يا مقيلى عثرتى سترتنى فلولا سترك عورتى لكنت من المفصوحين، و يا مؤيّدى بالنصر نصرتنى فلولا نصرك إيّاى لكنت من المغلوبين!.

و فى نسخهٍ قديمهٍ: «لولا» بغير «فاءٍ» فى الفقرتين (٢)؛ و هو أولى.

و «النّير» _ بكسر النون و سكون الياء المثناه من تحتِ و الراء المهمله _ : الخشب المتّى توضع معترضهً فى عنق الثورين حال الحرث، و يجمع على: نيران. >و فيه تشبيه الملوك

ص : ٤٧٥

١-١. قارن _ مع تغييرٍ يسير _ : نفس المصدر و المجلّد ص ٣٤٩.

٢-٢. كما حكاه العلّامه المدنى، راجع: نفس المصدر و المجلّد أيضاً ص ٣٥٠.

بالنيران، بجامع الجهل بإثبات ما هو من لوازم المشبه به _ أعنى: المذله _ و ما يلائمه _ أعنى: النير _ (١)؛ أى: جمع الملوك أذلاءً تحت قدره ملك الملوك.

و «السطوه»: القهر و الغلبه؛ أى: هم بسبب اضطرارهم إلى المذله و الخضوع له من سطواته خائفون.

و يَا أَهْلَ التَّقْوَى، وَ يَا مَنْ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، أَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ عَنِّي، وَ تَغْفِرَ لِي فَلَسْتُ بِرِيئًا فَأَعْتَذِرُ، وَ لَا بِجَدِي قُوَّةً فَأَنْتَصِرُ، وَ لَا مَغْفَرَ لِي فَأَفِرُّ. وَ أَشْتَقِيكَ عَنِّي، وَ أَتَنَصَّلُ إِلَيْكَ مِنْ ذُنُوبِي الَّتِي قَدْ أَوْبَقْتَنِي، وَ أَحْيَا طُتُّ بِي فَأَهْلَكْتَنِي، مِنْهَا فَرَزْتُ إِلَيْكَ _ رَبِّ! _ تَائِبًا فَتُبْ عَلَيَّ، مُتَعَوِّذًا فَأَعِزَّنِي، مُسْتَجِيرًا فَلَا تَخْذُلْنِي، سَائِلًا فَلَا تَحْرِمْنِي، مُعْتَصِمًا فَلَا تُسْلِمْنِي، دَاعِيًا فَلَا تَرُدَّنِي خَائِبًا.

«يا أهل التقوى» أى: و يا حقيقاً بأن يتقى من سطواتك.

و «الحسنى»: تأنيث الأحسن، أى: الأسماء التى هى أحسن الأسماء و أشرفها التى إذا دعى بها أجاب.

و تقديم الظرف للقصر، أى: له الأسماء الحسنى لا لغيره؛ و قد تقدّم الكلام فيها.

قوله _ عليه السلام _ : «أَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ عَنِّي وَ تَغْفِرَ لِي». جمع بين السؤال للعفو و المغفره للفرق بينهما، فإن «العفو»: إسقاط العقاب؛

و «المغفره»: أن يستر عليه بعد ذلك جرمه صوناً له من عذاب التخجيل و الفضيحه، فإن الخلاص من عذاب النار أنما يطيب إذا حصل عقيبه الخلاص من عذاب الفضيحه؛ فالأول هو العذاب الجسماني، و الثانى هو العذاب الروحاني؛ و هو أعظم و أشدّ من الأول. و بذلك يظهر سرّ تقديم سؤال «العفو» على «المغفره»، فأنّه من باب الترقى من الأضعف إلى الأشدّ.

ص : ٤٧٦

أقول: الحرّي لنا هنا أن نبين سرّ العفو والمغفره و ما يوجبهما، و الفرق بينهما؛ فنقول:

اعلم! أنّ موجب العفو هو غلبه أحكام الوجوب على أحكام الإمكان؛ و أعني بـ «أحكام الوجوب»: الأسماء الأول التي من جهتها صدرت الكثره من الحضرة الأحديّه؛

و أعني بـ «الغلبه» هنا: استهلاك أحكام الإمكان و كثرتها في وحده الحقّ و أحكامها من حيث وحده الفعل في الأصل و أحديّه التصرف به، و نسخ أحكام تعدّاته و تقيّداته بالصفات المختلفه المسماة: طاعه و معصيه.

و أمّا المغفره فعبارة عن: قلب الأوصاف، و ذلك لا يكون إلّا بعد ممازجه واقعٍ بين أحكام الوجوب و أحكام الإمكان و غلبه الأوصاف الوجوبيّه على الأوصاف الإمكانيه و انصباغها بالأوصاف الوجوبيّه.

فالأمر في العفو يقتضي ذهاب عين الفعل من حيث إضافته إلى المعفو عنه، و ليس إلّا التقييد و الخواصّ الإمكانيه؛

و الشأن في المغفره ليس كذلك، فإنّ التقييد و التعدّد باقٍ و التغيّر واقعٌ في الأوصاف مع استهلاك الكثره؛ فافهم! _ و الله أعلم _ .

حو «الفاء» من قوله _ عليه السلام _ : «فلمست بريئاً» للتعليل؛

و من قوله «فأعتذر» للسببيّه؛

و الفعل بعدها منصوبٌ بـ «أن» مضمرةً وجوباً لسبقها بنفي محضٍ _ كقوله تعالى: «لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا» (١) _ .

و «لا» مزيدةٌ لتأكيد ما أفادته «ليس» من معنى النفي (٢)؛ أي: «فلمست بريئاً» من الذنب _ و لو من ذنب الوجود _ فأعتذر. و قيل: «يعني: و إن كنت بريئاً، فكان هذا إعتذاراً،

ص : ٤٧٧

١- ١. كريمه ٣٦ فاطر.

٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣٥١.

لأنَّ الإعتذار يستعمل في موضعٍ يستغفر الشخص من غير إثمٍ و ذنبٍ. في القاموس: «تَعَذَّر و اعتذر: أثبت لنفسه ذنباً و في الواقع لا ذنب له!»^(١). و ما يقال بالفارسيَّة:

عذر تقصيرات ما چندانکه تقصيرات ماست

يريد المعنى العرفي الفارسي، أو مستعمل مجازاً؛ انتهى كلامه.

و هو كما ترى!

قوله _ عليه السلام _ : «و لا بذى قوّه فانتصر» أى: فلست بذى قوّه فانتقم من عدوّى، >ف_ «الباء» مزيدة للتأكيد دخلت على المعطوف على الخبر الصالح لل_ «باء» _ و هو خبر «ليس» _ ، و الغرض المبالغة فى نفى القوّه.

«المفَرَّ» _ بفتح الفاء _ : مصدرٌ ميميٌّ بمعنى: الفرار _ كقوله تعالى: «يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ»^(٢) _ .

و «استقال»: سأل الإقاله.

و «تنصّل» من ذنبه: خرج منه باعتذارٍ أو توبهٍ أو طلب عفو^(٣)، < أى: أتبرّء إليك من ذنوب الّتى أهلكتنى و سترت طاعاتى.

و «منها» متعلّق بالفعل بعده، و تقديمه للقصر؛ أى: منها لا من غيرها «فررت إليك». و الجملة استئنافٌ وقع جواباً عن سؤالٍ نشأ من الكلام، كأنّه قيل عند بيان حاله الهائل _ من إيباق الذنوب و إحاطتها به و إهلاكها له _ : فماذا صنعت عند ذلك؟

فقال: «منها فررت إليك».

و توسط النداء لإظهار مزيد الضراعة.

و التعرّض لعنوان «الربوبيّة» مع الإضافة إلى ضميره للمبالغة فى التضرّع و الإبتهاال.

و «تائباً» حالٌ عن الفاعل.

ص : ٤٧٨

١- ١. لم أعثر عليه، نعم قال: «و تعذّر ... كاعتذر ...»؛ راجع: «القاموس المحيط» ص ٤٠٧ القائمة ٢.

٢- ٢. كريمه ١٠ القيامة.

٣- ٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣٥١.

>و «الفاء» من قوله: «فتب على» للسبب، أى: فأقبل توبتي؛ أو: فارجع عن عقوبتي إلى اللطف بى(١)؛ أو: ثبنتى على التوبه.

و «متعوّذاً» حالٌ من ضمير المتكلم المجرور بـ «على»، أى: معتصماً بك.

>و «الفاء» من «فأعذنى» للسبب أيضاً، و الغرض ترتّب ما بعدها على ما قبلها؛ فإنّ توبه العبد إلى ربّه يترتّب عليها توبه الربّ على عبده، و تعوّذه به يترتّب عليه إعادته؛

و قس على ذلك سائر «الفاءات» الآتيه(٢).<

و «مستجيراً فلا تخذلنى» أى: طلبت أن أسكن فى جوارك فلا تتركنى مع نفسى.

«سائلاً» أى: فررت إليك سائلاً «فلا تحرمنى» من عطيتك.

و «معتصماً فلا تسلمنى» أى: تشبّثت بذيل حمايتك «فلا تسلمنى» إلى الخصم، و «داعياً فلا تردنى خائباً».

دَعَوْتُكَ _ يَا رَبِّ! _ مِسْكِينًا، مُشْفِقًا، خَائِفًا، وَجَلًّا، فَقِيرًا، مُضْطَرًّا إِلَيْكَ. أَشْكُو إِلَيْكَ _ يَا إِلَهِي! _ ضَعْفَ نَفْسِي عَنِ الْمُسَارَعَةِ فِيمَا وَعَدْتَهُ أَوْلِيَاءَكَ، وَ الْمُجَانَبَةِ عَمَّا حَذَرْتَهُ أَعْدَاءَكَ، وَ كَثْرَةَ هُمُومِي، وَ وَشَوَسَةَ نَفْسِي. إِلَهِي! لَمْ تَفْضَحْنِي بِسِرِّيَّتِي، وَ لَمْ تُهْلِكْنِي بِجَرِيرَتِي، أَذْعُوكَ فَتَجِيبَنِي وَ إِنْ كُنْتُ بَطِيئًا حِينَ تَدْعُونِي، وَ أَسْأَلُكَ كُلَّمَا شِئْتُ مِنْ حَوَائِجِي، وَ حَيْثُ مَا كُنْتُ وَضَعْتُ عِنْدَكَ سِرِّي، فَلَا أَدْعُو سِوَاكَ، وَ لَا أَرْجُو غَيْرَكَ.

«دعوتك» ابتداء الكلام.

و «المسكين» _ بكسر الميم _ : الفقير، >سمى به لشده فقره كأنّ الفقر أسكنه فلم يقدر

ص : ٤٧٩

١-١. راجع: نفس المصدر و المجلّد ص ٣٥٣.

٢-٢. راجع: نفس المصدر أيضاً.

على التحرك (١) <.

> و قيل: «أسوء حالاً من الفقير»؛

و قيل: «بل الفقير أسوء حالاً منه»؛

و قيل: «هما سواء»؛ و قد تقدّم الكلام عليه (٢) <.

و «المستكين» مبالغه فيه.

و «خائفاً»: تفسيرٌ لـ «مشفقاً».

و «وجلاً» أى: خائفاً.

و «المضطّر»: اسم مفعولٍ من: اضطّره إليه أى: أحوجه و الجأه إليه و ليس له منه بدّ.

و «أشكو إليك» إمّا مستأنفٌ؛ و إمّا منصوبٌ على الحال _ أى: شاكياً إليك يا إلهى! _ .

و «عن المسارعه» أى: المبادره.

و «المجانبه عمّا حذّرتّه أعداءك» أى: أشكو ضعف نفسى عن مجانبه المعاصى التى حذّرت أعداءك عنها. > قال بعضهم: «و حقيقه «المجانبه»: كون كلّ منهما فى جانبٍ. و لتضمّنها معنى البعد عداها بـ «من» فقال: «عمّا حذّرتّه»، و إلّا فهى متعدّيه بنفسها» (٣) <.

و «كثره همومى» عطْفٌ على «ضعف نفسى»، أى: أشكو إليك _ يا إلهى! _ «كثره همومى و وسوسه نفسى».

و «الْوَسْوَسه» _ كالزلزله _ : الخطره الرديّه.

قوله: «إلهى! لم تفضحنى بسريرتى» بأن تشهر أعمالى القبيحه المستوره.

و «السريره»: فعليله بمعنى مفعوله، و هى: ما يستره الإنسان و يضمّره فى نفسه.

و «الجريره» أيضاً: فعليله بمعنى مفعوله، و هى: الذنب.

و قوله _ عليه السلام _ : «فتجيبنى» مسوقٌ لتقرير ما يفيدّه الكلام السابق.

- ١-١. قارن: «نور الأنوار» ص ٢٠٤.
- ٢-٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣٥٤.
- ٣-٣. قارن: نفس المصدر و المجلد ص ٣٥٥.

و «الفاء» للدلالة على ترتب الإجابة على دعائه.

و جواب «إن» الشرطيّه محذوفٌ لدلاله قوله: «فيجيبني» عليه؛

و الجملة معطوفة على جملٍ متعدّدٍ مقابله (١) لها في الفحوى، و (٢) هي في موضع الحال من مفعول الفعل السابق _ أي: فتجيبني إن لم أكن بطيئاً _ .

و «إن كنت بطيئاً» أي: على كلّ حالٍ مفروضٍ. و قد حذفت الأولى في الباب حذفاً مطّرداً لدلاله الثانيه عليها دلالة واضحة، فإنّ الشيء إذا تحقّق عند تحقق المانع أو الموانع القويّ فلئن يتحقّق عند عدمه أو عند تحقّق المانع الضعيف أولى. و على هذه النكته يدور ما في «إن» و «لو» الوصليتين من التأكيد (٣)؛ هكذا ذكره الفاضل الشارح.

و «إن كنت» بصيغه المتكلم.

و «ما» من قوله _ عليه السلام _ : «كلّما شئت» نكرة موصوفة بجملة «شئت»، و العائد محذوفٌ _ أي: كلّ شيءٍ شئتَه _ .

و مفاد «كلّ» استغراق أفراد النكرة.

و «من حوائجي» بيانٌ لـ «ما».

و «الفاء» من قوله _ عليه السلام _ : «فلا أدعو سواك» سببيّة، أي: فبسبب ذلك «لا أدعو سواك و لأرجو غيرك»، لأنّ كافي المهمّات ليس غيرك، و لاجواد سواك.

لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ، تَسْمِعُ مِنِّ شَكَا إِلَيْكَ، وَ تَلْقَى مِنِّ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ، وَ تُخَلِّصُ مِنِّ اعْتَصِمَ بِكَ، وَ تُفَرِّجُ عَمَّنْ لَازَ بِكَ. إِلَهِي! فَلَا تَحْرِمْ نِي خَيْرَ الْآخِرَةِ وَ الْآءُ وَلِي لِقَلِّ شُكْرِي، وَ اغْفِرْ لِي مَا تَعْلَمُ مِنْ ذُنُوبِي. إِنَّ تُعَذِّبْ فَأَنَا الظَّالِمُ الْمُفْرَطُ الْمُضَيِّعُ الْآثِمُ الْمُقْصِرُ الْمُضْجِعُ الْمُغْفِلُ حَظَّ نَفْسِي، وَ إِنْ تَغْفِرْ

ص : ٤٨١

١-١. المصدر: جملة مقدّره مقابله.

٢-٢. المصدر: _ و.

٣-٣. راجع: نفس المصدر و المجلّد أيضاً ص ٣٥٧.

«لَيْبِكَ لَيْبِكَ» أى: أقيم لخدمتك و عبوديتك و امتثال أمرك. أصل «لَيْبِكَ»: أَلْبَ البابين لك، من: أَلَبَ بالمكان أى: أقام به، و التشبيه للتكرير؛ و قد تقدّم الكلام عليه فى اللمعة السادسة عشر.

قوله _ عليه السلام _ : «تسمع من شكا إليك» إستئناف لبيان المقتضى لخطابه _ تعالى _ بقوله: «لَيْبِكَ لَيْبِكَ»؛ كأنه قال: أقيم على طاعتك و امتثال أمرك مرّة بعد أخرى؛ أو: أقصد لك؛ أو: أخلص لك؛ أو: أحبك كثيراً مكرّراً، لأنك «تسمع من شكا إليك»، أى: تجيب دعاء من شكا إليك.

و «شكا» أمره إلى الله شكواً _ من باب قتل _ : أظهره و بثّه (١) <.

قوله _ عليه السلام _ : «و تلقى من توكل عليك» أى: تلقى من توكل عليك بالعناية و تستقبله و تواجهه سروراً بتوكله عليك، كما يستقبل الإنسان من يوافيه و يقصده إذا كان محبباً له معتنياً بشأنه؛ قال الله _ تعالى _ : «وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» (٢). و فى نسخه ابن ادريس: «و تكفى» بدل: «تلقى»، من الكفاية.

قوله _ عليه السلام _ : «إن تعذب» كلامٌ مستأنفٌ؛ و مفعول «تعذب» محذوفٌ للعلم به _ أى: تعذبنى _ .

و «المضجع» من باب التفعيل، و فى نسخه الشهيد من باب الإفعال؛ أى: النائم. و أصل التضجيع من الضجوع، و هو: وضع الجنب على الأرض.

و كذا «المغفل» إمّا من باب التفعيل، أو الإفعال؛ أى: الساهى التارك.

و متعلّق «تغفر» محذوفٌ للعلم به، أى: و إن لم تغفر لى «فأنت أرحم الراحمين».

ص : ٤٨٢

١- ١. راجع: نفس المصدر و المجلّد ص ٣٥٩.

٢- ٢. كريمه ٣ الطلاق.

هذا آخر اللمعه الحاديه و الخمسين فى شرح دعاء الحادى و الخمسين من صحيفه سيّد العابدين _ صلوات الله عليه و على آبائه
و أبنائه أجمعين _ . و قد وفّقنى الله _ تعالى _ لإتمامها فى ليله الأربعاء من أوّل عشر الآخر من شهر جمادى الثانى سنه ١٢٣٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

و به نستعين

الحمد لله الذي أحبَّ سؤال السائلين و استحَبَّ الحاح الملحّين بالأحاديث الواردة عن الأئمة الطاهرين؛ و الصلاه و السلام على واسطه فيض العالمين سيدنا محمدٍ و أهل بيته سيّما أمير المؤمنين _ صلوات الله عليهم أجمعين _ .

و بعد؛ فيقول الملحّ في إنجاح مطالبه إلى الحضرة الأحديّة محمد باقر بن السيّد محمد من السادات الموسويّه _ أنجح الله تعالى بمجرّد تفضّلاته السّيّيه مطالبه الدنيويّه و الأخرويّه _ : هذه اللمعه الثانيه و الخمسون من لوازم الأنوار العرشيّه في شرح الصحيفة السجّاديّه _ صلوات الله عليه و على آباءه و أبنائه مادام يتلو الصبح العشيّه _ .

وَ كَانَ مِنْ دُعَائِهِ _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ فِي الْإِلْحَاحِ عَلَى اللَّهِ _ تَعَالَى _ .

>«الإلحاح»: مصدر ألحّ في السؤال إلحاحاً أي: ألحف و أبرم و واضب على السؤال؛ من:

ألحّ السحاب: إذا دام مطره؛ و قيل من (1) < غير ذلك.

و الروايات في إستحباب الإلحاح في سؤال الله _ تعالى _ كثيره؛

ص : ٤٨٧

منها: عن أبي عبد الله _ عليه السلام _ قال: «إِنَّ اللَّهَ _ تعالى _ كره إلحاح الناس بعضهم على بعضٍ في المسأله و أحب ذلك لنفسه؛ إِنَّ اللَّهَ _ عز وجل _ يحب أن يسأل و يطلب ما عنده»(١)؛

و منها: عنه أيضاً قال: «قال رسول الله _ صلى الله عليه و آله و سلم _ : رحم الله عبداً طلب من الله _ عز وجل _ حاجه فألح في الدعاء، أستجيب له أو لم يستجب له _ و تلا هذه الآية: _ «و أَدْعُوا رَبِّي عَسى أَن لَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا»(٢)»(٣).

يَا اللَّهُ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَ كَيْفَ يَخْفَى عَلَيْكَ _ يَا إِلَهِي! _ مَا أَنْتَ خَلَقْتَهُ؟ وَ كَيْفَ لَا تُخَصِّصِي مَا أَنْتَ صَيَّغْتَهُ؟ أَوْ كَيْفَ يَغِيبُ عَنْكَ مَا أَنْتَ تُدَبِّرُهُ؟ أَوْ كَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَهْرَبَ مِنْكَ مَنْ لَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِرِزْقِكَ؟ أَوْ كَيْفَ يَنْجُو مِنْكَ مَنْ لَا مَذْهَبَ لَهُ فِي غَيْرِ مُلْكِكَ؟ سُبْحَانَكَ! أَخْشَى خَلْقَكَ لِمَكَ أَعْلَمُهُمْ بِكَ، وَ أَخْضَعُهُمْ لِمَكَ أَعْمَلُهُمْ بِطَاعَتِكَ، وَ أَهْوَنُهُمْ عَلَيْكَ مَنْ أَنْتَ تَرْزُقُهُ وَ هُوَ يَعْبُدُ غَيْرَكَ.

«اللَّهُ»: اسمٌ للذات المقدَّسه الجامعه لجميع الكمالات، بخلاف باقى أسماء الله _ تعالى _ ، لأنها معانٍ و صفاتٌ؛ و لهذا تحمل عليه _ فيقال: الله رحيمٌ مثلاً _ و لا يحمل على شىءٍ منها _ فلا يقال: الرحمن الله _ . و أصله: الإلاه؛ و قد تقدّم الكلام عليه مستوفى في اللমে الأولى.

و قوله _ عليه السلام _ : «لا يخفى عليه شىءٌ في الأرض و لا في السماء» اقتباسٌ من قوله

ص : ٤٨٨

١ - ١. راجع: «الكافي» ج ٢ ص ٤٧٥ الحديث ٤، «وسائل الشيعة» ج ٧ ص ٥٨ الحديث ٨٧١٥ «بحار الأنوار» ج ٧٥ ص ١٧٣، «تحف العقول» ص ٢٩٣، «عده الداعي» ص ١٥٦.

٢ - ٢. كريمه ٤٨ مريم.

٣ - ٣. راجع: «الكافي» ج ٢ ص ٤٧٥ الحديث ٦، «وسائل الشيعة» ج ٧ ص ٥٨ الحديث ٨٧١٧ «بحار الأنوار» ج ٩٠ ص ٣٧٥، «عده الداعي» ص ٢٠٢، و انظر: «عوالى اللثالى» ج ٤ ص ٢٠ الحديث ٥٥.

— تعالى — فى سورة آل عمران (١). و ذلك لأنه عالمٌ بكلِّ شىءٍ — كما مرَّ تحقيق ذلك — .

و تقديم «الأرض» للإعتناء بشأن أهلها.

و قوله — عليه السلام — : «و كيف يخفى» مستأنفٌ.

>و «كيف» منصوبٌ بـ «يخفى»، و هو استفهامٌ إنكارىٌ بمعنى إنكار الوقوع.

و كلمه «ما» شامله للعقلاء تغليباً.

و تقديم «أنت» للقصر، و كان حقّه التأخير — لأنه فاعلٌ فى الأصل، فوجب أن يخلفه الفاعل فى محلّه الأصلّى — ، فأتى بـ «التاء» فى «خلقته» خلفاً عنه؛ أى: ما أنت خلقتة لا غيرك (٢) <.

و قس على ذلك قوله — عليه السلام — : «ما أنت صنعته»، و: «ما أنت تدبره». و المعلول كيف يخفى عن علته و المصنوع عن صانعه و المدبّر عن مدبره؟!، لأنّ الإيجاد و الخلق يستلزم العلم و الإحصاء، و التدبير فى الشىء يستلزم حضور المدبّر فيه. و قيل: «ذلك لأنّ خلق الشىء و صنعه و تدبيره يتوقّف على معرفه تفاصيل كمّياته و كيفياته و سائر أحواله و لوازمه لئلا يقع الترجيح من غير مرجّح»؛ انتهى.

أقول: بل المعلول طورٌ من أطوار العلّة و شأنٌ من شؤونها، فكيف يخفى عليها؟!

قوله: «أو كيف يستطيع أن يهرب منك — ... إلى آخره —»، لأنّ الهرب عن الشىء فرع الحياه، و الحياه فرع الرزق.

قوله — عليه السلام — : «أو كيف ينجو منك — ... إلى آخره —» أى: من لا-يمكنه الخروج عن ملكك كيف يمكنه التخلّص عنك؟!.

«سبحانك — ... إلى آخره —» إعتراضٌ مؤكّدٌ لما قبله و تمهيدٌ لما بعده، أى: تنزيهاً لك عمّا يليق بشأنك من الأمور الّتى من جملتها أن يخفى عليك شىءٌ، أو يهرب منك، أو ينجو منك.

ص : ٤٨٩

١- ١. بل هذا نصّ الآيه، فانظر: كريمه ٥ آل عمران.

٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣٧٢.

و من كان أعلم بالله _ سبحانه _ فهو أخوف منه، و ذلك لأنَّه إذا علم لاشيئيه الممكن و بطلانه في حد ذاته و أنه لا يمكن الفرار عن ملكه و سلطانه و لا يمكن الفناء و الغفله عليه و لاجور في ملكه و لاسهو في حسابه و لا ظلم في عقابه، فبالضرورة تغلب الخوف عليه.

>و عن ابن عباس أنه قال: «يريد: إنما يخافني من خلقى من علم جبروتى و عزّتى و سلطانى»(١)؛

و فى الحديث: «أعلمكم بالله أشدكم خشية له»(٢)؛

و فى روايه: «أعلمكم بالله أخوفكم لله»(٣)؛

و قال _ صلى الله عليه و آله و سلم _ : «أنا أخشاكم لله و أتقاكم له»(٤)، إذا كان _ عليه السلام _ أعلم الخلق به _ سبحانه _ .

و عن الصادق _ عليه السلام _ : «يعنى ب _ «العلماء»(٥): من صدّق قوله فعله، و من لم يصدّق قوله فعله فليس بعالم»(٦)(٧) <.

قوله _ عليه السلام _ : «و أخضعهم لك أعلمهم بطاعتك» أى: و أكثرهم خضوعاً و خشوعاً لك أشدهم و أكثرهم عملاً بطاعتك. و ذلك لأنّ الأعمال كان أقرب إلى الله الأجل، و من كان أقرب كان أخضع و أخشع _ لمكان عزّه و جلاله _ .

و قيل: «أنّ المداومه على طاعته و الجّد فى طلب مرضاته _ عزّ و جلّ _ إنّما يكون عن

ص : ٤٩٠

١-١. راجع: «مجمع البيان» ج ٨ ص ٢٤٢.

٢-٢. راجع: «فيض القدير» ج ٥ ص ٤٩٠، و لم أعثر عليه فى غيره من مصادرنا و مصادر العامه.

٣-٣. راجع: «بحار الأنوار» ج ٦٧ ص ٣٤٤، و لم أعثر عليه فى غيره من مصادرنا و مصادر العامه أيضاً.

٤-٤. راجع: «بحار الأنوار» ج ٦٧ ص ٣٤٢، و انظر: «المستدرک على الصحيحين» ج ١ ص ٦٤٧.

٥-٥. كريمه ٢٨ فاطر.

٦-٦. راجع: «بحار الأنوار» ج ٦٧ ص ٣٤٤، «مجمع البيان» ج ٨ ص ٢٤٢، «مشكاة الأنوار» ص ١٣٢.

٧-٧. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣٧٤، و انظر: «التعليقات» ص ١٠٢.

مزيد رغبه و رهبه، و كلما ازدادت الرغبه و الرهبه اشتد الخضوع و الخشوع للمرغوب إليه و المرهوب منه، و هي مقدمه جليّه. و لذلك قال _ تعالى _ في وصف أنبيائه: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَ يَدْعُونَنا رَغْباً وَ رَهْباً وَ كَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ» (١).

و قال بعضهم: «إن كثرة العمل بطاعته _ تعالى _ تستدعي تحليلته بحسن التيه و خلوص الطويه، و ذلك يستدعي شدة الخضوع و التذلل له _ تعالى _ ليكون عمله أبعد عن الرياء و أدخل في الإخلاص» (٢).

قوله _ عليه السلام _ : «و أهونهم عليك _ ... إلى آخره _ » يعني: أكثرهم هواناً و ذلاًّ عليك من جملة الخلائق من يأكل رزقك و يعبد غيرك!.

سُبْحَانَكَ! لَا يَنْقُصُ سُلْطَانُكَ مَنْ أَشْرَكَ بِكَ، وَ كَذَّبَ رُسُلَكَ، وَ لَيْسَ يَسْتَطِيعُ مَنْ كَرِهَ قَضَاءَكَ أَنْ يَرُدَّ أَمْرَكَ، وَ لَا يَمْتَنِعُ مِنْكَ مَنِ كَذَّبَ بِقُدْرَتِكَ، وَ لَا يَفُوتُكَ مَنْ عَيَّدَ غَيْرَكَ، وَ لَا يَعْمرُ فِي الدُّنْيَا مَنْ كَرِهَ لِقَاءَكَ. سُبْحَانَكَ! مَا أَعْظَمَ شَأْنَكَ، وَ أَقْهَرِ سُلْطَانَكَ، وَ أَشَدَّ قُوَّتَكَ، وَ أَنْفَذَ أَمْرَكَ. سُبْحَانَكَ! قَضَيْتَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ الْمَوْتَ _ مَنْ وَحَدَكَ وَ مَنْ كَفَرَ بِكَ _ ، وَ كُلَّ ذَاتِ الْمَوْتِ، وَ كُلَّ صَائِرِ الْإِيكَ، فَتَبَارَكْتَ وَ تَعَالَيْتَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ. آمَنْتُ بِكَ، وَ صَدَّقْتُ رُسُلَكَ، وَ قَبِلْتُ كِتَابَكَ، وَ كَفَرْتُ بِكُلِّ مَعْبُودٍ غَيْرِكَ، وَ بَرِئْتُ مِمَّنْ عَبَدَ سِوَاكَ.

«سبحانك _ ... إلى آخره _ » أى: أنزهك تنزيهاً عما لا يليق بساحه جلالك و عظمه شأنك من الأمور التي من جملتها أن أخذ الشريك لك لا ينقص من سلطنتك، و كذا تكذيب رسلك _ كما قيل بالفارسي:

ص : ٤٩١

١- ١. كريمه ٩٠ الأنبياء.

٢- ٢. هذا و الذي قبله هما قول العلامة المدني، راجع: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣٧٥.

گر جمله کائنات کافر گردند بر دامن کبریاش ننشیند گرد _

المراد بـ «الأمر» هنا: القدر النازل على وفق القضاء، و هو تفصيل القضاء _ كما مرّ بيانه _ .

و معنى «ردّه»: دفعه و منعه، فإذا كان كذلك فلا جرم ليس له حيلة إلا الرضا و التسليم بالقضاء؛ و فى الحديث القدسى: «من لم يرض بقضائى و لم يصبر على بلائى فليطلب ربّاً سوائى!» (١)؛ و قد تقدّم الكلام عليه مستوفى.

قوله _ عليه السلام _ : «و لا يمتنع منك» أى: لا يمكن الخروج عن تحت إطاعتك.

«من كذب بقدرتك» أى: >اعتقد كونه كذاباً؛ فـ «الباء» صلة للـ «تكذيب»، و مجرورها واقع موقع المفعول. و الفرق بين «كذبه» و «كذب به» كالفرق بين «صدقه» و «صدق به» فى أنّ المعدى بنفسه منهما يستعمل فى الأعيان، و المعدى بـ «الباء» يستعمل فى المعانى غالباً؛ قال _ تعالى _ : «كُلُّ كَذِبٍ رُشِّلَ فَحَقَّ وَعِيدِ» (٢)، و قال: «بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ» (٣) (٤) <.

قوله _ عليه السلام _ : «و لا يفوتك من عبد غيرك»، لأنّه لا يمكن الخروج عن ملكك و عن تحت قدرتك و سلطنتك، فبالآخره يبتلى بعذابك!.

قوله: «و لا يعمّر فى الدنيا من كره لقاءك» بصيغه المجهول، أى: من كانت ملاقاتك مكروهه له لا يبقى فى الدنيا، بل أخرج منها طوعاً أو كرهاً.

قوله _ عليه السلام _ : «سبحانك! ما أعظم شأنك _ ... إلى آخره _» فعل التعجب، و كذا ما بعدها تعجب فى معرض التمجيد من عظم شأنه و قهر سطرانه و شدّه قوّته و نفاذ أمره _ عزّ و جلّ _ ؛ بل لاحول إلا حوله و لا قوّه إلا قوّته و لا سلطان إلا سطرانه و لا أمر إلا أمره _ كما

ص : ٤٩٢

١-١. راجع _ مع زياده _ : «بحار الأنوار» ج ٦٤ ص ٢٣٦، «جامع الأخبار» ص ١١٣.

٢-٢. كريمه ١٤ قآ.

٣-٣. كريمه ٥ قآ / ٥ أنعام.

٤-٤. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣٧٧.

مرّ بيانه _ .

و قوله _ عليه السلام _ : «سبحانك! قضيت على جميع خلقك الموت» أى: حكمت على جمع خلقك بالموت _ سواءً كان ممّن «وحدك و من كفر بك» _ >حسبما اقتضته مشيتك المبّيته على الحكمه البالغه.

و «الواو» من قوله _ عليه السلام _ : «و كلُّ ذائق الموت» ابتدائيّه، و الجملة تذييليّه مقررّه لمضمون ما قبلها، كالتي بعدها.

و تنوين «كلّ» فى الفقرتين عوضٌ من المضاف إليه _ أى: و كلّهم ذائق الموت؛ و: كلّهم صائرٌ إليك _ . و فيهما تلميحٌ إلى قوله _ تعالى _ : «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» (١)(٢)، و قوله _ سبحانه _ : «كُلُّ إِنَّا رَاجِعُونَ» (٣).

قوله _ عليه السلام _ : «فتباركت و تعاليت». «الفاء» لترتيب ما بعدها على ما قبلها _ أى: لأجل حكمه سبحانه بالموت على الكلّ و صيروره الكلّ إليه _ ؛ أى: تباركت و تعاليت عن الأشباه و الأنداد و جميع الرذائل و النقائص الإمكانية.

و قوله _ عليه السلام _ : «لا إله إلا أنت» إعتراضٌ مقررٌ لما قبله.

و «وحدك» إمّا منصوبٌ على الحالّيه _ قال سيّويه: «هو معرفهٌ موضوعٌ موضع النكره، أى: متفرداً» (٤) _ ؛

و إمّا على الظرفيه _ أى: لامع غيرك _ ؛

>و إمّا على المصدريه؛ و على كلّ تقديرٍ فالغرض تأكيد الوجدانيّه.

و قوله: «لا شريك لك» حالٌ مؤكّده أيضاً.

و قوله _ عليه السلام _ : «آمنت بك». «الباء» صلّه للـ «إيمان» إمّا بتضمينه «الإعتراف»؛

ص : ٤٩٣

١-١. كريمه ١٨٥ آل عمران / ٣٥ الأنبياء / ٥٧ العنكبوت.

٢-٢. قارن: نفس المصدر و المجلّد ص ٣٧٨.

٣-٣. كريمه ٩٣ الأنبياء.

٤-٤. لم أعثر على عبارته فى «الكتاب».

أو يجعله مجازاً عن الوثوق. و مجرورها واقع موقع المفعول به؛ و الجملة مستأنفة مقررّة مضمون ما قبلها.

و معنى «تصديق الرسل»: اعتقاد صدق كلّ واحدٍ منهم في دعواه الرسالة (١)، فمن أنكر واحداً منهم فقد كفر.

حو المراد بـ «الكتاب»: إمّا القرآن _ فالإيمان به يتضمّن الإيمان بمجموع الكتب المنزلة من الله تعالى _ ؛ و إمّا جنس الكتب السماويّة، فإنّ اسم الجنس المضاف و المعرّف قد يفيد العموم _ كقوله تعالى: «وَإِنْ تَعِدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا» (٢) _ (٣).

قوله _ عليه السلام _ : «و كفرت بكلّ معبودٍ غيرك» أى: جحدت كلّ ما عبد دونك.

قوله _ عليه السلام _ : «و برئت ممّن عبد سواك» أى: برئت ممّن اتخذ إلهاً غيرك _ كعبده الأوثان و غيرها _ ؛ قيل: «من أحبّ شيئاً فهو معبوده» (٤).

اللَّهُمَّ إِنِّي أَصِيبُ وَأُصِيبُ مُسْتَقِلًّا لِعَمَلِي، مُعْتَرِفًا بِذَنْبِي، مُقَرَّرًا بِخَطَايَايَ، أَنَا يَا سِرَافِي عَلَى نَفْسِي ذَلِيلٌ، عَمَلِي أَهْلَكَنِي، وَ هَوَايَ أَرْدَانِي، وَ شَهَوَاتِي حَرَمَتْنِي. فَاسْأَلُكَ _ يَا مَوْلَايَ! _ سُوءَ أَلَمَنْ نَفْسُهُ لَاهِيَةٌ لَطُولُ أَمَلِهِ، وَ بَدَنُهُ غَافِلٌ لِسُكُونِ عُرْوِقِهِ، وَ قَلْبُهُ مَفْتُونٌ بِكَتْرِهِ النَّعَمِ عَلَيْهِ، وَ فِكْرُهُ قَلِيلٌ لِمَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ. سُوءَ أَلَمَنْ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْأَمَلُ، وَ فَتَنَهُ الْهَوَى، وَ اسْتَمَكَّنَتْ مِنْهُ الدُّنْيَا، وَ أَظْلَهُ الْأَحْيَالُ، سُوءَ أَلَمَنْ اسْتَكَثَرَ ذُنُوبَهُ، وَ اعْتَرَفَ بِخَطِيئَتِهِ، سُوءَ أَلَمَنْ لَا رَبَّ لَهُ غَيْرُكَ، وَ لَا وَلِيَّ لَهُ دُونُكَ، وَ لَا مُنْقِذَ لَهُ مِنْكَ، وَ لَا مُلْجَأَ لَهُ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ.

ص : ٤٩٤

١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣٨٠.

٢- ٢. كريمه ١٨ النحل.

٣- ٣. قارن: نفس المصدر.

٤- ٤. لم أعثر عليه، لا- في مصادر الروايات و لا في ما يتعلّق بعلم الأخلاق، كـ «إحياء علوم الدين» و «جامع السعادات» و ما يشبههما.

«مستقلاً» حالٌ من الفاعل، أى: أصبح و أمسى حالكونى علمت عملى قليلاً، من: «استقلت» الشئ: رأيتَه قليلاً.

> و «اللام» فى «لعملى» لتقويه العامل، مثلها فى نحو: «مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ»^(١).

و تخصيص هذين الوقتين بالذكر، لأنَّ كلاً منهما وقت انتقالٍ من حالٍ إلى أخرى مخالفٍ لها^(٢)<.

و «أنا» مبتدئ؛

و «ذليلٌ» خبره.

> و «عملى أهلكنى» جملةٌ مستأنفةٌ، وقعت جواباً عن سؤالٍ مقدّرٍ، كأنه قيل: كيف صار إسرافك على نفسك سبباً لذلك؟

فقال: «عملى أهلكنى _ ... إلى آخره _»^(٣)<؛ أى: سيئات عملى صارت سبباً لهلاكى.

و «هواء» نفسى الأمّاره بالسوء «أردانى» >أى: هلكنى _ من: الردى بمعنى: الهلاك _ ؛ أو: أسقطنى فى بئر غضبك، من قولهم: ترّدّى فلانٌ فى البئر^(٤)< أى: سقط فيه^(٥).

و «شهواتى حرمتنى» من النعم الأخرى.

> و «الفاء» من قوله _ عليه السلام _ : «فأسألك» لترتب السؤال المذكور على ما ذكر. و عدّد من أحواله _ عليه السلام _ ، فإنّ ذلك من دواعى السؤال على هذا النمط^(٦)<.

و «سؤال من نفسه لاهيةً لطول أمله» أى: سؤال شخصٍ نفسه مشغلةً باللهو و اللعب و ما لا يعينها عمّا يهّمّها و يعينها لأجل طول أمله؛ أو: بسببه _ على اختلاف النسختين ب _ «اللام» و «الباء» _ .

و «طول الأمل» عبارةٌ عن توقّع الأمور المحبوبة الدنيويّة دائماً، و ظاهرٌ أنّ ذلك داعٍ للهو

ص : ٤٩٥

١- ١. كريمه ٩١ البقره.

٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣٨٢.

٣- ٣. قارن: نفس المصدر.

٤- ٤. قارن _ مع تغييرٍ يسير _ : «التعليقات» ص ١٠٢.

٥- ٥. و انظر: «نور الأنوار» ص ٢٠٤.

٦- ٦. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣٨٣.

النفس و باعث عليه.

و >«لسكون عروقه» كناية عن صحه البدن، فإن المرض يحرك العروق الساكنه و دوام الصحه يصير سبباً للغفله. روى يعقوب بن شبيب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان في ابن آدم ثلاثمائه وستين عرقاً، منها مائة وثمانون متحركة و منها مائة وثمانون ساكنة، فلو سكن المتحرك لم ينم و لو تحرك الساكن لم ينم. و كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أصبح قال: الحمد لله رب العالمين كثيراً على كل حالٍ ثلاثمائه و ستين مرةً، و إذا أمسى قال مثل ذلك» (١)، على عدد العروق (٢) <.

و «قلبه مفتون بكثرة النعم عليه» أي: قلبه مبتلى بالفتنة و الغفله عن الله بسبب كثره النعم، لأن «الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى» (٣).

«و فكره قليل لما هو صائر إليه» أي: فكره لأجل أمور الآخرة و تدبير حسن العاقبة قليل؛ فقله: «لما هو صائر إليه» صله للـ «فكر».

و «سؤال» عطف على «سؤال» الأول بلا عطفٍ.

و «استمكنت منه» أي: ملكته و غلبته و أخذت بقيادها و تمكنت في قلبه؛ من: استمكنت من الشيء استمكناً: تسلطت عليه و قدرت على التصرف و التملك فيه كيف شئت.

>«أظله الأجل» أي: دنا منه كأنه ألقى عليه ظله، يقال: أظلك فلان: إذا دنا منك كأنه ألقى عليك ظله (٤) <. و المراد: ان من كان صفته هذه فهو أحق بالإلحاح في السؤال و التضرع أيضاً، و أجدر بأن يرحم و يغاث.

ص: ٤٩٦

-
- ١- ١. راجع: «الكافي» ج ٢ ص ٥٠٣ الحديث ٤، «وسائل الشيعة» ج ٧ ص ١٧١ الحديث ٩٠٣٥، «بحار الأنوار» ج ٥٨ ص ٣١٦.
 - ٢- ٢. قارن: «نور الأنوار» ص ٢٠٤.
 - ٣- ٣. كريمتان ٧، ٦ العلق.
 - ٤- ٤. قارن: «التعليقات» ص ١٠٢.

و «سؤال من استكثر ذنوبه» أى: أسألك مثل سؤال؛ هذا و أمثال ذلك أيضاً بتقدير العطف _ كما مر _ .

و «المنقذ له منك» أى: لاملخص له من عقابك.

و «لاملجاً له منك إلا إليك».

>«الملجأ»: ما يلجأ إليه _ أى: يعتصم به _ ؛ من قولهم: لجأ إلى الحصن و نحوه أى: اعتصم به.

و الاستثناء مفرغ من حال عامه؛ و التقدير: لاملجأ له منك فى حال من الأحوال إلا حال كونه لاجئاً إليك(١)<.

إِلَهِى أَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ الْوَاجِبِ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ، وَ بِإِسْمِكَ الْعَظِيمِ الَّذِى أَمَرْتَ رَسُولَكَ أَنْ يُسَبِّحَكَ بِهِ، وَ بِجَلَالِ وَجْهِكَ الْكَرِيمِ _ الَّذِى لَا يَبُلَى وَ لَا يَنْغَيِّرُ، وَ لَا يَحُولُ وَ لَا يَفْنَى _ أَنْ تُصَلِّىَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ، وَ أَنْ تُغْنِنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ بِعِبَادَتِكَ، وَ أَنْ تُسَلِّىَ نَفْسِي عَنْ الدُّنْيَا بِمَخَافَتِكَ، وَ أَنْ تُثَبِّتَنِي بِالْكَثِيرِ مِنْ كَرَامَتِكَ بِرَحْمَتِكَ. فَإِلَيْكَ أَفْزُ، وَ مِنْكَ أَخَافُ، وَ بِكَ أَسْتَعِيْثُ، وَ إِيَّاكَ أَرْجُو، وَ لَكَ أَدْعُو، وَ إِلَيْكَ أَلْجَأُ، وَ بِكَ أَثِقُ، وَ إِيَّاكَ أَسْتَعِيْنُ، وَ بِكَ أُوْمِنُ، وَ عَلَيْكَ أَتَوَكَّلُ، وَ عَلَى جُودِكَ وَ كَرَمِكَ أَتَكَلُّ.

«الباء» للاستعطاف.

و «الحق» مصدر: حقَّ الشئ يحقُّ حقاً: إذا ثبت و لزم؛ أى: أسألك بوسيله حقك «الواجب على جميع» الخلائق.

و «حقوق الله _ تعالى _ الواجبه على جميع الخلائق» كثيرة!، أعظمها الوجود _ لأنَّ جميع النعم تابعه له _ ؛ و أعظم منه الإقرار بالالوهية و الوحدانية؛ و أن يعبدوه لا يشرك به _

ص : ٤٩٧

> كما روى عن صاحب هذه الصحيفة عليه السلام في حديث تفصيل الحقوق: «الأَكْبَرُ أَنْ (١) تعبدَه لا تشرك به شيئاً» (٢) _ .
فالمقصود إمّا العموم _ لإضافته، كقوله تعالى: «وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا» (٣) _ ، أى: إنعامه؛ أو: أعظمها.

قوله _ عليه السلام _ : «و باسمك العظيم» إشارة إلى قوله _ تعالى _ : «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ» (٤)، و هو صريح في أنَّ «العَظِيم» في الآية صفة للـ «اسم» دون «الرَّبِّ». و قال المفسرون: «يجوز أن يكون صفة للمضاف، أو للمضاف إليه» (٥)(٦) <.

و قد يقال: أنَّ مرجعهما واحدٌ، لأنَّه أمرٌ بأن يقول: سبحان الله تنزيهاً عما يقوله الظالمون؛ أو أن يقول: سبحان ربِّي العظيم. و من سَبَّح باسم ربِّه العظيم فقد سَبَّح باسمه العظيم، لأنَّ عظمه الاسم من عظمه المسمَّى. و إلى هذا أشار من قال: «كلُّ أسماء ربِّنا عظيمٌ أعظم!»؛ و دلَّ أيضاً على أنَّه اسمٌ خاصٌّ لا أى اسمٍ من أسمائه الحسنَى _ كما مرَّ تحقيق ذلك فيما سبق _ .

و معنى «تسبيحه _ تعالى _ باسمه العظيم»: تنزيهه عمَّا لا يليق بشأنه. ذكر اسمه «العظيم»، لدلالته على تقدُّسه _ تعالى _ عن الأوصاف و النقائص الإمكانية و تنزُّهه عن العلائق الجسمانية و العوائق الظلمانية و تعظيمه بحسن الثناء عليه و الكمال الذى لا يشاركه غيره فيه _ كما هو روح التسبيح و معناه _ .

و قوله _ عليه السلام _ : «و بجلال وجهك الكريم _ ... إلى آخره _».

«الجلال»: العظمه و الكبرياء _ كما مرَّ _ .

و «الوجه»: عين الرأى، و: عين التدبير؛ > و العرب تقول: هذا وجه الرأى و وجه التدبير بمعنى: أنَّه عين الرأى و عين التدبير؛ و منه قول الأعشى:

وَ أَوَّلَ (٧) الْحُكْمِ عَلَى وَجْهِهِ لَيْسَ قَضَائِي بِالْهَوَى الْجَائِرِ (٨)

ص : ٤٩٨

١-١. الخصال: الأَكْبَرُ عليك فأن.

٢-٢. راجع: «الخصال» ج ٢ ص ٦٧٦.

٣-٣. كريمه ١٨ النحل.

٤-٤. كريمه ٧٤ / ٩٦ الواقعه / ٥٢ الحاقه.

٥-٥. لم أعثر على نصٍّ منهم على هذا الكلام.

٦-٦. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣٨٦.

٧-٧. كذا، و فى «ديوان الأعشى»: «أَوَّلُ»، كذا من غير لفظه «و» فى صدر البيت.

٨-٨. هذا هو البيت ٣٢ من قصيده أولها: شأقتك من قتله أطلالها بالشطّ فالوتر إلى حاجرٍ راجع: «ديوان الأعشى» ج ٢ ص ١٧.

— أى: قَرَّرَ الحكم على ما هو — (١). وقد يعبر عن «الوجه» بالذات؛ وقد تقدّم الكلام عليه.

قوله: «أن تغنينى عن كلِّ شىءٍ بعبادتك» أى: أن تكفينى بالإشتغال بعبادتك عن الإشتغال بشىءٍ من الأشياء، لأنَّ الإشتغال بالعبادة تغنى العبد عن كلِّ شىءٍ، فأنه يكفيه أمر الدنيا والاخره، لقوله — تعالى —: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» (٢).

قوله — عليه السلام —: «و أن تسلى» من باب التفعيل و الإفعال من: سلت نفسه عن الشىء سلواً — من باب قعد —: زالت عنها محبته؛ أو من: سلاه عينه تسليهً أى: أذهب محبته عن قلبه، أى: و أن تزيل و تذهب عن نفسى محبته الدنيا بإلقاء خوفك فى قلبى.

قوله — عليه السلام —: «و أن تثينى» من: ثنيت الرجل بقضاء حاجته أى: صرفته و رجعته به — أى: و أن ترجعنى من باب رحمتك منعماً بالكرامه الكثيره —؛ أو من: أثناه أى: عطفه. و الظاهر فتح «التاء» أى: و أن تعطفنى و تأخذنى إليك متلبساً «بالكثير من كرامتك». و فى نسخه ابن إدريس: «تثينى» من الثواب، و لعله الأولى؛ أى: و أن تجعلنى مثاباً بالثواب الكثير من كرمك بسبب رحمتك، لا بالإستحقاق. و فى نسخه الشهيد: «و أن تثينى» من: الثناء.

«فإليك أفر» لا إلى غيرك — لأنَّ تقديم ما هو حقّه التأخير يفيد الحصر —؛ و كذا فى الفقرات الآتية.

ص : ٤٩٩

١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣٢.

٢- ٢. كريمتان ٣ / ٢ الطلاق.

هذا آخر اللمعه الثانيه و الخمسين من لوامع الأنوار العرشيّه فى شرح الصحيفه السجاديّه _ صلوات الله عليه _ ، و قد وفّقنى الله _ تعالى _ لإتمامها فى ليله الجمعه لثلاثٍ خلون من شهر جمادى الثانى سنه ١٢٣٣.

ص : ٥٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل التذلل مناسبا للعباده والعبوديه، و سبب الفوز بالسعاده الأبدية؛ و الصلاه و السلام على الحقيقه المحمديه و على آله و أهل بيته الذين وصلوا إلى المرتبه الشهوديه.

و بعد؛ فهذه اللمعه الثالثه و الخمسون من لوازم الأنوار العرشيه في شرح الصحيفه السجديه _ صلوات الله عليه و على آبائه و أبنائه في كل غداه و عشيه _ ، إملأ العبد المتذلل إلى الحضرة الأحديه محمد باقر بن السيد محمد من السادات الموسويه _ غفر الله ذنوبهما الدينوييه و الأخروييه _ .

وَ كَانَ مِنْ دُعَائِهِ _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ فِي التَّذَلُّلِ لِلَّهِ _ عَزَّ وَ جَلَّ _ .

«التذلل»: تكلف الذل _ بالضم _ ، و هو: الصغار و الهوان.

و «التذلل لله» _ تعالى _ عبارة عن التواضع و الخضوع و الخشوع و الإستسلام لعزته _ تعالى _ و إظهار الذل و المسكنه إليه _ سبحانه _ .

و هو يكون بالجنان، كالإعتقاد بأنه أقل عباده و أفقرهم إليه؛

و بالأركان، كالصاق الخد بالارض و تعفير الوجه بالتراب و الرمي بالنظر نحو الأرض و سكون حركات الأطراف. > و في الحديث عن أبي عبدالله _ عليه السلام _ قال: «أوحى

ص : ٥٠٣

اللّٰهُ _ تبارك و تعالى _ إلى موسى _ عليه السلام _ أن: يا موسى!، أنظر لم اصطفتك بكلامى دون خلقى؟!

قال: يا رب! و لم ذاك؟

قال: فأوحى اللّٰهُ _ تبارك و تعالى _ إليه: يا موسى! أنى قلبت عبادى ظهرا لبطن فلم أجد فيهم أحداً أذلّ لى نفساً منك!،
يا موسى! أنك إذا صليت وضعت خدك على التراب _ أو قال: على الأرض _ «(١)(٢)»؛

و باللسان، كالإقرار و الإعتراف بالنطق بما اعتقده من ذلّ نفسه و افتقاره و عظم ما اكتسبه من الخطايا و الذنوب، و التضرّع إليه _
تعالى _ و مناجاته _ سبحانه _ بالسؤال و الدعاء و الإبتهاال إليه فى حطّ ذنوبه و غفران خطاياہ _ كما اشتمل عليه هذا الدعاء _

رَبِّ! أَفَحَمَّتْنِي ذُنُوبِي، وَ انْقَطَعَتْ مَقَالَتِي، فَلَا حُجَّةَ لِي، فَأَنَا الْأَسِيرُ بِبَلَّتِي، الْمُرْتَهَنُ بِعَمَلِي، الْمُتَرَدِّدُ فِي خَطِيئَتِي، الْمُتَحَيِّرُ عَنْ
قَصْدِي، الْمُتَنَقِّعُ بِي. قَدْ أَوْقَفْتُ نَفْسِي مَوْفَقَ الْأَذِلَّةِ الْمُذْنِبِينَ _ : مَوْفَقَ الْأَشَقِيَاءِ الْمُتَجَرِّينَ عَلَيْكَ، الْمُشْتَخَفِينَ بِوَعْدِكَ _ .
سُبْحَانَكَ! أَيُّ جُزْأِهِ اجْتَرَأْتُ عَلَيْكَ، وَ أَيُّ تَغْرِيرٍ غَرَرْتُ بِنَفْسِي!.

«أفحمتنى ذنوبى» أى: منعتنى عن المقالة(٣)، من الإفحام بمعنى: الإسكات؛ <أو: أبكتنى حتّى انقطع صوتى، من قولهم(٤)>:
<فَحِمَّ الصَّبِيُّ يَفْحِمَ _ بفتحتين _ فحوماً: بكى حتّى انقطع نفسه و صوته و أفحمه البكاء؛ و منه: أفحمت الخصم: أسكته
بالحجّة. و إسناد «الإفحام»

ص : ٥٠٤

١ - ١. راجع _ مع تغييرٍ يسير _ : «الكافى» ج ٢ ص ١٢٣ الحديث ٧، «الفيہ» ج ١ ص ٣٣٢ الحديث ٩٧٥، «القصص» _
للجزائرى _ ص ٢١٧، «القصص» _ للرواندى _ ص ١٦٠ الحديث ١٧٧، «مكارم الأخلاق» ص ٢٨٦.

٢ - ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣٩٨.

٣ - ٣. و انظر: «التعليقات» ص ١٠٣.

٤ - ٤. قارن: «نور الأنوار» ص ٢٠٤.

إلى «الذنوب» مجازاً عقلياً (١) <.

و «انقطعت» الذنوب «مقاتلي» أي: قولي و كلامي، فهو مصدرٌ ميميٌّ. و ذلك من باب المجاز العقلي أيضاً.

حو «الفاء» من قوله: «فلاحجه لي» للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها؛ أي: فبسبب إفحام ذنوبي و انقطاع مقاتلي لاحجه لي أحتج بها فيما فعلت (٢) <؛

و كذا القول في «الفاء» من قوله _ عليه السلام _ : «أنا الأسير»، أي: إذ لاحجه لي «أنا الأسير ببليتي».

و «المرتهن»: اسم مفعولٍ من: رهنته المتاع بالدين أي: حبسته عنده به، ف _ : ارتهنه مني أي: أخذه مني رهناً، فالمتاع مرهونٌ.

و «المرتهن بعملٍ» إشارةً إلى قوله _ تعالى _ : «كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ» (٣).

و «المتردّد»: اسم فاعلٍ من تردّد في الطريق: إذا جاء و ذهب فيه مرّةً بعد أخرى، كنايةً عن كثره الذنوب حتّى صارت كأنّها طريقٌ له، فهو يجيء و يذهب فيها على طريق التردّد؛ أو من: تردّد في أمره: إذا تحيّر فيه؛ أي: الهائم و الحائر في ذنوبي «المتحيّر عن قصدي».

و تعديده «التحيّر» ب _ «عن» لتضمينه معنى الميل و الإنحراف، أي: أنا متحيّرٌ حالكوني مائلاً عن الصراط المستقيم.

و «القصْد» مصدرٌ بمعني: التوسّط و الإستقامه الّتي ليس فيها إفراطٌ و لاتفريطٌ.

«المنقطع بي» بصيغته المفعول، يقال: <قطع بفلانٍ فهو مقطوعٌ به، و انقطع به فهو منقطعٌ به (٤) _ بالبناء للمفعول فيهما _ : إذا كان ابن سبيلٍ فحصل له سببٌ عاقه عن السفر دون مقصده _ كما إذا تعذّر زاده أو عطلت راحلته أو نحوهما (٥) _ ، ثم أطلق على كلّ من حيل بينه

ص : ٥٠٥

١-١. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٣٩٨.

٢-٢. قارن: نفس المصدر و المجلّد ص ٣٩٩.

٣-٣. كريمه ٢١ الطور.

٤-٤. و انظر: «شرح الصحيفة» ص ٤٤٢.

٥-٥. و انظر: «التعليقات» ص ١٠٣.

و بين ما يؤمله على الإستعاره أو التشبيه _ لأنه قطع به دون مقصوده و مأمله _ (١) <.

«قد أوقفت نفسي» هكذا فى النسخ المشهوره بالألف، فلا عبره بقول <الزجاج فى شرح أدب الكاتب(٢): «ليس فى كلام العرب أوقف إلا فى موضعين: يقال: تكلم الرجل فأوقف: إذا انقطع عن القول عتياً عن الحجّه؛ و: أوقفت المرأة: إذا جعلت له سواراً من الوقف، و هو الذيل(٣)>؛ انتهى. فإنّ قوله _ عليه السلام _ حجّه؛

و كذا لا عبره بقول الفاضل الشارح: «وقفت أفصح من أوقفت(٤)، مع أنّه قد صرح جمهور اللغويين بمجىء «أوقف»، قال صاحب القاموس: «وقف يقف وقوفاً: دام قائماً، و: وقفته أنا وقفاً: فعلت به ما وقف، كوقفته و أوقفته(٥)؛ فأثبت «أوقفته» بمعنى: وقفته؛ و كذا غيره _ كما لا يخفى على المتتبع(٦) _ .

و «الموقف»: مصدرٌ ميميٌّ بمعنى: الوقوف؛ و يحتمل كونه اسم مكانٍ.

و «المتجرئين» _ مع الهمزه _ من: تجرّء عليه _ بالهمز _ : أقدم و أسرع فى الهجوم عليه من غير هيبة و لا توقّف، و الاسم: الجرأه _ بالضم، كغرفه _ . و فى نسخه بدون الهمزه، و كأنّها حذفٌ للتخفيف؛ أى: وقفت «موقف الأتقياء» الذين هم صاحب الجرأه.

و «المستخفين بوعدك» أى: لا يهتمّون به فيعصونك و يعدّون وعيدك بالعذاب هيئاً، يقال: استخفّ به: استهان به.

<«سبحانك! أى جرأه اجتراءت عليك» أى: أنزهك عن أن يكون وعيدك مستحقاً للإستخفاف به، و مع هذا فقد اجتراءت عليك اجتراءً _ أى: جرأه _ ، لأنّ كلّ ذنبٍ يصدر منّا

ص : ٥٠٦

١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٤٠٠.

٢- ٢. لم أعثر على هذا الكتاب، أمّا متن «أدب الكاتب» ففحصت الطبعة المصرية منه _ التى حقّقها محمّد محيى الدين عبد الحميد _ و لم أعثر فيه على موضعٍ يعيننا فى هذا المضمّر.

٣- ٣. قارن: نفس المصدر و المجلّد ص ٤٠١.

٤- ٤. قارن: نفس المصدر.

٥- ٥. راجع: «القاموس المحيط» ص ٧٩٤ القائمة ١.

٦- ٦. لتفصيل الكلام حول هذا المضمّر راجع: «المصباح المنير» ص ٩٢٢.

فهو جرأه على جنبه _ سبحانه، كما قال عليه السلام: «لاتنظر إلى صغر معصيتك (١) و انظر إلى من عصيت!» (٢) _ (٣) <.

ف _ «أَيَّ جرأه» استفهام تعظيم و تهويل، و هو صفة لمصدر محذوف، و العامل فيه «اجترأت»، أي: اجترأت عليك اجتراءً أَيَّ جرأه _ كقوله تعالى: «أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» (٤) أَي: ينقلبون انقلاباً أَيَّ منقلب! _ .

و مثله: «أَيَّ تغرير»، و هو بالغين المعجمه و الرء المهمله، يقال: غرّر بنفسه تغريراً: إذا عرضها للهلكه، و الاسم: الغرر؛ أو من: غرر بنفسه تغريراً: حملها على الغرر. و تقديم المعمول في ذلك واجب، للزوم الاستفهام المصدر.

مَوْلَايَ! اَرْحَمَ كَبَوْتِي لِحُرِّ وَجْهِی وَ زَلَّةِ قَدَمِی، وَ عُيْدَ بِحِلْمِكَ عَلَی جَهْلِی وَ بِإِحْسَانِكَ عَلَی إِسَاءَتِی، فَأَنَا الْمُقِرُّ بِذَنْبِی، الْمُعْتَرِفُ بِخَطِيئَتِی، وَ هَذِهِ يَدِی وَ نَاصِيَتِی، أَسْتَكِينُ بِالْقَوْدِ مِنْ نَفْسِی، اَرْحَمَ شَيْئِی، وَ نَفَادَ أَيَّامِی، وَ اقْتِرَابَ أَجَلِی وَ ضَعْفِی وَ مَسْكَنَتِی وَ قَلَّةَ حِيلَتِی. مَوْلَايَ! وَ اَرْحَمْنِی إِذَا انْقَطَعَ مِنَ الدُّنْيَا أَثَرِی، وَ اَمَحَى مِنَ الْمَخْلُوقِينَ ذِكْرِی، وَ كُنْتُ مِنَ الْمُنْسَيَّينَ كَمَنْ قَدْ نُسِيَ. مَوْلَايَ! وَ اَرْحَمْنِی عِنْدَ تَغْيِيرِ صُورَتِی وَ خَالِی إِذَا بَلَی جِسْمِی، وَ تَفَرَّقَتْ أَعْضَائِی، وَ تَقَطَّعَتْ أَوْصَالِی، يَا غَفْلَتِی عَمَّا يُرَادُّ بِي!

«الكبوه»: السقوط على الوجه.

ص : ٥٠٧

١ - ١. المصدر: الخطيئه.

٢ - ٢. راجع: «مستدرک الوسائل» ج ١١ ص ٣٤٩ الحديث ١٣٢٢٥، «بحار الأنوار» ج ٧٤ ص ٧٨، «أعلام الدين» ص ١٩١، «الأمالی» _ للطوسي _ ص ٥٢٧ الحديث ١١٦٢، «مجموعه ورام» ج ٢ ص ٥٣.

٣ - ٣. قارن: «نور الأنوار» ص ٢٠٤.

٤ - ٤. كريمه ٢٢٧ الشعراء.

>و «اللام» بمعنى: على _ نحو: «وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ» (١)، و: «تَلَّهُ لِلْجَبِينِ» (٢) _ (٣)، >أى: انكبأبى فى الذنوب، أو فى النار؛ كما روى: «إنَّ الزبانية يكتبون الناس فى النار على وجوههم فيصلوا إلى قعرها بعد مضيَّ سبعين ألف سنة!» (٤).

و «حرَّ الوجه»: ما بدا من الوجه، يقال: لطمه على حرَّ وجهه.

و «زَلَّه» بالكسر حمرة معطوفٌ على «حرَّ»؛ أى: كبوتى بسبب زَلَّه قدمى (٥) >.

و «استكين» أى: أذلَّ و أخضع.

>و «الباء» للملابسه، أى: «أستكين» ملتبساً «بالقود»، و هو: القصاص (٦) >؛ أى: كنت حقيراً ذليلاً بأن سلَّمت نفسى لاستيفاء القصاص بسبب الذنوب. و حاصلها إظهار الرضاء بهذا القصاص؛ و قيل: «المراد: تقاصنى بسبب إهلاكى نفسى».

و «الشيب» و «الشبه»: إبيضاض الشعر.

و «النفاد»: الفناء. و المراد بـ «نفاد الأيام»: مشارفتها للنفاد _ كما يدلُّ عليه قوله: «و اقترب أجلى» _ .

و إثار صيغه الإفتعال فى القرب للإيدان بالمبالغه فيه و تأكيده، أى: ارحم ضعفى أيام الشيخوخه و فناء أيام عمرى و قرب أجلى و ضعفى و زلتى و عدم تديبرى فى استخلاص رقبتى من الهلاك الأبدى.

>و «الإمحاء»: إنفعالٌ من المحو، أدغمت النون فى الميم. و «المحو»: إزاله الأثر، يقال: محوته فامحى أى: ذهب أثره و زال.

و «صوره» الشىء: هياته الحاصله له عند إبقاع التأليف بين أجزائه. و تطلق على الوجه

ص : ٥٠٨

١- ١. كريمه ١٠٩ / ١٠٧ الإسراء.

٢- ٢. كريمه ١٠٣ الصافات.

٣- ٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٤٠٢.

٤- ٤. لم أعر على مصدرٍ لهذا الحديث الذى رواه الجزائرى، لا فى مصادرنا و لا فى مصادر العامه.

٥- ٥. قارن: «نور الأنوار» ص ٢٠٤.

٦- ٦. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٤٠٤.

خاصّةً، و منه حديث: «نهى عن ضرب الصورة»^{(١)(٢)}. و يحتمل أن يكون المراد تغيير الصورة في حال الإحتضار، أو الشيب، أو في القبر؛

و كذا المراد من «بلاء الجسم» في حاله الشيب، أو في القبر.

و «الأوصال»: المفاصل؛ قال في القاموس: «الأوصال: المفاصل أو مجتمع العظام»^(٣).

و «يا غفلتى عمّا يراد بى» نادى متوجّع منه _ نحو: يا أسفى، و: يا حسرتى _، و يسمّى مندوباً به و متفجعاً منه؛ أى: يا غفلتى أحضرى حتّى يتعجب من فضاعتك عمّا يراد بى من العذاب و المكافات!.

مَوْلَايَ! وَ ارْحَمْنِي فِي حَشْرِي وَ نَشْرِي، وَ اجْعَلْ فِي ذَلِكِ الْيَوْمِ مَعَ أَوْلِيَائِكَ مَوْفِي، وَ فِي أَحِبَّائِكَ مَضِيدِي، وَ فِي جَوَارِكِ مَسْكِنِي، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ!.

«الحشر» في اللغة: الجمع^(٤)؛ و في عرف الشرع خصّ عند الإطلاق باخراج الموتى عن قبورهم و سوقهم إلى الموقف و جمعهم للحساب و الجزاء^(٥).

و «النشر» بمعنى: الافتراق، يقال: نَشَرَ المَيِّتُ نُشُوراً _ من باب قعد _ : عاش؛ و: نشره الله نشرًا، يتعدّى و لا يتعدّى، و يتعدّى بالهمزة أيضاً فيقال: أنشره الله _ و منه: «إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ»^(٦) _ . و يسمّى يوم القيامة بـ: «الحشر» و «النشر»، لجمع الخلائق للحساب و

ص : ٥٠٩

١- ١. كذا في النسختين تبعاً لما في «الرياض»، و لم أعثر عليه. و انظر: «فتح الباري» ج ٩ ص ٦٧٤. و يمكن أن يكون المذكور في المتن حصيلة كلام ابن الأثير، راجع: «النهاية» ج ٣ ص ٦٠.

٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٤٠٦.

٣- ٣. راجع: «القاموس المحيط» ص ٩٨٦ القائمة ١.

٤- ٤. كما نصّ عليه الفيروز آبادي، راجع: «القاموس المحيط» ص ٣٥١ القائمة ١.

٥- ٥. و انظر: «غاية المرام» ص ٢٩٩، «مطلع الاعتقاد» ص ٧٧، «شرح المواقف» ج ٨ ص ٥٨١.

٦- ٦. كريمه ٢٢ عبس.

تفريقهم إلى الجنة و النار.

و فى إتيان لفظ «ذلك» _ مع قرب العهد بالمشار إليه _ إشعارٌ ببُعد منزلته فى الهول و الفخامه _ كقوله تعالى: «ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ» (١)، و: «ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ» (٢) _ .

لمعه عرشه

اعلم! أنَّ الزمان عله التعاقب فى الوجود؛ و المكان عله التكثر و الإفتراق فى الحضور، فهما سببان لإختفاء الموجودات بعضها عن بعض. فإذا ارتفعا فى القيامه ارتفعت الحجب بين الخلائق، فتجتمع الخلائق كلهم _ : الأولون و الآخرون _ ، «قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ» (٣)؛

فهو يوم الجمع، «يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ» (٤)؛

و بوجه آخر هو يوم الفصل، لأنَّ الدنيا دار الاشتباه و الإختلاف يتشابه فيها الحقّ مع الباطل و يتخالط فيها الوجود و العدم و الخير و الشرّ و الخبيث و الطيب، و فى الآخرة يتفرّق المتخالفان، لقوله _ تعالى _ : «يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِّدُ يَتَفَرَّقُونَ» (٥)؛

و فيها يتميز المتشابهان، لقوله: «لَيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ» (٦) _ ... الآية _ ؛

و ينفصل الخصمان، لقوله: «وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَ يُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ» (٧)، و قوله: «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يُحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ» (٨).

و لامنافه بين هذا الفصل و ذلك الجمع، بل هذا يوجب ذاك، كما قال: «هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ» (٩)؛

ص : ٥١٠

١- ١. كريمه ٣٩ النبأ.

٢- ٢. كريمه ١٠٣ هود.

٣- ٣. كريمتان ٥٠، ٤٩ الواقعة.

٤- ٤. كريمه ٩ التغابن.

٥- ٥. كريمه ١٤ الروم.

٦- ٦. كريمه ٣٧ الأنفال.

٧- ٧. كريمه ٢٤ الشورى.

٨- ٨. كريمه ٤٢ الأنفال.

٩- ٩. كريمه ٣٨ المرسلات.

و الحشر أيضاً بمعنى الجمع _ كما عرفت _ ، كما قال: «و حَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا» (١).

و اعلم أيضاً! أنَّ حشر الخلائق على أنحاءٍ مختلفهٍ، لما علمت سابقاً في اللمعات الماضيه من أنَّ الإنسان سيصير أنواعاً مختلفهً بحسب الباطن و الروح بعد أن كان واحداً بحسب الطبيعه البشريه. و ذلك من جهه اختلاف ملكاتهم الحاصله من تكرر أعمالهم، فكل ملكه تغلب على الإنسان في الدنيا تتصور في الآخره بصوره تناسبها.

فالحشر لقوم على الوفود، «يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا» (٢)؛

و لقوم على سبيل الإنسياق على جهنم، «و نَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثَةً» (٣)؛

و لقوم على سبيل التعذيب، «يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ» (٤).

و بالجملة إنما يحشر كل أحد إلى غايه سعيه و عمله و نهايه قصده و نيته و ما يهيمه و يحبه، حتى أنه «لو أحب أحدكم حجراً لحشر معه!» (٥)؛ و في الحديث: «يحشر الناس على نيّاتهم» (٦)؛

و فيه أيضاً: «يحشر بعض الناس على صور تحسن عندها القرده و الخنازير» (٧)؛

و فيه أيضاً: «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثه أوصاف: ركبانا، و مشاة، و على وجوههم!

فقل: يا رسول الله! فكيف يمشون على وجوههم؟!

ص : ٥١١

١- ١. كريمه ٤٧ الكهف.

٢- ٢. كريمه ٨٥ مريم.

٣- ٣. كريمه ٨٦ مريم.

٤- ٤. كريمه ١٩ فصلت.

٥- ٥. لم أعثر عليه، لا في مصادرنا و لا في مصادر العامه.

٦- ٦. راجع: «الكافي» ج ٥ ص ٢٠ الحديث ١، «التهذيب» ج ٦ ص ١٣٥ الحديث ٤، «وسائل الشيعة» ج ١٥ ص ٤٣ الحديث ١٩٩٥٢، «بحار الأنوار» ج ٦٧ ص ٢٠٩، «المحاسن» ج ١ ص ٢٦٢ الحديث ٣٢٥.

٧- ٧. لم أعثر عليه، لا في مصادرنا و لا في مصادر العامه. و أورده العارف الكاشاني في «رساله مبدء و معاد»، راجع: «مجموعه رسائل و مصنفات كاشاني» ص ٣٠٧.

قال: الذى أمشاهم على أقدامهم قادرٌ أن يمشيهم على وجوههم!«(١).

و عليه يحمل معنى التناسخ الوارد فى لسان الأقدمين و ما تشبّثوا به من الآيات المبين و الأخبار الواردة عن المعصومين الدالّة بظاهرها على التناسخ _ كما لا يخفى على العارفين _ .

و إنّما يجوز هذا التناسخ فى النشأ الآخـره دون الأولى، لأنّ الأبدان الأخرويّه ليست وجوداتها بسبب استعدادات الموادّ و حرّكاتها و تهياتها و استكمالاتها المتدرّجه الحاصله لها عن أسباب غريبه و لواحق مفارقه، بل هى فائضه بمجرّد إبداع الحقّ الأوّل إيّاها بحسب الجهات الفاعليه من غير مشاركه القوابل؛ فلا يلزم فيها ما يلزم هناك من المفاسد. فتبصّر!

فقد ظهر ممّا ذكرنا أنّ موادّ الأشخاص الأخرويّه و ما يكون لها بمنزله البذور للأشجار و النطف للحيوانات و الهيولى للعقليّات إنّما هى تصوّرات الباطنيه و التخيالات النفسانيّه و التأملات. و صورها قائمه بذواتها، حيوتها نفس ذاتها. و كلّ إنسانٍ مع ما يتعلّق به من الحور و القصور و الأنهار و غيرها موجودٌ بوجودٍ واحدٍ، حتّى بحياهٍ واحدهٍ و إنّ تكثّرت صورته؛ فافهم!

تكملة

اعلم! أنّ المُعاد فى المُعاد المحشور فى الآخـره هو بعينه هذا الشخص الإنسانى _ الذى فى الدنيا و البرزخ _ روحاً و بدنًا، بحيث لو يراه أحدٌ عند المحشر يقول: هذا فلانٌ الذى كان فى الدنيا! _ كما قال الصادق عليه السلام فى البرزخ: «لو رأيته لقلت: فلانٌ!»(٢) _ و إنّ كانت صورته صورته حمارٍ أو خنزيرٍ، أو ضرسه مثل جبلٍ أحدٍ تغليظاً للعقوبه، أو كانوا أجوداً أمرداً مكحلين أبناء ثلاثٍ و ثلاثين على خلق آدم طولهم ستون فى عرض سبع أزرع.

ص : ٥١٢

١- ١. لم أعثر عليه أيضاً، لا فى مصادرنا و لا فى مصادر العامه، و انظر: «فتح البارى» ج ٨ ص ٤٩٢.

٢- ٢. راجع: «التهذيب» ج ١ ص ٤٦٦ الحديث ١٧٢، و لم أعثر عليه فى غيره.

>و «الموقف»: مصدرٌ ميميٌّ، أى: و وقفى(١)؛

و مثله «مصدرى» و «مسكنى(٢)» أى: صدورى و مسكنى. و يحتمل كون «المسكن» اسم مكانٍ _ أى: فى جوارك محلّ سكناى _ (٣)<؛

و «المصدر»: مصدرٌ ميميٌّ أيضاً بمعنى: الرجوع _ قال الله _ تعالى _ : «حَتَّى يُضْذِرَ الرَّعَاءُ»(٤)، أى: حتّى رجع _ ، أى: اجعل وقوفى ذلك اليوم مع أوليائك و رجوعى مع أحبائك.

هذا آخر اللمعة الثالثة و الخمسين من لوازم الأنوار العرشية فى شرح الصحيفة السجادية _ عليه الصلاة و السلام _ ، قد وقّفتنى الله _ تعالى _ لإتمامها ليله الإثنين لإثنين مضت من شهر رجب المرجب سنة ثلاثٍ و ثلاثين و مائتين و ألف من الهجرة النبوية؛ و لله الحمد.

ص : ٥١٣

١- ١. المصدر: وقوفى.

٢- ٢. المصدر: المصدر و المسكن.

٣- ٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٤١٠.

٤- ٤. كريمه ٢٣ القصص.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله دافع الهموم الدنيويّة والأخرويّة، و رافع الغموم النفسيّة و البدنيّة؛ و الصلاه و السلام على الحقيقة المحمّديّة، و على آله و أهل بيته الذين بهم يستكشف الهموم الحقيقيّة.

و بعد؛ فيقول العبد المتوسّل إلى الحضرة الأحديّة في إستكشاف هموم الدنيويّة و الأخرويّة محمّد باقر بن السيّد محمّد _ من السادات الموسويّة _ : هذه اللمعة الرابعة و الخمسون من لوازم الأنوار العرشيّة في شرح الصحيفة السجّاديّة _ صلوات الله و سلامه على آبائه و أبنائه، صلاةً دائمةً سرمديةً _ .

وَ كَانَ مِنْ دُعَائِهِ _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ فِي اسْتِكْشَافِ الْهُمُومِ.

«الإستكشاف»: استفعالٌ بمعنى طلب الكشف. >و أصله في الأعيان و الأجسام، ثمّ استعمل في المعاني.

و «الهموم»: جمع همّ، و هو الحزن(١) < _ و قد مرّ _ .

يَا فَارِجَ الْهَمِّ، وَ كَاشِفَ الْغَمِّ، يَا رَحْمَانَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ رَحِيمَهُمَا، صَلِّ

ص : ٥١٧

عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَافْرُجْ هَمِّي، وَ اكْشِفْ غَمِّي. يَا وَاحِدُ يَا أَحَدُ يَا صَمَدُ يَا مَنْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، اعْصِمْنِي وَطَهِّرْنِي، وَ اذْهَبْ بِلَيْتِي. (وَ اقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَ الْمَعُودَتَيْنِ وَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ).

«فرج» بالتخفيف و التشديد > لغتان صحيحتان بمعنى: الكشف، و الثانى أكثر استعمالاً؛ و الاسم: الفَرْج _ بفتحتين _ ، و قد جمع الشاعر فى قوله اللغتين:

يَا فَارِجَ الْكَرْبِ مَشْدُودًا عَسَاكِرُهُ كَمَا يُفْرِجُ غَمَّ الظُّلَمَةِ الْفَلَقُ (١)

و «الهم» و «الغم» (٢) < قد مرّ معناهما و الفرق بينهما (٣)؛

و كذا «الرحمن» و «الرحيم».

و «الواحد» و «الأحد»: صفتان دالتان على معنى الوجدانيه؛ فقليل: «هما بمعنى واحد»؛

و قيل: «بينهما فرق من وجوه» _ قد تقدّم ذكر الوجوه و ما يرد عليها _ .

و الحقّ أنّ «الأحد» مبالغة فى الوحده النامه، و هى ما لا ينقسم و لا يتكثّر بوجه من الوجوه أصلاً، لا بحسب العقل _ كالانقسام بالجنس و الفصل _ ؛ و لا بحسب العين _ كالانقسام بالمادّه و الصوره _ ؛ و لا فى الحسّ و لا فى الوهم _ كالانقسام بالأعضاء و الأجزاء _ .

و متى كان الأكمل فى الوحده ما لا كثره فيه أصلاً، فكان الله _ تعالى _ غايةً فى الوحده _ كما مرّ تحقيق ذلك _ .

بل كونه _ تعالى _ أحداً يدلّ على أنّه واحدٌ من جميع الوجوه، لأنّه لو لم يكن كذلك لم يكن إلهاً _ لأنّ كلّ ما هو مركّب فهو مفتقرٌ إلى أجزائه، و أجزائه غيره، فيكون مفتقراً إلى غيره؛ فلم يكن واجب الوجود _ ؛ و لا مبدء الكلّ.

و بعبارة أخرى: الفرق بين «الأحد» و «الواحد»: أنّ «الأحد»: هو الذات وحدها

ص: ٥١٨

١- ١. راجع: «أساس البلاغة» ص ٤٦٧ القائمه ٢، و فيه: «... مسدولاً عساكره».

٢- ٢. قارن _ مع تغييرٍ يسير _ : نفس المصدر.

٣- ٣. و انظر: «التعليقات» ص ١٠٣.

بلاعتبار كثره فيها _ أى: الحقيقه المحضه التى هى منبع العين الكافورى، بل العين الكافورى نفسه؛ و هو الوجود من حيث هو وجودٌ بلا قيد عمومٍ و خصوصٍ و شرط عروضٍ و لاعروضٍ _ ؛

و «الواحد» هو الذات بحسب الحقيقه مع الصفه، هذا الفرق بحسب الظاهر(1)؛

و أمّا بحسب الحقيقه فحضره الواحدية هى بعينها حضره الأحديّة؛ فتبصّر!.

فان قلت: فعلى هذا يجب أن يقدّم «الأحد» على «الواحد» حتّى يوافق الذكر المرتبه؛

قلنا: غرضه _ عليه السلام _ الترقى من الأدنى إلى الأعلى فى هذا الدعاء _ كما لا يخفى _ .

و «الصمد» قد مرّ أنّ له تفسيرين:

أحدهما: ما لاجوف له؛

و الثانى: السيّد المصمود إليه فى الحوائج. و الأوّل سلبىّ إشارة إلى نفى المهية، فإنّ كلّ ما له ماهية كان له جوفٌ و بطنٌ و كان من جهه اعتبار ماهيته قابلاً للعدم، و كلّ ما لاجهه و لاعتبار له إلّا الوجود المحض فهو غير قابلٍ للعدم، فواجب الوجود من كلّ جهه هو الصمد الحقّ؛

و الثانى معنىّ إضافيّ هو كونه سيّد الكلّ _ أى: مبدء الجميع _ ، فيكون من الصفات الإضافية.

و قوله _ عليه السلام _ : «يا من لم يلد» لاستيجاب التوليد للتركيب، لأنّه عبارة عن انفصال بعضٍ ناقصٍ من أبعاضه ثمّ ترقى فتصير مساوياً له فى الذات و الحقيقه، و من البين أنّ نقصان البعض يستلزم تركيب الكلّ.

و «لم يولد»، لاستلزامه للحدوث و النقصان و الافتقار إلى العلل من جهاتٍ شتى _ كالإعداد و الإحداث و الإبقاء و الترييه و التكميل _ .

و «لم يكن له كفواً أحداً»، لأنّا لو فرضنا مكافئاً له فى رتبه الوجود فذاك المكافىء لو كان

ص : ٥١٩

ممکن الوجود كان محتاجاً إليه متأخراً عنه في الوجود، فكيف يكون مكافئاً له؟!؛

و إن كان واجب الوجود فقد علمت أنّ تعدّده ينافي الأحديّة، و أنّه يستلزم التركيب.

و بعبارة أخرى: و لَمّا كان «الصمد» هو السيد المطلق لكلّ الأشياء _ لافتقار كلّ ممكنٍ إليه و كونه به _ ، و هو الغنيّ المطلق المحتاج إليه من كلّ شيءٍ _ كما قال الله تعالى: «وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ» (١) _ ، و لأنّ كلّ ما سواه موجودٌ بوجوده ليس بشيءٍ في نفسه؛ فلايجانبه و لايمائله شيءٌ في الوجود.

ف _ «لم يلد»، إذ معلولاته ليست موجودةً معه، بل به، فهي به هي و بنفسها ليست شيئاً؛

و «لم يولد»، لصمديّته المطلقة، فلم يكن محتاجاً في الوجود إلى شيءٍ.

و لَمّا كانت هويّته الأحديّة غير قابله للكثرة و الإنقسام و لم تكن مقارنه الوحده الذاتيه لغيرها _ إذ ما عدا الوجود المطلق ليس إلّا العدم المحض _ ، فلايكافيه أحدٌ؛ ف _ «لم يكن له كفواً»، اذ لايكافي ء العدم الصرف الوجود المحض.

اعلم! أنّه _ عليه السلام _ قال: «يا واحد» و لم يقل: «يا هو، يا واحد _ ... إلى آخره _»، لأنّ «هو» عبارة عن الذات الصرفه من حيث هي بلا اعتبار صفه، و هي الغيب المحض و المجهول المطلق إلّا من قبل آثاره و لوازم وجوده _ كما هو مقرّر في محلّه _ . و ذلك لأنّ الحقّ من حيث حقيقته الغيبية لا ارتباط بينه و بين شيءٍ في أمرٍ ما، و لامناسبه، و أنّها لا يغيّر ذاته المجهوله النعت و الوصف و الاسم و الحكم و العلم _ إذ لا بدّ في إطلاق كلّ ذلك و إضافته إلى الحقّ من تعقّل مرتبه أو حيثيه أو اعتبارٍ _ ، و لَمّا فرض سقوط الإعتبارات كلّها انتفت هذه النسب كلّها و الإضافات بأجمعها؛ فلم يبق إلّا تصديق الحقّ فيما يخبر عن نفسه من حيث معرفته بها، فلايتعلّق به النداء؛

مع أنّه قد قلنا لك أنّ غرضه هنا الترقّي من الأدنى إلى الأعلى؛ فتأمّل في ماقلنا لك في هذا الباب، فإنّه عزيز المرام لا يوجد إلّا في هذا الكتاب!.

ص : ٥٢٠

قوله _ عليه السلام _ : «اعصمني» همزه وصل، فلا بد من كسر تنوين «أحد» حتى يتحقق الوصل بالهمزة _ على القاعده المتعارفه _ .

و «العصمه» فى اللغة: هى الحفظ و الوقايه؛

و فى الإصطلاح: فيضُ إلهيَّ يقوى به العبد على تحزى الخير و تجنب الشرَّ حتى يصير كمانعٍ له من باطنه و إن لم يكن منعاً محسوساً.

و «طهرنى» عن دنس الذنوب حتى عن الذنوب الوجوديّه _ كما مرّ غير مرّه _ .

و «اذهب ببليتى» أى: ادفع بليتى، يقال: ذهب بالشىء بمعنى: أذهب _ أى: أزاله _ ؛ ف _ «الباء» للتعديده المسمّاه «باء» النقل، و هى المتعاقبه للهمزه فى تصيير الفاعل مفعولاً. و فى روايه: «اذهب» _ من باب الإفعال _ ؛ و المعنى واحدٌ، لأنّه قال فى القاموس: «ذهب به: أزاله، كأذهبه»^(١).

و «اقرأ آيه الكرسيّ _ ... إلى آخره _» .

أقول: هذا قول المعصوم _ عليه السلام _ ، أمر الراوى بقراءه آيه الكرسيّ ... إلى آخره، لا قول الراوى _ كما توهمه بعضُ! _ . و الشاهد على ما ذكرناه ما فى الكافى^(٢) بسنده عن إسماعيل بن جابر عن أبى عبد الله _ عليه السلام _ فى الهمّ قال: «تغتسل و تصلّى ركعتين و تقول: يا فارج الهمّ و يا كاشف الغمّ، يا رحمن الدنيا و الآخره و رحيمهما، فَرَجْ هَمّى و اكشف غمّى، يا الله الواحد الأحد الصمد الذى لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحدٌ، اعصمنى و طهرنى و اذهب ببليتى. و اقرء آيه الكرسيّ و المعوذتين»؛ هذا نصّ الحديث.

و «آيه الكرسيّ» سمّيت بذلك لاشتمالها على لفظ «الكرسيّ» و صفته من قوله _ تعالى _ : «وَسَمِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ»^(٣).

ص : ٥٢١

١- ١. راجع: «القاموس المحيط» ص ٩٣ القائمه ٢.

٢- ٢. راجع: «الكافى» ج ٢ ص ٥٥٧ الحديث ٦، و لم أعثر عليه فى غيره.

٣- ٣. كريمه ٢٥٥ البقره.

و هو من الألفاظ التي جاءت على لفظ المنسوب _ كبختي و قلعي و خطمي _ ، و ليست «الياء» في ذلك للنسب، بل هي زائدة بنيت الكلمة عليه. و قال الراغب: «هو في الأصل منسوبٌ إلى الكرسي» (١) _ بالكسر _ ؛ و هو: التليد و ضمّ بعض الشيء إلى بعض لضمّ بعض أخشابه إلى بعضها، أو لضمّ الجالس أطرافه و ثيابه عليه. و ضمّ كافه من تغيير النسب. و قد يقال فيه كرسى _ بكسر الكاف _ على الأصل، لكن لما كان معنى النسبه غير ملحوظ فيه _ بل متى أطلق أريد به مسماه، و هو هذه الذي يقعد عليه _ حكموا بزياده يائه.

و هي على المشهور من قوله _ تعالى _ : «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ» ... إلى قوله: «الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ»؛ و قال بعضهم: «إلى: هُمُ فِيهَا خَالِدُونَ».

و الأخبار في فضل آيه الكرسي كثيرة من الفريقين؛

فعن النبي _ صلى الله عليه و آله و سلم _ أنه قال لعليّ _ عليه السلام _ : «يا عليّ! علمها ولدك و أهلك و جيرانك، فما نزلت آية أعظم منها!» (٢)؛

و عنه _ صلى الله عليه و آله و سلم _ أيضاً أنه قال: «آيه الكرسي سيده آي القرآن» (٣)؛

و عنه _ صلى الله عليه و آله و سلم _ أنه قال: «ما قرأت هذه الآية في دارٍ إلّا هجرتها الشياطين ثلاثين يوماً، و لا يدخلها ساحرٌ و لا ساحرة أربعين ليلة» (٤)؛

و عن أمير المؤمنين _ عليه السلام _ : «سمعت نبيكم _ و هو على أعواد المنبر _ يقول: من قرأ آيه الكرسي في دبر كلّ صلاه مكتوبه لم يمنعه عن دخول الجنّة إلّا الموت، و لا يواظب عليها إلّا صديقٌ و أو عابدٌ. و من قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه و جاره و جار

ص : ٥٢٢

١-١. راجع: «المفردات» ص ٧٠٦ القائمة ٢.

٢-٢. لم أعثر عليه بألفاظه، و انظر: «مستدرک الوسائل» ج ٤ ص ٣٣٥ الحديث ٤٨٢٤، و لم أعثر عليه في غيره.

٣-٣. راجع: «مسند الحميدى» ج ٢ ص ٤٣٧ الحديث ٩٩٤، «فيض القدير» ج ٤ ص ١٢٣. و انظر: «تفسير القرطبي» ج ٣ ص ٢٦٨، «مجمع البيان» ج ٢ ص ١٥٧.

٤-٤. لم أعثر عليه، و قريبٌ منه ما في «تفسير القرطبي» ج ٣ ص ٢٦٩.

و قد ذكروا في توجيه هذا الحديث وجوهاً:

الأول: أنه لا مانع له إلا أن يموت، لا غير ذلك _ من عذاب القبر و البرزخ _ ؛ و أيام الحياه لا تدخل في ذلك، لأنها ليست من الأوقات التي يدخل فيها الجنّة أو غيرها، بل من الموت إلى أن يدخل الجنّة يتحقّق الموانع، فلا يمنعه شيء غير ذلك.

و معنى كونه «مانعاً»: أنّ وقت مفارقه الروح مانع، فإذا انقضى ذلك الوقت و تحقّقت المفارقة زال ذلك المانع، و دخول الجنّة يلزمه رجوع الحياه، بل الحياه تحصل و إن لم يدخل الجنّة؛

الثاني: أن يكون المراد: أنّ الله _ سبحانه _ لمّا قضى الموت على كلّ أحدٍ و اقتضت حكمته أن لا يدخل الجنّة غالباً إلا بعد حصول الموت، فالموت حائل بين هذا الشخص و دخول الجنّة. فمن حيث أنّه لابدّ من حصوله و وقوعه قبل دخول الجنّة يكون وقوعه مانعاً، و لولاه لم يكن لهذا مانع من الدخول، فيدخلها و لو من غير موتٍ؛

الثالث: أن يكون المراد: لم يمنعه إلاّ انقضاء الأجل بالموت. و الإكتفاء بالغايه _ التي هي الموت _ عن ذكر ما هي غايه له _ من العمر _ للعلم بما قبلها؛

الرابع: أن يكون بمعنى: إلاّ توقّع الموت و وقوعه؛

الخامس: أن يكون بمعنى: عدم الموت. و ذكر الموت باعتبار أنّ ما غايته الموت كالموت؛ و الله أعلم!.

> و قال العلامة التفتازاني في شرح الكشاف: «معنى قوله: «لم يمنعه من دخول الجنّة إلاّ الموت»: أنّه لم يبق من شرائط دخول الجنّة إلاّ الموت، فكأنّ الموت يمنعه و يقول: لابدّ من وقوعي أولاً (٢) لتدخل الجنّة» (٣)(٤)؛ انتهى. هذا ما ذكره؛

ص : ٥٢٣

١- ١. راجع: «مكارم الأخلاق» ص ٢٨٨، «مجمع البيان» ج ٢ ص ١٥٧، «بحار الأنوار» ج ٧٣ ص ١٩٥.

٢- ٢. المصدر: _ أولاً.

٣- ٣. لم أعثر على هذا الكتاب، و هو لم يطلع بعد.

٤- ٤. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٤٢٨.

و هو كما ترى!.

و يحتمل أن يكون المراد: أنَّ المانع هو الموت الممتدَّ إلى وقت الحشر، فإذا حشر لم يكن له مانع سوى ذلك الموت من الحساب و نحوه، فيدخلها بغير حساب؛

و أن يكون المراد: أنَّ ما يصلح للمانع ظاهراً هو الموت، و هو لا يمنع؛ فلأمانع له أصلاً _ مثل:

لَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ فُلُولٌ^(١).....^(٢)

و عن أبي عبدالله _ عليه السلام _ أنه قال: «لكل شيء ذروة و ذروه القرآن آية الكرسي»^(٣)؛

و عن أبي جعفر الباقر _ عليه السلام _ قال: «من قرأ آية الكرسي مرّة صرف الله عنه ألف مكروه عن مكاره الدنيا، و ألف مكروه من مكاره الآخرة؛ أيسر مكروه الدنيا الفقر، و أيسر مكروه الآخرة عذاب القبر»^(٤)؛

و تذاكر الصحابة في أفضل ما في القرآن؟، فقال لهم عليٌّ _ عليه السلام _ : «أين أنتم عن آية الكرسي؟». ثم قال: «قال رسول الله _ صلى الله عليه و آله و سلم _ : يا علي! سيّد البشر آدم، و سيّد العرب محمّدٌ و لافخر!، و سيّد الكلام القرآن، و سيّد القرآن البقرة، و سيّد البقرة آية الكرسي»^(٥).

ص : ٥٢٤

١- ١. كذا في النسختين، و الصحيح: «بهنّ فلول»، و بعده: «من قراع الكتائب».

٢- ٢. البيت للنابغة الذبياني، راجع: «ديوانه» ص ٢٩، و للتفصيل انظر: «الراح القراح» ص ٢٥٤.

٣- ٣. راجع: «وسائل الشيعة» ج ١١ ص ٣٩٦ الحديث ١٥٠٩٨، «بحار الأنوار» ج ٨٩ ص ٢٦٧، «اعلام الدين» ص ٣٦٩، «الدعوات» ص ٢١٧ الحديث ٥٨٦.

٤- ٤. راجع: «تفسير العيّاشي» ج ١ ص ١٣٦ الحديث ٤٥١، «وسائل الشيعة» ج ١١ ص ٣٩٦ الحديث ١٥٠٩٨، «الأمالي» _ للصدوق _ ص ٩٨ الحديث ٤، «جامع الأخبار» ص ٤٥.

٥- ٥. راجع: «مستدرک الوسائل» ج ٤ ص ٣٣٦ الحديث ٤٨٢٥، و لم أعتز عليه في غيره.

قال ابن العربي: «إنما صارت آية الكرسي أعظم الآيات لعظم مقتضاها، فإن الشيء إنما يشرف بشرف ذاته و مقتضاها و متعلقاتها. و هي في آي القرآن كسوره الإخلاص في سوره، إلا أن سوره الإخلاص تفضلها بأنها سوره و هذه آية، و السوره أعظم لوقوع التحدي بها دون الآية» (١).

و قال الغزالي: «إنما تكون آية الكرسي سيده الآيات لأنها اشتملت على ذات الله و صفاته و أفعاله فقط _ ليس فيها غير ذلك _ ، و معرفه ذلك هي المقصد الأقصى في العلوم و ما عداه تابع» (٢).

أقول: و ذلك لأن المقصد الأقصى و اللباب الأصفى من أقسام القرآن و علومه هي معرفه ذات الله _ تعالى _ و صفاته و أفعاله، و يعلم أن سائر الأقسام مرادة لهذا القسم و هو مراد لنفسه، لا لغيره؛ فإن العلم الأعلى و الحكمه الإلهية هو رئيس سائر العلوم الحقيقيه و مخدومها. لأن من غايه العلوم الآليه التي هي مقصوده لغيرها هي المعارف الربانيه، و هي ليست غايه لشيء آخر غيرها، بل غايه الغايات و آخر سير الأفكار و نهايه الحركات؛ و ماعداها من العلوم الكلييه و الجزئيه هي خدمها و توابعها و عبيدها. و هو السيد المطاع و الرئيس المقدم الذي تتوجه إليه و جوه الأتباع و تتولى شطره قلوب الخدم، فيحدون حدوه و ينحون نحوه و يخدمون غرضه.

و لما كانت آية الكرسي أجمع من كل واحد واحد من آيات القرآن و أشمل لهذه المعاني المذكوره _ التي هي روح القرآن و مقصده الأقصى و لبابه الأصفى _ ، فلها بخصوصها سياده و شرافه على كل واحد واحد منها، إذ ليست هذه المعاني مجموعه في غيرها، و هي بأسرها مذكوره فيها. فإن قوله _ تعالى _ : «اللَّهُ» إشارة إلى توحيد الذات، و ذلك لأن

ص : ٥٢٥

-
- ١- ١. لم أعثر عليه، لا في «الفتوحات المكيه» و لا في غيره من آثاره التي فحصتها للعثور عليه.
 - ٢- ٢. لم أعثر عليه أيضاً، و كنت أظن أن العبارة مأخوذة من كتابه «جواهر القرآن» أو «إحياء علوم الدين»، و لكن ما وجدتها فيهما.

معنى اسم «الله» _ كما علمت فى اللمعه الأولى _ هو الذات الموصوفه بوجوب الوجود المستجمعه لجميع الصفات الكماليه الذاتيه الوجوبيه، و إفاده الوجود و إعطاء الكمال و الخير و الجود لغيره من الموجودات الإمكانيه. و لاشبهه فى أنّ التركيب من الأجزاء ينافى الوجوب الذاتى لكونه مستلزماً لافتقار المركّب إلى كلّ واحدٍ من الأجزاء، و الافتقار ناشٍ عن النقصان و الإمكان الذاتيين، و هما منافيان للكمال و الوجوب الذاتيين. فمعنى «الإلهيه» _ المستلزم لكون الشئ مبدءً لسلسله الوجود و الإيجاد _ ينافى التركيب المستلزم للحاجه.

و قوله _ تعالى _ : «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» إشارة إلى توحيد الصفات.

بيان ذلك: أنّ التعدّد فى الصفات الكماليه الإلهيه يستلزم التعدّد فى وجود الذات _ لافتقار كلّ صفه إلى موصوفٍ، و لكون كلّ صفه لشئٍ فرع وجود ذلك الشئ _ ، فيلزم من تعدّده تعدّده و لوبحسب العقل؛ فلو تعدّدت الصفات الخاصه بالواجب _ تعالى، كالإلهيه للعالم و القادريه على ما يشاء و العالميه بجميع الأشياء _ يلزم تركّب كلّ من الإلهيين من الذات و الصفه، و التركيب ينافى الإلهيه _ تنافى الإمكان للوجوب _ .

لا يقال: التركيب و التعدّد فى مجموع الذات و الصفه لا ينافى بساطه الذات، و الواجب الوجود هو الذات فقط دون المجموع من الذات و الصفه؛

لأننا نقول: الكلام فى الصفات الكماليه، فإذا لوحظ وجود الذات بحسب نفسه و قطع النظر عن ما يزيد عليه، أ هو موصوفٌ بالصفه الكماليه الإلهيه أم لا؟

لا سبيل إلى الثانى، و إلّا لزم افتقاره إلى الغير فى كمال ذاته، و لم يكن أيضاً مبدء سلسله الممكنات كلّها _ سواءً كانت صفاتاً أو أفعالاً _ ، و البرهان قد دلّ على وجود أمرٍ بسيطٍ يفتقر إليه الأشياء؛ هذا خلفاً!. فهو بنفس ذاته المقدّسه إلهٌ و مبدءٌ للكلّ. فمقوّم ذاته هو بعينه مقوّم إلهيته، و كذلك سائر الصفات التى يستوجبها الإلهيه و يتحقّقها الواجبيّه _ من الوجود و العلم و القدره و الإراده _ . فيجب أن يكون مصداق حملها على ذاته نفس هويّته البسيطة من غير تركّبٍ و تعدّدٍ _ لبااعتبار مغايره الصفات و لبااعتبار المغايره بينها و بين

و بالجملة: تأكّد الوحده فى الذات الواجبِيه يستلزم استحاله التعدّد فى الصفات الإلهِيه مطلقاً، سواءً كان مع تعدّد الموصوف عيناَ _ كفرض إلهين منفصلين _ ، أو عقلاً فقط _ كفرض صفاتٍ واجبِه متعدّدِه لموصوفٍ واحدٍ، كما ذهب إليه الصفاتيون، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً! _ .

و قوله _ تعالى _ : «الْحَيُّ الْقَيُّومُ» إشارة إلى توحيد الأفعال، لأنّ «القيوم» _ لكونه صفه مبالغه _ تدلّ على كمال الإستقلال فى التقويم و الإيجاد شدّه و عدّه، فلو كان فى الوجود فاعلٌ آخر _ سواءً كان تامّاً فى الفاعليّه أو ناقصاً، مبيناً أو مشاركاً للأوّل _ يلزم خلاف المفروض، و كونه _ تعالى _ ضعيفاً فى الفاعليّه قاصراً فيها؛

أمّا على تقدير كون الثانى تامّاً فى الفاعليّه و الإيجاد: فلاّنه يلزم أن يكون بعض الممكنات خارجاً عن صنعه و إيجاده، فلم تكن قدرته شامله _ لامتناع توارّد العلّتين المستقلّتين على معلولٍ واحدٍ معيّن _ ، فيكون عدد مقدوراتِه ناقصاً يمكن الزيادة عليه، فلم تكن قيوميّته فى الغايه بحسب العدد؛

و أمّا على تقدير كون الثانى مشاركاً له فى الفاعليّه _ سواءً جزءً، أو معيناً، أو معدّاً، أو آله، أو سبباً غائياً، أو مصلحه، أو انتظار الفرصه، ... أو غير ذلك _ لم يكن بحسب ذاته قوياً على ما يقوى عليه ذاته مع الشريك _ و هو أحد الأمور المذكوره، أى أمرٍ كان منها. فقيوميّته تدلّ على أنّه لا فاعل غيره، كما أنّ ذاته تدلّ على أن لا واجب سواه، لقوله: «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» (١).

و قوله _ سبحانه _ : «لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَ لَا نَوْمٌ» من الصفات التقديسيّه السلبيه، لأنّه تقديسٌ و تنزيهٌ عما ينافى القدم و الإلهِيّه من صفات الحوادث و سمات المركّبات.

و «السنه»: فتورٌ و كلالٌ يحدث للحواسّ يتقدّم النوم، و يسمّى النعاس.

و «النوم»: ترك استعمال النفس حواسيها الظاهره لأجل صعود بخارات غليظه من معدته إلى الدماغ _ وقد مرّ بيان ذلك مستوفى في شرحنا للإسناد في أول الكتاب _ .

و مراتب كل منهما مختلفه كمّا و كيفاً، فإنّ «السنة» في السنة أشدّ في بابها من السنة في الشهر، و كذا النوم في اليوم أشدّ في بابها من النوم في الساعه. و أضعف الجميع: «سنّه ما» و «نوم ما» على التنكير الإبهامي _ إذا يكفي في تحقّقه لحظه ما و أقلّ منها _ . فإذا انتفى هذا الفرد الضعيف عنه _ تعالى _ فلا بدّ أن يكون غيره من الأفراد منتفیه، لأنّ سلب الفرد الضعيف عن شيء يدلّ على سلب الفرد القويّ أيضاً بدون العكس _ فإنّ حرمة الألف للأبوين دالّة على حرمة الضرب أو القتل دون العكس _ ، و بانتفاء جميع الأفراد قد انتفت الطبعه _ و هي أمرٌ عدميٌّ عبارة عن رفع القيوميّه _ ، و بانتفاء هذا الرفع يتحقّق قيوميّه _ تعالى، لأنّ رفع الرفع يستلزم الإيجاب _ . فقلوه _ سبحانه _ : «لَا تَأْخُذْهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ» تأكيدٌ لقوله: «الْحَيُّ الْقَيُّومُ» بابطال نقيضه مطلقاً _ و هو عدم القيام بتدبير الخلق على الوجه الأنتم الأحكم _ . و المعنى: أنّه _ تعالى _ لا يفتّر عن تدبير الخلق لحظه، و إلّا لتساقطت السماوات و الأرض و من عليها و فيها، و بطلت الأزمنه و الفصول و فنت الموادّ و الأصول، و لا يمكن بعده إيجاد الموجودات _ لأنّ حدوث التكوينيّ من غير مادّه مستحيلٌ، و إعادته المعدوم بالمرّه ممتنع _ . فالفتور من تدبير الخلق _ و لو لحظه واحده! _ يوجب انسداد باب الصنع و الإيجاد للموجود، و قطع الفيض و الكرم و الجود _ تعالى عن ذلك علواً كبيراً! _ .

فان قلت: إذا كانت «السنة» عبارة عن مقدّمه النوم، فإذا قال: «لَا تَأْخُذْهُ سِنَةٌ» فقد دلّ ذلك على أنّه لا تأخذه نومٌ بطريقٍ أولى، فكان ذكر «النوم» بعده تكريراً!

قلنا: تقرير الكلام: لا تأخذه سنّه فضلاً عن أن تأخذه نومٌ. روى عن النبيّ _ صلى الله عليه و آله و سلّم _ أنّه حكى عن موسى _ عليه السلام _ أنّه وقع في نفسه: «هل ينام الله _ سبحانه _ أم لا؟» و قيل: «سأل ملكٌ من الملائكه: هل ينام ربّنا؟

فأوحى الله إليهم: أن يوقظوه و لا يتركوه ينام، ثمّ أعطاه قارورتين مملوّتين في كلّ يدٍ

واحدة منها، وأمره بالاحتفاظ بهما، فكان يتحرّز بجهده إلى أن نام في آخر الأمر، فاصطفقت يدها فضربت إحدى القارورتين على الأخرى، فانكسرتا!!^(١). فضرب الله _ تعالى _ ذلك مثلاً له في بيان أنّه لو كان ينام لم يقدر على حفظ السماوات والأرضين.

ولا يخفى أنّ مثل هذا لا يجوز أن ينسب إلى الأنبياء _ عليهم السلام _، سيّما أولى العزم منهم مثل موسى _ عليه السلام _!. فهذه الرواية إن صحّت وجب أن ينسب إلى جهّال قوم موسى _ كطلب الرؤيه _، فإنّ الجسمانيّه كانت غالبه على قومه بحيث لم يمكنهم تصوّر أمر مفارق الذات والصفه عن الموادّ الجسميّه _ لا في الممكن، ولا في الواجب _ . كالحنابله من أمّه نبينا _ صلى الله عليه وآله وسلم، :الذين جعلوا إلههم جسمًا مستويًا على العرش _ . والأشاعره و إن كانوا أرفع قليلًا من هؤلاء إلاّ أنّهم يشاركونهم في نفى التجريد وإثبات الحيز لما سوى الواجب _ تعالى _ . وهو عين الجهاله أيضًا!، فإنّ «كون الواحد نصف الإثنين» ليس مفتقرًا في تحقّقه _ لا هو ولا مفرداته _ إلى تحييزٍ وتجسّمٍ.

والداعى لهم إلى نفى المجرّدات زعمهم أنّ تحقّق أمرٍ مجرّدٍ في غير الواجب _ تعالى _ يوجب للواجب شريكًا، ولم يعلموا أنّ التجرّد سلبٌ محضٌ، والاشتراك في السلوب لا يوجب اشتراكًا في معنّى ذاتيّ أو عرضيّ ليلزم التركيب أو النقص في حقّه _ تعالى . كما مرّ في بيان توحيده تعالى في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله _ .

على أنّك قد علمت ممّا قرّنا: أنّ السلوب الصادقه عليه _ تعالى _ كلّها يرجع إلى سلبٍ واحدٍ هو سلب الإمكان، وهو المصحّح لجميع السلوب. فسلب المادّه _ أى: مفهوم التجرّد _ ليس من صفات الله _ تعالى _ بالذات، بل من الضرورات اللازمه من سلب الإمكان عليه. والاشتراك في اللوازم العامه لا يوجب الاشتراك في الملزومات، وإلاّ يلزم اشتراك الواجب والممكن في الشئيه والمفهوميّه، والإمكان العامّ اشتراكهما في الذات. فينسدّ بذلك إثبات الواجب والعلم به _ تعالى _، للزوم الاشتراك بين الواجب والممكن في الثبوت و

ص : ٥٢٩

١- ١. لم أعثر عليهما بعد الفحص البالغ، لا في مصادرنا ولا في مصادر العامه.

و قوله _ تعالى _ : «لَهُ مَآ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» تأكيداً أيضاً لقوله: «الْحَيُّ الْقَيُّومُ»، لأنّ معنى القيوم إذاً كان مقوم الممكنات و جاعل المهيئات، و هي منحصره في «مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ». فإذا لم تعرف إضافة هذه الأشياء إليه _ تعالى _ لم تعرف كونه قيوماً. فكما أنّ من لم يعرف ذاته _ تعالى _ من جهة الإلهيّة و القيوميّة فكأنّه لم يعرف شيئاً من العالم الإمكانيّ _ لما تقرّر في الميزان: إنّ العلم التامّ بذى السبب لا يحصل إلّا _ من جهة العلم بسببه _ ، فكذا العكس، فإنّ من لم يعرف العالم الإمكانيّ فكأنّه لم يعرف الإله القيوّم أصلاً.

و من ههنا يستتمّ ما ذكره ابن الأعرابي في فصّ الإبراهيميّ (١): «إنّ الحكماء (٢) و أباحامدٍ ادّعوا أنّ الله يعرف من غير نظرٍ في العالم؛ و هذا غلطٌ! نعم!، تعرف ذات قديمه أزليّه لا يعرف أنّها إلهة حتّى يعرف المألوه، فهو الدليل عليه»؛ انتهى.

أقول: يشبه أن يكون النزاع بينه و بينهم لفظيّاً!، إذ لا يبعد أن يكون مرادهم من اسم الله تلك الذات القديمة الأحديّة مع قطع النظر عن صفه الألوهيّة؛ و لاشبهه للجميع في أنّ معرفه ذاته _ تعالى _ من حيث ذاته المجرّده عن كلّ نعتٍ و صفه لا يتعلّق بمعرفه العالم، لكن الخلاف في أنّ حقيقه الواجب _ سبحانه _ أ هو نفس الوجود القائم بذاته بشرط سلب الزوائد و القيود الامكانيّة عنه؟ أو الموجود المطلق المقدّس عن الإطلاق و التقييد جميعاً؟

فالأوّل هو مذهب الحكماء؛

و الثاني هو مذهب ابن الأعرابي و متابعيه. و لهذا ذكر متّصلاً بكلام نقلناه قوله: «ثمّ بعد هذا في ثاني الحال يعطيك الكشف أنّ الحقّ نفسه كان عين الدليل على نفسه و على ألوهيّته، و أنّ العالم ليس إلّا تجلّيه في صور أعيانهم الثابته التي يستحيل وجودها بدونه، و أنّه يتنوّع

ص : ٥٣٠

١- ١. راجع: «فصوص الحكم» ص ٨١، و انظر أيضاً: «شرح القيصري» عليه ص ٥٨١.

٢- ٢. المصدر: فإنّ بعض الحكماء.

و يتصوّر بحسب حقائق هذه الأعيان و أحوالها. هذا بعد العلم به ممّا أنّه إلهٌ لنا»(١).

اعلم! أنّه قد احتجّ بعضهم بهذه الآيه على أنّ أفعال العباد مخلوقه لله _ تعالى _ ؛ بوجهين:

الأول: أنّ قوله _ تعالى _ : «مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» يتناول كلّ ما يكون فيهما، و من جمله ذلك أفعال العباد، فوجب أن تكون منسوبة إليه _ تعالى _ انتساب الملك إلى المالك و الخلق إلى الخالق؛ كما قيل من أنّ الإضافة المستفاده من حرف اللام في قوله: «لَهُ» إضافة الملك و الخلق. و ذلك لأنّه لمّا كان واجب الوجود واحداً كان ما عداه ممكن الوجود لذاته، و كلّ ممكن الوجود فله مؤثّر، و كلّ ما له مؤثّر فهو معلولٌ محدثٌ بإحداثه مبدعٌ بإبداعه، فكانت هذه الإضافة إضافة الملك و الإيجاد؛

و الثاني: لاستحاله توارد الموجدین الفاعلين على مفعولٍ واحدٍ بالعدد. و كما أنّ اللفظ يدلّ على هذا المعنى فالعقل أيضاً يؤكّده، لأنّ كلّ ما سواه فهو ممكنٌ لذاته، و الممكن لذاته لا يترجّح إلّا بتأثير واجب الوجود لذاته، و إلّا لزم الترجيح من غير مرجّح؛ و هو محالٌ!

و اعلم! أنّ هذا الدليل العقليّ جدليّ من قبل الأشاعره الذاهبين إلى تجويز الترجيح من غير مرجّح، و لا يمكنهم أن يصحّحوا عقيدتهم في هذا الباب بهذا الدليل، فغرضهم إلزام المعتزله. و مع ذلك فغير تامّ، إذ للمعتزله أن يمنعوا ذلك مستنداً بأنّ الممكن يجوز أن يترجّح بممكنٍ آخر، أو بواجبٍ بالذات؛

و على التقديرين لا بدّ من الإنتهاء إلى الواجب بالذات _ جلّ اسمه _ دفعاً للدور و التسلسل. فإذاً ليس من شرط الممكن أن يكون مرجّح وجوده ابتداءً هو الواجب _ إذ مجرد الإمكان لا يقتضي ذلك _ ، و لا خصوصيّة كلّ ممكن، بل خصوصيّة بعض الممكنات تستدعي الاستناد بالواسطة؛ كالمادّيات و المتغيّرات و المركّبات، فإنّ المركّب مثلاً لا بدّ في وجوده من سبق وجودات الأجزاء لتقومه بها، فلا يمكن أن يكون وجود الكلّ و الجزء في

ص : ٥٣١

درجهٍ واحدهٍ يكون كلٌّ منهما منسوبةً إليه _ تعالى _ بالجعل و الإيجاد من غير توسُّطٍ؛

و كذلك أفعال الحيوان _ من الإحساس و التحريك _ و أفعال النبات _ من التغذية و التنميه و التوليد _ و كذلك الأفعال القبيحه الإنسانيه و مبادئها _ مثل الحسد و الكبر و الجهل المركَّب و الشهوه و الغضب و نظائرها _ لايجوز أن ينسب إليه _ تعالى _ من دون وساطه المبادئ القريبه، لأنَّه منزَّهٌ عن الفحشاء و المنكر و البغى.

و اعلم! أنَّ مذهب الأشاعره ليس من توحيد الأفعال فى شىءٍ!، و لا أيضاً ما ذهب إليه المعتزله من كون العباد خالقين لأفعالهم مستقلين فى وجودها!؛ بل الحقَّ الصحيح الذى ذهب إليه خواصُّ الإماميَّه و محققوهم و يستفاد من أحاديث الأئمه المعصومين _ صلوات الله عليهم أجمعين _ و يكون مطابقاً لما هو عليه متألهه الحكماء و الرواقيون: أنَّ فياض الوجود منحصرٌ فى الواجب بالذات، و الوسائط كثراتٌ لحيثيات جوده و جهات فيضه.

و ادَّعى المحقِّق الطوسى _ رحمه الله _ إطباق الحكماء على ذلك. و ذكر أنَّ ما يوجد فى كلامهم من نسبه التأثير و الإفاضه إلى بعض الممكنات المتوسِّط بينه _ تعالى _ و بين المراتب النازله أنما يكون من باب المساهله فى التعاليم فى باب كيفيَّه صدور الكثير عن الواحد الحقيقى بحسب الواسطه، من غير أن يكون للوسائط دخلٌ فى الإيجاد؛ بل شأنها مجرد الإعداد و تكثير جهات الفيض للواهب الجواد(١).

و يؤيِّد ما ذكره قول بعض توابع المسائين: «الأوَّل يبدع جوهرًا عقليًّا هو بالحقيقه مبدعٌ، و بتوسُّطه جوهرًا عقليًّا و جرماً سماويًّا»؛ و قول بعض توابع الرواقيين: «أنَّ النور القوى لايمكِّن النور الضعيف فى الإناره، فالقوّه القاهره الواجبيّه لايمكِّن الوسائط لشده نوريتها»(٢).

ص : ٥٣٢

١ - ١. مضت العبارة فى اللمعه الثالثه و الأربعين ج ٤ ص ٦٧٧، و قلت هناك انى لم أعثر على مصدرٍ لهذا القول فى آثاره، و للتفصيل راجع إلى ما علّقنا على العبارة هناك.

٢ - ٢. هذا كلام السهروردى على ما حكاه عنه صدر المتألهين، راجع: «الحكمه المتعاليه» ج ٢ ص ٢١٩.

و قوله: «مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ» إشارة إلى انفراده بالملك والأمر، و توحّده بالوجود و التقوّم و بطلان ما سواه _
تعالى _؛

و إلى أنّ من ملك الشفاعة و الوساطه فأنّه يملكها بتشريفه إيّاه و الإذن فيه بالأمر التكوينيّ المتعلّق أولاً بذوات الوسائط المستمعه
بأذان قابليّاتها خطاب الحقّ بقول: «كن»، و أمره في دخولها دار الكون قبل غيرها، و إجابته دعوته _ تعالى _ و امتثال أمره عن
دخولها باستماع الخطاب و إدخال غيرها بإسماع كلامه _ تعالى _ إيّاه، لقوله _ تعالى _: «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلَائِكَةُ صِيْفًا
لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ قَالَ صَوَابًا»(١)؛

و إلى أنّ عدم الإستقلال بالحكم يستلزم الإذن.

و قد تقدّم معنى «الشفاعة» و «الشفيع» و «المشفوع»؛ و الوجهه التي بها يستحقّ الشفعاء للشفاعة.

و قوله _ سبحانه _: «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ» _ ... الآيه _ إشارة إلى العلم الذاتيّ التامّ الدالّ على وحدانيّته، و هو
بأثبات العلم التفصيليّ له _ تعالى _ و نفى العلم المساوق للحياه _ بل الوجود _ من غيره إلّا من عطائه و موهبته حسب إرادته و
مشيئته؛

و قد تقدّم الكلام على علمه _ سبحانه _ مستوفى.

و مرجع ضمير الجمع إمّا «ما في السماوات و الأرض»، لأنّ فيهم العقلاء فغلبوا؛ أو لما دلّ عليهم من الملائكة و الأنبياء و العالمين
و الأولياء و الصالحين؛ أو للمأذونين منهم في الشفاعة خاصّة؛ أو للإنسان؛ أو الحاضرين من أمّه سيّد المرسلين.

و اختلف المفسّرون في القبليه و البعديه المستفادتين من الكلام؛

فعن مجاهد و عطاء و السدي: «أنّه «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» أى: ما كان قبلهم من أمور الدنيا؛ و «مَا خَلْفَهُمْ» أى: ما يكون بعدهم من
أمور الآخرة»(٢)؛

ص : ٥٣٣

١- ١. كريمه ٣٨ النبأ.

٢- ٢. راجع: «مجمع البيان» ج ٢ ص ١٦٠، «التفسير الكبير» ج ٧ ص ١١.

و عن ابن عباس: «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ»: من السماء إلى الأرض؛ و «مَا خَلَفَهُمْ» يريد: ما في السماوات»(١)؛

و روى القمّي (٢) عن الرضا _ عليه السلام _ : «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» أى: ما كان؛ و «مَا خَلَفَهُمْ» أى: ما لم يكن بعد؛

و عن بعضهم: «ما فعلوا من خيرٍ و شرٍّ، و ما يفعلونه بعد ذلك»(٣)؛

و عن النجم الدايه فى تفسيره المسمى ببحر الحقائق: «يَعْلَمُ» أى: الذى يشفع عنده، و هو محمّد _ صلى الله عليه و آله و سلم _ ، لأنّه مأذونٌ فى الشفاعة أصالَه _ كما مرَّ _ ، و «مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» من أولات الأمور و مقدّماتهم قبل خلق الخلائق _ و هو عالم الأرواح التى خلقها الله قبل خلق الأجساد بألفى عامٍّ _ ، و «مَا خَلَفَهُمْ» من أحوال القيامة و أهوالها»(٤)؛ هذا ما ذكره المفسرون.

و يحتمل أن يكون المراد من «مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ»: هو ما فيهم، و «مَا خَلَفَهُمْ»: هو ما يؤلون إليه. و الحاصل أنّه _ تعالى _ عالمٌ بجميع الأشياء، جزئياً و كلياً، معقولها أو محسوسها، و علوم الكلّ من علمه. و ذلك لما عرفت سابقاً من أنّ جميع الموجودات _ سواءً كانت كليّة أو جزئية، معقولة أو محسوسة، صوراً علميّة أو محالاً - إدراكيّة، أو آلاتٍ و مشاعر _ حاضرةٌ عنده _ تعالى _ بحيث يكون نفس وجودها فى أنفسها نفس علميّة و معلوميّة لها _ تعالى _ من غير تضاعف الصور الإدراكية، فجميع الموجودات يكون علوماً _ أى: صوراً علميّة _ و معلوماتٍ بأنفسها، لا بصورٍ مستأنفهٍ أخرى. فإذا كان الأمر كذلك يكون العلوم كلّها علوماً له _ تعالى _ معاً. فكلّ ما يعلمه أحدٌ منّا يكون بعضاً من علومه _ تعالى _ ، سواءً كانت علوماً لنا أو معلوماتٍ. فحينئذٍ لا يحتاج إلى ارتكاب المجاز _

ص : ٥٣٤

١-١. راجع: «التفسير الكبير»، نفس المجلّد و الصفحة المذكور فى التعليقه السالفه.

٢-٢. راجع: «تفسير القمّي» ج ١ ص ٨٤، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٨٩ ص ٢٦٣.

٣-٣. راجع: «التفسير الكبير»، نفس المجلّد و الصفحة المتقدّم ذكره.

٤-٤. لم أعثر على هذا التفسير، و هو لم يطبع بعد.

كما ارتكبوا المفسرون هنا! _ .

قال الفخر الرازي في التفسير الكبير: «انَّ المراد من «العلم» ههنا: المعلوم، كالخلق بمعنى المخلوق؛ و في الأدعية: «اللَّهُمَّ اغفر لنا علمك فينا» (١) أى: معلوماتك. أ و لا ترى أنه إذا ظهرت آية عظيمة قيل: «هذه قدره الله» أى: مقدوره؟!؛ و المعنى: انَّ أحدًا لا يحيط بمعلومات الله» (٢)؛ انتهى كلامه. و ذلك لأنَّه لمَّا كان العلم عندهم و عند هذا القائل مجرَّد الإضافة احتاجوا إلى ذلك، لأنَّ الإحاطة لا يتعلَّق بالإضافة، و لا التبعض يناسبها.

و قال بعض العرفاء: «ضمير الجمع في «لَا يَحِيطُونَ» راجع إلى أهل المحبة و الولايه الواصلين إلى مقام الاستغراق و المشاهده _ الذين يشاهدون الأشياء بنور ذاته المقدسه _ ، فيكون الحق لهم سمعاً و بصرًا _ كما وقع في الحديث المشهور (٣) _ . فالمعنى: «لَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ» إلَّا بمشيئته التي هي ذاته، فبذاته يعلمون الأشياء و به يسمعون و به يبصرون، كما انَّ به يقدرُونَ على شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا» (٤)؛ انتهى.

أقول: و ذلك لما حقَّقناه لك سابقاً من فنائهم عن ذواتهم و قصور نظرهم عن هويَّاتهم إلى ذاته و تخلُّقهم بصفاتهم _ كما في الحديد المحميه من النار _ من غير لزوم شَيْءٍ من المحالات المتوهمه، كصيروره صفاته _ تعالى، التي هي عين ذاته _ صفات العبد، أو حلول ذاته في ذات العبد _ ؛ كما توهم المحجوبون عن نسبه القيوميَّه التي لا يشابهها شَيْءٌ من النسب، لأنَّها ليست بالحاليَّه و المحليَّه، و لا بالاقتران أو المزايله، و لا بالالاتِّحاد أو المغايره، و لا بالمماسه أو المباينه، و لا بالملاصقه أو المحاذات، و لا بالمواصله أو المفاضله؛ بل هي نسبه مجهوله الكنه يعبر عنها بأمثله جزئيَّه مقربه من وجه مبعده من وجوه لمن لم يكن من أهل

ص : ٥٣٥

١- ١. راجع: «فتح الباري» ج ١١ ص ٥٤٦.

٢- ٢. راجع _ مع تغييراتٍ و إضافات _ : «التفسير الكبير» ج ٧ ص ١١.

٣- ٣. راجع: «الكافي» ج ٢ ص ٢٥٢ الحديث ٧، «بحار الأنوار» ج ٦٧ ص ٢٢، «إرشاد القلوب» ج ١ ص ٩١، «عوالي اللئالي» ج ٤ ص ١٠٣ الحديث ١٥٢.

٤- ٤. لم أعثر على قائله.

المشاهده فضلاً عن الذين لا يكونون من أهل المشافهه!.

و قوله _ تعالى _ : «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» إشارة إلى عظمه ملكه و بسيطه قدرته _ و قد مرّ تحقيق ذلك _ .

و قوله _ سبحانه _ : «وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا» إشارة إلى كمال قدرته و عدم تناهى قوّته و تنزّهها عن الدثور و الكلال و النقصان و الزوال، كما هو شأن واجب الوجود ذى الجلال.

و لمّا عَظَّمَ الله _ تعالى _ أمر السماء و ما فيها والأرض و ما فيها، ثمّ عَظَّمَ أمر الكرسيّ بأنّه «وسع السماوات والأرض»، فأراد الحقّ المتعال أن يشير إلى أنّ ذلك لا يشقّ عليه و لا ينوء به؛ فقال: «وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا»، أى: لا يتعبه الكرسيّ، و لا يشقّ على ظاهر حقيقته و باطن قلبه حفظ أجسام السماوات والأرض، و حفظ نفوسها و طبائعها و صورها، إن كان الضمير راجعاً إلى «الكرسيّ»؛

أو: لا يتعبه _ تعالى _ حفظهما بالكرسيّ على الوجه المذكور، إن كان الضمير راجعاً إليه _ سبحانه _ ؛ كما لا يؤود الروح الإنسانى فى حفظ أسرار السماوات والأرض و معانيها التى أودعها الله فى السرّ الإنسانى بقوله _ تعالى _ : «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» (١).

و لما ذكر «الكفر» و «الإيمان» و «الطاغوت» و «الشیطان»، فلا بأس لنا أن نذكر الحديث الذى قد سألنى بعض إخوانى فى بعض أسفاره أن أشرح له _ و هو بحذف الأسناد رآه فى بعض الكتب، و لم يحضره و لم يحضرني أصله (٢) _ ، عن مولانا و مقتدانا أبيالحسن الرضا _ عليه السلام _ ، فأسعفته بالقبول _ مستعيناً بالله و الرسول و أهل بيته، سيّما وصيّيه و زوجه البتول، فإنّ بهم توّسلى فى كلّ مأمولٍ و مسؤلٍ _ ؛ و هو هذا:

«سئل رأس الجالوت عن الرضا _ عليه السلام _ فقال: يا مولاي! ما الكفر و الإيمان؟، و

ص : ٥٣٦

١- ١. كريمه ٣١ البقره.

٢- ٢. و لم أعثر أيضاً له على سندٍ. و الحديث من المشهورات بين العرفاء و الحكماء بحيث شرحه جمعٌ منهم، و علوّ مضامينه يشهد على صدوره من المعصوم _ عليه السلام _ و إن لم يوجد له سندٌ خاصّ.

ما الكفران؟، و ما الجنّة و النيران؟، و ما الشيطانان اللّذان كلاهما المرجوّان؟ _ وقد نطق كلام الرحمن بما قلت حيث قال في سورة الرحمن: «عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» (١) _ .

فلَمّا سمع الرضا _ عليه السلام _ كلامه لم يحزّ جواباً، و نكت بإصبعه الأرض و أطرق مليّاً. فلَمّا رأى رأس الجالوت سكوته حمّله على عيّنه و شجّعته نفسه بسؤالٍ آخر!، فقال: يا رئيس المسلمين! ما الواحد المتكثّر؟، و المتكثّر المتوحّد؟، و الموحد؟، و الجار المنجمد؟، و الناقص الزائد؟؛

فلَمّا سمع الرضا _ عليه السلام _ كلامه و رأى تسويل نفسه له فقال: يا بن أبيه!، ايش تقول؟!، و ممّن تقول؟!، و لمن تقول؟!، بينا أنت أنت صرنا نحن نحن!، فهذا جوابك الموجز!؛

و أمّا الجواب المفصّل فأقول _ إن كنت الدارى و الحمد لله البارى _ : إنّ الكفر كفران: كفرٌ بالله و كفرٌ بالشيطان، و هما الشيطان المقبولان المردودان لأحدهما الجنّة و للآخر النيران، و هما المتّفقان المختلفان، و هما المرجوّان، نصّ به الرحمن حيث قال: «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» (٢). و يعلم قولنا من كان من سنخ الإنسان؛ و بما قلنا يظهر جواب باقى سؤالاتك!، و الحمد لله الرحمن و الصلاه على رسوله المبعوث على الإنس و الجن و لعنه الله على الشيطان.

فلَمّا سمع رأس الجالوت كلامه بهت و تحير و شهق شهقاً!، و قال: أشهد أن لا إله إلا الله و أنّ محمّداً رسول الله و أنّك ولى الله و وصيّ رسوله و معدن علمه حقّاً حقّاً!؛ انتهى.

و لمّا كان هذا الحديث الوارد عن معدن العصمه و الطهاره صعباً مستصعباً لا يحتمله إلا من وفّقه الله _ تعالى _ لفهمه، فلنبداً بترجمه ألفاظه و تمهيد مقدّمه فى حلّ معضلاته و صعباته _ مستعيناً بالله الفياض لعباده _ .

أمّا ترجمه الألفاظ فنقول: «رأس الجالوت» هو أكبر علماء اليهود، كما أنّ جاثليق أكبر

ص : ٥٣٧

١- ١. كريمات ٤، ٣، ٢ الرحمن.

٢- ٢. كريمات ٢١، ٢٠، ١٩ الرحمن.

و «الكفر» و «الإيمان» قد مرّ معناهما مجملاً آنفاً و مفصلاً فى اللغات السابقة؛

و كذا «الشيطان».

و «لم يحزّ جواباً»، الظاهر أنّ «لم» فى موضع «لا».

و «يحزّ» من: المحاوره بمعنى: المجاوبه؛ قال الجوهريّ: «فما أحرار إلى جواباً، و ما رجع إلى حويراً و لا-حويرةً و لا-محورةً و لاحواراً أى: ما ردّ جواباً»(١).

و «النكت» كما قال فى الصحاح أيضاً: «أن تنكت فى الأرض بقضيب، أى: تضرب(٢) فتؤثر فيها»(٣).

و «أطرق» أى: أرخى عينيه ينظر إلى الأرض؛ و قال فى الصحاح: «أطرق الرجل: إذا سكت و لم يتكلّم(٤)»(٥).

و «ملئاً» أى: طويلاً.

و «العى» خلاف البيان، قال فى الصحاح: «العى: خلاف البيان، و قد عى فى منطقه و عى أيضاً، فهو عىٌّ — على فعيلٍ —، و عىٌّ أيضاً على فَعَلٍ، و فى المثل: أعيأ من باقِلٍ. و يقال أيضاً: عىٌّ بأمره و عىى: إذا لم يهتد لوجهه»(٦).

و «تسويل نفسه له» قال فى الصحاح: «سوّلت له نفسه أمراً أى: زيّنته له»(٧).

و قوله: «أيش» مخفّف أى شىء.

ص : ٥٣٨

١-١. راجع: «صحاح اللغة» ج ٢ ص ٦٤٠ القائمة ٢.

٢-٢. المصدر: + بقضيب.

٣-٣. راجع: «صحاح اللغة» ج ١ ص ٢٦٩ القائمة ١.

٤-٤. المصدر: فلم يتكلّم.

٥-٥. راجع: «صحاح اللغة» ج ٤ ص ١٥١٥ القائمة ٢.

٦-٦. راجع: «صحاح اللغة» ج ٦ ص ٢٤٤٢ القائمة ٢.

٧-٧. راجع: نفس المصدر ج ٥ ص ١٧٣٣ القائمة ١.

و «بينا» قال فى الصحاح: «أصله بين، و الألف حصل من إشباع الفتحه، يقال: بينا و بينما بزياده كلمه «ما». و المعنى واحد، تقول: بينا نحن نرقبه أتاناً، و تقديره: بين أوقات رقبنا إياه» (١). و الجمله ممّا يضاف إليها أسماء الزمان، كقولك: أتيتك زمن الحاج، ثم حذف المضاف _ الذى هو: أوقات _ و ولى الظرف _ الذى هو بين _ الجمله التى أقيمت مقام المضاف إليه. و فى نهايه ابن الأثير: «بيننا و بينما: ظرفان بمعنى المفاجاه يضافان إلى جملته، يحتاجان إلى جواب يتم به المعنى؛ و الأفصح فى جوابهما أن لا يكون إذ و إذا» (٢).

و قوله _ عليه السلام _ : «يابن أبيه» كناية عن أنه غير معروف النسب.

و أمّا المقدّمه فهى: أنّ النفس الإنسانيّه ممّا قد خلقها الله _ تعالى _ ذات وجهين:

وجهٌ إلى الجنّه العالیه، و هو بابها الداخلى إلى عالم الملكوت و الغيب؛

و وجهٌ إلى الجنّه السافله، و هو بابها الخارجى إلى عالم الملكوت و الناسوت، لأنّه مرّكبٌ من الروح _ الذى هو من عالم الأمر _ و من البدن _ الذى هو من عالم الخلق _ .

و كلّ من هذين الوجهين ممّا يتبعه آثاره المختصّه. و النفس تتغيّر منها و تنقلب فى الأطوار حتّى ينخرط إمّا فى زمرة الملائكه، أو فى حزب الشياطين، أو يتردّد بينهما. فبالوجه الذى إلى هذا العالم تتوجّه إلى قوى و مشاعر.

و لكلّ منها لذّة فى إدراك ما يلائمها و يماثلها، و ألمٌ فى إدراك ما يخالفها أو يضادّها؛ و اللذيد و المؤلم لكلّ منها غير اللذيد و المؤلم للآخرى؛ فلذّة قوّه الشهوه مثلاً فى حصول المشتهايات، و ألمها فى فقدّها أو حصول أضدادها؛

و لذّة قوّه الغضب فى الظفر و الانتقام، و ألمها فى نقيضها. و كما تحصل هذه الآثار للنفس من الخارج من جهه الأبواب الخارجيه إلى عالم الملك فكذلك تحصل من الداخل من جهه الأبواب الداخلة إلى عالم الملكوت، فالنفس لا تخلو أبداً من تداخل هذه الأشياء المتوجّهه

ص : ٥٣٩

١- ١. هذا تلخيص كلام الجوهرى، راجع: نفس المصدر و المجلّد أيضاً ص ٢٠٨٤ القائمه ٢.

٢- ٢. هذا أيضاً تلخيص كلام ابن الأثير، راجع: «النهايه» ج ١ ص ١٧٦.

إليها في كل حالٍ من الجهتين. و على أيّ الوجهين قد تبقى الآثار و إن زالت الأسباب _ لكونها معدّاتٍ _ .

و أيضاً: فكما أنّ لكلّ صفهٍ جسمانيّةٍ صورةً جوهريّةً تناسبها و هي مبدأها الذاتيّ _ و تسمّى عند الفلاسفة بالصور النوعيّة لهذه الأجسام _ ، و تلك الصفه تكون لتلك الصورة الجوهريّة أمراً لازماً و غيرها يحصل بمجاورته إيّاها و محاذاته لها _ كالحراره الحاصله للماء بمجاوره النار، و الضوء الحاصل للشيء بمحاذاه الشمس _ ؛

و كما أنّ تكرّر هذه المجاورات و تكثر الإتصاف بهذه الصفات الجسمانيّه يوجب اشتدادها، و إشتدادها يستدعي حصول صورهِ يناسبها في هذا القابل الجسمانيّ مثل تلك الصورة فحينئذ تنقلب صورته إلى صورهِ ما جاوره _ كالحديد المحميه تتصوّر بصوره النار و تتحد بها و تفعل فعلها من التسخين و الإضاءه و غيرها _ فكذلك تكثر أحوال النفس يوجب قبول قوّتها لصورهِ جوهريّه أُخرويّه، و هي مبدء تلك الحال. فتتحد بها و تتصوّر بصورها المفارقة و تفعل فعلها، سواءً كانت تلك من مبادئ الشرور _ كصور الشياطين و أحزابها _ ، أو من مبادئ الخيرات _ كصور الملائكه و أحزابها _ .

ثمّ لما تأملت و نظرت وجدت الخطاب في الأمر و النهي و الوعد و الوعيد و المدح و الذمّ متوجّهاً كلّهُ على النفس الناطقه، و وجدتُها بما يوصف من الأخلاق الحميده و المعارف الحقيقيّه و الأعمال الزكيه ملكاً من الملائكه بالإضافة إلى قوّتى الشهوه و الغضب جميعاً؛ و وجدت هاتين القوّتين بما يوجبان من الجهالات المتراكمه و الأخلاق المذمومه كأنّهما شيطانان بالإضافة إلى النفس الناطقه الزكيه الفاضله؛ و علمت أنّ الناطقه إذا قهرتهما و سخرتهما أسلمتا و صارتا مطيعين لها، فنجت من شرّهما و انخرطت في حزب أولياء الله و سلكت سبيل الملائكه المقرّبين، و إذا انفعلت عنهما و انقادت لهما صارت من أعداء الله و حزب الشياطين!.

فتبين ممّا ذكرنا أنّ أصل الخيرات هو العلم بالحقائق و العمل للخيرات، و أصل الشرور هو الجهل بها و العمل لأجل الشهوه و الغضب، فحقيقه معنى الشياطين هي أمورٌ باطنه و

أسرارٌ مركوزةٌ في الجبلِ مطبوعةٌ في الخلقه، و هي مبادئ الأخلاق الرديّة و الآراء المذمومة و الجهالات المتراكمه و الإعتقادات الفاسده الحاصله من غير معرفه و لا بصيره؛ فظهر حقيقه قول النبي _ صلى الله عليه و آله و سلم _ : «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك!»(١)؛

و قول الله _ تعالى _ : «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ»(٢)؛

و قوله _ صلى الله عليه و آله و سلم _ : «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»(٣).

و تبين أنّ العدو نوعان، و الجهاد قسمان:

أحدهما ظاهرٌ جلّي، و هو عداوه المخالفين في الشريعة و الدين و حربهم و الجهاد معهم؛

و الآخر باطنٌ خفيّ، و هو عداوه الشياطين و المخالفين الظاهريين بالعرض و العاده، فالخطب في عداوه العدو الباطنيّ أجلّ و الخطر فيه أعظم و الأمر بجهادهم أكّد! _ كما مرّ تحقيق ذلك مستوفى في دعاء الثغور و غيره؛ فتذكّر! _ .

و في كلام فيثاغورس: «أنك ستعارض لك في أفعالك و أقوالك و أفكارك، و ستظهر لك من كلّ حركة قوليه أو عمليه أو فكريه صورٌ روحانيّة أو جسمانيّة، فإن كانت الحركة غضبيّة أو شهويّة صارت مادّة للشيطان يؤذيك في حياتك و يحجبك عن ملاقاه النور بعد وفاتك!، و إن كانت الحركة عقليّة صارت ملكاً تلتذّ بمنادمته في دنياك و تهتدي في أخراك إلى جوار الله و كرامته. و هذا المعنى هو المسمّى في عرف الحكماء و لسان أهل العلم بـ «الملك»؛ و في لسان أهل النبوه و الشهود بـ «الملك» و «الشيطان»؛ و المآل منهما واحد»(٤)؛

ص : ٥٤١

١- ١. راجع: «بحار الأنوار» ج ٦٧ ص ٣٦، «عدّه الداعي» ص ٣١٤، «عوالي اللئالي» ج ٤ ص ١١٨ الحديث ١٨٧، «مجموعه ورام» ج ١ ص ٥٩.

٢- ٢. كريمه ٦ فاطر.

٣- ٣. راجع: «بحار الأنوار» ج ٦٧ ص ٧١، «جامع الأخبار» ص ١٠٠، «شرح نهج البلاغه» ج ١٠ ص ٥٤.

٤- ٤. لم أعثر على مصدرٍ لهذا الكلام النفيس في كتب الحكماء.

انتهى.

فظهر ممّا ذكرناه لك أنّ الكفر والإيمان والملوك والجنّة والنيران مادّتها بالفعل موجودة في الإنسان غائبة عن الأعيان، فإذا انكشف الغطاء و غلب سلطان الآخرة على باطن الإنسان ينقلب العلم في حقّه غيباً و الغيب شهادة و السرّ معانيه و الخبر علانيه، و يرى الأشياء كما هي _ كما وقع في دعاء رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في قوله: «ربّ أرنا الأشياء كما هي»^(١) _ .

فكلّ أحدٍ يكون بعد كشف غطاءه و رفع حجابهِ و حدّه بصره مبصراً لنتائج أعماله مشاهدا لآثار أفعاله قارئاً لصفحه كتابه مطالعاً لوجهه ذاته مطلعاً على حساب حسناته و سيئاته _ كما في قوله تعالى: «وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نَخْرُجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * إِفْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ حَسِبًا»^(٢) _ . فيصير الإنسان بعد وصوله بمرتبته كماله و موته و إرادته و إبطاله لاستعداده و خروجه عن فطرته عين الكفر و الإيمان و الجنّة و النيران _ كما ورد عن أهل بيت العصمة و الطهارة: «نحن أسماء الله الحسنى، و نحن الموازين القسط، و نحن الصراط»^(٣) _ .

و بعد بيان الألفاظ و تمهيد المقدّمه فلنرجع إلى معنى الحديث؛ فنقول _ و بالله معوّلى في كلّ مأمولٍ و مسؤولٍ _ :

غرض السائل من المسائل الإمتحان لإمام الزمان، كأنّه قال: إن كنت إماماً للأئمّه و مقتدىً للبريه و إنساناً كاملاً في الإنسانيّه في هذا الأوان لوجب عليك العلم بحقائق ما في عالم الإمكان، و منها أحوالات الإنسان _ من الكفر و الإيمان و الجنّة و النيران و الشيطانان المرجوّان _ ، و الشاهد على ماقلت كلام الرحمن في سورة الرحمن: «الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ

ص : ٥٤٢

١-١. من المشهورات بين الحكماء و العرفاء، و لم أعثر عليه لا في مصادرنا و لا في مصادر العامّة الروائيّه.

٢-٢. كريمتان ١٤، ١٣ الإسراء.

٣-٣. لم أعثر عليه، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٢٥ ص ٤.

الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» (١). فَإِنَّ «الْإِنْسَانَ» فِي هَذِهِ الْآيَةِ عِبَارَةٌ عَنِ الْإِنْسَانِ الْكَامِلِ؛ وَ «الْبَيَانَ»: حَقَائِقُ الْأَشْيَاءِ _
كَمَا ذَكَرَ فِي الصَّافِي (٢) مَرْوِيًّا عَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْبَيَانَ: الْإِسْمُ الْأَعْظَمُ الَّذِي عَلَّمَهُ بِهِ كُلَّ شَيْءٍ» _ .

فَلَمَّا سَكَتَ الْإِمَامُ وَ شَهِدَ سَكُوتَهُ السَّائِلُ حَمْلَهُ عَلَى عَيْهِ عَنِ الْجَوَابِ وَ شَجَّعَتْهُ نَفْسُهُ بِسُؤَالِ آخِرِ أَعْظَمِ مِنْ سُؤَالِهِ الْأَوَّلِ! _ كَمَا
هُوَ شَأْنُ الْمَمْتَحِنِ _ ، فَقَالَ: «مَا الْوَاحِدُ الْمَتَكَبِّرُ _ ... إِلَى آخِرِهِ _» .

وَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ سَكُوتُهُ لِأَجْلِ أَنَّهُ _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ كَيْفَ تَنْزَلُ عَنْ مَقَامِهِ حَتَّى قَرِبَ مِنْ دَرَجَةِ فَهْمِهِ وَ كَلَّمَهُ مَعَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِهِ
_ مَعَ أَنَّ تَنْزَلَ الْعَالِي مُحَالٌ! _ ؛

أَوْ لِأَجْلِ أَنَّ السَّائِلَ نَحْوَ وَجُودِهِ يَأْبَى عَنْ فَهْمِ حَقِيقَةِ الْجَوَابِ عَنْ مَسَائِلِهِ. وَ لَمَّا سَمِعَ الْإِمَامُ كَلَامَهُ وَ رَأَى تَسْوِيلَ نَفْسِهِ لَهُ وَ شَهِدَ
جَرَأَتَهُ بِهَذِهِ الْمِثَابَةِ وَ عَدَمَ مَرَاعَاتِهِ قَانُونِ الْأَدَبِ فِي حَقِّهِ عَلَى هَذِهِ الْوَقَاحَةِ، تَغَيَّرَ _ عَلَيْهِ السَّلَامُ _ شَدِيدًا فَقَالَ: «يَا بَنَ أَبِيهِ! أَيُّ
شَيْءٍ تَقُولُ» _ لِأَنَّ كَلَامَهُ لَيْسَ مِنْ سَنَخِ الْكَلَامِ، بَلْ هُوَ مِنْ بَابِ النِّعِيقِ وَ الشَّهِيْقِ! _ «وَ مَمَّنْ تَقُولُ وَ لِمَنْ تَقُولُ؟! بَيْنَا أَنْتَ أَنْتَ
صَرْنَا نَحْنُ نَحْنُ»، أَيُّ: مَا لَكَ وَ الْأَسْرَارَ الْإِلَهِِيَّةَ وَ الْمَعَارِفَ الرَّبَّانِيَّةَ الَّتِي لَا تَحْصُلُ إِلَّا لِمَنْ تَجَرَّدَ عَنِ الْغَوَاشِي الْمَادِّيَّةِ وَ الْعِلَاقِ
الْجِسْمَانِيَّةِ وَ اتَّصَلَ بِالْمَبَادِي الْعَالِيَةِ وَ الْأَنْوَارِ الْخَالِصَةِ الْقُدْسِيَّةِ وَ أَنْتَ بَعْدُ فِي سِجْنِ الطَّبِيعَةِ وَ إِسْرَ أَيْدِي الْغَضَبِ وَ الشَّهْوَةِ وَ مَرْتَبَةِ
الْعَقْلِ الْهَيُولَانِيَّةِ وَ دَرَجَةِ الْحَيَوَانَاتِ الْخَسِيسَةِ لَا تَعْرِفُ الْهَرَّ مِنَ الْبَرِّ!، وَ لَيْسَ لَكَ بِهَذِهِ الْمَسَائِلِ شُعُورًا وَ مَا حَفِظْتَ مِنْهَا إِلَّا قَشُورًا!،
وَ لَا مَعْرِفَةَ لَكَ بِمَا تَقُولُ وَ لَا مَأْخِذَ لَهُ وَ مَا تَعْرِفُ لِمَنْ تَقُولُ؟! «صَرْنَا نَحْنُ» _ بِحَمْدِ اللَّهِ! _ عُلَمَاءُ رَبَّانِيَيْنِ وَ عُرَفَاءُ إِلَهِيَيْنِ وَ فِي
الْمَرْتَبَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ كَامِلِينَ وَ بِرُوحِ اللَّهِ مُتَّصِلِينَ وَ خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِينَ وَ حُجَّهَ اللَّهِ عَلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، وَ كِتَابَ اللَّهِ الْمُبِينِ وَ أَهْلَ
الذِّكْرِ وَ أَوْلَى الْأَمْرِ وَ الْإِسْمَ الْأَعْظَمَ الَّذِي بِهِ تَبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، وَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْإِنْسَانِ الْوَاقِعِ فِي كَلَامِ الرَّحْمَنِ: «خَلَقَ الْإِنْسَانَ *
عَلَّمَهُ الْبَيَانَ»، وَ الْغَايَةُ مِنْ

ص : ٥٤٣

١- ١. كَرِيْمَات ٤، ٣، ٢، ١ الرَّحْمَنِ.

٢- ٢. رَاجِع: «تَفْسِيرُ الصَّافِي» ج ٥ ص ١٠٦.

وجود عالم الإمكان. فليس لك أن تقول: «نطق بذلك كلام الرحمن» مع أنك لم تفهم معناه، و لم تبلغ إلى معزاه؛ فهذا جوابك الموجز على اعترافك بأن الإمام يجب أن يكون عالمًا بحقائق جميع ما في عالم الإمكان.

فإنه سلك في الجواب عنه مسلكين من أقسام الحجّة: الجدل أولاً؛ والبرهان ثانياً، عملاً بما أمر الله به الرسول _ صلى الله عليه و آله و سلم _ في قوله: «أذْعِ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» (١).

و ترك الأقسام الثلاثة الباقية للحجّة، لأنّ الشعر و السفسطه غير لائقين لمن شأنه العصمه و الهدايه _ إذ الأوّل مبناه على التخييل و الكذب، فينافي العصمه؛ و الثاني مبناه على الغلط و التغليط، فينافي الهدايه _ ؛ و ترك الخطابه _ و هي الحجّة المؤلّفه من الظنّيات المعبره عنها في الآيه بـ «الموعظه» _ ، لأنّ فائدتها تهيأ النفوس و إعدادها لدرك ما هو الحقّ بوسيله الظنّ القويّ، و هذا الظنّ حصل للسائل بمجرد المجادله، فلا يحتاج الإمام إلى الموعظه. و الجدل هو المؤلّف من المسلّمات المقبولات عند الخصم، و فائدته كسر سوره الجحود و الإنكار للحقّ، فكأنّه _ عليه السلام _ قال في مقام المجادله: أنا الإنسان الكامل و أنا الإمام الحقّ الفاصل بين الحقّ و الباطل و أنا لسان الله الصادق و كلام الله الناطق؛ و الدليل على إمامتي نحو وجودي المذى هو نصّ جليّ.

ثمّ شرع في الهدايه و أجاب بالجواب المفصّل؛ فقال: «انّ الكفر كفران: كفر بالله و كفر بالشيطان»، أى: الكفر بالله بالمعنى الذى ذكرناه فى المقدّمه عين المعصيه للرحمان و الإطاعه للشيطان، و الكفر بالشيطان بالعكس.

و الإطاعه و العصيان _ على ما ذكرناهما فى المقدّمه _ إنّما ينشئان من قوتى الشهويّه و الغضبيّه، و هما الشيطان المقبولان إذا قهرتهما و سخرتهما الناطقه المجرّده؛ و هما المردودان المطرودان إذا انفعلت عنهما و انقادت لهما، و بسببهما تتّصف بالأخلاق الحميده و المعارف

ص : ٥٤٤

الحقيقيه و الأعمال الزكيه و بالأخلاق الرديّه و الجهالات المتراكمه و الإعتقادات الفاسده _ كما ذكرناه أيضاً فى المقدمه _ ؛ و تستحقّ للجَنّه و النيران، و هو المراد بقوله _ عليه السلام _ : «لأحدهما الجَنّه و للآخر النيران».

و فى بعض النسخ: «أحدهما الجَنّه و الآخر النيران» _ بدون «اللام» _ ، و هذا أيضاً صحيحٌ، لما ذكرناه أيضاً فى المقدمه من أنّ تكرر الأخلاق الحميده و المذمومه يصير سبباً لتقلب الصورة _ كالحديد الحاميه _ ؛ فتذكرُ!.

و هما «المُتَّفَقان» المختلفان من جهتي الإطاعه و عدم الإطاعه؛

و «المرجّوان» المأبوسان لهذه العلّه أيضاً.

ثمّ قال _ عليه السلام _ : «نصّ به الرحمن حيث قال: «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ»^(١)؛ أى: كما أنّ البحر الملح و البحر العذب متجاوزان متلاقيان لفصل بينهما فى مرأى العين «بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ» أى: حاجزٌ من قدره الله «لَا يَبْغِيَانِ» أى: لا يتجاوزان حدّهما و لا يبغي أحدهما الآخر بالممازجه، كذلك القوتان متجاوزتان متلاقيتان لا يبغي أحدهما الأخرى بينهما حاجزٌ من القوّه العاقله المجرّده. و لا يخفى المشابهه التامه بين المثال و الممثل له!، فإنّ العذوبه ينشأ من القوّه الشهويّه، و المراره من القوّه الغضبّيّه؛ و كذا فى سائر الأوصاف؛ فتبصّر!.

اعلم! أنّه لمّا تعرّض لجواب سؤاله الآخر إلّا _ على سبيل الإشارة لتغيّره _ عليه السلام _ من سوء أدبه و قصوره عن فهم حقيقه الجواب عن سؤاله، لأنّه يحفظ من السؤالات قشورها و لا خبر له من لبوبها _ لأنّ المسائل المعضله لا يمكن الإطّلاع عليها إلّا بالتجرّد عن الغواشى البدنيّه، كما ذكرناه لك _ ؛ كأنّه _ عليه السلام _ قال: إن كنت من أهل البصيره تكفيك الإشارة _ كما قيل بالفارسيّه:

در خانه اگر کس است یک حرف بس است _

ص : ٥٤٥

و إن لم تكن من أهل البصيره فلا تكفيك التصريحات البليغه، فلنمهد لجواب سؤاله الآخر أيضاً مقدّمه؛ فنقول:

قد ذكرنا لك فيما سبق أنّ للأشياء في الموجوديّة ثلاث مراتب:

الأولى: الموجود الصرف الّذى لا يتعلّق وجوده بغيره ولا يتقيّد بقيدٍ، وهو المسمّى عند العرفاء بـ: الهويّة الغيبيّة و الغيب المطلق و الذات الأحديّة. و هو الّذى لا اسم له و لا نعت و لا يصل إليه معرفة و لا عقل و لا وهم، إذ كلّ ما له اسم و رسم فهو مفهوم من المفهومات الموجوده في العقل أو الوهم، و كلّ ما يتعلّق به معرفة و إدراكّ فله اشتراكّ و ارتباط بغيره. و الأوّل ليس كذلك، لكونه قبل جميع الأشياء و لا يقبل الاشتراك، فهو الغيب المحض و المجهول المطلق إلّا من قبل آثاره و لوازمه؛

و المرتبه الثانيه: الموجود المقيّد بغيره و المحدود بحده المقرون بالمهيّة المطلقه الّتي ليس عمومها و شموله على سبيل الكلّيّه و الإشتراك _ كالمعاني المعقوله _، المسمّى بـ: الفيض الإنبساطيّ و الحقّ المخلوق به _ كما مرّ غير مرّه _ . و إنّ أوّل ما ينشأ من الذات الأحديّة هو هذا الوجود المنبسط و الحقّ المخلوق به و النفس الرحمانيّ، و هو غير الوجود الحقّ السبحانيّ _ كما مرّ غير مرّه _ .

فإذا تمهّد هذه المقدّمه فلنرجع إلى المقصود؛ فنقول: غرض السائل من سؤاله الآخر _ و هو قوله: «ما الواحد المتكثّر ... إلى آخره» _ : الاستفسار عن حقيقه هذا الصادر الأوّل، فإنّه واحدٌ من حيث الوجود متكثّرٌ من حيث التعيّنات الّتي حصلت له من ذاته، فهو واحدٌ لذاته متكثّرٌ من ذاته. و ليس هذه الوحده و الكثره لذاته، لما ذكرنا في ما سبق من أنّه مع كلّ شيء بحسبه؛

قوله: «و المتكثّر المتوحّد»، لأنّ الكثره ما لم تطرأ عليها الوحده لم يوجد، فقوام الكثره بالوحده _ كما مرّ بيان ذلك في تفسير قوله عليه السلام: «و لك يا إلهي وحدانيّه العدد» _ .

قوله: «و الموجد الموجد» الأوّل بصيغه المفعول، و الثاني بصيغه الفاعل؛ أي: معلولٌ بالنسبه إلى الوجود الحقّ و علّة بالنسبه إلى وجود غير الحقّ.

قوله: «و الجارى المنجمد»، لأنه الوجود المنبسط المتعين.

قوله: «و الناقص الزائد» بحسب قوسى النزول و الصعود.

فلنرجع إلى تتمه آيه الكرسي؛ فنقول: قوله _ سبحانه _ : «وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» (١) أى: يسمع قول من يتكلم بالشهادتين و قول من يتكلم بالكفر، و يعلم ما فى قلب المؤمن من المعارف الإيمانيه و العلوم الربانيه و ما فى قلب الكافر من العقائد الفاسده و الظنون الباطله الكاسده.

و قد تقدّم الكلام فى «سمعه» و «علمه» _ سبحانه _ ؛ فتذكر!.

و روى العطاء عن ابن عباس قال: «كان رسول الله _ صلى الله عليه و آله و سلم _ يحبّ إسلام أهل الكتاب من اليهود الحذيين كانوا حول المدينة، و كان يسأل الله _ تعالى _ ذلك سرّاً و علانيه، لساناً و قلباً» (٢)؛ فمعنى قوله _ تعالى _ : «وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»: أنه سميع بدعائك _ يا محمد! _ عليم بحرصك و اجتهدك.

قوله _ تعالى _ : «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا» (٣).

«الولّى» قد مرّ معناه؛

كذا «الإيمان».

و كونه _ سبحانه _ ولّى المؤمنين، على ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه يتولاهم بالمعونه على إقامة الحجّه و البرهان لهم فى هدايتهم؛

و ثانيها: أنه وليهم فى نصرهم على عدوّهم و إظهار دينهم على أديان مخالفينهم كلّها؛

و ثالثها: أنه وليهم يتولاهم بالثبوتات الطاعه و المجازات على أعمال الصاحله.

و قال بعض العرفاء: «الولاية نعتٌ إلهيٌّ عامّ التعلّق لا يختصّ بأمرٍ دون أمرٍ، و لهذا جعل

ص : ٥٤٧

١- ١. كريمه ٢٥٦ البقره.

٢- ٢. لم أعر عليه بألفاظه فى مصادر الفريقين، الروائيه و التاريخيه.

٣- ٣. كريمه ٢٥٧ البقره.

الوجود كلّه ناطقاً بتسيّحه عالمياً بصلاته، وإن لم يكن كذلك فليس بنعتٍ إلهيٍّ. لكن بعض النعوت _ مثل نعت الولاية _ ما نسبته الله لنفسه إلا بتعلّق خاصٍّ للمؤمنين خاصّةً و الصالحين من عباده، وهو ذوالنصر العامّ في كلّ منصوصٍ. وإنّما لم يتولّ الله إلاّ المؤمنين، لأنّه ما ثمّ إلاّ مؤمنٌ، والكفر عرضٌ للإنسان بمجىء الشرائع المنزله؛ ولولا وجود الشرائع ما كان ثمّ كفرٌ بالله يعطى الشقاوه؛ ولذلك قال _ تعالى _ : «وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا» (١). فهذه ولاية الحقّ و أسرارها، وهي الولاية العامّة؛ انتهى.

و قال صدر الحكماء و المحقّقين: «فى لَمَيَّه اختصاص المؤمنين بولاية الله _ سبحانه _ . اعلم! أنّ فى هذا المقام إشكالاً عظيماً يعسر حلّه على ذوى الأفهام!، لأنك قد علمت من الأصول الثّى أفدناك فيما سبق من تقدّيس الله _ تعالى _ عن وصمه الكثره و التغيّر و التفنّن فى الإفاضات و الاختلاف فى النسب و الإضافات: أنّ وجوده عامّ و رحمته شامله للكلّ على نسقٍ واحدٍ، أعطى كلّ ذيحقّ حقّه و أفاض على كلّ قابلٍ ما يستحقّه؛ فلو كانت لمادّه البصل مثلاً قوّه قبول الزعفران و لنطفه البقر قبول صورهِ الإنسان لما ترك الواهب الأشرف الأفضّل، و ما أفاض (٢) عليهما البقر و البصل.

فإذا تقرّر ذلك، فولايه الله _ تعالى _ إن تعلّقت بالمؤمنين قبل قبولهم دعوه الإيمان و استكمالهم بالعلم و العرفان، فذلك (٣) ترجيحٌ من غير مرجّح؛

و إن كانت بعده يلزم الدور _ لكون الإيمان مسبباً عنهما _ ، كما يفصح عنه قوله _ تعالى _ : «يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ»، لأنّ منشأ إيمانهم _ الذى هو عين تنورهم بنور المعارف و خروجهم إليه عن ظلمات الجهل و العمى _ هو هذه التوليه، فلو كانت بعد الإيمان يكون دوراً بالضروره!.

و هذا الإشكال صعب الإنحلال عند من يحذو حذو أهل الاعتزال _ : القائلين بالتحسين

ص : ٥٤٨

١-١. كريمه ١٥ الإسراء.

٢-٢. المصدر: فاض.

٣-٣. المصدر: فإنّ ذلك.

و أما الأشاعره المجوّزون لإيجاد القبائح و ترجيح أحد المتساويين، فالأمر هينّ عليهم؛ بل هم احتجّوا بهذه الآية على تصحيح مذهبهم، و أنّ ألطاف الله _ تعالى _ فى حقّ المؤمن فيما يتعلّق بالدين أكثر من ألطافه فى حقّ الكافر؛ قائلين: أنّ الآية دلّت على أنّه _ تعالى _ وليّ الذين آمنوا على التعيين، و معلوم أنّ الوليّ للشىء هو المتولّى لما سيكون سبباً لصالح الإنسان و استقامه أمره فى الغرض المطلوب لأجله، كما قال الله _ تعالى _ : «يَصْطَلِدُونَ عَنِ الْمَسِيدِ الْحَرَامِ وَ مِا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنَّ أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ»(٢)؛ فجعل القيم بعماره المسجد ولياً له، و نفى فى الكفار أن يكونوا أولياءه.

فلتّى كان الوليّ المتكفّل بالمصالح، ثمّ أنّه _ تعالى _ جعل نفسه وليّاً للمؤمنين على التخصيص علمنا أنّه _ تعالى _ تكفّل بمصالحهم فوق ما تكفّل بمصالح الكفار.

قالوا: فهذه الآية مبطله لقول المعتزله بـ: أنّ الله _ تعالى _ قد سوى بين المؤمن و الكافر فى الهدايه و التوفيق و الألفاف.

و ربّما يجاب من قبل القائلين بالإعتزال _ كالزمخشريّ و غيره _ : أنّ هذا محمولٌ على زياده الألفاف، كما فى قوله _ سبحانه _ : «وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَ آتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ»(٣)، و قوله: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»(٤).

و تقريره من حيث العقل: أنّ الخير و الطاعه ممّا يدعو بعضه إلى بعض، و ذلك لأنّ المؤمن إذا حضر مجلساً يجرى فيه الوعظ فإنّه يلحق قلبه خشوعٌ و خضوعٌ و انكسارٌ، و يكون حاله مفارقاً لحال من قسى قلبه بالكفر و المعاصى؛ و ذلك يدلّ على أنّه يصحّ فى

ص : ٥٤٩

١- ١. المصدر: + فى الأفعال و استحاله الترجيح من غير مرجح.

٢- ٢. كريمه ٣٤ الأنفال.

٣- ٣. كريمه ١٧ محمّد.

٤- ٤. كريمه ٢ الأنفال.

المؤمن من الألفاظ ما لا يصح في غيره. فكان تخصيص المؤمن بأن الله وليهم محمولاً على ذلك.

و هذا الجواب مما ذكره الإمام الرازي في التفسير الكبير (١) نيابة عن المعتزلة؛ و هو غير سديد من وجهين:

أحدهما: أنه غير حاسم لمادّة الإشكال _ على الوجه الذي قرّرناه _ ، إذ لأحد أن يجرى الكلام في سبب أصل الهداية و التوفيق و سياقتهما من الله في حقّ بعض أفراد الإنسان حتّى صار من أهل الإيمان. و سبب الضلاله و الخذلان و سياقتهما منه في حقّ بعض آخر حتّى صار من أهل الكفر و العصيان؛ فنقول: إذا كانت نسبة الهداية و التوفيق واحدة من الحقّ _ تعالى _ في الجميع على أصولكم، فما وجه اختصاصهما ببعض الناس حتّى يكون مؤمنًا؟، و اختصاص مقابلهما بغيرهم حتّى يكون كافرًا؟. فحينئذ لا يتمّ الجواب و لم يبق مهرب من لزوم الترجيح من غير مرجح في هذا الباب؛

و ثانيهما: أنّ للأشاعره أن يقولوا لهم: أنّ زياده الألفاظ متى أمكنت وجبت عندكم، و لا يكون لله في حقّ المؤمن إلاّ أداء الواجب، و هذا المعنى بتمامه حاصل في حقّ الكافر. بل المؤمن فعل ما لأجله استوجب ذلك المزيد؛ فيكون وليّ المؤمن هو نفسه الذي فعل ما لأجله استوجب من الله ذلك المزيد من اللطف!

هذا؛ و ستسمع منّا لبّ التحقيق.

و ربّما يجاب عن أصل الإشكال بوجوه أخرى من المقال جاريه على نهج الاعتزال؛

أحدها: أنه _ تعالى _ يشبههم في الآخرة و يخصّهم بالتعظيم و الإكرام (٢)، فكان التخصيص محمولاً عليه؛

و يرد عليه مثل ما يرد على الوجه المذكور آنفًا _ تحقيقاً و جدلاً _ ، بأن يقال: ذلك

ص : ٥٥٠

١-١. راجع: «التفسير الكبير» ج ٧ ص ١٩.

٢-٢. المصدر: يخصّهم بالنعيم المقيم و الإكرام العظيم.

الثواب واجبٌ على الله _ تعالى _ على أصولهم، فولّى المؤمن هو الذى جعله مستحقاً لذلك (١) الثواب، فيكون وليه نفسه!

و ثانيها: أنّه _ تعالى _ و إن (٢) كان ولياً لكلّ بمعنى كونه متكفلاً بمصالح الكلّ على السويّه إلا أنّ المنتفع بتلك الولاية هو المؤمن، فيصحّ تخصيصه بهذه الآيه _ كما فى قوله: «هُدًى لِلْمُتَّقِينَ» (٣) _ ؛

و يرد عليه: أنّ هذا الأمر الذى به امتاز المؤمن عن الكافر فى باب الولاية صدر من العبد، لا من الله _ تعالى _ ؛ فكان وليّ العبد على هذا القول هو العبد نفسه، لا غيره!

و ثالثها: أنّه _ تعالى _ وليّهم بمعنى أنّه يحبّهم. و المراد منه: أنّه يحبّ تعظيمهم؛

و يجاب: أنّ المحبّه معناها (٤) إعطاء الثواب، و ذلك بعينه هو الوجه الأول من هذه الوجوه؛ و قد مرّ الإيراد عليه.

و أمّا التخلّص عن أصل الإشكال على طريقه الحكماء فى مثل (٥) ما يقولون فى دفع الإشكال الوارد عليهم فى إثبات الصور النوعيّة للأجسام الطبيعيّه، فإنّهم لمّا أثبتوا تلك الصور فى الأجسام بواسطة ثبوت الآثار و اللوازم المختلفه فيها بأن قالوا: أنّ الجسميّة أمرٌ واحدٌ فى الجميع، فلو لم توجد (٦) فى بعض الأجسام صورّة منوّعه و فى بعضٍ آخر صورّة منوّعه أخرى يلزم فى ترتّب بعض الآثار لبعضٍ منها _ كالحرارّه فى النار _ و ترتّب بعضٍ أخرى لبعضٍ آخر _ كالبروده للماء _ ترجيحاً من غير مرجّح؛

أورد عليه (٧): أنّ هذا بعينه واردٌ عليكم عند إثبات تلك الصور أيضاً، فإنّ اختصاص جسميّة النار بصورتها الخاصّه دون غيرها و اختصاص جسميّة غيرها بغير تلك الصورة _

ص : ٥٥١

١- ١. المصدر: مستحقاً على الله ذلك.

٢- ٢. المصدر: _ و إن.

٣- ٣. كريمه ٢ البقره.

٤- ٤. المصدر: معناه.

٥- ٥. المصدر: الإيراد عليه. اللائحه الرابعه: فى التخلّص عن أصل الإشكال على طريقتى الحكماء و الصوفيّه. أمّا على طريقه الحكماء فمثل.

٦- ٦. المصدر: لم يوجد.

٧- ٧. المصدر: عليهم.

كجسميّه الماء بصورته _ مع استواء الجميع فى الجسميّه المطلقه المشتركه ممّا يوجب الترجيح بلامرجح.

لكنّهم أجابوا عن ذلك بعد ما أحكموا بيان تحقّقها و جوهريّتها بوجهٍ أخرى؛ فقالوا(١): أنّ اختلاف تلك الصور مستندهٌ إمّا إلى اختلاف الإستعدادات السابقه _ كما فى العنصريّات _ ؛

أو اختلاف الموادّ _ كما فى الفلكيات _ ؛

أو اختلاف الجهات و الحيثيات الحاصله فى المبادئ الفعّاله العقليّه _ سيّما العقل الأخير، كما عند المشائين _ ؛

أو اختلاف ذوات تلك المبادئ العقليّه _ كما عند الرواقيين، القائلين بكثرة العقول الّتى فى الطبقة العرضيه على حسب تكثّر الأنواع الجسمانيّه _ ؛

أو اختلاف صورها العلميه الواقعه فى عالم القضاء الإلهيّ أو القدر الربّانيّ الموجوده فى القلم الأعلى العقلانيّ؛

أو فى اللوح المحفوظ النفسانيّ على الوجه المقدّس عن التغيير، بخلاف الصور الجزئيه الواقعه فى القدر الإنطباعيّ السماويّ، لتغيّرها بالمحو و الإثبات؛

أو اختلاف الصور الربّانيّه المسّماه بالعنايه الإلهيه عند من جوّز قيام علم الله _ تعالى _ بذاته _ أى: العلوم التفصيليه _ .

فكذلك يقال فى إنحلال ذلك الإشكال و إيراد السؤال عن لَمّيّه اختصاص المؤمن بولايه الله _ تعالى _ و الإكرام و الإفضال، و اختصاص الكافر بمقته الموجب للنكال من حواله هذا التخالف بينهما فى الضلال و الهدى(٢) و السعاده و الوبال و الثواب و العقاب بعد الإيمان و الكفر إلى أمورٍ سابقهٍ موجبهٍ و مقدّماتٍ متأدّيهٍ مقتضيهٍ؛ و هكذا إلى أن ينتهى إلى أمورٍ قضائيهٍ إلهيهٍ. و هذه سنّه الله الّتى لا تبدل لها، و حكمته الّتى لا مزيد عليها و لافتور يعتريها

ص : ٥٥٢

١- ١. المصدر: _ فقالوا.

٢- ٢. المصدر: الهدى و الضلال.

من ربط الأشياء بالعلل والأسباب، و ربط الأسباب بالمسببات إلى أن يبلغ إلى قدرته وإرادته وجوده وحكمته الموجبه لإيصال كل شيء إلى خيرٍ يليق به و كمالٍ يؤثر عنده، و المحافظه(١) إياه عن كل شينٍ و نقصٍ يعتريه و شرورٍ و آفٍ يلحقه بقدر إمكانٍ. فالخير مرضيٌ و الشر مقضيٌ؛ و لكلٍ منهما طالبٌ لا يسكن إلا لديه و لا ينزعج إلا إليه.

فهذا أنموذجٌ لهذا المقام، و قد بقي بعد من الشكوك ما لا ينحل إلا ببسطٍ في الكلام مع اشتغالٍ شديدٍ من المريد السالك في تحقيق المرام، ليتجلى له(٢) ما يتجلى للحكماء الكرام و(٣) الأتقياء العظام!.

و أمّا على طريقه أهل التصوّف، فبأنّ لله _ تعالى _ في ذاته في عالم إلهيته شؤوناً و حيثياتٍ مسمّاهُ بأسماءٍ و صفاتٍ _ كما يعرفه أهل الله _ لا- على وجهٍ يقدح في أحديته الحقّه. و هو _ سبحانه _ مع تلك الشؤون و الحياتيات مبدئٌ لكلّ و عالمٌ بالأشياء و قادرٌ على جميع الممكنات. و لو خرج شيءٌ من الأشياء من علمه و قدرته و تأثيره و إيجاده بواسطهٍ أو بغير واسطهٍ لم يصلح لمبدئيّه الكلّ، و هو مع ذلك منزّه عن فعل القبائح و الشرور. و لكن لا بالوجه الّذى بلغ فهم المعتزله إليه، و إلا لناقض كونه مبدئ الكلّ(٤)، و في كونه مالك الملك.

بل الوجه أن يقال: وجود العالم بجميع أجزائه و أفراده المتكثّره و المتخالفه على هذا الوجه المشاهد ظلالٌ لأسمائه المتعدّده المتخالفه على وجهٍ _ كالأوّل و الآخر و الظاهر و الباطن _ ؛ و لكلٌ منها أثرٌ خاصٌّ و مظهرٌ و معلولٌ معيّنٌ _ كالمبدع و الكائن و المحسوس و المعقول، ... و على هذا القياس _ .

فتقول: إنّ لله _ سبحانه _ صفتي قهرٍ و لطفٍ، و من الواجب في الحكمه أنّ الملك _ و لاسيّما ملك الملوك! _ يكون هكذا، إذ كلٌّ منهما من أسمائه الحسنی و من أوصاف الكمال، و لا يقوم أحدهما مقام الأخرى، و من منع ذلك كابراً و عانداً!.

ص : ٥٥٣

١-١. المصدر: الحافظ لها.

٢-٢. المصدر: + من الحقّ.

٣-٣. المصدر: أو.

٤-٤. المصدر: مبدئٌ لكلّ.

و لا بَدَّ لَكُلِّ من هاتين الصفتين من مظهرٍ؛ فالملائكـه و من ضاهاهم من المؤمنين و الأخيار مظاهر اللطف؛ و الشياطين و من والا هم من الكفار و الأشرار مظاهر القهر. و مظاهر اللطف هم أهل الجنه و الأعمال المستتبعه لها، و مظاهر القهر هم أهل النار و الأعمال المعقبه إياها. فخلق الله _ تعالى _ للجنه خلقاً يعملون بعمل أهل الجنه، و للنار خلقاً يعملون بعمل أهل النار.

فكما أنّ وجود كلٍّ من صفتي اللطف و القهر ممّا لا بدّ فيه، فكذا لا بدّ من وجود مظاهر كلٍّ منهما بحسب كلّ مرتبه. و كما لا اعتراض لأحدٍ عليه _ تعالى _ في وجود أصل المظاهر و المعاليل _ لكونها من لوازم الإلهيّة و آثار الربوبيّه _، فكذا لا اعتراض لأحدٍ عليه في تخصيص كلّ من الفريقين بما خصّصوا به، فإنّه لو عكس الأمر لكان هذا الاعتراض بحاله.

و من ههنا تظهر حقيقه السعاده و الشقاوه، «فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ»^(١)؛ و الإيمان و الكفر، فمنهم مؤمنٌ و منهم كافِرٌ؛

و تظهر حقيقه كونه _ تعالى _ «وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا»^(٢) و عدوّ الذين كفروا، و أنّما وليّهم الطاغوت.

فالله _ سبحانه _ موصوفاً بصفه اللطف وليّ المؤمنين و عدوّ الكافرين أيضاً، و إنّ كان من جهة الرحمة المطلقة و الفيض العامّ و الجود التامّ يوجد لهم و يرزقهم و يعطيهم المال و الجاه، و يجيب دعاءهم و يسمع نداءهم^(٣).

فإذا تؤمّل في ما بيّنا يظهر أنّ هذا الترتيب و التمييز^(٤) في الوجود من لوازم الترتيب و التمييز الواقع في ما سبق من الأحكام الأزليّه الناشئه من معدن الإلهيّة و العلم السابق الإلهيّ، و يعلم أنّ ولايه المؤمن من الله قبل إيمانه بالذات، كما روى عن رسول الله _ صلّى

ص : ٥٥٤

١- ١. كريمه ١٠٥ هود.

٢- ٢. كريمه ٢٥٧ البقره.

٣- ٣. المصدر: + و في هذا المقام أسرارٌ لا يجوز التصريح بها، لأنّ ضرر سماعها للطبائع الغير المرتاضه أكثر من نفعها.

٤- ٤. المصدر: التميّز.

اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ _ : «إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يَجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَكُونُ نَظْفُهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَكُونُ مَضْغُهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيَكْتُبُ عَمَلَهُ وَ أَجْلَهُ وَ رِزْقَهُ وَ شَقِيَّتَهُ أَوْ سَعِيدَتَهُ» (١).

فان قلت: إذا كانت السعادة و الشقاوة بالقضاء، و الإيمان و الكفر بالقدر، فأى فائده في بعثه الرسل و إنزال الكتب؟!

قلت: فائدتهما بالحقيقه ترجع إلى المؤمنين _ : الَّذِينَ جَعَلَ اللَّهُ بَعَثَهُمْ وَ إِنزَالَهَا سَبَبًا وَ وَاسِطَةً لَاهْتِدَائِهِمْ _ ، «إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا» (٢)، كما أَنَّ فائده نور الشمس تعود إلى أصحاب العيون الصّحاح. و أمّا فائده ذلك بالنسبه إلى المختوم على قلوبهم فكفائده نور الشمس بالنسبه إلى الأكمه، «وَ أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَ مَاتُوا وَ هُمْ كَافِرُونَ» (٣). غايه ذلك إلزام الحجّه و إقامه البينه عليهم ظاهراً «لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» (٤)، «وَ لَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا» (٥). و هو في الحقيقه للنفي عليهم بأنهم في أصل الخلقه ناقصون أشقياء» (٦)؛ انتهى كلامه.

أقول: إذا تذكّرت ما ذكرناه لك سابقاً في اللّمعات السابقه قدرت على هذه الإشكالات و تحقيق هذه المقامات؛ فلانعيده خوفاً للإطاله.

قوله _ سبحانه _ : «يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» (٧). أجمع المفسّرون على أَنَّ المراد هيهنا من «الظُّلُمَاتِ» و «النُّورِ» هما: الكفر و الإيمان و مايجرى مجراهما من اللوازم و الملزومات.

ص : ٥٥٥

١- ١. راجع: «عوالى اللّٰثالى» ج ١ ص ٨٢ الحديث ٥، و لم أعثر عليه فى غيره.

٢- ٢. كريمه ٤٥ النازعات.

٣- ٣. كريمه ١٢٥ التوبه.

٤- ٤. كريمه ١٦٥ النساء.

٥- ٥. كريمه ١٣٤ طه.

٦- ٦. راجع: «تفسير القرآن الكريم» _ لصدر المتألّهين _ ج ٤ ص ٢٧٧.

٧- ٧. كريمه ٢٥٧ البقره.

و قيل: «يخرجهم بهدايته و توفيقه من ظلمات الجهل و الذنوب إلى نور الهدى و المغفرة»؛

و قال ابن عطاء: «يفنيهم عن صفاتهم بصفته، فيندرج صفاتهم تحت صفاته كما اندرجت أكوانهم تحت أكوانه و حقوقهم عند ذكر حقه، فيصيرون قائمين بالحق للحق»؛

و قال الجنيد: «يخرجهم من ظلمات أوصافهم إلى أنوار صفاته»^(١)؛

و قال صدر الحكماء و المحققين: «إنَّ الله _ سبحانه _ لما ذكر^(٢) أنه يحبَّ المذنبين آمنوا و متولَّى إيمانهم و معينهم في قبول الهدايه^(٣) حتى اهتدوا و آمنوا، فإنَّ كلَّ أحدٍ من الناس بحسب أصل طينته _ و هو الأتية _ من سنخ الظلمات، كالجسميه و الطبيعه و الحيوانيه التي مقتضى ذاتها أفعالٌ توجب الطرد و البعد عن رحمه الله الخاصه الموجه لدخول الجنه. و إنما التفاوت بحسب تفاوت الأرواح و القلوب في الكدوره و صفاء الفطره^(٤)، ثم بحسب العقائد و الأعمال. و يجوز أن يحمل قوله _ تعالى _ : «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا- وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا»^(٥) على ما يستوجه الإنسان بحسب ما تقتضيه الطينه^(٦) الجسمانيه الظلماتيه؛

و يحتمل أن يأوَّل «الظُّلُمَات» ب _ : الأوصاف النفسانيه، كالشهوهِ و الغضب و الوهم قبل أن يسخرها القلب و يستعملها في ما خلقت لأجله»^(٧)؛ انتهى كلامه.

أقول: و التحقيق ما ذكرناه لك سابقاً من أنَّ الظلمه كالنور حقيقه واحده مختلفه بحسب اختلاف حقيقه النور، لأنها ناشئه من المهيئه، و المهيئه بحسب النور و الوجود متفاوتة _ لأنها بالعرض للوجود موجوده _ .

ص : ٥٥٦

١ - ١. لم أعثر على هذه الأقوال في كتب المفسرين و لا- في مظانها من كتب العرفاء و الصوفيه، ك _ «الرساله القشيريّه» و «عوارف المعارف».

٢ - ٢. المصدر: ذكرنا.

٣ - ٣. ههنا سقط قسطٌ من كلام صدر المتألهين.

٤ - ٤. المصدر: و الصفاء الفطريتين.

٥ - ٥. كريمه ٧١ مريم.

٦ - ٦. المصدر: طينته.

٧ - ٧. راجع: «تفسير القرآن الكريم» _ لصدر المتألهين _ ج ٤ ص ٢٣٧.

و يؤيد ما ذكرنا ما رواه في الخصال (١) عن الصادق عن آبائه عن أمير المؤمنين _ عليهم السلام _ قال: «المؤمن يتقلب في خمسهِ من النور: مدخله نورٌ، ومخرجه نورٌ، وعمله نورٌ، وكلامه نورٌ، ومنظره إلى (٢) يوم القيامة إلى النور»؛ فالخروج من الظلمة أيضاً متفاوتة. وقد مرّ أيضاً أنّ مراتب الإيمان متفاوتة، والمؤمنون فيه على ثلاث مراتب؛ لكونهم ثلاث طوائف:

عوامّ المؤمنين؛

و خواصّهم؛

و خواصّ خواصّهم؛

فالعوامّ يخرجهم الله من ظلمات الكفر والضلالة إلى نور الإيمان والهداية _ لقوله: «وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ» (٣)؛

و الخواصّ يخرجهم من ظلمات الصفات النفسانيّة والجسمانيّة إلى الأنوار الروحانيّة _ لقوله: «الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ» (٤) و معرفته؛ و اطمينان القلب بالذكر و المعرفة لم يكن إلاّ بعد تصفيته عن الصفات النفسانيّة و تحليته بالصفات الروحانيّة.

فلَمّا استولى سلطان المعرفة على نفس المؤمن و قلبه تنوّرت النفس بنور الذكر و خرجت عن ظلمة صفاتها، فتبدّلت أخلاق الذميمة بالحميدة، فيكون اطمينانها مع العلوم الإلهيّة و ذكر الله بدل ما كان من الدنيا؛ فيستحقّ حينئذٍ أن يخرجها الله _ تعالى _ بخطاب: «يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي» من ظلمات الصفات الغير المرضيّة «إِلَى» نور صفه «رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي» _ أي: مقام خواصّ عبادي _ «و ادْخُلِي جَنَّتِي» (٥) أي: المخصوصه المشرفه بإضافتها إلى، فهي خاصّة لخواصّ عبادي.

و خواصّ الخواصّ يخرجهم من ظلمات حدوث الخلقه الروحانيّة بإفنائهم عن

ص : ٥٥٧

-
- ١- ١. راجع: «الخصال» ج ١ ص ٢٧٧ الحديث ٢٠، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٦٤ ص ٢٣، «تفسير القمّي» ج ٢ ص ١٠٣، «روضة الواعظين» ج ٢ ص ٢٩١.
 - ٢- ٢. المصدر: _ إلى.
 - ٣- ٣. كريمه ١٧ محمّد.
 - ٤- ٤. كريمه ٢٨ الرعد.
 - ٥- ٥. كريمات ٣٠، ٢٩، ٢٨، ٢٧ الفجر.

وجودهم إلى نور تجلّى صفته القديمه لهم ليبقيهم به؛ كقوله _ تعالى _ : «إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْنَاهُمْ هُدًى * وَ رَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا» (١) _ ... الآية _ . نسبهم إلى الفتوة لما خطرُوا بأرواحهم فى طلب الحقّ و آمنوا بالله و كفروا بطاغوت دقيانوس، فما تقرّبوا إلى الله بقدم الفتوة تقرّب إليهم بمزيد العناية.

قال: «و زِدْنَاهُمْ هُدًى» تحقيقاً لقوله: «من قرّبنى شبراً قرّبتّه ذراعاً» (٢). فلما تنوّرت أنفسهم بأنوار أرواحهم اطمأنت إلى ذكر الله و آنست به و استوحشت عن صحبه أهل الدنيا و ما فيها، و أحبّوا الخلوه مع الله؛ فقال أكبرهم و أشيخهم: «وَ إِذْ اعْتَرَلْتُمُوهُ وَ مَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ» (٣)، فأووا إلى الغار ليخلوا مع الله و يطلبوه، فإذا قاموا عن وجودهم و بذلوا جهدهم فى طلبه و مشوا إليه استقبلهم بجوده هرولّه، فبدّل أوصافهم بالطفاه؛ كما قال: «وَ رَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ»، أى: أفنيانهم عنهم بنا بنشر رحمتنا عليهم. و «النشر» هو: الإحياء، فأفناهم عنهم و أبقاهم به. و هو الولاية التى يكرّم الله _ تعالى _ بها خواصّ عباده إذ يخرجهم من ظلمات وجودهم إلى نور جوده بعد تربيتهم بالرفق.

و أنامهم _ نومه العروس! _ بعزل الحواسّ لتصفية القلب و الفراغ بالكليّة إلى الحقّ عن الدنيا، لئلا تتأذى نفوسهم بنصب الرياضه و تعب المجاهده.

«وَ نُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَ ذَاتَ الشِّمَالِ»، أى: من صفات أصحاب الشمال إلى صفات أصحاب اليمين؛

«وَ كُلُّهُمْ بِاسِطٍ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ»: لايزاحمهم بالدواعى الحيوانيه حتّى تمّت مدّه تربيتهم فى تبديل الأوصاف البشريّه بأخلاق الربوبيّه. و من علامه هذا المقام الذى يصل

ص : ٥٥٨

١-١. كريمتان ١٤، ١٣ الكهف.

٢-٢. لم أعثر عليه بألفاظه، و انظر: «مستدرک الوسائل» ج ٥ ص ٢٩٧ الحديث ٥٩٠٩، «بحار الأنوار» ج ٣ ص ٣١٣، «شرح نهج البلاغه» ج ١٠ ص ١٥٤.

٣-٣. كريمه ١٦ الكهف.

إليه خَلَصَ عبادالله الكرام ما أظهره الله عليهم للإحترام هيبه من آثار صفات جلاله، كما قال _ سبحانه _ : «لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَ لَمَلَّيْتَ مِنْهُمْ رُغْباً» (١).

فاغتنم ما ذكرناه لك في هذا المقام؛ فإنه عزيز المرام!.

فلنرجع إلى المتن؛ فنقول: قوله _ عليه السلام _ : «والمعوذتين» بكسر الواو، و هما: سورة الفلق و سورة الناس. سميتا بذلك لأن جبرئيل _ عليه السلام _ كان عوذ بهما النبي _ صلى الله عليه و آله و سلم _ حين وعك. القمى (٢) عن الصادق _ عليه السلام _ قال: «كان سبب نزول المعوذتين أنه وعك رسول الله _ صلى الله عليه و آله و سلم _ ، فنزل عليه جبرئيل بهاتين السورتين فعوذ بهما»؛

و في المجمع (٣) ما يقرب منه؛

و عن الصادق _ عليه السلام _ أنه سئل عن المعوذتين: «أ هما من القرآن؟

فقال: نعم!، هما من القرآن؛

فقال الرجل: ليستا من القرآن في قراءة ابن مسعود و لا في مصحفه!

فقال _ عليه السلام _ : أخطأ ابن مسعود _ أو قال: كذب _ ، هما من القرآن!

قال الرجل: فأقرأ بهما في المكتوبه؟

قال: نعم!. و هل تدري ما معنى المعوذتين؟ و فى أى شىء أنزلتا؟ ان رسول الله _ صلى الله عليه و آله و سلم _ سحره لييد بن أعصم اليهودى.

فقال أبوبصير: و ما كان ذا؟ و ما عسى أن يبلغ من سحره؟

قال الصادق _ عليه السلام _ : بلى! كان النبي _ صلى الله عليه و آله و سلم _ يرى أنه يجمع و ليس يجمع، و كان يريد الباب و لا يبصره حتى يلمسه بيده!؛ و السحر حق _ ...

ص : ٥٥٩

١- ١. كريمه ١٨ الكهف.

٢- ٢. راجع: «تفسير القمى» ج ٢ ص ٤٥٠، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٨٩ ص ٣٦٣.

٣- ٣. راجع: «مجمع البيان» ج ١٠ ص ٤٩٢.

و في الكافي (٢) عن الصادق _ عليه السلام _ : «إِنَّ جبرئيل _ عليه السلام _ أتى النبي _ صَلَّى الله عليه و آله و سلم _ فقال: يا محمد!

قال: لبيك يا جبرئيل!

قال: إِنَّ فلاناً سحرَكَ و جعل السحر في بئر بني فلانٍ، فابعث إليه _ يعني: البئر _ أوثق الناس عندك و أعظمهم في عينك و هو عدل نفسك، حتّى يأتيك بالسحر.

قال: فبعث النبي _ صَلَّى الله عليه و آله و سلم _ عليّ بن أبيطالب _ عليه السلام _ و قال: انطلق إلى بئر ازدان فإنّ فيها سحراً سحرني به لبيد بن أعصم اليهودي، فاتني به.

قال _ عليه السلام _ : فانطلقت في حاحه رسول الله _ صَلَّى الله عليه و آله و سلم _ فهبطت، فإذا ماء البئر صار كأنه الحناء من السحر، فطلبته مستعجلاً حتّى انتهيت إلى أسفل القيب فلم أظفر به. قال الذين معي: ما فيه شيء، فاصعد!

فقلت: لا و الله! ما كذبت و لا كذب _ يعني رسول الله _ صَلَّى الله عليه و آله و سلم _ . ثم طلبت طلباً بلطفٍ فاستخرجت حقاً، فأتيت النبي _ صَلَّى الله عليه و آله و سلم _ فقال: إفتحه!، ففتحته و إذا في الحقه قطعه كرب النخل في جوفه وترّ عليها إحدى عشره عقده، و كان جبرئيل _ عليه السلام _ أنزل يومئذ المعوذتين على النبي _ صَلَّى الله عليه و آله و سلم _ . فقال النبي _ صَلَّى الله عليه و آله و سلم _ : يا عليّ! إقرأهما على الوتر،

فجعل أمير المؤمنين _ عليه السلام _ كلما أقرأ آية انحلت عقده حتّى فرغ منها و كشف الله _ عزّ و جلّ _ عن نبيه ما سحر به و عافاه؛

و روت العامه ما يقرب من ذلك (٣).

ص : ٥٦٠

١- ١. راجع: «مستدرک الوسائل» ج ١٣ ص ١٠٩ الحديث ١٤٩١١، «بحار الأنوار» ج ٦٠ ص ٢٤، «طب الأئمه» ص ١١٤.

٢- ٢. لم أعثر عليه في «الكافي»، و انظر: «طب الأئمه» ص ١١٣، «بحار الأنوار» ج ٩٢ ص ١٢٥.

٣- ٣. راجع: «تفسير ابن كثير» ج ٤ ص ٥٧٥، «نواذر الأصول» ج ١ ص ٦٨، «فتح الباري» ج ١٠ ص ٢٢٥.

و روى أيضاً أنّ جبرئيل أتاه و قال: «إنّ عفريتاً من الجنّ يكيدك!، فقل إذا أتيت فراشك: «أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ»(١)، «أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»(٢)»(٣).

اعلم! أنّ السحر إظهار أمرٍ خارق العاده من نفسٍ شريره خبيثه بواسطه مباشره أعمالٍ مخصوصه يجب فيه التعلّم و التعليم؛ و بهذين الاعتبارين يفارق المعجزه و الكرامه؛

و بأنّه لا يكون بحسب اقتراح المعترضين؛

و بأنّه يختصّ ببعض الأزمنه و الأماكن أو الشرائط؛

و بأنّ صاحبه ربّما يعلّق بالفسق و يتّصف بالرجس فى الظاهر و الباطن، و الخزى فى الدنيا و الآخره؛ ... إلى غير ذلك من وجوه المفارقة.

و هو عند أهل الحق جائز عقلاً ثابت نقلاً، و كذا الإصابه بالعين؛ و هو أمرٌ له حقيقه.

و قال المعتزله: بل هو مجرّد إرادته ما لاحقيقه له _ كالشعبده(٤) _ .

و عن عقبه بن عامر قال: «قال رسول الله _ صلى الله عليه وآله و سلم _ : أنزلت على آياتٍ لم ينزل مثلهنّ: المعوذتان»(٥)؛

و عنه قال: «قال لى رسول الله _ صلى الله عليه وآله و سلم _ : يا عقبه! ألا أعلمك سورتين هما أفضل القرآن _ أو: من أفضل القرآن _ ؟!

قلت: بلى يا رسول الله!؛ فعلمنى المعوذتين. ثم قرأ بهما فى صلاه الغداه و قال لى: إقرأهما كلّما قمت و نمت!»(٦)؛

و روى عبدالله بن سنان عن أبى عبدالله _ عليه السلام _ قال: «إذا قرأت «قُلْ أَعُوذُ

ص : ٥٦١

١- ١. كريمه ١ الفلق.

٢- ٢. كريمه ١ الناس.

٣- ٣. لم أعثر عليه، و انظر: «بحار الأنوار» ج ١٦ ص ٢٥٣، «مكارم الأخلاق» ص ٣٨.

٤- ٤. و انظر: «رسائل إخوان الصفا» ج ٤ صص ٣١٢، ٢٨٣، «المباحث المشرقيه» ج ٢ ص ٢٢٤.

٥- ٥. لم أعثر عليه، لا فى مصادرنا و لا فى مصادر العامه.

٦- ٦. راجع: «مجمع البيان» ج ١٠ ص ٤٩١، «مستدرک الوسائل» ج ٤ ص ٢٩٦ الحديث ٤٧١٦.

بِرَبِّ الْفَلَقِ» فقل في نفسك: أعوذ برَبِّ الفلق، و إذا قرأت «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» فقل في نفسك: أعوذ برَبِّ الناس»(١)؛

و روى أيضاً أنّ رسول الله _ صلى الله عليه و آله و سلم _ يعوذ الحسنين _ عليهما السلام _ بهاتين السورتين من إصابه العين(٢).

و هو حق؛

أمّا عقلاً: فلجواز أن يحدث الله _ تعالى _ عند النظر و الإعجاب بشيءٍ نقصاً فيه و خللاً من بعض الوجوه؛ و يكون ذلك ابتلاءً من الله لعباده و امتحاناً و تنبيهاً لهم حيث اشتغلوا بغيره عنه طرفه عين، و عدّوه حسناً غير معيب.

و قيل: «تمتدّ من العين إلى الشخص خطوطٌ شعاعيّةٌ و أجزاء فتتصل بالشخص المستحسن فتؤثّر فيه سريان السمّ»؛

و قيل: «رؤيه الشيء المستحسن إمّا أن يكون الرائي محبّاً أو حاسداً، و كلا- الأمرين يوجب انحصار الروح في القلب، فحينئذٍ يستحسن الروح و القلب جدّاً و يتكيف الروح التي في الباصرة بكفّيته حارّه فيتصل شعاعها إلى الشيء المستحسن فيؤثّر فيه»؛

و قيل: «بل المؤثّر هي القوى النفسانيّة على ظاهره الأثر كالمشي على خشبه بين جدارين، فأنّه يغلب عليه الوهم فيسقط، و كذا الساكن بالليل في حجره مظلمه فيها ميّت، فأنّه يغلب عليه الوهم فينهزم؛ بخلاف ما لو كان ماشياً على الأرض، مع أنّ الإنسان لا يحتاج عند المشي إلى أكثر من موضع قدميه، و الساكن يفرّ من الميّت مع علمه بأنّه كالجماد الذي لا يضرّ و لا ينفع. و كذلك الإنسان إذا رأى شيئاً مؤذياً فتأذى منه فأنّه يحصل في قلبه غضبٌ و يسخن مزاجه، فمبدأ تلك السخونه هو تصوّر النفسانيّ الحاصل في القلب من ذلك المؤذى. و إذا ثبت أنّ ذلك تصوّر أثر في ذلك البدن تلك السخونه فلايبعد أن يكون بعض

ص : ٥٦٢

١- ١. راجع: «بحار الأنوار» ج ٦٠ ص ٢٤٦.

٢- ٢. لم أعثر عليه، و انظر: «المصباح» _ للكفعمي _ ص ٢٢٠.

النفوس أقوى و أشدّ تأثيراً، فيسرى فعلها و أثرها إلى غير ذلك البدن أيضاً عند استحسانه و الإعجاب به.

و أما نقلاً؛ فأكثر المفسرين (١) حمل قول يعقوب _ على نبينا و عليه السلام _ لنبينه: «يَا بَنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَ ادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ» (٢) على أنّه إنّما أمرهم بذلك لما خاف عليهم العين، فإنهم كانوا ذوى جمالٍ و هيئته.

و قال النبى _ صَلَّى الله عليه و آله و سلّم _ : «العين حقٌّ!» (٣)؛

و قد قال _ صَلَّى الله عليه و آله و سلّم _ : «العين تدخل الرجل فى القبر و الجمل القدر» (٤).

و ذهب كثيرٌ من المفسرين إلى أنّ قوله _ تعالى _ : «وَ إِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا» (٥) _ ... الآية _ نزل فى ذلك (٦)؛ و قالوا: كان العين فى بنى أسد، فالتمس الكفار منهم أن يصيبوا رسول الله _ صَلَّى الله عليه و آله و سلّم _ بالعين (٧).

و بالجلمه أصابه العين مشاهدٌ محسوسٌ قد جُزِبَ مراراً كثيرة؛ فليتوسّل لرفع السحر و أصابه العين بالأدعية المأثورة؛

منها: لإبطال السحر، روى أنّه يقرء هذه الأسماء مائةً و عشرين مرّة: «يا مبطل السحر! يا مزيل العسر! يا فتّاح! يا فعّال! يا الله! _ بوصل الهمزة و مدّ اللام _ ، ثم يقول: يا مبطل السحر! ابطل السحر عَنّى، و يامزيل العسر! أزل عَنّى عسره، و يا فتّاح! افتح عَنّى عقده، يا

ص : ٥٦٣

١- ١. كابن عباس و الحسن و قتاده و الضحاك و السدى و أبيمسلم، راجع: «مجمع البيان» ج ٥ ص ٤٢٨.

٢- ٢. كريمه ٦٧ يوسف.

٣- ٣. راجع: «مستدرک الوسائل» ج ٨ ص ١٢٠ الحديث ٩٢١٠، «بحار الأنوار» ج ٦٠ ص ٩، «الجعفریات» ص ١٦٨، «دعائم الإسلام» ج ٢ ص ١٤١.

٤- ٤. راجع: «بحار الأنوار» ج ٦٠ ص ٢٦، و انظر: «جامع الأخبار» ص ١٥٧، «مكارم الأخلاق» ص ٣٨٦.

٥- ٥. كريمه ٥١ القلم.

٦- ٦. راجع: «مجمع البيان» ج ١٠ ص ١٠٠.

٧- ٧. راجع: «تفسير القرطبي» ج ١٨ ص ٢٥٤.

فَعَالَ! إِفْعَل بى ما يَصْلِحُنِي مِنْهُ؛ ثُمَّ يَقْرَأُ الْأَرْبَعَةَ الْأَسْمَاءَ مَاءً وَ عَشْرِينَ مَرَّةً أَيْضاً. وَ لِيَصِلَّ عَلَى النَّبِيِّ وَ آلِهِ _ عَلَيْهِمُ السَّلَام _ أَوَّلًا وَ آخِرًا، فَإِنَّ ذَلِكَ شَرْطٌ فِيهِ أَيْضاً»(١).

وَ كَتَبَ الشَّيْخُ الْعَلَّامُ بِهِاءَ الدِّينِ الْعَامِلِيُّ _ رَحِمَهُ اللَّهُ _ رَقْعَةً إِلَى سُلْطَانِ الْعِجَمِ _ : الشَّاهِ عَبَّاسُ الصَّفْوِيُّ _ بِالْفَارْسِيِّ، هَذَا مَعْنَاهُ بِالْعَرَبِيِّ: «يَنْهَى إِلَى الْعَرَضِ الْأَشْرَفِ: أَنَّ الدُّعَاءَ الَّذِي يَكْتُبُ لِإِبْطَالِ السِّحْرِ فِي الْكَفِّ الْيَمْنِيِّ مِنَ الْمَسْحُورِ بِتَرَابِ الْكَرْبَلَاءِ وَ مَاءِ مَطَرِ نَيْسَانَ، وَ هُوَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، يَا مَنْ أَذَلَّ السِّحْرَ بِاعْجَازِ مُوسَى _ عَلَيْهِ السَّلَام _ لَمَّا أَلْقَى «عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَغْبَانُ مُبِينٌ»(٢)، أَزَلَّ عَمَّنْ قَصْدَتِهِ سِحْرَ السِّحْرِ وَ كَيْدَ الْفَجْرِ، أَنْكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(٣).

وَ لِأَصَابِهِ الْعَيْنِ: رَوَى عَنْ الرِّضَا _ عَلَيْهِ السَّلَام _ : «إِذَا أَصَابَتْكَ عَيْنٌ فَارْفَعْ يَدَيْكَ مُحَازِيًا لَوَجْهِكَ وَ اقْرَأْ هَذِهِ السُّورَةَ: «الْحَمْدُ» وَ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» وَ «الْمُعَوِّذَتَيْنِ»، وَ أَمْرٌ كَفَّيْكَ عَلَى نَاصِيَتِكَ يَنْفَعُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»(٤).

وَ أَيْضًا لِأَصَابِهِ الْعَيْنِ قُلْ: «مَا شَاءَ اللَّهُ لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ!»(٥)؛ مَرُوءٍ عَنْ الصَّادِقِ _ عَلَيْهِ السَّلَام _ .

وَ تَسْمَى الْمُعَوِّذَتَانِ: الْمُشَقِّشَتَيْنِ؛ نَصَّ عَلَيْهِ صَاحِبُ جَمَالِ الْقُرْآنِ(٦)، وَ هُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: خَطِيبٌ مُشَقِّقٌ، تَشْبِيهًُا لَهُ بِالْفَحْلِ إِذَا شَقَّقَ وَ هَدَرَ.

وَ أَرَادَ بِـ «الْفَلَقِ»: مَا يَفْلُقُ عَنْهُ. وَ خَصَّ عَرَفًا بِالصَّبْحِ، وَ لِذَلِكَ فَتَرِّبْ بِهِ(٧). وَ فِي الْمَعَانِي(٨) عَنْ الصَّادِقِ _ عَلَيْهِ السَّلَام _ أَنَّهُ سَأَلَ عَنْ الْفَلَقِ؟، قَالَ: «صَدْعٌ فِي النَّارِ فِيهِ سَبْعُونَ أَلْفَ دَارٍ،

ص : ٥٦٤

- ١- ١. لَمْ أُعْثَرِ عَلَيْهِ.
- ٢- ٢. كَرِيمُهُ ١٠٧ الْأَعْرَافُ، ٣٢ الشُّعْرَاءُ.
- ٣- ٣. لَمْ أُعْثَرِ عَلَيْهِ، لَا فِي مَصَادِرِ التَّارِيخِ وَ لَا فِي مَا يَخْتَصُّ بِذِكْرِ أَخْبَارِهِ وَ آثَارِهِ _ رَحِمَهُ اللَّهُ _ .
- ٤- ٤. لَمْ أُعْثَرِ عَلَيْهِ أَيْضًا فِي مَصَادِرِ الْحَدِيثِ وَ التَّفْسِيرِ.
- ٥- ٥. رَاجِعْ: «الْمَصْبَاحُ» _ لِلْكَفْعَمِيِّ _ ص ٢٢٠.
- ٦- ٦. لَمْ أُتَعَرَّفْ بِهِ، وَ لَمْ أُعْثَرِ عَلَى مَصْدَرِ قَوْلِهِ.
- ٧- ٧. رَاجِعْ: «بَحَارُ الْأَنْوَارِ» ج ٨ ص ٢٧٩.
- ٨- ٨. رَاجِعْ: «مَعَانِي الْأَخْبَارِ» ص ٢٢٧ الْحَدِيثُ ١، وَ انْظُرْ: «بَحَارُ الْأَنْوَارِ» ج ٨ ص ٢٨٧.

فِي كُلِّ دَارٍ سَبْعُونَ أَلْفَ بَيْتٍ، فِي كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ أَلْفَ أَسْوَدٍ سَبْعُونَ أَلْفَ جَرَّةٍ سَمٌّ لَا بَدَّ لِأَهْلِ النَّارِ أَنْ يَمْرُوا عَلَيْهَا!»؛

وَالْقَمِيَّ (١) قَالَ: «الْفَلَقُ جَبٌّ فِي جَهَنَّمَ يَتَعَوَّذُ أَهْلُ النَّارِ مِنْ شِدَّةِ حَرِّهِ، سَأَلَ (٢) اللَّهَ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ أَنْ يَتَنَفَّسَ، فَأْذَنَ لَهُ فَتَنَفَّسَ، فَأَحْرَقَ جَهَنَّمَ! _ ... الْحَدِيثُ _».

«مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ» (٣)، خَصَّ «عَالَمَ الْخَلْقِ» بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنْهُ، لِانْحِصَارِ الشَّرِّ فِيهِ، فَإِنَّ عَالَمَ الْأَمْرِ خَيْرٌ كُلَّهُ _ كَمَا عَرَفْتَ سَابِقاً _ .

«وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ» (٤) أَيْ: مِنْ شَرِّ لَيْلٍ عَظُمَ ظَلَامُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

قِيلَ: «خَصَّ اللَّيْلَ لِأَنَّ الْمَضَارَّ فِيهِ تَكْثُرُ وَيَعْسُرُ الدَّفْعُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: اللَّيْلُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ!».

«وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ» (٥) أَيْ: مِنْ شَرِّ النُّفُوسِ _ أَوِ النِّسَاءِ _ السَّوَاحِرِ اللَّوَاتِي يَعْقِدُونَ عَقْدًا فِي خِيوطٍ وَ يَنْفُثْنَ عَلَيْهَا _ وَ «النَّفْثُ»: النَّفْخُ مَعَ رِيْقٍ _ .

«وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ» (٦) أَيْ: إِذَا أَظْهَرَ حَسَدَهُ وَ عَمَلَ بِمَقْتَضَاهُ، فَإِنَّهُ لَا يَعُودُ ضَرَرُهُ مِنْهُ قَبْلَ ذَلِكَ إِلَى الْمَحْسُودِ، بَلْ يَخْتَصُّ بِهِ لَاغْتِمَامُهُ بِسُرُورِهِ.

قِيلَ: «خَصَّ الْحَسَدَ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنْهُ، لِأَنَّهُ الْعَمْدَةُ فِي الْإِضْرَارِ» (٧).

أَقُولُ: قَدْ مَرَّ أَنَّ كُلَّ مَا حَدَثَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْشَأُ الْحَسَدِ!

وَقَالَ بَعْضُ الْعُرَفَاءِ: «أَيُّهَا الْمَعُوذُ مِنْ شَرِّ الْقَوَى الْقَالِبِيَّةِ وَ النَّفْسِ الْمُرْدِيَةِ الْمُؤْذِيَةِ الْمَغْوِيَةِ!، قُلْ «أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ» إِذَا دَخَلْتَ عَالَمَ الْقَلْبِ وَ النَّفْسِ الْمَظْلَمَةَ بِظُلُمَاتِ الْهَوَى، يَعْنِي: أَسْتَعِيزُ بِرَبِّ الْفَلَقِ _ وَ هُوَ طُلُوعُ صَبْحِ الْقَلْبِ مِنْ أَفْقِ النَّفْسِ _ «مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ» مِنْ الْقَوَى الْقَالِبِيَّةِ وَ النَّفْسِيَّةِ فِي هَذَا الْعَالَمِ الظُّلْمَانِيِّ الْكَبِيرِ الْمَمَالِكِ؛ «وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ»

ص : ٥٦٥

١-١. راجع: «تفسير القمّي» ج ٢ ص ٤٤٩، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٣٠ ص ٤٠٦.

٢-٢. المصدر: فسأل.

٣-٣. كريمه ٢ الفلق.

٤-٤. كريمه ٣ الفلق.

٥-٥. كريمه ٤ الفلق.

٦-٦. كريمه ٥ الفلق.

٧-٧. وانظر: «تفسير القرطبي» ج ٢٠ ص ٢٥٩.

أى: من شرّ ظلمات الهويّة التي وقبت عند اشتغال قوّه من القوى إلى استيفاء شهواتها في عالمها بالهوى؛

«وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ» أى: و من شرّ الخواطر الطاريه على النفس من نفث الشيطان في عقد عقيدتها المستحكمه بهواها المستودعه تحت حجر القلب في بئر طبيعتها؛

«وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ» أى: من شرّ قوّه حسديّه نفسيّه حسدت على القوّه القلبيّه عند انبعاثها وقت طلوع الفلق. و هذه الاستعاذه واجبه على القوّه اللطيفه القالبيّه حين سلوكها و وصولها إلى أفق القلب في عالم النفس؛

و أيضاً واجبه على اللطيفه السريّه السائره الواصله إلى أفق الخفيّ في عالم الروح؛

و أيضاً واجبه على اللطيفه الخفيّه حين تجلّى اللطيفه الخفيّه على لطيفه أنانيّتها، وقوله _ صَلَّى الله عليه و آله و سلّم _ : «اللّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْكَ»^(١) إشارة إلى هذا المقام؛ انتهى.

أقول: قد ذكرنا لك سابقاً أنّ المراد من النهار: الوجود، و من الليل: المهيّه؛ فنقول في تفسير هذه السوره: «أَعُوذُ بِرَبِّ» فالق ظلمه ليل المهيّه بنور الوجود، و هذا يعمّ عالم الأمر و الخلق. و خصّ عالم الخلق بالاستعاذه منه، لانحصار الشرّ فيه _ إذ المادّه لا تحصل إلّا هناك _ .

و تخصيص «الرّب» بالذكر دون باقى أسمائه _ تعالى _ ، لأنّ فيه إشارة إلى المادّه التي هي منبع الظلمه و الشرّ و الآفه، فإنّ «الرّب» في الأصل _ على ما عرفت سابقاً _ بمعنى التربيّه، و هي: تبليغ الشىء إلى كماله شيئاً فشيئاً.

«وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ» أى: من شرّ ليل المهيّه إذا دخل ظلامه في كلّ شىءٍ من الأمور الماديّه. و لا يخفى أنّ ظلمه ليل المهيّه تمّت في الهولي و الأمور الماديّه، و أنّ فيه تأكيداً للسابق.

ص : ٥٦٦

١ - ١. راجع: «الأمالي» _ للطوسي _ ص ١٥٨ الحديث ٢٦٥، «بحار الأنوار» ج ٨٣ ص ١٣٤، «مستدرک الوسائل» ج ٥ ص ٨٩ الحديث ٥٤١٠.

«وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ» أى: من شرّ قوّه المتخيّله و الواهمه الساحره الّتى تعقد عقداً فى خيوط التسويل و نفثت عليها، لأنّ السحر و الشيطنه يحصل للنفس الإنسانّيّه فى مرتبه التخيّل و التوهّم، لا فى مرتبه التعقّل.

«وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ» أى: شرّ حاسدٍ هى القوّه الوهميّة حسدت على القوّه العقليّه عند انبعاثها وقت طلوع الفلق.

و فى سورة الناس: «مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ» (١) يعنى: الموسوس؛ عبّر عنه بـ «الْوَسْوَاسِ»، مبالغةً للخَنَّاس الَّذِى عَادَتُهُ أَنْ يَخْنَسَ — أى: يتأخّر إذا ذكر الإنسان ربّه — . القمّى (٢): «الخَنَّاس: اسم الشيطان الَّذِى يوسوس فى صدور الناس إذا غفلوا عن ذكر ربّهم من الجنّه».

و «النَّاس» بيانٌ للـ «وَسْوَاسِ». فى الكافى (٣) و العياشى (٤) عن الصادق — عليه السلام — قال: «ما من مؤمنٍ إلّا و لقلبه أذنان فى جوفه، أذنٌ ينفث فيها الوسواس الخَنَّاس، و أذنٌ ينفث فيها الملك فيؤيّد الله المؤمن بالملك، فذلك قوله: «وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ» (٥) و ألقى عنه (٦). ما من قلبٍ إلّا— و له أذنان؛ على إحداهما ملكٌ مرشدٌ، و على الأخرى شيطانٌ مفتنٌ، هذا يأمره و ذا يزره!». كذلك من الناس شيطانٌ يحمل الناس على المعاصى كما عمل الشيطان من الجنّ».

قال بعض العرفاء: «المراد بـ «رَبِّ النَّاسِ» هو الذات مع جميع الصفات، لأنّ الإنسان

ص : ٥٦٧

-
- ١- ١. كريمة ٤ الناس.
 - ٢- ٢. لم أعثر عليه فيه، و فيه: «الخَنَّاس اسم الشيطان الَّذِى هو فى صدور الناس يوسوس فيها»؛ راجع: «تفسير القمّى» ج ٢ ص ٤٥٠.
 - ٣- ٣. راجع: «الكافى» ج ٢ ص ٢٦٧ الحديث ٣، و الظاهر أنّ هذا الحديث الَّذِى رواه المصنّف هو حصيله تركيب الحديثين، أحدهما ما ذكرنا مأخذه، و الثانى ما رواه فى نفس المصدر ج ٢ ص ٢٦٦ الحديث ١، فراجعهما.
 - ٤- ٤. لم أعثر عليه فيه.
 - ٥- ٥. كريمة ٢٢ المجادله.
 - ٦- ٦. كذا فى النسختين.

هو الكون الجامع لجميع مراتب الوجود، و هو الذات باعتبار جميع الأسماء بحسب البدايه المعبر عنها بالله؛ و لهذا قال الله _ تبارك و تعالى _ : «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِإِيدِي» (١)، أى: بالمتقابلتين من الصفات _ كاللطف و القهر، و الجمال و الجلال الشاملين بجميعها _ ؛ تعوذ بوجهه بعد ما تعوذ بصفاته. و لهذا تأخرت هذه السوره من الأولى، إذ فيها تعوذ من مقام الصفات باسمه الهادى، فهدها إلى ذاته.

ثم بين «رَبِّ النَّاسِ» ب _ : «مَلِكِ النَّاسِ» _ على أنه عطف بيان _ لأَنَّ الملك هو الذى يملك رقابهم و أمورهم باعتبار حال فنائهم فيه، من قوله: «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ» (٢). فالملك بالحقيقه هو الواحد القهَّار الذى قهر كل شىء بظهوره.

ثم عطف عليه «إِلَهِ النَّاسِ» لبيان حال بقائهم بعد الفناء، لأنَّ الإلاه هو المعبود المطلق، و ذلك هو الذات مع جميع الصفات باعتبار النهايه. استعاذ بجنابه المطلق ففنى فيه، فظهر كونه ملكاً؛ ثم رده إلى الوجود لمقام العبوديه، فكان معبوداً دائماً. ضم استعاذته به من شر الوسواس، لأنَّ الوسوسه تقتضى محلاً وجودياً _ كما قال: «الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ» (٣) _ و لا وجود فى حال الفناء، فلاصدور و لاوسواس و لاوسوس، بل إن ظهر هناك تلويح بظهور الأنانيه فقل: أعوذ منك؛ فلما صار معبوداً بوجود العابد ظهر الشيطان بظهور العبد كما كان أولاً موجوداً بوجوده.

و «الوسواس»: اسم للوسوسه، سمى به الموسوس لدوام وسوسته كأن نفسه وسواس! و إنما استعاذ منه ب _ «الإلاه» دون بعض أسمائه _ كما فى السوره الأولى _ ، لأنَّ الشيطان هو الذى تقابل الرحمن و يستولى على الصورة الجمعيه الإنسانيه و يظهر فى صور جميع الأسماء و يتمثل بها، إلا - بالله و الرحمن؛ فلم يكف الاستعاذه منه بالهادى و العليم و القدير _ ... و غير ذلك _ ؛ فلهذا لما تعوذ من الاحتجاب و الضلاله تعوذ «بِرَبِّ الْفَلَقِ»، و ههنا تعوذ «بِرَبِّ

ص : ٥٦٨

١- ١. كريمه ٧٥ صآ.

٢- ٢. كريمه ١٦ غافر.

٣- ٣. كريمه ٥ الناس.

النَّاسِ». و من هذا يفهم معنى قوله _ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ _ : «من رَأَى فقد رأى الحقَّ، فإنَّ الشيطان لا يتمثل بى فى المنام!»(١).

و «الخناس» أى: الرخايع، لأنَّه لا يوسوس إلّا مع الغفله؛ و كلّما تتبّه العبد و ذكر الله خنس، فالخنوس عادة له _ كالوسواس _ .
عن سعيد بن جبیر: «إذا ذكر الإنسان ربّه خنس الشيطان و ولّى، و إذا غفل وسوس إليه»(٢).

و قوله: «مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ»(٣) بيانٌ للذى يوسوس، فإنّ الموسوس من الشياطين جنسان:

جنّ غير محسوس، كالوهم؛

و إنسى، كالمضلين من أفراد الناس؛ إمّا فى صوره الهادى _ كقوله تعالى: «إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ»(٤) _ ؛

و إمّا فى صوره غيره من صور الأسماء. فلا تتم أيضاً الاستعاذه منه إلّا بالله؛ و الله العاصم؛ انتهى.

و قال الشيخ الرئيس فى تفسير سوره الفلق ما حاصله: «أنّ فالق ظلّمه العدم بنور الوجود هو واجب الوجود، و الشرور غير لازمٍ منه أولّاً- فى قضائه، بل ثانياً و فى قدره. فأمر بالاستعاذه برّب الفلق من الشرور اللازمه من الخلق؛ فقال: فالق ظلّمه العدم بنور الوجود هو المبدء الأوّل الواجب الوجود لذاته، و ذلك من لوازم خيريته المطلقة فى هويّته بالقصد الأوّل. و أوّل الموجودات الصادرة عنه هو قضاؤه، و ليس فيه شرٌّ أصلاً إلّا ما صار مخفياً تحت سطوع نور الأوّل _ و هو الكدوره اللازمه لماهيته المنشأ من هويّته _ . ثمّ بعد

ص : ٥٦٩

١- ١. راجع _ مع زياده _ : «روضه الواعظين» ج ١ ص ٢٣٣، «الصراط المستقيم» ج ٢ ص ١٥٥، «كتاب سليم بن قيس» ص ٨٢١، «كشف الغمّه» ج ٢ ص ٥٧.

٢- ٢. لم أعثر عليه، و قريبٌ منه ما روى عن رسول الله _ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ _ ، راجع: «مجمع البيان» ج ١٠ ص ٤٩٨، و انظر أيضاً: «تفسير القرطبي» ج ٢٠ ص ٢٦٣.

٣- ٣. كريمه ٦ الناس.

٤- ٤. كريمه ٢٨ الصافات.

ذلك تتأذى الأسباب بمصادمتها إلى شرورٍ لازمٍ عنها و نفوذ قضائه _ و هو المسبب الأول _ فى معلولاته هو قدره و خلقه؛
فلذلك قال: «مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ». جعل «الشَّرَّ» فى ناحيه الخلق و التقدير، فإنَّ ذلك الشرَّ لا ينشأ إلا من الأجسام ذوات التقدير.

و أيضاً: فلمّا كانت الأجسام من قدره لا من قضائه و هى منبع الشرِّ من حيث أنّ المادّة لا تحصل إلا هناك، لاجرم جعل الشرَّ مضافاً إلى ما خلق.

ثمَّ أنّه _ تعالى _ قدّم الانفلاق على الشرِّ اللازم ممّا خلق، من حيث أنّ الانفلاق _ و هو إفاضه نور الوجود على الماهيّات الممكنة _ سابقٌ على الشرور اللازمه من بعضها، فلذلك قال: الخير مقصودٌ من القصد الأول و الشرُّ بالقصد الثانى. و بالجملة فى هذه السوره يبيّن كيفيّة الإستعاذه بالمبدء الأول _ و هو مبدء الانفلاق، أى: المبدء للوجود _ ؛ و يبيّن كيفيّة دخول الشرِّ فى تقديره و دخوله فى القضاء الإلهيّ بالعرض و القصد الثانى، لا بالذات و القصد الأول»(١).

و فى تفسير سوره الناس ما حاصله: «إنَّ الربوبيّة عبارة عن التريه، و التريه إشارة إلى تسويه المزاج؛ فإنَّ الإنسان لا يوجد ما لم يستعدّ البدن له. فأوّل الدرجات هو التريه بتسويه المزاج؛ ثمَّ بعده التريه بالقهر و الغلبه لقواه النباتيه و الحيوانيه لنفسه الناطقه الروحانيّه الشريفه، فسوى له المزاج؛ ثمَّ جعله مقهوراً للنفس الناطقه ثانياً و هو بحسب ذلك ملكٌ مطلقٌ _ إذ يملك تفويض تدبير البدن إلى النفس _ ؛ ثمَّ تصير النفس بعد ذلك مشتاقّةً بجوهرها إلى الاتّصال بتلك المبادئ المفارقة و العكوف على قربها و ملازمه حضرتها، و ذلك الشوق _ الثابت فى جبلّته، الحاصله فى غريزته _ تحملها على الطلب على أن يكون دائم التضرّع إلى تلك المبادئ فى أن يفيض عليها شيئاً من تلك الجلاله القدسيّه، إمّا بواسطه جزعاتٍ عقليّه؛

ص : ٥٧٠

١ - ١. هذا _ كما صرّح به المصنّف _ حاصل كلام الشيخ الرئيس، راجع: «تفسير سوره الفلق» _ المطبوع بهامش «شرح» صدر المتألّهين على الهدايه الأثيريّة _ ص ٣١٢.

أو إنتقالِيهِ إن كانت نفسه عقلاً بالملكه.

و عند الاستعانه بالقوى الباطنه و تمزيج صورتها و معانيها و تحريكها أنواعاً من الحركات بحسب ما يستعدّ لقبول الفيض. و كلّ ذلك عباداتٌ صارت منها في تلك المبادئ، فتصير النفس في هذه الدرجه متعبدهً و تلك المبادئ معبوده؛ و الإلاه هو المعبود، فإنّ لكلّ المبادئ أسامى بحسب كلّ وقتٍ. فالاسم الأوّل بحسب تكوّن المزاج الربّ؛ و الثانى بحسب فيض النفس هو الملك؛ و الثالث بحسب شوق النفس هو الإلاه؛ و ههنا انتهت درجات أصناف التعلّقات بين المبادئ و النفوس^(١)؛ انتهى كلامه.

قوله _ عليه السلام _ : «وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»^(٢) يعنى: إلى آخر السوره.

و «هو» ضمير الشأن _ كقولك: هو زيدٌ منطلقٌ _ . و مرفوعٌ بالإبتدائيّه. و خبره الجملة بعده. و لاجاهه إلى العائد، لأنّها عين الشأن الذى عبّر عنه بالضمير، فهى هو.

و السّرّ فى تصدير الجملة به: التنبيه من أوّل الأمر على فخامه مضمونها _ كما مرّ بيانه فيما سبق _ .

و قيل: «هو ضميرٌ عائِدٌ إلى المسؤل، لما روى أنّ قريشاً قال: «صف لنا ربّك الذى تدعوننا إليه و انسبه!» فتزلت^(٣)؛ أى: الذى سألتهم عنه هو الله. فالضمير مبتدئ؛

و «الله» خبره؛

و «أحدٌ» بدلٌ منه؛ أو خبر ثانٍ؛ أو خبر مبتدئٍ محذوفٍ.

لمعه عرشِيّه

ص : ٥٧١

١- ١. راجع _ مع تغييراتٍ واسعه _ : «تفسير سوره الناس» _ المطبوع بهامش «شرح» صدر المتألّهين على الهدايه الأثيريه _ ص ٣١٨.

٢- ٢. كريمه ١ الأخلاص.

٣- ٣. راجع: «تفسير الطبري» ج ٣٠ ص ٣٤٣، و انظر أيضاً: «تفسير الجلالين» ج ١ ص ٣٣، «مجمع البيان» ج ١٠ ص ٤٧٩.

اعلم! أنّ «الهُوَ» المطلق هو مرتبه غيب الحقّ التي لا اسم ولا رسم ولا حدّ له، ولا برهان عليها ولا إشارة؛ ولا يمكن شرحها إلاّ بلوازمها — كما مرّ غير مرّة — .

وقال الشيخ الرئيس في تفسير هذه السوره بما ملخصه: «انّ «الهُوَ» المطلق هو الذي لا تكون هويّته موقوفه على غيره، فانّ كلّ ما كان هويّته مستفاده من غيره فمتى لم يعتبر غيره لم يكن هو هو، وكلّما كانت هويّته بذاته — سواء اعتبر غيره أو لم يعتبر — فهو هو.

لكن كلّ ممكن فوجوده من غيره، وكلّما كان وجوده من غيره فخصوصيّته وجوده من غيره، وذلك هو الهويّته؛ فإذا كلّ ممكن فهو هويّته من غيره؛ فالذي تكون هويّته لذاته هو واجب الوجود.

و أيضاً: فكلّ ما كانت ماهيّته مغايرة لوجوده كان وجوده من غيره، فلا تكون هويّته ماهيّته لنفس ماهيّته، فلا يكون هو هو لذاته. لكن المبدء الأوّل هو هو لذاته، فإذا وجوده نفس ماهيّته، فانّ واجب الوجود هو الذي لا إلّاه إلّا هو؛ أي: ليس كلّ ماعداه من حيث هو هو — بل هويّته من غيره — ، و واجب الوجود هو الذي لذاته هو هو؛ بل ذاته أنّه هو، لا غير! فمبدء الموجودات كلّها هو الذي ذاته أنّه هو. وكلّما يكون ماهيّته عين هويّته و حقيقته نفس تعينه، فلا اسم له ولا رسم ولا حدّ، ولا يمكن شرحه إلّا بلوازمه التي يكون بعضها إضافيّة وبعضها سلبيّة.

و الأكمل في التعريف هو اللازم الجامع لذينك النوعين جميعاً، وهو كون تلك الهويّته إلّاهاً، فانّ الإلّاهيّة يقتضى أن ينسب إليه غيره ولا ينسب هو إلى غيره؛ والمعنى الأوّل إضافيّ؛ والثاني سلبيّ؛ فلا جرم ذكر «اللّه» عقيب قوله لأنّ يكون كالشرح و كالكاشف عمّا دلّ عليه لفظ «هو».

ثمّ انّ الذي لا سبب له وإن لم يكن تعريفه بالحدّ، إلّا أنّ البسيط الذي لا سبب له هو مبدء الأشياء كلّها على سلسله الترتيب النازل من عنده طولاً — و عرضاً؛ فمن البين أنّ ما هو أقرب المجعولات إليه — بل اللازم الأقرب المنبعث عن حاقّ الملزوم — إذا وقع التعريف به كان أشدّ تعريفاً من غيره. و أقرب اللوازم له كونه واجب الوجود غتياً عن ما سواه، و كونه مبدء

للكلّ و مفتقراً إليه الجميع؛ و مجموع هذين اللّازمين هو معنى الإلهيّة؛ فلأجل ذلك وقع قوله «اللّه» عقيب «هو» شرحاً و تعريفاً له.

و لما ثبت مطلوب الإلهيّة البسيطة بقوله «هو» _ الدالّ على أنّ «الهو» المطلق هو الذي لا تتوقّف هويّته على غيره، و لأجل ذلك هو البرهان على وجود ذاته و ثبت مطلوب ما الشارحه بقوله «اللّه»، فحصلت بمجموع الكلمتين معرفه الأئيه و المهيه _، أريد أن يذكر عقيبهما ما هو كالصفات الجلاله و الجماليه؛ فقوله _ تعالى _ : «أَحَدٌ» مبالغه في الوحده. و الوحده التامه ما لا ينقسم و لا يتكثر بوجه من الوجوه أصلاً، لا بحسب العقل _ كالانقسام بالجنس و الفصل _، و لا بحسب العين _ كالانقسام بالمده و الصوره _، و لا في الجنس و لا في الوهم _ كالانقسام بالأعضاء و الأجزاء _.

و متى كان الأكمل في الوحده ما لاكثره فيه أصلاً، فكان الله _ تعالى _ غايه في الوحده؛ فقوله _ تعالى _ : «أَحَدٌ» دلّ على أنّه واحدٌ من جميع الوجوه. و إنّما قلنا: أنّه واحدٌ كذلك، لأنّه لو لم يكن كذلك لم يكن إلهاً، لأنّ كلّ ما هو مركّب فهو مفتقرٌ إلى أجزائه، و أجزاؤه غيره، فيكون مفتقراً إلى غيره؛ فلم يكن واجب الوجود، و لامبدء الكلّ.

ثمّ إنّ هذه الصفه _ و هي الأحديّه التامه الخالصه عن شوب الكثره _ كما توجب التبره عن الجنس و الفصل و الماده و الصوره _ و عن الجسميه و المقداريه و الأبعاد و الأعضاء و الألوان و سائر الكيفيات الحسيّه و الإنفعاليّه، و كلّما يوجب قوه و استعداداً و امكاناً _، كذلك يقتضى كلّ صفه كماله _ من العلم و القدره الكامله و الحياه السرمديه و الإراده التامه و الخير المحض و الوجود المطلق _؛ فإنّ أمعن النظر و تؤمل _ تأملاً كافياً! _ يظهر له أنّ الأحديّه التامه منبع جميع الصفات الكماله.

فانظر إلى كمال حقائق هذه السوره!، أشار أولاً إلى الهويّه المحضه التي لا اسم لها غير أنّه «هو»؛

ثمّ عقبه بذكر الإلهيّة التي هي أقرب اللوازم لتلك الحقيقه و أشدها تعريفاً _ كما بيّنا _؛

ثمّ عقبه بذكر الأحديّه لفائدتين:

الأولى: لثلاً يقال: أنه ترك التعريف الكامل بذكر المقومات و عدل إلى ذكر اللوازم؛

و الثانية: لتدلّ على أنه في ذاته واحدٌ من جميع الوجوه.

و رتب الأحدثيه على الإلهيه و لم يترتب الإلهيه على الأحدثيه، فإنّ الإلهيه عبارة عن استغنائه عن الكلّ و احتياج الكلّ إليه، و ما كان كذلك كان واحداً مطلقاً _ و إلاّ كان محتاجاً إلى الأجزاء _ . فالإلهيه من حيث هي هي تقتضى الوحده و الوحده لا تقتضى الإلهيه.

ثمّ عقب ذلك بقوله: «اللَّهُ الصَّمِيدُ»^(١)، و دلّ على تحقيق معنى الإلهيه بـ «الصمديه» التي معناها وجوب الوجود و المبدئيه لوجود كلّ ماعداه من الموجودات؛

ثمّ عقب ذلك ببيان أنّه لا يتولّد عنه غيره لأنّه غير متولّد عن غيره؛

و بيّن أنّه و إن كان إلهاً لجميع الموجودات فياضاً للوجود عليها، فلا يجوز أن يفيض الوجود على مثله كما لم يكن وجوده من فيض غيره؛

ثمّ عقب ذلك ببيان أنّه ليس في الوجود ما يساويه في قوّه الوجود.

فمن أوّل السوره إلى قوله: «اللَّهُ الصَّمِيدُ» في بيان ماهيته و لوازم ماهيته و وحده حقيقته، و أنّه غير مركّب أصلاً؛ و من قوله: «لَمْ يَلِدْ» إلى قوله: «كُفُواً أَحَدُ»^(٢) في بيان أنّه ليس له ما يساويه من نوعه و لا من جنسه؛ لا بأن يكون متولّداً عنه، و لا بأن يكون هو متولّداً عنه، و لا بأن يكون هو متوازياً له في الوجود.

و بهذا المبلغ يحصل معرفه تمام ذاته.

و لما كان الغرض الأقصى من طلب العلوم بأسرها معرفه ذات الله و صفاته و كيفيه صدور أفعاله عنه، و هذه السوره دالّة على سبيل التعريض و الإيماء على جميع ما سلف بالبحث عن ذات الله _ تعالى _ ، لا جرم كانت معادلّه لثلث القرآن؛ فهذا ما وقفت عليه من أسرار هذه السوره^(٣)؛ انتهى ملخص كلامه.

ص : ٥٧٤

١- ١. كريمه ٢ الإخلاص.

٢- ٢. كريمتان ٤، ٣ الإخلاص.

٣- ٣. هذا _ كما صرّح به المصنّف _ ملخّص كلام الشيخ، راجع: «تفسير سوره التوحيد» _ المطبوع بهامش «شرح» صدر المتألّهين على الهدايه الأثيريه _ ص ٢٩٩.

أقول: قد بقي بعد من هذه السورة حقائق و دقائق لم يذكرها الشيخ؛

فمنها: انّ قوله: «هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» ثلاثه ألفاظٍ كلّ واحدٍ منها إشارة إلى مقامٍ من مقامات السالكين إليه _ تعالى _ ؛

المقام الأوّل: للمقربين، و هم أعلى السائرين إلى الله؛ فهؤلاء رأوا انّ موجوديّة الماهيّات بالوجود، و انّ أصل حقيقه الوجود بذاته موجودٌ و بنفسه واجب الوجود، متعيّن الذات لا بتعيّن زائدٍ، فعلموا انّ كلّ ذى مهية معلول محتاجٌ، و أنّه _ تعالى _ نفس حقيقه الوجود و الوجوب و التعيّن. فلهذا لما سمعوا كلمه «هو» علموا أنّه الحق _ تعالى _ ، لأنّ غيره غير موجودٍ بذاته فلا إشاره إليه بالذات؛

و المقام الثانی: مقام أصحاب اليمين. و هؤلاء شاهدوا الحقّ موجوداً و الخلق أيضاً موجوداً، فحصلت كثرة في الموجودات؛ فلا جرم لم يكن «هو» كافياً في الإشاره إلى الحقّ، بل لابدّ هناك من مميّز يميّز الحقّ عن الخلق. فهؤلاء احتاجوا إلى أن يقرن لفظ «الله» بلفظ «هو»، فقليل لاجله «هُوَ اللَّهُ». لأنّ «الله» هو الموجود الذي يفتقر إليه ماعداه و هو مستغنٍ عن كلّ ما عداه، فيكون أحدى الذات لامحاله _ إذ لو كان مركّباً كان محتاجاً إلى غيره _ . فلفظه الجلاله دالّة على الأحديّه من غير حاجه إلى اقتران لفظ أحديّه؛

و المقام الثالث: مقام أصحاب الشمال، و هو أدون المقامات و أخسّها. و هم الذين يجوزون كثرة في واجب الوجود أيضاً _ كما في أصل الوجود _ ، فقورن لفظ «أحد» بكلمه «الله» ردّاً عليهم و إبطالاً لمقالهم؛ فقليل: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ».

و منها: وجوهٌ آخر كثيرةً لو شئنا استقصائها لخرجنا عن طور هذا الكتاب.

روى الشيخ الصدوق (١) عن الصادق _ عليه السلام _ في قول الله _ تعالى _ : «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» قال: «قُلْ» أى: أظهر ما أوحينا إليك و نبأناك به بتأليف الحروف التي قرأناها

ص : ٥٧٥

عليك (١) ليهتدى بها من «ألقى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ» (٢).

و أما تفسير باقى السوره فقد مرّ غير مرّه فى اللّمعات السابقه؛ فتذكّر!.

و الأخبار الوارده فى فضل هذه السوره أكثر من أن تحصى و أشهر من أن تخفى؛ و لشهرتها سمّيت بأسامٍ كثيره. و لا يخفى أنّ كثرة الأسماء و الألقاب تدلّ على مزيد الشرف و الفضيله (٣)؛

فأحدها: سوره التفريد؛

و الثانى: سوره التجريد؛

و ثالثها: سوره التوحيد، لما علمت من اشتغالها على غوامض علوم التوحيد و لطائف أسرار التقديس و التجريد؛

و رابعها: سوره الإخلاص، لأنّه لم يذكر فى هذه السوره سوى الصفات السلبيّه الّتى هى صفات الجلال؛ و لأنّ من اعتقدها كان مخلصاً فى دين الله؛ و لأنها تخلّص العبد من الشرك، أو من النار؛ و لأنّ غايه التنزيه و التفريد و التوحيد يستلزم غايه الودّ و التقرب المستلزم للمحبّه و الإخلاص فى الدين؛

و خامسها: سوره النجاه، لأنها تنجيك من التشبيه و الكفر فى الدنيا، و عن النار فى الآخرة؛

و سادسها: سوره الولايه، لأنّ من قرأها عارفاً بأسرارها صار من أولياء الله؛

و سابعها: سوره النسبه، لنزولها عند قول المشركين: «إنسب لنا ربّك!»؛

و ثامنها: سوره المعرفه، روى جابر _ رضى الله عنه _ : «إنّ رجلاً صلّى، فقرأ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»، فقال النبى _ صلّى الله عليه و آله و سلّم _ : إنّ هذا عبدٌ عرف ربّه»، فسمّيت

ص : ٥٧٦

١- ١. المصدر: لك.

٢- ٢. كريمه ٣٧ ق.

٣- ٣. القطعه إلى آخر الأسماء مأخوذه من كلام الرازى، راجع: «التفسير الكبير» ج ٣٢ ص ١٧٥، و انظر أيضاً: «مجمع البيان» ج ١٠ ص ٤٧٩، «تفسير القرطبي» ج ٢٠ ص ٢٤٦.

سوره المعرفه لذلك؛

و تاسعها: سوره الجمال، لأنّ الجلال غير منفكّ عن الجمال _ كما أشرنا إليه _ . و لما روى أنّه لما قال _ صَلَّى الله عليه و آله و سلّم _ : «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ وَ يَحِبُّ الْجَمَالَ، سَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: أَحَدٌ صَمَدٌ لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ»(١)؛

و عاشرها: سوره المقشقشه _ يقال: قشقش يقشقش المريض: برىء _ ، فمن عرفها تبرّأ من الشرك و النفاق _ كما قال: «فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ»(٢) _ ؛

الحادى عشر: المعوذه، روى أنّه _ صَلَّى الله عليه و آله و سلّم _ دخل على عثمان بن مظعون يعوذه بها و باللّتين بعدها، ثمّ قال: «تَعَوَّذُوا بِهِنَّ، فَمَا تَعَوَّذْتَ بِخَيْرٍ مِنْهَا!»(٣)؛

و الثانى عشر: سوره الصمد؛

و الثالث عشر: سوره الأساس، لما روى أنّه قال: «أَسَيْتِ السَّمَاوَاتِ السَّيْعَ وَ الْأَرْضُونَ السَّيْعَ عَلَى «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»»(٤). و ممّا يدلّ عليه: أنّ القول بالثلاثه سببٌ لخراب السماوات و الأرض، بدليل قوله _ تعالى _ : «تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبَالُ»(٥)؛ فوجب أن يكون التوحيد سبب العماره و نظامه؛

و الرابع عشر: سوره الممانعه؛

و الخامس عشر: سوره المحضره، لأنّ الملائكه تحضر لاستماعها إذا قرأت؛

و السادس عشر: المنفّره، لأنّ الشيطان ينفّر عند قراءتها؛

السابع عشر: البراءه، لأنّها تبرىء من الشرك، و لما روى أنّه _ صَلَّى الله عليه و آله و

ص : ٥٧٧

١-١. لم أعثر عليه، و القطعه الأولى من الحديث توجد فى كثيرٍ من مصادر الفريقين، و لكن الحديث بتمامه لم أظفر عليه.

٢-٢. تكرّرت هذه الكريمه فى القرآن الكريم ١٠ مرّات، فانظر مثلاً كريمه ١٠ البقره.

٣-٣. لم أعثر عليه.

٤-٤. راجع: «فيض القدير» ج ١ ص ٥٠٦، و لم أعثر عليه فى غيره.

٥-٥. كريمه ٩٠ مريم.

سَلَّمَ _ رأى رجلاً يقرأها، فقال: «أما هذا فقد برىء من المشركين» (١)؛

الثامن عشر: سورة المذكرة، لأنها تذكر العبد خالص التوحيد؛

التاسع عشر: سورة النور، لأن الله «نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» (٢)، و السورة في بيان معرفته و معرفه النور؛ و لما روى أنه _ صَلَّى الله عليه و آله و سَلَّمَ _ قال: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ نُورًا وَ نُورَ الْقُرْآنِ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»» (٣). و نظيره أن نور الإنسان في أصغر أعضائه _ و هو الحذقه _ ، فصارت السورة للقرآن كالحذقه للإنسان؛

العشرون: سورة الأمان، قال رسول الله _ صَلَّى الله عليه و آله و سَلَّمَ _ : «إذا قال العبد: لا إله إلا الله يقول الله: لا إله إلا الله حصني و من دخل في حصني أمن من عذابي» (٤).

فهذه عشرون اسماً من أسامي هذه السورة.

و لها فضائل كثيرة و نكات غير محصورة، لا يمكن الإطّلاع عليها إلا بتوفيق ربّانيه _ رزقنا الله تعالى بفيض جوده و إنعاماته العامه الشامله الكامله الوافيه _ .

و قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ سُوءَالَ مَنْ اشْتَدَّتْ فَاقَتُهُ، وَ ضَعُفَتْ قُوَّتُهُ، وَ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، سُوءَالَ مَنْ لَا يَجِدُ لِفَاقَتِهِ مُغِيثًا، وَ لَا لِضَعْفِهِ مُقَوِّيًا، وَ لَا لِمُتَدَنِّبِهِ غَافِرًا غَيْرَكَ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ! أَسْأَلُكَ عَمَلًا تُحِبُّ بِهِ مَنْ عَمَلَ بِهِ، وَ يَقِينًا تَنْفَعُ بِهِ مَنْ اسْتَيْقَنَ بِهِ حَقَّ الْيَقِينِ فِي نَفَازِ أَمْرِكَ.

«من اشتدَّتْ» أي: استحكمت و قويت حاجته و بلغت إلى مرتبه الكمال؛ من: اشتدَّ الشيء يشتدّ: إذا قوى، و الاسم: الشدّه _ بالكسر _ .

ص : ٥٧٨

١- ١. لم أعر عليه، لا في مصادرنا و لا في مصادر العامه.

٢- ٢. كريمه ٣٥ النور.

٣- ٣. راجع: «جامع الأخبار» ص ٤٤، و انظر: «مستدرک الوسائل» ج ٤ ص ٢٨٥ الحديث ٤٧٠٦.

٤- ٤. راجع: «مستدرک الوسائل» ج ٥ ص ٣٦٣ الحديث ٦٠٩٣.

و «ضعفت قوّته» أى: صارت قوّته فى نهايه الضعف.

«مغيثاً»: من الإغاثة. و فى نسخه: «معيناً» من: الإعانة.

«يا ذا الجلال والإكرام». هذه الصفه من جلائل صفاته _ تعالى _ و عظام نعمته؛ جىء بها لمزيد استدعاء الإجابة، لما روى عن النبى _ صلى الله عليه و آله و سلم _ «أنّه مرّ برجلٍ و هو يصلّى و يقول: يا ذا الجلال و الإكرام؛ فقال: قد استجيب لك» (١)؛ و لما روى: «أنّه اسم الله الأعظم، معناه: ذو العظمه و الغنى المطلق و الفضل العامّ؛ أو: الذى يستحقّ أن يجلّ و يكرم و لا يكفر به؛ أو: الذى عنده الجلال و الإكرام للمخلصين من عباده» (٢).

حو «العمل»: كلّ فعلٍ يكون عن قصدٍ، فهو أخصّ من الفعل. و يطلق على الصالح و السيّء.

و «تحبّ به من عمل به» فى محلّ نصبٍ نعتٍ مخصّصٌ للـ «عمل» (٣)، أى: أسألك عملاً تحبّ بسبب ذلك العمل عامله، لأنّ العمل قد يكون محبوباً و العامل مبغوضاً، و بالعكس؛ روى عن النبى _ صلى الله عليه و آله و سلم _ أنّه قال: «إنّ الله يحبّ العبد و يبغض عمله، و يحبّ العمل و يبغض بدنه!» (٤).

و «اليقين» قد مرّ معناه لغهً و اصطلاحاً. و المعنى: أسألك يقيناً تنفع _ أنت يا إلهى! _ من كان متيقناً بذلك اليقين، كما هو حقّه فى إجراء أحكامك. و هو أعلى مراتب اليقين، لأنّه

ص : ٥٧٩

١- ١. راجع: «معانى الأخبار» ص ٢٣٠، «بحار الأنوار» ج ٩٢ ص ١٣٥.

٢- ٢. لم أعتز عليه. و الأول قول الشهيد، و الثانى قول البادرائى، راجع: «المصباح» _ للكفعمى _ ص ٣٣٣، «المقام الأسنى» _ له أيضاً _ ص ٦٢.

٣- ٣. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٤٣٣.

٤- ٤. كما رواه أمير المؤمنين _ عليه السلام _، راجع: «نهج البلاغه» ص ٢١٦، و انظر: «بحار الأنوار» ج ٧١ ص ٣٦٧. و للعارف الكاشانى شرحٌ لطيفٌ عليه، راجع: «مجموعه رسائل و مصنفات كاشانى» ص ٦٦٩.

ذودرجاتٍ و مراتب أعلاها مرتبه حقّ اليقين _ كما مرّ تحقيقه و بيان مراتبه مفصلاً _ .

و «حقّ اليقين» منصوبٌ على المصدرية؛ و العامل فيه «استيقن» _ كقوله تعالى: «لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ» (١) _ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ، وَ اقْبِضْ عَلَى الصَّدَقِ نَفْسِي، وَ اقْطَعْ مِنَ الدُّنْيَا حَاجَتِي، وَ اجْعَلْ فِيما عِنْدَكَ رَغْبَتِي شَوْقاً إِلَى لِقَائِكَ، وَ هَبْ لِي صِدْقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ. أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ كِتَابٍ قَدْ خَلَا، وَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كِتَابٍ قَدْ خَلَا، أَسْأَلُكَ خَوْفَ الْعَابِدِينَ لَكَ، وَ عِبَادَةَ الْخَاشِعِينَ لَكَ، وَ يَقِينَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ، وَ تَوَكُّلَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكَ.

«و اقْبِضْ عَلَى الصَّدَقِ نَفْسِي» أي: اقْبِضْ رُوحِي وَ قَتِ الْمَوْتَ حَالِكونِي مُسْتَقَرّاً عَلَى التَّصَدِيقِ وَ الْإِذْعَانِ بِكَ وَ بِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُكَ، أَي: فِي حَالِهِ الْإِيمَانِ بِكَ؛ أَوْ: ثَبَّتْ نَفْسِي عَلَى الْإِيمَانِ _ عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنَ «الصَّدَقِ»: الْإِيمَانُ _ ؛

أَوْ: اقْبِضْ نَفْسِي كَائِنَةً عَلَى الصَّدَقِ لِأَزْمِهِ لَهُ، يُقَالُ: قَبِضَهُ عَلَيْهِ أَي: أَلْزَمَهُ إِتْيَاهُ. وَ إِنَّمَا قَدَّمَ الظَّرْفَ لِلْحَصْرِ، أَي: عَلَى الصَّدَقِ وَ لَا عَلَى غَيْرِهِ.

قوله: «و اقْطَعْ مِنَ الدُّنْيَا حَاجَتِي»: لَا أَتَوَجَّهْ إِلَى الدُّنْيَا وَ لَذَاتِهَا وَ شَهَوَاتِهَا بِمَا هِيَ دُنْيَا _ كَمَا مَرَّ تَحْقِيقُهَا سَابِقاً _ .

قوله _ عَلَيْهِ السَّلَام _ : «و اجْعَلْ فِيما عِنْدَكَ رَغْبَتِي» كُنَايَةً عَنْ قَطْعِ الْحَاجَةِ مِنَ الْآخِرَةِ أَيْضاً _ كَمَا قَالَ جَدُّهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَا عِبَدْتُكَ خَوْفاً مِنْ نَارِكَ وَ لَا طَمَعاً فِي جَنَّتِكَ، بَلْ وَجَدْتُكَ مُسْتَحَقّاً لِلْعِبَادَةِ فَعِبَدْتُكَ شَوْقاً إِلَى لِقَائِكَ» (٢) _ ، لِأَنَّ الْمَحَبَّ لَا يَحِبُّ إِلَّا مَحْبُوبَهُ. وَ

ص : ٥٨٠

١- ١. كريمه ٧ التكاثر.

٢- ٢. كذا في النسختين مع هذه الزياده، و راجع: «بحار الأنوار» ج ٦٧ ص ٢٣٤، «عوالي اللئالي» ج ٢ ص ١١ الحديث ١٨، «القصص» _ للجزائري _ ص ٢١١، «نهج الحق» ص ٢٤٨.

تقديم الظرف للحصر، أى: فيما عندك لا فيما عند غيرك.

و قد تقدّم الكلام على «لقاء» الله مفصلاً؛ فتذكر!.

وقيل: «أى: اجعل رغبتى فى سبب ما عندك، أى: اجعل سعى فى الأعمال الصالحة التى هى سبب لما عندك من الباقيات الصالحات و النعم الأبدية، لأنه لا يمكن الوصول إلى الشيء إلا بوسيله سببه».

قوله _ عليه السلام _ : «و هب لى صدق التوكل عليك» أى: هب لى أن يكون توكلى عليك صادقاً. و «صدق» التوكل: العمل بمقتضاه و قطع الحاجه عما سواه _ تعالى _ . و قد تقدّم الكلام عليه مستوفى.

قوله _ عليه السلام _ : «أسألك خير كتاب قد خلا» >أى: خير مكتوب قد مضى _ أى: سبق فى الألواح و الدفاتر _ ، نظيره قوله _ سبحانه _ : «لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ» (١)، و فى المأثور: «و أعوذ بك من شرّ ما سبق فى الكتاب» (٢). لأنّ «الكتاب» فى الأصل مصدر كتبه كتاباً _ من باب قتل _ : خطّه، ثم أطلق على المكتوب إطلاق المصدر على اسم المفعول. و عبّر عن الحكم بالكتاب، لأنه ممّا يكتب؛ و هو المراد هنا.

و «خلا» الشيء يخلو خلواً: مضى و سبق؛ و منه قوله _ تعالى _ : «وَإِنْ مِنْ أُمَّه إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ» (٣). قال بعض العلماء: «المراد بـ «الكتاب»: اللوح المحفوظ. و العارف كما يستعيز من نزول الشرّ كذلك يستعيز من تقديره فى الأزل. و هو أولى بالاستعاذه، لأنه الأصل الأوّل، ثم تقديره قد يكون فى معرض البدء فيمكن دفعه بالدعاء» (٤)؛ انتهى.

و هو كما ترى!.

وقيل: «المراد بـ «الكتاب» صحائف الأعمال، أى: أسألك ثواب أعمالى الحسنه و أعوذ

ص : ٥٨١

١- ١. كريمه ٦٨ الأنفال.

٢- ٢. و هذا مقتبس منه مع حذف بعض أجزائه، راجع: «الكافى» ج ٢ ص ٥٣٢ الحديث ٣٠، «بحار الأنوار» ج ٨٣ ص ٢٨٣، «عدّه الداعى» ص ٢٦٧، «المصباح» _ للكفعمى _ ص ٨١.

٣- ٣. كريمه ٢٤ فاطر.

٤- ٤. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٤٤٠.

بك من شر ما سيأتي _ التي كتبها الكرام الكاتبون من قبل في جريده أعمالى _ «(١)؛ انتهى.

و التحقيق أنه قد تبين لك سابقاً معنى الكلام و الكتاب، و الفرق بينهما، و ما هو المراد منهما؛ و أنّ صور جميع ما أوجده الله _ تعالى _ من ابتداء العالم إلى آخره منتقشه في العالم العقلي نقشاً لا يشاهد بهذه العين الجسمانيه، بل حاصله فيه على وجه بسيط عقلي مقدس من شائبه كثره تفصيليه. و هو صورہ القضاء الإلهي، و إليه الإشاره بقوله _ عزّ و جلّ _ : «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ»(٢)، فهو بهذا الاعتبار يسمى بـ : أم الكتاب _ كما قال تعالى: «وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ»(٣) _ ؛

و تبين أيضاً أنه ينتقش منه في لوح النفس الكليّ الفلكي _ كما ينسخ بالقلم في اللوح _ صور معلوله مضبوطه منوطه بعلمها و أسبابها على وجه كليّ، و هي قدره _ تعالى، كما قال عزّ و جلّ: «وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ»(٤) _ ؛

و تبين أيضاً أنه ينتقش من هذه النفوس الكليّ، فمن قواها المنطبعة الخياليه نقوش جزئيه متشخصه بأشكال و هيآت معينه من لواحق الماده على طبق ما يظهر في الخارج؛ فهذا العالم هو لوح القدر، كما أنّ ذلك العالم _ الذي هو عالم النفوس الناطقه الكليّ _ هو لوح القضاء. و كلّ منهما بهذا الاعتبار كتاب مبين، كما قال _ سبحانه _ : «وَ لَا حَبِطَ فِي ظُلُمَاتٍ الْأَرْضِ وَ لَا رَطْبٍ وَ لَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ»(٥)، و قال: «وَ مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَ مُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ»(٦)، و قال: «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا»(٧). فإن لكل أجل كتاب، إلا أنّ الأول محفوظ من المحو و الإثبات _ كما قال: «وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»(٨)، و قال: «فِي لَوْحٍ

ص : ٥٨٢

١-١. كما حكاه المدني، راجع: نفس المصدر و المجلد ص ٤٤١.

٢-٢. كريمه ٢١ الحجر.

٣-٣. كريمه ٤ الزخرف.

٤-٤. كريمه ٢١ الحجر.

٥-٥. كريمه ٥٩ الأنعام.

٦-٦. كريمه ٦ هود.

٧-٧. كريمه ٢٢ الحديد.

٨-٨. كريمه ٩ الحجر.

مَحْفُوظٌ» (١) _ ، و الثاني كتاب المحو و الإثبات _ كما قال: «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» (٢) _ .

و هو سماء الدنيا التي تنزل إليها الكائنات أولاً من غيب الغيوب ثم تظهر في عالم الشهادة _ كما ورد في الخبر (٣) _ ؛

و هو عالم الملكوت العمّاليه بإذن الله المسخّره بأمره، المدبّره لأموال العالم بإعداد الموادّ و تهيئته الأسباب. و منه ينزل الشىء المعين الخارجى الضرورى الوجود عند تحقّق وقته؛ المشار إليه بقوله _ عزّ و جلّ _ : «وَ مَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ» (٤). فمنه ينزل الشرائع و الصحف و الكتب على الأنبياء و الرسل _ عليهم السلام _ نجومًا.

و لما فيه من المحو و الإثبات يصحّ البداء من الله _ سبحانه _ و التردّد فى الأمر _ كما ورد به الأخبار الصحيحه عن أهل البيت عليهم السلام _ ؛

أمّا النسخ فى الأحكام الشرعيّه، فإن كان عبارة عن رفع الحكم السابق و إزالته بعد ما كان ثابتاً، فهذا البداء بعينه؛

و إن كان عبارة عن بيان إنتهاء مدّه الحكم فلامدخل للمحو و الإثبات فيه.

فان قيل: ما الحكمه فى المحو و الإثبات؟، و كيف يصحّ نسبه البداء و التردّد و إجابته الدعاء و نحو ذلك إلى الله _ سبحانه _ مع إحاطه علمه بكلّ شىء أزلاً و أبداً على ما هو عليه فى نفس الأمر و تنزّهه عمّا يوجب التغير و النسخ و نحوهما؟!

قلنا: إنّ القوى المنطبعة الفلكيه _ التى هى بمنزله الخيال فىنا _ لم تحط بتفاصيل ما سيقع من الأمور دفعة واحدة _ لعدم تناهى الأمور _ ، بل إنّما ينتقش فيها شيئاً فشيئاً و جملةً فجملةً مع أسبابها و عللها على نهجٍ مستمرّ و نظامٍ مستقرّ، فإنّ ما يحدث فى عالم الكون و الفساد إنّما هو من لوازم الحركات الفلكيه و نتائج حركاتها بإذن الله. فهى تعلم أنّه كلّما كان

ص : ٥٨٣

١-١. كريمه ٢٢ البروج.

٢-٢. كريمه ٣٩ الرعد.

٣-٣. راجع: «بحار الأنوار» ج ٤ ص ١٠٢.

٤-٤. كريمه ٢١ الحجر.

كذا فمهما حصل لها العلم بأسباب حدوث أمرٍ ما في هذا العالم حكمت بوقوعه فيها، فينتقش فيها ذلك الحكم. وربما تأخر بعض الأسباب الموجب لوقوع الحادث على خلاف ما توجه به بقيه الأسباب لولا ذلك السبب، و لم يحصل لها العلم بذلك السبب بعد لعدم اطلاعها على سبب ذلك السبب بعد، ثم لما جاء أوانه و أطلعت عليه حكم بخلاف الحكم الأول، فيمحو عنها نقش الحكم السابق و يثبت الحكم الآخر؛ فإن شأن النفوس أن يكون توجهها إلى بعض المعلومات و استحضارها إياها و اشتغالها بها يذهلها عن البعض الآخر. و إذا كانت الأسباب لوقوع أمرٍ و لا وقوعها متكافئه و لم يحصل العلم برجحان أحدهما بعد _ لعدم مجيء أوان سبب ذلك الرجحان بعد _ كان لها التردد في وقوع ذلك الأمر و لا وقوعه؛ فهذا هو السبب في المحو و الإثبات و الحكمه فيها.

و أما صحه نسبه البداء و التردد و أمثالهما إلى الله _ تعالى _ مع إحاطه علمه _ سبحانه _ بالكليات و الجزئيات جميعاً _ أولاً و أبداً على ما هي في نفس الأمر بغير تطرّق تغيرٍ و نقصٍ فيه، جلّ و عزّ _ ، فالوجه فيه: أنّه لما كان ما يجري في العالم الملكوتيّ إنّما يجري بإرادة الله _ عزّ و جلّ _، بل فعلهم بعينه فعل الله تعالى حيث إنّهم «لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» (١)، إذ لا داعي لهم على الفعل إلّا إرادة الله عزّ و جلّ ، لاستهلاك إرادتهم في إرادته تعالى؛ و مثلهم كمثل الحواسّ للإنسان، كلّما هم بأمرٍ محسوسٍ امتثلت الحاسه لما هم به و أراده دفعه؛ و كلّ كتابه يكون في هذه الألواح و الصحف فهو أيضاً مكتوب الله سبحانه بعد قضائه السابق المكتوب بعلمه الأول _ فيصحّ أن يوصف الله _ عزّ و جلّ _ نفسه بالنسخ و البداء و التردد و إجابته الدعاء و نحوها بهذا الاعتبار، و إن كان مثل هذه الأمور يشعر بالتغير و النسخ و هو _ سبحانه _ منزّه عنه؛ فإنّ كلّ ما وجد أو سيوجد فهو غير خارج عن عالم ربوبيّته _ كما مرّ غير مرّه _ .

و قيل: «الحكمه أنّه لولا المحو و الإثبات و ما ثبت في الدين من البداء لأفحم القنوط

ص : ٥٨٤

عباده و عن مسأله و تعوذ، بل عن سعي و عمل و رجاء و خوف في أمر الدنيا و الآخرة! و لكنّه _ سبحانه _ منّ عليهم بالبداء لئلا يقنطوا من رحمه الله».

قوله _ عليه السلام _ : «أسألك خوف العابدين لك» استيناف سؤال آخر، و لذا قطعهُ عمّا قبله. و لاشكّ أنّ العباده فرع المعرفة، فإذا وصل العباده إلى المنتهى وصلت المعرفة إلى المنتهى قبلها، و الخوف بقدر المعرفة _ كما قال تعالى: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» (١) _ ، فلذا أضاف «الخوف» إلى «العبادين».

و سأل «عباده الخاشعين»، لأنّ قوام العباده و روحها بالخشوع _ كما مرّ بيان ذلك في اللمعات السابقه، في ضمن تعريف كلّ منهما و درجاتها و مراتبها، فلانعيدها خوفاً للإطاله _ . و لاشكّ أنّ كلّاً منها فرع المعرفة، و بقدرها يتفاضل.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ رَغْبَتِي فِي مَسْأَلَتِي مِثْلَ رَغْبَةِ أَوْلِيَائِكَ فِي مَسْأَلَتِهِمْ، وَ رَهْبَتِي مِثْلَ رَهْبَةِ أَوْلِيَائِكَ، وَ اسْتَعْمِلْنِي فِي مَرْضَاتِكَ عَمَلًا لَا أَتْرُكُ مَعَهُ شَيْئًا مِنْ دِينِكَ مَخَافَةَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ. اللَّهُمَّ هِدْهُ حَاجَتِي فَأَعْظِمْ فِيهَا رَغْبَتِي، وَ أَظْهِرْ فِيهَا عُذْرِي، وَ لَقِّنِي فِيهَا حُجَّتِي، وَ عَافِ فِيهَا جَسَدِي.

و قد تقدّم الكلام على الولايه و «الأولياء» و «الرهبه» مستوفى.

و سؤاله _ عليه السلام _ جعل رغبته و رهبته مثل رغبه أوليائه _ تعالى _ و رهبته مثلهم، لأنّهم فانّون عن أنفسهم باقون ببقاء خالقهم و بارئهم، فليس لهم رغبه إلاّ شهود الحقّ و لارهبه إلاّ الحجاب من شدّه الظهور. و قد ذكروا وجوهاً في ذلك:

>أحدها: إنّهم أكثروا الناس رغبه في الله و أشدّهم رهبه منه، لأنّ من صفا عن الكدورات الجسمانيّه و خلا من العوائق الظلمانيّه و اتّصل بعالم القدس و شاهد جمال الحقّ و جلاله بعين البصيره كان أشدّ الناس رغبه فيه و رهبه منه؛

ص : ٥٨٥

الثانى: إنّ رغبتهم و رهبتهم ليست كـرغبه سائرالناس و رهبتهم، فانّ أعظم رغبتهم فى شهود الحقّ و رهبتهم من حجابيه، و سائر الناس رغبتهم فى الثواب و رهبتهم من العقاب!؛

الثالث: إنّ رغبتهم و رهبتهم يستلزمان دوام الجِدِّ فى العمل و الإيعراض عن غرور الأمل، لأنّ مبدأهما _ كما عرفت _ تصوّر عظمه الخالق و جماله و جلاله، و بحسب ذلك التصوّر يكون قوّه الخوف و الرجاء، و بحسبها استفراغ الوسع فى العباده و بذل الجهد فى الطاعه(١) <.

و قد ذكر صاحب كتاب إخوان الصفاء بعد ذكر أولياء الله و عباده الصالحين و أوصافهم كلاماً بهذه العبارة: «فهل لك _ يا أخى! _ أن ترغب فى صحبتهم و تسلك طريقهم و تطلب مناهجهم و تتخلّق بأخلاقهم و تتيشّر بسيرتهم و تنظر فى علومهم لتعرف مذهبهم و تعتقد رأيهم و تعمل مثل عملهم لعلّك تحشر معهم و تفوز بمفازتهم؟! لا يمسّهم سوء و لا هم يحزنون. و هم أولياء الله و عباده الصالحون الذين ليس للشيطان عليهم سلطانٌ _ كما فى قوله: «إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ»(٢) _»(٣).

فإذا أردت أن تعرف _ يا أخى! _ منهم أنت أم من غيرهم؟، فاعلم: أنّ لهم علاماتٍ يعرفون بها و سماتٍ يستدلّ بها عليهم؛

فمن إحدى علامات أولياء الله _ : المنبعثين من موت الجهالة المتبهيّن من رقدته الغفله المستبصرين بعين اليقين و نور الهدايه العارفين بحقائق الأشياء المشاهدين حساب يوم الدين _ : أنّهم قومٌ تستوى عندهم الأماكن و الأزمان و تغائر الأمور و تصارييف الأحوال، فقد صارت الأيّام كلّها عيداً واحداً و جمعه واحده، و صارت الأماكن كلّها مسجداً واحداً و الجهات كلّها قبله و محراباً واحداً، و صارت حركاتهم كلّها عباده الله و سكّنتهم كلّها طاعه، و استوى عندهم مدح المادحين و ذمّ الدّائمين لا يأخذهم فى الله لومه لائمٍ قياماً لله

ص : ٥٨٦

١- ١. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٤٤٣.

٢- ٢. كريمة ٤٠ الحجر / ٨٣ ص.

٣- ٣. لم أعثر على العبارة فى «رسائل إخوان الصفاء».

بالقسط، شهداء له و هم على صلاتهم دائمون. و تحققوا بقوله _ تعالى _ : «فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ» (١).

و إنما استوت الأماكن عندهم كلها _ فصارت محراباً و مسجداً واحداً و قبله واحداً _ ، لتصديقهم قول الله _ عز و جل _ : «فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ»، و إنما صاروا شهداء لمشاهدتهم له و تصديقهم قوله _ تعالى _ : «مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثِهِ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَ لَاحْمُسِهِ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَ لَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَ لَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» (٢). و إنما استوت عندهم الأيام كلها _ فصارت جمعة و عيداً _ لمشاهدتهم يوم القيامة الذي صاحبه أول ما بعث محمداً _ صلى الله عليه و آله و سلم _ إلى تمام ألف سنه _ كما قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «بعثت أنا و الساعه كهاتين» (٣) _ .

و إنما استوى عندهم تغاير الأمور و تصارييف الأحوال لتصديقهم قول الله _ تعالى _ : «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ» (٤).

و صار دعائهم مستجاباً، لأنهم لا يسألون إلا ما يكون، و لا يكون إلا ما قد كان في سابق العلم؛ فقلوبهم في راحه من التعلق بالأسباب و أبدانهم فارغة من التكليف بما لا يعنى، و نفوسهم ساكنة من الوسواس و أبدانهم في راحه من نفوسهم. و الناس في راحه و أمان منهم، لا يريدون لأحد سوءً و لا يضمرون لأحد شراً _ عدواً كان أو صديقاً _ إلا الحب و البغض لله و في الله!؛ انتهى.

ص : ٥٨٧

١- ١. كريمه ١١٥ البقره.

٢- ٢. كريمه ٧ المجادله.

٣- ٣. راجع: «الأمالي» _ للمفيد _ ص ١٨٧ الحديث ١٤، «الأمالي» _ للطوسي _ ص ٣٣٧ الحديث ٦٨٦، «الجعفریات» ص ٢١٢، «كشف الغمّه» ج ٢ ص ١٣٤.

٤- ٤. كريمتان ٢٣، ٢٢ الحديد.

وقد ذكر صاحب الكافي في كتاب الكفر والإيمان (١) أحاديث كثيرة في علامات المؤمن و صفاتهم مطابقاً لما ذكره صاحب إخوان الصفاء، من أراد الإطلاع عليها فليرجع إليه.

ولاشكَّ أنَّ هذه الصفات و العلامات كملت و تَمَّت في خاتم الولاية و أولاده الطاهر حتَّى ينتهى إلى المهدى الموعود من أولاده _ عليهم الصلاة و السلام _ ، بل ولاية الأولياء السابقة نشأت من ولايته _ عليه السلام _ ، كما أنَّ نبوه الأنبياء السابقة نشأت من نبوه نبينا _ صلى الله عليه و آله و سلم _ بالبيان الذى ذكرناه لك سابقاً؛ فتذكّر!.

قوله _ عليه السلام _ : «و استعملنى ... إلى آخره _ » أى: اجعلنى على الأعمال التى كانت مرضيةً لك بحيث لا أترك مع ذلك العمل شيئاً من العمل الذى له مدخلٌ فى دينك بأن يكون ذلك من خوف أحدٍ من خلقك؛ يقال: استعملت زيداً فى كذا: جعلته عاملاً فيه.

و «عملاً» مفعولٌ مطلقٌ مبينٌ لنوع عامله _ و هو «استعملنى» _ ؛

و الجملة بعده فى محلِّ نصبٍ نعتٌ له.

و «مخافه أحدٍ» _ بالنصب _ : مفعولٌ لأجله، أى: لأجل مخافتى أحداً من خلقك (٢) ، فإنَّ من جعل أمره لله _ لا للناس _ و وصل إلى غايه الإيمان و نهايه الإيقان لعلم أنَّ النفع و الضرر بيد الله، و لم يلتفت إلى أحدٍ سواه؛ فلا يترك شيئاً من أمور الدين خوفاً من أحدٍ سواه. بل الإيمان الحقيقى و الدين الباطنى كلاهما واحدٌ. و لكونهما ليسا من الدنيا و أوضاع عالم الخلق _ بل من عالم الغيب و الملكوت _ فلا يحصلان إلّا من عند الله بـلاتوسيط الأجسام و أحوالها و أوضاعها؛ بخلاف الإيمان و الدين الظاهرين، فإنهما إنّما يحصلان بمشاركة الأجسام و أوضاعها، فربما يحصلان بالقتال و المقارعه بالسيف و السنان! _ كقوله عليه السلام: «أمرت أن أقاتل الناس حتّى يقولوا: لا إله إلّا الله» (٣) _ ، و ربّما يحصل بالمجادله بالقول

ص : ٥٨٨

-
- ١- ١. راجع: «كتاب الكفر و الإيمان» من «الكافي» ج ٢ ص ٢، و لاسيّما «باب خصال المؤمن» منه فى نفس المجلّد ص ٤٧.
- ٢- ٢. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٤٤٤.
- ٣- ٣. راجع: «تفسير القمى» ج ١ ص ١٧١، «دعائم الإسلام» ج ٢ ص ٤٠٢ الحديث ١٤٠٩، «عوالى اللئالى» ج ١ ص ١٥٣ الحديث ١١٨، «مستدرک الوسائل» ج ١٨ ص ٢٠٦ الحديث ٢٢٥٠٣.

ثم لا ريب ان الدين الذى عليه اهل بيت النبوه و الولايه _ سلام الله عليهم اجمعين _ هو الايمان الحقيقى و الدين الباطنى مضافاً الى الايمان و الدين الظاهريين، فلذلك لم يخافوا أحداً سواه فى الدين.

قوله _ عليه السلام _ : «اللهم هذه حاجتى _ ... الى آخره _ » أى: هذه المذكورات السابقة فى هذا الدعاء «حاجتى».

«فأعظم»: أمرٌ من باب الإفعال، أى: اجعل رغبتى فيها معظمه مقابله بالقبول و النجاح غير محتقره و لامهانه بالرد و الحرمان.

و «أظهر فيها عذرى»، قيل: «فى الدنيا، أو فى القيامة فى طلبها منك»؛

قال الفاضل الشارح: «و الظاهر أن يكون المعنى: إمّا جعل العذر ظاهراً(١) فى طلبها لشده افتقاره إليها _ أى: لاتمنى على طلبها من جهة عدم استحقاقى لها و رغبتى فيما لست له بأهل، فإن من طلب ما ليس له بأهل ليم و أنب على طلبه، و لذلك ورد فى الدعاء عنهم عليهم السلام: «إن لم أكن أهلاً أن أبلغ رحمتك فإن رحمتك أهل أن تبلغنى»(٢) _ . و يؤيد هذا المعنى قوله _ عليه السلام _ : «و لقنى فيها حجتى» أى: فهمنى ما أحتج به فى طلبها و ألهمنى ما أعتذر به عن الإقدام على سؤالها. و «التلقين» من الله _ تعالى _ عبارة عن الإلهام؛ و منه: «لقنى حجتى يوم ألقاك»(٣) - (٤)؛ انتهى؛

ص : ٥٨٩

١- ١. المصدر: + بإجابه رغبتى فيها، لئلا يكون ترك الإجابة و عدم الإنجاح باعثاً على اللؤم فى تقصير طلبها. و أمّا جعل العذر ظاهراً.

٢- ٢. راجع: «بحار الأنوار» ج ٨٣ ص ١٨٢، «الإقبال» ص ٩٨، «البلد الأمين» ص ٦٤، «العدد القويّه» ص ٣٤٧، «فلاح السائل» ص ١٩٦.

٣- ٣. راجع: «الفقيه» ج ١ ص ٤١ الحديث ٨٤، «التهذيب» ج ١ ص ٥٣ الحديث ٢، «بحار الأنوار» ج ٧٧ ص ٣١٨، «الأمالى» _ للصدوق _ ص ٥٥٤ الحديث ١١.

٤- ٤. راجع: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٤٤٤.

أقول: هذا يصحّ إن كان صدور أمثال هذه الفقرات عنه _ عليه السلام _ لتعليم الأمّة، وإلا فلا؛ فتأمل!.

اللَّهُمَّ مَنْ أَصْبَحَ لَهُ ثِقَةٌ أَوْ رَجَاءٌ غَيْرُكَ، فَقَدْ أَصْبَحْتُ وَ أَنْتَ ثِقَتِي وَ رَجَائِي فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، فَأَقْضِ لِي بِخَيْرِهَا عَاقِبَةً، وَ نَجِّنِي مِنْ مُضَلَّاتِ الْفِتَنِ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. وَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ الْمُصْطَفَى وَ عَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ.

«مَنْ» شرطية.

و المراد من «الثقة»: الموثوق به؛

و من «الرجاء»: المرجو. و إطلاق «الثقة» و «الرجاء» عليهما من باب إطلاق المصدر على المفعول مبالغه _ كالخلق بمعنى: المخلوق، و القول بمعنى: المقول _ .

و جزاء الشرط محذوف، و التقدير: كلّ خلقٍ من مخلوقاتك إذا أصبح و له اعتمادٌ و أملٌ على أحدٍ فليصبح و لا عبره لى به، و لست مثله؛

«فقد أصبحت و أنت ثقتي و رجائي في الأمور كلّها»، فاحكم لى بأحسن تلك الأمور عاقبه، لأنّ المدار على عواقب الأمور _ كما مرّ تحقيق ذلك فيما سبق _ .

ف _ «الفاء» سببية لإفاده ترتّب ما بعدها على ما قبلها.

و «القضاء» بمعنى: الحكم.

و «خير»: أفعل تفضيل، أسقطت كلّ العرب «ألفه» لكثرة الاستعمال (١) إلا بنياعمر، فإنّهم يقولون: هذا أخير من ذاك.

و «عاقبه» كلّ شيء: آخره؛ و نصبها على التمييز.

ص : ٥٩٠

و «الفتن»: جمع فتنه، بمعنى: البلاء و الإمتحان(١) <.

و إضافه «المضلات» إليه من إضافه الصفه إلى الموصوف؛ <أى: من الفتن المضله(٢)>. <و لَمَّا كَانَ مِنَ الْفِتَنِ مَا هُوَ خَيْرٌ وَ شَرٌّ _ كما قال سبحانه: «وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً»(٣) _ سأل _ عليه السلام _ النجاه من مضلات الفتن(٤)>.

هذا آخر أدعيه الصحيفه السجاديّه، و بتمامها تمّ الشرح المسمّى بـ: لوامع الأنوار العرشيّه _ عليه و على آبائه و أبنائه صنوف الآلاء و التحيّه _ فى عصر يوم السبت لاثنى عشر يوماً مضت من شهر شعبان المعظم سنه ثلاث و ثلاثين و مأتين و ألف من الهجره النبويه.

الحمد لله على إعطاء هذه النعمه السئيه و العطيه البهيّه و المكرمه الفخيمه و الموهبه العظيمه، التى لا يظفر بمثلها إلا بعنايه من الحضرة الأحديّه و إعانه من الحضرة المحمديه و رعايه من الحضرة الولويه و أولاده الطيبه الطاهره، سيما صاحب هذه الصحيفه السجاديّه _ عليهم صلوات الله مادام يتلو الصبح العشيّه _ .

و المرجو من الإخوه المخصوصين بالأذهان الوقاده و العصبه الموصوفين بالأفهام النقاده أن لا يغفلوا عن دقائق مبانيه و حقائق معانيه و فنون بدائعه و أنواع صنائعه و ما رشحت به عباراته و وشحت به فقراته من المحاسن اللفظيه و المعنويه و النكات البيانيه و البديعيّه، و ما اشتملت عليه من المسائل الكلاميه و العقائد الإسلاميه و العلوم الحكيمه و المعارف العرفانيّه، و ما انطوت عليه من الأسرار الجبروتيه و الرموز الملكوتيه و الدقائق التنزيليه و الحقائق التأويليه المتعلقه بهذا التنزيل السماوى؛ و لعمري! أنه نفائس تحقيقاتٍ كأنهنّ

ص : ٥٩١

١-١. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٤٤٦.

٢-٢. قارن: «التعليقات» ص ١٠٣.

٣-٣. كريمه ٣٥ الأنبياء.

٤-٤. قارن: «رياض السالكين» ج ٧ ص ٤٤٦.

اللؤلؤ والمرجان، و عرائس تدقيقاتٍ «لَعَمَّ يَطْمِثُهُنَّ إِنْسٌ» قبلى «وَلَا حَيَّانٌ»^(١)، و مخدّرات أسرارٍ تتهاذى فى حلل الأطهار _
تتهاذى البيض الحسان _، و مستورات رموزٍ يستشرف لكشف القناع عن محياها أعناق الأعيان.

و أتربّص من الله _ خالق الإنس و الجان _ أن لا أكون بالهذر الذى أوردته و المورد الذى تورّدته ملحقاً بالأخسرين أعمالاً _ :
«الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً»^(٢).

و الملتمس ممّن اطلع فيه على خللٍ واضحٍ و زللٍ فاضحٍ أن يصلح الفاسد و الكاسد، و يصحّح الغلط و يجانب اللفظ، فإنّ
الإنسان محلّ النسيان و الصفح عن الزلّات من شيم الرحمن،

فَالْعَفْوَ مُلْتَمَسٌ وَ الصَّفْحُ مَأْمُولٌ وَ الْعُذْرُ عِنْدَ كِرَامِ النَّاسِ مَقْبُولٌ!^(٣)

على أنّى و إن أغمض لى الذكىّ المسامح لأأكاد أخلص من الغبىّ الفاضح!؛ و على الله نلتجى ء من الغباوه، و عليه التوكّل فى
البدايه و النهايه، و منه التوفيق و الهدايه.

الحمد لله ربّ العالمين و الصلاه و السلام على سيّد المرسلين و على آله و أهل بيته الطيّبين، سيّما وصيّيه و خليفته الحافظ لدينه
المبين.

تمّ الكتاب

ص : ٥٩٢

١- ١. كريمه ٥٦ الرحمن.

٢- ٢. كريمه ١٠٤ الكهف.

٣- ٣. من المشهورات، و لم أعثر على قائله بعد الفحص البالغ، و انظر: «جواهر الجواهر» ص ١٦٨.

شرح الدعاء ٤٤ ٣٠٠

شرح الدعاء ٤٥ ٥٧٠٠٠

شرح الدعاء ٤٦ ١٣٣٠٠٠

شرح الدعاء ٤٧ ١٧٧٠٠٠

شرح الدعاء ٤٨ ٣٧٧٠٠٠

شرح الدعاء ٤٩ ٤١٩٠٠٠

شرح الدعاء ٥٠ ٤٤٧٠٠٠

شرح الدعاء ٥١ ٤٦٧٠٠٠

شرح الدعاء ٥٢ ٤٨٥٠٠٠

شرح الدعاء ٥٣ ٥٠١٠٠٠

شرح الدعاء ٥٤ ٥١٥٠٠٠

الفهرس ٥٩٣٠٠٠

ص: ٥٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى توفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات ...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١. JAVA

٢. ANDROID

٣. EPUB

٤. CHM

٥. PDF

٦. HTML

٧. CHM

٨. GHB

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١. ANDROID

٢. IOS

٣. WINDOWS PHONE

٤. WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصحان
الغمامي



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

